

النسخة

موسى وعيسى
الشهيد الأول

النسخة
حياته وأثاره



المركز العالي للتعليم والثقافة الإسلامية

مركز أحياء التراث الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



موسوعة الشهيد الأوّل

المدخل

الشهيد الأوّل حياته وآثاره

رضا المختاري

مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة

مركز إحياء التراث الإسلامي



المركز العالمي للعلوم والثقافة الإسلامية

موسوعة الشهيد الأوّل

المدخل (الشهيد الأوّل؛ حياته وآثاره)

الشيخ رضا المختاري

الناشر: المركز العالمي للعلوم والثقافة الإسلامية

معاونية الأبحاث لمكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية، قم المقدّسة

الإعداد: مركز إحياء التراث الإسلامي

الطباعة: مطبعة الباقر

الطبعة الثانية: ١٤٣٥ق / ٢٠١٤م

الكميّة: ١٠٠٠ نسخة

العنوان: ١٠٠؛ التسلسل: ٤١٤

حقوق الطبع محفوظة للناشر

العنوان: قم، شارع الشهداء (صفائية)، زقاق آمار، الرقم ٤٢

التلفون والفاكس: ٣٧٨٣٢٨٣٣-٢٥، التوزيع: قم ٣٧٨٣٢٨٣٤-٢٥، طهران ٠٢١-٦٦٩٥١٥٣٤

ص. ب: ٣٧١٨٥/٣٨٥٨، الرمز البريدي: ١٦٤٣٩-٣٧١٥٦

وب سايت: www.pub.isca.ac.ir البريد الإلكتروني: nashr@isca.ac.ir

سرشناسه:

مختاری، رضا، ١٣٤٢ -

عنوان و پدیدآور:

الشهيد الأوّل حياته وآثاره / رضا المختاري؛ إعداد مركز إحياء التراث الإسلامي.

مشخصات نشر:

قم: المركز العالمي للعلوم والثقافة الإسلامية، ١٤٣٥ق. = ٢٠١٤م. = ١٣٩٢.

مشخصات ظاهري:

٦٠٨ص.

فروست:

موسوعة الشهيد الأوّل؛ المدخل.

شابک:

ISBN 978-600-5570-11-3 (دوره)

ISBN 978-600-5570-12-0 (ج. ٠)

وضعیّت فهرست نویسی:

فیبیا.

یادداشت:

کتابنامه: ص. [٥٧٥]-٦٠٨؛ همچنین به صورت زیر نویس.

موضوع:

اسلام - مجموعه ها.

موضوع:

شهید اول، محمد بن مکی، ٧٣٤-٧٨٦ق. سرگذشتنامه و کتابشناسی.

موضوع:

فقیهان شیعه - سرگذشتنامه.

شناسه افزوده (سازمان):

پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامی. مرکز احیای آثار اسلامی.

رده بندی کنگره:

ش. ٨٠ / ٤/٦ BP

[٣] ٩٤ / ٥ / ١٥٣ BP

٢٩٧ / ٠٨

رده بندی دیویی:

[٢٩٧/٣٩٢٤]

دليل

موسوعة الشهيد الأوّل

المدخل = الشهيد الأوّل حياته وآثاره

الجزء الأوّل - الجزء الرابع = ١. غاية المراد في شرح نكت الإرشاد

الجزء الخامس - الجزء الثامن = ٢. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة

الجزء التاسع - الجزء الحادي عشر = ٣. الدروس الشرعية في فقه الإمامية

الجزء الثاني عشر = ٤. البيان

الجزء الثالث عشر = ٥. اللمعة دمشقية في فقه الإمامية

الجزء الرابع عشر = ٦. حاشية القواعد (الحاشية النجارية)

الجزء الخامس عشر = ٧. القواعد والفوائد

الجزء السادس عشر و الجزء السابع عشر = ٨. جامع البين من فوائد الشرحين

الجزء الثامن عشر = الرسائل الكلامية والفقهية

الرسائل الكلامية	الرسائل الفقهية
٩ . المقالة التكميلية	١٤ . أحكام الميت
١٠ . الأربعينية في المسائل الكلامية	١٥ . الرسالة الألفية
١١ . العقيدة الكافية	١٦ . الرسالة النفلية
١٢ . الطلائعية	١٧ . جواز السفر في شهر رمضان اعتباراً
١٣ . تفسير الباقيات الصالحات	١٨ . المنسك الصغير
	١٩ . المنسك الكبير
	٢٠ . أجوبة مسائل الفاضل المقداد
	٢١ . المسائل الفقهية

الجزء التاسع عشر = المزار والرسائل المتفرقة

٢٢ . المزار	٢٨ . الوصية (٣)
٢٣ . الأربعون حديثاً (١)	٢٩ . الإجازة لابن نجدة
٢٤ . الأربعون حديثاً (٢)	٣٠ . الإجازة لابن الخازن
٢٥ . الأربعون حديثاً (٣)	٣١ . الإجازة لجماعة من العلماء
٢٦ . الوصية (١)	٣٢ . الأشعار
٢٧ . الوصية (٢)	

الجزء العشرون = الفهارس

فهرس الموضوعات

١١	تصدير
١٣	المقدمة

الباب الأول حياة الشهيد

١٩	الفصل الأول: مصادر ترجمته
٣٠	الفصل الثاني: اسمه ولقبه و نسبه
٣٧	الفصل الثالث: مولده ونشأته
٤٣	الفصل الرابع: السرد التاريخي لرحلاته وحياته العلمية
٥٠	الفصل الخامس: الثناء عليه
٥٧	الفصل السادس: مكانته العلمية والأخلاقية وبعض آرائه
٦٨	الفصل السابع: أساتذته ومشايخه في الرواية
٩١	الفصل الثامن: تلامذته والراوون عنه
١٠٣	الفصل التاسع: أولاده وزوجته
١١١	الفصل العاشر: استشهاده

الباب الثاني: الشهيد الأول عصره، سيرته، أعماله وما مكث منها

١٣٩	المقدمة
١٤٨	الفصل الأول: أراضية تاريخية
١٤٩	١. انتشار التشيع في المنطقة الشامية والبلاء الصليبي
١٥١	٢. تحت وطأة السياسة المملوكية
١٥٣	٣. نكبة كسروان وأعمال ابن تيمية
١٦٤	٤. تداعيات النكبة

١٧٢	الفصل الثاني: جزين ماضي الأيام الآتية
١٧٢	١. في التاريخ العام
١٧٦	٢. في التاريخ الثقافي
١٨٢	الفصل الثالث في السيرة
١٨٢	إشكاليات البحث
١٨٣	١. النسب والمولد والنشأة
١٨٩	٢. في الحلة
١٩٠	٣. بدء صلته بعلي بن المؤيد الخراساني
١٩٢	٤. ما بعد الحلة، رحلاته العلمية
١٩٤	٥. في جزين
٢٠١	٦. شهادته
٢٠٢	المقارنة بين الروايتين وتقدهما
٢٠٦	الفصل الرابع في خضم المعتزك
٢٠٧	١. من هم أولئك التركمان؟
٢٠٨	٢. فرصتهم التاريخية الأخيرة
٢٠٩	٣. التطورات السكانية وأثارها
٢١٢	٤. بواعث الشهيد على العمل
٢١٤	٥. في سوح العمل، الإعداد الفكري
٢١٩	٦. أعمال الشهيد تؤتي ثمارها
٢٣٣	الفصل الخامس: عالم الشهيد وسيرته من هذا المنظور
٢٣٥	١. علاقاته الداخلية
٢٤٥	٢. علاقاته الخارجية
٢٥٨	الفصل السادس: لماذا قتل الشهيد؟
٢٥٩	١. في الوقائع
٢٦٠	الجمع بين الروايات
٢٦٤	٢. الأقوال والمزاوجة بينها
٢٧٠	الفصل السابع: ماذا مكث من أعمال الشهيد؟
٢٧١	١. المشهد في جبل عامل قبل الشهيد
٢٧٥	٢. المشهد نفسه بعد الشهيد
٢٨٢	الخاتمة

الباب الثالث: مؤلفات الشهيد وأثاره العلمية

٢٨٧	المقدّمة
٢٨٨	الفصل الأول: كتبه ورسائله
٢٩٠	١. أجوبة مسائل ابن نجم الدين الأطراوي
٢٩١	٢. أجوبة مسائل الفاضل المقداد
٢٩٤	٣. أحكام الميّت
٢٩٥	٤. الأربعون حديثاً (١)
٢٩٨	٥. الأربعون حديثاً (٢)
٣٠١	٦. الأربعون حديثاً (٣)
٣٠٤	٧. الأربعينية في المسائل الكلامية
٣٠٦	٨. البيان
٣١٠	٩. تفسير الباقيات الصالحات
٣١٣	١٠. جامع البين من فوائد الشرحين
٣١٨	١١. جواز السفر في شهر رمضان اعتباطاً
٣١٩	١٢. حاشية القواعد
٣٣٠	١٣. الدروس الشرعية في فقه الإمامية
٣٤٢	١٤. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة
٣٤٧	١٥. الرسالة الألفية
٣٥١	١٦. الرسالة النفلية
٣٥٢	١٧. شرح قصيدة الشهفيني
٣٥٥	١٨. الطلائعية
٣٦٠	١٩. العقيدة الكافية
٣٦٤	٢٠. غاية المراد في شرح نكت الإرشاد
٣٦٤	٢١. القواعد و الفوائد
٣٦٩	٢٢. اللعة الدمشقية في فقه الإمامية
٣٧٧	٢٣. المزار
٣٨٠	٢٤. المسائل الفقهية
٣٨٣	٢٥. المقالة التكميلية
٣٨٦	٢٦. المنسك الصغير (= خلاصة الاعتبار في الحجّ والاعتمار)
٣٨٧	٢٧. المنسك الكبير

٣٨٩ الوصية (١).	٢٨
٣٩١ الوصية (٢).	٢٩
٣٩٤ الوصية (٣).	٣٠
٤٠٣ الفصل الثاني: إجازاته	
٤٠٣ ١. الإجازة لجماعة من العلماء	
٤٠٥ ٢. الإجازة لابن نجدة	
٤١٤ ٣. الإجازة لابن الخازن	
٤٢٠ ٤. الإجازة لأولاده الثلاثة	
٤٢٠ ٥. الإجازة لولديه	
٤٢٢ الفصل الثالث: أشعاره	
٤٤١ الفصل الرابع: فوائده المتفرقة وأعماله العلمية	
٤٦٤ الفصل الخامس: الآثار المنسوبة إليه	
٤٨٩ الخاتمة: أخطاء كتب التراجم في ترجمة الشهيد	

الملاحق

٤٩٥ ١. مختصر نسيم السحر	
٤٩٧ مقدمة التحقيق	
٤٩٩ الشهيد الأول وأرباب السلطة (منجك وبيدمر و برقوق).	
٥١٠ الشهيد الأول ودوره، وقضاة السلطة ومقتله	
٥١٤ ابن جماعة، قاضي القضاة في القاهرة ثم في دمشق	
٥١٥ برقوق والقضاء وابن جماعة	
٥١٨ ابن خلدون والمرحلة، وتاريخه المشوّش	
٥٢٢ عملنا على مخطوطة مختصر نسيم السحر	
٥٢٦ متن الرسالة	
٥٦٢ ثبت المصادر والمراجع	
٥٦٥ ٢. رسالة ابن تيمية إلى السلطان	
٥٧٥ مصادر التحقيق	
٥٧٥ تنبيهات	
٥٧٦ أ) المصادر العربية المطبوعة	
٦٠٠ ب) المصادر المخطوطة	
٦٠٢ ج) المصادر الفارسية	

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأعظم، والنبّي الخاتم محمّد وعلى آله الطاهرين.

وبعد؛ لا يخفى على العلماء الأجلّاء والمحقّقين الفضلاء فائدة نشر المؤلّفات الكاملة لكلّ عالم من علمائنا، في عرض آرائه العلميّة وتحقيقاته في ميادين العلم والثقافة والاجتماع والسياسة، وما جدّ في عصره من المسائل التي لم يُبتلّ بها الأسلاف، باعتباره كاشفاً عن تطوّر العلوم الإسلاميّة في ذلك الحين، فضلاً عن فوائد أُخرى كثيرة يعرفها العاملون في حقل تراثنا الإسلامي.

وقد شرّع مركز إحياء التراث الإسلامي في مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة قبل عدّة سنوات (سنة ١٣٨٠ هـ ش) بافتتاح مشروعه الكبير في تحقيق ونشر الأعمال الكاملة لسلسلة من العلماء والمصلحين من أعلام الشيعة الإماميّة الماضين والمعاصرين، الذين كان لهم دور كبير في مختلف المجالات العلميّة والثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة.

وقد تمّ الانتهاء من نشر موسوعة الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين محقّقة كاملة في أحد عشر مجلداً كواحدةٍ من حلقات هذا المشروع عام ١٤٢٧، وقد لقيت حسن القبول لدى العلماء والمحقّقين في إيران والعالم العربي فلله الحمد وله الشكر. ثمّ موسوعة العلامة المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي في ثمانية مجلّدات عام ١٤٢٨.

والآن يتشرّف مركز إحياء التراث الإسلامي بعرض موسوعة الشهيد الأوّل في عشرين مجلداً على أمل أن تنال رضى علمائنا الأعلام، وهي تتضمّن جميع ما عثر عليه محقّقونا الفضلاء من كتب ورسائل تعود للشهيد بعد جهد متواصلٍ دام أكثر من عشرين سنة.

وتزامناً مع بداية العمل في جمع وتحقيق آثار الشهيد بل وقبلها شملت العناية الإلهية فضيلة الشيخ رضا المختاري حيث اشتغل بكتابة ترجمة الشهيد، وقدّم نتيجة دراساته في هذا المجال والتي استغرقت أكثر من عشرين سنة ضمن هذا الكتاب كمدخل لموسوعة الشهيد الأوّل. ورتّب الكتاب في ثلاثة أبواب وخاتمة وملاحق:

الباب الأوّل يشتمل على عشرة فصول. تناولت بصورة واسعة وشاملة حياة الشهيد الأوّل. وفي هذا الباب، تمّ استقصاء مصادر دراسة حياة الشهيد الأوّل، والمؤلّفات التي اختصّت بهذا الموضوع، وتمّ رفع العديد من الاشتباهات التاريخية في هذا المجال.

وأخيراً، تمّ كتابة دراسة مفصّلة عن شهادته، وهي جديدة لا سابق لها. والباب الثاني خصّص لدراسة تحليل تاريخي لعصر الشهيد الأوّل، سيرته، أعماله وما مكث منها. كتبه الأستاذ الدكتور الشيخ جعفر المهاجر (حفظه الله ورعاه).

والباب الثالث يشتمل على خمسة فصول، خصّصها بالدراسة عن مؤلّفات الشهيد وآثاره العلميّة واشتمل على قائمة مفصّلة وكاملة - غير مسبوقه حتّى الآن - لآثار ومؤلّفات الشهيد، وما نُسب إليه. وتوجد فيها معلومات قيّمة ومفيدة.

كذلك - ولأوّل مرّة - تمّ جمع الأشعار المتفرّقة للشهيد الأوّل في مواضع مختلفة، وترتيبها وتنظيمها وتصحيحها، ومن ثمّ طبعا في هذا الكتاب.

كما ويضمّ الكتاب - كملحق - كتاب مختصر نسيم السحر، تحقيق الدكتور يوسف طباجة. وفي الختام من الواجب علينا أن نتقدّم بالشكر والتقدير إلى جميع السادة المحقّقين في مركز إحياء التراث الإسلامي الذين ساهموا وأعانوا في إنجاز هذا المشروع الكبير مثنّين جهودهم المباركة، ونخصّ بالذكر المحقّق الفاضل الشيخ رضا المختاري الذي كتب هذا الكتاب الثمين، والأخ الفاضل فضيلة الشيخ عليّ أوسط الناطقي المشرف على مركز إحياء التراث الإسلامي. نسأل الله تعالى أن يوفّقنا في طريق إحياء آثار عظماء الشيعة، وتعريفهم للعالم، ويجعلنا خيرَ خَلْفٍ صالحٍ لهم. إنّه وليّ التوفيق.

قم المقدّسة

شوال المكرّم ١٤٣٠

المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلاميّة

أحمد المبلّغي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا أفضل الخلائق أجمعين،
ووصيه وخليفته عليّ أمير المؤمنين، وآله الطيبين الطاهرين،
ولا سيما الإمام المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

الشهيد الأوّل هو الفقيه المحقّق والمجدّد الورع أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن مكّي المعروف بـ«الشهيد» على الإطلاق (تغمّده الله بغفرانه وأسكنه فراديس جنّانه). وهو من أكبر فقهاء الشيعة على مرّ التاريخ، ولا تزال آثاره القيّمة منبعاً صافياً ينهل منه الخلف، وملجأً وملاذاً للعلماء والفقهاء، وصار البعض منها مادةً دراسيةً في الحوزة العلميّة. ونظراً للمكانة الرفيعة لهذا الشهيد السعيد والحبّ الذي أكنّهُ له باعتباره واحداً من فطاحل الفقه الشيعي، فقد بدأتُ شخصياً وقبل عدّة سنواتٍ، وبالتحديد قبل عدّة أعوامٍ، أعني عام ١٤٠٦ بالتحقّق في تاريخ حياته، فنشرتُ مقالةً في إحدى المجلّات الصادرة في قم المقدّسة، تضمّنتُ جانباً من تحقيقاتي حول الشهيد. وبعد ذلك نشرتُ إحدى المجلّات^١ الصادرة في دمشق تلك المقالة بصورة مشوّهة ومغلوطه، بعد ترجمتها إلى العربية، وقد فعلوا ذلك دون علمي وإذني. ثمّ نقل العالم المعاصر السيّد حسن الأمين رحمه الله جانباً من الترجمة المغلوطة عبر المجلّة، وأوردها في مستدركات أعيان الشيعة^٢.

١. مجلّة الثقافة الإسلاميّة، العدد ٦، ص ١٠٧-١٢٤، عام ١٤٠٧.

٢. مستدركات أعيان الشيعة، ج ١، ص ٢٠٦.

وبعد ذلك التاريخ، أعني عام ١٤٠٦، استمرّت أبحاثي وتحقيقاتي حول هذا الفقيه الجليل، ثم نُشِرَت كَمَقْدَمَةٍ لكتاب غاية المراد - حين حَقَّقْتُهُ بمساعدة عدّة من الفضلاء خلال أكثر من عشر سنوات من سنة ١٣٦٨ ش إلى سنة ١٣٧٩ ش - مع الجزء الأوّل من غاية المراد، عام ١٤١٤ / ١٣٧٢ ش.

ثم ارتأيت أن أضيف إليها ما وقفت عليه بعد نشر تلك المقدّمة، وأعدّه ككتابٍ مستقلٍّ في ترجمة الشهيد عليه السلام. فأضفت إليها مطالب كثيرة ونُشِرَت في كتاب منفرد، في حوالي ٤٠٠ صفحة، في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة في قم، عام ١٤٢٦ / ١٣٨٣ ش. ثمّ وقفت على مطالب جديدة حول الشهيد، فأضفتها إليها.

وكتب الكاتب الفاضل، الشيخ جعفر المهاجر، فضلاً مشبعاً عن عصر الشهيد، بطلب من مركز إحياء التراث الإسلامي، فأدرجناه في هذا الكتاب وجعلناه الباب الثاني منه، فله منّا جزيل الشكر والامتنان.

وأيضاً وقفتُ لأوّل مرّةٍ على مخطوطة مختصر نسيم السحر في ترجمة الشهيد - الذي سيأتي الحديث عنه في الفصل الأوّل من الباب الأوّل، ومقدّمة الباب الثاني وملاحق الكتاب - وسلّمته إلى الأخ الفاضل الدكتور يوسف طباجة ليحقّقه كي ندرجه في ملاحق الكتاب، فحقّقه بحمد الله. ونشكره على جهوده في هذا الميدان. وسلّمتم مخطوطة مختصر نسيم السحر إلى الشيخ جعفر المهاجر أيضاً للاستعانة به في بحثه الذي جعلناه الباب الثاني من هذا الكتاب.

وإنّي إذ أضع بين أيديكم في هذا الكتاب خلاصةً جهودٍ استمرّت سنين متواليّة - أعني أكثر من عشرين سنة - سأحاول عرض ملاحظاتٍ وتحقيقاتٍ جديدة؛ وسأورد في نهاية كلّ مبحثٍ أو فقرةٍ رئيسية عمدة الأخطاء والاشتباهاة الواردة في مصادر ترجمة الشهيد.

وقد وضعتُ هذا الكتاب في ثلاثة أبواب، وخاتمةٍ وملاحق، وأدرجتُ في الملاحق مختصر نسيم السحر، تحقيق الدكتور يوسف طباجة، ورسالة ابن تيمية إلى السلطان حول نشاطات الشيعة في جبل عامل، والتي أُشير إليها في الباب الثاني من الكتاب.

وأرى من الواجب عليّ أن أقدم شكري وثنائي إلى كلّ من ساهم أو أعان على ظهور هذا الكتاب، وأخصّ منهم بالذكر :

١. المحقّق العلامّة، الأستاذ الرؤوف، الباذل لما يستطيع، خدمةً للتحقيق والمحقّقين، المرحوم السيّد عبدالعزيز الطباطبائي رحمه الله.
 ٢. العالم المحقّق، والفقير المدقّق، آية الله الحاج السيّد موسى الشبيري الزنجاني (دامت بركاته).
 ٣. الأستاذ العلامّة، المحقّق المدقّق، الحاج السيّد محمّد عليّ الروضاتي (دامت إفاضاته).
 ٤. شيخنا المحقّق، الأستاذ الجليل الشيخ رضا الأستادي الطهراني (دامت تأييداته).
 ٥. العالم الفاضل المتتبع، الأستاذ عبدالحسين الحائري، المشرف على مخطوطات مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (دامت تأييداته).
 ٦. العالم الفاضل، الدكتور السيّد محمود المرعشي، المشرف على مكتبة آية الله المرعشي (دامت تأييداته).
 ٧. الأخ الفاضل، الشيخ عليّ أوسط الناطقي مدير مركز إحياء التراث الإسلامي (دامت تأييده).
- كما أخصّ بالذكر الإخوة الأعزّاء في مؤسّسة تراث الشيعة، ومركز إحياء التراث الإسلامي، خصوصاً الفضلاء الكرام: عليّ أكبر زماني نژاد، أسعد الطيّب، لطيف فُرادي، محمّد عليّ النجفي، أبو الفضل حافظيان، حسين الوائقي، عليّ أكبر الصفري، محمّد رضا خادميان، قربان المخدومي، محسن الصادقي، محسن النوروزي، حسين المتّقي، جواد قرباني وولدي البارّ حسن المختاري، الذي صفّ الحروف؛ داعياً الله سبحانه أن يوفّقهم جميعاً لمرضاته.
- والحمد لله أبد الآبدين، وصلّى الله على أفضل الخلائق أجمعين، أبي القاسم المصطفى خاتم النبيّين، ووصّيه وخليفته مولانا أمير المؤمنين، وآله الطيّبين الطاهرين.

قم المقدّسة

مؤسّسة تراث الشيعة

٢٨ شوّال المكرّم، ١٤٣٠ = ١٣٨٨/٧/٢٦ هـ ش

رضا المختاري

حياة الشهيد

الفصل الأوّل: مصادر ترجمته

الفصل الثاني: اسمه ولقبه و نسبه

الفصل الثالث: مولده و نشأته

الفصل الرابع: السرد التاريخي لرحلاته و حياته العلمية

الفصل الخامس: الثناء عليه

الفصل السادس: مكانته العلمية والأخلاقية وبعض آرائه

الفصل السابع: أساتذته ومشايخه في الرواية

الفصل الثامن: تلامذته والراوون عنه

الفصل التاسع: أولاده وزوجته

الفصل العاشر: استشهاده

الفصل الأوّل

مصادر ترجمته

لقد أوردت المصادر الكثيرة - من الخاصّة والعامّة - تراجم للشهيد الأوّل عليه السلام، سنورد فيما يلي أمّهات هذه المصادر حسب ترتيب تاريخ وفاة مصنّفها. وقد وضعنا نجمةً بجانب المصادر الأساسية والتي تحتوي على مطالب جديدة تغني مراجعة مجموعها الطالب عن مراجعة سائر المصادر :

١. * تكملة درة الأسلاك، لابن حبيب (م ٨٠٨)، حوادث سنة ٧٨٦.
٢. * غاية النهاية، لشمس الدين الجزري (م ٨٣٣)، ج ٢، ص ٢٦٥.
٣. * السلوك، لتقيّ الدين أحمد المقرّيزي (م ٨٤٥)، ج ٥، ص ٧٦، حوادث سنة ٧٨١، وأيضاً ج ٥، ص ١٦١، حوادث سنة ٧٨٥.
٤. * تاريخ ابن قاضي شهبة، لابن قاضي شهبة الدمشقي (م ٨٥١)، ج ١، ص ١٣٤-١٣٥، ١٥١.
٥. * إنباء الغمّز، لابن حجر العسقلاني (م ٨٥٢)، ج ١، ص ٣١١، حوادث سنة ٧٨١ وج ٢، ص ١٨١، حوادث سنة ٧٨٦.
٦. * لحظ الألاحاظ، لابن فهد المكيّ (م ٨٧١)، ص ١٦٨.
٧. * مجموعة الجباعي^١، المخطوطة، لشمس الدين محمّد بن عليّ الجباعي (م ٨٨٦) في مختلف أوراقها.
٨. * مجالس المؤمنين، للقاضي نور الله التستري الشهيد (م ١٠١٩)، ج ١، ص ٥٧٩.
٩. نقد الرجال، للتفرشي (كان حيّاً سنة ١٠٤٤)، ص ٣٣٥.

١. انظر الكلام حولها فيما يأتي في الفصل الرابع من الباب الثالث.

١٠. شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (م ١٠٨٩)، ج ٦، ص ٢٩٤.
١١. جامع الرواة، للأردبيلي (م ١١٠١) ج ٢، ص ٢٠٣.
١٢. * أمل الآمل، للشيخ الحرّ العاملي (م ١١٠٤)، ج ١، ص ١٨١-١٨٣.
١٣. * بحار الأنوار، للعلامة المجلسي (م ١١١٠)، ج ١، ص ١٠، ٢٩، ٣٠ وج ١٠٧، ص ١٧-١٨، ٢٩، ٤٠، ٤١، ٤٠٤، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، وج ١٠٨، ص ١٥٢-١٥٣ وج ١٠٩، ص ٨-١٠، ١٤، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢٣، ٢٩، ٣١، ٣٧، ٤٠، ٥٠، ٥٥-٥٦-٧٠-٧٣ وج ١١٠، ص ١٦٦، ١٦٨، وغيرها.
١٤. * تعليقة أمل الآمل، للميرزا عبدالله الأفندي (م حوالي ١١٣٤)، ص ٧٥-٨١.
١٥. رياض العلماء، للميرزا عبدالله الأفندي (م حوالي ١١٣٤)، ج ٥، ص ١٨٥-١٩١.
١٦. * الفوائد الطريفة، للميرزا عبدالله الأفندي (م حوالي ١١٣٤)، ص ١٣٠-١٣١، ٢٣٨-٢٤٤، ٣٨١-٣٨٢، ٤٦٦-٤٦٨، ٥٧٦-٥٨٠.
١٧. حدائق المقرئين، للمير محمد صالح الحسيني الخاتون آبادي (م ١١٢٦)، الباب الرابع، مخطوط.
١٨. كشكول البحراني، للمحدّث الشيخ يوسف البحراني (م ١١٨٦)، ج ٢، ص ١٤٩-١٥٠، ١٩٣-٢٠١.
١٩. * لؤلؤة البحرين، للمحدّث الشيخ يوسف البحراني (م ١١٨٦)، ص ١٤٣-١٤٨.
٢٠. منتهى المقال، لأبي عليّ الحائري (م ١٢١٦)، ج ٦، ص ٢٠٧.
٢١. رياض الجنّة، للميرزا محمد حسن الحسيني الزنوزي (م ١٢١٨)، ج ٣، ص ٢١٧-٢٣٤.
٢٢. مقابس الأنوار، للمحقّق التستري (م ١٢٣٧)، ص ١٣-١٤.
٢٣. كشف الحجب والأستار، للسيد إعجاز حسين الكنتوري (م ١٢٨٦)، ص ٣٥، ٥٨، ٧٦، ٩١، ١٥١-١٥٢، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٣، ٢٢١، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٧٨-٢٧٩، ٣٩١، ٤١٦، ٤٨١، ٥٠٢، ٥٨٥.
٢٤. قصص العلماء، للميرزا محمد التنكابني (م ١٣٠٢)، ص ٣٣٧-٣٤٢.
٢٥. * روضات الجنّات، للسيد محمد باقر الخوانساري الإصفهاني (م ١٣١٣)، ج ٧، ص ٣-٢١.

٢٦. طرائف المقال، للسيد علي أصغر الجابلقى البروجردى (م ١٣١٣)، ج ٢، ص ٤٢٦ - ٤٢٩.
٢٧. * خاتمة مستدرك الوسائل، للمحدث النورى (م ١٣٢٠)، الطبعة القديمة: ج ٣، ص ٤٣٧ - ٤٤٩؛ الطبعة الجديدة: ج ٢٠، ص ٣٠٢ - ٤٠١.
٢٨. بهجة الآمال، للمولى علي العلياري (م ١٣٢٧)، ج ٦، ص ٦٦١ - ٦٦٩.
٢٩. * مرآة الكتب، لثقة الإسلام التبريزي الشهيد (م ١٣٣٠)، ج ٢، ص ٢١٦، ٢١٨، ٢٣٢ وج ٣، ص ١٠٦ وغيرها.
٣٠. إيضاح المكنون، لإسماعيل باشا البغدادي (م ١٣٣٩)، ج ١، ص ٣٥٥، ٤٣٣، ٤٧١، ٥٥٩، ٥٦٠، وج ٢، ص ١٤٠، ٢٦٥.
٣١. هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي (م ١٣٣٩)، ج ٢، ص ١٧١.
٣٢. لباب الألقاب، للمولى حبيب الله الكاشاني (م ١٣٤٠)، ص ٩.
٣٣. تنقيح المقال، للشيخ عبدالله المامقاني (م ١٣٥١)، ج ٣، ص ١٩١ - ١٩٢.
٣٤. تكملة أمل الآمل، للسيد حسن الصدر (م ١٣٥٤)، ص ٣٦٥ - ٣٧١.
٣٥. كشف الأستار، للسيد أحمد الخوانساري (م ١٣٥٩)، ج ٣، ص ٤٣٣ - ٤٤٥ وغيرها.
٣٦. * الفوائد الرضوية، للمحدث القمي (م ١٣٥٩)، ص ٦٤٥ - ٦٥٣.
٣٧. الكنى والألقاب، للمحدث القمي (م ١٣٥٩)، ج ٢، ص ٣٦٤ - ٣٥٠.
٣٨. سفينة البحار، للمحدث القمي (م ١٣٥٩)، ج ١، ص ٧٢١.
٣٩. هدية الأحباب، للمحدث القمي (م ١٣٥٩)، ص ١٨٥ - ١٨٧.
٤٠. تحفة الأحباب، للمحدث القمي (م ١٣٥٩)، ص ٤٩٢.
٤١. * أعيان الشيعة، للعلامة الأمين (م ١٣٧١)، ج ١٠، ص ٥٩ - ٦٤. ومستدركات أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٧٦ - ١٨٣.
٤٢. ربحانة الأدب، للميرزا محمد علي التبريزي (م ١٣٧٣)، ج ٣، ص ٢٧٦ - ٢٧٨، وج ٨، ص ٢٩٧.
٤٣. * حياة الإمام الشهيد الأول، للشيخ محمد رضا شمس الدين (م ١٣٧٧).
٤٤. * ماضي النجف وحاضرها، للشيخ جعفر آل محبوبة (م ١٣٧٧)، ج ٢، ص ٤٠٧ - ٤١٣.

٤٥. تحفة العالم، للسيد جعفر آل بحر العلوم (م ١٣٧٧)، ج ١، ص ١٥٥ - ١٦١.
٤٦. * الذريعة، للشيخ آقا بزرگ الطهراني (م ١٣٨٩) في مختلف مواضعه، سيأتي أكثرها وأهمها في البحث عن مؤلفات الشهيد وآثاره العلمية.
٤٧. * الحقائق الراهنة، للشيخ آقا بزرگ الطهراني (م ١٣٨٩)، ص ٢٠٥ - ٢٠٧.
٤٨. مصفَى المقال، للشيخ آقا بزرگ الطهراني (م ١٣٨٩)، ص ٤٢٥ - ٤٢٦.
٤٩. * شهداء الفضيلة، للعلامة الأميني (م ١٣٩٠)، ص ٨٠ - ٩٨.
٥٠. تاريخ العراق بين احتلالين، لعباس الغزوي (م ١٣٩١)، ج ٢، ص ١٧٩.
٥١. الأعلام، للزركلي (م ١٣٩٦)، ج ٧، ص ١٠٩.
٥٢. مكارم الآثار، للحبيب آبادي (م ١٣٩٦)، ج ٦، رقم ١١٦٨، ضمن حوادث عام ١٢٦٩.
٥٣. الجامع في الرجال، للشيخ موسى الزنجاني (م ١٣٩٩) قسم المخطوط منه، ج ٣، ص ٧٩٢ - ٧٩٣.
٥٤. مقدّمة بحار الأنوار، للشيخ عبدالرحيم الرّباني الشيرازي (م ١٤٠٠)، ج المدخل، ص ١٥٢ - ١٥٦.
٥٥. ذرائع البيان، للشيخ محمّد رضا الطبسي (م ١٤٠٥)، ج ٢، ص ١٤٧ - ١٥١.
٥٦. * مقدّمة القواعد والفوائد، للشهيد السيد عبدالهادي الحكيم (م ١٤٠٥)، ج ١، ص ٧ - ٢٧.
٥٧. السيوف البارقة على هام المتصوّفين المارقة، للشيخ ذبيح الله المحلّاتي (م ١٤٠٦)، ص ٤١٢ - ٤١٣.
٥٨. معجم رجال الحديث، لآية الله الخوئي (م ١٤١٣)، ج ١٧، ص ٢٧٠ - ٢٧٣.
٥٩. * فهرست نسخه های خطی کتابخانه مرکزی، لمحمّد تقی دانش پژوه (م ١٤١٧)، ج ٥، ص ١٠٩٣ - ١٠٩٧، ١٨٧٧ - ١٨٧٨، و ج ٦، ص ٢١٩٤ - ٢١٩٨.
٦٠. مقدّمة الدرّة الباهرة، للشيخ محمّد هادي الأميني (م ١٤٢١)، ص ٥ - ٢٢.
٦١. * الشهيد الأول: محمد بن مكّي، للمرحوم السيد حسن الأمين رحمته الله (م ١٤٢٣) ^١.

١. جاء في تمهيد هذا الكتاب، ص ٧: «ترتبط حياة الشهيد محمّد بن مكّي، كما استشهاده، بفريقين من الناس، وأربعة رجال من بين هذين الفريقين:

٦٢. أعلام العرب في العلوم و الفنون، لعبد الصاحب عمران الدجيلي (المعاصر)، ج ٢، ص ٢٠٥ - ٢٠٩.
٦٣. مفاخر إسلام، للشيخ عليّ الدواني (المعاصر)، ج ٤، ص ٣٢٧ - ٣٦٦.
٦٤. * مقدّمة الروضة البهيّة، للشيخ محمّد مهدي الآصفي (المعاصر)، ج ١، ص ٧٧ - ١٤٨.
٦٥. * الصلّة بين تصوّف والتشيع، لكامل مصطفى الشبيبي (المعاصر)، ج ٢، ص ١٣٤ - ١٤١.
٦٦. * الهجرة العالمية إلى إيران، للشيخ جعفر المهاجر (المعاصر)، ص ٥٧ - ٩١.
٦٧. * ستة فقهاء أبطال، للشيخ جعفر المهاجر (المعاصر)، ص ٧٩ - ١٠٨.
٦٨. جبل عامل بين الشهيدين، للشيخ جعفر المهاجر (المعاصر)، ص ١٠٥ - ١٦٠.
٦٩. * مقالة «الشهيد الأوّل ومشروع القيادة الدينية - السياسية في جبل عامل»، للدكتور يوسف طباجة (المعاصر)، المطبوعة في مجلّة العرفان، المجلّد الثمانون، العدد الأوّل - العدد الثامن، آذار ١٩٩٦م - تشرين الأوّل ١٩٩٦.
٧٠. * مهاجرت علماء شيعة از جبل عامل به ايران، لمهدي فراهاني منفرد (المعاصر) ص ٥٩ - ٨٢.
٧١. * معجم أعلام جبل عامل. لعلّيّ داود جابر (المعاصر)، ج ٣، ص ١٩٣، ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٧ - ٢٢٨، ٢٣١ - ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٦ - ٢٤٧، ٢٧٢ - ٢٧٣، ٢٧٥ - ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٩٤ - ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٦ - ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢ - ٣١٣، ٣١٥، ٣٣٠ - ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٩، ٣٥٤.
٧٢. طبقات الفقهاء، لآية الله الشيخ جعفر السبحاني التبريزي (المعاصر)، ج ٨، ص ٢٣١ - ٢٣٨.
٧٣. * الشهيد الأوّل محمّد بن مكّيّ العاملي في المصادر العربية. إعداده مؤسّسة تراث الشيعة.

→ أمّا الفريقان فهما: السربديريون الذين استدعوه، والمماليك الذين قتلوه.

أمّا الرجال الأربعة فهم: الظاهر برقوق سلطان المماليك في مصر، ونائبه في الشام بيدمر، وعلّيّ بن المؤيد آخر أمراء السربديريين في خراسان، وتيمورلنك، وهذا لا يرتبط به اسم الشهيد مباشرة، بل بواسطة عليّ بن المؤيد تارة وبواسطة برقوق تارة أخرى. ولذلك كان لا بدّ لنا من دراسات موجزة كلّ الإيجاز لكلّ من الفريقين الإثنين: السربديريين والمماليك، ولكلّ من الرجال الأربعة لتتضح لنا معالم العصر الذي عاش فيه الشهيد والعوامل التي كان لها الأثر الفعّال في تلك الأحداث وما رافقها من شؤون وشجون قبيل عصر الاستشهاد».

٧٤. • شناختنامه شهيدين. إعداد مؤسّسة تراث الشيعة، ص ٦-٢٦٦.

هذه عمدة المصادر التي ترجمت للشهيد، وكثير من هذه المصادر لم يأت لنا بجديد عن حياة الشهيد واقتصر على النقل من هنا وهناك.

وأكثر هذه الكتب تفصيلاً وشموليةً وأقدمها كتاب حياة الإمام الشهيد الأوّل؛ وسوف نتجاوز الموارد التي بحثها هذا الكتاب في حياة الشهيد بصورةٍ وافيةٍ، ونبحث عن المطالب التي طرّقها الكتاب المذكور بصورةٍ موجزةٍ أو بالإشارة، والتي لم يتعرّض لها.



هذا، وأقدم من هذه المصادر والأهمّ منها كتابان لم يصلنا إلینا متنهما الكامل، بل وقفنا على مختصرٍ وملتقطٍ منهما، اختصر والتقط منهما الشيخ شرف الدين محمّد مكّي من سلالة الشهيد الأوّل (الذي كان حيّاً عام ١١٨٦)، وسَمّينا هذا الملتقط والمختصر مختصر نسيم السحر وأدرجناه بكامله في ملاحق هذا الكتاب. يقول الشيخ شرف الدين محمّد مكّي في أوّل مختصر نسيم السحر بخطّه:

قد نقلت مختصراً من كتاب نسيم السحر في أحوال الشهيد الشريف شمس الدين محمّد بن شرف الدين مكّي؛ فإنّه قد ذكر فيه آباء الشريف الشهيد محمّد بن مكّي وأجداده من الطرفين، ثمّ ذكر تاريخ ولادته وكيفية حاله بعد أبيه ببلده جزّين، وابتداء شروعه في العلم وسفره إلى الأمصار وسعيه في الأقطار لتحصيل العلم....

ويقول في أواسط الرسالة بعد نقل قضية استشهاد الشهيد، وبعد ختم كلام صاحب نسيم السحر ظاهراً:

والحمد لله وحده. وقد ذكر الشيخ الفاضل الشيخ محمد بن علي بن الوحيد البغدادي في مجموع له قد كتب بخطّه جميع أحوال الشريف الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي من حين مولده إلى حين مقتله... على نحو ما ذكرناه إلّا في يسيرٍ من بعض الألفاظ قد ذكرها جميعاً من غير اختصار - كما ذكر في غير موضع بعض الأصحاب - ومما ذكره الشيخ الفاضل المجيد محمّد بن علي بن الوحيد في مجموعته هكذا صورة ما ذكره: «لقد كان شيخنا...».

وهذا الكلام يدلّ على أنّ البتديني كتب في مجموعه جميع أحوال الشهيد نحو ما ذكره مؤلف نسيم السحر. وظاهر هذا الكلام أنّ مؤلف نسيم السحر هو غير البتديني. ولكن قال الشيخ محمدرضا شمس الدين رحمته الله:

نعم يحدّثنا التاريخ - المهجور - وبعض الكتب الخطيّة على هامش أمل الآمل وفي كتاب الدرّ المنثور، وغيرهما عن كتابين مستقلّين لمؤلّفين قديمين، في حياة الإمام الشهيد الأوّل:

١. نسيم السحر في حياة الشهيد الأوّل من حين مولده حتّى قتل - للفاضل المحقّق - هكذا رأيت - الشيخ أحمد بن الوجيه «أو الوحيد» العاملي، من قرية «زبدین».
٢. تاريخ حياة الشهيد الأوّل وأحواله، لمؤلف مجهول، وأحسبه عاملياً من تلامذة الشهيد أو معاصريه.

وهذان الكتابان، وإن كان يحوطهما هالة من الريب والخفاء من بعض الجهات؛ فإنّهما يدلّان على ما كان يحمل السلف الصالح من الشعور بالواجب نحو الأئمة الفحول والعلماء المصلحين، على نحو ما يدركه العصر الحاضر ورجال الغرب اليوم، كما تقدّم. هذان الكتابان - وبالأأسف - لا أثر لهما اليوم، ولو كانا موجودين، لما كتّأ في هذا الخصب التاريخي الذي يشكوه كلُّ من حاول الكتابة عن الإمام الشهيد الأوّل؛ والبحث عن مصادر حياته وسيرته وجهاده الديني، وعمله الإصلاحية الذي لم يقف التاريخ الحديث إلاّ على جزء قليل، وأهمّل تسجيل الكثير منه تاريخنا القديم^١.

ومن هنا فقد سمّينا جميع هذه الرسالة - التي يبدو أنّها مختصر وملتقط من كتابين - مختصر نسيم السحر، ونسبناه إلى محمّد بن عليّ بن الوحيد البتديني. والظاهر من عبارته رحمته الله أنّه لم يقف على هذين الكتابين ولا على مختصرهما، والظاهر أنّ ما وقفنا عليه بحمدالله لأوّل مرّة وسمّيناه مختصر نسيم السحر هو مختصر هذا الكتابين ولعلّه أخطأ في ذكر مؤلّفهما؛ فإنّ مؤلّف نسيم السحر مجهول لنا، وأمّا مؤلّف الكتاب الآخر - وهو المجموع - فهو البتديني كما ذكرنا.

وأما مؤلّف مختصر نسيم السحر فهو الشيخ شرف الدين محمّد مكّي من ذرية الشهيد

الأول، وردت ترجمته في مصادر كثيرة^١ وكانت له مكتبة كبيرة، ومن مؤلفاته سفينته الموجودة اليوم واستفدنا منها كثيراً في تأليف هذا الكتاب وبعض مطالبها يوجد أيضاً في مختصر نسيم السحر، وسَمَّيْنَاهَا في هذا الكتاب بسفينة شرف الدين محمد مكي، وكتب قسماً منها عام ١١٨٦ وهذا يدل على أنه كان حياً إلى هذه السنة، ولا يبعد أن يكون قد كتب مختصر نسيم السحر أيضاً في هذه السنة. وكتب إجازةً معروفةً للفاضل التبريزي محمد رضا بن عبدالمطلب في الثامن من ذي الحجة سنة ١١٧٨.

وقال في وصفه الشيخ يوسف البحراني صاحب الحداق:

... الشيخ مكي بن محمد بن شمس الدين بن الحسن بن زين الدين بن محمد بن علي بن شهاب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن شمس الدين بن محمد بن بهاء الدين بن علي بن ضياء الدين محمد بن محمد بن شمس الدين محمد الشهيد بن شرف الدين مكي والد السعيد الشهيد، هكذا نسب نفسه (أطال الله بقاءه) وقد اجتمعت به في النجف الأشرف وقت تشرفه بتقبيل أعتاب ذلك المقام النيّر الأعلام (على مشرفه أفضل الصلاة والسلام)، وقد أتى (سلمه الله) من بلاده جبل عامل مهاجراً في طلب العلم، وكان على غاية من التقى والصلاح والديانة، وقد صارت له معنا (سلمه الله) صحبة أكيدة ومحبة زائدة (أمدّه الله تعالى بالتوفيقات الربّانية والرواشح السبحانية)^٢.

وقال الشيخ حرز الدين:

هو أشهر رجال هذه الأسرة وأول من عُرف منها بالنجف، وعنه أخذت بعض المعلومات عن آبائه، وهو الذي شاد بذكر هذه الأسرة وشيّد عنوانها، كانت له خزانة كتب نفيسة تبعثت في النجف وخارجه. وآبأوه كلّهم علماء وأرباب فتيا وشيوخ إجازة، ولكن لم يتحقّق لديّ ولم أقف على أوّل من هاجر منهم من قرى جبل عامل؛ إذ الأب الذي ترجع إليه هذه الأسرة وهو الشهيد عليه السلام وكثير من أبنائه بعده عاشوا في جبل عامل، ويُلْمُ

١. منها تكملة أمل الآمل، ص ٢٢٩؛ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٤؛ الشهيد الأول في المصادر العربية، ص ١٢٨ - ١٢٩؛ الكواكب المنتشرة، ص ٧٣٩ - ٧٤١؛ ماضي النجف وحاضرها، ج ٢، ص ٤٠٧ - ٤٠٨؛ شناختنامه شهيد أول، ص ٧١، ١٣١؛ مكارم الآثار، ج ٦، ص ١٩٢٩ - ١٩٣٠؛ فهرس المكتبة المرعشية، ج ٣١، ص ٢٩٧ - ٢٩٩؛ الذريعة، ج ٧، ص ١٠٧، ج ١١، ص ١٠٩، ٣٠١، ج ١٢، ص ٢٠٤، ج ٢٥، ص ١٠٦؛ كشكول البحراني، ج ٢، ص ١٤٩ - ١٥٠.

٢. كشكول البحراني، ج ٢، ص ١٤٩ - ١٥٠.

البعض منهم إماماً بالعراق ولا تزال ذرّيته في سوريا، وهم عدد كثير لم ينقطع العلم عنهم، بل فيهم الكثير من العلماء وأهل الفضل والمشتغلين بالأدب. كان المترجم في عصره من أعلام النجف وله ذكر يتردد على ألسنة أهل العلم، وكان من أهل الشأن والاعتبار، وممن يرجع إليه في الفتيا، وهو معمم مخول جدّه من طرف الأب الشهيد عليه السلام وجدّه من طرف الأم الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي عليه السلام، له إجازة مبسولة مفصلة بخطه الشريف كتبها لمحمد رضا بن عبدالمطلب التبريزي في النجف يوم الغدير سنة ١١٧٨ على كتابه الشفاء في أخبار آل المصطفى، توجد نسخة منه في مكتبة العلامة السيّد حسن الصدر، وعنها أخذت معلومات أسرته، وله إجازة أخرى أشرك أخوي التبريزي فيها معه وهما الآغا إبراهيم والآغا إسماعيل، أيضاً موجودة على ظهر كتاب الشفاء للتبريزي المذكور، وصرّح فيها بأنّه يروي عن مشايخ كثيرين من علماء البحرين وجبل عامل والعراق واليمن والقدس والخليل ومكة والعجم وغيرها من الأقطار...^١

وأما كتابه هذا أعني مختصر نسيم السحر وما ألحق به، وأصلهما فلم يُشير إليهما أحدٌ قبل هذا سوى الشيخ محمّد رضا شمس الدين كما تقدّم قبيل هذا، وهو لم يرهما، ووقفتُ عليه بحمد الله لأول مرة، وفيه بعض الأخطاء العجيبة كما سيأتي التنبيه عليها في مواضعها. ويقول الصديق العزيز الشيخ جعفر المهاجر بشأن هذا الكتاب في بحث غير منشور بعد:

... فإنّ ما وصل إلينا من المختصر يمكن قسمته تقديماً إلى قسمين:

- القسم الأول: من الورقة الأولى حتّى نهاية السطر الخامس من الورقة ٦ الأصل.

- القسم الثاني: من نهاية القسم الأول إلى آخر ما وصلنا منه.

ومع أنّ الكاتب واحد وغرضه واحد في القسمين دون ريب، فإنّ القارئ يلمس فرقاً واضحاً في المنهج وطريقة التفكير بين الإثنين، انعكست بشكل قاس على مادة السيرة. فكأنّنا نقرأ سيرتين لشخصين.

في القسم الأول يبدو صاحب السيرة، الشهيد الأول، أشبه بأبطال القصص الشعبيّة. بطل تحرّكه نوازع خيرة، جماعها طلب الخير للناس. سلاحه معرفة لا حدود لها، واستعداد

للتضحية طلباً لرضى الله سبحانه، في مقابل أعداء تحرّكهم نوازع شريرة: الحسد والغيرة وطلب الجاه والسلطان، هم الياوشي وابن يحيى والقاضي ابن جماعة. وهو دائماً ينتصر عليهم بالحجّة البالغة، أو بالتمكّن من المعارف السريّة، أو بكرامة الإهيّة. وبذلك يتخلّص من المؤامرات التي يحيكونها له، أو يُخلّص الناس من الخداع والتضليل. ولكنّه أخيراً يفوز على أيديهم بدرجة الشهادة؛ لأنّ الله تعالى شاء له ذلك فأطاع وامتنل.

حقّ أنّ هذه الصورة تتجاهل كافّة المعطيات التاريخية الموضوعيّة التي اضطرب فيها الشهيد وعمل في قلبها. كما أفرزت أصدادها ومعوّقاتها، مثلما هو الشأن دائماً في هذه الأحوال. ولكن هذا لا يتنقص أبداً من قيمتها وأهميتها. هو ذا الجانب الآخر، غير المرئي، من شخصيّة صاحب السيرة، وهي حالة تفاعل مع الجمهور الذي أحبّه وعرف فضله. ومهما تكن هذه الصورة ساذجة غير موضوعيّة، حافلة بالأخطاء الكبيرة^١، فإنّها تُبيّن لنا ما يعجز التاريخ الرسمي عادةً عن بيانه. أعني وجدان الجمهور في وطن الشهيد. الذي عانى طويلاً من وطأة الاستلاب والاضطهاد المعنوي بالاحتلال الصليبي، ثمّ بمختلف صنوف الاضطهاد التي عانى منها الشيعة في المنطقة، منذ أوائل القرن الثامن الهجري. وجاء الشهيد بمشروعه ليمنحه الهويّة الجامعة، ونجح في ذلك أيّما نجاح. ولذلك فإنّه بعد أن قُتِلَ منحه لقب الشهيد على الإطلاق. مع أنّه الجمهور الذي ينتمي إلى ثقافة لا تشكو أبداً من قلّة الشهداء. خلاصة ما أريد قوله هنا: أنّ كتاب نسيم السحر، قد أودع هذا القسم من كتابه صورة الشهيد كما أفرخت ونمت في وجدان الناس. أعني صورة البطل الشعبي المُنقذ والهادي. والجمهور ليس مؤرّخاً لكي يُطالبه بالصدق الموضوعي بحسب مقاييسنا. إنّه أمين فقط على وجدانه.

أمّا القسم الثاني، فهو عبارة عن ستّ نقولات، عن ستّة من تلاميذ الشهيد. اثنان منهما

١. مثل وصفه ليبيدمر بأنّه «خليفة» (الورقة ٣/أ من الأصل). وهو سيف الدين بيدمر الخوارزمي. ولي الشام ستّ مرّات، ثالثها من سنة ٧٧٥ حتّى ٧٧٨ (إعلام البوري بمن ولي الشام من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص ٢٥-٣٠). ومثل قوله إنّ الشهيد قتل سنة ١١٨٦ (الورقة ٦/ب من الأصل) ولا تفسير عندي لهذا الخطأ. وأيضاً زعمه أنّ الشهيد لقي العلامة الحلّي في النجف. وهو توفّي سنة ٧٢٦.

من معارف تلاميذه والمُجازين منه. ثلاثة من تلك النقول مُقتبسة عن رسائل أو كُتُب ضَمَّنْها مصنّفوها ما يتعلّق بالشهيد.

الكتاب إجمالاً في غاية الأهميّة. فهو يبسط سيرة مختلفة للشهيد عن كلّ المصادر الأخرى. من ذلك: علاقته بالسلطة المحلية في دمشق والمركزية في القاهرة وكيفية مقتله وما جرى عليه قبل ذلك. والأعمّ من ذلك أعماله في وطنه، التي نجد إلماحات مُضيئة عنها فيما اقتبسها صاحب هذا المختصر.



وممّا يذكر أنّ الشيخ عبد الله السببتي رحمته الله (م ١٣٩٧) قال في مقدّمته للروضة البهيّة :

- إذا سمحت لي الفرصة سوف أقدم للمكتبة كتاباً عن الشهيدين وفيه تفصيل عن موطنهما جبل عامل^١.

.... وتترك تفصيل هذا إلى الكتاب الذي سُخرجه عنه وعن الشهيد الثاني، إن شاء الله تعالى^٢.

.... وستطعّ على تفصيل الحادث في كتاب الشهيدان^٣.

والجدير بالذكر أنّ النية وافته ولم يوفق لهذا التأليف، كما أخبرني المرحوم الأستاذ العلامة السيّد عبد العزيز الطباطبائي رحمته الله، وقال إنه كان صهراً للعلامة السيّد شرف الدين العاملي رحمته الله^٤.

ومضافاً إلى هذا كلّهُ فقد بحثت في المكتبات وفهارس المخطوطات فلم أعثر على شيءٍ جديد في ترجمة الشهيد، وما ورد في المخطوطات - ممّا عثرتُ عليه، منها المجموعة المرقّمة ٢٩٣٦/٣ في مكتبة ملك الوطنية بطهران - فهو منقول عن المصادر التي ذكرتها.

١. الروضة البهيّة، ج ١، ص «م»، طبع مصر.

٢. الروضة البهيّة، ج ١، ص «يو»، طبع مصر.

٣. الروضة البهيّة، ج ١، ص «يد»، طبع مصر.

٤. وردت ترجمته في مجلّة العرفان، المجلّد ٨٠، العدد ٥ - ٦، ص ٥٨ - ٦٥، مقالة «العلامة المناضل الشيخ

عبد الله السببتي».

الفصل الثاني

اسمه ولقبه و نسبه

هو الشيخ الشهيد السعيد أبو عبدالله محمد بن مكّي العاملي الملقّب بـ«شمس الدين» والمشهور بـ«الشهيد» على الإطلاق و«الشهيد الأوّل». ذكر اسمه ونسبه شمس الدين الجزري، المعاصر للشهيد والذي صحبه الشهيد مدّةً مديدة^١، هكذا: «محمد بن مكّي بن محمد بن حامد أبو عبدالله الجزيني...»^٢.

وقال أستاذ الشهيد فخر الدين (رضوان الله عليهما) في إجازته له: «... شمس الحقّ والدين محمد بن مكّي بن محمد بن حامد»^٣.

وذكره الجباعي في مجموعته بقوله: «الشيخ العالم محمد بن مكّي بن محمد بن حامد»^٤. وقال شيخ إجازة الشهيد، شمس الأئمة الكرمانى في إجازته له: «شمس الملة والدين محمد ابن الشيخ العالم جمال الدين مكّي بن شمس الدين محمد دمشقي»^٥.

وقال الشهيد نفسه في آخر إجازته لابن الخازن الحائري: «محمد بن مكّي بن محمد بن حامد بن طي»^٦.

١. قال شمس الدين الجزري في غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥: «... صحبني مدّةً مديدة».

٢. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٧٨.

٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٤٦ ب.

٥. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٣.

٦. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٢، وفيه: «محمد بن محمد بن حامد ابن مكّي». وما أثبتناه مطابق لما وردت في مخطوطة تلك الإجازة بمكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، برقم ٥٦٠٥، (الورقة ١٦ ألف).

وقال في آخر فهرست منتجب الدين - الذي كتبه بخطه -: «محمد بن مكّي بن حامد»^١. وذكره ولد الشهيد بقوله: «شمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد»^٢. وذكرته بنت الشهيد في وثيقة لها سنأتي بنصّها في الفصل التاسع من هذا الباب: «محمد بن أحمد بن حامد ابن مكّي»^٣.

ووقع الشهيد في الكثير من الموارد بـ «محمد بن مكّي المطلبّي»^٤ و«محمد بن مكّي»^٥. وقد أطلق عليه أساتذته وتلامذته أمثال ابن مَعِيّة والفاضل المقداد «محمد بن مكّي»^٦. وكتب أحد أحفاد الشهيد - أعني الشيخ شرف الدين محمد مكّي من علماء القرن الثاني عشر (كان حياً ١١٨٦) -^٧ اسمه ونسبه هكذا:

أفقر الطلبة إلى ربّه المجيد شرف الدين محمد مكّي بن محمد بن شمس بن الحسن بن زين الدين من سلالة الشريف أبي عبدالله الشريف محمد بن جمال الدين مكّي بن محمد بن أحمد بن حامد بن طيّ المطلبّي الحارثي الهمداني الخزرجي العاملي الحانيني الجزّيني (سنة ١١٦٩).

المطلبّي: المطلب أخو هاشم بن عبدمناف جدّ الرسول ﷺ.

الحارثي: منسوب إلى الحارث الهمداني المخاطب بـ «يا حار همدان».

الخزرجي: نسبة إلى سعد بن عبادة الأنصاري من عظام العرب والصحابة.

حانين: اسم بلدة من جبل عامل وبلاد الشام^٨.

... السعيد الشهيد محمد بن مكّي بن أحمد بن حامد بن طيّ الأسدي القرشي الحارثي

الهمداني الخزرجي الحانيني الجزّيني، بتاريخ ١١٦٥^٩.

١. مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٣١١٢، الورقة ٢٥٧ ألف.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٦.

٣. حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٨.

٤. الورقة الأخيرة من إيضاح الفوائد بخط الشهيد، المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ٧٠٦.

٥. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٧؛ الأربعون حديثاً، ص ١.

٦. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٢، ١٨٥.

٧. سفينة شرف الدين محمد مكّي، المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي، برقم ١٢٢٨٦، الورقة ١ ب.

٨. بياميران وخمس طيّبه، ج ١، ص ٥٩٦ - ٥٩٧؛ وانظر أيضاً ج ٢، ص ١٣٥٣؛ كنجينه خطوط، ج ١، ص ٦٠٨.

٩. مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، برقم ٣٥١٥، الورقة ١، ذكرت في فهرسها، ج ٩، ص ٣١٢ - ٣١٣.

وعلى هذا فالظاهر أنّ النسب الكامل للشهيد هكذا: «شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين أبو محمد مكّي بن محمد بن أحمد بن حامد بن طيّ»^١ وبما أنّ حذف بعض الأسماء من سلسلة النسب أمرٌ عاديٌّ جداً فالظاهر هو صحته جميع هذه التعابير، أعني^٢:

١. محمد بن مكّي [بن محمد بن أحمد] بن حامد؛

٢. محمد [بن مكّي] بن محمد [بن أحمد] بن حامد؛

٣. محمد [بن مكّي بن محمد] بن أحمد بن حامد؛

واعلم أنّ نسخ إجازة الشهيد لابن الخازن مختلفة في آخر بعضها - كما تقدّم - : «محمد بن محمد بن حامد ابن مكّي»، وأيضاً ورد في وثيقة بنت الشهيد - وسيأتي نصّها في الفصل التاسع من هذا الباب - : «شمس الدين محمد بن أحمد بن حامد ابن مكّي» ففي هذين التعبيرين كلمة «ابن مكّي» وصف لـ «شمس الدين محمد» أعني نفس الشهيد المذكور أولاً، لا لـ «حامد» - ويلزم إثبات الف «ابن» في أمثال هذه المواضع -^٣؛ لأنّ الشهيد كان معروفاً بـ «ابن مكّي» وأطلق عليه هذا التعبير مراراً^٤. فعلى هذا يجمع بين جميع تلك التعابير الواردة في اسمه ونسبه ولا تهافت بينها، ويصح أيضاً إطلاق «محمد بن محمد ابن مكّي» على الشهيد، كما فعله الطهراني^٥ في مواضع^٥.

ثمّ اعلم أنّه ورد في أوّل مختصر نسيم السحر: «الشريف شمس الدين محمد بن مكّي شرف الدين بن حامد بن محمد بن طه بن عليّ المطلبي العاملي الجزيني» والظاهر أنّ «طه» مصحّف «طيّ»، ولم يرد في سائر المصادر في عمود نسب الشهيد اسم «طه». فهذا يُعدّ من أخطاء كاتب نسيم السحر، كسائر أخطائه.

١. وفي حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٣٦: «جدّ الشهيد الأعلى الشيخ أحمد بن طيّ».

٢. وضعنا الأسماء المحذوفة من سلسلة النسب بين المعقوفات.

٣. انظر، الكافي، ط. الجديدة، ج ١، ص ٥ - ٦، المدخل.

٤. منها في كلام ابن قاضي شهبة - كما سيأتي في الفصل العاشر من هذا الباب - ومنها في نسخة الجباعي من الصحيفة - كما سيأتي في الفصل الرابع من الباب الثالث - ومنها في مجموعة الجباعي، الورقة ١٧٨ ب، ومنها ما سيأتي في الفصل الرابع من الباب الثالث ذيل «فهرست منتجب الدين».

٥. منها: الذريعة، ج ٢، ص ٣٧٧؛ وج ٣، ص ١٢؛ وج ٧، ص ٢١٤.

وقال الشيخ آقا بزرگ الطهراني:

محمد بن مكّي بن محمد بن حامد. هو الشيخ السعيد شمس الدين أبو عبدالله محمد بن جمال الدين مكّي بن محمد بن حامد بن أحمد النبطي العاملي^١.

و تبعه بعضهم فقالوا:

محمد بن مكّي بن محمد بن حامد بن أحمد بن المطلبي، شمس الدين أبو عبدالله العاملي الجزيني، النبطي الأصل، المعروف بالشهيد الأول^٢.

و«النبطي» في كلامه لعلّه تصحيف عن «بن طي» فإنّه لم يرد في المصادر المعتمدة القديمة وصف الشهيد بـ«النبطي» و«النباطي» نسبةً إلى «نبطية» في جبل عامل^٣.

ثمّ اعلم أنّ الشيخ آقا بزرگ الطهراني ذكر الشهيد في مواضع باسم «محمد بن محمد بن مكّي»^٤. وكما تقدّم فإنّ هذا الإطلاق صحيح، وعليه فلا اعتراض يذكر على ما كتبه الطهراني؛ ولكنّ العلامة السيّد عبدالله شرف الدين (حفظه الله سبحانه ورعاه) أشكل مرّات عديدةً على الشيخ الطهراني وكتب:

– والعجب من تعبيره عن الشهيد بمحمد بن محمد؛ فمن البديهيات الواضحة أنّه محمد بن مكّي^٥.

– هذا سهو عجيب منه (عليه الرحمة)؛ فالشهير هو محمد بن مكّي، ومحمد هو ولده^٦.

وظهر ممّا سبق أنّ هذا الإيراد غير وارد؛ فإنّ ولد الشهيد أيضاً كتب نسب والده هكذا: «محمد بن محمد بن حامد»^٧.



كان والد الشهيد جمال الدين مكّي (كان حيّاً ٧٢٨) من علماء عصره، وكان من تلامذة

١. الحقائق الراهنة، ص ٢٠٥؛ وانظر الشهيد الأول محمد بن مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ٦٨، ٩٤، ١٠٨.

٢. ١٣٢، ١٥٦، ١٦٠؛ شناختنامه شهيدين، ص ٦٥.

٣. طبقات الفقهاء، ج ٨، ص ٢٣١.

٤. وانظر حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٢٥ حيث قال: «... ولعلّها تحريف عن كلمة المطلبي...».

٥. الذريعة، ج ٢، ص ٣٧٧؛ وج ٣، ص ١٢؛ وج ٧، ص ٢١٤.

٦. مع موسوعات رجال الشيعة، ج ١، ص ٣٣.

٧. مع موسوعات رجال الشيعة، ج ١، ص ٣٧.

٨. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٦.

الشيخ العلامة الفاضل نجم الدين طومان بن أحمد العاملي المناري^١. وإليك نصّ كلام الشهيد بهذا الشأن الذي نقله عنه صاحب المعالم في إجازته الكبيرة:
... وقد كان والدي جمال الدين أبو محمد مكّي^٢ من تلامذة المجاز له الشيخ العلامة الفاضل نجم الدين طومان^٣، والمتردّد بين إليه إلى حين سفره إلى الحجاز الشريف ووفاته بطيبة في نحو سنة ثمان وعشرين وسبع مائة أو ما قاربها (رحمة الله عليهم أجمعين)^٤. ولم ترد معلومة أخرى عن حياة والد الشهيد إلا هذه العبارة التي أوردناها، وهي منقولة عن خطّ الشهيد نفسه.

قال الشيخ جعفر المهاجر (حفظه الله تعالى ورعاها):

قرأ أبو محمد في وطنه على طومان بن أحمد المناري، حتّى قبيل وفاة هذا الأخير في السنة ٧٢٨. وقد رجّحنا أنّ قراءته عليه كانت في قرية الشيخ، أي في المنارة. بعد وفاة شيخه الأوّل شخص إلى الحلّة. وهناك قرأ على فخر الدين محمد بن الحسن بن المطهر الحلّي، الشهير بلقب فخر المحقّقين (م ٧٧١). وهو شيخ ابنه الشهيد أيضاً. فيما خلا ذلك فإننا لا نعرف عنه ما يُذكر. لا أعماله ولا مؤلّفاته، إن كانت له مؤلّفات ولا حتّى مكان وتاريخ وفاته. يصف الحرّ أبا محمد بأنّه «كان من فضلاء المشايخ في زمانه، ومن أجلاء مشايخ الإجازة»^٥. لكننا بعد البحث والتدقيق في مُختلف المظان لم نعر له على ذكر في كلّ ما تحت يدينا من نصوص الإجازات. ولا شك أنّ الحرّ قد استند فيما قاله إلى معلومات لم تصل إلينا^٥.

أقول: قوله: «بعد وفاة شيخه الأوّل شخص إلى الحلّة» لا دليل عليه إطلاقاً ولا مستند، ومن المحتمل أنّه لم يذهب إلى الحلّة أبداً. والظاهر أنّه توفّي في زمن صغر الشهيد كما

١. نسبة إلى قرية المنارة في جبل عامل والتي هي اليوم ضمن القرى السبع التي ضمّتها إسرائيل عام ١٩٤٨م (راجع العرفان، المجلّد ٨٠، العدد ٣ - ٤، ص ٩٨).

٢. قال صاحب المعالم في هامش إجازته: «وجدت بخطّ الشهيد^٦ في غير موضع: طومان...» (بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ١٧، الهامش).

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠.

٤. أمل الآمل، ج ١، ص ٤٨٦.

٥. جبل عامل بين الشهيدين، ص ٧٧.

استظهره الطهراني حيث قال: «... من عدم روايته من والده مع كثرة مشايخه يظهر أنه ما أدرك والده كبيراً، وأنه توفي في صغر الشهيد»^١.

وقال السيد حسن الأمين رحمته الله:

إن الذين ترجموا للشهيد الأول ذكروا أنه ابن الشيخ جمال الدين مكّي ابن الشيخ شمس الدين محمّد بن حامد. فقد وصف كل من أبيه وجدّه بالشيخ، ولقب الأول بجمال الدين والثاني بشمس الدين، ولم يوصف أبوجده ولم يلقّب. ولنا أن نستدلّ بذلك على أنهما كانا من أهل العلم ممّال يمكنه أبوجده، وإلا لما وصفا ولقبا على عادة أهل العلم، ولم يوصف ولم يلقّب أبو الجدّ.

وقد رأينا أنّ والد الشهيد هو تلميذ الشيخ طومان الذي عاش في الاحتلال [الصليبي]، فيكون جدّ الشهيد قد درس في جبل عامل خلال الاحتلال ...

إنّ من أهمّ النواقص في سيرة محمّد بن مكّي أنّ أحداً ممّن كتبوا عنه لم يعرض للكتابة عن أبيه في تفصيل، ومن هنا فإنّ ثغرة كبيرة تعترضنا ونحن نسعى لجمع شتات سيرته. وذكر في أعيان الشيعة أنّ والده كان من أفاضل العلماء وأجلاء مشايخ الإجازة. فما هي التفاصيل عن مكّي هذا؟ ... بل أكثر من ذلك من هي الأسرة التي تسلسل منها ونشأ فيها؟ ...

وكلّ ما نعرفه أنّ أباه يحمل، إلى جانب اسمه، لقبين: هما: «الشيخ» و«جمال الدين»، وفي هذا ما يعني أنّ أباه كان معدوداً من رجال العلم كما ذكر في أعيان الشيعة.

وكذلك جدّه لأبيه الذي ذكر اسمه «محمّد» مقروناً باللقبين العلميين: «الشيخ» و«شمس الدين». ثمّ تنقطع الألقاب العلمية في اسم أبي جدّه وما بعده من آباء، فيذكر

واحد باسم «حامد» وآخر باسم «أحمد» غير مقرونين بأيّ لقب علمي ...

وهكذا فإنّ لنا أن نستنتج بأنّ الحياة العلمية لأسرة الشهيد محمّد بن مكّي تبدأ بجده محمّد^٢.

كان أصل الشهيد - بلاشكّ - من جزّين^٣ من قرى جبل عامل، كما صرّح بذلك معاصره

١. الحقائق الراهنة، ص ٢١٩.

٢. الشهيد الأول، ص ٥٩، ٨٢-٨٣؛ وانظر مستدركات أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٣٧٢.

٣. جزّين بوزن سكين. قال العلامة الأميني في شهداء الفضيلة، ص ٨٠: «جزّين... كانت شيعية لا يوجد فيها بيت لغير الشيعة، ومنذ سبعين سنة عادت نصرانية، لا يوجد فيها اليوم بيت إسلامي أزيد من واحد أو اثنين». وقال

شمس الدين الجزري^١. وعلى هذا فإن وصف ابن فهد المكي وابن حجر العسقلاني وابن العماد الحنبلي للشهيد بـ«العراقي»^٢ غير صحيح؛ أوباعتبار أنه قد درس في العراق. قال الشيخ محمد رضا شمس الدين:

وفي جزين مسجد يُعرف بمسجد الإمام الشهيد الأول، وقد حوّل حديثاً إلى كنيسة^٣. ومن الأثرية القديمة في جزين الموجودة حتى اليوم مقام - أو دار - الإمام الشهيد الأول، وقد حوّل إلى الطريق ووضع محلّه صخرة^٤.



وقال شرف الدين محمد مكي حفيد الشهيد بشأن أمّ الشهيد:

- أمّه بنت السيّد محمد بن مُعَيّة، صاحب المسجد على رأس النبع في جزين، وهو مسجد حسن حسن^٥.

- أمّ الشهيد عليه السلام بنت السيّد محمد بن مُعَيّة، الذي بنى المسجد على رأس النبع في جزين، ثم بعد ذلك بنى الشهيد على رأس النبع قرب المسجد للغرب. بينهما قدر مائتي ذراع وكتب أفقر الوري سنة ١١٨٦^٦.

- الشهيد مطّلي الأب رأيت بخطّه وخطّ غيره، وأمّه حسنية^٧.

→ الشيخ محمد رضا شمس الدين في حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٢٥: «تقع جزين في الجنوب من جبل لبنان، تحدها شرقاً مشغرة، وشمالاً قضاء الشوف، وغرباً إقليم جزين، وجنوباً قرية كفرحونة... وكانت منذ عهد قريب كلّ أهلها مسلمين، أما اليوم فمن النصارى المارونيين حتى حدّثني سماحة سيّدي الوالد العلامة الشيخ زين العابدين شمس الدين أنه سافر إليها في صغره مع والده لتسلم نتيجة أوقاف له فيها ولا أثر لها اليوم، وفيها مسجد خراب ينسب للشهيد انقلب إلى كنيسة، ومقام للشهيد حوّل إلى طريق ووضع محلّه صخرة علامة عليه، ولما ذهب أخي الخطيب الشيخ نجيب لأخذ صور لهما قال له خوري مقيم هناك بما يدلّ على تقديس النصارى هناك لمقام الشهيد والتبرّك به».

١. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

٢. لحظ الألاحظ، ص ١٦٨؛ إنباء الغمر، ج ٢، ص ١٨١؛ شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٩٤.

٣. حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٧.

٤. حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٦.

٥. سفينة شرف الدين محمد مكي، الورقة ١٢.

٦. سفينة شرف الدين محمد مكي، الورقة ١٨٤، وانظر الورقة ١٨٥.

٧. سفينة شرف الدين محمد مكي، الورقة ١٨٥.

الفصل الثالث مولده ونشأته

الظاهر أنّ الشهيد ولد في جزين^١، ورحل لتحصيل العلوم إلى العراق، كما صرّح برحلته إلى العراق معاصره شمس الدين الجزري^٢.

أمّا تاريخ ولادته فقد قال العلامة السيّد حسن الصدر: «تولّد عليه السلام سنة أربع وثلاثين وتسعمائة [كذا، والصواب: سبعمائة] بلاخلاف»^٣. وقال الشيخ محمّد رضا شمس الدين: «وُلِدَ باتِّفاق المؤرّخين سنة ٧٣٤ للهجرة النبوية»^٤. ولكن لم يتعرّض لتاريخ ولادته أحدٌ من علماء السنّة^٥ المترجمين له، وكثيرٌ من أصحاب التراجم من الخاصّة، منهم: القاضي نورالله التستري والتفرشي والأردبيلي والشيخ الحرّ العاملي والبحراني وصاحب الروضات؛ وكذلك لم يتعرّض أحدٌ منهم - أعني المذكورين من الخاصّة والعامّة - لمُدّة عمره حين استشهاده. ومَن ذكر ولادته في سنة ٧٣٤ إنّما تبع صاحب الرياض. والدليل الوحيد لولادته عام ٧٣٤ هو ما نقله الشهيد الثاني بخطّه الشريف - عن أبي طالب محمّد ولد الشهيد - في الورقة ١٢٠ ب من نسخة الأصل لكتابه الفوائد المليّة، المحفوظة الآن في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١) برقم ٨١٧٢، - ونُقِلَ عنها في بعض نسخ الفوائد المليّة، منها مخطوطة مكتبة المحقّق العلامة السيّد الروضاتي

١. انظر حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٣١.
٢. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.
٣. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٥.
٤. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٣٧.
٥. سوى الجزري، ويأتي كلامه، وهو لم يذكر عام ٧٣٤.

في إصفهان، ومنها مخطوطة المدرسة الباقرية في مشهد المقدّسة برقم ٢١٣ - فقد جاء فيها:

... وجدت بخطّ الشيخ أبي طالب محمّد، ولد المصّفّ الشهيد عليه السلام - على ظهر نسخة من أصل الذكري - ما صورته: ولد المصنّف عليه السلام سنة أربع وثلاثين وسبعمئة، وقتل مظلوماً شهيداً برحبة القلعة في سوق الجمال يوم الخميس تاسع شهر جمادى الأولى عام ستّة وثمانين وسبعمئة، بعد أن سُجِنَ عاماً إلاّ أيّاماً يسيرةً في القلعة، ونقل فيها إلى ثلاثة أبرج وكان سجنه في أواخر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين^١.

اعتمد على هذا النقل صاحب الرياض وقال:

قيل: وجد بخطّ الشيخ الشهيد الثاني أنّه وُجِدَ بخطّ رضي الدين أبي طالب ولد الشهيد أنّه وجد بخطّ والده [كذا] على ظهر الذكري: «أنّ والده الشهيد ولد في شهر سنة أربع وثلاثين وسبعمئة، وقتل برحبة القلعة في سوق الجمال بدمشق يوم الخميس سبع عشر [كذا] جمادى الأولى سنة ستّ وثمانين وسبعمئة بعد أن سجن عاماً إلاّ أيّاماً يسيرة ونقل فيها إلى ثلاثة بروج»^٢.

والمصدر الوحيد لتاريخ ولادة الشهيد هو هذا الكلام، والظاهر أنّ المحدث النوري والعلامة السيّد الأمين والشيخ آقا بزرك الطهراني والعلامة الأميني والمحدث القمي وغيرهم اعتمدوا عليه، حيث ذكروا ولادة الشهيد عام ٧٣٤^٣.

واعتماداً على هذا التاريخ ذُكِرَ في الكثير من كتب التراجم أنّ فخرالدين أجاز الشهيد عام ٧٥١، عندما كان الشهيد ابن سبعة عشر ربيعاً؛ أو أنّ الشهيد هاجر إلى العراق عندما كان ابن ستّة عشر ربيعاً عام ٧٥٠. وعلى هذا كَرَّرَتْ كتب التراجم أنّ شهادة الشهيد كانت في عام ٧٨٦ عندما كان في الثانية والخمسين من عمره الشريف.

١. نسخة الأصل من الفوائد المليّة، الورقة ١٢٠؛ وانظر مجلّة تراثنا، العدد ٢٣، ص ١٠٦. «فهرس مخطوطات المدرسة الباقرية». وفي أوّل مخطوطة مكتبة العلامة الروضاتي الخاصّة في إصفهان: «وجدت بخطّ الشارح (أدام الله أيّامه) ما صورته: وجدت بخطّ الشيخ رضي الدين...».

٢. تعليقة أمل الآمل، ص ٨٠؛ رياض العلماء، ج ٥، ص ١٨٩.

٣. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٧؛ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩؛ الحقائق الراهنة، ص ٢٠٥؛ شهداء الفضيلة، ص ٨٢؛ الفوائد الرضوية، ص ٦٤٥؛ الشهيد الأول، ص ٨١ - ٨٤.

ولكن لا يسعنا التعويل كثيراً على التاريخ المذكور لولادة الشهيد في كتب التراجم - أعني عام ٧٣٤ - ولا يمكننا عدّه تاريخاً صحيحاً، وذلك للأسباب التالية :

١. كتب الشهيد الثاني بعد ما نقل التاريخ المذكور في ولادة الشهيد عن ولده:

قلت: عندي في تاريخ مولده عليه السلام على الوجه الذي ذكره ولده عليه السلام نظرٌ بين من وجوه كثيرة، يحتاج إلى بيان طويل والله أعلم^١.

٢. إنَّ شمس الدين الجزري (م ٨٣٣) معاصر الشهيد - الذي صحبه الشهيد مدّةً مديدةً وطلب من الشهيد أن يترجمَ لنفسه - يقول في ترجمة الشهيد:

وُلِدَ بعد العشرين وسبعمائة، ورحل إلى العراق وأخذ عن ابن المطهر وغيره و...^٢.

٣. إنَّ فخر المحققين أجاز الشهيدَ في سؤال عام ٧٥٦ بالحلّة، ووصفه بقوله:

مولانا الإمام العلامة الأعظم، أفضل علماء العالم، سيّد فضلاء بني آدم، مولانا شمس الحقّ والدين، محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد (أدام الله أيامه)^٣.

وكذلك شمس الأئمة الكرمانى الشافعي أجاز الشهيد في جمادى الأولى عام ٧٥٨، ووصفه بقوله:

المولى الأعظم الأعلّم، إمام الأئمة، صاحب الفضلين، مجمع المناقب والكمالات الفاخرة، جامع علوم الدنيا والآخرة، شمس الملة والدين ...^٤.

فإن كان الشهيد قد وُلِدَ عام ٧٣٤ فقد كان ابن اثنين وعشرين ربيعاً عندما أجازَه فخرالدين في عام ٧٥٦، وابن أربع وعشرين ربيعاً عندما أجازَه شمس الأئمة الكرمانى. ومع الاعتراف بنبوغ الشهيد وتقدّمه العلمي، من المستبعد أن يطلقَ فخرالدين والكرمانى مثل هذه التعابير والنعوتِ في وصف الشهيد جزافاً حينما كان ابن اثنين أو أربع وعشرين عاماً - خذ على سبيل المثال: «أفضل علماء العالم» - في حين أن الفيروزآبادي مؤلّف

١. ولعلّ نظره الشريف هذه الوجوه التي نذكرها هنا.

٢. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥ ويأتي نصّ كلامه بكامله في الفصل العاشر من هذا الباب، فراجع.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٧٨؛ وانظر الأربعون حديثاً، ص ١٢، ح ٢١.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٣.

القاموس المحيط وصف - في إجازة له - فخر المحققين في عام ٧٥٧ بقوله :

... شيخي ومولاي، علامة الدنيا، بحر العلوم وطود العلى، فخر الدين أبي طالب محمّد ابن الشيخ الإمام الأعظم، برهان علماء الأمم ...^١

وعلى هذا - مع ما نعلم من نبوغه وتقدّمه العلمي حتّى في صغر سنّه - فإنّ فخر الدين لم يكن في ذلك التاريخ عالماً صغيراً ليس بذى شأن؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الألقاب التي أطلق في مدح الشهيد لم تكن اعتباطاً. ومن المستبعد جداً وصفه للشهيد بتلك الأوصاف حينما كان في الثانية والعشرين من عمره الشريف.

أضف إلى ذلك أنّه أجاز الشهيد أيضاً - قبل ذلك التاريخ - في داره بالحلّة آخر نهار العشرين من شعبان عام ٧٥١^٢، وأجازه السيّد عميد الدين في هذه السنة^٣، حين كان الشهيد ابن سبعة عشر ربيعاً على فرض ولادته عام ٧٣٤.

٤. أجاز للشهيد قاضي قضاة الديار المصرية عزّ الدين عبدالعزيز بن جماعة - الذي وصفه الشهيد بـ «مولانا الأعظم» - في الثاني والعشرين من ذي الحجّه سنة ٧٥٤ بطيّبة مدينة الرسول (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) إجازةً عامّةً بجميع معقوله ومنقوله^٤. ومن المستبعد جداً مثل هذه الإجازة من مثل هذا العالم الكبير لشابّ ابن عشرين سنة، على فرض ولادته عام ٧٣٤.

٥. أجاز الشهيد لعددٍ كثيرٍ من العلماء عام ٧٥٧ بالحلّة، بعد ما قرؤوا عليه علل الشرائع - كما يأتي في البحث عن تلامذة الشهيد - وكانت الحلّة في ذلك التاريخ مشحونةً بالعلماء الأكابر والمحقّقين الفطاحل من تلامذة العلامة الحلّي. ومن المستبعد قراءة عدّة من العلماء على شابّ عمره أربع وعشرون سنة واستجازتهم منه، مع وجود هؤلاء الأعاظم في الحلّة.

٦. كتب الشهيد قسماً من مجموعته بالمدينة المشرفة سنة خمسين وسبعمائة، كما

١. الحقائق الراهنة، ص ١٨٥ - ١٨٦.

٢. الأربعون حديثاً، ص ٢٠، ح ١.

٣. الأربعون حديثاً، ص ٢٥، ح ٣٧.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٠ - ٧٢، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم. وانظر ما يأتي في الفصل السابع من هذا

الباب: «ب) أسانذته ومشايخه من علماء السنّة».

حكاه عنه الجباعي في مجموعته^١؛ أي حين كان ابن ستّة عشر ربيعاً، على فرض ولادته عام ٧٣٤. وهذا مستبعد كما لا يخفى؛ فإنّه كما قال السيّد حسن الأمين رحمته الله:

... لم يكن يومذاك من السهل على من هو في مثل سنّه أن يمضي من جبل عامل إلى مختلف البلدان، بل إن من هو في تلك السنّ في حاجة إلى الرعاية البيئية^٢.
وقال الشيخ جعفر المهاجر (حفظه الله):

يقول السيّد حسن الصدر...: «هاجر إلى العراق سنة [سبعمئة و] خمسين وهو ابن ستّ عشرة سنة»^٣... لكن هجرته وهو ابن ستّ عشرة سنة يبدو أمراً غير مألوف في ذلك الزمان...^٤.

ومن جهة أخرى نعلم قطعاً أنّ الشهيد هاجر إلى العراق بهدف الدراسة^٥، ولم يكن العراق مسقط رأسه، وقد كان مشغولاً بتحصيل العلوم في العراق عام ٧٥١ عند تلامذة العلامة الحلّي.



هذا، وقال بعض المعاصرين للتدليل على عدم ولادة الشهيد عام ٧٣٤:

وتوفّي والده سنة ٧٢٨، أمّا ما يذكره السيّد حسن الصدر من أنّه «تولّد سنة ٧٣٤ بلا خلاف»^٦ فهو أمر غير معقول، بالقياس إلى تاريخ وفاة والده^٧.

أقول: تاريخ وفاة والد الشهيد لا يعلم جزماً، والظاهر أنّ هذا القائل اعتمد - في قوله هذا - على كلام الشهيد حيث يقول:

... وقد كان والدي جمال الدين أبو محمّد مكّي رحمته الله من تلامذة المجاز له الشيخ العلامة

١. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٥ ألف.

٢. الشهيد الأوّل، ص ٨٢.

٣. تكلمة أمل الآمل، ص ٣٦٥.

٤. الهجرة العالمية إلى إيران، ص ٨٦.

٥. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

٦. تكلمة أمل الآمل، ص ٣٦٥.

٧. الهجرة العالمية إلى إيران، ص ٨٦.

الفاضل نجم الدين طومان والمتردّدين إليه إلى حين سفره إلى الحجاز الشريف ووفاته بطبّية في نحو سنة ثمان وعشرين وسبع مائة أو ما قاربها (رحمة الله عليهم أجمعين) ...^١

والظاهر أنّ مرجع الضمير في كلام الشهيد: «سفره» و«وفاته بطبّية» هو نجم الدين طومان لا والد الشهيد، كما فهمه العلامة السيّد محسن الأمين^٢ والشيخ آقا بزرك الطهراني^٣ والسيّد حسن الأمين^٤. ولا أقلّ من احتمال ذلك. نعم يستفاد من هذا الكلام أنّ والد الشهيد كان حيّاً حتّى عام ٧٢٨. قال الطهراني (طاب ثراه):

... من تاريخ ولادة الشهيد ٧٣٤، وتاريخ إجازة فخر المحقّقين له - وعمره سبع عشرة سنة - ومن عدم روايته من والده مع كثرة مشايخه، يظهر أنّه ما أدرك والده كبيراً، وأنّه تُوفّي في صغر الشهيد^٥.



وبناءً على ما مرّ فالظاهر أنّ الشهيد ولد حوالي عام ٧٢٤؛ ولا شكّ أنّ تاريخ ٧٣٤ خطأً، وتصحيح ٧٢٤ بـ ٧٣٤ والسهو فيهما ليس ببعيد^٦. وعلى هذا فإنّ الشهيد حين أجازته فخر الدين وعميد الدين - أعني عام ٧٥١ - كان ابن حوالي سبع وعشرين سنة، وكان عمره حين شهادته عام ٧٨٦ حوالي اثنتين وستين سنة.

١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠-٢١، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم (طاب ثراه).

٢. أعيان الشيعة، ج ٧، ص ٤٠٢.

٣. الحقائق الراهنة، ص ٢١٩.

٤. الشهيد الأول، ص ٥٨-٥٩: «من العلماء العاملين الشيخ نجم الدين طومان بن أحمد المناري، والأخبار الواصلة إلينا عن هذا العالم العالمي ليست كثيرة... فالذين ذكروه قالوا: إنّه توفي سنة ٧٢٨».

٥. الحقائق الراهنة، ص ٢١٩.

٦. وانظر للمزيد جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٠٩-١١١.

الفصل الرابع

السرد التاريخي لرحلاته وحياته العلمية

ليس هناك مقولة دقيقة بشأن الشهيد وأساتذته المفترضين قبل عام ٧٥١؛ فلا نعلم مستند ما قاله السيّد الصدر والسيّد الأمين حول هجرته إلى العراق سنة ٧٥٠^١. وكذلك لا نعلم مستند ما قاله بعض المعاصرين من أنّه:

دَرَسَ على والده الشيخ جمال الدين مكّي... وتلقّى عنه مبادئ العربية والفقّه... وتَلَمَّذَ كذلك في جزّين على الشيخ أسدالدين الصائغ الجزّيني أبو زوجته وعمّ أبيه ...^٢.

نعم، قال السيّد الأمين في ترجمة الشيخ أسدالدين الصائغ العاملي الجزّيني:

ذكره أحد أحفاده: الشيخ أسدالله الصائغ الحنوي العاملي [(م ١٢٨٥)]^٣ في بعض تعليقاته ووصفه بـ«العلامة المحقّق» وقال: «إنّه شيخ الشهيد الأوّل وعمّ أبيه وأبو زوجته» قال: «ولم يشتهر بين الفقهاء لغلبة العلوم الرياضية عليه» ...^٤.

ولا يمكن من خلال هذا النصّ الوصول إلى تاريخ تتلمذ الشهيد لدى الشيخ أسدالدين الصائغ ومحلّ ذلك.

وقال الشيخ جعفر المهاجر:

... السيّد الأمين، على عادته، لم يذكر المصدر الذي أخذ عنه. وقوله: «في بعض تعليقاته» لا يُغني. أضف إلى ذلك أن أسدالدين لم يُذكر، حتّى عرضاً، في أيّ مصدر آخر

١. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٥؛ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩.

٢. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٨٤-٨٥، المقدّمة.

٣. ذُكر وفاته في هذا العام في جبل عامل بين الشهيدين، ص ٧٨.

٤. أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٢٨١.

نعره. وهذه ملبسات من شأنها أن تُلقى ظلًا كثيفاً من الشك على النقل، لولا ركوننا إلى صدق الحفيد الناقل. ولعلّه أخذه من تراث عائلي غير منشور. وما أكثر مثله عند البيوتات العاملة العريقة. وعلى هذا فقد أثبتنا ما وجدناه، مشفوعاً بتحفظاتنا المنهجية عليه، لا لشيء إلا لأنها المصدر الوحيد^١.

وعلى أية حال، فإنّ المعلومات المتوفرة من المصادر حول نشأة الشهيد ودراسته ورحلاته العلمية هي^٢:

١. ولد حوالي ٧٢٤.^٣
٢. كتب قسماً من مجموعته في سنة ٧٥٠ بالمدينة المشرفة^٤.
٣. أجازته فخرالدين في آخر نهار العشرين من شعبان عام ٧٥١ بداره في الحلة^٥.
٤. أجازته شمس الدين أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن أبي المعالي الموسوي في الرابع والعشرين من شعبان عام ٧٥١.^٦
٥. أجازته عميدالدين ابن أخت العلامة الحلّي وتلميذه في التاسع عشر من شهر رمضان عام ٧٥١ في الحضرة الحائرية المقدّسة^٧.
٦. أجازته عميدالدين أيضاً في سنة ٧٥٢ بعدما قرأ عليه الشهيد الجزء الأول من تذكرة الفقهاء بالحلة^٨.
٧. أجازته جلال الدين أبو محمّد الحسن بن نما الحلّي في ربيع الآخر عام ٧٥٢ بالحلة^٩.
٨. أجازته تاجالدين ابن معيّة في الخامس عشر من شوال عام ٧٥٣ بالحلة^{١٠}.

١. جبل عامل بين الشهيدين، ص ٧٨.

٢. سنبحت بحثاً مستقلاً فيما بعد حول أساتذة الشهيد ومشايخه في الرواية.

٣. انظر ما ذكرناه في الفصل الثالث من هذا الباب.

٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٥ ألف.

٥. الأربعون حديثاً، ص ٢، ح ٢، وانظر ص ٢٥، ح ٣٧ منه.

٦. أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٧١.

٧. الأربعون حديثاً، ص ١، ح ١.

٨. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٥٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٤٠٠، ط. الجديدة، نقلاً عن مجموعة الجباعي.

٩. الأربعون حديثاً، ص ٣، ح ٣.

١٠. الأربعون حديثاً، ص ٤ - ٥، ح ٥.

٩. أجازته زين الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن طراد المطار آبادي في السادس من ربيع الآخر عام ٧٥٤ بالحلّة^١.
١٠. قرأ على تاج الدين ابن مَعِيّة في السادس عشر من شعبان عام ٧٥٤ بالحلّة^٢.
١١. أجازته تاج الدين ابن مَعِيّة أيضاً في الحادي عشر من شوال عام ٧٥٤^٣.
١٢. أجازته قاضي القضاة ابن جماعة في يوم السبت الثاني والعشرين من ذي الحجة عام ٧٥٤ بطَبِيّنة مدينة الرسول (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام)^٤.
١٣. قرأ على فخر الدين في الثالث من جمادى الأولى عام ٧٥٦ بداره في الحلّة^٥.
١٤. فرغ من نسخ الجزء الأول من إيضاح الفوائد في منتصف ليلة الثلاثاء لخمس مضت من شوال عام ٧٥٦ بالحلّة^٦.
١٥. كتب إنهاء قراءة أنوار الملكوت في شرح الياقوت في ذي الحجة سنة ٧٥٦^٧.
١٦. كتب إنهاء سماع علل الشرائع لبعض تلاميذه في الثاني والعشرين من رجب عام ٧٥٧ بالحلّة^٨.
١٧. أجازته فخر الدين في السادس من شوال عام ٧٥٦ بداره في الحلّة^٩.
١٨. أجاز الشهيد في الثاني عشر من شعبان عام ٧٥٧ بالحلّة لجماعة من العلماء الذين قرؤوا عليه علل الشرائع للصدوق عليه السلام^{١٠}.

١. الأربعون حديثاً، ص ٤، ح ٤، ص ٢٣، ح ٣٠.

٢. الأربعون حديثاً، ص ٨، ح ١٠.

٣. مجموعة الجباعي، الورقة ١٩٧ ب؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٢.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٠، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.

٥. الأربعون حديثاً، ص ٢٦، ح ٣٩.

٦. مخطوطة إيضاح الفوائد - بخط الشهيد - المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ٧٠٦.

٧. مخطوطة أنوار الملكوت المحفوظة في المكتبة الرضوية برقم ٣٢، والنسخة المحفوظة في مكتبة الروضة الحسينية في كربلاء، كما في فرسها في مجلّة الذخائر، العدد ١، ص ٢٨٢. وانظر ما يأتي في الفصل الرابع من الباب الثالث.

٨. مخطوطة علل الشرائع المحفوظة في مكتبة مدرسة الصدر بإصفهان، برقم ٩٥٢. وانظر ما يأتي في الفصل الرابع من الباب الثالث، حول الموضوع.

٩. الأربعون حديثاً، ص ١٢، ح ٢١؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٧٨.

١٠. الذريعة، ج ١، ص ٢٤٧؛ الحقائق الراهنة، ص ٤. وسيأتي نصّ الإجازة في الفصل الثاني من الباب الثاني.

١٩. فرغ في منتصف ذي القعدة عام ٧٥٧ من تأليف الجزء الثاني من غاية المراد بالحلّة^١.
٢٠. أجازته شمس الأنعة الكرمانية في أوائل جمادى الأولى عام ٧٥٨ بمنزله في مدينة بغداد^٢.
٢١. كتب مختصر أصل علاء بن دزين في آخر يوم الجمعة ثامن عشرى شهر رمضان سنة ٧٦٣^٣.
٢٢. فرغ من تأليف المنسك الكبير في سؤال عام ٧٦٥ بالحلّة^٤.
٢٣. اتفق في أخريات شعبان عام ٧٦٦ اجتماعه بالقطب الرازي بدمشق^٥.
٢٤. فرغ من تأليف المقالة التكليفية هزيع ليلة السبت الحادية عشرة من جمادى الأولى عام ٧٦٧^٦.
٢٥. أجاز لتلميذه شمس الدين محمد بن نجدة في العاشر من شهر رمضان عام ٧٧٠^٧.
٢٦. فرغ من نسخ الصحيفة المباركة السجادية من خطّ عليّ بن أحمد السديد في حادي عشر شعبان عام ٧٧٢^٨.
٢٧. فرغ من تبييض الرسالة النغلية في ٢٣ جمادى الأولى عام ٧٧٣^٩.
٢٨. كتب إنهاء خلاصة الأقوال للعلامة في شهر ربيع الآخر عام ٧٧٤^{١٠}.
٢٩. فرغ من نسخ الصحيفة المباركة السجادية مرّة ثانية من خطّ عليّ بن أحمد السديد عام ٧٧٦^{١١}.

١. انظر ما يأتي في الفصل الثاني من الباب الرابع.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٤.

٣. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٣٠٧، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ١٠١، ط. الجديدة.

٤. رسائل الشهيد الأول، ص ٢٣٧.

٥. مجموعة الجباعي، الورقة ٢٠٦ ب؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٤٠.

٦. رسائل الشهيد الأول، ص ٢٥، ١٢٩، وانظر ما يأتي في الفصل الأول من الباب الثالث، ذيل المقالة التكليفية.

٧. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠١.

٨. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢١١؛ الأنوار الساطعة، ص ١٠٠.

٩. نسخة الأصل من الفوائد المليّة، الورقة ١١٩ ب.

١٠. مخطوطة المكتبة المركزية لجامعة طهران المرقمة ٥٣٨٥.

١١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢١١؛ الأنوار الساطعة، ص ١٠٠.

٣٠. فرغ من نسخ فهرست منتجب الدين في ٢٥ ربيع الآخر عام ٧٧٦ بالحلة^١.
٣١. فرغ من نسخ كتاب الأربعين لمنتجب الدين في الأول من جمادى الأولى عام ٧٧٦ بالحلة^٢.
٣٢. أجاز لولديه - وله ظاهراً - السيد تاج الدين ابن مَعِيَّة في ٧٧٦ قبل موته بالحلة^٣.
٣٣. شرع في تأليف الدروس الشرعية عام ٧٨٠^٤.
٣٤. صنَّف كتاب اللمعة الدمشقية عام ٧٨٢ بدمشق^٥.
٣٥. فرغ في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من صفر عام ٧٨٤ من تأليف الجزء الأول من كتابه ذكرى الشيعة^٦.
٣٦. فرغ في آخر نهار الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر عام ٧٨٤ من تأليف الجزء الأول في كتابه الدروس الشرعية^٧.
٣٧. أجاز في الثاني عشر من شهر رمضان عام ٧٨٤ لتلميذه ابن الخازن الحائري في دمشق^٨.
٣٨. سجن في أواخر جمادى الآخرة عام ٧٨٥ في قلعة دمشق^٩.
٣٩. استشهدَ مظلوماً حريقاً بعده بالنار يوم الخميس تاسع جمادى الأولى عام ٧٨٦ بدمشق، بعد ما حُبِسَ سنَّةً إلاَّ أيَّاماً يسيرة^{١٠}. (قدَّسَ اللهُ نفسه الزكية).



١. مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٣١١٢، الورقة ٢٥٧ ب.

٢. فهرست نسخه های خطی کتابخانه مرکزی، ج ٥، ص ١٠٨١.

٣. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٢٠، ص ٣١٢.

٤. الذريعة، ج ٨، ص ١٤٥.

٥. الروضة البهیة، ج ١، ص ٢٤.

٦. مخطوطة ذكرى الشيعة المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ١٩٠٦.

٧. الذريعة، ج ٨، ص ١٤٥.

٨. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٢.

٩. كما صرَّح به ولده ابوطالب محمد، ونقله عنه الشهيد الثاني، كما سيأتي في بحث استشهاده في الفصل العاشر

من هذا الباب.

١٠. سيأتي تفصيله في بحث استشهاده في الفصل العاشر من هذا الباب.

٤٠. وَهَبَتْ فاطمة سَتَّ المشايخ بنت الشهيد جميع ما يخصها من تركة أبيها في جزين وغيرها أخونها أباطالب محمداً وأبالقاسم علياً، في الثالث من شهر رمضان عام ٨٢٣، وقد عَوَّضاً عليها كتب التهذيب و المصباح، والفقيه، والذكرى، والقرآن المذهب المعروف بهديّة عليّ بن مؤيد^١.
٤١. توفيت سَتَّ المشايخ بنت الشهيد عام ٨٢٩.
٤٢. توفي الشيخ أبوطالب محمّد ولد الشهيد ظهر الجمعة سادس عشر شهر صفر عام ٨٥٠ ظاهراً.
٤٣. توفيت روجة الشهيد والدة ضياء الدين عليّ في قرية جبع في رجب عام ٨٣٦، وكان لها من العمر ٩٣ سنة، وبينها وبين وفاة الشهيد مدّة خمسين سنة وثلاثة أشهر.
٤٤. توفي الشيخ ضياء الدين عليّ ولد شيخنا الشهيد في نهار الأربعاء عشرين من شعبان سنة ٨٥٦^٢.



واعلم أنّ السيّد الصدر والسيّد الأمين قالوا في ترجمة الشهيد:

هاجر إلى العراق سنة ٧٥٠، وهو ابن سَتَّ عشرة سنة... ومدّة بقائه في العراق خمس سنين، فرجع إلى بلاده وهو ابن إحدى وعشرين^٣.

ولاندري ما هو مستنده، وليس في المصادر إشارة إلى سفر الشهيد إلى تاريخ العراق كذا تاريخ رجوعه إلى بلاده، أضف إلى ذلك أنّه يظهر عدم صحته ممّا تقدّم آنفاً؛ فإنّه كان في الحلة في السنوات: ٧٥١ - ٧٥٤، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٧٦. نعم، كان الشهيد في أواخر عمره مقيماً بجزين، كما يظهر ممّا قاله ابن قاضي شهبة^٤.



١. انظر في الفصل التاسع من هذا الباب وثيقة سَتَّ المشايخ.
٢. التواريخ الأربعة الأخيرة نقلها الشهيد الثاني في نسخة الأصل لكتابه الفوائد المليّة، وانظر ما يأتي في الفصل التاسع من هذا الباب.
٣. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٥؛ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩؛ الشهيد الأول، ص ٨٢، ٨٦.
٤. تاريخ ابن قاضي شهبة، ج ١، ص ١٣٤.

واعلم أنّ كثيراً من مترجمي الشهيد من المتأخّرين ذكروا أنّ الشهيد سافر إلى مصر. وهذا خطأ ولا دليل عليه. ويأتي الكلام حوله في الفصل السابع من هذا الباب فراجع.



ثمّ اعلم أنّ الشهيد يقول في قصيدته الفزعية عندما حُبس في قلعة دمشق - في السنة الأخيرة من عمره الشريف - خطاباً لبئدمر:

في كلّ عامٍ لنا حجٌّ وكان لنا
في خدمة النجل في ذي العام مختصراً^١
وقال في كتاب الحجّ من كتابه الدروس الشرعية: «رزقنا الله تعالى العود إلى بيته الحرام
وتكراره في كلّ عام بمنّه وكرمه»^٢.

وهذا يدلّ على أنّه سافر إلى مكّة المكرّمة والمدينة المنورة مرّاتٍ عديدة، منها ما قطع به وهي في الأعوام: ٧٥٠، ٧٥٤، ٧٨٤، كما ظهر ممّا سبق في هذا الفصل.

١. انظر الفصل الثالث من الباب الثالث.

٢. الدروس الشرعية، ج ١، ص ٣٨٥ (ضمن الموسوعة، ج ٩).

الفصل الخامس

الثناء عليه

لقد وُصِفَ الشهيد من قبل أساتذته ومشايخه وتلامذته ومن خلفهم من علماء الإسلام بأفضل النعوت والعبارات وأبلغها، وفي هذا دلالة على شخصيته العلمية الراقية. وإليكم جانباً من حديث كبار العلماء في وصف الشهيد:

قال شيخه فخرالدين في إجازته له عام ٧٥٦ في وصفه:

مولانا الإمام العلامة الأعظم، أفضل علماء العالم، سيّد فضلاء بني آدم، مولانا شمس الحقّ والدين محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد (أدام الله أيتامه) ^١.

وقال شيخه شمس الأئمة الكرمانى القرشى في إجازته له عام ٧٥٨:

المولى الأعظم الأعلّم، إمام الأئمة، صاحب الفضلين، مجمع المناقب والكمالات الفاخرة، جامع علوم الدنيا والآخرة، شمس الملة والدين محمّد... (رزقه الله في أولاه وأخراه ما هو أولاه وأخراه) ^٢.

ووصفه شيخه ابن مَعْبِة في عام ٧٥٤ بقوله:

- مولانا الشيخ الإمام العالم الفاضل، شمس الملة والحقّ والدين، محمّد بن مكّي (أدام الله فضائله).

- المولى الشيخ الإمام الفقيه العالم العلامة، مفخر العلماء والفضلاء شمس الحقّ والدين ^٣.

١ و٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٧٨.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٢.

وقال شيخه عبدالصمد بن إبراهيم بن الخليل، شيخ دارالحدِيث ببغداد، في إجازته له :
 الشيخ الإمام العلامة، الفقيه البارِع الورع، الفاضل الناسك الزاهد، شمس الدين
 أبي عبدالله محمّد بن مكّي بن محمّد... (زاده الله تعالى توفيقاً، ونهَج له إلى محبّة
 الفوز طريقاً) ^١.

وقال تلميذ الشهيد ابن الخازن الحائري في إجازته لابن فهد الحلّي :

الشيخ الفقيه، إمام المذهب، خاتمة الكلّ، مقتدى الطائفة المحقّقة ورئيس الفرقة الناجية،
 السعيد المرحوم والشهيد المظلوم، الفائز بالدرجات العلى والمحلّ الأسنى، الشيخ
 أبو عبدالله محمّد بن مكّي (أسكنه الله بحبوحة جنّته، وجعله من الفائزين بمحبّته،
 المعوّضين بما عوّض أهل محنته) ^٢.

وقال العلامة البياضي في أوّل الكلمات النافعات :

... علامة الزمان، المبرّز على جميع الأقران، المترقيّ عن حضيض المجاز إلى أوج
 الحقيقة، المتمسك من الدين القيم بأوضح طريقة، الشيخ السعيد أبي عبدالله الشهيد ^٣.

وقال الشيخ عليّ بن هلال الجزائري في إجازته للمحقّق الكركي في وصفه للشهيد :

المولى الإمام الأعظم، أفضل العلماء المحقّقين ورئيس الفضلاء المدقّقين، صاحب
 النفس القدسية والأخلاق النبوية، جامع الكمالات النفسانية وحاوي الفضائل السنية
 الإنسانية، مولانا شمس الملة والحقّ والدنيا والدين، محمّد بن مكّي الشهير بالشهيد
 (قدّس الله روحه ونور ضريحه) ^٤.

وقال المحقّق الكركي في إجازته للشيخ عليّ بن عبد العالي الميسي في وصفه للشهيد :

شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، فقيه أهل البيت في زمانه، ملك العلماء، علم الفقهاء، قدوة
 المحقّقين والمدقّقين، أفضل المتقدّمين والمتأخّرين، شمس الملة والحقّ والدين،
 أبي عبدالله محمّد بن مكّي، مستكمل صنوف السعادة، حائز درجة الشهادة (قدّس الله
 روحه الطاهرة الزاكية وأفاض على مرقدّه المراحم الربّانية) ^٥.

١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٢.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢١٧.

٣. أربع رسائل كلامية، ص ٢٣٩.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ٣٢.

٥. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ٤٢.

وقال أيضاً في إجازته للشيخ حسين العاملي في وصفه للشهيد :

الشيخ الجليل الرئيس، الفائق بتحقيقاته على جميع المتقدمين، المنقطعة على أنار أنفاسه أنفاس العلماء الراسخين، مهذب المذهب، فقيه أهل البيت في زمانه، المشهود له بالسعادة والمحتوم له بالشهادة، شمس الحق والدين، أبي عبدالله محمد بن مكّي (سقى الله ضريحه صوب الغمام وحنقه بملائكته الكرام) ^١.

وقال أيضاً في إجازته لابن أبي جامع العاملي :

شيخنا الأعظم، شيخ الطائفة المحقة في زمانه، علامة المتقدمين وعلم المتأخرين، خاتمة المجتهدين، شمس الملة والحق والدين أبي عبدالله محمد بن مكّي (قدس الله روحه الطاهرة الزكية وأفاض على تربته المراحم القدسية) ^٢.

وقال أيضاً في إجازته للمولى عبدالعلي الأسترآبادي :

شيخنا الشيخ الإمام الأجل السعيد، شيخ الإسلام، ملك المحققين، علامة المتقدمين والمتأخرين، الفائز بالسعادة والشهادة، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن مكّي (رفع الله درجته في عليين، وألحقه بالنبي والأئمة المعصومين عليهم السلام) ^٣.

وقال أيضاً في إجازته للقاضي صفي الدين :

شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، علامة المتقدمين ورئيس المتأخرين، حلال المشكلات وكشاف المعضلات، صاحب التحقيقات الفائقة والتدقيقات الرائقة، حبر العلماء وعلم الفقهاء، شمس الملة والحق والدين أبي عبدالله محمد بن مكّي، الملقب بالشهيد (رفع الله درجته في عليين وحشره في زمرة الأئمة الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين) ^٤.

وقال في إجازته الثانية لإبراهيم الخوانساري :

- شيخنا الأعظم، أعلم المتأخرين، السعيد الشهيد، شمس الحق والدين، أبو عبدالله محمد بن مكّي (قدس الله روحه الطاهرة).

١. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ٥٥.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ٦١.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ٦٥.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ٧٠.

- شيخنا وشيخ جميع العلماء والمتأخرين، مستخرج حقائق المسائل ونكات الدلائل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مكّي، الملقّب بالشهيد (رفع الله قدره العالي في عليين) ^١.

وقال الشهيد الثاني فيما كتبه على تهذيب الأحكام في طريق روايته له :

الشيخ الإمام الأعلام الأكمل، خاتمة المجتهدين وآية الله في العالمين، شمس الدين محمد بن مكّي (قدّس الله تعالى نفسه وطهّر رسمه) ^٢.

وقال في إجازته للشيخ حسين بن عبد الصمد والد شيخنا البهائي :

شيخنا الإمام الأعظم، محيي مادرس من سنن المرسلين و محقق حقائق الأوّلين و الآخرين، الإمام السعيد أبي عبد الله الشهيد محمد بن مكّي بن محمد بن حامد العملي (قدّس الله روحه ونوّز ضريحه) ^٣.

وقال أيضاً في أول شرحه لكتاب اللعة الدمشقية :

شيخنا وإمامنا المحقق، البذل النحرير المدقّق، الجامع بين منقبة العلم والسعادة ومرتبة العمل والشهادة، الإمام السعيد أبي عبد الله الشهيد، محمد بن مكّي (أعلى الله درجته كما شرّف خاتمته) ^٤.

وقال العلامة محمد تقي المجلسي في شرح خطبة الفقيه :

الشيخ الإمام الأعظم، محيي ما درس من سنن المرسلين، محقق حقائق الأوّلين والآخرين، محمد بن مكّي العملي (قدّس الله روحه) ^٥.

وقال السيّد مصطفى التفرشي :

شيخ الطائفة و علامة وقته، صاحب التدقيق والتحقيق، من أجلاء هذه الطائفة وثقاتها، نقيّ الكلام، جيّد التصانيف ^٦.

١. حياة المحقق الكركي، ج ٣، ص ٢٧٨.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٣٥.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٤٩.

٤. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٥.

٥. روضة المتّقين، ج ١، ص ٢٢.

٦. نقد الرجال، ص ٣٣٥؛ وأورد كلامه بنصّه الأردبيلي في جامع الرواة، ج ٢، ص ٢٠٣.

وقال الشيخ الحرّ العاملي في ترجمة الشهيد:

كان عالماً ماهراً فقيهاً محدثاً مدققاً متبحراً كاملاً، جامعاً لفنون العقلية والنقلية، زاهداً عابداً ورعاً شاعراً أديباً مُنْسِئاً، فريد دهره، عديم النظير في زمانه^١.

وقال المحقق الخوانساري في أوّل شرحه لكتاب الدروس:

شيخنا الأجلّ المحقق والحبر المسدّد المدقق، أفضل المتأخّرين وأكمل المتبحّرين، عمدة علماء الفرقة الناجية، بل الذي لم يظفر بمثله في القرون الماضية الحائز لمرتبة السعادة، الفائز بمنقبة الشهادة، محمّد بن مكّي (أعلى الله تعالى درجته، كما شَرَفَ خاتمته)^٢.

وقال الشيخ البحراني:

فضله أشهر من أن يُذكر، وتُبله أعظم من أن يُنكر، كان عالماً ماهراً فقيهاً مجتهداً متبحراً في العقلية والنقلية، زاهداً عابداً ورعاً، فريد دهره^٣.

وقال المحقق الشيخ أسد الله التستري:

الشيخ الهمام، قدوة الأنام، فريضة الأيام، علامة العلماء العظام، مفتي طوائف الإسلام، ملاذ الفضلاء الكرام، خزّيت طريق التحقيق، مالك أزمّة الفضل بالنظر الدقيق، مهذّب مسائل الدين الوثيق، مقرب مقاصد الشريعة من كلّ فجّ عميق، السارح في مسارح العرفاء والمتألّهين، العارج إلى أعلى مراتب العلماء والفقهاء المتبحّرين وأقصى منازل الشهداء السعداء المنتجبين، الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمّد بن مكّي العاملي المطّليبي (أعلى الله رتبته في حظائر القدس، وبوّأه مع مواليه في مقاعد الأنس)^٤.

وقال صاحب الروضات في ترجمته:

كان عليه السلام بعد مولانا المحقق على الإطلاق أفقه جميع فقهاء الآفاق، وأفضل من انعقد على كمال خبرته وأستاديته اتفاق أهل الوفاق. وتوحّده في حدود الفقه وقواعد الأحكام مثل تفرّد شيخنا الصدوق في نقل أحاديث أهل البيت الكرام عليهم السلام، ومثل تسلّم

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١.

٢. مشارق الشموس، ص ٥ (ط. الحجرية).

٣. لؤلؤة البحرين، ص ١٤٣ - ١٤٤.

٤. مقابس الأنوار، ص ١٣ - ١٤.

شيخنا المفيد وسيّدنا المرتضى في الأصول والكلام وإلزام أهل الجدل والألدّ من الخصام ...^١.

وقال الميرزا أبو الفضل الطهراني صاحب شفاء الصدور:

الشيخ الإمام، برهان علماء الإسلام، أستاذ فقهاء الأنام، حجّة فضلاء الأيّام، بركة الشهور والأعوام، رئيس المذهب والملة ورأس المحقّقين الأجلّة، منهل الفقه الصافي ودرع التحقيق الضافي، مُسهّل سبيل الاجتهاد والنظر، أफقه أهل البدو والحضر، شمع جمع اليقين ومشعل طريق المتّقين، سراج الاهتداء، منهاج الاقتداء، درّة تاج أرباب الإيمان، قرّة عين أصحاب الإيمان، المشروح صدره بالعلم والعرفان والمنوّر قلبه بنور التحقيق والإنقان، الجامع في معارج السعادة بين أقصى مدارج العلم ورتبة الشهادة، صاحب الآيات الباهرة والكرامات الظاهرة، شيخنا الأقدم الأفضل، المعروف بالشهيد الأول، شمس الدين محمّد بن مكّي (قدّس الله سرّه الزكيّ)^٢.

وقال المحدث النوري:

تاج الشريعة وفخر الشيعة، شمس الملة والدين أبو عبد الله محمّد ابن الشيخ جمال الدين مكّي... أफقه الفقهاء عند جماعة من الأساتيد، جامع فنون الفضائل وحاوي صنوف المعالي وصاحب النفس الزكيّة القدسية القويّة... وقد أكمل الله تعالى له النعمة، وجعل العلم والفضل والتقوى فيه وفي ولده وأهل بيته ...^٣.

وقال المحدث القميّ في ترجمته:

الشيخ الأجلّ الأفقه، أبو عبد الله... رئيس المذهب والملة، ورأس المحقّقين الجلّة، شيخ الطائفة بغير جاحد، وواحد هذه الفرقه وأيّ واحد، كان ﷺ بعد مولانا المحقّق على الإطلاق أفقه جميع فقهاء الآفاق^٤.

وقال العلامة السيّد محسن الأمين:

هو إمام من أئمّة علماء الشيعة، وعلم من أعلامهم، وركن من أركانهم، وقيه عظيم من

١. روضات الجنّات، ج ٧، ص ٣ - ٤.

٢. شفاء الصدور، ص ٦ - ٧.

٣. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٧ - ٤٣٨، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٠٢ - ٣٠٧، ط. الجديدة.

٤. الكنى والألقاب، ج ٢، ص ٣٤٦.

أعظم فقهاءهم يضرب المثل ببقائه، ومفخرة من مفاخر جبل عامل، بل من مفاخر الشيعة، عظيم المنزلة في العلم، جليل القدر، عظيم الشأن، عديم النظير، محقق ماهر متفنن أديب شاعر، تشهد بجلالة قدره وعظم شأنه تأليفه المشهورة الجليلة العظيمة الفوائد المتنوعة المقاصد في الفقه والأصول وغيرهما... كالتقواعد التي لم يؤلف مثلها في موضوعها، وكالآلفية والنقلية الوحيدتين في موضوعهما والدروس التي جمعت على صغر حجمها ما لم يوجد في المطولات، والذكرى التي امتازت على أشباهها، واللمعة التي صنفها في سبعة أيام وجمعت على اختصارها فأوعت، وكفى في الاهتمام بها أنها نسخت وهي في يد الرسول^١.

وقال العلامة الأميني:

كهدف الشيعة وعلم الشريعة، لم يزل فقهه مستقى علماء الإمامية في نظرياتهم، وكتبه مرجع فقهاءهم، وأنظاره العلمية مرتكز آرائهم، وشهرته في الفقه والأصولين ومشاركته في العلوم أظهر من أن تخفى، فلا أطيل بتنسيق عقود الثناء فأكون «كنافل التمر إلى هجر»^٢.

هذه مقاطع ومختارات من أقوال العلماء في وصف الشهيد.

١. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩.

٢. شهداء الفضيلة، ص ٨١.

الفصل السادس

مكانته العلمية والأخلاقية وبعض آرائه

لقد حظي الشهيد لتبحره في مختلف العلوم بمكانةٍ ومقامٍ رفيعين، وفي هذا المجال، فإنّ أقوال أساتذته وتلامذته ومعاصريه فيه تُعدُّ أفضل شاهدٍ على ما نقول، خصوصاً أقوال علماء العامة، ومنها مقولة شمس الدين الجزري عنه:

شيخ الشيعة والمجتهد في مذهبهم... إمام في الفقه والنحو والقراءة، صحبني مدةً مديدة فلم أسمع منه ما يخالف السنة^١.

وكذلك حديث شيخه شمس الأئمة الكرمانى الشافعي في وصفه:

إمام الأئمة، صاحب الفضلين، مجمع المناقب والكمالات الفاخرة، جامع علوم الدنيا والآخرة^٢.

وما أمثال هذه النعوت والصفات إلا خير معرفٍ ودليلٍ على شخصية الشهيد الأوّل ومكانته المرموقة.

التعلّم في حوزةٍ عريقة - كحوزة الحلّة في القرن الثامن - والتلمذ على كبار العلماء والمتخصّصين في كلّ فنٍّ من الفنون، وانفتاحه على المذاهب، واستفادته من علماء العامة^٣، وجدّه وسعيه وهنّته العالية وفضائله الروحية والأخلاقية، كلّ ذلك قد صنع من الشهيد شخصيةً فريدة قلّ نظيرها.

١. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٣.

٣. قال الشهيد في إجازته لابن الخازن الحائري: «وأما مصنّفات العامة ومرويّاتهم فأبني أروي عن نحو من أربعين شيخاً من علمائهم...» (بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٠).

يقول الشهيد :

... معدود من الخسران إنْ صُرِفَ الزمان في المباح وإنْ قَلَّ؛ لأنَّه ينقص من الثواب ويخفض من الدرجات، وناهيك خسراناً بأنْ يتعجَّل ما يفنى، ويخسر زيادة نعيمٍ يبقى^١.

وقال الشهيد الثاني في أوَّل شرحه لكتاب اللمعة :

وَقِيلَ عن المصنَّف عليه السلام أَنَّ مجلسه بدمشق ذلك الوقت ما كان يخلو غالباً من علماء الجمهور، لخلطته بهم وصحبته لهم، قال: «فلما شرعتُ في تصنيف هذا الكتاب كنت أخاف أن يدخل عليَّ أحدٌ منهم فيراه، فما دخل عليَّ أحدٌ منذ شرعتُ في تصنيفه إلى أن فرغت منه، وكان ذلك من خفيِّ الألطاف.» وهو من جملة كراماته (قدَّس الله روحه ونور ضريحه)^٢.

قال المحدثُ النوري عليه السلام في وصف الشهيد :

صاحب النفس الركيَّة القدسية القويَّة، التي يُنبئُ عنها ما ذكره السيّد الجليل السيّد حسين القزويني - المتقدِّم ذكره في مشايخ بحر العلوم - في مقدِّمات شرحه على الشرائع [المخطوط بعد] قال: وجدتُ بخطَّ الشيخ السيّد السعيد صاحب حدائق الأبرار، من أحفاد الشارح الفاضل الشهيد الثاني، قال: «وجدتُ بخطَّ الشيخ ناصر البويهبي، وهو من الفقهاء المتبحِّرين والعلماء المتّقين، ما هذا لفظه: إنَّه رأى في منامه كأنَّه في قرية جزين، التي هي قرية الشيخ شمس الدين محمَّد بن مكِّي الشهير بالشهيد الأوَّل، في سنة خمس وخمسين وتسعمائة [كذا]، قال: ذهبت إلى باب بيت الشيخ الشهيد فطرقتُه فخرج الشيخ إليَّ، فطلبت منه الكتاب الذي صنّفه الشيخ جمال الدين بن المطهر في الاجتهاد، فدخل بيته وأتاني بالكتاب ومعهُ كتاب آخر - وأظنُّه في الروايات - فناوَلتُنيهما واستيقظت وهما معي»^٣.

وأضاف العلامة السيّد حسن الصدر بعد نقله لهذه الحكاية :

وهذا يدلُّ على جلاله الشيخ ناصر وروحانيته وحبِّ الشهيد له وعنايته به، وعلى قوَّة نفس شيخنا الشهيد في تلك النشأة (قدَّس الله أرواحهم جميعاً)

١. القواعد والفوائد، ج ١، ص ١١٩، الفائدة ٢٧.

٢. الروضة البهيَّة، ج ١، ص ٢٤.

٣. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٢٠، ص ٣٠٢، ط. الجديدة: تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٦-٣٦٧، ٤١٢-٤١٣.

والظاهر أن في التاريخ اشتباهاً، حيث إنه حكى في الأمل [أي أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١ - ١٨٧] عن خطّ الشهيد الثاني تاريخ وفاة الشيخ ناصر سنة ٨٥٢، وعن شرح البداية [ص ١٦٨] له أيضاً أنه توفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة. فتأمل^١. وفي مجموعة مخطوطة كتبها الشيخ محمود اللاهجاني الكيلاني تلميذ الشهيد الثاني: ... من رسالة للشيخ الأجلّ الأعظم العالم العامل الزاهد الناسك الورع جمال الدنيا والدين أحمد بن المتوّج - بتاج الكرامة إن شاء الله - البحراني، إلي الشيخ الإمام الأعظم فقيه أهل البيت عليه السلام مولانا وسيدنا شمس الملة، وامام الأئمة أبي عبدالله محمد بن مكّي (تعمده الله برحمته وأسكنه بحبوحه جنّته) كتبها إليه من جزيرة ثاني شوال في أواخر عشر السبعين والسبعمائة، وهي هذه الأبيات:

لئن غيبتُم عَنِّي فَتَنُّرُ مَدِيحِكُمْ	جليسي مَدَى الأَيَّامِ غَيْرُ مُبَارِحِي
دُعَايِي لَكُمْ فِي إِنْرِكُلِّ فَرِيضَةٍ	وَشُكْرِي لَكُمْ مَعَ كُلِّ غَادٍ وَرَائِحِي
لَيْشْهَذَا عَلَى اللّهِ وَالخَلْقِ إِنْسِي	وَقَفْتُ عَلَيْكُمْ مُهْجَتِي وَجَوَارِحِي
أَوْأَصِلِكُمْ مَا عَشْتُ بِالمدحِ وَالثنا	وَبالدَعَوَاتِ الزَاكِيَاتِ الصَّوَالِحِي
إِذَا بَعَثَ المُهْدُونَ دُرّاً وَعَسْجُداً	فَمَالِي مَا أُهْدِيهِ إِلَّا مَدَائِحِي ^٢

وقال الشيخ سليمان الماحوزي في رسالته جواهر البحرين في علماء البحرين في ترجمة جمال الدين أحمد بن عبدالله بن متوّج البحراني:

سمعت جماعة من مشايخنا (عطر الله مراقدهم)... يحكون أنه كان يقع بينه وبين شيخنا السعيد أبي عبدالله الشهيد (عطر الله مرقده ونور مشهده) مناظرات ومشاكرات، وفي غالب الأحوال يكون الغالب الشيخ جمال الدين عليه السلام.

فلما عاد إلى جزيرة أوال من البحرين، وتولّى الحكم والقضاء، وتصدّى للأمر الحسينية والمصالح الدينية اشتغل ذهنه بذلك؛ فلما حجَّ عليه السلام اجتمع في مكة (زادها الله تعالى شرفاً) بشيخنا الشهيد (طاب ثراه) فتناظرا في بعض المسائل، فغلبه شيخنا الشهيد (قدّس الله

١. تكلمة أمل الآمل، ص ٤١٣.

٢. مجموعة اللاهجاني، الورقة ٤١. وورد الأبيات فقط منسوبة «لواحد من الأعلام إلى شيخنا الشهيد عليه السلام» في المخطوطة المرقمة ٨٩١٢، المحفوظة في مكتبة الروضة الرضوية، الورقة ٧٩.

روحه) وأَفَحَمَه. فسأله الشيخ جمال الدين عن ذلك. فقال: «سهرنا وأَصَعْتُم»^١.
 ويستفاد من هذه المطالب أن الشهيد لم يترك لحظة من عمره إلا استفاد منها. وكما تقدّم
 فقد نَعَتَه صاحب الروضات بـ«أفقه جميع فقهاء الآفاق بعد المحقّق الحلّي»^٢.
 نقل بعض أساتذة الحوزة العلمية بقم المقدّسة عن فقيه الطائفة المرحوم آية الله
 البروجردي رحمته الله أنّه قال:

لقد امتاز فقه خمسة من الفقهاء؛ لإحاطتهم بأقوال فقهاء العامّة والشيعة، وهم المحقّق
 والعلامة الحلّي وفخر المحقّقين والشهيدان.

ونقل عنه رحمته الله أيضاً: «أنّ الشهيد الأوّل أفضلهم في الفقه».

وقال آية الله السيّد الخوئي رحمته الله: «واضح أنّ الشهيد ممتاز في فهم كلمات الفقهاء، بل قيل:
 أنّه لسان الفقهاء»^٣.

وقال العلامة الأمين في الموازنة بين الشهيدين:

الشهيد الأوّل أفقه وأدقّ نظراً وأبعد غوراً وأكثر وأمتن تحقيقاً وتدقيقاً، يظهر ذلك لكلّ
 من تأمّل تصانيفهما، مع الاعتراف بجلالة قدر الشهيد الثاني وعظمة شأنه وعلو مقامه^٤.

وقال المحدث النوري في وصف الشهيد:

اعلم أنّه... أوّل من هدّب... الفقه عن نقل أقوال المخالفين وذكر آراء المبدعين^٥.

قال بعض الفضلاء المعاصرين ما ترجمته:

لقد مَنَحَ الشهيد الأوّل الفقه الشيعي شخصيته وهويته المستقلّة عبر تنقيح القواعد
 والأصول الأساسية للفقه الشيعي - في كتاب القواعد والفوائد وبأقوى مصنّفاته -
 والاستفادة العملية منها في متون الفقه الشيعي.

١. جواهر البحرين، المطبوع مع فهرست آل بابويه، ص ٨٩. وحكاها عنه الشيخ آقا بزرك الطهراني في الذريعة،
 ج ٢٣، ص ١٨٠-١٨١.

٢. روضات الجنّات، ج ٧، ص ٣. ورد فيه كلام حول وقوف الشهيد على إبطال السحر؛ انظر الشهيد الأوّل محمّد بن
 مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ٥٢.

٣. مصباح الفقاهة، ج ٧، ص ٢٠؛ كما في شناختنامه شهيدين، ص ٢٣٩.

٤. أعيان الشيعة، ج ٧، ص ١٤٧.

٥. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٨، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٠٦-٣٠٧، ط. الجديدة.

لقد بسَّطَ الشهيد - عبر هذه القواعد والأصول - الفقهَ الشيعيَ للغاية، وفتحَ أمامه آفاقاً رحبةً وجديدةً، وقدَّمَ ابتكاراتٍ كثيرةً في التفرعات التحقيقية والفقهية بالشكل الذي بات فيه الفقه الذي صنَّفه متميزاً عمَّا سبقه من الفقهاء. وقد عُدَّتْ مصنفاته الفقهية - التي جسَّدَتْ خصوصيات مدرسته الفقهية - من المصادر القيِّمة للفقه الشيعي.

وقد ظلَّ العلماء على مدى قرن ونصفٍ من أتباع مدرسته الفقهية، ورغم ما طرحوه من بعض التعديلات والآراء التجديدية آثروا شرح وبيان آرائه وأفكاره، ولم يتعدَّوا الإطار الذي رسمه هو^١.

وقال بعض الأساتذة المعاصرين :

وقد استحدث الشهيد الأول نظاماً خاصاً لجباية الخمس وتوزيع العلماء في المناطق، وكان لهذا العمل الفكري والثقافي والتنظيمي الذي نهض به الشهيد ومن خلفه من فقهاء الشيعة دورٌ كبير في حفظ التشيع في بلاد الشام^٢.

والمعروف أنَّ الشهيد الأول عليه السلام هو أوَّل من أسَّس هذا التنظيم الذي يربط الفقيه المتصدِّي بالأُمَّة بواسطة شبكة من الوكلاء ...

وتمَّتْ وتطوَّرتْ مدرسة جزين بعد شهادة الشهيد عليه السلام، واستقطب طلبة العلم من مناطق مختلفة، وأصبح جبل عامل بفضل هذه المدرسة وجهود الشهيد مركزاً للإشعاع الفكري في بلاد الشام خاصة والعالم الإسلامي عامَّةً^٣.

رغم أن الفترة الزمنية التي عاشها الشهيد لم تكن ببعيدة عن عصر المحقق والعلامة الحلِّي، ورغم تأثر الحوزة العلمية في الحلة يومها بالآراء التي كان يطرحها الفقهاء، فقد ظلَّ الشهيد إلى حدٍّ كبيرٍ بعيداً عن التأثر بمدرسة هذين الفقيهين؛ بل على العكس، تقدَّم هو في الميدان، وطرحَ ابتكاراته في منهج الاستدلال وعلى صعيد تفصيل المسائل الفقهية تبويب الفقه وتقسيمه. ومن جملة ابتكاراته تأليف كتب القواعد والفوائد، والألفية والتغلية.

ولقد طرح الشهيد آراءً تجديديةً في كتاب اللمعة، ورغم أن اللمعة كتاب فقهي خالٍ من

١. مقدِّمه إى بر فقه شيعه، ص ٥٤ - ٥٥.

٢. رياض المسائل، ج ١، ص ٦٦، المقدِّمة.

٣. رياض المسائل، ج ١، ص ٧٣، المقدِّمة؛ وانظر أيضاً الهجرة العاملة إلى إيران، ص ٥٩ - ٦٦؛ شناختنامه شهيدين، ص ٢٣٠ - ٢٣٨.

الاستدلال فإنه لم يعتمد بصورة كاملة في تبويبه وتنظيم أبوابه الفقهية على طريقة الشرائع والمختصر النافع للمحقق والقواعد والإرشاد للعلامة، وقد تميّز ترتيب الشهيد في اللمعة على ما ورد في الكتب المذكورة، على سبيل المثال وردت في اللمعة كتب: الكفارات، النذر وتوابعه، الوقف والعطية قبل كتاب المتاجر وبعد كتاب الجهاد؛ لكن الكتب الفقهية التي تقدّمت على الشهيد لم تراعى مثل هذا الترتيب. ولانريد هنا الورود تفصيلاً في هذا البحث، لكن عبر مقارنة بين اللمعة والمختصر النافع والإرشاد تتضح أرجحية اللمعة في ترتيب الكتب (الأبواب) الفقهية وطرح المباحث المختلفة.

لقد أضاف الشهيد في كتاب الدروس عناوين جديدة للكتب (الأبواب) الفقهية، الأمر الذي لم يكن قبل ذلك، مثل كتب المزار، الحسبة، المحارب، القسمة، الشركات، الربا وتزاحم الحقوق. لقد أورد العلامة الحلّي في آخر كتاب الصلح فروعاً تبدو غريبةً وليست ذات صلة بكتاب الصلح^١؛ لكن الشهيد قد أورد هذه المباحث تحت عنوان مستقلّ أي «كتاب تزاحم الحقوق»^٢. والشهيد أوّل من تصدّر في وضع هذه الفروع تحت هذه العناوين ولم يسبقه إليه أحد. وأيضاً أوّل من ذكر مسألة حكم الحاكم في رؤية الهلال في فقه الشيعة هو الشهيد^٣. إن ما أوردناه يجسّد بوضوح أنّ الشهيد قدّم اقتراحاتٍ جديدة، ولم يكن متأثراً بالسلف في مدرسته الفقهية. ومضافاً إلى الآراء التجديدية التي طرحها في العموميات الفقهية نرى أنّ الشهيد كان دقيقاً للغاية في طرح التفرّعات والمسائل وصياغة التعابير، فقد فاق في دقته من تقدّمه من فقهاء الشيعة، على سبيل المثال:

١. قال العلامة في عدّ الصلوات الواجبات:

فالواجبات تسع: اليومية والجمعة والعيان والكسوف والزلزلة والآيات والظواف والأموات والمنذور وشبهه^٤.

١. إرشاد الأذهان، ج ١، ص ٤٠٥-٤٠٦، المطبوع مع غاية المراد، ج ٢، ص ٢٣٤-٢٤١؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ٢، ص ١٥٥-١٥٧.

٢. الدروس الشرعية، ص ٣٨٠-٣٨٥، ط. القديمة؛ ج ٣، ص ٣٣٧-٣٥٢، ط. الجديدة.

٣. انظر رؤيت هلال، ج ٣، ص ١٦٤٧.

٤. إرشاد الأذهان، المطبوع مع غاية المراد، ج ١، ص ٩٣؛ قواعد الأحكام، ج ١، ص ٢٤؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١، ص ٦٥.

وقال الشهيد في تعداد الصلوات الواجبات :

والواجب سبعٌ: اليومية والجمعة والعيان والآيات والطواف والأموات والملتزم بنذرٍ وشبهه^١.

وقال المحقق الثاني ترجيحاً لما صنعه الشهيد ورداً على العلامة:

ويرد عليه أن الكسوف والزلزلة داخلتان في الآيات، فعدهما قسمين [كذا، والصواب: قسمين] لهما من عيوب القسمة... وعدّ المنذور قسماً وشبهه قسماً آخر^٢، ولو أنه عدّهما قسماً واحداً وعبرَ عنهما بعبارة واحدة - كما صنعه شيخنا الشهيد، حيث عبّر بـ «الملتزم بنذر وشبهه» - لكان أولى؛ إذ لا خصوصية للنذر في عدّه قسماً دون أخويه^٣.

وقال الشهيد الثاني ردّاً على العلامة:

وفي عدّ الكسوف والزلزلة والآيات أقساماً ثلاثة إشكال؛ لأن الآيات تشملهما، فجعل بعض أقسام الشيء قسماً له لا يستقيم، فالأولى عدّها قسماً واحداً لتصير الأقسام سبعة، كما صنّعه الشهيد^٤.

٢. قال العلامة (أعلى الله مقامه) في الإرشاد: «المقصد الرابع في صلاة الكسوف»^٥.

واعترض عليه الشهيد الثاني بقوله:

وفي نسبتها إلى الكسوف مع كونه بعض أسبابها تغليب، ولو عنونها بصلاة الآيات - كما صنع الشهيد^٦ - كان أجود^٧.

٣. قال العلامة في الإرشاد في بحث أصناف المستحقين للزكاة:

يَسْتَحِقُّ الزَّكَاةَ ثَمَانِيَةَ أَصْنَافٍ: الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ... وَفِي الرِّقَابِ... وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ...^٨.

١. اللعة دمشقيّة، ص ٣٣.

٢. الظاهر عدم ورود هذا الإشكال؛ فإنّ العلامة عدّ المنذور وشبهه قسماً واحداً لا قسمين.

٣. جامع المقاصد، ج ٢، ص ٧.

٤. روض الجنان، ص ١٧٤، ط. القديمة؛ وج ٢، ص ٤٧٣ - ٤٧٤، ط. الجديدة؛ وقاله الشهيد الثاني أيضاً في حاشية الإرشاد، المطبوع مع غاية المراد، ج ١، ص ٩٣ - ٩٤.

٥. إرشاد الأذهان، المطبوع مع غاية المراد، ج ١، ص ١٧٦؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١، ص ١٢٦.

٦. اللعة دمشقيّة، ص ٤٢، ٣٣.

٧. روض الجنان، ص ٣٠٢، ط. القديمة؛ وج ٢، ص ٨٠٤، ط. الجديدة.

٨. إرشاد الأذهان، المطبوع مع غاية المراد، ج ١، ص ٢٥٧ - ٢٥٨؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١، ص ١٨٢.

وَعَبَّرَ قَبْلَهُ الْمُحَقِّقُ الْحَلِّيُّ عَنِ الْأَصْنَافِ بِمَثَلِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ ١.

وَلَكِنَّ الشَّهِيدَ عَبَّرَ عَنْهُمْ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ :

الرَّكْنَ الثَّلَاثِ فِي الْمُسْتَحِقِّ، وَهُوَ ثَمَانِيَةٌ أَصْنَافٍ : أَحَدُهَا : الْفُقَرَاءُ... وَخَامِسُهَا :

الرَّقَابُ... وَسَابِعُهَا : سَبِيلُ اللَّهِ ... ٢.

وَاعْتَرَضَ الشَّهِيدُ الثَّانِي عَلَى عِبَارَةِ الْمُحَقِّقِ وَمِثْلِهَا بِقَوْلِهِ :

اعْلَمْ أَنَّ الْمُصَنِّفَ وَجَمَاعَةَ عَنُونُوا «الرَّقَابُ» وَ«سَبِيلُ اللَّهِ» مِنْ جُمْلَةِ الْأَصْنَافِ، مُقَيِّدِينَ

بِالْجَارِ وَهُوَ «فِي» ؛ تَأْسِيًّا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. وَكَانَ الْأَوَّلِيُّ هُنَا حَذْفَ الْجَارِ ؛ لِأَنَّ الصَّنْفَ

نَفْسَ الرَّقَابِ وَنَفْسَ سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا أُدْخِلَهَا عَلَيْهِمَا فِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ لِئَنكَتَهُ لِاتِّدْخُلَ فِي

الْعِبَارَةِ، وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الصَّدَقَاتِ لِلْفُقَرَاءِ وَالثَّلَاثَةَ الَّتِي بَعْدَهُمْ وَخَصَّهُمْ بِاللَّامِ،

وَجَعَلَهَا لِلْبَاقِينَ وَأَدْخَلَ عَلَيْهِمْ «فِي» ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْأَرْبَعَةَ الْأَوَّلَ يَسْتَحِقُّونَ نَصِيبَهُمْ

عَلَى وَجْهِ الْمَلِكِ أَوْ الْاِخْتِصَاصِ الْمَطْلُوقِ يَصْنَعُونَ بِهِ مَا شَاءُوا، بِخِلَافِ «الرَّقَابِ» وَمَا

بَعْدَهُمْ، فَإِنَّهُ جَعَلَهُمْ مَوْضِعًا لِلصَّدَقَةِ وَمَحَلًّا لَهَا، فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِمْ صَرْفُهَا فِي ذَلِكَ. وَهَذَا

الْمَعْنَى لَا يَتَحَقَّقُ فِي الْعِبَارَةِ ؛ لِأَنَّهُ بَصَدَدِ عَدِّ الْأَصْنَافِ، حَيْثُ قَالَ : «أَصْنَافِ الْمُسْتَحِقِّينَ

سَبْعَةٌ : الْفُقَرَاءُ... الْإِخ» فَلَيْسَ فِي هَذَا الْأُسْلُوبِ إِلَّا مَجْرَدُ عَدِّ الْأَصْنَافِ مِنْ غَيْرِ بَيَانِ

الْفَارِقِ - وَإِنْ ذَكَرَهُ فِي تَضَاعُيفِ عِبَارَتِهِ - بِخِلَافِ أُسْلُوبِ الْآيَةِ. وَلَمَّا أَشْرْنَا إِلَيْهِ عَبَّرَ

الشَّهِيدُ ﷺ... بِقَوْلِهِ : «الرَّقَابُ وَسَبِيلُ اللَّهِ... الْإِخ»، وَهُوَ أَجُودٌ ٣.

٤. قَالَ الشَّهِيدُ الْأَوَّلُ فِي كِتَابِ الْإِجَارَةِ :

وَلَا يَعْمَلُ الْأَجِيرُ الْخَاصَّ لِغَيْرِ الْمُسْتَأْجِرِ، وَيَجُوزُ لِلْمَطْلُوقِ ٤.

وَقَالَ الشَّهِيدُ الثَّانِي بَعْدَ شَرْحِهِ وَتَوْضِيحِهِ :

وَتَسْمِيَتُهُ [أَي تَسْمِيَةُ الْمَطْلُوقِ] بِذَلِكَ أَوْلَى مِنْ تَسْمِيَتِهِ مُشْتَرَكًا، كَمَا صَنَعَ غَيْرُهُ ؛ لِأَنَّهُ فِي

مُقَابَلَةِ الْمُقَيَّدِ وَهُوَ الْخَاصَّ ... ٥.

١. المختصر النافع، ص ٥٨ - ٥٩.

٢. البيان، ص ٣١٠ - ٣١٥؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٢، ص ٣٠٥ - ٣٠٩.

٣. مسالك الأفهام، ج ١، ص ٤٧.

٤. اللعة الدمشقية، ص ١٥٦.

٥. الروضة البهية، ج ٤، ص ٣٤٨.

٥. قال الشهيد الثاني في كتاب التجارة في خيار ما يفسد ليومه :

... وأجود ما أتفق هنا عبارة الدروس؛ فإنه فرض المسألة فيما يفسده المبييت وأثبت الخيار عند انقضاء النهار، ثم استقرب تعديته إلى كل ما يتسارع إليه الفساد عند خوف ذلك، فإنه لا يتقيّد بالليل...^١

٦. قال المحقق الثاني بمناسبة:

وقال شيخنا في الدروس كلاماً في هذا الباب من أجود كلام المحققين... حيث ذكر الجوائز وجعل ترك قبولها أفضل، وبالغ في أحكام الخراج بما سنحكيه مفضلاً...^٢

٧. والجدير بالإشارة هنا نظرية الشهيد في استخراج «النسبة بين الصحيح والمعيب»، وهي نظرية في الحقوق وليست في الفقه، استعرضها الشيخ محمد تقي الفقيه في كتابه جبل عامل في التاريخ، وبرهن على المستوي الفكري الذي وصل إليه الشهيد من الدقة والوضوح.^٣

هذه نماذج على دقة ومهارة الشهيد في طرح القضايا الفقهية، وبالطبع فقد انعكست دقته ومهارته على طريقة استدلاله واستنباطه للأحكام وتقسيم المسائل وتبويبها. ثم أعلم أننا سنذكر في الباب الرابع مقتطفات من نظريات وأقوال الشهيد الواردة في غاية المراد، وسنورد هنا - بمناسبة البحث - بعضاً من نظرياته وآرائه المهمة:

- ويجوز للفقهاء حال الغيبة إقامة الحدود مع الأمن، والحكم بين الناس مع اتصافهم بصفات المفتي... ويجب الترافع إليهم، ويأثم الرادُّ عليهم.^٤

- ويُعزَّر كلُّ من ترك واجباً أو فعلَ محرماً بما يراه الحاكم... وسابَّ النبيَّ أو أحد الأئمة عليهم السلام يُقتل ولو من غير إذن الإمام، ما لم يخف على نفسه أو ماله أو على مؤمن.^٥

- والحدود والتعزيرات إلى الإمام ونائبه ولو عموماً، فيجوز في حال الغيبة للفقهاء

١. مسالك الأفهام، ج ١، ص ١٤٣-١٤٤؛ الروضة البهية، ج ٣، ص ٤٥٩-٤٦١.

٢. قاطعة اللجاج، ضمن رسائل المحقق الكركي، ج ١، ص ٢٧٨.

٣. انظر مجلة العرفان، المجلد ٨٠، العدد ٣-٤، ص ١٢١؛ الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي في المصادر العربية، ص ١٧٦-١٨٤؛ جبل عامل في التاريخ ص ١٠٩-١١٨.

٤. اللعة دمشقية، ص ٨٤.

٥. اللعة دمشقية، ص ٢٥٩.

الموصوف بما يأتي في القضاء إقامتها مع المكنة، ويجب على العامة تقويته ومنع المتغلّب عليه مع الإمكان، ويجب عليه الإفتاء مع الأمن، وعلى العامة المصير إليه والترافع في الأحكام، فيعصي مؤثر المخالف ويفسق^١.

- وهو [يعني القضاء] وظيفة الإمام أو نائبه، وفي الغيبة ينفذ قضاء الفقيه الجامع لشرائط الإفتاء، فمن عدل عنه إلى قضاء الجور كان عاصياً^٢.

- وفي غيبة الإمام ينفذ قضاء الفقيه الجامع للشرائط، ويجب الترافع إليه، وحكمه حكم المنسوب من قبل الإمام خصوصاً. ولو تعدّد فكتعدّد القضاة، نعم يتعيّن الترافع إلى الأعلّم، فإنّ تساوبا فالأورع^٣.

- وهل يكفي قول الحاكم وحده في ثبوت الهلال؟ الأقرب نعم^٤.

- تجب صلاة الجمعة ركعتين بدلاً عن الظهر، بشرط الإمام أو نائبه. وفي الغيبة تُجمَعُ الفقهاء مع الأمن، وتُجزئ عن الظهر على الأصحّ^٥.

-... وأما مع غيبته - كهذا الزمان - ففي انعقادها قولان: أصحّهما - وبه قال معظم الأصحاب - الجواز إذا أمكن الاجتماع والخطبتان...؛ لأنّ الفقهاء حال الغيبة يباشرون ما هو أعظم من ذلك بالإذن كالحكم والإفتاء، فهذا أولى^٦.

- ينبغي للإمام الأعظم إذا لم يشهد الموسم نصب إمام عليه في كل عام، كما فعل النبي ﷺ من تولية عليّ عليه السلام سنة تسع على الموسم وأمره بقراءة براءة... .

وعليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخصوصاً في ما يتعلّق بالمناسك والكفارات، ولو كان الحكم مختلفاً فيه بين علماء الشيعة فليس له أن يأمرهم باتباع مذهبه إذا لم يكن الإمام الأعظم أو من أخذ عنه، إلّا أن يكون الخطأ ظاهراً فيه لندور القول، فله ردّ معتقده^٧.

١. الدروس الشرعية، ص ١٦٥، ط. القديمة؛ ج ٢، ص ٤٧-٤٨، ط. الجديدة.

٢. اللعة الدمشقيّة، ص ٨٩.

٣. الدروس الشرعية، ص ١٧٠-١٧٩، ط. القديمة؛ وج ٢، ص ٦٧، ط. الجديدة.

٤. الدروس الشرعية، ص ٧٧، ط. القديمة؛ وج ١، ص ٢٨٦، ط. الجديدة.

٥. الدروس الشرعية، ص ٤١، ط. القديمة؛ وج ١، ص ١٨٦، ط. الجديدة.

٦. ذكرى الشيعة، ص ٢٣٦، ط. القديمة؛ وج ٤، ص ١٠٤، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٨، ص ٢٣.

٧. الدروس الشرعية، ج ١، ص ٤٩٥، ٤٩٧.

قال الشهيد الثاني في شرح الألفية للشهيد:

وقد ذكر المصنّف ﷺ في الذكرى أنّ المتقدّمين من العلماء ما كانوا يذكرّون النية في كتّيبهم الفقهية؛ بل يقولون: «أوّل واجبات الوضوء - مثلاً - غسل الوجه، وأوّل واجبات الصلاة تكبيرة الإحرام» ونحو ذلك. فلما خَلَفَ من بعدهم خلف أضعوا حدودَ الأحكام الشرعية، وأغفلوا وظائف الطرق الفقهية، خاف عليهم علماؤهم فنَبّهوهم على وجوب النية، فأل الحال بهم إلى أن جهلوا معناها كما ترى^١.

ونختم الكلام في هذا الفصل بما حكاه لنا شيخنا الأستاذ الأصولي الفقيه المحقّق سماحة آية الله الشيخ حسين الوحيد الخراساني (دام ظلّه)، قال سماحته (دامت بركاته):
سمعت من بعض الأعظم أنّه تشرّف عالم بقاء الحجّة (سلام الله عليه وعجل الله تعالى فرجه) وسمع منه ﷺ أنّه قال ما حاصله: «نحن بارزنا مؤلّفات الشهيدين وآنأرهما؛ لأنهما بذلا غاية جهدهما في ترويج الشريعة ولم يتمتعا من مواهب المرجعية ولذائد الدنيا».

الفصل السابع

أساتذته ومشايخه في الرواية

يستطيع الباحث أن يلمس الشخصية الفكرية للشهيد الأوّل من خلال أساطين العلم والفكر الذين اتّصل بهم وأخذ عنهم وحضر مجالسهم. ولم يقتصر اتّصال الشهيد بمشايخ الفكر في عصره على شخصٍ خاصٍّ أو على قطرٍ خاصٍّ أو على نمطٍ خاصٍّ من التفكير؛ فإنّه اتّصل بألوانٍ مختلفة من الفكر وارتاد مختلف مراكز الحركة العقلية في الوطن الإسلامي في وقته، واتّصل بمختلف العلماء والمفكرين، وعلى طريق هذا التفاعل الفكري والتلاحق قدّر له أن يكونَ لنفسه شخصيةً ثقافيةً مرموقةً^١.

تتلمذ الشهيد على علماء العامّة إضافةً إلى تتلمذه على علماء الشيعة، وقال في إجازته لابن الخازن بهذا الشأن:

وأما مصنّفات العامّة ومروياتهم فإنّي أروي عن نحوٍ من أربعين شيخاً من علمائهم بمكّة والمدينة ودارالسلام ببغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس ومقام الخليل إبراهيم عليه السلام. فرويت صحيح البخاري عن جماعةٍ كثيرة بسندهم إلى البخاري، وكذا صحيح مسلم ومسند أبي داود وجامع الترمذي ومسند أحمد وموطأ مالك ومسند الدارقطني ومسند ابن ماجه والمستدرک علی الصحیحین للحاکم أبی عبد الله النيسابوري، إلى غير ذلك ممّا لو ذكرته لطال الخطب^٢.

١. انظر الروضة البهية، ج ١، ص ٨٤، المقدمة.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٠-١٩١، وانظر أيضاً ج ١٠٧، ص ٢٠٤ منه.

وقال في إجازته لابن نجدة:

وأجزتْ له روايةً جميع ما رويته عن مشايخ أهل السنّة شاماً وحجازاً وعراقاً، وهو كثير^١.
واعلم أنّ قول الشهيد في الإجازة لابن نجدة: مشايخ أهل السنّة «شاماً وحجازاً وعراقاً»، وقوله في الإجازة لابن الخازن: أربعين شيخاً من علمائهم «بمكة والمدينة ودارالسلام بغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس ومقام الخليل إبراهيم عليه السلام» كما يحتمل أن يكون ظرف الإجازة، يحتمل أن يكون ظرف المجيز، والقرائن تدلّ على تقوية الاحتمال الثاني بل تعيّن^٢. فلا تدلّ هذه العبارة بنفسها على سفر الشهيد إلى هذه البلاد. نعم هناك أدلّة على سفره إلى مكة والمدينة وبغداد ودمشق وبيت المقدس، كما مضى - في الفصل الرابع - ويأتي، ومراد الشهيد أنّه روى عن مشايخ أهل السنّة القاطنين في هذه البلاد، لأنّه سافر إلى هذه البلاد، فمثلاً يقول:

إنّه قد أجاز لي في... سنة ٧٥٤ بطيبة مدينة الرسول (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام)... مولانا الأعظم قاضي قضاة الديار المصرية عز الدين عبدالعزيز ابن قاضي القضاة بمصر....

وكذلك في التاريخ المذكور بالمدينة المشرفة أجاز لي المولى المسند العلامة عفيف الدين عبدالله بن محمد بن أحمد... المدني المعروف بالمطري نسبةً إلى المطرية من ظاهر قاهرة الديار المصرية، وهي منتزه أهلها ومحلّ فواكهها، جميع ما ألفه وزواه إجازةً تلفظ بها....

وأجازا في ذلك التاريخ لمولانا السيّد... تاج الدين أبي عبدالله بن معيّة، ولمولانا السيّد الفقيه العلامة جمال الدين بن أبي طالب محمد ابن شيخنا عميد الدين ولثمانية أنفس آخرين.

قال صاحب المعالم:

ووجدتُ بخط السيّد تاج الدين بن معيّة تحت خطّ شيخنا الشهيد ما هذه صورته:
«ما ذكره مولانا... شمس الملة والحقّ صحيح، وورد علينا خطّ هذين الشيخين العالمين

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥.

٢. وقال الجباعي في مجموعته - كما في بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٤ -: «أجاز الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي جماعة من العلماء والفضلاء من الشيعة وغيرهم من أهل مصر والشام والعراق وأهل فارس».

المذكورين بتاريخ المحرّم سنة ٧٥٥ وقد كتبنا بذلك من المدينة (شرّفها الله تعالى) بالتاريخ المذكور...»^١.

فعلى هذا لا يوجد دليل على سفر الشهيد إلى مصر^٢، وما قاله كثير من مترجمي الشهيد من المتأخرين، منهم السيّد الأمين^٣، والشيخ جعفر المهاجر^٤، والشيخ الآصفي^٥ والزركلي^٦ وآخرين^٧.

فمستندهم قول الشهيد في الإجازة لابن الخازن. وهذا لا يدلّ على هذا المدّعى كما رأيت. ولم يذكر الشهيد نفسه، ولا أحدٌ من أساتذته وتلامذته وولده ومعاصريه، أنّه سافر إلى مصر.

نعم، إنّ الشهيد سافر إلى بيت المقدس وقرأ على بعض علمائها. كما حكاها عنه صاحب المعالم في إجازته الكبيرة، حيث يقول:

ورأيتُ أنا بخطّ الشهيد على ظهر نسخةٍ للشاطبية إجازةً لولديه محمّد وعليّ، ذكر فيها أنّه رواها لهما عن عدّةٍ من المشايخ قراءةً وإجازةً.

... ومنهم قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة بحقّ قراءتي عليه ببيت المقدس، عن جدّه بدر الدين... والولدان (وقّعهما الله تعالى توفيق العارفين) يشاركان في هذه الرواية عن قاضي القضاة إجازةً لهما ولأخيها أبي منصور الحسن^٨.



١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٠-٧٢: الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.
٢. كما صرّح به شمس الدين في حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٣٩.
٣. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩: «... قال في إجازته لابن الخازن: فأبى أرويهما عن نحو من أربعين شيخاً من علمائهم بمكّة... ويُعلم من ذلك أنّه دخل كلّ هذه البلاد وقرأ على علمائها واستجازهم».
٤. جبل عامل بين الشهيدين، ص ١١٢.
٥. مقدّمة الروضة البهية، ج ١، ص ٧٢.
٦. الأعلام، ج ٧، ص ١٠٩.
٧. انظر الشهيد الأول محمّد بن مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ١٨٨، ٢٨٢، ٣٢٢.
٨. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٥٥-٥٦.

قال بعض أصحاب التراجم مامعربه :

قال القاضي السيّد حسين ابن السيّد حيدر الكركي في رسالته حول صلاة الجمعة : «إنّ الشهيد الأول أجازته ألف نفرٍ من الفقهاء»^١.

أقول: زعم الدكتور كامل مصطفى الشيبلي أنّ مراد هذا القائل أنّ الشهيد درس على هذا العدد من الفقهاء، فقال :

... ودرس الشهيد... على كثيرٍ من الأساتذة من شتّى الفرق والنحل، منهم قطب الدين الشيرازي^٢، حتّى قيل: «إنّه دَرَسَ على ألف من الفقهاء»^٣.

والأصل في هذا الأمر ما ذكره الشهيد في آخر إجازته لابن الخازن - بعد ذكر طريقه إلى مصنّفات الأصحاب ومصنّفات العامّة -:

فَلْيُرَوْ مولانا زين الدين عليّ بن الخازن (أدام الله تعالى بركاته) جميعَ ذلك إن شاء بهذه الطرق وغيرها ممّا يزيد على الألف^٤.

وليُعلم أنّ المشار إليه في قوله: «بهذه الطرق» الطُرُق إلى مصنّفات الأصحاب ومصنّفات العامّة معاً، ولا يعني الطرقَ إلى مصنّفات الأصحاب فقط؛ وأيضاً لا يدلّ على أنّ الشهيد استجاز من أكثر من ألف مُجيز، بل طريقه أكثر من ألف، ومن الممكن أن يكون له عشرون طريقاً مثلاً إلى المصنّفات بواسطة شيخ واحد؛ ولكن بعضهم لم يدقّق في هذه العبارة فتوهم معنّى غير هذا. قال صاحب الروضات :

في بعض إجازات السيّد الفاضل الفقيه حسين ابن السيّد حيدر العاملي... أنّه سمع من شيخه... أعني سيّد المحقّقين حسين بن الحسن الحسيني الموسوي ابن بنت مولانا المحقّق الشيخ عليّ أنّه كان يقول: «إنّ شيخنا الشهيد (قدّس الله سرّه) ذكر في بعض كلماته أنّ طريقه إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام ما يزيد على ألف طريقٍ^٥.



١. قصص العلماء، ص ٣٣٧. الصواب أنّ طرق إجازة الشهيد أكثر من ألف طريق، كما سيأتي التصريح به من الشهيد نفسه في آخر إجازته لابن الخازن، لا أنّه أجازته ألف نفرٍ أو أكثر من الفقهاء.

٢. هذا خطأ، والصحيح «قطب الدين الرازي» كما سيأتي يُعيد هذا.

٣. الصلة بين التصرّف والتشيع، ج ٢، ص ١٣٤.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٢.

٥. روضات الجنّات، ج ٧، ص ٦.

قال العلامة السيّد حسن الأمين رحمته الله :

لابدّ لنا من التساؤل عن الزمن الذي لقي فيه هؤلاء العلماء في بلدانهم، وفيما عدا بغداد التي نستطيع التأكد من أنّه لقي علماءها خلال رحلته إلى العراق، فإننا نتردّد في الجزم بشيءٍ في هذا الأمر... إذا كان لقي هؤلاء المشايخ قبل سفره إلى العراق، فمعنى ذلك أنّ الدراسة في جبل عامل خلال الاحتلال الصليبي وبعد هذا الاحتلال حتّى نشوء محمّد بن مكيّ كانت لاتعدو دراسة «الكتاتيب» التي لا تؤهّل لأكثر من التخلّص من الأميّة وأخذ بعض القواعد النحوية الابتدائية ...^١

أقول: الظاهر أنّ الشهيد لقي هؤلاء المشايخ بعد سفره إلى العراق أعني بعد عام ٧٥٠، كما سيأتي بعض الشواهد عليه.

(أ) أساتذته ومشايخه من علماء الشيعة

١. فخر المحقّقين محمّد بن الحسن بن يوسف ولدُ العلامة الحلّي.

وُلد في ليلة الإثنين العشرين من جمادى الأولى عام ٦٨٢، وتوفّي ليلة الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الآخرة عام ٧٧١^٢. وهو «أجلّ مشايخه وأعظم أساتيده»^٣ وأكثرهم دراسةً عليه. ومما قرأ عليه كتابه إيضاح الفوائد، وأجاز الشهيد عامي ٧٥١ و ٧٥٦، كما تقدّم في الفصل الرابع من هذا الباب. وإليك نصّ إجازته التي كتبها على ظهر الجزء الأوّل من كتابه إيضاح الفوائد بعد ما قرأه الشهيد عليه:

قرأ عليّ مولانا الإمامُ العلامةُ الأعظمُ، أفضل علماء العالم، سيّد فضلاء بني آدم، مولانا شمس الحقّ والدين محمّد بن مكيّ بن محمّد بن حامد (أدام الله أيّامه) من هذا الكتاب مشكلاته، وحقّق وأفاد كثيراً من المسائل المشكلات بفكره الصائب وذهنه الشاقب. وقد أجزتْ له روايته عني، وأجزتْ جميع ما صنّفته وألّفته

١. الشهيد الأوّل، ص ٨١-٨٢.

٢. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٥٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٤٠١، ط. الجديدة. ونقل الجباعي عن الشهيد أنّه توفّي أواخر جمادى الآخرة عام ٧٧١. (مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧ ب). وانظر ترجمة فخرالدين وبعض مصادر ترجمته في مجلّة نورعلم، العدد ٨، ص ٧١-٨٢.

٣. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٥٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٤٠٢، ط. الجديدة.

وقرأته ورويته. وأجزت له روايةً جميع كتب والدي ﷺ في المعقول والمنقول والفروع والأصول وجميع ماصتفه أصحابنا المتقدمون عني عن والدي عنهم بالطرق المذكورة لها. وقد ذكر والدي ﷺ بعض تلك الطرق في كتاب خلاصة الأقوال في معرفة الرجال.

وكتب محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر في سادس شوال سنة ست وخمسين وسعمائة بالحلّة. والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله^١.

قال الشهيد في إجازته لابن نجدة في وصف شيخه فخر الدين:

الشيخ الإمام، سلطان العلماء، منتهى الفضلاء والنُّبلاء، خاتم المجتهدين، فخر الملّة والدين، أبو طالب محمد ابن الشيخ الإمام السعيد جمال الدين بن المطهر (مدّ الله في عمره مدّاً وجعل بينه وبين الحادثات سدّاً)^٢.

ووصفه - وأستاذه الآخر عميد الدين - في إجازته لابن الخازن بقوله:

... شيخي الإمامين الأفضلين الأكملين المجتهدين، مُنتهى أفاضل المذهب في زمانها: السيّد المرتضى عميد الدين، والشيخ الأعظم فخر الدين ابن الإمام الأعظم الحجّة، أفضل المجتهدين جمال الدين أبي منصور... (أفاض الله على ضرائحهم المراحم الربانيّة، وحبّاهم بالنعم الهنيئة)؛ فإنّي أروي جميع مصنّفاتهما قراءةً وسماعاً وإجازةً^٣.

وفي ظهر مخطوطة للقواعد - محفوظة في مكتبة مدرسة الآخوند في مدينة همدان برقم ٩٢٧ - بخطّ جعفر بن محمد العراقي الذي فرغ من كتابته عام ٧٧٦ و فرغ من مقابلته عام ٧٨٦، ما هذا لفظه:

زار الشهيد قبر فخر الدين (رحمهما الله تعالى) وقال: أنقل عن صاحب هذا القبر، بنقل عن والده، أنّ من زار قبر أخيه المؤمن وقرأ عنده سورة القدر سبعاً وقال: «اللهم جاف الأرض عن جنوبهم، وصاعد إليك أرواحهم، وزدهم منك رضواناً، وأسكن إليهم من

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٧٧ - ١٧٨. ووردت هذه الإجازة أيضاً في المخطوطة المرقّمة ٢٨٣ في مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٦.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٨.

رحمتك ما تصل به وحدتهم وتؤنس به وحشتهم، إنك على كل شيء قدير» أمن الله من
الفرع الأكبر القارئ والميت^١.

وهذا يدل على أنه كان لفخرالدين قبراً معيناً في ذلك الزمان زاره تلميذه الشهيد وإن
اختفى علينا الآن.

قال العلامة السيّد الأمين في ترجمة العلامة الحلّي:

هاجر إليه الشهيد الأول من جبل عامل ليقراً عليه فوجده قد توفّي، فقرأ على ولده تيمناً
وتبرّكاً لاحاجة وتعلماً، ولذلك قال ولده: «استفدتُ منه أكثر ممّا استفاد منّي»^٢.

أقول: سبق في الفصل الثالث من هذا الباب أنّ الجملة الأولى في هذا الكلام سهو
بلا ريب. والظاهر أنّ قوله: «فقرأ على ولده تيمناً وتبرّكاً...» أيضاً كذلك؛ فإنّي
لم أقف عليها في المصادر القديمة والمعتبرة، والدليل على خلافه كلمات الشهيد بشأن
فخرالدين في آثاره، وما ورد في المصادر المعتبرة، بل هو «أجلّ مشايخه وأعظم أساتيده»،
كما صرّح به المحدث النوري^٣. وبالجملة فلا ريب في ضعف هذا الكلام بل عدم صحته.

ورده العلامة الأمين نفسه في ترجمة الشهيد فقال:

... ما يقال: «إنّه قصد العراق ليقراً على العلامة فوجده قد توفّي فقرأ على ولده تيمناً من
غير حاجة إلى القراءة عليه» غير صحيح؛ لأنّ العلامة توفّي سنة ٧٢٦ قبل ولادة الشهيد
بثمان سنين^٤.

وعلى أيّة حال كان فخرالدين من كبار العلماء والمحققين العظام، وقال شيخنا
الأنصاري (أعلى الله مقامه) في وصفه بمناسبة ما: «لا يخفى أنّ الفخر أعرف بنصّ
الأصحاب من المحقّق الثاني»^٥.

١. إيضاح الفوائد، ج ١، ص ١٠١، مقدّمة التحقيق؛ فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه‌های رشت و همدان،
ص ١٣٤٦؛ المخطوطة المرقّمة ٣٠٠ المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي في الورقة ١٢٨ ب.

٢. أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٩٧، وانظر ج ١٠، ص ٥٩ والشهيد الأول، ص ٨٤، ووردت الجملة الأخيرة أيضاً في
الفوائد الرجالية، ج ٢، ص ٢٦١، الهامش، وحياة الإمام الشهيد الأول، ص ٣٨، والروضة البهيّة، ج ١، ص ٨٨،
المقدّمة.

٣. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٥٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٤٠١، ط. الجديدة.

٤. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩.

٥. المكاسب، ص ٦٣.

٢. أبو عبدالله السيّد عميد الدين عبدالمطلب بن الأعرج الحسيني، ابن أخت العلامة الحلّي والمجاز منه.

ولد ليلة النصف من شعبان عام ١٦٨١^١، وتوفي ببغدادَ عاشر شعبان عام ٧٥٤، ودفن بالنجف الأشرف^٢. أجاز الشهيد عامي ٧٥١^٣ و٧٥٢ بعد ما قرأ عليه الشهيد الجزء الأول من تذكرة الفقهاء^٤.

أثنى الشهيد عليه في إجازته لابن نجدة بقوله:

المولى السيّد الإمام المرتضى علم الهدى، شيخ أهل البيت في زمانه، عميد الحقّ والدين

أبو عبدالله عبدالمطلب بن الأعرج الحسيني (طاب ثراه وجُعِلَ الجنّة مأواه)^٥.

وقال في وصفه في أوّل أربعينه:

شيخي الإمام السعيد المرتضى العلامة المحقق، فقيه أهل البيت عليه السلام، عميد الملة

والدين، أبو عبدالله عبدالمطلب ابن المولى السيّد الفقيه مجد الدين أبي الفوارس

محمد ابن المولى السيّد العلامة النسابة فخرالدين عليّ بن الأعرج الحسيني

(قدّس الله سرّه)^٦.

ومن تأليفاته القيمة كنز الفوائد في حلّ مشكلات القواعد، وهو شرحٌ لكتاب

قواعد الأحكام للعلامة الحلّي، وقد طبع أخيراً في قم في ثلاثة مجلّداتٍ لأوّل مرّة.

أكثر الشهيد في غايبة المراد - ومواطن أخرى - من ذكر عميد الدين، وعبّر عنه بكلمة

«شيخنا المرتضى الإمام عميد الدين» وأمثالها، كما سيأتي في الباب الرابع.

٣. السيّد ضياء الدين عبدالله بن الأعرج الحسيني أخو عميد الدين وابن أخت العلامة

١. مجموعة الجبايعي، الورقة ٩٢ ب؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٤.

٢. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٥٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٤٠٠، ط. الجديدة؛ الحقائق الراهنة، ص ١٢٧.

٣. الأربعون حديثاً، ص ١، ح ١.

٤. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٥٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٤٠٠، ط. الجديدة.

٥. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥.

٦. الأربعون حديثاً، ص ١، ح ١.

الحلبي صاحب منية اللبيب في شرح التهذيب^١.

٤. السيد تاج الدين أبو عبد الله محمد بن القاسم المعروف بابن مَعِيَّة الديباجي الحسني. تُوْفِّي ثامن ربيع الآخر عام ٧٧٦ بالحلّة، وحمل إلى مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام^٢. أجاز الشهيد في الخامس عشر من شوال عام ٧٥٣ بالحلّة^٣، وفي الحادي عشر من شوال عام ٧٥٤^٤، وأجاز لولدي الشهيد سنة ٧٧٦ قبل موته^٥. وقرأ عليه الشهيد في السادس عشر من شعبان عام ٧٥٤ بالحلّة أيضاً^٦. وإليك نصّ إحدى إجازاته للشهيد:

سمع هذه الأحاديث من لفظي مولانا الشيخ الإمام العالم الفاضل، شمس الملة والحقّ والدين، محمّد بن مكّي (أدام الله فضائله) في يوم السبت حادي عشر شوال من سنة أربع وخمسين وسبعمئة. وأجزتُ له روايتها عني بالسند المتقدّم وغيره من طريقي إلى المشايخ الجلّة الذين رووها. وكذا أجزتُ له رواية جميع ما تصحّ روايته من سماعاتي وقرآتي ومستجازاتي ومناولاتي ومصنّفااتي وما قلّته وجمعتُه ونظمتُه ونثرته وأجيز لي وكوتبتُ به وجميع ما ثبت عنده أنّه داخل في روايتي.

وكتب محمّد بن مَعِيَّة في التاريخ، والحمد لله، والسلام لأهله أجمعين^٧.
وأورد صاحب المعالم في إجازته الكبيرة قسماً كبيراً من إجازة أخرى منه للشهيد، حيث قال:

وعن السيد تاج الدين بن مَعِيَّة عن جَمِّ غفيرٍ من علمائنا الذين كانوا في عصره وأسماءهم مسطورة بخطّه في إجازته لشيخنا الشهيد الأول، وهي عندي، فأنا أُورد

١. أعيان الشيعة، ج ٨، ص ٦٩؛ وج ١٠، ص ٦١؛ رياض العلماء، ج ٣، ص ٢٤٠؛ خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٢٠، ص ٤٠١، ط. الجديدة. انظر ترجمة ضياء الدين في فهرست نسخه های خطی کتابخانه مرکزی، ج ٥، ص ١٧٢٧ - ١٧٣١، ١٧٣١ - ١٩٨٩، ١٩٩١.
٢. الحقائق الراهنة، ص ١٩٧؛ خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣١٢. الجديدة. وانظر ترجمته في أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٣٩ - ٤٠؛ ریحانة الأدب، ج ٢، ص ٢١٦ و ٢١٧.
٣. الأربعون حديثاً، ص ٤ - ٥، ح ٥.
٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٩٧ ب؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٢.
٥. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣١٢. الجديدة.
٦. الأربعون حديثاً، ص ٨، ح ١٠.
٧. مجموعة الجباعي، الورقة ١٩٧ ب؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٢.

كلامه فيها بعينه، وهذه صورته :

«... ومن مشايخي الذين استفدتُ منهم مَنْ أُرَاشَ جناحي وأذكى مصباحي، وحياني نفائس العلوم، وأبرأ داء نفسي من الكُلوْم، وهو دَرَّةُ الفخر وفريدةُ الدهر، مولانا الإمام الرِّيَّاني عميد المِلَّةِ والحقِّ والدين، أبو عبد الله عبدالمطَّلِب بن الأعرَج (أدام الله شرفه وخَصَّ بالصلاة والسلام سَلَفَه) فهو الذي خَرَّجَنِي ودرَّجَنِي، وإلى ما يَسَّرَ اللهُ تعالى من العلوم أرشدني، فالله يُجازيه أحسنَ الجزاء بمنَّه وكرمه.

ومنهم مولانا الشيخ الإمام العَلَّامة، بقية الفضلاء أنموذج العلماء، فخر المِلَّةِ والحقِّ والدين، محمَّد بن المطهَّر (حَرَسَ اللهُ نفسه وأنمى غرسه).

ومنهم الشيخ الإمام العَلَّامة، أُوحد عصره، نصير المِلَّةِ والحقِّ والدين عليّ ابن محمَّد بن عليّ القاشي؛ والشيخ العالم الفقيه والفاضل الكامل رضيّ الدين عليّ ابن أحمد بن المزيدي (حرسهما الله)»^١.

وقال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة أيضاً :

وذكر والذي ﷺ أَنَّهُ رَأَى خَطَّ السَيِّد تاج الدين بالإجازة للشهيد ﷺ ولولديه محمَّد وعليّ ولأختهما أم الحسن فاطمة ولجميع المسلمين ممَّن أذكرُ جزءاً من حياته^٢.

والذي وقفتُ عليه أنا من خطِّ هذا السيِّد الإجازة للشهيد ولولده محمَّد^٣.

ووصفه الشهيد في إجازته لابن الخازن بقوله :

السيِّد العالم السعيد النسابة، أَعْجوبة الزمان في جميع الفضائل والمآثر، تاج الدين أبي عبد الله محمَّد بن مُعَيَّة الحسني (طاب ثراه)^٤.

قال المحدث النوري (نوّر الله مرقدّه) :

قال الشهيد الأوّل في مجموعته : «مات السيِّد المذكور ثامن ربيع الآخر سنة ستِّ وسبعين وسبعمائة بالحلّة، وحُمِلَ إلى مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام». قال ﷺ : «قد أجاز لي هذا السيِّد مراراً، وأجاز لولديّ أبي طالب محمَّد وأبي

١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٨-١٠.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٥٢-١٥٣، الإجازة الكبيرة للشهيد الثاني.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٥٠.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٨.

القاسم عليّ في سنة ستّ وسبعين وسبعمئة قبل موته، وخطّه عندي شاهداً»^١.

٥. قطب الدين محمّد بن محمّد الرازي البويهّي.

وُلِدَ عام ٦٩٤ في ورامين من بلاد إيران، وتوفّي في شهر ذي القعدة عام ٧٦٦ بظاهر دمشق على القول الصحيح، والموافق لكافة المصادر المعتمدة والقديمة^٢.

قال الشهيد في وصفه - كما حكاه الجباعي عن خطّ الشهيد على كتاب قواعد الأحكام -:

اتَّفَق اجتماعي به بدمشق أخريات شعبان سنة ستّ وستين وسبعمئة، فإذا هو بحرّ لاينزف، وأجازني جميع مايجوز عنه روايته، ثمّ توفّي في ثاني عشر ذي القعدة^٣ من السنة المذكورة بدمشق، ودُفِنَ بالصالحية، ثمّ نُقِلَ إلى موضع آخر. وُصِّلِي عليه برحبة القلعة، وحَضَرَ الأَكثَرُ من معتبري دمشق للصلاة عليه (رحمه الله وقدّس روحه). وكان إماميّ المذهب بغير شكٍّ ولا ريبٍ، صرّح بذلك وسمعتُه منه، وانقطاعه إلى فقيه أهل البيت عليه السلام معلوم.

وقد نقلتُ على هذا الكتاب شيئاً من خطّه من حواشي الكتاب الذي قرأه على المصنّف، وفيه جُزْأٌ بخَطّه أيام اشتغاله عليه، علامتها «قط».

وحكاية خطّه في آخره: «فرغ من تحرير هذا الكتاب بعون الملك الوهاب العبدُ الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى محمّدين محمّد بن أبي جعفر بن بابويه في خامس ذي القعدة سنة ثمان وسبعمئة».

وهذا يُشعر بأنّه من ذرية الصدوق ابن بابويه عليه السلام^٥.

وقال الشهيد أيضاً في إجازته لابن الخازن في ذكر مشايخه:

ومنهم الإمام العلامة، سلطان العلماء وملك الفضلاء، الحبر البحر قطب الدين محمّد بن

١. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣١٢، ط. الجديدة..

٢. وقيل: «عام ٧٧٦»، وهو سهوٌ بلا ريب.

٣. وفي بعض المصادر - منها الوفيات، ج ٢، ص ٢٢٩، حوادث سنة ٧٦٦ -: «توفّي في يوم السبت سادس الشهر المذكور».

٤. في تاج العروس، ج ١٥، ص ٦٤، «جزز»: «تقول: عندي بطاقاتٌ وجُزْأَتٌ، وهي الوُزَيْقاتُ التي تُعَلَّقُ فيها الفوائد، وهو مجازٌ».

٥. مجموعة الجباعي، الورقة ٢٠٦ ب؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٣٨ - ١٤١.

محمد الرازي البويهى؛ فأبى حضرت في خدمته (قدس الله لطيفه) بدمشق عام ثمانية وستين وسبعائة^١، واستفدت من أنفاسه، وأجاز لي جميع مصنفاته ومؤلفاته في المعقول والمنقول أن أروها عنه وجميع مروياته. وكان تلميذاً خاصاً للشيخ الإمام جمال الدين [أي العلامة الحلبي] المشار إليه^٢.

وقال شيخنا البهائي رحمته في حاشية الأربعين - عند ذكر اسمه في سنده إلى العلامة -: هو صاحب المحاكمات وشرح المطالع، وهو من تلامذة شيخنا العلامة، وقرأ عنده كتاب قواعد الأحكام، وله عليه قيودٌ وحواشٍ نقلها والدي (طاب ثراه) في قواعد من قواعد شيخنا الشهيد (قدس الله روحه)^٣. ووصفه الشهيد الثاني في إجازته الكبيرة بقوله:

الشيخ الإمام العلامة، ملك العلماء، سلطان المحققين وأكمل المدققين، قطب الملة والدين، محمد بن محمد الرازي صاحب شرح المطالع والشمسية وغيرهما^٤.

أقول: وقد درس القطب الرازي القواعد عند العلامة وقد كتب له الأستاذ العلامة إجازة في ظهر القواعد عام ٧١٣ في مدينة ورامين. وهذا هو نص الإجازة:

قرأ عليّ هذا الكتاب الشيخ العالم الكبير الفقيه الفاضل المحقق المدقق ملك العلماء والأفاضل، قطب الملة والدين، محمد بن محمد الرازي (أدام الله أيامه) قراءة بحثٍ وتدقيقٍ وتحريرواً وتحقيقاً، وسأل عن مشكلاته، واستوضح معظم مشتهراته، فبيّنت له ذلك بياناً شافياً، وقد أجزت له رواية هذا الكتاب بأجمعه، ورواية جميع مصنفاتي ورواياتي وما أجزيت لي روايته وجميع كتب أصحابنا السابقين (رضوان الله عليهم أجمعين) بالطرق المتصلة مني إليهم، فليرو ذلك لمن شاء وأحب على الشروط المعتمدة في الإجازة، فهو أهل لذلك، أحسن الله عاقبته.

وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى حسن بن يوسف بن المطهر الحلبي مصنف الكتاب في

١. كذا، وهو سهو أو من خطأ النسخ بلاربي، لاتفاق المصادر القديمة المعتمدة - منها قول الشهيد نفسه كما تقدم أنفاً - على وفاته عام ٧٦٦.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٨.

٣. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٢٠، ص ٣٥٤، ط. الجديدة.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٥٢.

ثالث شعبان المبارك من سنة ثلاث عَشْرَةَ وسبعمائة بناحية ورامين.

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين^١.

ووردت ترجمته في مصادر كثيرة^٢، فلا نزيل الكلام في ترجمته ونكتفي بما أورده

بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي - المعاصر له - في حوادث سنة ٧٦٦:

وفيها تُؤنّي العلامة قطب الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن [يباض بمقدار كلمة] الرازي الشهير بالقطب التحتاني الشافعي^٣. إمامٌ يَمُّ علمه طافح، وغيث فضله سافح، وميزان عمله راجح، وسعي الطلبة إلى خدمته ناجح. كان لطيف الكلام، ليّن الزمام، حسن التودّد، مُعْرِضاً عن التشدّد، بارعاً في الفقه والأصول، عارفاً بما يتكلّم في التفسير والعربية والمنطق والمنقول. قدم إلى دمشق واستوطنها، وأظهر أسرار الفنون للطالبيين وأعلنها، وأفاد ونفع، وحصّل وألّف وجمّع. وله مصنّفات أُفِقُ فوائدها مُنير، شرح الشمسية والمطالع والحاوي الصغير. واعتنى بحواش كتبها على الكشاف، واستمرّ إلى أن نُقِلَ من خزانه جسده جوهرها الشفاف.

وكانت وفاته ظاهر دمشق عن نيف وستين سنة (تعمّده الله برحمته)^٤.

١. مجموعة الجباعي، الورقة ٢٠٦ ب؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٤٠.

٢. منها:

(أ) مجالس المؤمنين، ج ٢، ص ٢١٢-٢١٣؛

(ب) أمل الآيل، ج ٢، ص ٣٠٠-٣٠١؛

(ج) لؤلؤة البحرين، ص ١٩٤-١٩٥؛

(د) روضات الجنّات، ج ٦، ص ٣٨-٤٨؛

(ه) خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٤٧-٤٥٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٥١-٣٩٩، ط. الجديدة؛

(و) الحقائق الراهنة، ص ٢٠٠-٢٠٢؛

(ز) طبقات المفسّرين، ج ٢، ص ٢٥٣-٢٥٤؛

(ح) طبقات الشافعية، ج ٣، ص ١٨٣-١٨٤؛

(ط) الأعلام، ج ٧، ص ٢٦٨؛

(ي) الوفيات، ج ٢، ص ٢٩٩. ذكر محقق هذا الكتاب قسماً كبيراً من مصادر ترجمة الرازي في تلك الصفحة فلا نزيل بذكرها.

٣. قد تقدّم أنّه إمامي بلاريب.

٤. دُرّة الأسلاك، حوادث سنة ٧٦٦.

٦. الشيخ العالم الفاضل المحقق زين الدين أبو الحسن عليّ بن أحمد بن طرّاد المطار آبادي تلميذ العلامة^١.

توفّي يوم الجمعة أوّل رجب سنة ٧٦٢، كما حكى عن الشهيد^٢.

٧. العلامة الأديب رضيّ الدين أبو الحسن عليّ بن جمال الدين أحمد الحلّي المعروف بابن المزيدي^٣.

توفّي غروب عرفة سنة ٧٥٧ ودفن بالغريّ، كما حكى عن الشهيد^٤.

قال الشهيد في وصفه:

الشيخ الإمام، ملك الأدباء والعلماء رضيّ الدين أبي الحسن عليّ ابن الشيخ السعيد جمال الدين أحمد المزيدي^٥.

الشيخ الإمام العلامة، ملك الأدباء، عين الفضلاء، رضيّ الدين أبو الحسن عليّ بن المزيدي (قدّس الله روحه)^٦.

٨. السيّد الجليل أمين الدين أبوطالب أحمد بن أبي إبراهيم محمّد بن زهرة الحلبي الحسيني^٧.

قال الشهيد:

أنشدني مولانا السيّد النقيب الحسين الطاهر الفقيه العلامة، أمين الدين أبوطالب أحمد

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٨، ١٩٦، إجازة الشهيد لابن الخازن وإجازته لابن نجدة، وص ٢٠٧.

٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧ ب؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٥؛ خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٤٣، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٢٨، ط. الجديدة. وما ورد في ربحانة الأدب، ج ٨، ص ٨٣، من أنّه توفّي في سادس ربيع الآخر عام ٧٥٤، مخطأً بلاريب وشبهة، وهذا تاريخ إخبار المطار آبادي للشهيد الحديث الرابع من أربعين الشهيد.

٣. الأربعون حديثاً، ص ١٩، ح ٢٨؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٦، إجازة الشهيد لابن نجدة.

٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧ ب؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٥.

٥. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٩، إجازة الشهيد لابن الخازن.

٦. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٦، إجازة الشهيد لابن نجدة.

٧. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٨، إجازة الشهيد لابن الخازن وج ١٠٩، ص ٢٠ - ٢١، الإجازة الكبيرة لصاحب

المعالم؛ خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٤٥، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٣٨، ط. الجديدة.

ابن السيّد السعيد بدر الدين محمّد بن زهرة العلوي الحسيني الحلبي ...:

يا آل بيت النبيّ من بُذِلَتْ في حبّكم روحه فما عُيِنَا...

وتوفّي السيّد ابن زهرة المذكور رحمته الله في ذي الحجّة سنة تسع وأربعين وسبعمئة بحلب، ودفن في مقابر الصالحين عند مقام الخليل عليه السلام.

وولّد أمين الدين أبو طالب أحمد سنة ثمانين عشرة وسبعمئة بحلب^١.

٩. أبو محمّد الحسن بن نما الحلبيّ.

قال الشهيد في أربعينه :

الحديث الثالث ما أخبرني به الشيخ العالم الفقيه الصالح، جلال الدين أبو محمّد الحسن بن أحمد ابن الشيخ السعيد شيخ الشيعة ورئيسهم في زمانه، نيب الدين أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن نما الحلبي الربيعي في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وسبعمئة بالحلّة ...^٢.

١٠. السيّد العالم الجليل الكبير العظيم الشأن مهتّا ابن الجليل سنان القاضي بالمدينة وصاحب المسائل عن العلامة الحلبيّ، وصفه العلامة في الأجوبة عنها بقوله:

السيّد الكبير، النقيب الحسيب المرتضى، مفخر السادة وزين السيادة، معدن المجد والفخار والحكم والآثار... نجم الملّة والحقّ والدين، مهتّا بن سنان الحسيني القاطن بمدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، الساكن مهبط وحي الله ...^٣.

١١. السيّد الفقيه المحقّق الأديب الأريب الصالح الحافظ المفسّر شمس الدين أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن أبي المعالي الموسوي^٤.

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٣٥-٣٦. وردت ترجمة أمين الدين أحمد في الحقائق الراهنة، ص ٩-١٠.

٢. الأربعون حديثاً، ص ٣، ح ٣.

٣. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٤٥، ط. القديمة، ج ٢٠، ص ٣٣٩-٣٤٦، ط. الجديدة؛ أعيان الشيعة،

ج ١٠، ص ١٦٨-١٧٠؛ الفوائد الرضوية، ص ٦٨٨؛ لؤلؤة البحرين، ص ١٨٩؛ بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٥٢،

إجازة الشهيد الثاني لوالد الشيخ البهائي، ج ١٠٩، ص ٨، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.

٤. الأربعون حديثاً، ص ٥، ح ٦؛ أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٧١، وفيه: «توفّي في شهر رمضان سنة ٧٦٩. يروي عنه

بالإجازة الشهيد الأول، أجازة ٢٤ شعبان ٧٥١».

وصفه شيخه ابن مُعَيَّة في إجازته له بقوله :

المولى السيّد الفقيه، العامل الفاضل الكامل الزاهد العابد الورع العلامة، مفخر السادات
ومعدن السعادات، شمس الملة والحقّ والدين أبو عبدالله محمّد ابن السيّد الجليل السعيد
المرحوم جمال الدين أحمد بن أبي المعالي الحسيني الموسوي (أدام الله شرفه) ^١.

١٢. السيّد جمال الدين عبدالله بن محمّد الحسيني العريضي الخراساني.

قال الشهيد في إجازته لابن خازن :

وأما المعاني والبيان فإنّي قرأتُ كتاب الفوائد الغيائية وشرحها للسيّد المرتضى
العلامة، ملك العلماء والأدباء، جمال الدين عبدالله بن محمّد الحسيني العريضي
الخراساني، عليه بأسره. ورويت عنه جميع مروياته ومصنّفاته. وهو أيضاً يروي عن
الإمام جمال الدين ابن المطهر. وأروي عنه كتاب المفتاح للإمام السكاكي ... ^٢.

وقال الشهيد في مجموعته - كما حكاه عنه محمّد بن عليّ الجبعي :-

أنشدني السيّد أبو محمّد عبدالله بن محمّد الحسيني (أدام الله إفضاله وفوائده)
لابن الجوزي:

أقسّم بالله وآلئه	أليّة ^٣ ألقى بها ربّي
إنّ عليّ بن أبي طالبٍ	إمام أهل الشرق والغرب
من لم يكن مذهبه مذهبي	فإنّه أنجس من كلب

فعارضته:

لأنّه صيّنو نبيّ الهدى	من سيفه القاطع في الحرب
وقد وقاه من جميع الردى	بنفسه في الخضب والجذب
والنصّ في القرآن في «إِنَّمَا	وَلِئِيكُمْ» كافي لذي لبّ
مَنْ لم يكن مذهبه هكذا	فإنّه أنجس من كلب ^٤

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٧٦. ووردت ترجمته في أمل الآمل، ج ٢، ص ٢٣٥.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩١، ١٩٢؛ وانظر رياض العلماء، ج ٥، ص ٤٧٧؛ أعيان الشيعة، ج ٨، ص ٦٩؛
الحقائق الراهنة، ص ١٢٣-١٢٤.

٣. «أليّة: الحلف... والجمع: ألياء، مثل عطية وعطايا» (المغرب، ص ٢٠، «أل و»).

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٧-١٨.

وللوقوف على سائر مشايخ الشهيد من علماء الشيعة راجع بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ١٤، ١٦، ٢١، ٢٣، ٢٩، ٣٠. الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم: خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٧-٤٤٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٠٢-٤٠١، ط. الجديدة؛ حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٤١-٤٤؛ روضات الجنّات، ج ٥، ص ٥٩٠.

(ب) أساتذته ومشايخه من علماء السنّة

١. القاضي برهان الدين إبراهيم بن جماعة.

قال الشهيد في إجازته لابن الخازن:

وأما مصنفات العاتمة ومروياتهم فإنّي أروي عن نحو من أربعين شيخاً من علمائهم... وقرأت الشاطبية على جماعة، منهم قاضي قضاة مصر برهان الدين إبراهيم بن جماعة، عن جدّه بدرالدين ...^١

وقال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة:

-ورأيت أنا بخطّ الشهيد على ظهر نسخة للشاطبية إجازةً لولديه محمّد وعليّ، ذكر فيها أنّه رواها لهما عن عدّة من المشايخ قراءةً وإجازةً... منهم قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة بحقّ قراءة تي عليه ببيت المقدس... قال: «والولدان (وقهّما الله تعالى توفيق العارفين) يشاركان في هذه الرواية عن قاضي القضاة إجازةً لهما ولأخيها أبي منصور الحسن»^٢.

وقال الجباعي في مجموعته:

سؤال للشيخ شمس الدين ابن مكيّ للقاضي ابن جماعة: «ما قول مولانا وسيّدنا الإمام العلامة، قاضي القضاة (أجلّه الله تعالى وأسماه) في رجل مات وعليه دينٌ لأحد ورثته، هل يسقط من دينه ما يلزم أداؤه من ذلك الدين لو كان لأجنبيٍّ أم لا؟ وبتقدير السقوط هل يؤثّر في نقصان مجموع المأخوذ أم لا؟ فقد حكى بعض الأفاضل مصير بعض العلماء إلى كلّ واحدٍ من أقسام المنفصلة، وتوجيه ذلك ممّا يعسر على غير المولى الإمام برهان الدنيا والدين ...^٣

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٠-١٩١.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٥٥-٥٦.

٣. مجموعة الجباعي، الورقة ١٧٨ ب.

أقول: الظاهر أنه هو الذي شارك في محاكمة الشهيد وإراقة دمه^١، كما سيأتي تفصيله في بحث استشهاد الشهيد. قال الزركلي في ترجمته:

ابن جماعة (٧٢٥ - ٧٩٠)

إبراهيم بن عبدالرحيم بن محمّد، ابن جماعة الكناني أبو إسحاق برهان الدين، الحموي الأصل، المقدسي الشافعي. مفسّر من القضاة... وولي قضاء دمشق والخطابة بها ومشيخة الشيوخ... وتوفّي شبه الفجأة ودفن بالمزة ظاهر دمشق^٢.

٢. قاضي القضاة عزّ الدين عبدالعزيز بن جماعة.

قال الشهيد في إجازته لابن الخازن:

ورويت كتاب الكشاف لجار الله العلامة أبي القاسم محمود الزمخشري عن جماعة كثيرة، منهم قاضي قضاة مصر عزّ الدين عبدالعزيز بن جماعة...^٣.

وقال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة:

... ووجدت بخطه [أي الشهيد] أيضاً ما صورته: «قال العبد الفقير إلى الله محمّد بن مكّي (أعانه الله على طاعته): إنّه قد أجاز لي في يوم السبت الثاني والعشرين من ذي الحجّة سنة أربع وخمسين وسبعمائة بطيّبة مدينة الرسول (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) إجازةً عامّةً بجميع معقوله ومنقوله تلقّظ بها مولانا الأعظم قاضي قضاة الديار المصرية عزّ الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بمصر بدرالدين محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن عليّ بن جماعة بن حازم بن صخر الكناني الشافعي ...»

وكذلك في التاريخ المذكور بالمدينة المشرفة أجاز لي المولى المسند العلامة المؤرّخ عفيف الدين عبدالله ...

وأجازا في ذلك التاريخ لمولانا السيّد العلامة الحسيب النسيب تاج الدين أبي عبدالله بن معيّة، ولمولانا السيّد الفقيه العلامة جمال الدين بن أبي طالب محمّد ابن شيخنا عميد الدين ولثمانية أنفس آخرين».

١. انظر أيضاً مجالس المؤمنين، ج ١، ص ٥٧٩.

٢. الأعلام، ج ١، ص ٤٦ - ٤٧.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩١.

ووجدت بخط السيد تاج الدين بن مَعِيَّة تحت خط شيخنا الشهيد ما هذه صورته: «ما ذكره مولانا المولى الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل المحقق العلامة شمس الملة والحق والدين صحيح، وورد علينا خط هذين الشيخين العالمين المذكورين بتاريخ المحرم سنة خمس وخمسين وسبعماية. وقد كتبنا بذلك من المدينة (شرفها الله تعالى) بالتاريخ المذكور، وذكر القاضي الأعظم عز الدين بن جماعة في خطه أن مولده في المحرم أربع وتسعين وستمئة»^١.

وقال ابن مَعِيَّة في إجازته للسيد شمس الدين محمد بن أحمد شيخ الشهيد: ومما يصح له روايته عني عن أقصى القضاة بدمشق عز الدين عبد العزيز ابن القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعيد بن جماعة جميع ما يصح روايته عن حسب ما تلقف لي به وأطلق خطه بمدينة الرسول (على مشرفها السلام) في ثاني عشرين ذي الحجة سنة أربع وخمسين وسبعماية^٢.

وقال الزركلي في ترجمته:

ابن جماعة (٦٩٤-٧٦٧)

عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الحموي الأصل، الدمشقي المولد، ثم المصري، عز الدين الحافظ، قاضي القضاة. ولي قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩، وجاور بالحجاز فمات بمكة...^٣.

٣. جمال الدين أبو أحمد عبد الصمد بن الخليل البغدادي^٤.

قال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة:

وذكر شيخنا الشهيد الأول... أنه يروي مصنفات العامة ومروياتهم عن نحو من أربعين شيخاً من علمائهم...^٥. ومن جملة من يروي عنه منهم الشيخ الجليل العالم الكبير جمال الدين أبو أحمد عبد الصمد بن الخليل البغدادي شيخ دار الحديث بها. وقد رأيت

١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٠-٧٢.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٧٦.

٣. الأعلام، ج ٤، ص ٢٦.

٤. وردت ترجمته في ربحانة الأدب، ج ٤، ص ٣٩٩.

٥. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٠.

إجازته له بخطّ المجيز، وهو من الجودة والحسن في الغاية. وكان هذا الشيخ جليل القدر، واسع الرواية؛ فأحبتُ إيراد نبذةٍ من كلامه فيها، قال بعد الحمد والصلاة:

«يقول العبد الفقير المحتاج إلى الرحمة، عبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل بن إبراهيم بن الخليل، قارئ الحديث النبوي ببغداد: قد أجزتُ للشيخ الإمام العلامة الفقيه البارح الورع الفاضل الناسك الزاهد شمس الدين أبي عبدالله محمد بن مكّي بن محمد، كاتب الاستدعاء بخطّه الشريف (زاده الله تعالى توفيقاً، ونَهَجَ له إلى مَحَجَّةِ الفوز طريقاً) أنْ يرويَ عَنِّي جميعَ ما يجوز لي وعَنِّي روايته مِمَّا قرأته أو سمعته يُقرأ أو نُؤولته أُجيزتُ لي روايته أو كُتِبَ به إليّ أو وجدته أو صَنَّفته من كتاب أو نظمته من شعر أو أنشأته من خطبة أو رسالة أو فضل وعظي أو مقامة، وكلّ ما صحَّ ويصحَّ عنده أنّه ممَّا يجوز روايته عَنِّي فله روايته عَنِّي، وقد تَلَفَظْتُ له بذلك.

وممَّا صَنَّفته الإكسير في التفسير - وهو مختصر رموز الكوز - وعيون العين في الأربعين، وكمال الآمال في بيان حال المآل، وزين القصص في تفسير أحسن القصص - فسرتُ فيه سورة يوسف باستقصاء - وأخفاء الأصفياء، والرعاية بحال الرواية في علوم الحديث... ونظمت في مدح النبي ﷺ نحواً من سبعين قصيدة، منها ما يزيد على مائة بيت...»^١.

٤. محمد بن يوسف القرشي الكرمانى الشافعى الملقب بشمس الأئمة وصاحب شرح صحيح البخاري المعروف والموسوم بـالكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري. ولد عام ٧١٧ وتوفي عام ٧٨٦^٢. أجاز الشهيد عام ٧٥٨ ببغداد، وإليك نصّ إجازته:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة على رسوله محمد وآله.

وبعد، فقد استجاز المولى الأعظم الأعلّم، إمام الأئمة، صاحب الفضلين، مجمع المناقب والكمالات الفاخرة، جامع علوم الدنيا والآخرة، شمس الملة والدين محمد ابن الشيخ العالم جمال الدين مكّي بن شمس الدين محمد دمشقي (رزقه الله في أولاه وأخراه

١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٢ - ٧٣.

٢. وردت ترجمة ومصادر ترجمته في الأعلام، ج ٧، ص ١٥٣؛ ونفحات الأزهار، ج ٦، ص ٢١٠ - ٢١١؛ وفرهنگ نامه رجال علمي ومشاهير فرهنگي کرمان، ص ٢٦٤ - ٢٧٣.

ماهو أولاه وأحراه) روايةً مالي فيه حق الرواية، لاسيما الكتب الثلاثة التي صنفها أستاذ الكل في الكلّ عضد الملة والدين عبدالرحمن ابن المولى السعيد زين الدين أحمد بن عماد الدين عبدالغفار الإيجي (رؤح زمنه وقُدس نفسه): المواقف السلطانية والفوائد الغيائية وشرح مختصر المنتهى ...

فاستخرتُ الله وأجزتُ، على أنني ماكنتُ أهلاً لذلك، ولكن جرى عهد قديم لذلك لفظاً كتابةً لا كتابةً كتابةً، فله أن يروي عني ما ثبت عنده أنه من مروياتي من صاعه ومُدّه، أو من نتائج فكر أنا أبو عذره، وإن كنتُ فيه مُزجاةً البضاعة، على شرائطها المعتبرة عند أهل الصناعة. والمأمول منه أن لا ينساني في دعواته عند مظان إجاباته (بلّغه الله وإيتانا إلى المطالب ورفع درجته إلى المراتب).

وإني أخذتُ العلومَ الثقيلةً من والدي وشيخي المولى السعيد بهاء الدين يوسف (أعلى الله مكانه ومكانته) والعلوم العقلية من صاحب الكتب الثلاثة (قُدس الله نفسه) وعلم الأحاديث من مشايخ مصر والشام، كما أن أسماء هم وأنسابهم وأستاديتهم مذكورة في مشيختي.

نقّه العبد المفتقر إلى الله محمّد بن يوسف بن عليّ بن محمّد بن سعيد بن محمّد القرشي أصلاً الشافعي مذهباً الكرمانى مولداً الملقّب بشمس الأئمة (آتاه الله خير الدارين ورفع منزلته في المراتب [كذا، ظ: المرتبتين]) في أوائل جمادى الأولى لسنة ثمان وخمسين وسبعمائه بمدينة السلام بغداد، بمنزلي المعهود في درب المسعود، حامدين لله مصلّين على محمّد أفضل الصلاة والسلام^١.

٥. ملك النحاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الحسن الحنفي النحوي فقيه الصخرة الشريفة ببيت المقدس، روى الشهيد عنه الخلاصة المالكية^٢.

٦. شرف الدين محمّد بن بكتاش التستري البغدادي الشافعي مدرّس المدرسة النظامية، روى عنه الشهيد صحيح البخاري وصحيح مسلم^٣.

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٣ - ١٨٤.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٩، إجازة الشهيد لابن نجدة.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٠، إجازة الشهيد لابن نجدة.

٧. ملك القراء والحفاظ شمس الدين محمد بن عبد الله البغدادي الحنبلي، روى عنه الشهيد صحيح البخاري^١ والشاطبية وقرأها عليه^٢.
٨. فخر الدين محمد بن الأعزّ الحنفي، روى عنه الشهيد صحيح البخاري^٣.
٩. شمس الدين أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن المالكي المدرّس بالمستنصرية، روى عنه الشهيد صحيح البخاري^٤.
١٠. ابن اللبّان الدمشقي أبو المعالي محمد بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن جامع (٧١٥-٧٧٦)، كما ذكره الجزري^٥.
- واعلم أنّ الجزري قال في ترجمة الشهيد: «وقرأ القراءات على أصحاب ابن مؤمن»^٦. وذكرنا أصحاب ابن مؤمن نقلاً عن الجزري^٧ في الفصل العاشر من هذا الباب ذيل كلام الجزري، فراجع.
- وللوقوف على سائر مشايخ الشهيد من علماء العامة انظر حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٤٥-٤٧؛ بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٤٦-١٧١؛ الإجازة الكبيرة للشهيد الثاني؛ وج ١٠٩، ص ٣-٧٩، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.



ثمّ اعلم أنّ العلامة السيّد حسن الأمين رحمته الله قال:

أما أساتذته في غير العراق فقد ذكر [في] بعض إجازاته أنّه يروي عن أربعين شيخاً من غير الشيعة، ولم يصل إلينا من أسمائهم غير اسم الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف القرشي الشافعي الكرمانى^٨.

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٠، إجازة الشهيد لابن نجدة.
٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩١، إجازة الشهيد لابن الخازن.
- ٣ و ٤. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٠، إجازة الشهيد لابن نجدة.
٥. غاية النهاية، ج ٢، ص ٧٢-٧٣. وانظر ترجمة ابن اللبّان في الفصل العاشر من هذا الباب، ذيل كلام الجزري.
٦. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.
٧. وانظر غاية النهاية، ج ١، ص ٤٢٩-٤٣٠.
٨. الشهيد الأول، ص ٨٦.

أقول: وهذا سهو بين؛ فقد ذكرنا أسماء تسعة شيوخ من مشايخه من غير الشيعة.

وقد تحمّل الإمام الشهيد الأول خاصّةً، وعلماء السلف عامّةً، في سبيل طلب العلم من المشاقّ الكثيرة التي لا تقدر على حملها طلاب العلم الديني اليوم. وهي مشاقّ نسخ الكتب وندرة وجودها، ومشاقّ السفر والتنقّل؛ إذ لم تكن في ذلك العهد وسائل النقل وأسباب الراحة وآلات الطبع ودور النشر ومكاتب للمطالعة... وغير ذلك ممّا فيه مساعدة لطلب العلم وتسهيل دراسته وتحصيل علومه وكتابة دروسه وتهيئته سفره وإخراج كتبه، كما هو الحال اليوم.

والعالم الديني أمس لم يكن في الغالب محصوراً في مدينةٍ خاصّة كالنجف والأزهر وقم اليوم، وإنّما كانت هيئات علمية متفرّقة في أقطار المسلمين ومدنهم، وبيت كلّ عالم مدرسة تحفّ حولها الطلابُ وتقصد إليه من أماكن مختلفة وبلدان بعيدة. فكان الطالب الديني الذي يريد زيادة العلم... يقصد كلّ عالم سمع به وعرف بالتحقيق والتدقيق، كما كان يفعل الإمام الشهيد الأول...^١

الفصل الثامن تلامذته والرايون عنه

قرأ على الشهيد الأوّل عدد كبير من العلماء في كثير من البلدان، وتخرّج عليه فقهاء كبار وعلما عظام. قال المحدث النوري (نور الله مرقدته):

اعلم أنّ طرق إجازات علمائنا على كثرتها وتشتتها تنتهي إلى هذا الشيخ العظيم الشأن، ولم أعر على طريق لا تمرّ عليه إلّا على قليل أشار إليه صاحب المعالم في إجازته^١.

وقال المحدث القميّ رحمته:

ومن تأمل إلى طرق إجازات علمائنا على كثرتها وتشتتها وجد جُلّها أو كلّها تنتهي إلى هذا الشيخ المعظم^٢.

وإليك أسماء بعض تلامذته والمجازين منه:

١. جمال الدين المقداد بن عبدالله السّيوري الحلّي المعروف بالفاضل المقداد (م ٨٢٦)٣.
وسياتي كلام الشهيد بشأنه في البحث عن مؤلفاته وآثاره العلمية في ذيل أجوبة مسائل الفاضل المقداد. وهو يروي عن الشهيد^٤.

٢. شمس الدين أبو جعفر محمّد بن تاج الدين أبي محمّد عبدعلي بن نجدة الكركي.
أجازته الشهيد في عاشر شهر رمضان سنة سبعين وسبعمئة، ونقلت هذه الإجازة في مجلّد

١. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣١١، ط. الجديدة.

٢. الكنى والألقاب، ج ٢، ص ٣٤٦.

٣. وردت ترجمته في الضياء اللامع، ص ١٣٨ - ١٤٠.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٥٠، الإجازة الكبيرة للشهيد الثاني؛ وج ١٠٩، ص ٤٩، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.

إجازات البحار^١. وسيأتي في الباب الثاني وصف الشهيد له في هذه الإجازة والكتب التي قرأها على الشهيد.

ونقل الجباعي في مجموعته مكاتبة الشهيد له حيث قال :

من مكاتبة الشيخ السعيد الشهيد شمس الدين محمد بن مكّي تهنئة لتلميذه شمس الدين محمد بن عبدالعلي الكركي :

قدمت بطالع السعد السعيد وحيّاك القريبُ مع البعيدِ
وأخَيَّت القلوب وكان كُلُّ من الأصحاب بعدك كالفقيدِ ...
ورُزَّت المصطفى وبنيه حتّى وصلت إلى المكارم والسعودِ ...
وإنسي مُسْفِقٌ والعزمُ منّي لقاءك من قصيرٍ أو مديدٍ^٢

ونقل الجباعي في مجموعته مطالب في صفحة وقال في آخرها: «كتبتُ من خطّ الشيخ

شمس الدين محمد بن عبدالعلي بن نجدة الكركي»^٣. وقال الجباعي أيضاً :

- مات محمد بن عبدالعلي بن نجدة سنة ثمان وثمانمائة، ومات ولده أحمد سنة اثنين وخمسين وثمانمائة^٤.

- تُوفِّيَ الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالعلي (تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحه جنته بمحمد وآله وعترته صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين) في شهر شعبان سنة ثمان وثمانمائة هجرية نبوية (على مشرفها السلام)^٥.

٣. زين الدين أبو الحسن علي بن عزّ الدين الحسن بن محمد الخازن الحائري^٦. أجازه الشهيد في دمشق ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤، ونُقِلت هذه الإجازة في مجلّد إجازات البحار^٧.

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٣-٢٠١، وسيأتي منها في الفصل الثاني من الباب الثالث.

٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٨ ألف؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٩؛ تكملة أمل الآمل، ص ٣٤٨.

٣. مجموعة الجباعي، الورقة ١٨٥ ب.

٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٨٤ ألف؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٩.

٥. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧ ألف؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٨؛ تكملة أمل الآمل، ص ٣٤٨-٣٤٩. وانظر ترجمة ابن نجدة في الضياء اللامع، ص ١٢٤-١٢٥.

٦. وردت ترجمته باختصار في الحقائق الراهنة، ص ١٣٧؛ ربحانة الأدب، ج ٧، ص ٤٩٢.

٧. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧-١٩٢، وسيأتي منها بتمامها في الفصل الثاني من الباب الثالث.

أجاز ابنُ الخازن لابن فهد الحلبي رحمته، وأورد في إجازته إجازةَ الشهيد له بتمامها، وقال بعد إيرادها:

إلى هنا انتهى صورة ما حرّره وإجازة ما كتبه (عظم الله أجره، وعوّضه عمّا وصله بمحمّدٍ وعترته).^١

٤. شمس الدين محمد بن عليّ بن موسى بن الضحّاك الشامي^٢. قال الجباعي في مجموعته: تُوفّي إلى رحمة الله الشيخ الإمام العالم، الفقيه الأديب، شمس الدين محمد بن عليّ بن موسى بن الضحّاك الشامي أحد تلامذه الشيخ الفاضل العالم شمس الدين بن مكّي ثامن عِشري شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمئة (رحمه الله وحشره مع أمّته). وكان هذا الشيخ من العلماء العقلاء وأولاد المشايخ الأجلّاء، ورفيق شيخه ابن مكّي أوّل اشتغاله بالحلّة. وكان للشيخ الإمام فخر الدين بن المطهرّ به خصوصية، وكان اشتغاله على شيخه ابن مكّي إلى حين مقتله، وكان يُعظّمه جدّاً ويشير إليه. وله مباحثات حسنة وأبيات وأشعار رائقة رقيقة مشهورة^٣.

٥. الشيخ زين الدين أبو الحسن عليّ بن بشارة العاملي الشقراوي الحنّاط. قال الطهراني (طاب ثراه) في البحث عن إجازات العلماء:

إجازة شيخنا السعيد الشهيد... كتب هذه الإجازة لجماعةٍ من العلماء الذين قرؤوا عليه علل الشرائع للشيخ الصدوق، وهي بخطّه كانت عند صاحب الرياض... تاريخها ثنائي عشر شعبان سنة ٧٥٧. والعلماء المجازون هم: الشيخ جمال الدين أحمد... والشيخ عزّ الدين أبو محمد... والشيخ عزّ الدين أبو عبد الله... والفقيه عزّ الدين الحسين... والشيخ زين الدين... والسيد أبو عبد الله...^٤

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢١٨.

٢. وردت ترجمته باختصار في الحقائق الراهنة، ص ١٩٦؛ وأعيان الشيعة، ج ١٠، ص ١٨؛ ورياض العلماء، ج ٧، ص ١٥٩ - ١٥٠.

٣. مجموعة الجباعي، الورقة ١٨٤ ألف؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٩. وانظر بعض أشعاره في الفصل الثالث من الباب الثالث، قافية القاف.

٤. الذريعة، ج ١، ص ٢٤٧. وسيأتي نصّ كلام الطهراني بهذا الشأن في البحث عن إجازات الشهيد.

وقال الشيخ محمد رضا شمس الدين بعد الإشارة لهذه لإجازة:
... وفيها بعد أن عدَّد أسماء ستّة منهم... قال: «وآخرون كثيرون». فهذا وغيره يدلّ على
كثيرة المتلمذين عليه، وأنهم أضعاف المعروفين من تلامذته^١.

قال الطهراني في ترجمة الشيخ زين الدين الشقراوي:
من تلاميذ محمد بن مكيّ الشهيد... والمجاز منه... مع خمسة آخرين من العلماء الذين
قرؤوا عليه على الشرائع، فكتب لهم الإجازة في ثاني عشر شعبان ٧٥٧. وكان
صاحب الترجمة أول من ذكرهم، ووصفه بقوله: «الشيخ الأجلّ العالم، العامل الفاضل،
الفيقه الكامل، الزاهد العابد، زين الدين أبو الحسن عليّ بن بشارة العاملي
الشقراوي الحنّاط»^٢.

٦. جمال الدين أحمد بن إبراهيم بن الحسين الكسرواني^٣. قال الطهراني في ترجمته:
من تلاميذ الشهيد والمجاز منه مع جمع من العلماء في ثاني عشر شعبان ٧٥٧... ووصفه
في الإجازة بـ«الشيخ الفقيه الزاهد العابد جمال الدين أحمد... إلخ». وصورة الإجازة
موجودة في الرياض^٤.

٧. الشيخ عزّ الدين أبو عبد الله حسين بن عليّ العاملي. قال الطهراني في ترجمته:
من تلاميذ الشهيد الأول وثالث الستّة المجازين منه في إجازة واحدة تاريخها ثاني
عشر شعبان ٧٥٧، كتبها على ظهر علل الشرائع ووصفه فيها بـ«الشيخ الفقيه العالم،
العامل الكامل، عزّ الدين... إلخ». وصرّح بأنّه قرأ عليه أكثر العلل^٥.

٨. الفقيه عزّ الدين الحسين بن محمد بن هلال الكركي. «وهو رابع العلماء المجازين الستّة

١. حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٥٤، الهامش.

٢. الحقائق الراهنة، ص ١٣٥؛ وانظر رياض العلماء، ج ٣، ص ٣٤٧؛ تكملة أمل الآمل، ص ٢٨٥.

٣. ذكره الطهراني في الحقائق الراهنة، ص ٤ بعنوان «الكرواني». وقال العلامة السيّد الأمين في أعيان الشيعة،
ج ٢، ص ٤٨٣ - ٤٨٤: «هكذا وجدناه... والظاهر أنّه مصحّف من الكوثراني نسبة إلى الكوثرية قرية من قرى
جبل عامل...». وورد في تكملة أمل الآمل، ص ٩٠: «الكوثراني العاملي». والصواب: «الكسرواني» نسبة إلى
كسروان من جبل لبنان؛ انظر جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٥٨.

٤. الحقائق الراهنة، ص ٤. أقول: سيأتي نصّ هذه الإجازة في الفصل الثاني من الباب الثالث.

٥. الحقائق الراهنة، ص ٥٧؛ وانظر أعيان الشيعة، ج ٦، ص ١١٩؛ تكملة أمل الآمل، ص ١٨٧.

منه»^١. قال العلامة السيّد الأمين في ترجمته:

عالم فاضل فقيه... كتب له الشهيد إجازة ولجماعة غيره من العلماء وهم ستة مع المترجم... ووصّفه فيها بـ«الفقيه»^٢.

٩. السيّد شمس الدين أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن زهرة الحسيني الحلبي. قال الطهراني في ترجمته:

أحد العلماء المجازين عن الشهيد في ثاني عشر شعبان ٧٥٧ في إجازة واحدة. ووصّف المترجم له فيها بـ«الفقيه العالم الفاضل المحقق الورع... إلخ». ورأيتُ بخط المترجم له إجازةً وإنهاءً كتبه لبعض تلاميذه على تحرير القواعد [كذا، والصواب: تحرير الأحكام أو قواعد الأحكام] للعلامة الحلبي بعد قراءة التلميذ عليه في مجالس آخرها خامس... من ٧٥٧. وقد تمزّق بعض كلماته، يقرأ منها ما ذكرت. والنسخة موجودة عند هبة الدين الشهرستاني...^٣

١٠. الشيخ عزّ الدين أبو محمّد حسن بن سليمان بن محمّد الحلبي العاملي، مؤلّف مختصر بصائر الدرجات، المطبوع في النجف الأشرف. أجاز له الشهيد ولجماعة غيره ثاني عشر شعبان عام ٧٥٧^٤. ووصفه الشهيد في إجازته:

الشيخ الصالح الورع الديّن العدل عزّ الدين أبي محمّد الحسن بن سليمان بن محمّد الحلبي المولد، العاملي المحتد^٥.

كان حيّاً سنة ٨٠٢. كتب في إجازته عليّ ظهر نسخة من الخصال للشيخ الصدوق، لبعض تلاميذه وهو الشيخ حسين بن محمّد الجوّيّاني العاملي:

... وأذنتُ له في روايته عنّي عن شيخي الشيخ الفقيه العالم الشهيد وليّ آل محمّد (صلوات الله عليهم) أبي عبدالله محمّد بن مكّي الشامي، عن شيخه السيّد عميد الدين...

١. الحقائق الراهنة، ص ٥٩.

٢. أعيان الشيعة، ج ٦، ص ١٦٨. وانظر مع موسوعات رجال الشيعة الإمامية، ج ٢، ص ٤٧٣.

٣. الحقائق الراهنة، ص ٢٠٢.

٤. الحقائق الراهنة، ص ٤٠ - ٤١؛ الذريعة، ج ١، ص ٢٤٧؛ وج ٢٠، ص ١٨٢ - ١٨٣.

٥. تكملة أمل الآمل، ص ١٤٩.

وكتب عبدالله حسن بن سليمان بن محمد في الثالث والعشرين من شهر المحرم الحرام سنة ٨٠٢ هجرية، والحمد لله وحده^١.

١١. أحمد بن الحسن بن محمود. قال الطهراني (طاب ثراه):

الظاهر بل المظنون أنه كان شيخاً يسكن جبل عامل، وكان تلميذ الشهيد محمد بن مكّي سنة شهادته ٧٨٦، ويقراً عليه تصانيفه، وكان يكتب كل ما يخرج من كتاب الذكرى ...^٢.

أقول: قال الشهيد الثاني في نسخة الأصل من الفوائد المليّة (الورقة ١٢٠) بشأنه نقلاً عن خطّ ولد الشهيد عليّ:

توفّي الشيخ جمال الدين أحمد بن حسن بن محمود الأطراوي - وكان من أكبر تلامذة الوالد ومعلّمنا القرآن والعربية والآداب، وكان عالماً فاضلاً تقيّاً - توفّي بمكة لما كان مجاوراً بها في تاسع شهر المحرم سنة سبع وثمانمائة.

١٢. الشيخ صفّي بن محمد بن عليّ بن الحسن الجرجاني العاملي نزيل جزّين. قال العلامة السيّد حسن الصدر رحمته الله:

كان من تلامذة الشهيد الأول، رأيت كنز الفوائد في شرح مشكلات القواعد للسيّد عميد الدين أستاذ الشهيد بخطّه. قال في آخر الجزء الأول: «تمت كتابة هذا النصف - من نسخة منقولة من خطّ شيخنا المعظم وإمامنا الأعظم، قدوة العلماء في العالم، قبله فضلاء بني آدم، فريد الدهر ووحيد العصر، مولانا شمس الملة والدين، محمد بن مكّي (دام ظلّه) وهو نقلها لنفسه من خطّ المصنّف رحمته الله - وقت الضحى يوم الأحد خامس ذي الحجّة الحرام سنة أربع وثمانين وسبعمائة في قرية جزّين، حامداً لرّبّه ومصلياً على

١. أعيان الشيعة، ج ٥، ص ١٠٦؛ مخطوطة كتاب الخصال المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي، الرقمة ٤٢٧٥، ذكرت في فهرسها، ج ١١، ص ٢٧٦. انظر ترجمته في أعيان الشيعة، ج ٥، ص ١٠٦ - ١٠٧، والضياء اللامع، ص ٣٤، وأمّسّل الأمّسّل، ج ٢، ص ٦٦، ١٤٥، وروضات الجنّات، ج ٢، ص ٢٩٣، والفوائد الطريفة، ص ٣٧٩، وخاتمة مستدرک الوسائل، ج ٥، ص ١٩٩ وفهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مرکزی، ج ٥، ص ١٥٧٣ - ١٥٧٨.

٢. الحقائق الراهنة، ص ٦. وانظر ما سيأتي في البحث عن تأليفات الشهيد وأثاره العلمية في ذيل عنوان «ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة» في الفصل الأول من الباب الثالث.

نبيّه وآله. والكاتب المالك صفّي بن محمّد (غفر الله له ولوالديه). وكتب في آخر الجزء الثاني: «تمّ كتبه لنفسه من يد العبد الضعيف الراجي إلى الله اللطيف صفي بن محمّد بن عليّ بن الحسن الجرجاني ليلة الثلاثاء الرابع من محرّم الحرام في قرية جزّين من بلاد الشام سنة خمس وثمانين وسبعمائة، نسخة ثانية منقولة عن خطّ المصنّف»^١.

١٣. الشيخ شمس الدين محمّد بن مجاهد.

ذكره العلامة السيّد حسن الصدر فقال:

الشيخ شمس الدين بن مجاهد العاملي. عالم فاضل فقيه، من أجلاء أصحابنا، تلميذ الشهيد الأول محمّد بن مكّي، والرواي عنه كتاب الدروس بالخصوص. ويروي عن صاحب الترجمة الشيخ سليمان العينائي المتقدّم ذكره^٢.

وقال الطهراني في ترجمة محمّد العينائي: «يروي عن سليمان العينائي عن شمس الدين بن مجاهد عن الشهيد^٣: وفي مكتبة الإمام الحكيم العامّة في النجف الأشرف مخطوطة باسم أجوبة مسائل محمّد بن مجاهد، يأتي البحث عنها في «الباب الثالث: مؤلّفات الشهيد وآثاره العلمية».

١٤. الشيخ إسماعيل الزراري، نسبة إلى «الزرارية» بلدة في جبل عامل^٤. ويقع حصن اليالوشي في قرية المغيريه شرقيّ بلدة الزرارية^٥. يروي عن الشهيد أربع مسائل فقهية و مسائل تراجم الحقوق.

واعلم أنّه ذكر في المصادر بأحاء مختلفة، أعني: «إسماعيل الرازاني»^٦، «الرزاني»^٧،

١. تكملة أمل الآمل، ص ٢٤٤-٢٤٥.

٢. تكملة أمل الآمل، ص ٢٣٠، وانظر رياض العلماء، ج ٧، ص ١٥٠.

٣. الضياء اللامع، ص ١٢٦.

٤. انظر تاريخ الزرارية والبلاد العاملية ماضياً وحاضراً وتطلّعات، لخليل شرف الدين، ص ٧٦؛ معجم قرى جبل عامل، ج ١، ص ٣٥٢.

٥. انظر تاريخ الزرارية والبلاد العاملية ماضياً وحاضراً وتطلّعات، لخليل شرف الدين، ص ٧٦.

٦. الضياء اللامع، ص ١٧٠، ١١٧؛ طبقات الفقهاء، ج ٩، ص ٢٠٨.

٧. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٤١؛ رياض العلماء، ج ٧، ص ١٠٣.

«الدارني (خ ل: الوارني)»^١، «الزرائي»^٢، «الرازقي»^٣. وقال العلامة الأمين نقلاً عن الرياض: ... والظاهر أنّ الرازاني - بفتح الراء المهملة ثمّ الألف والزاي والنون نسبة إلى «رازان» من قري جبل عامل. انتهى.

وهو سهو؛ فإنّه ليس في جبل عامل قريه بهذا الاسم، بل هو نسبة إلى «رازان» - براء و ألف وزاي و نون - قرية من قُرى إصفهان ذكرها ياقوت في معجم البلدان^٤.

وعده الشيخ جعفر المهاجر (حفظه الله سبحانه) من تلامذة الشهيد الإيرانيين، فقال: إسماعيل الرازاني. ورازان قرية من قري أصفهان، وأيضاً محلّة في بروجرد، مدينة إيرانية، فهو على الحالين إيراني بقدر ما تدلّ نسبته^٥.

أقول: الظاهر أنّ الصواب «الزراري» نسبة إلى «الزرارية» بلدة في جبل عامل كما سبق، وكيفما كان، قال صاحب الرياض في وصفه:

كان من مجتهدی الأصحاب وأرباب الفتاوى. وكان معاصراً لابن سليمان كما يظهر من بعض التعليقات على الدروس^٦.

وقال في ترجمة الشيخ أبو القاسم ابن طيّ:

... وقد يروي عن الشيخ إسماعيل الرازاني تلميذ الشهيد أيضاً، ولكن بواسطة الشيخ أبي جامع المذكور^٧.

وقال السيّد الصدر في ترجمة الشيخ حسين بن عليّ [بن زين العابدين] بن حسام الدين العاملي العيناثي:

... رأيت له إجازة كتبها للسيّد الأجل السيّد حسين ابن السيّد مرتضى الحسين عليه السلام سنة ٨٧٣، يروي فيها عن الشيخ أبي طالب الدراني [كذا]، عن أبيه [إسماعيل] عن الشيخ الشهيد... مصنّف البيان الذي كتب الإجازة في ظهره... ويروي أيضاً الدروس

١. الضياء اللامع، ص ٧٠: تكملة أمل الآمل، ص ١٨٧.

٢. طرائف المقال، ج ١، ص ٩٥.

٣. فهرس مخطوطات المكتبة المركزية لجامعة طهران، ج ١٠، ص ١٥٩.

٤. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٣٦٤.

٥. جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٥٩.

٦. رياض العلماء، ج ٧، ص ١٠٣.

٧. رياض العلماء، ج ٤، ص ١٥٨ - ١٥٩.

بالخصوص عن أخيه المذكور عن الشيخ سليمان العينائي عن الشيخ شمس الدين [بن] مجاهد عن المصنف ...
ويروي الشيخ حسين أيضاً عن الشيخ أبي طالب الدراني عن الشيخ الشهيد بلا واسطة أبيه^١.

١٥. السيد حسن بن أيوب الشهير بابن نجم الدين الأطراوي العاملي^٢.

١٦. السيد أبو طالب أحمد بن القاسم بن زهرة الحسيني، عالم فاضل جليل، يروي عن الشهيد^٣.

١٧. حسين بن محمد الوحيد البتديني نسبةً إلى قرية «بتدين اللقش» المجاورة لجزين. يروي عنه واقعة حصلت للشهيد في مدرسته، بينما هو يكتب ويؤلف كتاب الدورس، أي قبيل شهادته بسنوات قليلة^٤.

١٨. السيد محمد بن أحمد الموسوي البعلبكي، يروي كرامةً حصلت للشهيد في بعض أسفاره^٥.

١٩. محمد بن علي بن الوحيد البتديني. صاحب نسيم السحر ظاهراً، أي مصنف أصل مختصر نسيم السحر الذي بأيدينا^٦.

٢٠. أحمد بن نجار الذي تنسب إليه حاشية قواعد الأحكام المعروفة بالحاشية النجارية، يأتي ما وقفنا عليه من ترجمته في الفصل الأول من الباب الثالث، ذيل حاشية القواعد.

٢١. الشيخ رضي الدين أبو طالب محمد أكبر أبناء الشهيد^٧.

١. تكملة أمل الآمل، ص ١٨٧-١٨٨.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٥٠، الإجازة الكبيرة للشهيد الثاني؛ رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١١٦؛ تكملة أمل الآمل، ص ١١٩. وردت ترجمة ابن نجم الدين في الحقائق الراهنة، ص ٣٧-٣٨؛ وأعيان الشيعة، ج ٥، ص ٢٤-٢٦. وانظر ما سيأتي في البحث عن تأليفات الشهيد وآثاره العلمية في ذيل عنوان «أجوبة مسائل ابن نجم الدين الأطراوي».

٣. أمل الآمل، ج ٢، ص ٢١؛ رياض العلماء، ج ١، ص ٥٥؛ ربحانة الأدب، ج ٧، ص ٥٤٩.

٤. انظر مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق الكتاب.

٥. انظر مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق الكتاب.

٦. انظر مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق الكتاب.

٧. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠، ٥٥، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم؛ الذريعة، ج ١، ص ٢٤٨.

٢٢. الشيخ ضياء الدين أبو القاسم علي^١.

٢٣. الشيخ جمال الدين أبو منصور حسن^٢. وهو أصغر من أخويه.

٢٤. العالمة أم الحسن فاطمة الملقّبة بـ«سِتّ المشايخ» بنت الشهيد^٣.

وهناك بعض الأفاضل الذين كاتبوا الشهيد وكان بينهم مراودة ولعلّهم كانوا من تلاميذه.

ومنهم حسين بن أحمد المدني؛ فإنّه كما قال الجباعي في مجموعته:

كتب من مدينة الرسول ﷺ إلى الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي في حاجة رسالة
صورتها من صدرها:

إلى الشيخ شمس الدين أهدي تحيةً تُضارع ضَوْع المسك والمِسك عاطرُ
إلى مَعْدِن التقوى إلى مَعْدِن النهى إلى الروض طابَتْ مِنْ جنّاه الأزاهرُ
أشْبَع الله لديه العوارف، وصرف عن جنّابه الصوارف، وأبقاه شمساً للدين كما يُدعى،
وكمالاً للمؤمنين يُشيدُ أصلاً ويستنتج فرعاً.

العبد الداعي حسين بن أحمد^٤

وهناك بعض العلماء يحتمل أن يكونوا من تلامذة الشهيد، منهم: حسين بن محمّد

الجُوَيّاني^٥ العاملي^٥، قال في آخر مخطوطة لشرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني^٦ -
المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي^٧ في قم، برقم ٩٣٨٨، المذكورة في فهرسها،
ج ٢٤، ص ١٦٩ -:

ووافق الفراغ من كتابته على يد العبد الضعيف عملاً، الجسم أملاً، الكثير زللاً: حسين بن

محمّد بن الحسن الجُوَيّاني العاملي (عفا الله عنه وعن والديه وعن المؤمنين والمؤمنات)

١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠، ٥٥، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم؛ الذريعة، ج ١، ص ٢٤٨.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم؛ الذريعة، ج ١، ص ٢٤٨.

٣. أمل الآمل، ج ١، ص ١٩٣.

٤. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٤.

٥. جويّاي: قرية من قرى جبل عامل، انظر معجم قرى جبل عامل، ج ١، ص ٢١٢ - ٢١٥ والجُوَيّاني هذا من تلاميذ
الشيخ حسن بن سليمان الحلّي، وأجازه بخطه الشريف في سنة ٨٠٢ على ظهر نسخة من الخصال المحفوظة في
مكتبة آية الله المرعشي برقم ٤٢٧٥.

وذلك بالمدرسة المعروفة بمدرسة السيّد مرتضى (رحم الله مُنشئها) المجاورة لحرم مولانا وسيّدنا الإمام المفترض الطاعة على الخلق أجمعين، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه من الصلوات أتمها وأكملها، ومن التحيّات أزمها وأفضلها) وذلك يوم السبت قبيل العصر الحادي عشر من شهر جمادى الأولى من سنة إحدى وتسعين وسبعمئة، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده محمّد وآله وسلّم. والجدير بالذكر أنّه كتب نسخةً من الدروس للشهيد أيضاً وفرغ من كتابتها في الحادي عشر من ذي الحجّة عام ٧٩٨. وهذه النسخة محفوظة في مكتبة الإلهيات والمعارف الإسلاميّة بظهران برقم ١٦٣ ج، ذكرت في فهرسها (ج ١، ص ٥٤٩) وكتب أيضاً نسخةً من مهج الدعوات، للسيّد ابن طاوس وفرغ من كتابها عام ٧٨٩، وهذه النسخة محفوظة في مكتبة آية الله المرعشي، برقم ١٣٩١١/١.

ثمّ أعلم أنّ العلامة السيّد حسن الأمين قال في وصف تلاميذ الشهيد:

وهؤلاء هم ما بين حلّيّ وكرلائيّ ونجفيّ من المشاهير في فقههم وتآليفهم، تلقّوا العلم على الطالب العامليّ الذاهب لطلب العلم في سنّ هي دون العشرين^١.

أقول: هذا سهوٌّ بين؛ فإنّه كما سبق في الفصل الثالث ولد حوالي عام ٧٢٤، لا في ٧٣٤ كما هو المشهور؛ وثنياً فإنّ عدداً من هؤلاء كانوا من تلاميذه في أواخر عمره الشريف، كما علم ممّا سبق في هذا الفصل.

وللوقوف على سائر تلامذته راجع مصادر ترجمته^٢.



اعلم أنّ الشيخ آقا بزرك الطهراني (طاب ثراه) قال في ذكر شروح ألفية الشهيد:

شرح ألفية الشهيد، للشيخ جمال الدين أبي العباس أحمد ابن الشيخ شمس الدين محمّد بن فهد الحلّيّ تلميذ المؤلّف والمتوفّي ٨٤١^٣.

١. الشهيد الأول، ص ٨٦.

٢. منها حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٥٠-٥٦؛ الضياء اللامع، ص ١٤، ٧٠ وغير هذه الصفحات؛ روضات الجنّات، ج ٧، ص ٦-٩؛ تكملة أمل الأمل، ص ١٨٧-١٨٨، ٢٣٠؛ أعيان الشيعة، ج ٨، ص ١٧٧.

٣. الذريعة، ج ١٣، ص ١٠٨.

أقول: هذا سهوٌ بلا ريب؛ فلم يكن ابن فهد (م ٨٤١) تلميذ الشهيد، ولم أجد هذا القول لأحدٍ من العلماء قبل الطهراني، وإنما يروي ابن فهد رضي الله عنه عن بعض تلامذة الشهيد مثل ابن الخازن الحائري^١ وضياء الدين عليّ ولد الشهيد^٢.

ثمّ اعلم أنّ العلامة السيّد حسن الصدر قال في ترجمة ابن العشرة:

ويظهر من عوالي اللآلي [ج ١، ص ٩، ٧] أنّ له الرواية عن شيخنا الشهيد، والمعروف أنّه يروي عن الشيخ... أحمد بن فهد الحلّي^٣.

أقول: ما ذكره في العوالي سهوٌ بلا ريب، فإنّ ابن العشرة يروي عن الشهيد بواسطة ابن نجدة وضياء الدين عليّ أبي القاسم ولد الشهيد^٤.

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢١٧-٢١٨.

٢. انظر كشكول البحراني، ج ١، ص ٣٠٤؛ أعيان الشيعة، ج ٣، ص ١٤٧-١٤٨.

٣. تكملة أمل الآمل، ص ١٥٣.

٤. انظر تفصيل ذلك في الضياء اللامع، ص ٣٦-٣٧.

الفصل التاسع أولاده وزوجته

تفيد المصادر أنّ الشهيد خلف أربعة أولاد: ثلاثة ذكور صاروا من العلماء الأجلّاء، وبنثاً واحدةً صارت عالمةً فاضلةً اسمها فاطمة لُقِّبَتْ بـ«ستّ المشايخ^١» وكُنِّيَتْ بـ«أمّ الحسن». أما زوجته فكنيته «أمّ عليّ» وكانت بدورها عالمةً أيضاً. قال الشيخ الحرّ العاملي رحمته الله في ترجمتها:

أمّ عليّ زوجة الشهيد كانت فاضلةً تقيّةً عابدةً، وكان الشهيد يثني عليها ويأمر النساء بالرجوع إليها^٢.

أما أبناؤه فهم على الترتيب:

١. الشيخ رضي الدين أبو طالب محمّد^٣.
٢. الشيخ ضياء الدين أبو القاسم عليّ، وهو أفضلهم^٤.
٣. الشيخ جمال الدين أبو منصور حسن^٥.

١. في رياض العلماء، ج ٥، ص ٤٠٤: «الستّ: مخفّف «سيّدة» مع إدغام الدال في التاء، وهذا كما يقال: «ستّي» و «ستّي فاطمة»، والحال فيهما كذلك، وأصلهما: سيّدتيّ». ٢. أمل الآمل، ج ١، ص ١٩٣. ٣. انظر أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٤١٠ وما سيأتي في البحث عن مؤلّفات الشهيد وآثاره العلمية في ذيل «المسائل الفقهية».

٤. كتب شيخنا البهائي رحمته الله يظهر نسخة من الرعاية للشهيد الثاني رحمته الله: «توفي ولده [أي ولد الشهيد] ضياء الدين عليّ رحمته الله في شعبان سنة ستّ وخمسين وثمانمائة» (الرسائل الرجالية، ج ٢، ص ٥٢٨). ٥. وردت تراجمهم باختصار في أمل الآمل، ج ١، ص ٦٧، ١٣٤، ١٧٩ - ١٨٠؛ والضياء اللامع، ص ٤٣، ٩٩ - ١٠٠، ١٢١؛ الحقائق الراهنة، ص ٥٠؛ تكملة أمل الآمل، ص ٣١٣؛ طبقات الفقهاء، ج ٩، ص ١٧١ - ١٧٢.

اعلم أنه كتب الشهيد الثاني في نسخة الأصل من الفوائد المليّة، الورقة ١٢٠:

توفي الشيخ ضياء الدين عليّ ولد شيخنا ومولانا السعيد الشهيد محمّد بن مكّي في نهار الأربعاء عشرين من شعبان سنة ستّ وخمسين وثمانمائة.

وبخطّ الشيخ ضياء الدين عليّ: «توفيت الوالدة أمّ الفضل [ظ] بنت... السوراي من أهل مدينة الحلّة بقرية جبع - لما ارتحلنا من جزين إليها - [في] العشرين من رجب سنة ستّ وثلاثين وثمانمائة، وكان لها من العمر ثلاث وتسعون سنة، وبينها وبين وفاة الوالد الشهيد مدّة خمسين سنة وثلاثة أشهر.

وتوفيت الأخت ستّ المشايخ بنت الشهيد سنة تسع وعشرين وثمانمائة».

وبخطّ ولده عليّ: «توفي الأخ الشيخ رضيّ الدين أبوطالب محمّد ولد المرحوم الشهيد ظهر الجمعة سادس عشر شهر صفر سنة خمسين^١ [ظ] وثمانمائة».

قال صديقي الدكتور يوسف طباجة (حفظه الله تعالى):

والملاحظ أن كنية أمّ عليّ زوجة الشهيد تعود له [أي لعليّ نجله الأوسط وأفضل أولاده]، وباعتباره الابن الأوسط ممّا يرجّح أن الشهيد تزوّج من أكثر من واحدة، وأنّ أولاده ليسوا من أمّ واحدة...^٢

قال الشهيد في مقدّمة كتابه الدروس الشرعيّة:

... فكتبنا في ذلك ما تيسّر من الذكرى والبيان، وعزّزنا هما بهذا المختصر للتبيان؛ لاقتضاء الولدين الموقّنين - إن شاء الله - أبي طالب محمّد وأبي القاسم عليّ (دفع الله عنهما الضير ووقّهما والمؤمنين للخير)^٣.

وكتب الشهيد على الصحيفة السجّادية التي نسخها بخطّه «للولد الأعزّ المعتضد قرّة

العين أبي القاسم عليّ بن محمّد بن مكّي (نفعه الله بها ورزقني بما فيها دعاه)^٤.

١. استفاد من وثيقة بنت الشهيد أن أباطالب محمّد كان حيّاً في سنة ٨٢٣ وما نقلناه من خطّ الشهيد الثاني يحتمل

أن يكون «خمسین» ويمكن أن يقرأ «خمس» ورجّحنا الأول لثلاثي تنافي مع وثيقة بنت الشهيد.

٢. مجلّة العرفان، ج ٨٠، العددین ٣-٤، ص ١٠٠، الهامش.

٣. الدروس الشرعيّة، ص ١، ط. القديمة؛ وج ١، ص ٨٤، ط. الجديدة.

٤. انظر الفصل الرابع من الباب الثالث.

قال الشهيد الثاني رحمته الله:

وقد رأيت خطوط جماعة من فضلائنا بالإجازة لأبنائهم عند ولادتهم، مع تاريخ ولادتهم... وشيخنا الشهيد استجاز من أكثر مشايخه بالعراق لأولاده الذين وُلدوا بالشام قريباً من ولادتهم، وعندني الآن خطوطهم له بالإجازة^١.

وقال أيضاً:

- وأروي جميع مصنفات ومرويات السيد تاج الدين بن مَعِيَّة... أيضاً عن ولدي شيخنا الشهيد أبي طالب محمد وأبي القاسم ضياء الدين عليّ عن السيد تاج الدين المذكور بغير واسطة. ورأيت خط هذا السيد المعظم بالإجازة لشيخنا السعيد شمس الدين محمد بن مكّي ولولديه محمد وعليّ ولأختهما أمّ الحسن فاطمة المدعوّة ستّ المشايخ ولجميع المؤمنين....

وبالإسناد إلى الشيخ أبي طالب محمد ولد شيخنا الشهيد جميع مصنفات ومرويات والده والشيخ فخرالدين بن المطهر عنه بغير واسطة بإجازة سبقت منه إليه رحمته الله^٢.
- ... أخبرنا شيخنا السعيد نورالدين عليّ بن عبدالعالي إجازة عن الشيخ شمس الدين محمد بن داود، عن الشيخ ضياء الدين عليّ، عن والده السعيد محمد بن مكّي...^٣.

وقال صاحب المعالم ولد الشهيد الثاني في إجازته الكبيرة:

- وذكر والدي رحمته الله أنّه رأى خط السيد تاج الدين بالإجازة للشهيد رحمته الله ولولديه محمد وعليّ ولأختهما... والذي وقف عليه أنا من خط هذا السيد الإجازة للشهيد ولولده محمد^٤.

- ورأيت أنا بخط الشهيد على ظهر نسخة للشاطبية إجازة لولديه محمد وعليّ، ذكر فيها أنّه رواها لهما عن عدّة من المشايخ قراءة وإجازة... منهم قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة بحق قراءتي عليه ببيت المقدس... قال: «والولدان (وقتهما الله تعالى توفيق العارفين) يشاركان في هذه الرواية عن قاضي القضاة إجازة لهما ولأخيها أبي منصور الحسن»^٥.

١. شرح البداية، ص ٢٧١.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٥٢-١٥٣؛ رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١١٩؛ الإجازة الكبيرة للشهيد الثاني.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٦٩؛ رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١٣٨؛ الإجازة الكبيرة للشهيد الثاني.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٥٠.

٥. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٥٥-٥٦.

... ووجدتُ بخطَّ شيخنا الشهيد الأول في آخر الإجازة السابقة تحت خطِّ الشيخ محمَّد بن صالح كاتبها ما هذا لفظه: «... وقد أجزتُ روايتها وروايةَ جميع ماصنفتُهُ وألفته ورويته لأولادي الثلاثة: رضي الدين أبي طالب محمَّد، وضياء الدين أبي القاسم عليّ، وجمال الدين أبي منصور الحسن. أسأل الله (جلَّ جلاله) أن يُصليَّ على محمَّد وآل محمَّد، وأن يُبلِّغني فيهم أمني من كلِّ خير، وأن يجعلهم أولياء لله مُطيعين له، وأن يجعل لهم ذريةً سالحةً عالمين عاملين؛ إنَّه أرحم الراحمين»^١.

وقال الشيخ شمس الدين محمَّد بن المؤذّن الجزيّني الشهيد في إجازته للشيخ عليّ بن عبد العالي الميسيّ رحمته الله:

... وأجزتُ له روايةً تذكّرة الفقهاء عنيّ، عن ابن عمّي ضياء الدين، عن والده السعيد أبي عبدالله محمَّد بن مكّي، عن شيخه عميد الدين، عن المصنّف ...
وأجزتُ له روايةً جميع ما تضمّنته الإجازة التي أجازها بحر العلوم جمال الدين ابن المطهر... عنيّ، عن ضياء الدين، عن والده، عن السيّد المذكور، عن بحر العلوم جمال الملة والدين ...^٢.

وقال العالم الجليل عليّ بن طيّ في إجازته للشيخ محمَّد بن عليّ بن بدر الدين حسن الشهرير بالجبعي في رابع شهر رمضان سنة ٨٥١:

... ورويتها أيضاً له بحقّ الإجازة عن الشيخ الجليل بهاء الدين أبي القاسم عليّ ولد الشيخ الإمام العالم المحقّق خاتم المجتهدين أبي عبدالله شمس الدين محمَّد بن مكّي عن والده المذكور (قدّس الله سرّه) ...^٣.

وقال العالم البارع الشيخ يوسف البحراني في ترجمة ابن فهد الحلّي رحمته الله:

يروي عن تلامذة الشيخ الشهيد. وقد رأيتُ على آخر بعض نسخ الأربعين للشهيد منقولاً عن خطِّ ابن فهد المذكور ما صورته هكذا:
«حدّثني بهذه الأحاديث الشيخ الفقيه ضياء الدين أبوالحسن [كذا، والصواب:

١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠. وقد أُجيبَتْ هذه الدعوة، وسلسلته خلفاً عن سلف كانوا أهل الخير والبركة.
٢. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ٣٥-٣٨. وانظر خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٢٠، ص ١٨، ط. الجديدة، ومن الجدير بالذكر أنّ المجيز في هذه الإجازة أطلق على الشهيد أيضاً «ابن عمّي» مراراً.
٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢١٣-٢١٤.

أبو القاسم [عليّ ابن الشيخ الإمام الشهيد أبي عبدالله شمس الدين محمد بن مكّي - جامع هذه الأحاديث (قدّس الله سرّه) - بقرية جزيّن - حرسها الله تعالى من النواصب] في اليوم الحادي عشر من شهر محرّم الحرام افتتح سنة أربع وعشرين وثمانمائة. وأجاز لي روايتها بالأسانيد المذكورة وروايةً غيرها من مصتفات والده. وكتب أحمد بن محمد بن فهد (عفا الله عنه) والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه الأكرمين»^١.

واعلم أنّه قال صاحب الرياض:

يظهر من رسائل ابن [أبي] جمهور اللخساوي أو غيره في تحقيق مسألة الاجتهاد أنّ للشيخ ضياء الدين هذا شرح القواعد. ولعلّه قواعد الفقه للعلامة، أو قواعد والده في أصول الفقه^٢.

وعنه أخذ بعضهم فنسب إليه جازماً شرح قواعد الأحكام^٣. والظاهر أنّ هذا سهو فلم ينسب إلى ولد الشهيد أحدٌ - سوى ابن أبي جمهور على ما ذكره صاحب الرياض - شرح القواعد. فلاحظ.

وسيأتي في الفصل الثالث من الباب الثالث تسميط ضياء الدين على بعض أبيات والده الشهيد فراجع.

وأما بنت الشهيد فاطمة (رضوان الله عليهما) فقال الشيخ الحرّ العاملي في ترجمتها: أمّ الحسن فاطمة المدعوّة بسنّ المشايخ بنت الشهيد محمد بن مكّي العاملي الجزيّني، كانت عالمةً فاضلةً فقيهةً سالحةً عابدةً، سمعت من المشايخ مدحها والثناء عليها. تروي عن أبيها وعن ابن معيّة شيخه إجازةً، كما تقدّم في أخيها محمد، وكان أبوها يثني عليها ويأمر النساء بالاعتداء بها والرجوع إليها في أحكام الحيض والصلاة نحوها^٤. ومن التّحف الأثرية المتعلّقة بهذه الأسرة وثيقة هذه العالمة الفاضلة لأخويها أبي طالب

١. كشكول البحراني، ج ١، ص ٣٠٤، ووردت هذه الإجازة أيضاً في أعيان الشيعة، ج ٣، ص ١٤٧ - ١٤٨؛

وريات العلماء، ج ١، ص ٦٤.

٢. رياض العلماء، ج ٤، ص ٢٥١.

٣. طبقات الفقهاء، ج ٩، ص ١٧٢.

٤. أمل الآمل، ج ١، ص ١٩٣؛ رياض العلماء، ج ٥، ص ٤٠٣ - ٤٠٤؛ أعيان الشيعة، ج ٨، ص ٣٨٨ - ٣٨٩. وانظر

ريحانة الأدب، ج ٧، ص ٢٩٧.

محمد وأبي القاسم عليّ، وقد عثر الشيخ محمد رضا شمس الدين على نسخة قديمة منها مكتوبة بماء الذهب وقال: «لا يبعد أن تكون بخطّ يدها»^١. وإليك نصّ الوثيقة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وهب لعباده ماشاء، وأنعم على أهل العلم والعمل بما شاء، وجعل لهم شرفاً وقدرًا وكرامة، وفصلهم على الخلق بأعمالهم العالية، وأعلى مراتبهم في داري الدنيا والآخرة، وشهد بفضلهم الإنس والجان.

والصلاة والسلام الأتمّان الأكلان على سيّدنا محمد وُلد عدنان^٢، المخصوص بجموع الكليم الجسان، وعلى آله وأصحابه أهل اللسن واللسان، والساحبين ذُبول الفصاحة على سخبان، وعلى تابعيهم ومن تابعهم، ما اختلّف الجديدان وأضاء القمّران.

أما بعد، فقد وهبت السيّد فاطمة أمّ الحسن أخويها: أبا طالب محمدًا وأبا القاسم عليًّا - سلالة السعيد الأكرم والفقير الأعظم، عمدة الفخر وفريد الدهر، عين الزمان ووحيد، محيي مراسم الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين) مولانا شمس الملة والحق والدين محمد بن أحمد بن حامد ابن مكّي رضي الله عنه، المنتسب لسعد بن معاذ سيّد الأوس أمّا (قدّس الله أرواحهم) - جميع ما يخصّها من تركة أبيها في جزين وغيرها هبة شرعية؛ ابتغاءً لوجه الله تعالى ورجاءً لثوابه الجزيل.

وقد عوّضا عليها كتاب التهذيب للشيخ رضي الله عنه، وكتاب المصباح له، وكتاب من لا يحضره الفقيه، وكتاب الذكرى لأبيهم رضي الله عنه، والقرآن المذهّب المعروف بهديّة عليّ بن مؤيّد.

وقد تصوّرف كلّ منهم، والله الشاهد عليهم. وذلك في اليوم الثالث من شهر رمضان المعظم قدره الذي هو من شهور [عام] ثلاثة وعشرين وثمانمائة. والله على ما نقول وكيل.

شَهِدَ بِذَلِكَ الشَّيْخُ فَاضِلُ	شَهِدَ بِذَلِكَ خَالِهِمُ الْمُقَدَّمُ	شَهِدَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ مُصْطَفَى
الْبَلْبُكِيِّ ^٣	عُلْوَانَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَاسِرٍ	بْنِ حُسَيْنِ الصَّائِغِ
[خاتمه]	[خاتمه]	[خاتمه]

١. حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٨.

٢. كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: «على سيّدنا محمد سيّد ولد عدنان».

٣. حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٨؛ الفوائد الرضوية، ص ٦٤٩؛ أعيان الشيعة، ج ٨، ص ٣٨٨ - ٣٨٩؛ تكملة أمل الآمل، ص ٤٤٦ - ٤٤٧.

وعلى رأس الورقة توقيع الشيخ حسن بن عليّ التوليني وختمه بماء الذهب، وهذا صورة ماكتبه: «قد أتصل بي ثبوت هذه الوثيقة بين الأماجد الطاهرين، وعلمتُ ماحرّر ورقم فيها بعلم اليقين، أجريتُ عليها بقلم الإثبات بالمشروع والمعقول. وأنا أحقر الوری حسن بن عليّ التوليني»^١.

قال صديقي الفاضل الدكتور يوسف طباجة (حفظه الله):

إنّني لم أقدر على الحصول على ترجمة خاصّة لمن وقّعوا على ذيل الوثيقة سوى أنّ أسرة الصائغ هي أسرة جزّينية.

إنّ توقيع «خالهم المقدّم» يدلّ على أنّ الشهيد كان متزوجاً من ابنة مقدّم جزّين أو من شقيقة المقدّم، إذا ما اعتبرنا أنّ المقدّمية هي لقب للعشائر الحاكمة والتي تتولّى السلطة بالتوارث. وهذان القرابة والنسب ربما كان لهما مغزا هما السياسي في خطّة الشهيد الذي ربما أراد الحماية لنفسه من السلطة بواسطة هذه القرابة خصوصاً عند ما نعرف أنّ أولاد الشهيد ليسوا من أمّ واحدة، وبالتالي فإنّ الواهبة لم تهب سوى أخوين وليس الثلاثة^٢.

... وكانت جزّين مقدّمية يتولّاهما المقدّمون الخزرجيون، يملكونها ويملكون ما يجاورها من القرى.

والمقدّم هو لقب يطلق على الحاكم ويأتي في المرتبة الثالثة بعد الأمير والشيخ في النظام الإقطاعي ...^٣

قال العلامة السيّد حسن الصدر^٤ بعد نقلها: «فانظر إلى إثارها وكمال تعلّقها بكتب الفقه والحديث»^٤.

١. أعيان الشيعة، ج ٨، ص ٣٨٨-٣٨٩؛ تكملة أمل الآمل، ص ١٥٠-١٥١، قال العلامة السيّد حسن الصدر^٥ في ترجمة التوليني: «رأيتُ صورة صكّه على صدر الوثيقة التي كتبها ستّ المشايخ فاطمة بنت الشهيد الأول لأخويها بهبة جميع ما يخصّها... وهذه الوثيقة موجودة بعينها عند آل شمس الدين إلى اليوم، وكتبوا لي صورتها للاطلاع على ذلك العهد والوقوف على جلاله الستّ فاطمة».

٢. مجلّة العرفان، ج ٨٠، العدد ٣-٤، ص ١٠٢.

٣. مجلّة العرفان، ج ٨٠، العدد ١-٢، ص ٥٥.

٤. تكملة أمل الآمل، ص ٤٤٧؛ الفوائد الرضوية، ص ٦٤٩.

أقول: كانت منطقة جبل عامل منهلاً للعلم والخير والبركة، بحيث قال الشيخ الحرّ العاملي (طاب مثواه):

قد سمعتُ من بعض مشايخنا أنّه اجتمع في جنازةٍ في قريةٍ من قرى جبل عامل سبعون مجتهداً في عصر الشهيد ومقاربه ...^١

ضمت سُلالةُ الشهيد الأوّل وخلفه علماء ورجالاً كباراً، وقد امتدّ هذا الفخر لهم طوال سنواتٍ متوالية. قال مؤلّف ماضي النجف وحاضرها في ذيل عنوان «آل الشهيد الأوّل»:

... من الأسرة العريقة في العلم والسابقة بالفضل، تسلسلت رجالات العلم فيها، ولا يزال العلم باقياً فيمن يمتُّ بصلّة النسب إلى جدّهم الشهيد ...^٢

وتجنباً للإطالة لم نورد ترجمةً لأحفاد الشهيد وأسرته، فإن شئت فانظر مصادر تراجمهم^٣.

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٥.

٢. ماضي النجف وحاضرها، ج ٢، ص ٤٠٧.
٣. منها:

(أ) أمل الآمل، في مختلف صفحاته؛

(ب) تكملة أمل الآمل، في مختلف صفحاته، منها: ص ٢٠٠، ٢٢٩، ٣٩١، ٤٠٠، ٤٠٩؛

(ج) تعليقة أمل الآمل، في مختلف صفحاته؛

(د) كشكول البحراني، ج ٢، ص ١٤٩ - ١٥٠؛

(ه) خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٨، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٠٧ - ٣٠٩، ط. الجديدة؛

(و) ماضي النجف وحاضرها، ج ٢، ص ٤٠٧ - ٤١٣؛

(ز) شهداء الفضيلة، ص ٩١ - ٩٧؛

(ح) مع موسوعات رجال الشيعة، ج ١، ص ٦٦١ - ٦٦٢.

(ط) موسوعة مؤلّفي الإمامية، ج ٥، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(ي) مرآة الشرق، ج ١، ص ٧٣٣ - ٧٣٤.

الفصل العاشر*

استشهاده

استشهد الشهيد في التاسع من جمادى الأولى عام ٧٨٦ في دمشق بعد حبسٍ دام سنة. وقال بعضهم: تاريخ استشهاده بالأبجد «ذبيح الله»^١ (الله = ٦٦؛ ذبيح = ٧٢٠). وأرخ السيد حسين البروجردي^٢ في نخبة المقال وفاته بكلمة «المرثية» (= ٧٨٦) وعمره بكلمة «مدح» (= ٥٢) حيث قال:

ثمّ ابن مكّيّ شهيدنا الأجلّ عنه عميد الدين عن فخرٍ نقل
وهو إمام الفقه عند التسمية وبعد «مدح» العمر قلت: «المرثية»^٢

وجدير بالذكر أنّ الشهداء من علماء الشيعة كثيرون^٣؛ لكنّ أحداً منهم لم يلقّب قبل شيخنا الشهيد بـ«الشهيد»، ولم يشتهر بهذا اللقب، وعليه فإنّ لقب «الشهيد» بشكله المطلق، وكذلك «الشهيد الأوّل»، هو لقب عُرِفَتْ به شخصيتنا التي نردّ غمار حياتها الحافلة.

وقد تداخلت ظروف عدّة على شهادة الشهيد: فمن جهة كان ارتباط الشهيد بـ«سربداران» ورئيسهم عليّ بن مؤيّد، ونشره للعقيدة الشيعية في جبل عامل والشام - من جهة أخرى - وسعيه لإقامة مركز ثقلٍ وقوّة للشيعة في الشام كان له كبير الأثر في شهادته؛ لكنّ الأعداء والمخالفين افتروا عليه التّهَمَ واختلقوا الأكاذيب الكبيرة التي لا أساس لها من الصحة بالمرّة، فتسبّبوا في سجن الشهيد ومحاكمته ومن ثمّ استشهاده.

* ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَابِلَةٌ﴾.

١. بهجة الآمال، ج ٦، ص ٦٦٧؛ فهرست كتابخانه دولتی تربیت تبریز، ص ٥٢.

٢. بهجة الآمال، ج ٦، ص ٦٦١.

٣. راجع شهداء الفضيلة.

إن الورود في الأسباب والعوامل التي أدت إلى شهادة الشهيد تحتاج إلى بحثٍ مفصّلٍ، وبما أن بعض الكتب الصادرة مؤخراً التفتت إلى هذا الجانب^١، آثرنا نحن في هذا الفصل عدم الورود طويلاً في هذا المبحث، بل سنكتفي بذكر أمورٍ راجعةٍ إلى استشهاده من مصادر قديمة تجسّمنا عناءً كبيراً للوصول إليها:

أ) ما قاله أصحابنا الإمامية

قال العلامة المجلسي رحمته الله:

قد وجد بخط ولد الشيخ الشهيد على إجازة والده الشهيد للشيخ ابن الخازن الحائري التي كانت بخط أبيه الشهيد المجيز المذكور ما هذه صورته:

«استشهد والدي الإمام العلامة كاتب الخط الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد، شهيداً حريقاً بعده بالنار، يوم الخميس تاسع جمادى الأولى سنة ست وثمانين وسبعمئة. وكل ذلك فعل برحبة قلعة دمشق»^٢.

وكتب الشهيد الثاني على نسخة الأصل من الفوائد المليّة:

وجدت بخط الشيخ أبي طالب محمد ولد المصنّف الشهيد رحمته الله - على ظهر نسخة من أصل الذكري - ما صورته:

«... وقتل مظلوماً شهيداً برحبة القلعة في سوق الجمال [كذا، ظ: الخيل] يوم الخميس تاسع شهر جمادى الأولى عام ست وثمانين وسبعمئة، بعد أن سجن عاماً إلا أياماً يسيرة في القلعة، وتُقل فيها إلى ثلاثة أبرج، وكان سجنه في أواخر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين»^٣.

١. الهجرة العاملة إلى إيران، ص ٦٩ - ٨٥؛ الصلة بين التصوّف والتشيّع، ج ٢، ص ١٣٧ - ١٤١؛ الروضة البهيّة، ج ١، ص ١١٩ - ١٤٨، المقدّمة، ويأتي البحث عن استشهاد الشهيد في الباب الثاني أيضاً، وفي مختصر نسيم السحر ضمن ملاحق الكتاب، فراجع.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٦.

٣. وكذا في مخطوطة من الفوائد المليّة محفوظة في المدرسة الباقريّة في مشهد المقدسة، انظر مجلّة تراننا، العدد ٢٣، ص ١٠٦. وكذا في مخطوطة من الفوائد المليّة محفوظة في مكتبة العلامة الروضاتي الخاصّة في إصفهان، وفي أوّله: «وجدت بخط الشارح (أدام الله أيامه) ما صورته: «وجدت بخط الشيخ رضي الدين...».

وقال صاحب الرياض (طاب ثراه):

رأيتُ بخطَّ الشيخ محمد بن عليّ بن الحسن الجباعي تلميذ ابن فهد... في مجموعة بخطّه في بلدة أردبيل هكذا: وجد بخطّ ابن راشد الحلبيّ ﷺ ماصورته: وجدت بخطّ الشيخ الصالح العابد الزاهد عزّ الدين حسن بن سليمان الحلبيّ [تلميذ الشهيد] ﷺ:

«استشهد الشيخ الفقيه العالم الصالح أبو عبد الله محمد بن مكّي في محبة أئمتنا ﷺ بعد أن حُيسَ بقلعة دمشق قريباً من سنةٍ ثم قُتِلَ ثم أُحرقَ (رضوان الله عليه وعلى أمثاله) وذلك في يوم الخميس التاسع من جمادى الأولى من سنة ستّ وثمانين وسبعمئة»^١.

وكتب الشيخ البهائيّ ﷺ بظهر نسخةٍ من الرعاية للشهيد الثاني ﷺ:

شمس الدين محمد بن مكّي (قدّس الله روحه) كما سرّفتْ خاتمته قتيلاً برحبة قلعة الشام في سوق الجمال [كذا، ظ: الخيل] يوم الخميس تاسع عشر [كذا، والصواب: تاسع] جمادى الأولى سنة ستّ وثمانين وسبعمئة بعد أن كان مسجوناً في القلعة المذكورة قرب سنّة، ونقل فيها إلى ثلاثة أبراج، وكانت ولادته سنة أربع وثلاثين وسبعمئة. وتوفّي ولده ضياء الدين عليّ ﷺ في شعبان سنة ستّ وخمسين وثمانمئة^٢.

وقال العلامة المجلسيّ ﷺ:

وجدتُ في بعض المواضع ماهذه صورته: قال السيّد عزّ الدين حمزة بن محسن الحسيني: وجدتُ بخطّ شيخنا المرحوم المغفور العالم العامل أبي عبد الله المقداد السّيوري ماهذه صورته:^٣

١. تعليقة أمل الآمل، ص ٨٠.

٢. الرسائل الرجالية، ج ٢، ص ٥٢٧-٥٢٨. وما حكى عن البهائي في كشف الحجب، ص ٣٥ من أنه توفّي في شهر رمضان فهو سهو بين ومن أخطاء كشف الحجب.

٣. حكاها أيضاً المحدث البحراني في لؤلؤة البحرين، ص ١٤٦-١٤٨ عن خطّ أبي الحسن سليمان بن عبد الله البحراني نقلاً عن يوثق به عن خطّ الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني عن خطّ الفاضل المقداد.

وقال الطهراني في الذريعة، ج ٧، ص ٢١٤ في ذيل خلاصة الأقوال: «رأيت نسخةً صحيحةً منه في الخزنة الغروية... وتاريخ كتابتها ٧٦٦، وعلى ظهر النسخة كتب تملّكها بخطّ الشيخ الفقيه زين الدين عليّ بن الشوّاء في ٨٣٩/٢، وكتب قصّة شهادة الشيخ أبي عبد الله بن مكّي الشهيد... نقلاً عن خطّ أستاذه الفاضل المقداد...

كانت وفاة شيخنا الأعظم الأكرم، أعني شمس الدين محمد بن مكّي (قَدَسَ اللهُ) سِرَّه وفي حظيرة القدس سَرَّه) تاسع جمادى الأولى سنة ست وثمانين وسبعمان، قُتِلَ بالسيفِ نَمَّ صَلَبَ نَمَّ رُجِمَ نَمَّ أُحْرِقَ ببلدة دِمَشْقَ (لَعَنَ اللهُ الفاعلين لذلك والراضين به) في دولة بِيذْمَر^١ وسلطنة برفوق^٢، بفتوى المالكي يُسَمَّى برهان الدين وعباد بن

→ وقد وجده في أوراقي بخطه، معتبراً عنه بشيخنا المغفور له خاتمة المجتهدين أبي عبدالله المقداد... وأورد الظهрани هذا المطلب أيضاً في الضياء اللامع، ص ٩٣.

وأشار إليه السيد الصدر في تكملة أمل الآمل، ص ٣٧١، حيث قال: «وممن حكاها عن خط المقداد تلميذه الشيخ علي بن الشواء»، وقد كتب الشيخ علي القصة بخطه عن خط شيخه المقداد على ظهر خلاصة العلامة في سنة ٨٣٩، ثامن ربيع الآخر».

١. قال السيد حسن الأمين رحمه الله في الشهيد الأول، ص ٧٥-٧٨: «كان بين قتلي الهجوم التيموري على دمشق [ابن جماعة] برهان الدين... وهو الذي أفتى بقتل الشهيد محمد بن مكّي و... بيدمر الخوارزمي هو الذي كان نائب برفوق في دمشق حين قبض على الشهيد واقتيد إلى دمشق وصدر الأمر بقتله، وإذا كان الحكم المملوكي بإمرة برفوق هو المسؤول الفعلي عن تلك الفظائع، فإن المسؤول المباشر هو بيدمر الذي كان بيده الحل والعقد في دمشق، وهو الأمر بالمحاكمة والأمر بالتنفيذ، لذلك رأينا الشهيد يرسل إليه، وهو في سجن قلعة دمشق، قصيدة يقول فيها: يا أيها الملك المنصورُ بيدمرُ بكم خوارزم والأقطار تفتخرُ

ليس لدينا الكثير من أخبار بيدمر هذا، وقد برز اسمه بأنه حين كان نائب حلب توجه إلى سبيس وحاصر أهلها فطلبوا الأمان فتسلمها وكذلك المصيصة، وفتح عدة قلاع ثم رجع إلى حلب وأنه، وهو نائب دمشق، أظهر العصيان وملك قلعة دمشق وقتل نائب القلعة، وقد وافقه على ذلك جماعة من النواب فاضطرب السلطان بمصر لهذه الأخبار وخرج قاصداً الشام، ولما بلغ دمشق أرسل أماناً لقبض عليه وقبده. وآخر ظهور لاسمه كان أنه عصا على السلطان واجتمع إليه مقدمو البلدان، فأرسل إليه السلطان جيشاً، وبعد حصار شهرين تسلّم دمشق وقبض عليه وقتله.

وهكذا فإن الذي أفتى في دمشق بقتل محمد بن مكّي قُتِلَ في دمشق، والذي أمر بسجنه بقلعة دمشق وقضى بقتله في دمشق، قتل هو أيضاً في دمشق.

ويلفت النظر هنا لتلقيب «بيدمر» بالخوارزمي... فمن أين جاءته هذه النسبة؟ وما صلته بخوارزم؟ نرجح أنه من بقايا أولئك الخوارزميين الذين انفصلوا عن بلادهم بعد مقتل جلال الدين منكبرتي وتفرقوا في آسيا الصغرى وبلاد الشام، وما زالوا في التنقل حتى بلغوا سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م إلى مناطق الأيوبيين، فاستخدمهم الصالح أيوب بن الكامل».

٢. قال الزركلي في الأعلام، ج ٢، ص ٤٨: «الظاهر بَرْقُوق (٧٣٨ - ٨٠١)... العثماني، أبو سعيد سيف الدين الملك الظاهر، أول من ملك مصر من الشركاسة... انتزع السلطنة من آخر بني قلاوون... سنة ٧٨٤، وتلقب بالملك «الظاهر» وانقاد إلى مصر والشام... وخلع سنة ٧٩١... قيل: اشتهر برفوق لجحوظ عينيه. واستمرت دولة الشركاسة من عهده إلى سنة ٩٢٢، وعدة ملوكها ٢٣ ملكاً، وكانت لهم مصر والشام». وقال السيد حسن الأمين رحمه الله في الشهيد الأول، ص ٤٥: «الدولة المملوكية الثانية بدأت سنة ٧٨٤ بالسلطان الظاهر برفوق... عرفت هذه الدولة بالرجية وبالشركسية؛ تمييزاً لها من الدولة الأولى التي عرفت بالبحرية...».

جماعة الشافعي^١. وتَعَصَّبَ عليه في ذلك جماعة كثيرة بعد أن حُبِسَ في القلعة الدِمَشْقِيَّة سنة كاملة.

وكان سبب حبسه أن وُشِيَ به تقي الدين [الجبلي]^٢ الخيامي^٣ - بعد جنونه وظهور أماراة الارتداد منه - أنه كان عاملاً^٤، ثم بعد وفاة هذا الواشي قام على طريقته شخص اسمه يوسف بن يحيى، وارتدَّ عن مذهب الإمامية، وكتبَ محضراً شَنَعَ فيه على الشيخ

١. قال الشيخ الآصفي (حفظه الله): «... أظنُّ أن برهان الدين وابن جماعة شخص واحد وليسا باثنين، واسمه الصحيح برهان الدين بن إبراهيم بن جماعة الكناني، فلم أعرث فيما بين يدي من المصادر على قاضيين في هذا العهد بدمشق بهذا الاسم، والموجود في كتاب قضاة دمشق لشمس الدين ابن طولون هو «برهان الدين إبراهيم بن جماعة»، وكان قاضي دمشق سنة شهادة الشهيد...» (الروضة البهية، ج ١، ص ١٤٢ - ١٤٣، المقدمة).

أقول: برهان الدين إبراهيم بن جماعة الشافعي قاضي دمشق (٧٢٥ - ٧٩٠) هو الذي قرأ عليه الشهيد الشاطبية، وتقدّمت ترجمته في البحث عن أساتذة الشهيد ومشايخه من علماء السنة، ولم أقب في كتب التراجم على قاض باسم «عباد بن جماعة» في ذلك العصر. وانظر ما سنقله عن ابن قاضي شهبه والجزري حول هذه القصة: فإنهما صرّحا بتدخل القاضي المالكي والقاضي الشافعي في قضية استشهاده ﷺ.

٢. ما بين المعرفين أصفناه من لؤلؤة البحرين، ص ١٤٦.

٣. قال السيد حسن الأمين ﷺ في الشهيد الأول، ص ٩٠: «إذا كان صاحب أمل الآمل لم يصرّح بأن الرجل العدو هو مواطن عاملي من الجبل ولم يسمّه... فإنَّ المقداد السُّيُوري قد سمّاه ونسبه إلى جبل عامل بقوله: «الجبلي»، ثم خصّص النسبة فقال: «الخيامي»، و«الخيام» التي جاءت نسبته إليها بلدة معروفة في جبل عامل. وقد ذكر المقداد السُّيُوري بعد كلمة «الخيامي» جملة وردت فيها كلمة «عاملاً» مصحّفة عن عاملياً، كما استظهر ذلك أعيان الشيعة ج ١٠، ص ٦٠، الهامش، وهو استظهار صحيح أكيد، فكلمة «عاملاً» لا معنى لها هنا. وإنما أراد المقداد أن يؤكّد أن الواشي كان عاملياً. وتقي الدين الجبلي الخيامي كان هو المناوئ الأول لمحمد بن مكّي الواشي به، ومات قبل أن ينال من محمد منالاً، وخلفه... من يسمّيه المقداد: يوسف بن يحيى».

أقول: الظاهر أن «عاملاً» هو الصواب. وذكرنا معناه في التعليق الآتي.

٤. «العامل» في اصطلاح تلك الدروة هو الأمور لتنظيم الحسابات للحكومة. قال القلقشندي في صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٦: «العامل هو الذي ينظّم الحسابات ويكتبها، وقد كان هذا اللقب في الأصل إنما يقع على الأمير المتولّي للعمل، ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب وخصّه به دون غيره».

قال الشيخ جعفر المهاجر في ستّة فقهاء أبطال، ص ٩٣: بعد نقله لقول القلقشندي: «ما يهتّمنا منه تحديداً هو قوله: العامل هو الذي ينظّم الحسابات وهو الاستعمال المعمول به في عصر النصّ. لقد عرفنا أن الشهيد حكم بلزوم دفع الأخماس إلى الفقيه الجامع لشروط الفتوى (نائب الإمام)، وسنعرّف أنّه كان قد نشر وكلاءه في المنطقة الشيعية من لبنان. ومن المفهوم أنّ هؤلاء الوكلاء كانوا يجيئون الأخماس بحكم وكالتهم. ولا بدّ أنّ عملاً كهذا قد استلزم تنظيمًا حسابياً مركزياً للجباية تحت إشراف الشهيد نفسه، وعلى هذا فالمقصود من كلمة «عامل» الإشارة إلى نظام ضريبي في مقابل نظام الدولة. وهي تهمة تاريخية ضدّ الشيعة الذين كانوا يؤثرون دائماً دفع حقّ الله في أموالهم إلى أئمتهم».

شمس الدين بن مكي مآقائمه الشيعة ومعتقداتهم وأنه كان أفتى بها الشيخ ابن مكي. وكتب في ذلك المخضّر سبعون نفساً من أهل الجبل معن يقول بالإمامة والتشيّع وارتدوا عن ذلك، وكتبوا خطوطهم تعصباً مع يوسف بن يحيى في هذا الشأن، وكتب في هذا ما يزيد على الألف من أهل السواحل من المُتسنّنين، وأثبتوا ذلك عند قاضي بيروت -وقيل: قاضي صيدا- وأتوا بالمخضّر إلى القاضي ابن جماعة (لعنه الله) بدمشق، فنقّده إلى القاضي المالكي وقال له: تحكّم فيه بمذهبك، وإلا عزّلتك.

فجمّع ملك الأمراء بيّدمر (لعنه الله) القضاة والشيوخ (عنهم الله جميعاً) وأحضروا الشيخ عليه السلام، وأحضروا المختصر [كذا، ظ: المخضّر] وقرئ عليه. فأنكر ذلك وذكر أنه غير معتقد له مُراعياً للفتية الواجبة؛ فلم يُقبل ذلك منه، وقيل له: قد نبت ذلك شرعاً ولا ينتقض حكم القاضي.

فقال الشيخ للقاضي ابن جماعة: إنني شافعي المذهب وأنت إمام المذهب وقاضيه، فاحكم فيّ بمذهبك. وإنما قال الشيخ ذلك لأن الشافعي تجوز توبة المرتدّ عنده. فقال ابن جماعة: حينئذ على مذهبي يجب حبسك سنّة كاملة، ثم استتابتك؛ أمّا الحبس فقد حُسبت ولكن أنت استغفِر الله حتّى أحكم بإسلامك. فقال الشيخ: ما فعلت ما يوجب الاستغفار؛ خوفاً من أن يستغفر فيُبتوا عليه الذنب، فاشتغلّطه ابن جماعة (لعنه الله) وقال: استغفرت فنبت الذنب، ثم قال: الآن ما عاد الحكم إليّ؛ غدرًا منه وعنادًا منه لأهل البيت عليهم السلام. ثم قال عبّاد: الحكم إلى المالكي. فقام المالكي وتوضأ وصلى ركعتين، ثم قال: حكمت بإهراق دمك^١. فألبسوه اللباس وقيل به ما قلناه من القتل والصلب والرجم والإحراق، وساعد في إحراقه شخص يُقال له محمد بن الترمذي، وكان تاجرًا فاجرًا (لعنه الله عليهم أجمعين منافقين [كذا]، وحسبهم الله ونعم الوكيل)^٢.

١. «بهذه الأساليب كانت الأحكام تصدر عن تلبسوا بلباس الدين، وعن عهد إليهم تطبيق أحكام الإسلام. أمّا القاضي المالكي المستعد لسفك دماء العلماء الأتقياء الورعين المجاهدين، فقد مهّد لحكمه بأن توضأ وصلى ركعتين، ثم قال: قد حكمت بإهراق دمه. إلى هذا الحدّ هان الوضوء وهانت الصلاة عند هؤلاء الجالدين...» (الشهيد الأول، ص ١١٠).

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٤-١٨٦.

وقال القاضي نور الله التستري الشهيد رحمته ما معرفته :

قِيلَ حَضَرَ الشَّيْخَ ضُحَى الخَمِيسِ التَّاسِعَ عَشَرَ [كَذَا، وَالصَّوَابُ: التَّاسِعَ] مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ فِي مِيدَانِ الْقَلْعَةِ بِدِمَشْقَ الْمَجَاوِرِ لِسُوقِ الْخَيْلِ، ثُمَّ صُلِبَ وَأَنْزِلَ جُثْمَانُهُ عِنْدَ الْعَصْرِ وَأُحْرِقَ^١.

وقال الشيخ الحرّ العاملي (طاب ثراه):

وكانت وفاته سنة ٧٨٦، اليوم التاسع من جمادى الأولى. قُتِلَ بالسيفِ ثُمَّ صُلِبَ ثُمَّ رُجِمَ ثُمَّ أُحْرِقَ بِدِمَشْقَ فِي دَوْلَةِ بَيْدَرِ [كَذَا، وَالصَّوَابُ: بَيْدَرِ] وَسُلْطَنَةِ بَرْقُوقَ بِفَتْوَى الْقَاضِي بَرَهَانَ الدِّينِ الْمَالِكِيِّ وَعَبَادِينَ جَمَاعَةَ الشَّافِعِيِّ، بَعْدَ مَا حَبَسَ سَنَةً كَامِلَةً فِي قَلْعَةِ الشَّامِ، وَفِي مَدَّةِ الْحَبْسِ أَلْفَ اللَّمَعَةِ الدِّمَشْقِيَّةِ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَمَا كَانَ يَحْضُرُهُ مِنْ كُتُبِ الْفَقْهِ غَيْرِ الْمُخْتَصَرِ النَّافِعِ^٢.

وكان سبب حبسه وقله أنه وشى به رجلٌ من أعدائه، وكتب محضراً يستعمل على مقالاتٍ شنيعة عند العامة من مقالاتِ الشيعة وغيرهم، وشهد بذلك جماعةً كثيرةً، وكتبوا عليه شهاداتهم، وثبت ذلك عند قاضي صيدا، ثم أتوا به إلى قاضي الشام. فحبس سنةً ثم أفتى الشافعي بتوبته والمالكي بقتله. فتوقف عن التوبة خوفاً من أن يُنْبِتَ عليه الذنبُ وأنكرَ ما نسبوه إليه للتيقن. فقالوا: «قد ثبت ذلك عليك وحكم القاضي لا يُنْقَضُ والإنكارُ لا يُفِيدُ». فَعَلَبَ رَأْيَ الْمَالِكِيِّ لكَثْرَةِ الْمُتَعَصِّبِينَ عَلَيْهِ، فَقُتِلَ ثُمَّ صُلِبَ وَرُجِمَ ثُمَّ أُحْرِقَ (قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ). سَمِعْنَا ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الْمَشَايِخِ وَرَأَيْنَا بَخْطَ بَعْضِهِمْ، وَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَهُ بَخْطَ الْمَقْدَادِ تَلْمِيزَ الشَّهِيدِ^٣.

وحكى المحدث البحراني عن الفاضل المقداد مثل ما نقله العلامة المجلسي عن الفاضل

المقداد رحمته، وفي حكايته هذه الزيادة:

... قيل له: «قد ثبت ذلك عليك شرعاً ولا ينتقض حكم القاضي» فقال: «الغائب على حجته، فإن أتى بما يناقض الحكم جاز نقضه وإلا فلا، وها أنا أبطل شهاداتٍ من شهد بالجرح،

١. مجالس المؤمنين، ج ١، ص ٥٧٩.

٢. انظر ماسياتي في البحث عن مؤلفات الشهيد وآثاره العلمية في ذيل اللمعة الدمشقية في الفصل الأول من الباب الثالث، وكذلك ماسياتي في أواخر هذا المبحث.

٣. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢ - ١٨٣.

ولي على كلِّ واحدٍ حجّةٌ بيّنة» فلم يسمع ذلك منه ولم يقبل... فاستغفله ابنُ جماعة وأكّد عليه فأبى الاستغفار، فسأزه ثم قال: «قد استغفرت فثبت عليك الحق»...^١

وقال شرف الدين محمّد مكّي حفيد الشهيد:

... وكان في ميدان قلعة دمشق خلق عظيم بجانب سوق الدواب. وقيل: لما همّ بضربه الجلّاد بكى ابن جماعة رياءً وكذباً، فأراه الشهيد فقال له: «ما كذبت أمك إذ سمّتك بابن جماعة».

... ورأيتُ بخطِّ ثقيّة قصيدةً طويلةً في مدح الشهيد بعد قتله بعد ما قتل اليالوشي الذي ادّعى النبوة في جبل عامل. وقد رأيتُ القصيدة في بلاد دكن من بلاد الهند في كتاب عتيقٍ ربّي... ولم يمكن نقل القصيدة في هذه السفينة لضيق المكان، ومنها:

بدر الزمان وشمسهِ ابنُ مكّي علم الورى علم الهدى علم الورى
مَنْ أُمُّهُ مِنْ نَسْلِ مَنْ فِي الْحَشْرِ يَوْمَ النَّشْرِ يسقي كوثرا

.....

فلقد حَوَى المجد الذي... العلاء «فالصيْدُ كُلُّ الصيْدِ في جوفِ القرا»

وهذه القصيدة قد كتبتها في سفينةٍ أُخرى^٢.

وقال العلامة السيّد الأمين رحمته الله:

... كان ذلك في عهد برقوق إذ كان هو السلطان بمصر، ونائبه بالشام بيدمر... ورأيتُ في آخر نسخةٍ مخطوطةٍ من كتاب البيان للشهيد ما صورته:

«قتل المصنّف بدمشق في رحبة القلعة ممّا يلي سوق الخيل ضحى يوم الخميس تاسع شهر جمادى الأولى سنة ٧٨٦، وُصِّلَبَ وبقي معلقاً هناك إلى قرب العصر، ثم أنزل وأُحرِقَ»^٣.

وقال العالم المتتبع الفاضل السيّد حسن الأمين رحمته الله:

أجمع الذين تعرّضوا لترجمة الشهيد الأول، محمّد بن مكّي، على ذكر قصّة اليالوشي وذكرها أكثرهم من دون أن يشير إلى أنّ لها علاقة باستشهاد الشهيد، بل ذكّرت مرسلّة ككلِّ حادث من أحداث حياة الشهيد.

١. لؤلؤة البحرين، ص ١٤٦-١٤٨؛ وانظر أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٠-٦١.

٢. سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الورقة ١٦٣ ب، ١٤.

٣. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٠.

ونحن نأخذ هنا النصّ الذي وردت به في موسوعة أعيان الشيعة :

«وممّا عرف عن الشهيد عليه السلام، أنّ رجلاً مشعوذاً ظهر في جبل عامل وادّعى النبوة واسمه محمّد الياوشي من قرية تسمى برج يالوش^١، فحاربه الشهيد وقضى عليه في سلطنة بروجوق، ويقال: إنّه كان من تلامذة الشهيد فوقع بيد الشهيد كتاب شعوذة فسلمه إليه لينقله، فأخذه وغاب ثمّ رجع وأخبره بإتلافه كاذباً وأخفاه عنده وتعلّم منه الشعوذة وعمل به حتى ادّعى النبوة».

ورد ذلك في أعيان الشيعة من دون تعليق وتفصيل، وكلّ ما أرادته أعيان الشيعة هو أن يكون أميناً في الحديث عن حياة الشهيد فينقل كلّ ما ورد عنها. وهذه القصّة، كما ترى، غامضة كلّ الغموض لا يمكن أن نستنتج منها - كما وردت - أيّة حقيقة، فربّما كان لها أصل ثمّ زاد فيه المزيّدون.

هل الرجل مشعوذ أم مدّعي نبوة؟ وما هو كتاب الشعوذة الذي اقتبس منه شعوذته؟ وما هو الخطر الذي كان يخشاه الشهيد على الناس من هذه الشعوذة؟

ثمّ القول: إنّ الشهيد حاربه، ولم يكن القول: إنّه قاومه أو قاوم دعوته... فكلمة حاربه تعني أنّ جمّعين التقيا بالسلاح في قتال، وهل هانت عقائد العاملين إلى حدّ يستطيع مدّح النبوة أن يجمع منهم جمعاً تحمل السلاح وتقاتل بين يديه مؤمنة بنبوته المدّعاة؟ وهل الشعوذة تستطيع أن تقنع أناساً مؤمنين بدينهم بأن يتركوا هذا الدين، وينضمّوا إلى صاحبها، وأن يحملوا السلاح ويستهنوا بالموت حمية لها؟

ثمّ ما هو موقع الشهيد التنفيذي في تلك الآونة، وما هي قدرته على حشد الحشد المسلّح وقيادته للقتال، وأين هي السلطة القائمة من ذلك كلّها؟

جميع هذه الأسئلة، وكثير مثلها، تحتاج إلى أجوبة، ولكن لا محجّب؛ لأنّه لا مصادر ولا تفاصيل يرجع إليها من يحاول الإجابة.

لذلك ستظلّ قصّة الياوشي قصّة يمتزج فيها الخيال بالحقيقة، وحين يتسع الخيال فيها تضع مع الحقيقة! على أنّه لا بدّ لنا من التساؤل: هل لقصّة الياوشي ارتباط بقضايا

١. في كتاب تاريخ الزرارية والبلاد العاملة ماضياً وحاضراً، ص ٧٦ في وصف «حصن الياوشي»: «يقع هذا الحصن في قرية المغيرة شرقيّ بلدة الزرارية. وقد أكّد وجود هذا الحصن شبيب باث الأسعد في كتابه: العنقذ المنضد، كما أكّد احتماؤه أحد تلاميذ الشهيد الأول به ويُدعى الياوشي حين ارتدّ عن الإسلام...».

التمرد على برقوق؟ ثم غلب على هذا الارتباط موقعها المحلي، فعادت محلّية بحثه؟ نستطيع أن نجزم بأن لا علاقة لها بالأحداث التمردية التي أشرنا إليها من قبل، وأنها أمر عاملي بحث، غابت عنا حقائقه، وضاعت في طيات الزمن تفاصيله ...

هذا النصّ الذي حفظه صاحب اللؤلؤة، مأخوذاً عن المقداد السيوري، يرينا حقيقةً مأساوية عاشها أبناء جبل عامل. فهؤلاء العاملون الذين استطاعوا التغلّب على الضغط الصليبي فحفظوا كياناتهم واستمسكوا بعقائدهم، واجهوا بعد الجلاء الصليبي ضغطاً من نوع آخر مارسه عليهم المماليك، فكان عليهم أن يعودوا من جديد للصبر على الشدائد ومقاومة الاضطهاد بقواهم المعنوية، لتظل عقائدهم التي ارتضوها لأنفسهم سليمة.

يصف المقداد، في مادونه، الواشي الأول بمحمد بن مكّي بأنّ وشايته جاءت بعد ظهور أمارة الارتداد منه. ثمّ يصف الواشي الآخر بأنّه ارتدّ عن مذهب الإمامية. ثمّ يصف الذين كتبوا محضر التشنيع على محمد بن مكّي بأنهم كانوا ممن يقول بالإمامة والتشيع ثمّ ارتدّوا عن ذلك، ويقول إن عددهم كان سبعين ...

ولنا أن نقول: إنّ حركة الارتداد هذه لم تكن بنت ساعتها، وإنّ ارتداد هؤلاء المرتدّين كان نتيجة محاولات طويلة امتدّت حوالي سبعين سنة، أي منذ جلاء الصليبيين وحلول المماليك محلّهم.

فالذي يبدو جلياً هنا أنّ عملية اضطهاد واسعة للعاملين قام بها المماليك لتحويل أبناء جبل عامل عن عقيدتهم استعملت فيها مختلف أساليب الوعد والوعيد والترهيب والترغيب، وإنّ ثمره هذه العملية التي طال أمدها سبعين سنة كان ارتداد سبعين عاملياً عن مذهبهم، فاستغلّوا للشهادة على محمد بن مكّي.

ولو أنّ الذين أرادوا هلاك محمد بن مكّي وجدوا في جبل عامل أكثر من هذا العدد من الشهود لسجلوا أسماءهم مع السبعين. ولكنهم لم يجدوا فلجاً أو إلى الساحليّين الذين لم يكونوا على مذهب الجليّين فسهل عليهم أن يشهد من هؤلاء على محمد بن مكّي ألف شاهد. إذن فالوعد والوعيد والترهيب والترغيب، والاضطهاد بجميع أنواع الاضطهاد، ووسائل الترويع التي لجأ إليها المماليك طوال سبعين سنة لم تنجح إلّا بتحويل سبعين رجلاً؛ ويبدو جلياً أنّ محمد بن مكّي، منذ عودته من العراق، قد وقف بصلافة أمام اضطهاد

المماليك للعالميين وأمام ما يبذلونه من جهد في تحويلهم من حال إلى حال. وأنه عانى منهم ما عانى

وهكذا نرى أن معركة محمد بن مكي كانت متعدّدة الجبهات، وأنه كان يقاتل من أجل تحقيق عدّة أمور: كان يقاتل لنشر العلم في قومه العالميين. ويقاتل لحفظ عقائدهم. ويقاتل جور الحكام الظالمين وأتباعهم. ويحارب «ممخرقات» فريق من المتصوفة وشعوذاتهم وروحهم الانهزامية.

وبذلك كثر أعداؤه والساعون لهلاكه والقضاء عليه، وقد ورد في ما نقل عمّا ذكره المقداد السيوري «أنّ مَن تعصّب عليه وساعد في إحراقه رجل يقال له: محمد ابن الترمذي مع أنّه ليس من أهل العلم وإنّما كان تاجراً فاجراً».

فمن هو ابن الترمذي هذا؟ وما شأنه في التعصّب على العالم العامل وهو مجرد تاجر لا شأن له في العلم؟! ولماذا بلغ به التعصّب على أن يساعد في إحراقه؟! ثمّ ما هو نوع هذه المساعدة؟ هل سعى مع الساعين في أن لا يكتفي بقتله، بل أن يحرق جثمانه بعد القتل زيادة في التشقي؟ أم أنّ مساعدته كانت بالاشتراك في إحراق الجثمان الطاهر؟! ثمّ أين كان مجال تجارة هذا التاجر الفاجر؟ هل كانت في دمشق؟ أم كانت في الجبل؟ أم كانت في الساحل؟

ثمّ ماهي حقيقة هذا الأصل الذي ينمى إليه: الترمذي؟ الذين سجلوا هذا الخبر لم يوضّحوا شيئاً من هذا الذي نتساءل عنه. لذلك فكلّ دلالاته تنحصر في مقدار ما بلغ إليه الحكم المملوكي من فساد وشرّ ساعد عليه فقهاء السوء! هؤلاء الفقهاء الذين كانوا أعلم الناس بما انطوى عليه محمد بن مكي من علم غزير وسيرة نقيّة وتقوى وصلاح. ولكن ذلك كلّه لا شأن له عندهم مادام لا يرى بعض ما يرون! ...

بعد أن تجهّز محمد بن مكي، بما تجهّز به من العلم في العراق وغير العراق، عاد إلى جبل عامل لينهض به ممّا عراه من جرّاء الاحتلال الصليبي الطويل. وانقضاء سبعين سنة على رحيل الصليبيين، عن جبل عامل، لم تكن كافية للنهوض به، لأنّ من شروط النهوض أن تتولّى الدعوة إليه قيادة تتوافر فيها شروط الإنهاض، من علم غزير وعقل كبير وإدارة

حازمة وإخلاص. وهذا ما يبدو أنّ الأقدار لم تُعدّه لجبل عامل طوال السنين السبعين الماضية، حتّى نشأ محمّد بن مكيّ وشبّ ودرس وتعلّم، وعاد ليقود البلاد في مسيرتها التعليمية، هذه المسيرة التي وجدت فيه من يمضي بها قدماً في معارج النهوض. وكنّا قد أشرنا، فيما تقدّم من القول، إلى أنّ المماليك، بما هم فيه من جهل وتعصّب، كانوا قد عملوا على محاربة عقائد العاملين وصرّفهم عما هم عليه من تعلّق بآل البيت عليهم السلام، وظلّوا طوال السنين التي أعقبت جلاء الصليبيين وحلولهم في البلاد يعملون جاهدين في هذا الميدان، وبذلك حالوا دون قيام المدارس العملية، ونتيجة لهذا حالوا دون بروز العلماء في الجبل، فأريانه يكاد يخلو طوال تلك الحقبة معنّ يصحّ أن ننسبه إلى العلم أو الفكر أو الأدب.

وفي المناطق التي أتاحت لهم فيها الفرصة لأن يببّدوا أهلها بالسيف أو يشترّدوهم، أقدموا على ذلك، كما حدث في كسروان. أمّا في جبل عامل فإنّه لم يكن من السهل عليهم أن يقتحموه بالسلاح الحربي، لذلك لجأوا إلى التجهيل والإفقار والإغواء والإضلال، ولكن لم يكتب لهم النجاح لصلابة العاملين في عقائدهم وتمسّكهم بمناهجهم. وحين أرادوا الاستعانة على محمّد بن مكيّ بشهادة الشهود عليه، لم يجدوا، بعد جهود سبعين سنة، سوى سبعين رجلاً يلبّونهم. لذلك رأيناهم يلجؤون للإشهاد عليه، إلى سكّان السواحل من غير العاملين.

والدليل على أنّهم بذلوا جهدهم للإكثار من الشهود العاملين، وأنّهم فشلوا في ذلك، عدم اكتفائهم من السواحليين بعشرات الشهود، بل جمعوا منهم المئات. لقد رأى المماليك، بتحريض من فقهاء السوء، في نبوغ محمّد بن مكيّ وما بدأ يؤسّسه من معاهد وبيوم من مدارس حائلاً دون استرسالهم في الإغواء، ولاحث لهم، من خلال ما لمحوه وراء سعيه، طلائع نهضة علمية فكرية أدبية، فلم يصبروا على ذلك وقرّروا القضاء عليه فدبّروا ما دبّروا...^١

١. الشهيد الأول، ص ٥١-٥٣، ٩١-٩٣، ٩٥-٩٩. وتصدّى لتحليل قصّة استشهاد الشهيد وعواملها وفتنة الياقوشى ومعركة الشهداء ومقبرتهم صديقي الفاضل الدكتور يوسف طباجة (حفظه الله سبحانه) في مقاله المنشورة في مجلّة العرفان، المجلّد ٨٠، العدد ٧-٨، ص ٥٩-٧٩. وانظر ما يأتي في مختصر نسيم السحر في ملاحق الكتاب.

(ب) ما قاله علماء العامة

وفيما قاله علماء العامة حول استشهاد الشهيد الكثير من الأكاذيب والافتراءات، ولعمري إن شهدنا المظلوم بريء منها.

قال طاهر بن حبيب (٨٠٨م) في حوادث سنة ٧٨٦:

وفيها قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ مَكِّيٍّ وعرفه كُبيراً الرافضة بدمشق وطرابلس، حين تجاهاً بالمعاصي والعدا، وتظاهراً بالزندقة في مخالفة الله ورسوله وموافقاً المردّة من العباد، وتأييماً عن الحق في استماع الأمر، ورأياً رأي التُصَيِّرِيَّةِ^١ في تحليل الخمر، وقالوا بتعظيمها كالمجوس وأهل الفجور، واعتقدوا مُعْتَقِدَهُمْ في أنّها من النور، وخرجا بما عندهما من الرُفْضِ، ونَصَبَا أَنْفُسَهُمَا للعينَة لرفع مقالة أولي الخفض، ودَعَوَا إلى إجابة دعوة نُصَيْرِ والركون إليها، وتغاليا في محبة [مقتول؟] ابن مُلْجَمِ [؟] وجمع قلوب غير الناس [كذا، ولعلّ الصواب: غيرهما من الناس] عليها، وتماذياً في الضلال والإضلال، ونادياً على نفوسهما بفتح الخلال والإخلال، ولا يرحا كذلك إلى أن وصل كل منهما أسباب غيّه بأسباب حثفه، وكان كما قيل: «كالباحث عن حثفه بظلفه»^٢. وكان قتل محمد بن مكّي المذكور تحت قلعة دِمَشْقَ، وقتل عرفه بطرابلس (عليهما من الله ما يستحقانه)^٣.

وقال شمس الدين الجزري (٨٣٣م) في ترجمة الشهيد:

محمد بن مكّي بن محمد بن حامد أبو عبدالله الجزيّني الشافعي. كذا كُتِبَ بخطه لي في استدعاء؛ ولكنه شيخ الشيعة والمجتهد في مذهبهم. وُلِدَ بعد العشرين وسبعائة، ورَحَلَ إلى العراق، وأخذ عن ابن المطهر وغيره، وقرأ القراءات على أصحاب ابن مؤمن^٤، ودُكِرَ

١. للوقوف على مذهب التُصَيِّرِيَّةِ انظر صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

٢. مثلاً، انظر معناه في تاج العروس، ج ٥، ص ١٦٣، «بحث».

٣. تكملة درة الأسلاك، حوادث سنة ٧٨٦.

٤. الظاهر أنه «عبدالله بن عبدالمؤمن بن الوجيه، هبة الله نجم الدين أبو محمد الواسطي (٦٧١ - ٧٤٠) كان شيخ العراق في زمانه وقرأ عليه... بدمشق شيخنا الأستاذ أبو المعالي ابن اللبان... بالعراق صاحبه الشيخ علي بن أحمد الدوري، وهو أكبر اصحابه بالعراق، وأبو العباس أحمد بن رجب الحنبلي للسمع خاصة... ومحمد شاه التستري وعبدالعزيز بن يوسف السراج ومحبي الدين أبو المفضل محمد بن عبدالله بن علي العاقولي والعز حسن إمام المستنصرية... والشيخ أحمد بن علي الملقن وجماعة بالعراق...» كما قاله الجزري في غاية النهاية، ج ١، ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

لي ابن اللبّان^١ أنّه قرأ عليه. وهو إمام في الفقه والنحو والقراءة، صَحِبْتِي مَدَّةً مديدة فلم أسمع منه ما يُخالِف السنَّة؛ ولكن قامت عليه البيّنة بآرائه، فَعُقِدَ له مجلسٌ بدمشق. واضطُرَّ فاعترف ليحكم بإسلامه الشافعي، فما حَكَمَ وجَعَلَ أمره إلى المالكي، فحكم بإراقه دمه، فضربت عنقه تحت القلعة بدمشق. وكنْتُ إذ ذاك بدمصر. وأمره إلى الله تعالى^٢.

وقال تقي الدين أحمد المقرئ (م ٨٤٥) في حوادث سنة ٧٨١:

وفيه قتل محمد بن مكّي داعية الرافضة تحت قلعة دمشق^٣.

وقال أيضاً في حوادث سنة ٧٨٥:

وفيهما قُتِلَ محمد بن مكّي كبير الرافضة بدمشق، لتظاهرة بزى النصرية، ضربت عنقه تحت القلعة^٤.

وقال ابن قاضي شُهبة (م ٨٥١) في حوادث شهر جمادى الأولى من سنة ٧٨٦:

وفي عاشره عَقِدَ مجلسٌ للشمس محمد بن مكّي العراقي الأصل [كذا] المقيم بقريّة جزين، وكان له في السجن مدّة، وأُثِبَت في حقّه مُحَضَّرٌ عند قاضي بيروت يَتَضَمَّنُ رَفْضَهُ وإطلاقه في عائشة وأبيها وعمر عباراتٍ مُنكَرَة، بل مُكْفَرَة على ما أفتى به جماعة من الشافعية والحنفية وغيرهم، فاجتمع القضاة والعلماء بدار السعادة وأُدْعِيَ عليه عند القاضي المالكي. فأنكَرَ أن يكونَ قال شيئاً من ذلك، فتوقّف المالكي توقفاً زائداً فَعَدَّرَ أنهم استدرجوا ابنَ مكّي حتّى اعترف وأقرّ ظناً منه أن ذلك ينفعه، ثم أتى

١. هو أستاذ الجزري «أبو المعالي ابن اللبّان» كما ذكره في غاية النهاية، ج ١، ص ٤٢٩، وقال أيضاً في غاية النهاية ج ٢، ص ٧٢-٧٣: «محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن جامع شيخنا أبو المعالي ابن اللبّان الدمشقي أستاذ محرر ضابط ولد فيها أخبرني سنة ٧١٥ وطلب القراءات سنة ٧٢٧ وما بعدها... ثم عاد إلى دمشق فقرأ العشر على ابن مؤمن الواسطي... سنة ٧٣٣... وأقبل على الإقراء فلم يكن في زمانه أحسن استحضاراً منه للقراءات، وولي مشيخة الإقراء بالدار الأشرفية وجامع التوبة والجامع الأموي، ثم لما توفي الشهاب أحمد بن بلبان البعلبكي سنة أربع وستين، ولي مكانه مشيخة مشايخ الإقراء بترية أم الصالح بدمشق؛ لأن من شرطها أن يكون شيخنا أعلم أهل البلد بالقراءات، ولقد كان أحقّ بها منه في حياته وأقرأ الناس زماناً، وانتفع به خلق، ورحل الناس إليه من الأقطار وبعد صيته واشتهر اسمه... وقرأ عليه ولده عمرو... ومحمد بن محمد بن حامد... هؤلاء الذين كملوا عليه وقرأ عليه خلق سواهم لم يكملوا عليه... توفي سنة ٧٧٦... ولم أكن حاضراً بدمشق...».

٢. غاية النهاية في طبقات القراء، ج ٢، ص ٢٦٥.

٣. السلوك، ج ٥، ص ٧٦.

٤. السلوك، ج ٥، ص ١٦١.

بكلمتي الشهادتين، فسُئِلَ المالكي حينئذٍ الحكمَ بكفره وإراقة دمه، فقال :
 حَتَّى تُفْتُوا بِرُذْقَتِهِ بما وقع منه، فأفتى بذلك المالكية وبعضُ الشافعية، فلَمَّا رَأَى
 ابنُ مَكِّي الجَدَّ رجوع وقال كلاماً لم يُسْمَعْ منه ولم يُلْتَفَتْ إليه. ثمَّ حكم القاضي المالكي
 بكفره وإراقة دمه وإن تاب، بعد أن استخارَ الله تعالى، وجَعَلَ حكمه مقيداً بشرطين :
 أحدهما أن لا يكون سَبَقَهُ حكمٌ بإسلامه، الثاني : أن يُنْفَذَ القضاةُ حكمه ويوافقهُ الحنبلي
 أيضاً، فحكم الحنبلي أيضاً بِرُذْقَتِهِ وإراقة دمه، وَنَفَذَهُ القاضيانِ، فأخْرِجَ إلى تحت
 القلعة فُضِرِبَتْ عُنُقُهُ، بعد أن صَلَّى رَكَعَتَيْنِ وأتى بكلمتي الشهادة وأظهر التَّرضِيَّ عن
 الشيخين والصحابه. قال ابن حِجِّي : «ولم يظهر منه جَزَعٌ ولا خوف، نسأل الله العافية»
 قال : «وهو مشهور بالرفض لكنَّه عالم في الأصول والقراءات وغير ذلك»^١.

وقال ابن حجر العسقلاني (م ٨٥٢) في حوادث سنة ٧٨١:

وفيها قُتِلَ مُحَمَّدُ بن مَكِّي الرافضي بِدِمَشقَ بسبب ما شُهِدَ به عليه من الانحلال واعتقاد
 مذهب النُصيرية واستحلال الخمر الصِرْفِ وغير ذلك من القبائح، وذلك في جُمادى
 الأولى. وأرَّخه بعض أصحابنا في سنة ستِّ وثمانين. فالله أعلم. وضرِبَتْ عُنُقُ رفيقه
 عرفة بطرابلس، وكان على مُعْتَقَدِهِ^٢.

وقال أيضاً في وفيات سنة ٧٨٦:

محمد بن مكي العراقي [كذا]، كان عارفاً بالأصول والعربية فقتل على الرُفْضِ ومذهب
 النصيرية في جمادى الأولى، وقد تقدّم ذكره في حوادث سنة إحدى وثمانين. والله أعلم^٣.

وقال ابن فهد المكي (م ٨٧١) في وفيات سنة ٧٨٦:

وبدمشق الشمس محمد بن مكي العراقي المقيم بحوزة [كذا، ظ: بِجَزِين] الرافضي
 مقتولاً على الرُفْضِ^٤.

١. تاريخ ابن قاضي شهبة، ج ١، ص ١٣٤-١٣٥، وانظر ص ١٥١ منه، حيث نقل كلام شمس الدين الجزري الذي نقلناه
 آنفاً، فقال: «محمد بن مكي بن محمد بن حامد بن عبد الله الجزيني [كذا]. ذكره الشيخ شمس الدين بن الجزري في
 كتابه طبقات القراء، وقال فيه: الشافعي كذا كتب بخطه لي في استدعاء [ولكنه] شيخ الشيعة والمجتهد في مذهبهم، ولد
 بعد العشرين وسبعمائه ودخل إلى العراق وأخذ عن المطهر [كذا] وغيره، وقرأ القراءات على أصحاب ابن مؤمن، وذكر لي
 ابن اللبان أنه قرأ عليه، وهو إمام في الفقه والنحو والقراءات، صحبتني مدةً مديدة فلم أسمع منه ما يخالف السنة...».

٢. إنباء الغفر، ج ١، ص ٣١١.

٣. إنباء الغفر، ج ٢، ص ١٨١.

٤. لُحْظُ الأَلْحاظ، ص ١٦٨.

وقال زين الدين عبدالباسط بن خليل بن شاهين الظاهري الحنفي (م ٩٢٠) في حوادث سنة ٧٨٦: «وفيها قتل محمد بن مكّي على الرفض وغيره، وكان عارفاً بالأصول والعربية»^١.

وقال ابن العماد الحنبلي (م ١٠٨٩) في وفيات سنة ٧٨٦:
وفيها محمد بن مكّي العراقي الرافضي، كان عارفاً بالأصول والعربية، فشهِدَ عليه بِدَمْشَقَ بانحلال العقيدة واعتقاد مذهب النُصيرية واستحلال الخمر الصِّرف، وغير ذلك من القبائح؛ فَضْرِبَتْ عَنْقُهُ بِدَمْشَقَ فِي جَمَادَى الْأُولَى، وَضْرِبَتْ عَنْقُ رَفِيقِهِ بَطْرَابِلِس، وَكَانَ عَلَى مَعْتَقَدِهِ^٢.

وكانت هذه نماذج من أقوال علماء العامة في مقتل الشهيد، وهي نسج من الافتراءات والأباطيل، ولقد أجاد العلامة الأميني (طاب ثراه) حيث قال - بشأن مقاله ابن العماد في هذه القصة -:

وللمؤرِّخ أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ... ما يُقْضِي منه العجب ما «تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْتَظِرُنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَدًّا» ويشهد الله والحقيقة وكتبُ الفقيد الشهيد أَنَّهُ بَرَاءٌ مِنْ تَلْكَمِ النِّسَبِ، وَفِي مُتَنَائِي عَنْهَا، غَيْرَ أَنَّ الْمُؤرِّخَ يَتَحَرَّى تَبْرِيرَ عَمَلٍ مِنْ ارْتِكَابِ تَلْكَمِ الْجَرِيرَةِ بِنَحْتِ أَعْذَارٍ مَفْتَعَلَةٍ. هَذِهِ خِلَاصَةٌ مَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْفِطَائِعِ فِي هَذِهِ الْفَاجِعَةِ وَمَاتَشَبَّهُوا بِهِ مِمَّا يَبْرُرُ أَعْمَالَهُمْ...^٣

وقال العلامة السيّد الأمين (طاب مثواه) بعد نقله لكلام ابن فهد المكي الذي مرّ آنفاً:
وهذا تحريف من النساخ فضحّف «العالمي» بـ«العراقي» والمقيم بجزين «بحوزية». وانظر إلى ما تفعله العداوة والنصب، فيُنسب رجلٌ من أجلاء علماء المسلمين إلى انحلال العقيدة واعتقاد مذهب النُصيرية واستحلال الخمر الصرف، وغير ذلك من الفضائح، لأجل ستر القبائح ممن لقي الله بدمه؛ ولا عجب فقد قال شامي لأصحاب عليّ عليه السلام في صِفِّينَ: «نقاتلكم لأنكم لا تصلّون وصاحبكم لا يصلّي»^٤.

١. نيل الأمل في ذيل الدول، ج ١، ق ٢، ص ٢٢٣.

٢. شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٩٤.

٣. شهداء الفضيلة، ص ٨٤.

٤. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦١.

وقال المرحوم السيّد حسن الأمين رحمته الله:

هذه هي التهمة التي وُجّهت إلى العالم العظيم محمّد بن مكّي، هذا العالم الذي رفض إغراءات الملوك بالالتحاق ببلطاتهم، وآثر العيش في القرية مع الفلاحين والفقراء، لينهض بمجتمعهم الذي أقعده الاحتلال الصليبي طوال عشرات السنين. هذا العالم الذي هاجر في صباه وشبابه إلى البلاد العربية طلباً للعلم، ليعود فيزوّد به شعبه فينقذه من الأميّة والجهل.

هذا العالم الذي كان أساتذته علماء من مكّة والمدينة وبغداد والقدس ودمشق والحلّة، رحل إليهم ودرس عليهم فأجازوه وروى عنهم.

هذا العالم يوجّه إليه أولئك الطغاة هذه التهم ليستحلّوا دمه! ^١

نعم، لم يكن ذنب الشهيد سوى الترويج والدعوة لعقيدته الشيعة الحقّة والسعي لنشرها، وما آثار الشهيد ومصنّفاته - خاصة رسالة العقيدة الكافية الآتية في ضمن البحث عن مؤلّفات الشهيد وآثاره العلمية - إلا خير دليل على براء ساحته المقدّسة من الاتّهامات التي ساقها له المخالفون.

وقد أنشد الشهيد أثناء حبسه في قلعة دِمَشقَ أشعاراً يخاطبُ فيها بيدمر حاكم دِمَشقَ يُبزّيُّ ساحته من الاتّهامات التي نُسبتْ إليه، ومن جملة هذه الأبيات:

يا أيّها الملِكُ المنصورُ بيدمرُ	بكم خوارزم والأقطار تفتخرُ
إني لداعٍ لكم في كلّ آونةٍ	وما جَنَيْتُ لَعَمري كيفَ اعتَدَرُ؟
لاتسمعنّ فيّ أقوالَ الوُشاةِ فقد	باؤوا بزورٍ وإفكٍ ليس يَنحَصِرُ
واللهِ واللهِ أيماناً مؤكّدةً	إني بريءٌ من الإفك الذي ذكروا
الفقه والنحو والتفسير يعرفني	ثمّ الأصولانِ والقرآن والأثرُ

.....

خدمة المملوك المظلوم والله: محمّد بن مكّي الشامي ^٢

١. الشهيد الأول، ص ١٠٤-١٠٥.

٢. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٩، ٢٠؛ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦١. ونُقِلَ بعض أبيات الشهيد إلى بيدمر في مخطوطةٍ في مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، برقم ٨٩١٢، وأدرجنا ما وقفنا عليه من أشعاره خطاباً لبیدمر في قافية الراء من الفصل الثالث من الباب الثالث لهذا الكتاب. وانظر ما يأتي في مختصر نسيم السحر في ملاحق الكتاب.

قال العلامة السيّد محسن الأمين رحمته الله :

ويُعلم من هذه القصيدة عدّة أمور تاريخية وهي: أنّه كان قد وشي بالشهيد عليه السلام إلى الأمير منجك قبل هذا فلم يقبل الوشاية، وأنّ الأمير حاجب وأستاذ الدار كانا يعلمان ذلك، وأنّه كان يحجّ في كلّ سنة، وأنّه كان في السنة التي استشهد فيها قد حجّ، وكان أمير الحجّ محمّد بن بيدمر، وأنّه كان له خلطة مع أرباب السلطنة وأركان الدولة^١.

وقال بعضُ المعاصرين في ردّ هذه الاتّهامات :

أما لجهة السبّ فإنّي أميل إلى تبرئة الرجل منه. لقد حقّق الشهيد خلال سنين عديدة صلواتٍ طيّبة بالمراكز العلمية السنيّة في المنطقة، وقرأ على كثيرٍ من شيوخها، وظلّ حتّى أواخر عمره يقيم مدداً غير قصيرة في دِمَشق، حيث كسب لنفسه مركزاً علمياً ممتازاً وتقديراً. ونُسجِل هنا شهادة الجزري التي يقول فيها: «صحبني مدّةً مديدة فلم أسمع منه ما يخالف السنّة»^٢. وهذا يدلّنا على دقّة الرجل، حتّى لقد كان يحرص وهو يخطّ اللمعة الدمشقية أن لا يطّلع عليه أحد. رجل كهذا في دقّته ومرونته وسعة أفقه لا يمكن أن يلجأ إلى النيل والسبّ، وعلى كلّ حالٍ فلماذا يفعل؟! في تقديرنا إنّ هذا السبب ليس أكثر من ترديدٍ لتهمة تاريخية ضدّ الشيعة كانت دائماً أرخص وأيسر وسيلةٍ للاستنارة عليهم^٣.

نعم، كان الشهيد يراعي التقيّة، ودعا في آخر إجازته لابن الخازن - التي كتبها في دِمَشق قبل شهادته بسنتين تقريباً أي ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤ - للصحابة، حيث قال :

والحمد لله أهد الأبدان، وصلّى الله على أفضل الخلائق أجمعين... وعترته الطيّبين
الطاهرين وصحبه الأخيار المُنتجبين^٤.

وقال صاحب الرياض :

نقل عنه عليه السلام أنّه كان في الأيام يشتغل بتدريس كتب المخالفين ويُقرّئهم ولم تحصل له فرصة لتدريس كتب الشيعة لشدّة التقيّة إلّا في الليل بقدر ما بين المغرب والعشاء، فكان

١. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦١.

٢. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

٣. الهجرة العالمية إلى إيران، ص ٨٣.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٢.

يدرس في ذلك الوقت الشيعة حين الخلوّة في بيتٍ معيّن عمله تحت الأرض^١. وكان بينه وبين علماء السنة مخالطة كما يبدو ممّا مرّ وصرّح به الشهيد الثاني^٢. وقال بعض المعاصرين :

ومن حرص الشهيد على توحيد الكلمة... كان يُخفي ما كان بيده من كتابه حين كان يزوره أعلام السنة في مجلسه، حتّى أنّه عدّ من كراماته أنّه حينما ابتدأ بكتابه اللمعة الدمشقيّة لم يمرّ عليه زائر من علماء السنة ووجّهاء دمشق إلى أن تمّت كتابة هذه الرسالة في سبعة أيّام^٣.

وهذه الرواية تدلّ على حرص الشهيد أولاً على عدم إثارة المسائل الخلافية، والمحافظة على وحدة الكلمة بين المسلمين في ظروف اجتماعية مضطربة... وتدلّ ثانياً على أنّ بيت الشهيد كان أهلاً بمختلف الطبقات من علماء ووجّهاء شيعة وسنة من دمشق وخارجها.

ولم يبق الشهيد... في دمشق عاطلاً عن العمل والنشاط، ولم ينتقل من جزين إلى دمشق لغير سبب... فقد حاول أولاً أن يكون لنفسه مكانة مرموقة في الأوساط الاجتماعية والفكرية، وهو عمل جبّارٌ إذا لاحظنا الظروف التي عاشها الشهيد والفجوات الكبيرة التي كانت بين السنة والشيعة في ذلك الوقت... وقد كان الخلاف في وقته قائماً على قدم وساق بين السنة والشيعة، ومن ورائها كانت الصليبية تغذيها وتلهبها بمختلف الوسائل، وكانت الحكومات تجد في ذلك كلّ إلهاءٍ لذهنية المسلمين وتخديراً لنفوسهم^٤.

وعليه فإنّ الاتهامات التي ساقها له علماء العامّة جاءت صرفاً لتبرير عملية قتله الفجعية ﷺ، والذي يبدو أنّ خطوات الشهيد السياسية ونشاطاته هي التي أدت إلى قتله من قبل الحكام، كما قال بعض المعاصرين :

... مسألة أخيرة تتصل بقتل محمّد بن مكّي ربما كانت هي السبب الأول والأخير في قتله، وهي صلته بحليفٍ شيعي علوي لتيمور هو السلطان عليّ بن مؤيد ملك خراسان...

١. تعلية أمل الآمل، ص ٨٠.

٢. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.

٣. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.

٤. الروضة البهيّة، ج ١، ص ١٣٠ - ١٣١، المقدّمة.

الذي كانت بينه وبين الشهيد «مودةً ومكاتبة على البعد إلى العراق ثم إلى الشام»^١ ...
ومما يكمل هذا الاتجاه أن السلطان المذكور أرسل رسولا إلى الشهيد ... يستقدمه إليه ...
ولكنّ الشهيد آثر أن يبقى حيث هو، وأرسل إليه رسالة اللمعة بقصد تفقيهِه في المذهب
الإمامي ومساعدته في تنظيم دولته على أساس منه ... وبهذا يبدو أن قتل الشهيد الأول
كان أدخل في السياسة منه في العقيدة ...^٢

ومما يدلّ على نشاطات الشيعة في عصر الشهيد نصّ التوقيع المُشهب الذي أورده
القلقشندي في صبح الأعشى - وفيه الكثير من الافتراءات على الشيعة - نورد لكم خلاصته:
قال القلقشندي:

وهذه نسخة توقيع كريم - بمنع أهل صيدا وبيروت وأعمالهما من اعتقاد الرافضة
والشيعة ورذعهم، والرجوع إلى السنّة والجماعة، واعتقاد مذهب أهل الحق، ومنع
أكابره من العقود الفاسدة والأنكحة الباطلة، والتعرض إلى أحد من الصحابة (رضوان
الله عليهم أجمعين) وأن لا يدعوا سلوك طريق أهل السنّة الواضحة، وتغشوا في شرك
أهل الشك والضلال، وأن كل من تظاهر بشيء من يدعهم قوبل بأشدّ عذاب وأنتم نكال؛
وليُخمد نيران يدعهم المُذلهمة، وليبادر إلى حسم فسادهم بكل همة، وتصريفهم عن
التهورك في مهالك أهوائهم إلى مانصّ عليه الشرع واعتبره، وتطهير بواطنهم من رذالة
اعتقادهم الباطل إلى أن يُعلِنوا جميعهم بالترضي عن العشرة، وليحفظ أنسابهم بالعقود
الصحيحة، وليداوموا على اعتقاد الحق والعمل بالسنّة الصريحة - في خامس عشرين
جمادى الآخرة سنة أربع وستين وسبعائة^٣؛ وهي:

«... وقد بلغنا أن جماعة من أهل بيروت وضواحيها، وصيدا ونواحيها، وأعمالها
المضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، ومزارع كل من الجهتين وضياها، وأصقاعها
وبقاعها، قد انتحلوا هذا المذهب الباطل وأظهروه، وعملوا به وقرّوه، وبتّوه في العامّة
ونشروه، واتخذوه ديناً يعتقدونه، وشرعاً يعتمدونه، وسلّكوا منهاجَه، وخاضوا لجاجَه،
وأصلّوه وفرّعوه، وتدبّنوا به وشرّعوه، وحصلّوه وفصلّوه، وبلغوه إلى نفوس أتباعهم

١. كما قاله الشهيد الثاني في الروضة البهية، ج ١، ص ٢٤.

٢. الصلة بين التصوف والتشيع، ج ٢، ص ١٣٩ - ١٤٠.

٣. ولعلّ الصواب: «أربع وثمانين وسبعائة»، راجع الهجرة العالمية إلى إيران، ص ٧٤ - ٧٥.

ووصلوه، وعظّموا أحكامه، وقدّموا حُكّامه، وتّمّوا تَجِيلَه وإِعْظامَه؛ فهم بباطله عاملون، وبمقتضاه يتعاملون، ولأعلامِ عِلْمِه حاملون، وللفسادِ قائلون، وبغير السدادِ قائلون، وبحرّمِ حرامه عائدون، وبِحِمَى حمايته لا يُذون، وبكُفْبِه ضلاله طائفون، وبسُدّةِ شِدّته عاكفون؛ وإتّهمِ يَسْتَبُون خَيْرَ الخلقِ بعد الأنبياء والمرسلين، ويستجِلُون دَمَ أَهْلِ السُنّةِ من المسلمين، ويستبيحُون نِكَاحَ المُتعة ويرتكِبُونَه، ويأكلون مَالَ مخالفيهم ويتهبّونَه، ويجمعون بين الأختين في النكاح، ويتديّتون بالكفر الصّراح، إلى غير ذلك من فروع هذا الأصل الخبيث، والمذهب الذي ساوى في البُطلان مذهب التثليث. فأنكرنا ذلك غاية الإنكار، وأكَبْرنا وقوعه أشدَّ إكبار، وغَضِبنا لله تعالى أن يكون في هذه الدولة للكُفْر إِذاعة، وللمعصية إِشادة وإِشاعة، وللطاعة إِخافة وإِضاعة، وللإيمان أَرْجى بِضاعة، وأردنا أن نَجْهز طائفةً من عسكر الإسلام، وفرقةً من جُنْد الإمام، تستأصل شأفةً هذه العُصبة المُلجدة، وتطهّر الأرض من رجس هذه المَفْسدة؛ ثم رأينا أن نَقْدَم الإِنذار، ونسبِق إليهم بالإعذار، فكتبتنا هذا الكتاب، ووجّهنا هذا الخطاب، ليقرأ على كافّهم ويُبَلِّغ إلى خاصّتهم وعامّتهم، يُعَلِّمهم أنّ هذه الأمور التي فعلوها، والمذاهب التي انتحلوها، تُبِيح دماءهم وأموالهم، وتَقْتَضِي تعميمهم بالعذاب واستِنْصالهم؛ فإنّ من استحلّ ما حرّم الله تعالى وعرف كونه من الدين ضرورةً فقد كفر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ عطفًا على ما حرّم بتحريمه، وأطلق النصّ فتعين حملُه على تعميمه؛ وقد انعقد على ذلك الإجماع، وانقطعت عن مخالفته الأطماع، ومخالفة الإجماع حرام بقول من لم يزل سميعاً بصيراً: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ، جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. ونكاح المُتعة منسوخ، وعقده في نفس الأمر منسوخ، ومن ارتكبه بعد علمه بتحريمه واشتهاره، فقد خرج عن الدين برده الحق وإنكاره، وفاعله إن لم يتب فهو مقتول، وعُذْرُه فيما يأتيه من ذلك غير مقبول، وسبُّ الصحابة (رضوان الله عليهم) مخالف لما أمر به رسول الله ﷺ من تعظيمهم، ومنايذٍ لتصريحه باحترامهم وتجيلهم، ومخالفة ﷺ فيما شرّعه من الأحكام، موجبة للكفر عند كلِّ قائل وإمام، ومُرتكِبُ ذلك على العقوبة سائر، وإلى

الجحيم صائر. وَمَنْ قَدَفَ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ (رضي الله عنها) بعدما برّأها الله تعالى فقد خالف كتابه العظيم، واستحقّق من الله التكالّ البليغ والعذاب الأليم. وعلى ذلك قامت واضحات الدلائل، وبه أخذ الأواخرُ والأوائل، وهو المنهج القويم، والصراطُ المستقيم، وما عدا ذلك فهو مزودود، ومن العلة غيرُ معذود، وحادثة في الدين. وباعتُ من المُلجدين، وقد قال الصادق في كلّ مقالة، والموضّح في كلّ دلالة: «كُلُّ مُحَدِّثَةٍ بِذِعَةٍ وَكُلُّ بِذِعَةٍ ضَلَالَةٌ»؛ فتوبوا إلى الله جميعاً، وعودوا إلى الجماعة سريعاً، وفارقوا مذهب أهل الضلالة، وجانبوا عُصْبَةَ الْجَهَالَةِ، واسمعوا مقالة الناصح لكم في دينكم وَعُوا، وَعَنِ الْغَيِّ رَاجِعُوا، وَإِلَى الرَّشَادِ رَاجِعُوا، وَإِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ يَتَّبِعُ السَّنَةَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَسَارِعُوا؛ ومن كان عنده امرأة بنكاح متعة فلا يُفْرِّقْهَا، وَلِيُحَذِرَ مِنْ غَشْيَانِهَا وَلِيُتَجَنَّبَهَا، وَمَنْ نَكَحَ أُخْتَيْنِ فِي عَقْدَيْنِ فَلْيُفَارِقِ النَّائِيَةَ مِنْهُمَا؛ فَإِنَّ عَقْدَهَا هُوَ الْبَاطِلُ، وَإِنْ كَانَتْ فِي عَقْدٍ وَاحِدٍ فَلْيُخْرِجْهُمَا مَعًا عَنْ حِبَالَيْتِهِ وَلَا يُعَاطِلْ؛ فَإِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، وَنِكَالَ الْمَجْرَمِ فِي الْحَمِيمِ كُلُّ يَوْمٍ يَرِيدُ، وَدَارَ غَضَبِ اللَّهِ تُنَادِي بِأَعْدَائِهِ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؛ فلا طاقة لكم بعذابه ولا قدرة على أليم عقابه، ولا مفرّ للظالم منه ولا خلاص، ولا ملجأ ولا مناص؛ فرجح الله تعالى امرأً نظرت لنفسه، واستعدّت لرؤسها، ومهدّت لمضرعها، ووطأت لمضجعه، قبل فوات الفوت، وهجوم الموت، وانقطاع الصوت، واعتقال اللسان، وانتقال الإنسان، قبل أن تُبَدَّلَ التوبة ولا تُقْبَلَ، وتُدْرَى الدُمُوعُ وتُسَبَّلُ، وتنقضي الآجال، وينقطع الأمل ويمتنع العمل، وتزهق من العبد نفسه، ويضمه رؤسها، ويرد على ربه وهو عليه غضبان، وإن سُخِطَ عليه بمخالفة أمره قد بان، ولا ينفعه حينئذٍ الندم، ولا تُقال عشرته إذا زلّت به القدم؛ وقد أعذر من أُنذِر، وأنصف من حذّر؛ فإن حزب الله هم الغالبون، والذين كفروا سيُعْلَبُونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (ألهما الله وإياكم رُشدنا، ووفق إلى مراضيه قُصدنا، وجَمَعنا وإياكم على الطاعة، وأعاننا جميعاً على السُنَّةِ والجماعة، بمنه وكرمه)¹.

كما تلاحظون فقد ساق التوقيع مختلف التهم للشيععة، ومهما تكن فهي ترشدنا وتقودنا

إلى نشاطات الشيعة المتأثرة بفعاليات الشهيد الأول آنذاك^١.

نُضيف إلى ذلك أن الحكّام أعدموا في عصر الشهيد في مدينة دمشق بالتحديد ثلاثة من الشيعة في الأعوام ٧٤٤، ٧٥٥ و ٧٦٦، حيث كانت سوق قتل الشيعة بتهمة كونهم «رافضة» دائرة. يقول كبير علماء السنّة ابن كثير الدمشقي في حوادث شهر جمادى الأولى من سنة ٧٤٤:

وفي صبيحة يوم الإثنين الحادي والعشرين منه قتل بسوق الخيل حسن ابن الشيخ السكاكيني على ما ظهر منه من الرفض الدالّ على الكفر المحض، شهّد عليه عند القاضي شرف الدين المالكي بشهادات كثيرة تدلّ على كفره، وأنّه رافضي جلد، فمن ذلك تكفير الشيخين (رضي الله عنهما) وقذفه أمي المؤمنين عائشة وحفصة (رضي الله عنهما)، وزعم أن جبريل غلط فأوحى إلى محمّد، وإنّما كان مرسلًا إلى عليّ، وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة (قبّحَه الله) وقد فعل. وكان والده الشيخ محمّد السكاكيني يُعرّف مذهب الرافضة والشيعة جيّدًا، وكانت له أسئلة على مذهب أهل الخير، ونظم في ذلك قصيدة أجابه فيها شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله. وذكر غير واحد من أصحاب الشيخ أن السكاكيني ما مات حتّى رجع عن مذهبه، وصار إلى قول أهل السنّة، فالله أعلم. وأُخبرْتُ أنّ ولده حسنًا هذا القبيح كان قد أراد قتل أبيه لَمّا أظهرَ السنّة^٢.

ويقول أيضاً في حوادث سنة ٧٥٥:

نادرة من الغرائب

في يوم الإثنين السادس عشر من جمادى الأولى اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق وهو يسبُّ أول من ظلّم آل محمّد، ويكرّر ذلك لا يفتتر، ولم يصلّ مع الناس ولا صلّى على الجنازة الحاضرة، على أن الناس في الصلاة، وهو يُكرّر ذلك ويرفع صوته به، فلما فرغنا من الصلاة نَبّهت عليه الناس فأخذوه وإذا قاضي القضاة

١. الهجرة العالمية إلى إيران، ص ٥٩ - ٨١.

٢. البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٤٤؛ وانظر الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٤، الرقم ١٥٥١؛ شهداء الفضيلة، ص ٧٣ - ٧٤؛ أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٦٢٨؛ خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٢٠، ص ٢٦٦، ط. الجديدة؛ الحقائق الراهنة، ص ١٤٥.

الشافعي في تلك الجنازة حاضر مع الناس. فجئت إليه واستنطقته مَنْ الذي ظلم آلَ محمد؟ فقال «أبو بكر الصديق»، ثم قال جهرةً والناس يسمعون: «لعن الله أبا بكر وعمر وعثمانَ ومعاويةَ ويزيدَ»، فأعاد ذلك مرتين، فأمر به الحاكمُ إلى السجن، ثم استحضره المالكي وجَلَدَه بالسياط، وهو مع ذلك يصرخ بالسبِّ واللعن والكلام الذي لا يصدر إلا عن شقي. واسم هذا اللعين عليّ بن أبي الفضل بن محمد بن حسين بن كثير (قَبَّحَهُ اللهُ وأخزاه) ثم لما كان يوم الخميس سابع [كذا، والصواب: تاسع] عشره عُقِدَ له مجلس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطلِبَ إلى هنالك، فقَدَّر اللهُ أن حَكَمَ نائب المالكي بقتله، فأخَذَ سريعاً فضربتُ عنقه تحت القلعة، وحرَّقه العامة وطافوا برأسه البلدَ وناذوا عليه: «هذا جزاء من سبَّ أصحابَ رسول الله ﷺ». وقد ناظرتُ هذا الجاهلَ بدار القاضي المالكي وإذا عنده شيء مما يقوله الراضةُ الغلاةُ، وقد تلقى عن أصحاب ابن مطهر^١ أشياء في الكفر والزندقة (قَبَّحَهُ اللهُ وإيَّاهم)^٢.

ويقول أيضاً في حوادث شهر جمادى الآخرة من سنة ٧٦٦:

قتل الراض الخبيث

وفي يوم الخميس سابع عشره أوّل النهار وُجِدَ رجل بالجامع الأموي اسمه محمود بن إبراهيم الشيرازي، وهو يسبُّ الشيخين ويصرِّحُ بلعنتهما، فزُفِعَ إلى القاضي المالكي قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي فاستتابه عن ذلك وأحضر الضراب فأول ضربة قال: «لا إله إلا الله، عليّ وليّ الله»، ولما ضرب الثانية لعن أبا بكر وعمر، فالتهمه العامة فأوسعوه ضرباً مبرِّحاً بحيث كاد يهْلِك، فجعلَ القاضي يَسْتَكْفِهِمْ عنه فلم يستطِع ذلك، فجعلَ الراضِي يُسبُّ ويَلْعَنُ الصحابة، وقال: «كانوا على الضلال»، فعند ذلك حُمِلَ إلى نائب السلطنة وشهدَ عليه قوله بأنهم كانوا على الضلالة، فعند ذلك حكم عليه القاضي بإراقة دمه، فأخَذَ إلى ظاهر البلد فضربت عنقه وأحرقته العامة (قَبَّحَهُ اللهُ). وكان ممن يقرأ بمدرة أبي عمر، ثم ظهر عليه الرفضُ فسَجَنَهُ الحنبليُّ أربعين يوماً، فلم ينفع ذلك، وما زال يصرِّحُ في كلِّ موطن يأمر فيه بالسبِّ حتّى كان يومه هذا أظهرَ مذهبه

١. يعني العلامة الحلبي (طاب ثراه).

٢. البدايه والنهائة، ج ١٤، ص ٢٨٧؛ وانظر الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٤-٣٥، الرقم ٩٣، ص ٨٣-٨٤، الرقم ٢١٣؛

الصواعق المحرقة، ج ١، ص ١٢٨-١٢٩؛ الحقائق الراهنة، ص ١٤٦؛ شهداء الفضيلة، ص ٩٧-٩٨.

في الجامع. وكان سبب قتله (قَبَّحَهُ اللهُ كَمَا قَبَّحَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ وَقُتِلَ بِقَتْلِهِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ)^١.

* * *

قال البغدادي في ترجمة الشهيد:

محمد بن جمال الدين مكي... العاملي الجزيني (الجزين على وزن السكين: موضوع [كذا، ظ: موضع] في البحرين) هو من غلاة الشيعة، مات مقتولاً بدمشق سنة ٧٨٢ اثنتين وثمانين وسبعمائة^٢.

وفي كلامه هذا عدة أخطاء:

(أ) استشهد الشهيد في عام ٧٨٢ خطأ قطعاً، والصحيح هو عام ٧٨٦.

(ب) قوله: «الجزين... موضع في البحرين» أيضاً خطأ فاحش، بل هو موضع في لبنان.

(ج) قوله: «هو من غلاة الشيعة» أيضاً باطل، وبطلانه واضح لمن له أدنى دراية.

* * *

قال الشيخ محمد رضا شمس الدين رحمته الله:

الذي أراه أنّ الشهيد سُجِنَ مَرَّتَيْنِ: أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ بِأَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ سَنِينَ، وَفِيهِ أَلْفُ اللَّمَعَةِ...؛ وَثَانِيًا قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ بِسَنَةٍ، وَهُوَ الَّذِي اسْتُشْهِدَ بَعْدَهُ^٣.

أقول: هذا الكلام لا يوجد من يؤيده في المصادر التاريخية، ولم يقل أحد أنّ الشهيد سُجِنَ مَرَّتَيْنِ، وسنبحث حول أنّ الشهيد لم يؤلف اللمعة في السجن عند التطرق إلى مؤلفات الشهيد في ذيل عنوان اللمعة الدمشقية. والذي يبدو أنّ ما حدا بالشيخ شمس الدين إلى هذه المقالة هو قول الشيخ الحرّ العاملي: «وفي مدة الحبس أَلْفُ اللَّمَعَةِ الدِمَشْقِيَّةِ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ»^٤، ولكننا أشرنا فيما تقدّم إلى عدم صحة هذه المقولة، هذا أولاً؛ وثانياً فإنّ

١. البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٥٤؛ وانظر الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٢١، الرقم ٨٧٨؛ شهداء الفضيلة، ص ٨٠.

٢. هدية العارفين، ج ٢، ص ١٧١، وذكر في عدة مواضع أخرى أيضاً قتل الشهيد في سنة ٧٨٢، منها في إيضاح المكنون، ج ١، ص ٣٥٥.

٣. حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٧٣.

٤. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٣.

الشيخ الحرّ العاملي اعتبر تأليف الشهيد لللمعة الدمشقية في نفس السجن الذي أدى إلى شهادته وكان في السنة الأخيرة من حياته؛ لأنّ الشيخ الحرّ قال:

وكانت وفاته سنة ٧٨٦... بعدما حُيِسَ سنةً كاملةً في قلعة الشام، وفي مدّة الحبس ألف اللمعة الدمشقية^١.

وعلى هذا - ولو أذعنّا للفرض المحال بأنّ الشهيد ألف اللمعة في السجن اعتماداً على قول العاملي (طاب مثواه) - فإنّ هذا الأمر لا يقودنا إلى أنّ الشهيد سجن مرّتين.



وكما تقدّم - نقلاً عن تلميذ الشهيد الفاضل المقداد - فإنّ الشهيد قُتِلَ بالسيف، ثمّ صُلِبَ ثمّ رُجِمَ ثمّ أُحْرِقَ ببلدة دمشق، وعلى هذا فليس له قبر يُزار، وهو كما يقول الشاعر الفارسي:

بعد از وفات تربت ما در زمين مجوى در سينه هاى مردم عارف مزار ماست^٢
ولكن قال الشيخ محمّد رضا شمس الدين رحمته الله:

إنّه لم يعرف وجود قبر للشهيد؛ لأنّه أُحْرِقَ جسده ودُكِّيَ في الهواء. وقيل: «إنّه جُمِعَ رفاته بعد الإحراق ودُفِنَ بالشام». وقد أخبرني بعض أدباء النجف المعروفين أنّه شاهد قبره وعليه اسمه في الشام. ولبعدنا عنها الآن لم يتيسّر لنا البحث عن ذلك^٣.

ومهما يكن فقد مضى الشهيد بمآثر كبيرة وأعمالٍ جليّة وأيادٍ بيضاء على الفقه والشريعة، خلّدته ودرجته اسمه في سِجِلِّ الخالدين من المجاهدين والعاملين في سبيل الإسلام... (فرحمه الله يوم وُلِدَ، ورحمه الله يوم اسْتُشْهِدَ في سبيل الله، ورحمه يوم يُحْشَرُ)^٤.

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢-١٨٣.

٢. يعني: لا تبحث عن قبر لنا بعد الممات؛ فإنّ مزارنا يكمن في صدور العارفين.

٣. حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٦.

٤. الروضة البهية، ج ١، ص ١٤٨، المقدّمة.

الشهيد الأوّل

عصره، سيرته، أعماله وما مكث منها

المقدّمة

الفصل الأوّل: أرضية تاريخية

الفصل الثالث: جزيّن ماضي الأيام الآتية

الفصل الرابع في السيرة

الفصل الخامس في جُضمّ المعترك

الفصل السادس: عالم الشهيد وسيرته من هذا المنظور

الفصل السابع: ماذا مكث من أعمال الشهيد؟

الخاتمة

تأليف

الشيخ د. جعفر المهاجر

المقدمة*

(١)

عمارة السيرة من أهم فنون الكتابة التاريخية، بل هي عندي أهمها على الإطلاق، بالنظر لأنها أبعدنا عن التأثير المُدمر للمؤرخ السلطوي، ذلك أن كتابة السيرة هي ثمرة علاقة إنسانية طبيعية بين الكاتب وموضوع عمله، حتى وإن كانت غير مباشرة. أما الكتابة التاريخية الحديثة فهي غالباً جداً خاضعة لافكارٍ مُسبقة، تكيف الأحداث بما يتناسب مع أغراض وحوافز وأفكار وعلاقات كاتبها.

سبب آخر لاهمّية عمارة السيرة، ينبع من أهمّية صاحبها، ها هنا علاقة طردية بين الإثنين، كلما كان صاحب السيرة أكبر حضوراً وأعمق تأثيراً، كان الداعي إلى عمارة سيرته أقوى وأعود، ذلك لأننا من خلال السيرة قد نستشرف ما نعجز عن رؤيته في التاريخ الرسمي الحديثي. إذن، فنحن هنا أمام مطلبين: كتابة السيرة ذاتها، وعبرها كتابة تاريخ أصدق وأكثر إنسانية.

عمارة سيرة الشهيد الأول محمد بن مكّي الجزيني أنموذج كبير على ما قلناه، على الرغم من أنها تحدّ كبير لمن يُحاولها، وليس هذا بالأمر الغريب، فدائماً كانت سير الكبار أكبر منهم، على الأقلّ لأن إنجازاتهم تعيش وتنمو من بعد أن يموتوا، إنهم يبدأون تفاعلاً بمضي مُتسلسلاً من بعدهم، يُنتج ويُغيّر ويبدّل في مقادير البشر، دون أن يُلقى بالألموت من أنجبه، ولكن سيرة الشهيد، بالإضافة إلى ذلك، تواجهنا بتحدّيات من صنف مُختلف، إنّه كبير

* كما قلنا فيما سبق في مقدّمة الكتاب هذا الباب ألفه الصديق العزيز الشيخ جعفر المهاجر (حفظه الله سبحانه ورعاه) بطلبٍ من مركز إحياء التراث الإسلامي.

نبت في الغمار، أكثر الكبار نبتوا في الغمار، ولكن هذا الكبير نبت في غمار تام مُطبق ليس فيه بصيص نور، ولم يلتفت حتى تلاميذه إلى الحاجة إلى تسجيل ما عرفوه من سيرته إلا بعد أن نال الشهادة، وحتى أكثر ماسجلوه ضاع في الغمار نفسه، ولم ينبج منه إلا ما خرج من حالة بلده مع خروج أحد أبرز تلاميذه، المقداد بن عبدالله السيوري، الذي سجل لنفسه فيما يبدو، ما عرفه من قصة شهادته فقط دون ما بقي من سيرته وهو الأهم، وحملها معه إلى العراق، ومن هناك انتشرت وتناقلت المصادر.

نعم، كتب أكثر من تلميذ سيرة له يبدو أنها شاملة، ولكن هذه كلها بقيت في جيل عامل، فكان نصيبها الضياع، ولم ينبج منها ويصل إلينا إلا مُختصر عن أحدها، وأصله سيرة يبدو أنها شاملة للشهيد. علّقها أحد تلاميذه غير المعروفين، هو محمد بن علي بن الوحيد البتديني سمّاها نسيم السحر، ثم تناولها حفيد بعيد للشهيد هو محمد مكّي بن محمد بن شمس الدين بن الحسن بن زين الدين (ح ١١٧٨)، الذي كان يعيش في إيران، - فاختصرها على نحو لا نعرف حظه من الدقة، والذي وصلنا منها تسع أوراق مكتوبة بخط اليد، قدّم لي صورة عن أصلها المحفوظ في مكتبة السيّد البروجردي في قم، برقم ٣٩٩/٨، أثناء إحدى زياراتي لقم المقدّسة، الصديق العزيز البحّثة الشيخ رضا المختاري، على عادته الحميدة في إتحاف زملائه بما يقع تحت يده من نفائس، والحقيقة أنني لم ألتفت لأوّل وهلة إلى قيمتها، ولكنني عندما انفردتُ بها وبدأت قراءتها تكشفت أمامي أهمّيّتها ونقائصها معاً، ويجدها القارئ في ملحقات هذا الكتاب.

هو ذا كلّ ما لدينا في المصادر الشيعيّة عن الشهيد، ولا ننس أننا نسوق كلّ هذا الكلام في سبيل بيان التحديّ الذي يواجهه الباحث الذي يُحاول كتابة سيرته. أمّا ما في المصادر غير الشيعيّة فهو الأكثر، سواءً من حيث عدد المصادر، أم من حيث سعة المادّة، وهذه ظاهرة غير عاديّة نظنّ أنّ سببها أمران:

الأوّل: سعة شبكة علاقات الشهيد، التي شرع ينسجها منذ أن غادر الحلة، وذلك بدأً من رحلته العلميّة الواسعة، التي زار أثناءها كافة مراكز العلم المعروفة في المنطقة، وأخذ وسمع من شيوخها وفقهائها، ثمّ تابعها بدقّة ودأب بعد أن استقرّ به المقام في جزين، ممّا جعل منه

شخصية ذات حضور قوي، وغنى عن البيان، إنَّ أرباب المعاجم يترجمون لمن يعرفون، ويصدفون عمّن يجهلون.

الثاني: قتلته الفاجعة، بوصفها حدثاً غير عادي بكلِّ المقاييس، لما للشهيد من مكانة عالية بوصفه فقيهاً كبيراً، ولذلك فإنها أثارت رنةً من الحزن لدى عارفي فضله حتّى خارج مذهبه، ممّا ترك آثاره المكتومة والصريحة فيما كتبه أكثرهم، ناهيك بالفجعة الكبيرة لدى قومه ومُقدّري أعماله ومراميه، الأمر الذي أوجب تخطيط وحشد السُلطة لامتناع مشاعر النعمة، وانعكس ذلك حضوراً في تلك المصادر.

من هنا، فإنَّ كلَّ ما كتب فيها هو حصراً من وجهة نظر السُلطة، إما لالتزام الكاتب بها وبمصلحتها التزاماً شخصياً ومباشراً، وإما لأنّه مُلتزم بفكرها ونمطها. وعلى كلّ حال فالغرض دائماً واحد ليس غير هو تبرير جريمة قتله، ومن هنا فهي عبء على البحث والباحث ليس له أن يستفيد منها، لأنّها لا تعكس الحقيقة، وإنّما هي مُجرّد وجهة نظر تبريرية، بل له أن يكتشف خبيثتها في سياق معالجة بعض الإشكاليات التي تطرحها السيرة.

(٢)

بُعيتي في هذا الباب أن أكتب سيرة وافيةً للشهيد، وإن كنتُ أعرف سلفاً أنّي لن أصل إلى بُعيتي بأكملها، ذلك لأنَّ سيرته الحافلة تطرح إشكاليات أكثر بكثير ممّا بين أيدينا من معلومات تصلح موادّ لإعمارها، وقد أمضيتُ السطور السابقة من المقدّمة في بيان المآزق الذي يقع فيه الكاتب بمُجرّد أن يحاول ما أحاوله هنا، كي لا يعتبر القارئ عنوان الكتاب وعداً مُلزماً يُطالبني بكلِّ ما يقتضيه، يكفي أن نتقدّم خطوة إلى الإمام، بالقياس إلى تطوّر البحث في موضوع الكتاب، وأن تطرح الأسئلة التي تنبت من ثنايا التأمل المنهجي طرْحاً دقيقاً، ومعلوم أنّ طرْح الأسئلة المنهجية هو نصف الطريق إلى الجواب، بالنظر لأنّها تُحدّد منظور الباحث وهو يُنقب ويتأمّل، تاركين للمعالجات الآتية الأمل بأن تُكمل الطريق، وهذا أمل له ما يُسوّغه، ممّا سنقفُ عليه بعد قليل.

يتضمّن هذا الباب سبعة فصول، كلّ فصل يُعالج إشكالية من الإشكاليات التي يطرحها

موضوعه، وقد قدّمنا لكلّ فصل بتمهيد. كما ذيلناه بمُلخَص لمادته. ابتغاء أن تُساعد القارئ على أن ينتقل انتقالاً مُريحاً من طورٍ من البحث إلى الطور التالي.

سُنخَصّ الفصل الأوّل لأرضيّة تاريخيّة عامّة، لأنّ كلّ سيرة شخصيّة هي ثمرة تفاعل بين الظرف العام بكامل عناصره، وبين الذات / الشخص، ولن يكون في الوسع فهم أعماله إلّا بالنظر لموقعها، فلنقل أنّ الظرف العام هو الفعل، وأنّ السلوك هو الاستجابة أو الارتكاس عليه، وعليه فقد رسمنا في هذا الفصل خريطة بشريّة للتحوّلات السُكّانيّة للشيعة النازلين غرب البحر المتوسط، أي ما يُعرف اليوم بلبنان السياسي، بادئين بانتشارهم في المنطقة، وصولاً إلى البلاء الصليبي، الذي كان بمثابة البادئ لسلسلة من الحركات السُكّانيّة القسريّة، الأخذ البعض منها برقاب بعض، أهمّها على الإطلاق إخراج الشيعة من مواطنهم التاريخيّة في جبل لبنان، فإسكان جماعات من التركمان فيها، فهبوط هؤلاء إلى السواحل واجتياحها سُكّانياً، اجتياحاً مدعوماً من قِبَل السُلطة، الأمر الذي انتهى إلى خريطة بشريّة جديدة للمنطقة، مع ما ترتب على ذلك من آثار سياسيّة. كان الشيعة ضحيّتها الوحيدة، وهذه هي القاعدة التي تستقرّ عليها سيرة الشهيد وأعماله.

في الفصل الثاني «جزّين ماضي الأيام الآتية»، سنقترب خطوة كبيرة من غايتنا، وذلك بالتعرّف على البيئّة الثقافيّة التي نبت فيها بطل هذه السيرة ومكوّناتها من ناحية تاريخها العام، ومن ناحية تاريخها الثقافي الخاصّ، والعلاقة بين الشخص ومنبته ليس في حاجة إلى تذكير بأكثر من هذه الإشارة.

في الفصل الثالث «في السيرة»، سندخل مباشرة في سيرة الشهيد، حيث سنستعرض استعراضاً نقدياً ما في مختلف المصادر مراحل حياته الستّ التي عنواناً بها أقسامه الستّة. بدءاً من المولد حتّى الشهادة.

في الفصل الرابع «في خضمّ المُعترك»، سنقوم بما أستحسن أن نسّميه توأمّة، نضرب فيها النتائج التي وصلنا إليها في الفصول الثلاثة السابقة بعضها ببعض، خصوصاً بين الفصلين الأوّل والثالث لنقف على الجانب العملائي من سيرة الشهيد، حيث سنتحدّث في بواعثه على العمل والنهج أو الخطة التي عمل عليها، وصولاً إلى الثمار التي أُوتيت من أعماله، مع

إشارة ضرورية إلى أن الحديث في البواعث سيستوجب العودة إلى الظرف التاريخي الذي عمل فيه، هذا أشبه بضبط العدسة قبل أخذ الصورة.

في الفصل الخامس «عالم الشهيد»، سنبقى في نطاق السيرة، لكننا هذه المرة سنرجع البصر فيها من خلال شبكة العلاقات الواسعة التي بناها في سياق عمله، إعداداً أو تنفيذاً، وهو بحث غير مسبوق، أملاه علينا ضرورة أن جزءاً كبيراً وأساسياً من سيرته لا سبيل للإحاطة به إلا من هذا المنظور.

في الفصل السادس سنطرح السؤال الكبير: «لماذا قتل الشهيد؟». إن حجم السؤال يتأتى من حجم الجريمة وغرابتها أولاً، ثم من حجم حضورها في المصادر الكثيرة، وكلا الأمرين له معناه ومغراه، الذي من وظيفة الباحث أن يكتشفه.

في الفصل السابع سنصل إلى ذروة البحث، فنطرح سؤالاً ثانياً: «ماذا مكث من أعمال الشهيد؟»، السؤال في غنى عن التبرير، لكن هاهنا ما يجب الإشارة إليه، فمع أن هذا البحث غير مسبوق أيضاً، فإننا فيما نعالجه في السؤال غير سابقين، أريد أن أقول: إننا نلحق بالجمهور، نطلب تفسيراً للحضور الكبير والمُميّز للشهيد في وجدانه، ذلك الحضور الذي لم يكن ليحصل لولا ما مكث من أعماله، إذن الحضور الكبير في الوجدان الشعبي هو وجه آخر للباقات الصالحات وسيكون علينا في هذا الفصل أن نكتشفها، على المستوى المحلي في وطن الشهيد، وعلى المستوى الأوسع في عالم التشيع.

وأخيراً، سنختم الباب بالخاتمة التقليدية التي تقضي بها الكتابة الفنية فنلخص أهم النتائج التي وصل إليها البحث في فصوله السبعة.

(٣)

بالنسبة لمصادر البحث الأساسية، فإن علينا أن نُكرّر ما سبق أن أشرنا إليه من نُدرّة المصادر الشيعية في هذا النطاق، للسبب الذي ذكرناه في مطلع المقدمة، والحقيقة أن ليس في اليد من هذه إلا مصدرين اثنين:

أولهما: رواية المقداد بن عبد الله السيوري، وهو فقيه عراقي بارز تتلمذ للشهيد في الحلة ثم التحق به بعد أن استقرّ به المقام في جزين حيث غدا من معاونه، ثم تركها عائداً

إلى وطنه بعد مقتل شيخه، حيث قضى ما بقى له من العمر مع أحزانه، وقد سجّلها تلميذه عزّ الدين حمزة بن مُحسن الحسيني كما وجدها بخطّ شيخه، ثمّ وجدها محمّد باقر المجلسي «في بعض المواضع» فأنزّلها في كتابه بحار الأنوار وعنه نقلت في مصادر كثيرة^١.

الرواية من هذه الوجهة موثوقة، ولكنّها من وجهة أخرى محصورة في قصّة الشهادة كما عاها صاحبها وكما وصلت أصدائها، نُشير بهذا إلى أنّها من مستويين: هي رواية شاهد عيان فيما يتّصل بما اضطرب فيه الشهيد من أحداث جرت في جبل عامل، ومهدت أو كانت السبب المُعلن للمحاكمة التي انتهت بقتله ولكنّها أصداء بعيدة عمّا وصل إلى جزين من دمشق من أحداث المحاكمة والقتل.

ثانيهما: رسالة مختصر نسيم السحر لمحمّد مكّي بن محمّد بن شمس الدين بن الحسن بن زين الدين، من سلالة الشهيد الأول، الذي كان يعيش في إيران، وكان حيناً سنة ١١٧٨، ولدينا نسخة مُصوّرة عن أصلها المخطوط المحفوظ في مكتبة آية الله البروجردي رحمته الله في قم، برقم ٣٩٩/٨، قدّمها لي الصديق العزيز البحّانة الشيخ رضا المختاري.

لهذه الرسالة قصّة تستحقّ أن تروى أصلها، (نسيم السحر)، لا ذكر له في كافّة المصادر، بقدر ما بحثنا وتقبنا. حتّى أن آقا بزّرك لم يذكره في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة، وهو الذي قضى شطراً كبيراً من عمره يبيح ويُنقب في المكتبات العامّة والخاصّة في إيران والعراق، بحثاً عن مادة كتابه، ممّا يتركنا على شبه اليقين بأنّه من كنوزنا الضائعة، ولكن ما من ريب في أنّ نسخة منه كانت لدى محمّد مكّي، هي التي اختصر مادّتها، ثمّ إنّ عمله هذا يدلّ دلالة ظنيّة على أنّ الأصل كان من حجم كبير، وبالتالي غنياً بالتفصيلات، وإلّا لماذا صرف جهده إلى اختصاره، ممّا يزيد من حسرتنا على ضياعه.

الوحيد الذي ذكره هو صديقنا ونسينا المرحوم الشيخ محمّد رضا شمس الدين في كتابه الرائد حياة الإمام الشهيد الأول، الذي صنّفه سنة ١٣٧٦ حيث قال:

نسيم السحر في حياة الشهيد الأول، من حين مولده حتّى قتل، للفاضل المحقّق - هكذا رأيت - الشيخ أحمد بن الوجيه (أو الوحيد) العاملي، من قرية زبددين^٢.

١. انظر: «الفصل العاشر: أ) ما قاله أصحابنا الإمامية». من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

٢. حياة الإمام الشهيد الأول، ص ١٣.

ولكنّه لم يقل لنا أين رأى. كما أنّه لم يُسند أقواله. وإن يكن لا ريب في أنّه أخذها من مصدر ما. وعلى كلّ حال، فإنّ كلّ ما قاله في هذا السياق يبدو أنّه مُستند إلى سماعات، ليس منها ما هو ثابت، ومع ذلك فإنّ مُجرّد ذكره لنسيم السحر أمر يستحقّ التنويه.

نقول كلّ هذا على نسيم السحر على سبيل الإلفات إلى قيمته الاستثنائية، وضمناً على سبيل التعلّق بالأمل في أن تكون نسخة منه في إحدى المكتبات. هذا فيما يرجع للمصدرين الشيعيين.

بالنسبة لغيرها، فإننا سنذكرها مرتبةً بالتسلسل حسب تاريخها^١:

الأول: غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين محمد بن محمد الجزري (م ٨٣٣). وهو فقيه دمشقي مولداً ونشأة، عرف الشهيد معرفةً وثيقة لمُدّة طويلة، والظاهر أنّه كان من رُواد مجلسه في المدينة، وقد علّق له في كتابه هذا ترجمة من تسعة أسطر، ومع ذلك فهي غنيّة بالمعلومات. أكثر مادتها مُستفاد من الشهيد فيما يبدو، ولكنّه أثناء المُحاكمة كان في مصر، ولو أنّه كان في دمشق لربما كان من جملة العلماء الذين حشدتهم السُلطة في مجلس الحكم ليكونوا شهداء على ما يجري فيها ولترك لنا معلومات شاهد عيان غير مُتحيّز على الأقلّ.

الثاني: صُبْح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأحمد بن عليّ القلقشندي (م ٨٢١). وهو كاتب مُتقدّم في ديوان الانشاء بالقاهرة الذي من عمله تدبيح الرسائل والتوقيعات وما إليها للسلطان. وقد صنّف كتابه هذا ليكون مُرشداً لمن يبتغي العمل في هذه الوظيفة، وهو لم يعرف الشهيد، كما أنّه لم يكن معنياً بشأن أمثاله من الرجال، ومع ذلك فإنّه، وبالحسن حظّاً، أنزل في كتابه نصّاً أميناً للتوقيع^٢ الذي نشرته السُلطة في غرب الشام، على أثر حركة الشيعة الاعتراضية على ما أدّت إليه سياستها في المنطقة دون أن يقصد مضمونه، وإنّما فقط ليكون أنموذجاً يُحتذى من قبَل كُتاب الدواوين في هذا النمط من التوقيعات، وبذلك - ودون أن يقصد - ترك لنا أهمّ وثيقة، بيّنت لنا ما سكّنت عنه كلّ المصادر، على أعمال

١. ورد نصوص جميع هذه المصادر في الفصل العاشر من الباب الأول من هذا الكتاب.

٢. نقل النصّ بكامله في الفصل العاشر من الباب الأول من هذا الكتاب.

الشهيد وثمارها في النطاق السياسي الاجتماعي.

على أننا في هذا التقديم للتوقيع أرى أنه ينبغي لنا الوقوف عند أمر:

ذلك أن نصّ التوقيع، كما ورد في مصدره، يؤرخ لصدوره «في خامس عشرين جمادى الآخرة سنة أربع وستين وسبعمئة». لكنني شككتُ في صحّة هذا التاريخ لافتقاره إلى التناسب مع السياق التاريخي الذي يصفه أو يُشير إليه. خصوصاً وأنّ النشرة الوحيدة للكتاب غير مُحقّقة تحقيقاً علمياً، وبالتنقيب وقفتُ على نصّ في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى، يقول فيه:

إنّ والده الأمير يحيى بن زين الدين صالح، أمير الغرب الدرزي، جرّت عليه «حركة رديّة» من والي الشام بيدم الخوارزمي. وذلك لما تحرّكت الشيعة في بيروت وأظهروا القيام بالسنة^١.

وهي المناسبة التي أصدر فيها الوالي نفسه التوقيع، والأمير يحيى المذكور صدر منشور إقطاعه، أي صار أميراً مسؤولاً تجاه السُلطة الإقليميّة في دمشق، في السنة ٧٧٤، ومن هنا قوي عندنا الظن بأنّ التاريخ المذكور لصدور التوقيع قد ناله تصحيف. ونُرجّح أن يكون التاريخ الصحيح سنة أربع وثمانين وسبعمئة، ومع ذلك فإننا لن نرتّب أثراً على هذه النتيجة وإن تكن قويّة، وذلك لأسباب منهجيّة واضحة، وإنّما أردنا تسجيل شكّنا استناداً لحسّ تاريخي، ولعلّ صدور نسخة مُحقّقة من الكتاب يحسم الأمر.

الثالث: تاريخ ابن قاضي شهبة، لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي (م ٨٥١). وهو ما ذيل به على مُصنّفات من سبقوه من مؤرّخي الشام، من المؤكّد أنّ هذا المصدر ليس أصيلاً بالنسبة لموضوع الكتاب، أعني أنّ مؤلفه لم يقل ما قاله عن خُبْر وعيان، ومع ذلك فإنّ نصه في الترجمة التي علّقها للشهيد غنيّ جداً بالتفصيلات الدقيقة، والسّر في ذلك أنّه اقتبس من الحافظ المؤرّخ أحمد بن حجيّ الدمشقي (م ٨١٦)، في كتابه المفقود الذيل على تاريخ ابن كثير، المعروف عند المؤرّخين بتاريخ ابن حجيّ، والظاهر أنّ ما كتبه ابن حجيّ على واقعة محاكمة الشهيد وقتله وما سبقهما غنيّ وهامّ، ولكنّه - من أسف - ضاع مع ضياع

تاريخه، إذن فقيمة نصّ ابن قاضي شبهة أنّه سدّ جزءاً من النقص الذي حصل بضياغ نصّ ابن حجّي.

الرابع: إنباء الغمر بأنباء الغمر، لأحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (م ٨٥٢). وهو وُلد ونشأ وعاش في مصر، فهو إذن أبعد من سابقه عن بيئة البحث، وربما يُفسر اضطراب نصّه، ذلك أنّه ترجم للشهيد مرّتين: الأولى في وفيات سنة ٧٨١. والثانية سنة ٧٨٦، وهذا اضطراب بعيد عن الفهم، ومع ذلك فإنّ نصّه على قدر من الأهميّة، للأسباب نفسها التي قلناها على نصّ ابن قاضي شبهة.

الخامس: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن العماد الحنبلي (م ١٠٨٩). وهو أقلّ الخمسة أهميّة، خصوصاً وأنّه يكاد أن يكون منسوخاً عن كتاب سابقه، مع بعض الإضافات التوضيحية.

في هذا السياق علينا أن نقف وقفة خاصّة عند نصوص الإجازات التي مُنحت للشهيد أو صدرت عنه، فهذه النصوص هي دائماً مصادر مُمتازة، إنّها شيءٌ مُختلف تماماً عمّا نقرأه في نصوص المؤرّخين ومن إليهم، ها هنا أناس من النُخبة عرفوا وخبروا بعضهم بعضاً، غالباً لمُدّة طويلة، يكتبون عن فعلهم هم أو سيرتهم الذاتية، ثمّ يُحلّون ما يكتبون بذكر المكان والزمان، إنّها وثائق لا تُضاهى بكل المعاني، وغنيّ عن البيان أنّ قيمتها الكبرى والأساسيّة هي في التاريخ الشخصي - خصوصاً العلمي - للشهيد، ومن هنا اكتسبت أهميتها الفائقة في بحثنا.

والحمد لله

بعلبك يوم السبت ٩ جمادى الأولى ١٤٢٨

٢٦ أيار (مايو) ٢٠٠٧

الفصل الأول أرضية تاريخية

من الضروري قبل أيّ كلام على سيرة الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي الجزيني، أن يكون القارئ على اطلاع كافٍ على المعطيات التي تعامل معها الشهيد وعمل عليها، بدون ذلك لن يكون بوسعنا أن يفهم وأن يقيّم إنجازاته، وبالتالي لن يكون قادراً على فهم الموقع العريض الذي احتلّه في الذاكرة الشيعية عموماً وفي وطنه خصوصاً حتّى اليوم، إنّ الذاكرة - خلافاً للتاريخ الرسمي - لا يمكن تزويرها أو العبث بها، ولذلك فهي حينما تُمجّد أو تتجاهل فإنّها تُعبّر تعبيراً أميناً صادقاً عن تفاعل تاريخي ناجح أو فاشل ربما أصبح نسياً منسياً، ولكن آثاره ما تزال حيّة في الوجدان، هنا تأتي وظيفة الباحث الذي عليه أن يُعيد تركيب ذلك التفاعل وأن يبيّن مُكوّناته على مستوى البحث، بشكل أقرب ما يكون إلى عناصره الفعلية يوم حصل.

نرمي في هذه التهيئة إلى وصف تحولات الحركة السكانية في وطن الشهيد تحوّلاً داخلياً على مستوى الفكر والثقافة، ومادياً على مستوى التركيبة السكانية، وصولاً إلى الظروف التي تعامل معها.

بكلمات أخرى: إننا في هذا نرمي إلى تتبّع الانسان في علاقته مع الأرض والثقافة علاقةً محكومة لمنطق ما لسنا نعرفه على نحو اليقين ولكننا نعلم أنّه موجود كما نعلم أنّ البحث فيه ليس دائماً من وظيفة المؤرّخ وإنّما هو قضية أقرب إلى فلسفة الأشياء وليس وصفها.

١. انتشار التشيع في المنطقة الشاميّة والبلاء الصليبي

إنّ بحث انتشار التشيع نحو المنطقة الشاميّة ينبغي أن يبدأ دائماً من خارجها، تحديداً من الكوفة، وذلك لسببين متكاملين:

– ما هو معلوم وثابت، من أنّ هذه المنطقة كانت عاجزة بما فيها من طاقة ذاتية عن إنجاز كهذا، ذلك أنّها منذ معاوية قد بُنيت وجدانياً لتكون بقعة غير قابلة لكلّ ما يتّصل بأهل البيت عليهم السلام. وقد تابع أخلافه هذا النهج بأمانة حتّى نهاية حكم الأسرة الامويّة في السنة ١٣٠ تقريباً.

– أثناء تلك المدّة كانت الكوفة مركز التجمّع الصافي الوحيد للشيعة في العالم، أي أنّه من غير المتصوّر حصول أيّ حركة سكانية ذات أثر في نشر التشيع إلاّ أن تكون صادرة عنها.

إنّ تاريخنا الرسمي البليد والمُتحيّز لا يُشير – حتّى ولا من طرف – إلى هجرة خرجت من الكوفة باتجاه الشام، ولكن كتب البلدان ورجال الحديث تتحدّث، بطريقة أو بأخرى، عن جاليات كبيرة تُقيم في بلاد الشام ترجع بأصولها المعروفة إلى الكوفة، ليس على الباحث إلاّ أن يلمّ شتاتها ليخرج بتصوّر في غاية الوضوح يُفسّر انتشار التشيع المتنامي في تلك المنطقة، بحيث أنّه ابتداءً من أوائل القرن الثالث للهجرة، كان المذهب الغالب على أهله من ذلك الهجرة الهمدانيّة الكبرى التي نزلت حمص وبعض قرى الغوطة المُطيفة بدمشق و جبال الظنيين في شمال لبنان وأطراف بعلبك واللاذقية وبعض قراها وهي الهجرة التي يبدو أنّها حصلت بعد ما يُسمّى بعام الجماعة سنة ٤١^١، والهجرة الاشرعيّة التي نزلت طبريّة وكانوا على حدّ قول اليعقوبي (ح ١٩٢) «هم الغالبون على أهلها»^٢ وما من شكّ في أنّ هؤلاء هم أساس وجود التشيع الكثيف في وادي الأردن وجواره بحيث قال البلداني المقدسي (ح ٣٧٥): «وأهل طبريّة ونصف نابلس وقدس وعمّان شيعة»^٣، وهجرة بنى ربعة التي

١. للتفصيل والتوثيق نرجو الرجوع إلى كتابنا التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية، ص ٩٥ وما بعدها.

٢. البلدان، ص ٨٨.

٣. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٦١.

نزلت أنحاء مختلفة من الشام^١ وكان لهم وجود مذكور في عرقة شمال لبنان^٢.
ومعلوم أن قبيلتي همدان وربيعة كانتا عماد عسكر عليّ عليه السلام في صفين.
هذا إلى جانب هجرات كثيرة أصغر حجماً لا بدّ أنّها حصلت في ظل التدفق على الشام،
خصوصاً في ظلّ الوضع المضطرب الذي ساد العراق طوال مدّة الحكم الأموي^٣. ممّا قدّم
حوافز أخرى للهجرة، تُضاف إلى الحافز التاريخي المعروف.
هكذا يمكننا أن نخرج بتصورٍ على الأقلّ لسبب امتلاء الساحل الغربي للبحر بسكان
من الشيعة، من طرابلس في الشمال حتّى صور في الجنوب: فضلاً عن جيوب كبيرة في
الداخل، أهمّها عرقة^٤ وجبال الظنين في الشمال، التي تُعرف اليوم باسم مُحرف هو الضنيّة،
وفي أطراف بعلبك سهلاً وجبلاً، وفي طرابلس قامت إمارة بني عمّار الثريّة، التي قدّمت
أ نموذجاً نهضوياً فريداً بغناها الفكري ونظامها السياسي المتطوّر بالقياس إلى كلّ ما عرفه
تطوّر أنظمة الحكم في الإسلام حتّى ذلك التاريخ، وبتجربتها التنمويّة الرائدة والمُتقدّمة،
التي قامت على استغلال زراعة قصب السكّر في صناعة الورق والسكّر^٥ بموازاة تجربة
رصيفتها الكبرى حلب، التي قامت على زراعة القطن.

حتّى السنوات الأخيرة من القرن الخامس للهجرة عاش الشيعة فيما يُعرف اليوم بلبنان
السياسي حياةً آمنة مطمئنة، لا يُكدّر صفوها خوف ولا ألم، ثمّ نزل بهم البلاء الصليبي،
الذي كان بذاته ضربة قاصمة، ثمّ إنّ كان بمثابة البادئ لسلسلة من النكبات المتتالية.

بتاريخ ١١ ذي الحجّة ٥٠٣ سقطت طرابلس بيد الغزاة الصليبيين، ثمّ بتاريخ ٢٣
جمادى الأولى ٥١٨ سقطت صور، بعد أن صمدتا للأعداء ربع قرن، وقبلهما سقطت طبريّة
عاصمة التشييع في جنوب الشام، وطبعاً كان سقوط كلٍّ من هذه سقوطاً لأرباضها وما يُطيف
بها من أرياف، وهكذا أصيب التشييع الشامي في ثلاثة من مقاتله دفعةً واحدة، وغدت المدن

١. الإكمال في رفع الارياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب، ج ٤، ص ١٥٠.

٢. امتداد العرب في صدر الإسلام، ص ٩٦.

٣. أشرنا إلى بعضها في كتابنا التأسيس، ص ١٩٥. ولا شك أنّ دراسة منهجية لكتب الفتوحات يمكن أن تصل
بالباحث إلى نتائج كبيرة في هذا النطاق.

٤. هي اليوم قرية صغيرة في قضاء عكّار، غير بعيدة عن ساحل البحر.

٥. للتفصيل والإسناد نرجو الرجوع إلى كتابنا التأسيس لتاريخ الشيعة، ص ١٢٣-١٤٨.

الثلاثة العظيمة إمارات صليبية، يقطنها غرباء الوجه واللسان^١.

من النتائج المباشرة لتلك الأحداث المروعة، البعثة السكانية الهائلة التي نالت سكان ثلاث مدن كبيرة، فضلاً عن سكان المئات من القرى والمزارع الصغيرة الذين لجأوا إلى أقرب الجبال، منهم أهل طبرية وصور وما والاها الذين اتجهوا إلى جبل عامل، وأهل طرابلس ومنطقتها الذين لجأوا إلى جبل لبنان، وبالتحديد إلى كسروان و جبيل و المتن، ولم ينبج من آثارها من مناطق السكن الشيعية إلا سكان بعلبك ومنطقتها.

هكذا فإننا - استناداً إلى مسلسل الأحداث الذي وصفناه حتى الآن - يمكننا أن نرسم صورة واضحة للتوزيع السكاني للشيعية، فيما يُعرف اليوم بلبنان السياسي، على النحو التالي: جبل عامل، من قدس في الجنوب حتى جزين في الشمال، ومن البحر حتى ممر نهر الليطاني الفاصل بين سلسلتي جبل لبنان الشرقية والغربية.

جبل لبنان من الطريق الرئيسية المعروفة حتى اليوم باسم طريق الشام جنوباً حتى الاعالي الشمالية، حيث قامت منطقة تماس شيعية مارونية، ومن الساحل حتى الاعالي الشرقية المُشرقة على «سهل البقاع».

شرق سهل البقاع المعروف بالبقاع البعلبكي الذي يفصله عن الشطر الغربي من السهل المعروف بالبقاع العزيمي، الطريق الرئيسية التي هي استمرار لطريق الشام.

هذا فضلاً عن جيوب مُتعددة في الساحل والجبل (منطقة الشوف)، وقد استمرت هذه الصورة السكانية قائمة زهاء قرنين، أي حتى أوائل القرن الثامن للهجرة، أي ما دمنا قد رسمناها تهيداً لفهم الظروف السياسية والاجتماعية التي عاش وعمل فيها الشهيد إلى أوائل القرن الذي عاش فيه.

٢. تحت وطأة السياسة المملوكية

في السنة ٦٨٨، حرّر السلطان المملوكي قلاوون الالفي مدينة طرابلس من الاحتلال الصليبي بعد أسر طال مئة وخمس وثمانين سنة، لكنّه على الأثر اتخذ أغرب قرار يمكن

١. لمن يرغب في تفصيل هذا الموجز الرجوع إلى كتابنا جبل عامل تحت الاحتلال الصليبي.

تصوّره في هذه المناسبة البهيجة، قضى بهدم المدينة العظيمة. فهُدمت وسويت أسوارها وأبنيتها بالأرض^١، وفي السنة ٦٩٠ حُرِّرت صور وكان مصيرها مصير طرابلس، والحُجّة التي تُقال في تسويغ هذا العمل المُستهجن، أنهما هُدمتا خشية عودة الصليبيين إلى الاستيلاء عليهما والتحصّن بهما^٢، لكن هذه الحُجّة الباردة تطرح سؤالاً كبيراً هو: لماذا لم يتخذ قرار كهذا بالنسبة لبيروت وعكا، وهما مُدينتان على الساحل نفسه، حررتا في زمنين متقاربين جداً من تحرير طرابلس و صور؟ أضف إلى ذلك أنه لو أنّ السلطة المملوكية كانت حقاً قلقة من احتمال عودة الصليبيين إلى محاولة استعادة المدينة، لكان عليها أن تعتمد إلى تحصينها وتزويدها بالسلاح والمقاتلين والأقوات، كما تقضي أبسط تكتيكات الدفاع في ذلك الأوان، إنّ النتيجة المباشرة من وجهة نظر تكتيكية لهدمها هو حرمان المنطقة كلّها من مركز دفاعي أثبت فاعليته منذ ما قبل الفتح الإسلامي^٣، وإلا فلماذا يبني المدافعون الحصون والقلاع ويرفعون الأسوار!

أغلب الظن أنّ السبب الحقيقي لهدم المدينتين لم يكن الخشية من عودة الصليبيين إلى احتلالها، فالحقيقة التي يعرفها المؤرّخون أنّ الحركة الصليبية كانت في ذلك الأوان قد أصبحت جزءاً من الماضي، ولم يعد من المتوقع أن تكون قادرة على أخذ مبادرات بحجم انتزاع مدينتين بأهمية طرابلس و صور من القوة المملوكية التي كانت آنذاك في عزّ سطوتها، من هنا فإنّنا نرجّح أنّ الغرض الحقيقي كان منع عودة سكانها الأصليين إليهما. وهم الذين عرفنا ممّا فات قبل قليل أنّهم بعد أن هجّروا منها لجأوا إلى الجبال المجاورة، وكانوا لا يزالون حتّى تاريخ تحريرها يقيمون فيها، وسيكون من المتوقع جداً أنّ هؤلاء عندما يرون مدينتهما السليبتين قد تحرّرتا وفرغتا من سكانها الغرباء أن يسارعوا إلى العودة إليهما، وحتّى مع فرض أنّ ذاك هؤلاء لم تعد متعلّقة بوطنهم القديم فإن مجرد الفراغ السكاني للمدينتين سيكون بنفسه حافزاً كافياً لهم للانتقال إليها، خصوصاً إذا أخذنا بعين

١. السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢، ص ٢١٢؛ الحركة الصليبية، ج ٢، ص ١١٧٥.

٢. انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، حيث يقول واصفاً صور: «وكانت من أخصن الحصون التي على ساحل البحر. فلما فتحها المسلمون في سنة تسعين وتسعمائة مع عكا خربوها خوفاً من أن يتحصّن بها العدو».

٣. أنظر المصدر السابق حيث يقول: «وكان عرض سورها يمرّ عليه ثلاثة فرسان بالخيال».

الاعتبار أنّهم كانوا أكبر التجمّعات السكانية بجوارهما، وأنّ منازلهم الحاليّة كانت مناطق جبلية وعرة شحيحة، لا تُقاس بطرابلس و صور بريفهما المعروف بخصوبته. لكلّ ذلك فإنّنا نذهب إلى القول إنّ هدم المدينتين يندرج في سياسة معمول بها لدى السلطة المملوكيّة تقضي بالحيلولة بين الشيعة وبين أن يعودوا إلى ما كانوا عليه من انتشار فاعل في المنطقة قبل الغزوات الصليبيّة، خصوصاً في الأماكن ذات القيمة الاستراتيجية ومنها مدينة طرابلس و صور وسنرى توّاً أنّها قد تابعت هذه السياسة بأمانة وسيكون ملعبها التالي منطقة غير بعيدة.

٣. نكبة كسروان وأعمال ابن تيميّة

في السنة ٦٩١، أي بعد أربع سنوات من تحرير طرابلس وسنة واحدة من تحرير صور وهدمها، حصل أوّل تحرّش من السلطة المملوكيّة بأهل كسروان.

فخرج الأمير بدر الدين بيدرا، نائب السلطنة بديار مصر، ومعه معظم العسكر إلى جبال كسروان، من جهة الساحل. فلقبهم أهل الجبال. وعاد بيدرا شبه المهزوم. واضطرب العسكر اضطراباً عظيماً^١.

والمصادر لا تقول شيئاً على علّة وسبب هذا العمل العسكري الكبير، ممّا سنري صنائع السلطة وألسنتها تتفنّن فيه بعد قليل أعني بعد سقوط كسروان في الحملة التالية، ابتغاء تبرير ما ارتكبه فيها من فظائع، مع أنّه ينطوي على تحوّل أساسي في العقيدة العسكريّة، فالمماليك منذ مؤسس دولتهم بيبرس البندقداري (حكم: ٦٥٨ - ٦٧٦) قدّموا أنفسهم عملياً بوصفهم مدافعين عن حوبة الإسلام في وجه الغزو المغولي بانتصارهم الباهر في معركة «عين جالوت»، وفي وجه الاحتلال الصليبي بما حرّروه من أراضٍ ومدُن. حيث لم يفعل غيرهم غير الفشل والخذلان والهوان، وبذلك نجحوا في الارتقاء بأنفسهم من مماليك أرقاء إلى سلاطين وأمراء، وغدوا طبقة عسكريّة تقبض على كلّ مفاصل السلطة والثروة، أمّا الآن فهام يوجّهون «معظم العسكر» إلى بقعة من دار الإسلام عمارها مُسلمون، ومع

ذلك فإنّه ما من أحد كلّف نفسه عناء تقديم أي تبرير لهذا. ليس لدينا أي أوهام حول طبائع الحكم المملوكي، بحيث نطالبه بالشفافيّة وتقديم الحساب للناس عمّا يفعل وما لا يفعل. فنحن نعرف جيّداً أنّه حكم عسكريين مُحترفين قام على السيف والسطوة والغلبّة، لكننا نُجري ضمناً مقارنة ذهنيّة بالضجيج الكبير الذي سنسمعه بعد قليل ابتغاء تقديم التبريرات التي لا دليل عليها إلا من فم قائمها للاجتياح الوحشي للمنطقة، ومن المقارنة نخرج بسؤال خلاصته: لماذا سكتوا عن تبرير المحاولة الأولى الفاشلة في حين حشدوا كلّ ما عندهم من حُجج في المحاولة التالية التي انتهت بالاجتياح، مع أنّ موضوعهما في الحالتين واحد؟

نعتقد أنّ السرّ يكمن في الأعمال البالغة الوحشيّة التي ارتكبتها التحالف العسكري الذي تولّى (فتح) كسروان. وبعضها ممّا لا يحلّ حتّى في دار الحرب ممّا أدّى إلى استنكار رأس السلطة في القاهرة، أي السلطان، وسنقف على ذلك فيما سيأتي إن شاء الله، وعلينا الآن أن نصّف الاعمال العسكريّة التي جرت بين التحالف الغازي وبين أهل الجبل.

تألّف التحالف الغازي من ثلاث مجموعات:

الأولى: جيش السلطة، أي العسكر المملوكي بقيادة والي الشام بنفسه جمال الدين أقوش الافرم الجركسي، الذي «كتب إلى نوّاب طرابلس وصفد وغيرهما فجمعوا العساكر وأحاطوا بالجبل من كلّ ناحية إلى أن كسرهم»^١.

الثانية: جمع بني بُحتر، أمراء الغرب، أي غرب بيروت. يقودهم الأمير ناصر الدين الحسين وفي أيّام ناصر الدين في أوائل المحرم سنة خمس وسبعمئة كان فتوح كسروان فقصّد الجبل ومعه أقاربه وجمعه فقتل منهم الأمير نجم الدين محمّد وأخوه شهاب الدين أحمد، ولدا الأمير جمال الدين حجّي في نهار الخميس خامس شهر محرم بقريّة نبيّية من كسروان، وقتل معهم من أهل الغرب ثلاثة وعشرون نفرًا^٢.

١. الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٢٥.

٢. تاريخ بيروت، ص ٥٧ - ٥٨. وقد تجاهل صديقنا الأستاذ نايل أبو شرقا، وهو يكافح من أجل إثبات أنّ سكان كسروان كانوا آنذاك من قومه الدروز، كلّ ما يتصل بهذا السياق من كتاب ابن يحيى، لأنّه، فيما يبدو، يعني بالنسبة إلى ما ذهب إليه، أنّ الدروز قاتلوا أبناء جلدتهم. انظر كتابه: تاريخ لبنان أزمة نصّ ومصطلح وهوية، ص ١١٣ - ١٩٩.

الثالثة: جموع غير معروفة العدد من الناس، الذين نجح ابن تيميّة في حشدهم تحت مختلف الذرائع، وسنحلّل رسالته إلى السلطان المملوكي إن شاء الله، ولكننا نُشير الآن إلى أنّه كانت له راية خاصّة به حملها أحد أصحابه ممّا يُفهم منه أنّ تلك الجموع لم تكن قليلة العدد وأنّها كانت طليعة من توجهوا إلى القتال^١.

من هذا نعرف أنّ الحشد الهائل الذي اتّجه إلى المعركة كان حشداً غير مسبوق في نزاع داخلي، أي ضدّ فريق من السكّان المحليين، ولنُضف إلى هذه الملاحظة أنّ تلك الجموع تُمثّل مجموعة إرادات وحوافز، التقت وتقاطعت عند نقطة واحدة، هي القضاء نهائياً على الوجود الشيعي في كسروان وما والاها، وهي:

السلطة، التي أشرنا قبل قليل إلى سياستها القاضية بمنع الشيعة من الاستفادة من إنهاء الامارات الصليبيّة والعودة إلى ما كانوا عليه قبل الغزوات الصليبيّة، وبقاؤهم في تلك المنطقة المُشرقة على قطاع واسع من الساحل يؤهلهم لانتشار واسع يصعب إيقافه، هذا فضلاً عن رغبتها في الثأر لهزيمتها السابقة في كسروان قبل خمس عشرة سنة.

بنو بَحْتُر، أمراء غرب بيروت، الذين كانوا بوصفهم إقطاعيين، يتناولون إقطاعاتهم من السلطة، مُلزمين بتقديم خدمات قتاليّة إليها عند الحاجة، ولكن من المصادر ما يُشير إلى أنّهم كانوا أيضاً لديهم حافز ذاتي هو نزاعهم السياسي مع الكسروانيين^٢.

ابن تيميّة وهو الفقيه الذي عُرف بعنفه البالغ بحيث صرف أكثر جهده إلى إغاظة الشيعة خصوصاً، إلى حدّ تكفير الإمام عليّ عليه السلام إذ قال: «أبو بكر أسلم شيخاً يدري ما يقول، وعليّ أسلم صبيّاً، والصبّي لا يصحّ إسلامه»^٣ دون أن يلتفت إلى أنّه بكلامه هذا كان يخطئ النبي (صلوات الله عليه وآله) إذ قبل إسلامه، وفي هذا ومثله ما دعا المؤرّخ وكاتب السيرة المُعاصر له صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي إلى القول: «ضيق الزمان في ردّه على

١. قال: محمّد بن أحمد بن عبد الهادي في العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة، ص ١٨١ - ٨٢: «وكان توجه الشيخ تقي الدين عليه السلام إلى الكسروانيين في مستهل ذي الحجّة من سنة أربع وسبعمئة وضحبه الأمير قراقوش. وتوجه نائب السلطنة الأمير جمال الدين الافرم [...] في ثاني شهر المحرم من سنة خمس وسبعمئة».

٢. تاريخ لبنان أزمة نصّ ومصطلح وهويّة، ص ١٦٢.

٣. الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٩٥.

الرافضة»^١. وإذا نحن اتخذنا من رسالته إلى السلطان نموذجاً في «ردّه على الرافضة» فإننا سنرى أنّ الرجل كان يردّ على أوهامه واختلافاته هو المهم الآن أنّه وجد في مُجمل أحداث وقعت ابتداءً من محاولة السلطة الأولى الفاشلة اجتياح «كسروان» فرصته التاريخية للتعبير عملياً تعبيراً موازياً فسار فيه حتّى النهاية.

مهما يكن، فإنّ تلك الجموع الكبيرة أحاطت بالجبل من كلّ ناحية، وبدأت الصعود إليه من جهة الساحل الذي سمّي فيما بعد «الفتوح»، قرب بلدة طبرجا اليوم، في حين أن عسكر نائب طرابلس بدأ الصعود من محل آخر لم تُعيّن المصادر، ولكن الخطّة كانت - فيما يبدو - وُضع المدافعين عن الجبل بين فكّي كمشاة.

لسنا نملك معلومات عن سير القتال، ولكن المؤرّخ أحمد بن علي المقرئ يقول: إنّ عدد المقاتلين من أهل الجبل في الحملة الأولى بلغ «نحو اثني عشر ألف رام»^٢. ونفهم من ذلك أنّ المدافعين اعتمدوا سلاح السهام، وهو سلاح يناسب الطبيعة الجبلية، بما فيها من مكامن طبيعيّة، والكثرة الطاغية للمهاجمين، ومن المرجّح والمفهوم أن يتّبعا التكتيك الدفاعي نفسه في هذه الحملة مادام قد أثبت فاعليّته في تلك، وقد دارت المعارك لمُدّة خمسة عشر يوماً، بين ٢ و ١٧ المُحرّم^٣، كان المدافعون يتراجعون أثناءها من موقع إلى موقع، وكانت المعركة الاخيرة في قرية نبيّة^٤، وهي قرية في المتن الشمالي ماتزال معروفة بالاسم نفسه^٥، حيث لجأ المدافعون المُنهكون إلى مغارة كبيرة^٦، والنقولات الشفوية المُتداولة حتّى اليوم تقول: إنّ المهاجمين لجأوا، بمن معهم من النساء والأطفال، إلى مغارة، فما كان من المهاجمين، الذين كانوا يتهبّون دخولها خشية التعرّض لسهام المدافعين وكماثهم، إلّا أن عمدوا إلى تقطيع كميّة كبيرة من الزروع والأشجار، أشعلوها عند فم

١. أعيان العصر وأعوان النصر، ج ١، ص ٢٣٦.

٢. السلوك، ج ٢، ص ٣٣٦.

٣. العقود الدرّية، ص ١٨٢.

٤. تاريخ بيروت، ص ٥٨. هنا: «نبيه».

٥. انظر قرى ومدن لبنان، ضمن الموسوعة اللبنايّة، ج ٣٨، ص ١٨٢ - ١٨٣.

٦. يصف المصدر أعلاه مغارة كبيرة جداً بجوار القرية، ربما كانت هي التي ذكرها ابن يحيى بقوله: «وكانت هناك مغارة اجتمعوا فيها بعد القتال». تاريخ بيروت، ص ٥٨.

المغارة. فقضى كلٌّ من فيها اختناقاً بالدخان، والظاهر أنّه بسبب هذا العمل الهمجي وصف ابن يحيى هذه الواقعة بأنها كانت وقعة رديئة^١.

وسرى بعد قليل ابن تيميّة يُدافع عن مشروعيّة تقطيع الزروع والأشجار في الحرب، دون أن يُشير إلى ما كان الغرض الحقيقي منه. والظاهر أنّ المهاجمين اتّبَعوا هذا الأسلوب حيثما لجأ السكان إلى المغاور والكهوف، وهي كثيرة في تلك الجبال. وقبل نحو الثماني عشرة سنة عثر أحد هواة اكتشاف المغاور من أعضاء «الجمعية اللبنانية للأبحاث الجوفية»، في إحدى المغاور القريبة من المنطقة، على عدّة جثث، ما تزال هي وما عليها من ملابس محفوظة بشكل جيّد يدعو إلى الدهشة، وقد عرفتُ بمجرد سماعي الخبر أنّ هؤلاء من ضحايا معركة «كسروان»، وذلك أولاً لأنّ وضع الجثث بهيئتها وما عليها من ملابس ليس وضع دفن شعائري. ممّا يدلّ على أنّها بقيت حيث ماتت وثانياً لأنّ تعرّضها لدخان كثيف يُفسر حفظها لمُدّة قرون على هذا النحو المُدهش. فالمعروف أنّ الدخان هو من أفضل أساليب الحفظ. وقد أعلن وزير السياحة آنذاك الخبر على الملا في مؤتمر صحفي^٢.

وإدراكاً منّي لأهميّة هذا الكشف - خصوصاً وأنّ عدّة كتب وُجِدَت إلى جانب الجثث قد تكون الآثار الفكرية الوحيدة الباقية من ماضي كسروان ما قبل النكبة - قابلت الوزير ومدير المتحف الوطني حيث حُفِظَت اللقى طالباً الاطّلاع على الكتب، ولو من بعيد، ولكن كلّ مساعيّ في هذا السبيل لم تصل إلى نتيجة، وبعد الإلحاح ومراجعة عدد من كبار المسؤولين، صارحني الوزير بأنّ هذه اللقى هي مسألة سياسية بامتياز، ليس له أن يقضي فيها من عنده، ولسنا نعرف شيئاً عن مصير هذه الكتب بالخصوص.

بعد هذا الخروج على عمود البحث - الذي ألجأنا إليه اعتقادنا بضرورة تسجيل هذه المعلومة، كي لا تُضيع وتُنسى - نعود إلى ما كنا فيه.

في نهاية هذا المطاف الدامي استُبيحت المنطقة الجبلية الممتدّة بموازاة الساحل اللبناني، من مصب نهر الكلب جنوباً حتّى البترون شمالاً، أي ما يُعرف اليوم بكسروان وجبيل والمتن، فقتل من قتلوا، وهم كثيرون من الرجال والنساء والأطفال، والسالم منهم

١. تاريخ بيروت، ص ٥٨.

٢. صحيفة السفير اللبنانية عدد ٢٥ أيلول ١٩٨٨.

تفرّقوا في جزّين وبلادها و البلاد بعلبك، و «منحت الدولة لبعضهم الأمان» أي سمح لهم بالبقاء في بلادهم، مقابل إعلان الطاعة للسلطة حيث ما يزال أخلافهم حتّى اليوم. لكننا لن نغادر هذا العرض التاريخي لنكبة كسروان دون أن نقف على أعمال ابن تيميّة في هذا النطاق بمراجعة رسالته إلى السلطان المملوكي الناصر ناصر الدين محمّد بن قلاوون مراجعة نقدية تحليلية، وذلك لسببين:

الأول: إنّ هذه الرسالة هي الوثيقة الوحيدة المتعلّقة مباشرةً بذلك الحدث المهور، دون أن يعني هذا أننا سنأخذ بما فيها، بل إنّنا سنرى أنّها مليئة بصنوف الكذب والبهتان والتضليل، إنّ للكلام الكاذب دلالاته أيضاً، وخصوصاً أنّها، على أهميتها الفائقة، لم تكن حتّى تاريخه، فيما نعلم موضع دراسة دقيقة^١.

الثاني: إنّ ابن تيميّة هو الفقيه الذي قدّم للسلطة الغطاء الشرعي، فأباح لها، بل -إذا أخذنا بعين الاعتبار خطابه- ألزّمها بما فعلت، ومن دون ذلك لكان من المشكوك فيه كثيراً أن تُقدّم على حشد كلّ القوّة العسكريّة المتوفّرة في المنطقة الشاميّة، في سبيل عمل قتالي واسع ضد مسلمين يسكنون دار الإسلام، لأنّها بذلك ستضرب في الصميم عقيدتها العسكريّة، بوصفها قوّة تحرير ودفاع، التي نالت على أساسها السلطة.

لكن علينا قبل معالجة نصّ الرسالة أن نُجيب على سؤالين: يتعلّق أولهما بتاريخها، ويتعلّق الثاني بالغرض منها.

أ) في تاريخ رسالته إلى السلطان: الرسالة كما رواها ابن عبد الهادي غير مؤرّخة والظاهر أنّها كانت كذلك في الأصل ولكنّه قال في العنوان الذي وضعه لها: «ثم إنّ الشيخ عليه السلام بعد وقعة جبل كسروان أرسل رسالة إلى السلطان»، دون تحديد بعد بكم؟ ولكننا نفهم من

١. نشر قسمياً منها د. عمر عبد السلام التدمري في مجلة الفكر الإسلامي التي كانت تصدر عن دار الإفتاء في بيروت، العدد السادس من السنة السابعة حزيران ١٩٧٨. بما فهم منه أنّه يأخذ بما فيها بوصفه مؤرّخاً، الأمر الذي أثار ردود فعل عنيفة في حينه. وقد ردّ عليه المرحوم الدكتور محمّد عليّ مكّي بمقالة حملت عنوان «تاريخ لبنان الإسلامي، نظرة تصويب»، نشرها في المجلة نفسها العدد الثامن من السنة السابعة. وأو في نصّ لها في كتاب تلميذ كاتبها محمّد بن أحمد بن عبد الهادي: العقود الدرّية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة، ص ١٨٢-١٩٤. مع الإشارة إلى أن نشرة بيروت من الكتاب نفسه قد تصرّف صاحبها بالنص، فحذف منه ما يثير العنرات المذهبيّة.

بعض نصها أن هذا البعد كان مدّة غير قصيرة، فهو يذكر في خواتيمها التركمان، الذين أسكنوا في كسروان، ابتغاء ملء الفراغ السكاني، بعد إجماع من نجا من المذبحة، قائلاً: «وقد صارت لهم الآن مرعى»^١، فنحن نعرف من مصدر آخر أن تأمير عدد من الأمراء وإقطاعهم جبال الجرديين والكسروانيين قد حصل بتاريخ ١٨ جمادى الأولى^٢، أي بعد أربعة أشهر من انتهاء العمليّات في الجبل، من تقتيل وتهجير، لا بدّ من أن نُضيف عليها عدّة أشهر أخرى، بحيث يستقرّون ويصحّ فيهم قول ابن تيميّة «صارت لهم الآن مرعى»، نخلص من هذا التدقيق إلى أن الرسالة كُتبت بعد ما لا يقلّ عن الستّة أو السبعة أشهر من الواقعة، هذه النتيجة تُعزّز أهميّة، بل ضرورة، السؤال الثاني.

(ب) غرضه منها. مراجعة نقدية: يفتح الرسالة كاتبها بمقدّمة طويلة، وكأنّه أراد منها بُشري السلطان بفتح عظيم «صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده»، هذا تدليس مكشوف، لا يمكن قبوله إلا إذا قبلنا أن هذا السلطان كان بحاجة، بعد عدّة أشهر، لمن يُبشّره وكأنّه لم يعرف ما جرى. ولكننا إذ نتعمّن فيما بقي من تلك المقدّمة نكتشف بسرعة أن المقصود الحقيقي كان تقديم ما يُشبه رشوة:

أنعم الله على السلطان وعلى المؤمنين في دولته نعماً لم تُعهد في القرون الخالية، وجُدّد الإسلام في أيامه تجديداً بانّت فضيلته على الدول الماضية. وحصل للأمة بيمن ولايته وبركة إيمانه ومعرفته [...] ما هو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين^٣.

إلى غير ذلك من الأوصاف العريضة، التي كانت، ولا ريب، مبعث رضى السلطان، ولكننا نراها تطرح سؤالاً كبيراً عن علّة هذا النفاق، إذا نحن أخذنا بعين الاعتبار أن ما بقي من الرسالة هو بمثابة مطالعة دافع فيها دفاع المُستमित عن كلّ ما ذكره ممّا جرى، سيكون من السهل أن نصل إلى جواب هو أن الغرض الأوّل من هذه الرسالة هو في الحقيقة علاج الآثار

١. العقود الدرية، ص ١٩١.

٢. موسى بن محمد اليونيني (م ٧٢٦): ذيل مرآة الزمان، مخطوطتنا (وهي نسخة عن مخطوطة سوهاج المحفوظ أصلها في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية)، حوادث السنة ٧٠٥ قال: «وفيها يوم الإثنين ثامن عشر جمادى الأولى أمروا جماعة بدمشق وأقطعوا جبال الجرديين والكسروانيين. [...] ثمّ بعد ذلك توجهوا لأجل عمارة الجبل وحفظ مينا البحر من جهة بيروت وتلك النواحي».

٣. العقود الدرية، ص ١٨٣.

المتمادية التي تركها ما ارتكب في كسروان من صنوف العدوان، وخصوصاً تقتيل المدنيين، بمن فيهم من نساء وأطفال، ولو أن الأمر كان مُجرّد تهنئة السلطان أو حثّه على متابعة هذا النهج التطهيري ضدّ الشيعة في المنطقة الشاميّة كما نقرأه في خواتيم الرسالة لما تلبّث مدة ستّة أو سبعة أشهر - هي المدة الفاصلة بين انتهاء العمليّات العسكريّة وبين تاريخ تحرير الرسالة كما عرفنا ممّا فات - بل إنّ مبادرته إلى ذلك بعد تلك المدة لدليل قوي على أنّ تداعيات كسروان كانت ما تزال تتفاعل، وأنّ الاتّهام كان موجّهاً إلى ابن تيميّة بالذات، وإلى العسكر الذي حرّضه وجمعه، وكتب إلى أطراف الشام في الحثّ على قتال المذكورين [يعني أهل كسروان] وهم الذين بغوا وخرجوا على الإمام^١، ثمّ كان وكانوا أوّل من جمع الجموع على أطراف الجبل ومداخله، وربما، بل الظاهر، أنّهم هم الذين ارتكبوا ما ذكرناه من أفعال شنيعة.

من بعدُ تمضي الرسالة في تعداد المُبرّرات والمُسوّغات التي أباحت له ما فعل، بل جعلت منه بزعمه أمراً لازماً وواجباً شرعياً ولكننا قبل الدخول في تبيان تلك المُبرّرات، علينا أن نُشير إلى أنّه تجاهل أمرين:

الأوّل: أنّ السلطة وعسكرها هم الذين بدأوا التحرّش بأهل كسروان دونما أيّ سبب مُعلن، وذلك في الحملة الفاشلة التي قادها بيدراسنة ٦٩١، كما ذكرنا فيما سبق.

الثاني: أنّه لم يُشر إطلاقاً إلى قتل المئات، وربما الألوّف، من النساء والأطفال الذين لجأوا في نهاية المعارك إلى مغارة نبيّه وغيرها من المغاور والكهوف الكثيرة في الجبل فقتلوا بالدخان، ونحن نفهم جيّداً سبب هذا التجاهل، هي جريمة جماعية رهيبه، لا يمكن لأحد مهما بلغ من البراعة أن يجد لها مُبرّراً.

بنظرة عامّة فإنّ ابن تيميّة هنا ينصب نفسه مدافعاً وحيداً عن الإسلام كما يفهمه هو. وعن المسلمين كما يقبلهم ويُعرفهم، ويحصر الحقّ والصواب فيما يراه دون أن يعرض إطلاقاً لوجهة نظر الآخر، بحيث ينتهي إلى أنّ مُجرّد الاختلاف معه هو بنفسه سبب كافٍ للحكم على مُخالفه بالكفر واستحلال الدم، وسنرى ذلك بكامل الجلاء فيما يلي.

يمكن قسمة الذرائع التي يعرضها لاستباحة الجبل وتقتيل أهله وتهجيرهم إلى قسمين: دينية - اعتقادية وشرعية، وسياسية - سلوكية:

القسم الأول: قال:

لأنّ عندهم أنّ كلّ من لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مُرتدّ، ومن استحلّ الفُقاق فهو كافر، ومن مسح على الخُفّين فهو عندهم كافر. ومن حرّم المُتعة فهو عندهم كافر، ومن أحبّ أبا بكر أو عمر أو عثمان، أو رضّى عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر، ومن لم يؤمن بمُنْتَظَرهم فهو عندهم كافر، وعندهم من قال: إنّ الله يُرى في الآخرة فهو كافر، ومن قال: إنّ الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر، ومن قال: إنّ الله فوق السماوات فهو كافر، ومن آمن بالقضاء والقدر وقال: إنّ الله يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء، وأنّ الله يقبّل قلوب عباده، وأنّ الله خالق كلّ شيءٍ [يعني حتّى أفعال العباد] فهو عندهم كافر، وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله فهو عندهم كافر^١.

هذه كلّها مسائل كلامية وفقهية موضع خلاف معروف بين مذاهب المسلمين. ومنهم - وهم أقلية نسبياً بالنسبة لأكثر تلك المسائل - من يوافق ابن تيمية ومنهج أهل الحديث عموماً ومنهم من يختلف معه، وهؤلاء تجدهم في غير فرقة ومذهب، ومن المؤكّد أنّ الرجل يعرف ذلك جيّداً، كما أنّ من المؤكّد أنّ ليس بين الشيعة إطلاقاً من يُفتي بأنّ القائل بما يذهب إليه ابن تيمية فيها هو كافر خارج عن ملّة الإسلام، وما من ريب في أنّه كان يعرف ذلك أيضاً، ولكننا نراه يندفع بالقول، غير مُراقب ذمّة العالم والعلم ليُبرئ نفسه ممّا جنته يده. والمعروف أنّه هو الذي فتح باب تكفير من يختلف معه من أهل القبلة على أوسع نطاق، وما تزال أفكاره هذه مُنتشرة معمولاً بها في بعض المذاهب.

القسم الثاني:

هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج جنكسخان إلى بلاد الإسلام، وفي استيلاء هولوكو على بغداد، وفي قدومه إلى حلب، وفي نهب الصالحية، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام^٢.

١. العقود الدرية، ص ١٨٥ - ٨٦.

٢. العقود الدرية، ص ١٨٥.

من الصعب أن يقع المرء على نص صدر عن شخص يُفترض أنه من أهل العلم، ومع ذلك يكون مُحتوياً على هذا القدر من الجهل والبهتان والتعصب وسوء التفكير.

لقد خرج المُغول، وهم سكان منغوليا، بعد أن بعثهم ونظّمهم جنكيز خان (٦٠٣ - ٦٢٥)، فاجتاحوا «آسيا» شرقاً وغرباً، وأسسوا إمبراطورية واسعة، هذه معلومات نعذر ابن تيمية في عدم معرفته لها. ولكننا لا نجد أدنى عذر له في هذا التفسير البالغ السخف لاجتياحهم القسم الأكبر من العالم الإسلامي فيما اجتاحوه، اللهم إلا في غرامه المكشوف الذي لا مثيل له بأهل السلطة، بحيث إننا لا نجد له في كل ما كتبه - وهو كثير - أي مأخذ عليهم، وهم الذين كانت أشكال النزاع والصراعات الداخلية فيما بينهم، وتهاونهم في الإعداد للدفاع عن دار الإسلام، رغم التذر الواضحة، في رأس أسباب عجزهم عن التصدي، فسقطوا الواحد تلو الآخر دون أن يجدوا من يبكي عليهم.

وجدير بالذكر، أن تلميذ ابن تيمية وكاتب سيرته، ابن عبد الهادي، قد تابع منحه شيخه هذا، إذ كتب في السياق نفسه يقول:

لأن جبل الصالحية، لما استولت الرافضة عليه، في حال استيلاء الطاغية قازان [سنة ٦٩٩] أشار بعض كبارهم بنهب الجبل، وسبى أهله وقتلهم [...] فكوفئ الرافضة بمثل ذلك [يعني في كسروان] بإشارة كبير من كبراء أهل السنة وزناً بوزن^١.

والحقيقة أننا لم نفهم ماذا أراد بقوله «لما استولت الرافضة عليه»، ومن هم هؤلاء الرافضة. ولم تقع فيما كتبه المؤرخون عن وقعة قازان على شيء من هذا القبيل، وعلى كل حال، فكاتب هذا الكلام هو إنسان في حاجة ماسة إلى جرعة من حس العدالة علها تُحرره من أفكار شيخه المريضة، وتساعد في التمييز بين المُذنب وغيره، فلا يُبرر إيقاع عقاب على برئ بجريرة غيره، بمجرد أنه من مذهبه.

وتمضي الرسالة على هذا النحو، ولن نُضَيِّع جهداً أكبر في مناقشة وكشف ما بقي من خبيثها.

خلاصة القول إن رسالة ابن تيمية كانت مُطالعة سقيمة، حشوها الجهل والتجاهل

والمخادعة والبهتان، مُحَرِّكها الوحيد هو التعصّب الأعمى، رمى منها إلى تبرئة نفسه من جريمة مهولة، ما تزال تداعياتها تتفاعل حتّى اليوم، وأظن أنّها ستبقى كذلك إلى أمد غير قصير.

لكننا قبل أن نغادر ابن تيميّة ودوره في هذا المُعْتَرَك الدامي، يحسن بنا أن نُشير إلى النقطة الإيجابية الوحيدة في كلّ ما عرضه في رسالته - أعني ذكره أئمة الشيعة وفقهائهم في الجبل - . ممّن ضاع ذكرهم نهائياً بعد ما جرى عليهم وعلى قومهم. ولولا هذه الإشارة منه، لَمَا عرفنا وجودهم أصلاً، إذ قال:

هذا هو المذهب الذي تُلَقِّنه لهم أئمّتهم، مثل بني العوّد. فإنّهم شيوخ أهل هذا الجبل، وهم الذين يأمرونهم بقتال المسلمين، ويُفتونهم بهذه الأمور، وقد حصل بيد المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العوّد وغيره، وفيها هذا وأعظم منه، وهم اعترفوا لنا بأنّهم الذين علّموهم وأمرهم^١.

ويؤخذ من قوله «أئمّتهم مثل بني العوّد» أنّه كان ثمة أكثر من بيت من بيوت العلم، ومن قوله «حصل بيد المسلمين طائفة من كتبهم» أنّهم كانوا من أصحاب التصانيف ممّا يدلّ على أنّه كانت في كسروان قبل النكبة حياة عقلية، بدرجة أو غيرها، وما ندري ما كان مصير أولئك جميعاً بعد أن ساقهم ابن تيميّة إلى دمشق. ولعلّهم أو بعضهم استقرّ في جزين، فقد كان فيها حتّى أواسط القرن العاشر للهجرة أسرة تحمل اسم «العوّدي»، منهم تلميذ الشهيد الثاني - زين الدين بن عليّ الجباعي - وكاتب سيرته محمّد بن عليّ بن الحسن العوّدي الجزيني (ح ٩٧٥)^٢. وحتّى اليوم ما يزال في «جزين» أسرة تحمل الاسم نفسه.

وإكمالاً لتلك النتائج نذكر أنّ ابن تيميّة حكى أنّه تجادل مع كبير من كبراء أهل جبل كسروان [...] وكان الجدل والبحث في عصمة الإمام وعدم عصمته وفي أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام معصوم من الصغائر والكبائر في كلّ قول وفعل^٣، والظاهر أنّ هذا الكبير أحد أولئك الفقهاء.

١. العقود الدرية، ص ١٨٦.

٢. جبل عامل بين الشهيدين، ص ٢١٦ وغيرها.

٣. العقود الدرية، ص ١٨١.

٤. تداعيات النكبة

إنّ حدثاً هائلاً، من حجم ما جرى في كسروان لا يمكن أن ينتهي حيث أرادت السلطة له أن ينتهي، إذ قتلت من قتل، وهجرت من هجرت، ثمّ أسكنت محلّهم من ترضى عنه وتوقّع أن يرضيها.

لقد عملت هذه السلطة على اجتثاث أهل كسروان من التاريخ، باجتثاثهم من الجغرافيا وهذا أشبه ما يكون بضربة استباقية تقطع الطريق على إمكانية أن يكون القضاء على الإماراتين الصليبيتين في طرابلس و صور وما ينشأ عنه من فراغ سكاني بمثابة هدية تُقدّم مجاناً إلى الشيعة في المنطقة، إذ يملأون الفراغ الحاصل في المدينتين وما حولهما، لأنّهم وحدهم القادرون على ذلك، بفضل سيطرتهم سكانياً على البقعتين المجاورتين لهما بعد تحريرهما، وبذلك يرجعون إلى سابق عهدهم قبل الاجتياحات الصليبية، ذلك أمر لا يمكن أن تتقبّله السلطة المملوكية، للسبب الذي سنُدلي به بعد قليل، ولذلك أقدمت على هدم المدينتين، بذريعة أنّها تريد أن تمنع الصليبيين من العودة إليهما، وتابعت هذه السياسة بإخراجهم من كسروان وما والاها، أما بيروت فلم يكن هناك أدنى خشية من سيطرة السكان الشيعة عليها، لأنّ الدروز يملأون التلال الغربية المُشرقة عليها، وسيتولون حتماً ملء الفراغ السكاني الحاصل فيها بعد التحرير، كما حصل بالفعل، ولذلك فقد أبقى عليها ولم تُهدم.

تولّى ابن تيميّة، كما عرفنا، تعديل العقيدة العسكرية للسلطة بحيث تتسع لعمل في معنى وحجم ما جرى تحت شعار رافضة، خارجون على الإمام^١، مع مكملاته التي استعرضناها فيما فات، والحقيقة أنّ الأمر لم يكن أمر رافضة ولا من يرفضون الرافضة، بل كان سياسياً من بداياته النظرية، حتّى نهايته العسكرية.

لقد قامت السلطة المملوكية، كما نظر لها مؤسس دولتهم الظاهر بيبرس الأوّل البندقداري (حكم: ٦٥٧ - ٦٧٦)، على مبدأ التفويض: «خليفة» يبايع مُبايعه شكلية، ثمّ يفوض السلطة بأكملها فوراً إلى أقوى أمراء العسكر المملوكي، أحياناً قبل أن يجفّ دم سلفه على سيفه وبذلك يغدو حاكماً «شرعياً» أي الإمام حسب ابن تيميّة ومن يوافقه،

١. يتكرّر ورود هذا الشعار في نصّ ابن تيميّة والآخر المتأثر به. انظر، مثلاً: العقود الدرية، ص ١٨٠ و ١٩٠.

الدروز ليس عندهم أي مُشكلة في كلّ هذا النطاق، ذلك لأنّ عقيدتهم تأمرهم بأن يكونوا مع الأقوى، وما دام المماليك يقبضون على السلطة فسيكونون معهم حتماً، بصرف النظر عن أي اعتبار مفهومي، أمّا السنة، بمختلف مذاهبهم، فهم جاهزون أيضاً للقبول بالصيغة المملوكيّة، وهم سيجدون حتماً في جعلتهم السياسيّة - كما في تجاربهم التاريخيّة - وُضفة تناسب أي وضع ينشأ من لعبة تبدل السلطة على الطريقة المملوكيّة، وحدهم الشيعة الإماميّة لا يمكن أن يقبلوا بمنح الشرعيّة للسلطة المملوكيّة لأسباب معروفة لا نرى ضرورة لبسط الكلام عليها. وبالمقابل فإنّ السلطة لا يمكن أن تسمح لجماعة، لا تُخفي أنّها لا تعترف بها سلطة شرعيّة، بأن تُسيطر على منطقة ذات قيمة استراتيجيّة ذات امتياز مثل كسروان وما والاها.

من وجهة نظر عملائيّة فهم أي الشيعة كانوا وحدهم المؤهلين بالنظر إلى عديدهم وموقعهم الجغرافي لملء الفراغ السكاني الكبير الذي نشأ مع وبتحرير صور و طرابلس، ولو أنّ السنّة أو الدروز كانوا من هذه الناحية قادرين على ملء الفراغ السكاني الكبير لحلّت المعضلة حلّاً سلميّاً، ولما استوجب الأمر إهراق الدماء وتهجير العباد، ولما تجسّم ابن تيميّة كلّ هذا العناء في تدبيح الفتاوى والرسائل لتغطية الأسباب والمقاصد الحقيقيّة، تحت شعار حماية الإسلام من شرّ الرافض، وكأنّ جيوشهم تستعدّ للانقضاض على دار الإسلام والاقتصاص منهم لذنوب لم توجد إلّا في خياله.

هو ذا المأزق السياسي الذي شكّل الأساس والقاعدة للتحرك العسكري الكبير، الذي أداره عقيدياً ابن تيميّة، وقاتلياً التحالف الذي بينا عناصره فيما فات.

في ظلّ هذه الشروط لم يبقَ إلّا الحلّ الأكثر إبلاماً وهو إجراء عمليّة جراحية سكانيّة كبرى بحيث تنتهي بتبديل الهويّة المذهبيّة للمنطقة، وربّما المنطقتين الإشكاليّتين، الأمر الذي حاولته السلطة بعد تحرير طرابلس مباشرةً ففشلت كما ذكرنا فيما فات، لأنّها استهانت بعزيمة أولئك الجرديين الأشداء، ثمّ نجحت في المحاولة الثانية التي حصلت بعد إعداد طويل ومُعقد إعلامياً وعسكرياً وانتهت بتقتيل من قتلهم وتهجير الناجين إلى مناطق داخلية، حيث سيكونون تحت المراقبة الدقيقة والمُحكّمة للسلطة وأجهزتها، وعلى الأثر

عمدت إلى الخطوة المنطقية التالية والأخيرة وهي جلب التركمان وإسكانهم المنطقة وبذلك يكون هذا السيناريو المتعدّد الحلقات قد تمّ، وارتاح أصحابه إلى النتيجة التي حققت لهم كل ما هو مطلوب.

جدير بنا قبل أن ننقل الكلام إلى أولئك التركمان - عمّار كسروان الجدّد وما جرى منهم وعليهم - أن نُشير إلى أن ابن تيميّة وهو في نشوة «النصر» الزائف لم ينسَ الشطر التالي من الخطّة، فأريانه يذكر «أهل جزيّن وما حوالها وجبل عامل ونواحيه، مُطالباً السلطان بحسم مادة أهل الفساد»^١، وما ندري وأتى لنا لماذا لم يفعل، ولكننا نظنّ ظناً أن أعمال الإبادة الوحشية التي حصلت في كسروان قد أنهت وربما عكست الأثر التسويغي الذي نشره ابن تيميّة، الأمر الذي ترك ما بقي من الخطّة المفترضة مكشوفاً دون غطاء، ممّا أدّى إلى صرف النظر عنها نهائياً، وربما كانت هناك أسباب أخرى لا نعرفها، وعلى كلّ حال فإنّ علينا أن لا ننسى أنّنا في هذا التساؤل نحاول تفسير عدم حدوث ما لم يحدث وهو من أصعب ما يحاوله المؤرّخ، ويُشبهه، من بعض النواحي، محاولة إصابة هدف في الظلام.

ملاحظة أخيرة، يحسن بنا الوقوف عندها، قبل أن تُغادر هذه النقطة من البحث نهائياً هي التبدّل الجذري الذي حصل لخطاب ابن تيميّة، فبعد أن كان متجهاً فكرياً وعملياً نحو منحى تطهيري مُطلق كانت ترجمته الفعلية أعماله في كسروان نراه في خواتيم رسالته إلى السلطان ينحو منحى إصلاحياً، أقرب بكثير إلى وظيفة الفقيه ذلك أنّه بعد أن نادى بضرورة إمساك «رؤوسهم الذين يُضلّونهم، مثل بني العوّد»، قال:

ويُتقدّم إلى قراهم، وهي قرى متعدّدة بأعمال دمشق وصفد وطرابلس وحماة وحمص وحلب، بأن يُقام فيهم شرائع الإسلام والجمعة والجماعة وقراءة القرآن. ويكون لهم خطباء ومؤذنون كسائر قرى المسلمين^٢.

هذا في المبدأ جيّد، مالم يكن وسيلة أخرى من وسائل القمع خصوصاً إذا اتّجه نحو التأسيس للتعارف والحوار، الذي نعلم جيّداً أنّ صاحبه كان أبعد ما يكون عنه، ولكننا نتكلّم في المبدأ.

١. العقود الدرية، ص ١٨٥ - ١٩٢.

٢. العقود الدرية، ص ١٩٢.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا: أين كان هذا المنحى من قبل؟ ولماذا لم يلجأ إليه قبل أن يرتكب ما ارتكب من عظامم تقشعر لها الأبدان، ما تزال بعض آثارها الشريرة تتفاعل حتى اليوم؟ وعلى كل حال، هل هذا يعكس تبديلاً في طريقة التفكير عنده؟ كلا بالتأكيد، فالرجل لم يغادر نزوعه المشهور نحو أعنف الوسائل، بشهادة أنه قبل أسطر معدودات عاد إلى طبيعته، فطالب صراحة بـ«حسم مادة أهل الفساد»، وغني عن البيان أن حسم مادتهم أمر مختلف جداً عن أن «يُقام فيهم شرائع الإسلام»، الحقيقة أن التبدل قد حصل بالفعل، ولكن ليس في طريقة تفكيره، بل بانسداد الأفق السياسي بوجه الحلّ العنفي الأثير عنده. الأمر الذي يُعيدنا إلى انعكاس الأثر التسويغي الذي نشره إعداداً لكسروان، كما ذكرنا قبل قليل.

بقي علينا أن نعالج سؤاليين مما تطرحه تلك الأحداث، هما:

الأول: من هم أولئك التركمان عمّار كسروان الجُدُد، ولماذا وقع الاختيار عليهم؟

الثاني: أين انتهى أولئك المهجرون، سكان كسروان الأصليين؟

بالنسبة للسؤال الأول نقول: التركمان هم من الشعوب التي تتكلم إحدى اللهجات التركيّة. مساكنها الأصليّة ما يُعرف اليوم بآسية الوسطى. وهي سهوب واسعة، تسكنها قبائل رعويّة شديدة المراس، تترزق من تربية الأغنام. ومنذ أن انتشر الإسلام في نواحي إيران كانوا في نزاع دائم مع المسلمين، طال مدّة ثلاث قرون تقريباً. وهم المعروفون في المصادر الإسلاميّة المعاصرة باسم «التُرك». ولكنهم وجدوا فرصتهم التاريخيّة عند ضعف شأن الخلافة، فدخلوا في الإسلام أفواجا، وتغلغلوا في الجيوش الإسلاميّة، ثم قبضوا على زمام السلطة. وكان لهم شأن سياسي عظيم. وهؤلاء يُعرفون في المصادر الإسلاميّة باسم «السلاجقة»، نسبةً إلى زعيمهم «سلجوق». ولكن شأن هؤلاء ضعّف كثيراً في التطورات السياسيّة المتلاحقة. وفي عصر البحث كانوا قد رجعوا إلى حجمهم الأصلي، أي رُعاة أغنام^١، تنتشر قبائلهم في أنحاء الإمبراطوريّة المملوكيّة. وغدت السلطة للماليك، الذين

١. نقول هذا حتّى بعد اطلاعنا على نصّ اليونيني في ذيل مرآة الزمان، مخطوطتنا، حيث يقول: «وفي يوم الإثنين ١٨ جمادى الأولى أمروا جماعة بدمشق وأقطعوهم جبال الجرديين والكسروانيين. وهم الأمير علاء الدين بن معبد البلبكي، وسيف الدين بكتمر مملوك بدر الدين بكتاش، استدار الملك المنصور حسام الدين لاجين، وعزّ

نرجع أصول عامّة قادتهم من سلاطين وأمراء إلى بلاد القبجاق.

إذن، لماذا أقطعتهم السلطة المملوكيّة كسروان، والمعروف أنّ أمراء المماليك كانوا يتنافسون في الحصول على الإقطاعات؟

الجواب واضح. وهو أنّ هذا الإقطاع كان منطقة جبلية خشنة، صعبة المسالك، ليس يُرجى منها كبير نفع. بل ستكون كلاً على صاحبها. وسنرى تصديق ذلك فيما سيأتي. حيث سنرى هؤلاء يغادرون محل إقطاعهم. ليبدأوا تغييراً سكانياً آخر. سيكون ذا علاقة أساسية بما نعالجه في بحثنا.

بالنسبة للسؤال الثاني: يُجمل ابن يحيى في تاريخ بيروت الكلام في هذا الشأن فيقول: «فراح تحت السيف منهم [أهل كسروان] خلق كثير، والسالم منهم تفرّقوا في جزين وبلادها والباق والبلاد بعلبك»^١.

والظاهر أنّ الدولة تركت هامشاً من الحرّية لهؤلاء في الذهاب إلى حيث يشاؤون، فأعطت أماناً لكل من استقرّ في غير كسروان، ممّا يؤكد أيضاً أنّ غرضها لم يكن متعلقاً بهم بوصفهم شيعة، وإن يكن ابن تيميّة قد نظّر للعمل العسكري ضدهم بهذا الاعتبار، بل بهم بوصفهم يسكنون في هذه البقعة بالذات، حيث يمكن أن ينتشروا باتجاه الساحل، المُهيأ لذلك بعد التحرير، ومن هنا قلنا أعلاه إنّه ترك لهم «هامش من الحرّية» وليس الحرّية التامة، وعلى هذا فقد كان من الطبيعي جداً أن يتحوّلوا إلى المناطق التي يقطنها أبناء مذهبهم، ومنها جزين وبلادها والباق وبلاد بعلبك، لكن سؤالنا يطلب تحديداً، أي إلى أين من تلك البلاد؟ من غير المُتوقع أن نجد في كتب التاريخ الرسمي أو في الأخرى المُتشبّهة بها جواباً شافياً على سؤالنا، فهذه إنّما تولى عنايتها فقط للأعمال التي تصدر عن السلطة، وتستنكف عن ذكر أعمال عامّة العباد، ولكننا نعتز على ما قد يُنير هذه الإشكاليّة إنارةً ما، حيث يتقاطع

→ الدين خطاب العراقي. ثمّ بعد ذلك توجهوا لأجل عمارة الجبال وحفظ ميناء البحر من جهة بيروت وتلك النواحي». ذلك أنّ هؤلاء لم يكن لهم من الإمارة إلاّ اسمها. ولم نعتز على ذكر لأي منهم في مصادر الفترة، مع عنايتها الخاصّة بالترجمة للأمراء. وحتى اليوم ما يزال رؤساء العشائر التركمانية يحملون لقب «الأمير». الذي قد يكون مجرد راعي أغنام.

١. تاريخ بيروت، ص ٩٦.

التاريخ السلطوي مع التاريخ الحقيقي.

ومن ذلك كتاب وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون (حكم: ٧٤٨-٧٥٢ ثم ٧٥٥-٧٦٢) المؤرخ سنة ٧٦٠. أي بعد خمس وخمسين سنة من نكبة كسروان. ومن هذه الوقفية جميع القرية المعروفة بركك نوح، ومعلوم أن هذه القرية الشيعية العريقة تقع على فم الطريق المسلوكة بين سهل البقاع وكسروان، أي أنها أقرب قرية من قرى السهل إلى الجبل، إذن فمن المفهوم أن يحط بعض أولئك الذين نالهم التهجير القسري رحالهم فيها.

يذكر كتاب الوقفية هذا أسماء عدد من المالكين في الكرك، منها «كزّم الحاج علي الكسرواني»، وأملاك «أحمد بن الكسرواني» و«محمد علي الكسرواني» و«الحاج أحمد بن الكسرواني»، فضلاً عن «جميع القطعة الكزّم الخراجية المعروفة بمزرعة الدوير في أرض قرية زحلة»، ويذكر من المالكين في هذه الأرض «محمد بن علي الكسرواني»^١ ونحن نستفيد من هذا النصّ الفائق الأهمية أنه بتاريخ الوقفية كانت في الكرك وفي قرية زحلة المجاورة - المدينة اليوم - جالية كسروانية كبيرة، وإذا كان النصّ قد ذكر خمسة أشخاص فقط، فهؤلاء هم الذين صادف أنهم من أصحاب العقارات التي شملتها الوقفية نُضيف إلى هؤلاء الفقيه الجليل الحسن بن يوسف، الشهير بابن العشرة الكسرواني (٨٦٢) الذي عاش أيضاً في الكرك، بل كان الباعث والمؤسس للنهضة العلمية التي دخلت به هذه القرية التاريخ من أوسع الأبواب^٢، وما من شكّ - نظراً لنصّ ابن يحيى - أنه كان في أنحاء سهل البقاع وبلاد بعلبك من مهجري كسروان من ضاع ذكرهم وذكر منازلهم، لأنهم ولأنّ أخبارهم لم يحظوا بتقاطع مماثل مع أخبار أهل السلطة.

أما الذين نزلوا «جزّين وبلاد» فإننا نقف على آثارهم حيث تركوها هم بأنفسهم، وذلك حيث لا يتوقع عادةً، أعني في أسماء عدد من القرى في نطاق جزّين والنبطية وصور، تعدادها أحد عشر قرية، هي داريا، صليما، الهلالية، القطين، قتالة، كفر حتّى، القرية، القصيبة، صربا، يانوح، زغرين ومعلوم إجمالاً أن أسماء القرى والبلدان والمعالم الجغرافية هي وثائق تاريخية لمن يُحسن قراءتها، يبقى أن نقول: أين هي الدلالة على مانعنا في

١. كتاب وقف السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون على مدرسته بالرميلة، ص ٦٦، ٧٤، ٨١.

٢. للتفصيل، كتابنا: جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٨٠ - ١٩٠.

أسماء هذه القرى الأحد عشر؟

الدلالة هي في أنّ هذه الأسماء نفسها نجدها أيضاً في مسرح العمليّات لأحداث الجبل، أي في كسروان و المتن^١، ومعلوم أنّ النازحين يُعبّرون عن الحنين لأوطانهم بمثل هذا، وإلاّ كيف نفسر تلك المزوجة الكبيرة، ومن هنا يمكننا أنّ نتصوّر أنّ قسماً غير قليل من النازحين قد استقروا في مختلف أنحاء جبل عامل، وأنّهم اختطوا لأنفسهم قرى جديدة منحوها أسماء قراهم في وطنهم المفقود، أضف إلى ذلك أنّنا نجد في جزّين - كما سبق أن وجدنا في الكرك - فقيهاً كسرواني الأصل هو أحمد بن إبراهيم الكسرواني^٢، الذي لا نعرف موطنه الثاني، ولكنّه عاش في جزّين بالتأكيد، حيث درس على الشهيد^٣، وربما كان من أبناء إحدى تلك القرى التي أسسها الكسروانيون النازحون في نطاق جزّين أو غيرها، تعبيراً عن الحنين إلى وطنهم المفقود.

خلاصة الفصل

نخلص من هذا السرد التاريخي المتصل الحلقات، الذي وضعناه تحت عنوان «أرضيّة تاريخيّة»، إلى أنّ الشيعة كانوا الغالبية في هذه البقعة من شرق المتوسط، التي غدت من بعد ما يُعرف اليوم بלבnan السياسي، وأنّهم عاشوا فيها زهاء الأربعة قرون، حيث قاموا بإنجازات باهرة على الصعيدين السياسي والتنموي، مثالها الأبرز مدينة طرابلس، إلى أن نزل بهم البلاء الصليبي الذي كان من آثاره المباشرة البعثرة السكانيّة الهائلة التي أصابتهم في الصميم باحتلال مدينتي طرابلس و صور فضلاً عن طبرية التي وإن تكن جغرافياً خارج محطّ اهتمامنا لكنّها تدخل فيه باعتبار أنّ سكانها وسكان القرى والمزارع المُطيّفة بها قد لجأوا إلى جبل عامل، ومذ ذاك بدأ هذا الجبل المبارك يصبح شيئاً مذكوراً.

١. راجع، مثلاً، أسماء كلّ من تلك القرى في قري ومدن لبنان، في المكان المناسب لاسم كل قرية وفق الترتيب الابتي للكتاب.

٢. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٨٢. والاسم في المصادر السابقة عليه الكرواني وهو تصحيف واضح.

٣. جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٢٦ و ١٥٨.

هكذا نشأت صورة سكانية جديدة بمقتضاها غدا الشيعة أكثرية في ثلاث مناطق، هي جبل لبنان و جبل عامل و البقاع البعلبكي، استمرت زهاء قرنين آخرين.

التطور السلبي التالي حصل في بداية القرن الثامن للهجرة حيث ما إن أتمت السلطة المملوكية القضاء على آخر الجيوب الصليبية، حتى انقلبت على الشيعة في جبل لبنان، فنظمت حملة انتهت بإجلائهم منه، وأحلت محلهم أقواماً من التركمان.

هؤلاء التركمان أصبحوا منذ ذاك عاملاً سكانياً وسياسياً وثقافياً جديداً، سيكون له تأثيره بالتأكيد، ومن آثاره ما له علاقة صميمة بموضوع بحثنا، مما يقتضي أن نتابع الكلام عليه تحت عنوان القسم الأخير من هذا الفصل «تداعيات النكبة»، ولكننا أثرنا التوقف عند هذا الحد من «أرضية تاريخية»، لأن تأثير العامل التركماني يتصل مباشرة بالظرف السياسي - الاجتماعي الذي عمل فيه الشهيد، وليس صرف أرضية. من مصلحة البحث وقارته أن يكون الكلام عليه متصلاً مباشرة بقلب الدراسة، أي ليس من التهيئات والتمهيدات البعيدة.

في الفصل التالي سنتعرف على البيئة التي نبت وعمل فيها بطل هذه الدراسة، أعني جزين.

الفصل الثاني جزّين ماضي الأيام الآتية

١. في التاريخ العام

جزّين بلدة في تخوم جبل عامل من شماليّه تستقرّ على موقع حصين، هو جرف يقع على سفوح جبل «التومات»، وتُشرف من الجهة الشماليّة على مُنحدرٍ عنيف يرتفع سنّة وثمانين متراً، يشقّها نهر يتغذى من نبع في سفح «تومات نيحا»، والظاهر أنّ هذا الوضع الطوبوغرافي هو ما أعطى البلدة اسمها، بإدغام كلمة «جزّين»؛ لأنّ النهر يشطرّها إلى شطرين، وعلى هذا فالاسم عربي، والبلدة حديثة التمييز نسبياً، وهناك اجتهادات أخرى حول منشأ اسمها^١. إنّ أقدم ذكر لها عثرنا عليه لدى البلداني الشريف الإدريسي (٤٩٣ - ٥٦٠). ذكرها في معرض حديثه على مدينة صيدا، فقال: «وهي [يعني صيدا] متصلة بجبل لبنان بإقليم يُعرف بإقليم جزّين»^٢. وهذه ملاحظة جغرافيّة صحيحة، وإطلاق اسمها على الإقليم المحيط بها دليل على أنّها أبرز تجمع سكاني فيه، وفيما خلا ذلك فإننا لا نجد لها ذكراً في أعمال البلدانين، الذين اعتنوا بأسماء ومواقع وأوصاف البلدان.

والظاهر أنّ جزّين اكتسبت شيئاً من الأهميّة بفضل موقعها الجغرافي على الطريق الموصل بين دمشق وصيدا، فابن فضل الله العمري (٧٠٠ - ٧٤٩) يقول: إنّ من يريد صيدا فإن عليه سلوك طريق دمشق - خان ميسلون - جزّين - صيدا^٣، ولكن أقوى دليل على ما

١. قري ومدن لبنان، ص ٢٣١ - ٣٢ وما بعدها ومعجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، ص ٤٩.

٢. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ١، ص ٣٧٠.

٣. التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٥٠. والمُعري كان مهندراً في الإدارة المملوكيّة، أي مسؤولاً عن العلاقات مع القبائل العربيّة في الدولة ممّا كان يقتضي أن يكون على اطلاع وافر على المناطق وأوضاعها من كافة النواحي، وقد سجّل الكثير ممّا استفاده من عمله في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.

تمتعت به البلدة من قوّة حضور، قبل أن تغدو حاضرة علميّة، نجده في رسالة ابن تيميّة إلى السلطان المملوكي، حيث نراه يذكرها وحدها بالاسم بوصفها من مواطن الشيعة، الذين ينبغي - عنده - أن تتابع السلطة ما بدأتها في كسروان^١. وغني عن البيان أن لهذا التخصيص مغزاه وإن نكن عاجزين عن التحديد لعول المعلومات.

ولقد كان من حُسن حظ جزين أنّها من البلدان القليلة التي لم يضربها الاحتلال الصليبي، يوم لحق الصليبيون بنزّال جبل عامل النازحين من أنحاء الاردن وفلسطين هرباً من الهول الزاحف بعد مذبحه القدس المهولة مع أنّها مُحاطة من ثلاث جهاتها بأرض مُحتلّة، وتقع على خط شمالي - جنوبي بين حصني «تيرون» و «أرون» الصليبيين، وهما من الحصون التي شادوها على حدود المنطقة المُحتلّة، وما ذاك - فيما نحسب - إلاّ لأنّها منطقة وعرة جدباء، صعبة المسالك، لا خير فيها ولا مطمع، بل ونرجّح أن أهلها أنفسهم لم ينزلوها بدوّاً، للسبب نفسه، بل عاشوا في غيرها أولاً ثمّ تحوّلوا إليها، والدليل على ذلك نجده في اسم أُطلق على أهلها - ويا للأسماء أحياناً من وثائق تاريخيّة ثمينة - هو «المياذنة»^٢، نسبةً إلى «سهل المأذنة» بجوار مدينة النبطيّة، المعروف بخصوبته، وغني عن البيان أنّهم لم يكتسبوا هذا الاسم إلاّ بسبب أنّهم استوطنوا هذا السهل مدّة غير قصيرة، قبل أن يتحوّلوا عنه إلى جزين ومنطقتها، ابتغاء التحرّر من ضغوط الاحتلال على الأرجح، وفي هذا تأييد لما ذهبنا إليه أنّها حديثه التمصير.

نختم هذا القسم بالوقوف على ما كان من أهل جزين في جهاد المُحتلّين الصليبيين، وهو دور منكور في كتابات المؤرّخين، وهم الذين أنكروا - بالسكوت - تاريخاً طويلاً مجيداً من الجهاد، ضرب فيه أهل جبل عامل بسهم وافر، ممّا بيّنا ما وصل بنا البحث منه في كتابنا حسام الدين بشارة أمير جبل عامل.

النصّ الوحيد الذي يُشير - وإن من طُرف - إلى ما كان من أهل جزين من سهم في أعمال الجهاد والتحرير عثرنا عليه في مصدرين معاصرين، هما مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٦٥٤م)

١. العقود الدرّيّة، ص ١٨٥.

٢. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٢٦٧ يُسمّي منطقة جزين شوف المياذنة ويصف أهلها بالرافضة، والذيل على الروضتين، ص ١٠٣ يُسمّي أهلها بـ«المياذنة».

وذيل كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة الدمشقي (م ٦٦٥). والنص في كلا المصدرين مُشوّه بسبب سؤ التحقيق، وسنقتبس الثاني لأن صاحبه، ابن دمشق، أكثر خبرة بأحوال منطقته. قال:

ولمّا انفصل الفرنج عن الطور، قصد ابن أخت الهنكري جبل صيدا وقال: لا بد لي من أهل هذا الجبل. فنهاه صاحب صيدا وقال: هؤلاء رُماة [في مرآة الزمان: رُعاة. وهو الصحيح] وبلدهم وعر، فلم يقبل، وصعد في خمسمائة من أبطال الفرنج إلى جزيرة [أقرأ: جزين] ضيقة المياذنة، قريباً من مشغرة، فأخلاهوا أهلها، وجاء الفرنج فنزلوا بها وترجلوا عن خيولهم ليستريحوا، فتحدّرت عليهم المياذنة من الجبال، فأخذوا خيولهم، وقتلوا عامتهم، وأسروا ابن أخت الهنكري، فهرب من بقي منهم نحو صيدا، وكان معهم رجل يقال له الجاموس من المسلمين، قد أسروه، فقال لهم: أنا أعرف إلى صيدا طريقاً سهلاً وأصلكم إليه، فقالوا: إن فعلت أغنيناك، فسلك بهم أودية وعرة، والمسلمون خلفهم يقتلون ويأسرون، ففهموا أن الجاموس غرّهم فقتلوه، ولم يفلت إلى صيدا سوى ثلاثة أنفس بعد أن كانوا خمسمائة، وجاء إلى دمشق بالأسارى وكان يوماً عظيماً^١.

إنّ فهم هذا النصّ الثمين يقتضي شرح كلمتين أساسيتين فيه، مع التذكير بأننا قد بيّنا قبل قليل معنى كلمة «المياذنة».

الأولى: «الهنكري» وهي الاسم الذي عرف به محلياً الملك أندرو الثاني، ملك «هنغاريا»، وأحد زعمي الحملة الصليبية المعروفة بالخامسة، وقد اتخذ من مدينة صيدا قاعدة له مدة إقامته القصيرة بالمنطقة، ومن هنا سمّاه أبو شامة «صاحب صيدا».

الثانية: «الطور» وهي اسم القلعة التي بناها الملك العادل الأيوبي على جبل الطور المواجه لمدينة عكا للتضييق عليها حين كانت آخر ما بقي من مملكة بيت المقدس الصليبية، وكان بناؤها ذريعة لضجيج كبير أثاره البابا أنوسنت الثالث في الغرب بحجة أنّ هذا الجبل «شهد عظمة المسيح ومجده» داعياً إلى تجهيز حملة جديدة لإتقاذه.

بالنتيجة جرى تجهيز حملة جُلّها من الهنغاريين والالمان بزعامة ليوبولد الثاني دوق «النمسا» وأندرو الثاني ملك «هنغاريا»، شرعت بمجرد وصولها بالهجوم على القلعة، دون

١. ذيل كتاب الروضتين، ج ٥، ص ١٥٦ - ٥٧، والنص الموازي في مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٨، ص ٥٨٥.

أن تُفْلح في الاستيلاء عليها، والنصّ الذي اقتبسناه أعلاه يبدأ من نقطة عودة الصليبيين خائبين، يملأ صدورهم الحنق لما ألتّ إليه حملتهم من فشل ذريع. والآن نعود إلى نصّ ابن شامة، ابتغاء تحليله وكشف خبيثه.

إنّ سياق الكلام يربط بوضوح ما بعده ووضوح بين خيبة الصليبيين في الاستيلاء على قلعة الطور وبين قصد ابن أخت الهنكري جزين، وذلك ربط يدلّ على علاقة سببيّة بين الأمرين، يفهم منه المتأمل أنّه كان لأهلها دور في الدفاع عن القلعة، الأمر الذي أغاظ ابن الاخت، وجعله يُصمّم على الانتقام منهم، والنصّ صريح في أن مقصوده كان أهل الجبل، وليس الجبل نفسه «لا بدّ لي من أهل هذا الجبل»، ولذلك نهأ خاله الملك بقوله: «هؤلاء رُعاة وبلادهم وعر» إلفاتاً إلى فقر المنطقة وجذبها وصعوبة مسالكها وقبلُ إلى صلابة أهلها، ممّا يجعل العمليّات العسكريّة فيها محفوفة بالمخاطر، فضلاً عن أنّه لا فائدة تُرجى منها.

إذن فالنصّ يحتوي على إشارة مُزدوجة ونادرة جداً - بل فريدة - إلى ما كان لأهل بلد الشهيد من دور في مقارعة الاحتلال. وأولاهما صريحة ومباشرة، هي موضوع النصّ الذي نُعقب عليه، وفيها وصف هذه الواقعة الجليّة التي انتصر فيها أهل جزين بالشجاعة والتصميم والذكاء وحُسن التخطيط، على الرغم من التباين الكبير في ميزان القوى لصالح عدوهم، والثانية ضمنيّة، هي بالتأكيد لم تكن من همّ المؤرّخ ولا هو رمى إلى بيانها وإنّما فهمناها من تتابع الأحداث كما سجّله أعني: فشل الصليبيين في الاستيلاء على القلعة، عزم الأمير على الصعود إلى جزين والانتقام من أهلها، ممّا نفهم منه دون ارتياب أنّهم كانوا ذوي دور بارز في الدفاع عنها.

وجدير بالذكر هنا، أنّ سبط ابن الجوزي، بعد أن وصف استبسال المقاتلين في الدفاع عن القلعة، ختم كلامه بالقول: «وكان في الطور أبطال المسلمين وخيار عسكر الشام»^١. ممّا نفهم منه أنّ وجود أهل «جزين» في جملة من أوكل إليهم الدفاع عن القلعة لم يكن عفواً ولا صدفة، بل لما كانوا يتمتّعون به من سمعة طيّبة كمقاتلين، فهذه شهادة لأؤلئك «الرعاة»، على حدّ ما قاله الملك أندرو الثاني في وصفهم، بأنهم كانوا، على فقرهم وجشوبة عيشهم، ممن

يُعتد عليهم في المُلمّات وحين البأس، وهي شهادة زكّوها هم بأنفسهم، بما أظهره من براعة وشجاعة وحُسن تخطيط.

نقطة أخيرة نقف عندها في ختام هذا التحليل، هي ما ختم به ابن شامة نصّه حيث قال: «وجاء إلى دمشق بالأسارى، وكان يوماً عظيماً». نسال: مَنْ هو ذاك الذي «جاء بالأسارى»؟ هذا السؤال يطرح تساؤلاً: هل رمى ابن شامة من هذه الصيغة المُلبّسة إلى تجهيل الفاعل، كي لا ينسب الفضل إلى أهل جزين؟ أم أنّ الأمر بكلّ بساطة يرجع إلى سوء تحقيق المصدر الذي اقتبسنا عنه النصّ، السؤال سيبقى الآن دون جواب، بانتظار أن نُطرّحه استناداً إلى نسخة مُحققة تحقيقاً وافيةً من الكتاب.

كلّ ذلك كان كلاماً في التاريخ العام لجزين وأهلها، وسيكون علينا أن ننتقل تَوّاً إلى تاريخها الثقافي ممّا يدخل في باب المُهَيَّات والمُرهّصات لسيرة الشهيد وأعماله.

٢. في التاريخ الثقافي

ما من ريب في أنّ ذلك الهامش من الحرّية، الذي تمتّع به جزين، بالقياس إلى غيرها من بلدان جبل عامل، كان شرطاً ومقدّمة ضروريين لِمَا آل إليه أمرها على يد ابنها الشهيد الأوّل، ويُفسر لنا - وإن جزئياً - لماذا انبعثت دون سواها لتكون الفاتحة والعنوان لنهضته، فنحن نعرف أنّ الاحتلال الصليبي كان استيطانياً، بمعنى أنّ المُحتلّ يتصرّف على أساس أنّه أصبح بالاحتلال المالك للأرض، وأنّ مَنْ عليها من البشر عبید أرض (أقنان)، يُصرّفهم مالِكها الفعلي في منافعهِ كيف يشاء، وغنيّ عن البيان، أنّ قوماً على هذه الحال المزريّة ومثلها، لا يُعقل أن يكونوا بُناة نهضة، ويستحيل أن يصرّفوا قسطاً من جهدهم إلى الفكر وشؤونهِ.

من هنا رأينا أحد أبنائها يجترح أوّل مبادرة في جبل عامل باتجاه المعرفة، فيشدّ الرحال إلى الحلّة القصيّة في طلب العلم التي كانت يومذاك أهمّ مركز علمي شيعي، ليعود منها إلى وطنه، وليكون أوّل فقيه عاملي نعرفه، ذلك هو إسماعيل بن الحسين العوّدي الجزيني (م ٥٨٠)^١. ذلك الرائد الذي يدين جبل عامل لمبادرته بالكثير. بل إننا - إذا أخذنا

١. راجع الترجمة له في كتابنا: جبل عامل بين الشهيدين، ص ٦٧ - ٦٨.

بالاعتبار تأثير النهضة العالميّة - الذي انداح نحو مُختلف الاقطار فيما بعد - بوسعنا أن نقول: إنّ عالم التشييع كله مدين له ولمبادرته تلك.

وإنّه لمن المُثير للعجب حقاً أن نرى شخصاً يجترح هذه المبادرة دون سابقة من مثلها في وطنه، ولكن فلنتذكّر ما قصصناه في الفصل السابق عن بنى العوّد، فقهاء كسروان، وتهجيرهم مع مَنْ هُجروا من أهلها إلى جزين، وعن آل العودي في هذه، واحتمال أن يكون هؤلاء من بقايا أولئك. فلعلّ - بل الأرجح - أنّ هذا الرائد لم يصدر في مبادرته الفذة عن غير أساس، بل درج على الدرب الذي عبّده من قبل أسرته العريقة، وإذا صحّ هذا فهو من العبر التي تُرينا أنّ غطرسة القوّة والقهر لا يمكن أن تضع نقطة الختام، وأنّ هناك دائماً برسّم ضحاياها سبيل مفتوح نحو بداية جديدة.

وتوالت على بلد الشهيد حظوظه السعيدة، وذلك إذ نزلها آخر فقيه شيعي إمامي كبير أنجبته منارة الشام حلب، هو نجيب الدين أبو القاسم بن الحسين بن العوّد الحلبي (٦١٨ - ٦٧٦) الذي وصفه الذهبي فقال: الفقيه المتكلم، رأس الرافضة، وشيخ الشيعة^١. وغنيّ عن البيان، بالنسبة لمن يعرف ما كان عليه أمر جبل عامل عموماً وأمر جزين خصوصاً في ذلك الأوان، أنّه سيكون لنزول فقيه من مثله فيها أحمد الأثر ممّا ليس في الوسع تفصيله، لُبعد الشقّة في الزمان وعوّل المعلومات، ولكننا نعرف، على الأقلّ أنّه أسّس فيها حركة دراسة وتدرّيس، نعرف من ثمارها الفقيه الرائد جمال الدين إبراهيم بن أبي الغيث البخاري (ح ٧٣٦). الذي حاول ما أفلح فيه الشهيد فيما بعد، ولكنّه قمع فضاغ ذكر أعماله، بل ضاع ذكره هو، ولولا شيء من حُسن الحظّ لما عرفنا عنه حتّى الاسم^٢.

حقّ أنّ هذا الامتياز الذي حظيت به البلدة قد حصل في سياق مأساة، هي انهيار أمر التشييع في منارة «الشام» «حلب»، بسبب دخول العناصر العسكريّة القادمة من الأطراف

١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (حوادث ووفيات ٦٧١ - ٦٨٠). وله ترجمة مُميّزة في ذيل مرآة

الزمان لليونيني، ج ٣، ص ٤٣٤ - ٣٩.

٢. لتفصيل هذا الاجمال راجع الترجمة المفصلة التي علّقناها له في كتابنا: جبل عامل بين الشهيدين، ص ٧٨ - ٨٩.

البعيدة في الصورة السياسية للمنطقة، تحرّكها شهوة السلطة والثروة، وكان خروج - بل إخراج - أبو القاسم العودي منها^١ من إماراته وعقائيله، لكن العبرة من هذا السياق أنّ الانهيار هناك قد ساهم في التأسيس والترهيب للترقي هنا، فكأنك تشهد سباقاً بالرايات لا تسقط الراية من يد حتى تتلقفها يد.

وحتى أيضاً أنّ هذه النعمة قد نالت جزين بعد عقود كثيرة من وفاة رائدها الأول إسماعيل العودي، ممّا قد يودع في النفس أنّ التوالي المؤثر مفقود، لكن علينا أن نعتبر أنّنا في هذا نتحدّث عن تغييرات بطيئة عميقة، تحدث عفواً ودون تخطيط على مستوى المحرّكات الثقافية المأزومة، بسبب الانقطاع المزمّن عن مصادرها المعرفية، لذلك فإنّ أي مدد يأتيها سينغرس عميقاً في وعي الناس، ويهيئ للخطوة التالية عندما تحصل، وقد عبّر الذهبي تعبيراً بديعاً جداً عمّا نحاول فذلكته هنا فقال، وهو يتحدّث عن الموقع العالي الذي اكتسبه أبو القاسم في جزين: «ثمّ إنّهُ أقام بقرية جزين مأوى الراضة، فأقبلوا عليه وملكوه بالاحسان»^٢. يعني: جزاء ما أحسن إليهم، ويا لبراعة هذه العبارة! نقول هذا على الرغم من أنّنا نراها قاصرة عن بيان كلّ ما ينبغي بيانه، ذلك أنّها لا تتقف على ما نراه أهمّ إنجازات أبو القاسم في وطنه الثاني. أعني تأسيسه لأوّل حركة دراسة وتدرّيس في جبل عامل نظن أنّها لم تقتصر على تلميذه ابن أبي الغيث بل ضمّت تلاميذ آخرين ضاع ذكرهم ربّما إلى الأبد مثلما كاد يضيع ذكر هذا لولا حُسن حفظه وحُسن حفظنا منه، على أنّنا نعذر الذهبي في تقديره المجزوء، لأنّه يقتضي خبرة أكبر ممّا كان لديه بالتاريخ الثقافي لجبل عامل. وعلى أنّ الإنصاف يقتضي ممّا أنّ نقول: إنّ قوله «فأقبلوا عليه» ربما يعني فيما يعني - وأبو القاسم ذلك الفقيه والعالم الكبير - الأخذ عنه والدراسة عليه، ممّا يصلح أن يكون إشارة مُجمّلة إلى تلاميذه المُفترضين.

١. وصف الذهبي تمثيلية إخراج أبو القاسم من حلب فقال: «تردّد إلى الشريف عزّ الدين مرتضى نقيب الأشراف، فاسترسل معه يوماً، ونال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فزبره النقيب، وأمر بجرّه بين يديه، وأركب حماراً مقلوباً، وضع في الأسواق، فحدّثني أبو الفضل بن النحاس الأسدي أنّ فامياً [أي بائع بقول] نزل من حانوته وجاء إلى مزبلة، فاغترف غانطاً ولطّخ به ابن العود».

٢. تاريخ الإسلام، حوادث ٦٧١ - ٦٨٠.

من التلاميذ المُحتملين لأبو القاسم، جمال الدين أبو محمد مكي بن محمد بن حامد الجزيني والد الشهيد، وما من نصّ على ذلك، ولكن خطّ حياة ابن حامد يتناسب مع الفترة التي عاش فيها أبو القاسم في بلده جزين، فلقد عرفنا أنّ أبو القاسم توفي فيها سنة ٦٧٦. ونقول الآن إنّ والد الشهيد كان حيّاً سنة ٧٢٨. وياليتنا نعرف تاريخ مولده، لكي نكون أقرب إلى القطع في هذا التفصيل من سيرة الإثنتين، استناداً إلى تقاطع عمريهما. الذي يكمل التقاطع المكاني، أعني حياتهما كلاهما في جزين.

مهما يكن، فإنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ اختيار أبو القاسم جزين - البعيدة عن وطنه الأصلي حلب - ليُمضي فيها ما بقي له من العمر، بعد أن نزل به ما نزل، لا يخلو إجمالاً من دلالة على ما اكتسبته من موقع مُتميّز يعود الفضل فيه أوّل ما يعود إلى الرائد إسماعيل العوّدي الجزيني.

في الأوان الذي كانت فيه تلك الحركة الداخليّة عالقّة في جزين، كانت هناك غير بعيد عنها نبضات قد بدأت تعمل، وكأنّ هناك إيقاعاً غير مسموع يُنسق حركات جسم المنطقة التي عاشت زهاء قرنين من الزمان في حالة من الاستلاب الثقافي بسبب وقوعها تحت الاحتلال، وهاهي الآن تتهيأ للخروج منها، تلك النبضات تشهد بأنّه قد بدأت فيه حياة جديدة بالفعل مثلما يحصل للحمل في رحم أمه، قبل أن يخرج إلى الحياة الدنيا، فتبدأ أعضاؤه بالعمل بالتوالي عضواً إثر عضو في ترتيب رباني مُعجز.

في مشغرة إلى الشرق من جزين يوسف بن حاتم (ح ٦٦٤). وفي «طلّوسة» جنوبها صالح بن مُشرف الطلّوسي (ح أوائل القرن ٨). وفي المنارة أقصى جنوبها، طومان بن أحمد المناري (ح ٧٢٨). وفي «مجدل سليم»، جنوبها أيضاً إبراهيم بن أبي الغيث البخاري (ح ٧٣٦)، وكلّ هؤلاء ساروا على الدرب الذي سار عليه من قبل الرائد إسماعيل الجزيني، فنفروا إلى الحلّة ورجعوا إلى قومهم، وكان لكلّ منهم دوره التاريخي^١.

١. لتفصيل هذا الاجمال، والاطّلاع على الترجمة لكلّ من هؤلاء الرّواد، نرجو الرجوع إلى كتابنا جبل عامل بين الشهيدين، ص ٦٧ وما بعدها.

ولا يذهبن بقارئ الظنّ إلى أنّنا بتعريجننا على ذكر هؤلاء الرواد، قد خرجنا من إطار جزّين وبالتالي على عمود البحث كلّاً فهذه البلدان متقاربة جداً جسداً وروحاً أي أنّ كلّ ما يجري في إحداها يظهر أثره على الأخرى، ومن ذلك أنّ مكّي بن محمّد الجزيني والد الشهيد قد درس على البخاري. وأنّ البخاري ابن «مجدل سليم» أخذ عن ابن العوّد في جزّين، كما قلنا فيما فات.

هؤلاء الرجال الرواد الذين نراهم الآن من موقعنا العالي في الزمان مُصطفيين في أعماق صورة جبل عامل في تلك المرحلة الانقلابية من تاريخه، هم الذين بنى الشهيد على الاساس الذي مكّنوا له وكان من فضله أنّه بنى فأعلى.

ملمح أخير وغريب في هذا التتبّع للحركة الداخلية في جزّين تمهيداً للدخول المهيمن للشهيد نقرأه في ما نعرفه من سيرة أحد أبنائها أسد الدين الصائغ الجزيني (ح النصف الأوّل من القرن ٨). الذي قيل فيه إنّه «شيخ الشهيد، وعمّ أبيه، وأبو زوجته» وإنّه «لم يشتهر بين الفقهاء لغلبة العلوم الرياضيّة عليه»^١. فإذا صحّ ما قالته المعلومة الأخيرة، من أنّه كان مُتمكناً من العلوم الرياضيّة، فهذا يطرح سؤالاً كبيراً: من أين استقى معرفته هذه في تلك المرحلة المُبكرّة من نشأة الحياة العقلية في وطنه؟ ترى هل كانت إمكانات جزّين العلميّة في ذلك الأوان أغنى ممّا نعرف بحيث تُنتج عارفاً في هذا العلم؟ من الواضح أنّ هذا السؤال يتجاوز إشكاليّات السيرة الشخصية لأسد الدين، ويصل إلى ما هو أكبر بكثير، أي إلى مستوى الحالة المعرفيّة التي كانت عليها جزّين عشية بروز ابنها الكبير محمّد بن مكّي.

لكنّنا لانملك على هذا السؤال جواباً.

مهما يكن فممّا لا ريب فيه أنّ جزّين كانت في ذلك الأوان في وضع مُتقدّم بالقياس إلى كلّ رصيفاتها ممّا ذكرناه من قرى وبلدان جبل عامل التي أنجبت رواداً، أعني: المنارة وطلّوسة ومجدل سليم و مشغرة، وبالتالي فلن يكون من الغريب ولا المفاجئ أن تُنجب البطل المُنتظر.

خلاصة الفصل

جزين بلدة شمال جبل عامل في منطقة وعرة، يبدو أنّها حديثة التمسير نسبياً بشهادة اسمها العربي، وأن لا ذكر لها في المصادر البلدانية القديمة مصّرها قوم نزحوا إليها من «سهل المأذنة» بجوار مدينة النبطية حيث عاشوا فيها حياة فقيرة اعتماداً على رعي المواشي. لكنهم، في المقابل، كانوا يتمتعون بالحرية التامة، التي كان يفتقر إليها عامة إخوانهم في جبل عامل، الذي كان آنذاك يزرع تحت الاحتلال الصليبي.

إنّ مفتاح تاريخ جزين الذي جعل منها في المستقبل غير البعيد على يد ابنها محمد بن مكّي، رائدة النهضة، هو في هذا القسط من الحرية الذي تمتّع به أهلها ولولاه لما كان لها أن تأخذ المبادرات المتوالية في الطريق الطويل نحوها.

أولى تلك المبادرات - وربما أكثرها أهمية - رحلة ابنها إسماعيل العوّدي، التي وصلت بلده بالينبوع الوحيد آنذاك لاستيراد العنصر المعرفي الضروري لإعادة البناء بعد أن انقطع بسبب الاحتلال، وذلك حين شدّ الرحال إلى الحلّة وحضر على علمائها، وبذلك كان أوّل عالم أنجبه بلده.

ثانيها هجرة أكبر عالم شيعي في الشام في زمانه إليها هو أبو القاسم بن العوّد بعد أن نُكِّلَ به في وطنه حلب، كان من بركتها وحميد أثرها أن أسس فيها أوّل حركة تدريس عرفها جبل عامل، نعرف من ثمارها أحد كبار رواد النهضة إبراهيم بن أبي الغيث البخاري. ونظن أن بركتها أكبر بكثير ممّا نعرف.

وخلال مدّة قرن تقريباً من الريادة سار على درب رواد آخرون: يوسف بن حاتم المشغري، وطومان بن أحمد المناري، وصالح بن مشرف الطلّوسي، ومكّي بن محمد الجزيني والد الشهيد، وأسد الدين الصائغ الجزيني. ولكلّ من هؤلاء دوره المميّز في هذا التأسيس. الأمر الذي جعل المسرح مهيباً لمن يُحوّل هذه الحركة البطيئة إلى نهضة حقيقية فاعلة، وما كان ذلك المؤمل المترجى غير الشهيد الأوّل محمد بن مكّي الجزيني.

الفصل الثالث

في السيرة

إشكاليات البحث

تكلمنا في مقدّمة هذا الباب على ما ينبغي الكلام عليه في المقدمات من مصادر البحث، ونقول الآن:

يمكن قسمة سيرة الشهيد إجمالاً - من حيث توفر وعدم توفر المصادر الموثوقة عنها - إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المولد والنشأة. وهذه لانجد عنها أيّ معلومات أساسيّة، وهو أمر طبيعي بالنسبة للكبار الذين ينبتون في الغمار، إذ لا يبدأ الاهتمام بتسجيل سيرتهم إلا بعد أن يصبحو ملء الأعين، وإذ ذاك تكون معالم سيرتهم الأولى قد ضاعت وغدت نسيّاً منسياً، وما نجد في المصادر عنها فيما يخصّ سيرة الشهيد إنّما هو حدسيّات وتخمينات، استقأها كاتبها ممّا لديه من معرفة - أو ما يعتقد أنّه معرفة - بالظرف الذي اضطرب فيه صاحب السيرة في نشأته الأولى، وهذا أمر مقبول من حيث المنهج في غياب النصوص المباشرة شرط أن تُسجّل النتائج بوصفها ظنوناً من درجة أو غيرها، ولا ترقى إلى مرتبة العلم أو ما يُشبهه، والشأن كلّ الشأن بعد في مدى صدق تصوّر الذي يملكه الكاتب، أو طبّقاً لما عبّرنا عنه أعلاه، في معرفة الظرف، وكلّما كانت تلك المعرفة دقيقة وغنيّة بالتفصيلات كلّما أتت نتيجتها أقرب إلى الحقيقة، ومن هنا يلمس القارئ الحضيف أهميّة ما أمضينا فيه الصفحات السابقة التي سنراها - أعنى تلك الأهميّة - في كافة مراحل البحث، وهنا أيّ فيما يخصّ هذا القسم ما علّقناه في خواتيم الفصل الثاني على الحياة العقليّة في جزين عشية مولده.

القسم الثاني: فترة الإعداد أي إعداد الشهيد نفسه بالطلب ولقاء أهل العلم في الحلة وغيرها، وهذه تتوفر عنها المعلومات بفضل التقاليد الأكاديمية التي كانت مُتبعة في ذلك الاوان من إجازات وإنهاءات فضلاً عن تاريخات لما صنفه أو نسخه.

القسم الثالث: فترة العمل والنشاط في وطنه جبل عامل وفيما والاه وخصوصاً في دمشق مركز السلطة الإقليمي، وهذه تتفاوت مصادر البحث فيها من حيث ما تمنحه للبحث وللباحث تفاوتاً كبيراً، فبالنسبة لأعماله العلمية فهي كسابقته غنيّة بالوثائق بما فيها من إجازات وإنهاءات.

أما نشاطه السياسي والاجتماعي وعلاقاته العامة فإنّ الاشارة إليها وردتنا في عبارات مجزوءة، مقطوعة عن سياقها والسبب في ذلك، فيما يبدو لنا، ليس أنّ من سجلها قد تعمّد ذلك وإنّما لأنّها كانت في أوانها أموراً معروفة مشهورة، وبصفتها هذه فهي في غنى عن التفصيل والبيان، ولكنّها مع كثر الأعوام وتوالي القرون وتناسي ملابسها تغدو ضئيلة الفائدة، أو فلنقل أنّ الفائدة منها متوقفة على نجاح الباحث وتوفيقه في إعادة تركيب تلك الملابس استناداً إلى ما تحت يده من مصادر موازية، وهذا أمر ليس باليسير دائماً فضلاً عن أنّ نتائجها تبقى، هي الأخرى، ظنيّة.

١. النسب والمولد والنشأة

(أ) في النسب: هو «محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد الجزيني»، هكذا كتب اسمه رجلان عالمان عرفاه عن قرب مدّة مديدة. أحدهما شيخه محمّد بن الحسن الحلّي، الشهير بفخر المحقّقين (م ٧٧١) وذلك في الإجازة التي كتبها له^١، والآخر محمّد بن محمّد الجزري (م ٨٣٣) في الترجمة التي علّقها له في كتابه غاية النهاية في طبقات القراء مُستنداً إلى «ما كتب بخطّ لي في استدعاء»^٢ أي أنّ الكتب مصدره الشهيد نفسه، وهذا كافٍ في إيصال البحث في هذه المسألة إلى ما يحسن السكوت عليه، ومع ذلك فإنّه لا بدّ من الاشارة إلى تركيبات إسميّة مختلفة يبدو أنّها إمّا من تصحيفات النساخ، أو من باب التساهل بإغماض

اسم بعض الاجداد، من ذلك: «محمّد بن محمّد بن حامد بن مكّي»^١ و«محمّد بن أحمد بن حامد بن مكّي»^٢ إلى غير ذلك، والأمر هين.

لكن هاهنا ملحوظة لابدّ من إيرادها على سبيل استقراء كلّ ما في مختلف المصادر في هذا الشأن هي أنّ الحرّ العاملي يترجم «لطه بن محمّد بن فخر الدين»، واصفاً إياه بأنّه «جدّ الشيخ الشهيد محمّد بن مكّي» وبأنّه «عالم ثقة زاهد»^٣. والاسم نفسه نجده في مختصر نسيم السحر، هكذا: «محمّد بن شرف الدين مكّي بن حامد بن طاهّا بن علي». أي أنّه والد جدّ الشهيد، وليس جدّه، ويؤخذ من هذين المصدرين إجمالاً أنّ في سلسلة نسب الشهيد من اسمه طه^٤، وتحقيق القول في طه هذا وفي موقعه من سلسلة نسب الشهيد عسير جدّاً، إن لم يكن مستحيلاً، وعلى كلّ حال فالأمر كما قلنا آنفاً هين.

كلّ هذا فيما يعود إلى نسبه القريب.

فيما يرجع إلى نسبه البعيد. فإننا نشهد خليطاً متهافتاً من الأنساب:

- المطلبي الذي يبدو أنّه نسبة إلى عبد المطلب بن هاشم، جدّ النبي ﷺ، وقد نسب الشهيد نفسه هكذا كثيراً، وربّما لهذا دأب حفيده البعيد محمّد مكّي، الذي اختصر نسيم السحر، على نعتة بـ«الشريف».

- الخزرجي نسبة إلى القبيلة المعروفة، نسبه إليها حفيده نفسه.

- الحارثي نسبة إلى الحارث الهمداني^٥.

- المُنتسب لسعد بن معاذ سيّد الأوس. قالت ذلك ابنته فاطمة في وثيقة الهبة^٦.

١. ورد في ختام إجازته لابن الخازن الحائري التي ستأتي في الفصل الثامن من الباب الثالث من هذا الكتاب.

٢. وذلك في نصّ هبة فاطمة ابنة الشهيد أخويها ما يخصها من تركة أبيها. التي وردت في الفصل التاسع من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

٣. أمل الامل، ج ١، ص ١٠٥. مع ضرورة الإشارة إلى أنّ هذه الترجمة وردت فقط في إحدي النسخ الثلاث التي اعتمدها المحقّق. وهي نسخة محفوظة أصلها في مكتبة آية الله الحكيم العامّة في النجف برقم ٤٥٧ مخطوطات. وقد وصفها المحقّق في المقدّمة بأنّها كثيرة الأخطاء والتصحيقات والسقطات جدّاً.

٤. انظر الفصل الثاني من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

٥. راجع الفصل الثاني من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

٦. ورد نصّها في الفصل التاسع من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

وغني عن البيان أن الأقوى سنداً من هذه الأنساب هو المُطَلَبِي، لمكان نسبة الشهيد نفسه هكذا، وأنه لا يمكن قبولها دفعةً واحدة لما بينها من تهافت بيّن. وإنما بسطنا الكلام عليها للتنبيه إلى ذلك، ويُستفاد من نسبهته إلى عبد المطلب أن أصل أسرته من مكة.

(ب) في المولد: وسنتناول هذه المرحلة من السيرة من جانبي المكان والزمان.

أولاً في مكان المولد: ما من نصّ صريح مباشر في المصادر على ذلك. ولكن الحرّ العاملي ينعت والد الشهيد بـ «الجزيني»^١ ممّا يفهم منه أنه على الأقلّ قطنها ثم إن محمّد مكّي يقول في مختصر نسيم السحر: «ذكر تاريخ ولادته [يعني الشهيد]، وكيفيّة حاله بعد أبيه ببلدة [ببلده؟] جزّين»^٢. الأوّل دليل ظرفي على أن مولده كان في جزّين، أما الثاني فهو أقرب إلى التنصيص على أن مولده كان فيها، خصوصاً إن فهمنا أن العائد في قوله «ببلدة [ببلده] جزّين» هو تاريخ ولادته، وليس حاله بعد أبيه.

لكن حفيده ينعته بـ «الحانيّ الجزيني». و حانين بلدة في جبل عامل قريبة من بنت جبيل، غير بعيدة عن الحدود الدوليّة الفاصلة بين لبنان السياسي والارض المُحتلّة، والعادة أن هذا الترتيب في النسبة يعني أن المعنيّ بالكلام كان في المنسوب إليه أوّل، فهل يمكن أن نفهم من ذلك أن الشهيد وُلد في حانين ثمّ تحوّل أو تحوّل به والده إلى جزّين؟ احتمال مقبول، خصوصاً وأنّ قائله، الذي نُرجّح أنّه مؤلف نسيم السحر محمّد بن علي بن الوحيد البتديّني، عارف بما خفي عنّا من سيرة أستاذه، أضف إلى ذلك أنّه ما من سبب للزعم بأنّ هذا القول منه هو اجتهاد لا يستند إلى معلومات مؤكّدة.

ثانياً في تاريخ مولده: يقول الشهيد الثاني زين الدين بن علي الجُباعي (م ٩٦٥) مانصّه:

وجدت بخطّ الشيخ رضي الدين أبي طالب - وُلد شيخنا السعيد محمّد بن مكّي - على

ظهر كتاب الذكري بخطّ مصنفه السعيد ما ملخصه:

وُلد المصنّف في شهور سنة أربع وثلاثين وسبعمئة^٣.

وقد نقل هذا النصّ عبد الله أفندي في كتابه رياض العلماء ببعض تصرّف ثمّ المُحدّث

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٥.

٢. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٣. راجع الفصل الثالث من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

النوري في مستدرک الوسائل. وكان هذا سبب ذیوع هذا التاريخ، خصوصاً أنه صدر عمّن لا یرقی الشک إلى وثاقته ومعرفته، بحيث إن السید حسن الصدر قال في كتابه تكملة أمل الآمل: «تولد سنة أربع وثلاثين وتسعمائة [كذا، وهو خطأ طباعي] بلا خلاف»، وبُنيت عليه أمور وأمر مما هو من سيرة الشهيد^١، في حين أن ما بُني كان الأحرى به عند الناقد أن يكون سبباً للتأمل في صحّة النصّ.

إن ما يستفيده الباحث من مجموعة من الوثائق الأساسية ذات العلاقة بسيرة الشهيد أيام الشباب أنه بين السنتين ٧٥٠ و٧٥٨، قام بنشاط واسع جداً، فيه أسفار وتحصيل واستجازات وإجازة وتصنيف، أتمها - بناءً على أنه وُلد في تلك السنة - وله من العمر أربع وعشرون سنة، هذا إجمالاً أمر غير معقول^٢.

نعتقد - ونظراً لغياب النصّ الموثق الدقيق المباشر أن أفضل ما لدينا على هذا التفصيل - من سيرة الشهيد هو ما في الترجمة التي علّقها له صاحبه شمس الدين الجزري. وفيه: وُلد بعد العشرين وسبعمائة. ورحل إلى العراق. وأخذ عن ابن المُطهر وغيره^٣.

والكلام هنا للجزري وليس للشهيد. مع أنه أتى بعد قوله: «كذا كتب إليّ في استدعاء». التي تُرجّح أن مرجعها قوله «محمد بن مكّي بن محمد بن حامد أبو عبد الله الجزيني الشافعي». خصوصاً الشافعي. بشهادة قوله بعد «ولكنّه شيخ الشيعة والمجتهد في مذهبهم». وهذا تلميح يُشبه التصريح بأنّه غير مقتنع بزعم الشهيد أنه شافعي المذهب، وقوله بعد هذا مباشرة: «وُلد... الخ». هو استئناف لكلام جديد لالعلاقة له بما كتبه الشهيد إليه «في استدعاء». يؤيد ذلك أن في نهاية العبارة خطأ كبير لا يمكن نسبته إلى الشهيد، هو قوله: «وأخذ عن ابن المُطهر» أي العلامة الحلّي الذي توفّي عام ٧٢٦، أي قبل ورود الشهيد الحلّة بالتأكيّد. إلا أن يكون المقصود بابن المُطهر فخر المحققين، ابن العلامة وشيخ الشهيد، وهو

١. من ذلك: أن الشهيد هاجر إلى «الحلّة» عندما كان له ستّ عشرة سنة. وأنه نال إجازة شيخه فخر المحققين وهو في السابعة عشرة. وأنه عندما نال درجة الشهادة كان له من العمر اثنتان وخمسون سنة.

٢. راجع الفصل الرابع من الباب الأول، أعني فصل «السرّد التاريخي لرحلاته وحياته العلميّة» في هذا الكتاب ففيه بحث متين، اقتضى من المؤلف جهداً كبيراً مشكوراً. بيّن بالتفصيل ما أشرنا إليه من أعمال الشهيد أثناء تلك السنوات الثمان.

٣. غاية النهاية، ص ٢٦٥.

أمر بعيد جداً، خصوصاً على السنة فقهاء السنة في الشام، أضيف إلى ذلك أن إسناد العبارة إلى الشهيد، فيما كتبه، يعني أنه لم يكن يعرف تاريخ مولده إلا على نحو الإجمال «بعد العشرين وسبعمئة»، وهو أمر لا يقلُّ بعداً عن سابقه.

ومع ذلك كله فإننا نرى أن هذا التاريخ هو الأقرب وأنه يحلُّ كافة الإشكالات التي كانت سبب اعتراضنا على النص المنسوب للشيخ رضي الدين. ولعلَّ «وثلاثين» تصحيف، صوابها: «وعشرين». وهو تاريخ نقبله على مضض، في غياب ما هو أدقُّ وأوثق.

ج) في نشأته. إلى هنا نكون قد حققنا بقدر الوسع أن الشهيد وُلد في جزين سنة ٧٢٤ على نحو التقريب، والسؤال التالي بحسب التطور الطبيعي لعمارة السيرة يتناول نشأته الأولى فأين وعمّن تلقى في مُقتبل العمر؟

النص الوحيد الذي يلتفت - ولا نقول يُعالج - إلى هذه النقطة من سيرته وردت عَرَضاً فيما ذكره حفيد بعيد للصانع في «بعض تعليقاته»، حيث ترجم للشيخ أسد الدين الصانع الجزيني واصفاً إياه بأنه «شيخ الشهيد الأول وعم أبيه وأبو زوجته»^١. والنص غير مُسند، والمترجم له غير معروف، ولم يُذكر في أي مصدر آخر، وما من حُجّة للبناء عليه سوى ثقتنا بالناقل والمنقول عنه، وعليه فما نحن نُسجِّله دون تعليق.

ومع ذلك، فإننا على ثقة تامة من أنه تلقى تاهيلاً علمياً جيّداً في وطنه. أو، على الأقل، قبل أن يشرع في رحلاته العلميّة الطويلة. والدليل على ذلك:

أنه بدأ رحلاته تلك بالحجاز، فأدّى فريضة الحجّ فيما يبدو، ثم أقام زمناً ما في المدينة حيث كتب قسماً من مجموعته الشهيرة في المدينة المنورة سنة ٧٥٠^٢ والمجموعة هذه كتاب كبير أدخل فيه عدداً من الكتب والرسائل النادرة، وأخباراً متفرقة انتخبها من كتب وأصول القدماء^٣ ما نبتغي الإلفات إليه الآن هو أن مجرد اهتمام الشهيد بهذه التسجيلات هو نفسه دليل على أنه كان في مرحلة متقدّمة من النضج العلمي.

١. أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٢٨١. والحفيد البعيد هو أسد الله الصانع الحنويهي العالمي.

٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٥/أ.

٣. راجع الفصل الخامس من الباب الثالث من هذا الكتاب: «فوائده المتفرقة وأعماله العلميّة».

تلقي أولى إجازتيه من شيخه فخر المحققين في الحلّة بتاريخ العشرين من شعبان عام ١٧٥١.

أجازه شيخه عميد الدين عبد المطلب بن محمد ابن الأعرج الحسيني (م ٧٥٤) في كربلاء بتاريخ ١٩ رمضان ١٧٥١.

أجازه شيخه نفسه سنة ٧٥٢ في الحلّة بعد أن قرأ عليه الجزء الأول من تذكرة الفقهاء^١. إن امرءً يصرف جهده إلى ما انصرف إليه وهو يخطّ المجموعة، ويتلقى ثلاث إجازات من شيوخين من أبرز الشيوخ في الحلّة آنذاك، أولاها بعد أن طرقها بسنة، لا بدّ أن يكون قد تلقى من قبل تأهيلاً علمياً لا تقاً بما يهتم وبما نال. ولكن: أين؟

الاحتمال الوحيد الوارد هو في بلدة جزّين، ولقد سجّلنا قبل قليل ما نقله السيّد الأمين عليه السلام عن أسد الدين الصانع الجزّيني، ووصفه بشيخ الشهيد ونُضيف الآن احتمال أن يكون قد حضر على والده الذي نعرف أنّه كان حياً سنة ٧٢٨، وهي سنة وفاة شيخه طومان بن أحمد المناري. فإذا صحّ ما انتهينا إليه في القسم السابق، من ترجيح أن يكون التاريخ الصحيح لمولد الشهيد هو العام ٧٢٤، فهذا يعني أنّه كان في الرابعة أو الخامسة بذلك التاريخ، وباليتنا نعرف تاريخ وفاة الوالد على الأقلّ لنكون أقدر على الظنّ - لا أكثر من الظنّ - في هذه الإشكاليّة العسيرة، فنقول - مثلاً -: إنّ والده هو الذي بدأ تعليمه، جرياً على عادة كثير من العلماء في الاعتناء بأبنائهم، خصوصاً في الظرف التأسيسي الذي كانت عليه جزّين في ذلك الأوان، حيث كان الأساتذة المؤهلون لمثل هذه المهمة نادرين، وربما معدومين، كما نذكر هنا بما قلناه في خواتيم الفصل السابق عن جزّين، وإمكاناتها العلميّة عشية النهضة، واحتمال أن تكون أكبر بكثير ممّا نعرف، الأمر الذي - إن صحّ - يوسع من دائرة الاحتمالات في هذا الشأن، فهذه احتمالات ثلاث على هذه الإشكاليّة لا بدّ أن يكون واحد منها على الأقلّ صحيحاً، ولكننا عاجزون عن الترجيح بينها لعوّال المعلومات.

١. راجع الفصل الرابع من الباب الأول من هذا الكتاب.

٢ و٣. راجع الفصل الرابع من الباب الأول من هذا الكتاب.

٢. في الحلة

مهما يكن، فإنه بتاريخ ٢٠ شعبان ٧٥١ كان في الحلة بدار فخر المحققين محمد بن الحسن الحلبي^١، أول أشياخه فيها وأعلامه مكانةً وأوسعهم شهرةً ولقد عرفنا ممًا فات قبل قليل أنه في السنة الفاتية كان في المدينة، حيث كتب قسمًا من مجموعته، واستناداً إلى هذين التاريخين المُحَقَّقَيْن بوسعنا أن نقول أنه وصل إليها، بعد أن حجَّ وزار قبر النبي ﷺ، في إحدى تيك السنيتين لا يعدوهما، ولنلاحظ أن هذه هي أول مرة يصل بنا البحث في هذه السيرة إلى تاريخ مؤكد، وعلى درجة مقبولة من التحديد، والفضل في هذا للتقاليد الأكاديمية الراسخة التي درج عليها سلفنا الصالح.

كانت الحلة يوم دخلها ابن مكِّي أهم حاضرة شيعية إمامية وأكثرها حيوية، ما تزال تنعم بالحضور البهي لابنها العظيم الحسن بن يوسف بن المُطَهَّر الحلبي الأكثر شهرة بالعلامة الحلبي (٦٤٨ - ٧٢٦). الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بعلمه وتصانيفه ونشاطه في غير ميدان، وكان عامّة الأساتذة والشيوخ فيها آنذاك من تلاميذه، كما كانت أمينة على النهج الأصولي العقلي الاجتهادي الذي أسس له وشاده فأحسن التأسيس والإشادة ابنها العظيم الآخر محمد بن إدريس الحلبي (م ٥٩٨)، وليحفظ القارئ بهذه المعلومة في ذهنه لحاجتنا إليها فيما يأتي، خصوصاً حيث سنستعرض العالم الفكري لبطل هذه السيرة وتكوينه العقلي المنهجي.

غاص الشهيد عميقاً في المجتمع العلمي لالحلة إلى حد الاندماج، كما تما التقى الشاب الطلعة ابن جبل عامل المأزوم الباحث عن هويته، بما يحمل من أسواق علمية مشبوبة بالنبع الثرّ فكرع منه حتى الثمالة، وكأنّه يبتغي أن يستنفذ إمكاناته العلمية، يشهد لذلك عديد أساتذته وشيوخه فيها، وهم نخبة تلاميذ العلامة.

فهؤلاء هم عمدة أساتذة وشيوخ الشهيد في الحلة على اختلاف أقدارهم وتفاوت أعمالهم، ولن يكون من العسير على القارئ الحضيف الذي وعى ما سجّله هو من انطباعات عن بعضهم وما ذكره ممًا قرأ عليهم أن يرسم خطأً بيانياً يضع فيه كلاً منهم في الموضوع

المناسب لدرجة فضله في بناء هذا الشاب، القادم من بقعة لم تكن حتى ذلك الأوان شيئاً مذكوراً، اسمها جبل عامل ولكنها ستترتب بعد قليل بفضلها على إحدى القمم في التاريخ الثقافي للتشيع الإمامي.

٣. بدء صلته بعليّ بن المؤيد الخراساني

لن نغادر الحلة مع الشهيد، قبل أن نقفّ ما على بداية صلته بابن المؤيد لما لهذه الصلة من دلالات خطيرة ستكون موضع اهتمامنا فيما يأتي، وأيضاً لأنّ هناك من الأدلة ما يكفي على أنّها بدأت عندما كان ما يزال في الحلة.

أعلى تلك الأدلة سنداً هو ما ورد في مختصر نسيم السحر، حيث قال:

فبينما هو في الحلة إذ قد ورد عليه مكاتيب من عليّ بن مؤيد، سلطان العجم، وفيها الحثّ والالتماس منه على الحضور لديه للتشرف بقدمه والانتفاع بعلومه وأكثر في التلطف والتودّد له فيها، فأجابه واعتذر له بما يناسب الحال والمقال^١.

وعليّ بن المؤيد العلوي، نسبةً إلى الإمام عليّ عليه السلام، لأنّ مؤسس الأسرة عبد الرزاق بن فضل الله باشتيني (حكم: ٧٣٧ - ٧٣٨) زعم أنّه ينتسب إليه، وهي أسرة من الشوّار من سبزوار عُرفت بـ«سربداران»: (بجدير بالشنق، على المشنقة) قاد مؤسسها عصياناً على والي خراسان المغولي، وهو نفسه كان جابي ضرائب بخدمته.

وبالنتيجة استولى على مدينة سبزوار وما والاها، ثمّ على نيسابور وإستراباد وغيرهما، وخلال نصف قرن توالى على السلطة منهم اثني عشر (سلطاناً). آخرهم عليّ بن المؤيد (حكم: ٧٦٦ - ٧٨٣). وهو أطول أفراد الأسرة حكماً، وهذا يصلح دليلاً على حنكته ودهائه، ولكن كان من سوء حظّه أن انقرضت الدولة في عهده، باستيلاء تيمور على البلاد. من المؤكّد أنّ مصدر ما نجده في مختلف المصادر عن رسالة ابن المؤيد الأولى إلى الشهيد مصدرها كتاب نسيم السحر المفقود، فذكرها في مختصره دليل على أنّها مذكورة

١. مختصر نسيم السحر ضمن ملاحق هذا الكتاب. وقد أورد الشهيد الثاني كلاماً مشابهاً جداً لعبارة المختصر، ممّا يدلّ على أنّ أصله كان عنده أو اطلع عليه. انظر: الروضة البهية، ج ١، ص ٢٤.

أيضاً في الأصل، وبما أن مؤلف هذا الكتاب هو من تلاميذ الشهيد، فيمكن القول أن مصدره هو الشهيد نفسه، وهذه نتيجة منطقيّة، ما دام موضوعها رسالة شخصيّة.

لكننا نعرف أنه عندما تسلّم ابن المؤيّد السلطة لم يكن الشهيد في الحلة بالتأكيد، على أن هذه الملاحظة لاتتجه إلى نفي الخبر أصلاً خصوصاً وأنّ سنده قوي (من الشهيد، إلى تلميذه البتديني، إلى نسيم السحر، إلى مختصره)، بل نستظهر منها أن الرجل عندما كان يهيم نفسه لاستلام السلطة، بينما كان أسلافه يتساقطون الواحد تلو الآخر، كان هو يعدّ لأمر كبير شبيه بما نجح فيه الشاه إسماعيل الصفوي الأوّل بعد قرن ونصف.

هذا التصرّو يناسب رجلاً على ما أشرنا إليه من دهاء وحنكة، ويناسب ثورة قامت على قاعدة مطلبيّة جماهيريّة، هي مقارعة الظلم والظالمين، ونحن نعرف أن التشييع كان في إيران في ذلك الأوان وبعده شعار الطبقات المسحوقة تحت أقدام دول الطوائف والإقطاعيين والمغامرين العسكريين، ولذلك فقد رفع مؤسس الدولة نسبه إلى الإمام عليّ عليه السلام، وعندما تسلّم ابن المؤيّد السلطة أعلن التشييع الإمامي في دولته، وكان «يضرب السكّة باسم الأئمة الاثني عشر ويخطب بأسمائهم»^١، من هنا نرى في الفترة التي حكم فيها السربداريون وخصوصاً آخرهم ابن المؤيّد إحدى تعبيرات شعوب الهضبة الإيرانية عن التحفز العميق الذي يعتمل داخلهم باتجاه التشييع، ذلك التحفز الذي وجد التعبير النهائي في الدولة الصفويّة وحتّى اليوم.

الآن نسال: لماذا أبي الشهيد أن يُلَبّي الدعوة الكريمة الموجهة إليه ولم يتحرّك فوراً باتجاه إيران، كما فعل والد شيخه فخر المحقّقين العلامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهر حين لبي دعوة أولجايتو محمّد خدابنده (حكم: ٧٠٣-٧١٦)؟

نطرح السؤال لا لأننا نملك الجواب فهذا الأمر ومثله علمه عند المطّلع على السرائر سبحانه وتعالى، وإنما ليودعه القارئ ذهنه فلعلّ الجواب عليه خبيء في بعض ما سيأتي من سيرة الشهيد الحافلة، وسنقف فيما يأتي على دعوة ابن المؤيّد الثانية له، وهو في خضمّ صراعه المكتوم المتعدّد الجوانب مع الظروف المُستحيّلة المُحيطة به.

٤. ما بعد الحلة، رحلاته العلمية

بتاريخ «يوم الأربعاء لاثنتي عشر ليلة خلت من شعبان سنة سبع وخمسين وسبعمائة» كتب الشهيد في «الحلة» إجازة لجمع غفير من تلاميذه، قرأوا عليه كتاب علل الشرائع للشيخ الصدوق^١، وهي أول إجازة صدرت عنه، مما يدل على أنه بعد أن أقام فيها سبع أو ثماني سنوات مُتفرغاً للتحصيل قد غدا من أساتذتها البارزين وصاحب حلقة وبتاريخ منتصف ذي القعدة من السنة نفسها أتمّ تصنيف الجزء الثاني من كتابه الهام غاية المراد في شرح نكت الإرشاد بـ«الحلة»، وهذه آخر وثيقة تتعلق بأيام إقامته لغرض الدراسة في تلك المدينة التي بنته علمياً وعقلياً بما امتازت به من نهج عقلي اجتهادي، والظاهر أنه على الأثر غادرها نهائياً ولم يرها إلا بعد ثماني سنوات حيث فرغ من تصنيف المنسك الكبير فيها سنة ٧٦٥^٢. ثم، زارها بعد زهاء العشرين سنة حيث لقي للمرّة الأخيرة أستاذه ابن معيّة واستجازه لنفسه ولولديه محمّد وعلي^٣.

من الحلة انطلق في رحلة واسعة أقام مدّة في بغداد. ويقول صاحبه وصديقه الجزري أنه فيها:

قرأ القراءات على أصحاب ابن مؤمن وذكر لي ابن اللبّان أنه قرأ عليه، وهو إمام في الفقه والنحو والقراءة^٤.

ولكننا نلاحظ خلوّ الإجازات الكثيرة التي صدرت عن الشهيد من الإشارة إلى شيء من ذلك، مع أنه حرص فيها كما تقتضي التقاليد في هذا النطاق على استيفاء تاريخه العلمي^٥، كما استجاز شمس الأئمة الكرمانى، الفقيه الشافعي البارز وإجازته له صدرت «في أوائل

١. راجع الباب الثالث من هذا الكتاب: الفصل الثاني: «إجازاته».

٢. انظر الفصل الأول من الباب الثالث من هذا الكتاب.

٣. انظر الفصل السابع من الباب الأول من هذا الكتاب.

٤. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

٥. على أن الأمانة تقتضي الإشارة أيضاً إلى قوله في إجازته لابن الخازن أنه قرأ على أربعين شيخاً من علماء السنة لم يذكرهم جميعاً بأسمائهم. ومع ذلك يبقى في النفس من هذه شيء. لآقل لأنها قراءة وليست مجرد إجازة.

جُمادى الأولى لسنة ثمان وخمسين وسبعائة»^١.

من بغداد انطلق في رحلة علمية واسعة زار أثناءها دمشق ومقام الخليل إبراهيم ومكة والمدينة، والظاهر أنه أقام في كل بلد من هذه مدة ما، لأنه يقول: أنه قرأ في رحلته هذه على أربعين شيخاً من علماء السنة، كما قلنا قبل قليل، والقراءة تقتضي مكثاً ما وهذا واضح. بالإضافة إلى أولئك الثلاثة، فإنّ الشهيد يورد في إجازتيه لابن الخازن الحائري وتلميذه ابن نجدة أسماء ثمانية من علماء السنة استجازهم أو قرأ عليهم أثناء رحلاته. بهذه المبادرة غير المتوقعة سنّ الشهيد سنة حسنة سار عليها فقهاء جبل عامل من بعده مدة قرنين، وما انكسرت إلا بعد وبسبب قتل العثمانيين الشيخ زين الدين بن عليّ الجبّاعي، الشهير بالشهيد الثاني سنة ٩٦٥.

وحريراً بنا، في هذه المرحلة من البحث، أن نتساءل عما تُخَيِّته هذه الرحلة الواسعة، لأنها تبدو لنا ابتداءً خارجاً عما هو متوقع من مثله. خصوصاً وأنّ ذاكرته تعي - ولا ريب - الفطائح المهولة التي ارتكبت في كسروان تحت شعار مذهبي، على أن العمل بذاته يستحق منا كل تنويه، لأنه يُشير إلى الأشواق العلمية المشبوبة التي غمرت نفس صاحبه، ويدلّ على ما تمتّع به من انفتاح ذهني مُدهش على المعرفة بحيث تجاوز في طلبها حواجز وأسواراً نعرف كم هي عالية متينة، مزروعة بالاشواك المسمومة.

فلنلاحظ، أولاً، أنها إحياء لتقليد علمي عريق درجت عليه أجيال بعد أجيال من أهل العلم من فقهاء ومُحدّثين، لكنّه غدا مهجوراً في زمانه، والتقليد يرجع إلى ما قبل القرن الرابع الهجري أي إلى ما قبل استواء المذاهب على مواقعها، واكتسابها بُنى نهائية مُغلّقة. ومذ ذاك وبسبب البُنى المنهجية المُحكّمة ذات الطابع الجغرافي، أخذت الحركة الفكرية خصوصاً في إطار الحديث والفقهاء تدور في محاور مُنفصلة. لكل منها قوانينه المختلفة الخاصة، وكانت من النتائج التي ترتبت على هذا التطوّر المعكوس أن أصبح التواصل بين أرباب المذاهب جزءاً من الماضي الذي لن يعود، وهي التي كانت من قبل عنصراً من مستوى رفيع في تقاليد التحمّل والطلب بحيث إنّ لقب (الرُّحلة) إذ يُقرن باسم مُحدّث أو فقيه كان يدلّ على تنويه خاص.

من البين أنّ الشهيد كان يتطلّع من رحلته هذه إلى أمر جليل، وإلاّ لماذا يخوض تلك المغامرة غير المأمونة، خصوصاً أنّه أوّل فقيه شيعي يركبها بعد أن وصلت الحالة المذهبيّة إلى مُستقرّها، وخصوصاً أكثر أنّه - على ما تُرجّح - كان يتظاهر أثناءها أنّه شافعي^١.

أي أنّه كان يُحاذر من أن تُعرف شخصيّة على حقيقتها.

تري هل كان يصدر في هذا عن توق شخصي، ونحن نعرف أيّ طلعة كان؟ أو عن منهج آمن به، كما فعل خلفه الشهيد الثاني بعده بما يقلّ عن قرنين؟^٢ أو أنّ الأمر كان، بكل بساطة، جزءاً من خطة يعمل عليها؟

أسئلة نظرحها مع علمنا بأننا لن نحصل على جواب شافٍ عليها، لأنّها سرّ إنسان عظيم عاش قبل ما يزيد على الستّة قرون منح عمره لمطالب ومقاصد كبيرة جدّاً، ولكننا نظنّ أنّ الجواب الصحيح ضائع بين تلك الاحتمالات الثلاثة.

مهما يكن فإنّه بما اجترح قد عبّد لبلده طريقاً سار عليه من بعده مدّة قرنين من الزمان أثناءها كان جبل عامل مُفتوحاً على المراكز العلميّة من حوله، بحيث إنّ رحلات فقهاء الكبار إليها كانت تقليدياً متصلاً، لكنّه - من أسف - كان انفتاحاً من جانب واحد فما سمعنا أبداً برحلة سلكت الطريق المعاكس.

٥. في جزين

لسنا نعرف على نحو اليقين متى آب إلى بلده، فنحن بمغادرتنا الحلّة معه قد غادرنا نهائياً نعيم الوثائق المؤكّدة المتسلسلة لتحركاته وأعماله، والتوثيق الوحيد توثيقاً كاملاً الذي حصلنا عليه من رحلته هو لقاءه شمس الأئمة الكرمانى بعد خروجه من الحلّة^٣.

عام ٧٦٠ تخميناً عاد الشهيد إلى بلده مُتوجّ الهام بمجد العلم حتّى أنّ كاتب السيرة المُبدع محمّد باقر الخوانساري (م ١٣١٣) وصف فضله فقال: «وكان بعد مولانا المحقّق

١. ما من نصّ على ذلك، ولكن هكذا نسب نفسه في استدعاء كتبه إلى صاحبه وصديقه الجزري (غاية النهاية،

ج ٢، ص ٢٦٥). وفي أثناء محاكمته قال لقاضي دمشق الشافعي: «إني شافعي المذهب. وأنت إمام هذا المذهب. فاحكم عليّ بمذهبك» (راجع الفصل العاشر من الباب الأوّل).

٢. أقرأ من الترجمة التي علّقناها له الصفحات ١٤٨ - ١٥١ في ستّة فقهاء أبطال.

٣. لسان الميزان، ج ٥، ص ٣٩٠.

على الإطلاق أفقه جميع فقهاء الآفاق»^١، وتلك رُتبة كانت معروفة له في زمانه حتى خارج حدود مذهبه، يشهد لذلك قول الجَزْرِي فيه: «شيخ الشيعة والمُجتهد في مذهبهم»^٢، وبالنسبة لحجم مُشاركته بوصفه مُحدثاً فقد أُتيح لي أن أقف في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف الأشرف على سلسلة شاملة لطُرُق الحديث عند الشيعة الإمامية، وضعها اثنان من معارف فقهاؤها، وفيها يظهر بوضوح أن أغلب الطُرُق تلتقي عنده، وهذا دليل - ولا يبين - على قوّة حضوره مُتحملاً ومُحدثاً.

والقارئ العارف بأزمة جبل عامل في ذلك الأوان - بتأثير الاحتلال الذي ران عليه قرابة قرنين كان أثناءها مقطوع الصلة بمصادر ثقافته^٣ - لن يجد أدنى صعوبة في تصوّر وقع ذلك الحدث الساطع على أهله، فلاوّل مرّة يكون لجبل عامل من يكون له حضور القطب بما ينطوي عليه معنى القطب من قوّة جذب نحو المركز، حيث تكمن الثقافة الأزومة، فلنتمعّن الآن في أن قسطاً أساسياً من أزمة الجبل يعود إلى القطع مع تاريخه الخاصّ ومع ثقافته الخاصة بسبب الاحتلال، وها قد جاء الآن الرجل الرمز بما يحمله من ثقل علمي، هو خلاصة نقيّة للثقافة إياها، فلا عجب في أن تنعقد عليه الآمال في تحريره من أزمته وفي تحريك الطاقة المخزونة في ثقافته إلى موقع فاعل.

ورُبّ قارئٍ حصيف يتساءل بعد أن قرأ الفقرة السابقة: من أين استفدنا هذا التحليل الدقيق؟ خصوصاً وأننا نشكو من ندرة الوثائق في هذه المرحلة من سيرة ابن مكّي.

حقّ أنّه ما من وثيقة تقول ذلك - ولا شيئاً منه - على نحو صريح ومباشر، بل إننا لا نتوقع ولا نطمع بما هو أقلّ، ذلك لأننا نعرف جيداً بؤس جبل عامل وانقطاعه وخموله آنذاك، وإنّما نقرأ التاريخ بطريقة ارتجاعية - أعني من المستقبل إلى ماضيه الحاضر - بحيث نفهم الحاضر من صيرورته المستقبلية، تماماً مثل أن تري صورة طفل صغير رقيق الجسم ثمّ أُخرى له وقد غداً شاباً فارح الطول متين البنيان فتقول: إنّه بين هاتين قد تلقى عناية صحيّة

١. روضات الجنّات، ج ٧، ص ٣ - ٤. والمحقّق على الإطلاق هو جعفر بن الحسن الحلّي (م ٦٧٦).

٢. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

٣. للتفصيل فيما يخص هذه الملاحظة المُجملة، نرجو الرجوع إلى القسم الثامن من الفصل الثالث في كتابنا جبل

عامل بين الشهيدين، ص ٨٩ - ١٠٤.

جيدة، وإنه تقبل هذه العناية قبولاً حسناً. وهذه نتيجة صحيحة مع أنك لا تملك الدليل المباشر عليها، وإنما تتوسل طبيعة الأشياء كما تقضي بها قوانينها، وسنقف فيما يلي من هذا البحث على مختلف معالم وأمارات العلاقة المُميزة التي قامت بين الشهيد وأهل جبل عامل. وعلى إنجازاته التاريخية في غير ميدان.

كلّ شيء يدلّ على أنّه مع عودته واستقراره في وطنه قد انصرف بكلّيته إلى العمل، وما عتمت تلك القرية الهادئة أن غدت خلية عمل دائم تعجّ بالطلاب الطامحين القادمين من البقاع القريبة والبعيدة.

كانت تلك أول مرة يكون فيها جبل عامل مركزاً للعمل كبير، ومن أسف فإنّ الكثير جداً من تفصيلات تلك الحركة الرائعة - التي يعود إليها الفضل في بعث هائل لم يتوقّف ولم تنزل آثاره ماثلة حتّى اليوم خصوصاً بعد أن انداح بعيداً عن حدوده الجغرافية قد ضاعت ربّما إلى الأبد، ولولا القليل الذي حفظته لنا تقاليد إجازات القراءة والرواية لما تمكنا اليوم من أن نتخيّل أو حتّى أن نتساءل عما جرى في تلك الأيام المجيدة، لأننا لن نملك سبباً للتساؤل، وحتّى كتاب أمل الآمل في علماء جبل عامل للحرّ العاملي - الذي وضعه مُصنّفه لغرض إحيائي هو الحفاظ على الذاكرة النهضويّة حيّة بعد أن تشتت رجالها في الآفاق - فإنّه لا يُسعفنا بالكثير في هذا النطاق، وذلك أولاً بسبب الفترة الزمنية الطويلة التي تفصل بين عصر الشهيد وعصر الحرّ وهي تناهز الأربعة قرون، وثانياً بسبب الإيجاز المُخلّ أحياناً بل غالباً والفرق في التفاصيل الذي طبع أسلوب الحرّ في هذا الكتاب، وإننا نشكر الله تعالى على أنّه التزم - على الأقلّ - وإلى حدّ لا نعرفه بالقول أن هذا المترجم له أو ذاك «من تلاميذ الشهيد» أو «يروى عن الشهيد»، وهما عبارتان تؤدّيان معنى واحداً عادةً، أو حين لا يقوم دليل على العكس.

لا بدّ لنا من القول إنّ هذا الالتزام - إن كان الحرّ قد التزم بالفعل - له دلالتة غير المباشرة أيضاً من حيث أنّه يُشير إلى أن القراءة على الشهيد أو الرواية عنه كانت امتيازاً يستحقّ التنويه، وما من ريب في أنّ الحرّ فيما أتاه هنا يُعبّر عن موقف عام وضع الشهيد وحركته ومَن اتصل به في مكانة مرموقة حتّى بعد أن نُسيّت الأحداث وضاعت الأسماء، هكذا تُعبّر

الثقافة المنحدرة من السلف عن صلابة عودها وجبروتها، حتّى بعد أن يسقط التاريخ وتتهار الذاكرة الحديثية الواعية وتتلاشى تحت وطأة الزمان والأحداث.

حفظت لنا نصوص الإجازات وأمل الآمل أسماء كثيرة وُصف كلٌّ من أصحابها بأنّه «من تلاميذ الشهيد» أو «يروى عن الشهيد». منهم العاملين، والكريّون، نسبةً إلى بلدة كركّ نوح المعروفة في لبنان، والحلبيون والحليّون، نسبة إلى مدينة الحلة في العراق. وإلى أحد هؤلاء التلاميذ الحليّين المقداد بن عبد الله السيوري (م ٨٢٦)، يعود الفضل في تسجيل التفاصيل المروّعة لمقتل الشهيد في دمشق ولكن من جهة أخرى هناك بالتأكيد أسماء كثيرة قد ضاعت، ربّما إلى الأبد، وما نزال كلّما تابعنا البحث والتنقيب أو عثرنا على مصدر مفقود نقع على أسماء جديدة.

من غرائب الحرّ العالمي - وما أكثرها - أنّنا لا نجد في الجزء الأوّل من كتابه المُخصّص لعلماء جبل عامل أي ترجمة مستقلة لأحدٍ من تلاميذ الشهيد أو الراوين عنه، مع أنّه ذكر السيّد حسن بن أيّوب بن نجم الدين الحسيني وهو من أبرز هؤلاء التلاميذ عرَضاً^١، ولكنّه في الجزء الثاني، وهو لعلماء الشيعة من كافة الأقطار يورد أحد عشر اسماً وصفهم بأنهم من تلاميذ الشهيد أو يروي عن الشهيد، هذه المُفارقة أمر غير معقول إذا نحن اتّخذنا من مضمونها دليلاً على الحقيقة أو أنّها تعكس صورة أمينة عن الواقع، كما أنّه لا يمكن إرجاعها إلى عوّل المعلومات لديه بعد أن ذكر ابن أيّوب ولا إلى مزاجياته المعروفة، إذن فهي بكل بساطة، خطأ منهجي على الأقلّ فيما يتعلّق بابن أيّوب خصوصاً وأنّه قال في مقدّمة كتابه:

وقد سمعتُ من بعض مشايخنا أنّه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مجتهداً، في عصر الشهيد وما قاربه^٢.

في المجلّد الخامس والعشرون من بحار الأنوار للعلامة المجلسي نقع على أسماء كثيرة، منهم من تلقى إجازة من الشهيد. وبعضهم وُصف بما يُشعر بأنهم من تلاميذه، وكثير منهم مُجرّد أسماء نعرف أو نُحتمن أنّهم عامليّون، وتدلّ القرائن على أن أصحابها من معاصري الشهيد.

١. أمل الآمل، ج ١، ص ٤٥ و ١٣٨. مع ملاحظة أنّه في المرّتين يقول ما مضمونه أنّه يروي عن الشهيد.

٢. أمل الآمل، ج ١، ص ١٥.

نفهم من هذه الوقائع، أنه في الفترة القلقة التي تلت مقتل الشهيد اندثر تراثه بأكمله: أعلام وأعمال علمية لا بد أنهم أنتجوها، أما الذين عاشوا خارج جبل عامل فقد نجوا مما حاق بإخوانهم فعاشوا في مختلف التسجيلات التي حفظها المجلسي وغيره فيما صنّفوه، هكذا فعندما كتب الحرّ أمل الآمل في السنوات الأخيرة من القرن الحادي عشر للهجرة سجّل ما وجدته، فجاء كتابه صورة للواقع كما أتيت له أن يراه، ثمّ إنّه أجهز على الواقع الجريح بتجاهله ابن أيّوب.

أسهنا في هذا الكلام النقدي، بعد أن شرعنا بالحديث على أعمال الشهيد في وطنه، لغرضين: الأول: بيان صعوبات البحث.

الثاني: القول ضمناً أنّ كلّ نتيجة سنصّل إليها على تفصيل أعمال الشهيد النهضوية في وطنه، ستكون نتيجة جزئية، لا تصلح أن تكون صورة عن الحقيقة بكاملها.

ولقد كنّا أوردنا في كتابنا جبل عامل بين الشهيدين أسماء من وصل إليهم البحث من تلاميذ الشهيد، وعدّتهم أربعة وعشرون^١ من مختلف بلدان جبل عامل ومن الكرك وحلب والعراق وإيران، وربّما من كسروان أيضاً، وإن كنّا نرجح أنّ المنسوب إلى هذه، هو ممن هاجر منها في من هاجر، أو بالأحرى الكرك ثمّ تحوّل إلى جزين حيث قرأ على الشهيد كما قلنا فيما فات، نُضيف إليهم الآن أربعة أسماء استفدناها من مختصر نسيم السحر^٢، هي:

الأول: محمّد بن الخازن الحائري. «أجازه شيخه الفاضل المحقّق، شمس الملة والحقّ والدين محمّد بن مكّي بالأحاديث المروية عن النبي ﷺ في فضيلة العلم وحامله»، وربما يتوهم أنّ هذا هو نفسه عليّ بن الخازن الحائري، الذي أجازه الشهيد بالإجازة المعروفة^٣، وأنّ محمّد هو من أخطأ النساخ كما خطر لنا بدواً، ولكن مقارنة مضمون الإجازتين تُظهر أنّهما مختلفتان تماماً، الأمر الذي يُبعد هذا الاحتمال ويُصحّح النصّ.

الثاني: حسين بن محمّد الوحيددي البتديني، نسبة إلى قرية «بتدين اللقش» المجاورة

١. الصفحات، ص ١٥٦-١٥٩.

٢. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٣. يأتي منها في الفصل الثاني من الباب الثالث.

لجزّين يروي عنه واقعة حصلت للشهيد في مدرسته «بينما هو يكتب ويؤلف كتاب الدروس»، أي قبيل شهادته بسنوات قليلة.

الثالث: محمّد بن أحمد الموسوي البعلبكي، يروي كرامة حصلت للشهيد «في بعض أسفارنا في بلاد العرب مع شيخنا العلامة النجيب الاصيل الشريف أبي عبد الله الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي المطّليبي».

الرابع: محمّد بن عليّ بن الوحيد البتديني وهو الذي رجّحنا أنّه مُصنّف نسيم السحر الذي «ذكر في مجموع له قد كتبه بخطّه جميع أحوال الشريف الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي، من حين مولده إلى حين قتله».

وممّا يُكمل هذا الاتجاه النهضوي لدي بطل هذه السيرة الإشارة الواردة في مُختصر نسيم السحر، التي ذكر فيها «مدرسته [يعني الشهيد برأس النبع]» وتكرّر ذكرها مرّتين^١، وصفها في المرّة الأولى منهما بأنّها «مدرسة عظيمة جداً»، والظاهر أنّ المقصود بـ«رأس النبع» المكان الذي ينبع منه النهر الذي يشقّ جزّين^٢ ويشكّل في شمالها شلالها الشهير، الذي ما يزال حتّى اليوم، وهذه إشارة فريدة في كلّ المصادر.

فأنت ترى من هذا الاستقراء لتلاميذ الشهيد والمُتخلّقين من حوله - الذي نعرف أنّه ناقص ولكنّه يتنامى باستمرار كلّما تقدّم بنا البحث أو كلّما اكتشفنا مصادر جديدة بالإضافة إلى الوضع المؤسسي الذي يعنيه إنشاء مدرسة، أنّهم قدموا من مختلف الأقطار التي كان يعمرها الشيعة في ذلك الأوان، عدا الهند، فهذه أمانة في غاية الوضوح والبيان على أنّ جزّين قد انتقلت بفضل الشهيد في بُرهة عقدين من الزمان تقريباً من قرية لا شأن لها - بلد الرعاة كما قيل - إلى مركز علمي مؤسسي يجذب إليه الطامحين من مختلف الأقطار والبلدان فيجدون فيها شعباً ورياً، وذلك إنجاز خارق لا نعرف له نظيراً.

ثمّ إنّها أمانة أيضاً على أن جبل عامل قد خطا الخطوة التي طال انتظارها، ها هو قد بنى لنفسه وضعاً أكاديمياً مستقلاً سرعان ما بدأ يُنتج المؤهلين للعمل الإرشادي والقيادي

١. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق الكتاب.

٢. راجع الفصل الثاني من هذا الباب.

والتبليغي الموكول إلى الفقيه، خصوصاً وأنهم يسترشدون بالفكر الذي حمله شيخهم معه من الحلة، وخطا به خطوة كبيرة إلى الإمام، وسنقف الوقفة المناسبة عند مضمون هذه الملاحظة العجلى فيما سيأتي من هذا البحث.

ملح آخر في هذا الباب، نقرأه فيما صنّفه الشهيد فنحن نعرف أنه كتب ثلاثة كتب مبسولة في الفقه: أولها غاية المراد في شرح نكت الإرشاد، وقد عرفنا مافات أنه أتمه في الحلة، والآخران الدروس الشرعية في فقه الإمامية شرع فيه سنة ٧٨٠^١. وفرغ من جزئه الأول «آخر نهار الأربعاء لانتني عشر ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وسبعمئة»، وذكري الشيعة في أحكام الشريعة فرغ من جزئه الأول في الحادي عشر من صفر عام ٧٨٤. وقد كتبهما في جزين.

والحقيقة أن المتأمل بعد أن وقف على العدد الكبير من طلاب مدرسته الذين يعتني بهم ليعجب كيف كان يجد الوقت للتصنيف خصوصاً وأن الكتاب الأول منهما من أدق كتبه الفقهية، والثاني كتاب استدلاي^٢، أي أنه يجمع بين الفتوى ودليلها الاجتهادي، وما من ريب في أنه عندما صرف جهده إلى تحريرهما في وقت واحد معاً، كان لديه سبب وجيه وجدي مما يستدعي السؤال عنه.

فلنلاحظ أولاً، ونحن نتأمل فيما يُريح البال من ثقل السؤال أن اسمي الكتابين غير مألوفين، أعني أنهما ليسا من تلك الأسماء الإنشائية التفخيمية التي درج عليها المصنفون في هذا الباب. (ومنها غاية المراد مثلاً)، أعتقد أن هاهنا ما هو مقصود يُشير إلى ما كان يدور في ذهن المُصنّف وهو يخط كتابيه.

ليس من الصدفة أبداً أن اسمي الكتابين تضمنا كلمتي «الإمامية» و«الشيعة»، هاتان كلمتان تصوّبان مباشرة نحو الآخر ابتغاء تحديد الذات، وليس نفي الآخر بالضرورة، ولنتذكر أننا نتكلّم على فقيه في جبل عامل الذي كان ما يزال يكافح في سبيل الخروج من أزمتة المُستحكمة بسبب الانفصال القسري الطويل عن ثقافته الخاصة وبنابيعها، من هنا

١. الذريعة، ج ٨، ص ١٤٥.

٢. للتعريف بالكتابين، مع بيان ما فيهما من تجديد في المنهج والمضمون: راجع الفصل الأول من الباب الثالث من هذا الكتاب.

نرى وظيفة هاتين الكلمتين إنهما تُشيران إلى تلك الينايع بعينها، ولعل كلمة ذكرى في اسم أحدهما غير بعيدة عن هذا المرمى.

أما الدروس، فهو اسم يُنبئ تصريحاً عن مضمونه، حق أن مصنفه قال في مقدّمة الكتاب إنه إنّما صنّفه «لاقتضاء الولدين الموقّنين - إن شاء الله - أبي طالب محمّد وأبي القاسم عليّ» ومع ذلك فإنني لا أستطيع أن أكبح نفسي عن القول إن هذه الكلمات قد خرجت من قلب الأب المُحبّ، وليس من عقل الرائد الكبير الذي كان يقود شعبه عبر النخبة التي تتلمذت عليه باتجاه النهضة المنشودة، وفي هذا السبيل صنّف الدروس ليكون اسماً على مُسمّى، الكتاب ليس إلّا مجموع الدروس التي كان مُصنّفه يُلقبها على تلاميذه في مدرسته بجزين، وعلى كلّ حال فهذه تأملات نعرف أنّها تغوص عميقاً في سريرة الشهيد، ولكننا لم نملك إلّا [أن] نرتكبها، ذلك أن من شأن الكبار أن يطرحوا الأسئلة في كلّ تفصيل تفصيل من سيرتهم، ثم لا يكون على الباحث من بعدهم إلّا أن يعالجها بما يملك، خصوصاً إذ يكون لبطل السيرة من قوّة الحضور ما يمنح الجواب على أي سؤال يخصه صفة الحاجة المُلحة.

٦. شهادته

سنقصر الكلام في هذا القسم على الوقائع المتصلة بشهادته الفاجعة، أي أن عملنا هنا وصفيّ سرديّ بحث، على أن نتكلم على ظرفها ومغازيها في الفصل المخصّص للجانب السياسي العملائي من سيرته.

مضت حياة الشهيد على هذا النحو زهاء خمس وعشرين سنة إلى أن قبض عليه وحُبس في القلعة بدمشق وكان ذلك بداية سلسلة من الأحداث انتهت بقتله.

بين يدي الباحث اليوم روايتان رئيستان، كلتاها عمّن يُفترض أنه كان في موقع قريب من مصادر المعلومات عن تلك السلسلة من الأحداث. وقادراً بالتالي على أن يُزوّدنا بصورة صادقة، وعلى قدر كافٍ من الدقة، أولاهما^١ للمقداد بن عبد الله السيّوري (م ٨٢٦)، الذي عرفناه بوصفه أحد أبرز تلاميذ الشهيد، وثانيتها لمحمّد بن مكّي بن محمّد (كان حياً ١١٧٨)،

١. وردت هذه الرواية في الفصل العاشر من الباب الأول، والرواية الثانية في مختصر نسيم السحر ضمن ملاحق هذا الكتاب.

وقد عرفناه أيضاً بوصفه من اختصر كتاب نسيم السحر لمحمد بن علي بن الوحيد البتديني، وهذا أيضاً من تلاميذ الشهيد وأحد كاتبي سيرته. ومع ذلك فإن الروایتين تختلفان اختلافاً بيّناً على أكثر من واقعة، وسنعمد تَوَّأ إلى اقتباس ما نراه موضع الأهميّة منهما.

المقارنة بين الروایتين ونقدهما

١. في سبب حبسه

السيوري: وشاية تقي الدين الخيامي أن كان عاملاً، ثمّ قيام يوسف بن يحيى على طريقته. البتديني: أنّ عبّاد بن جماعة الشافعي الذي كان رفيق درس للشهيد قد عمل كلّ ما في وسعه للتخلّص من الشهيد بسبب غيظه من تقدّمه عليه عند الناس والسلطة.

٢. مكان الحبس وزمانه

تتفق الروایتان على القول بأنّه حُبس في قلعة دمشق سنة، وتختلفان في السيوري: أنّ حبسه مُتصل بمحاكمته، التي انتهت إلى الحكم عليه فقتله. البتديني: أنّه حُبس ثمّ أُطلق، وحصلت واقعة القتل بعد مدّة غير مُحدّدة، دون أن تكون لها علاقة موضوعيّة بالمحاكمة السابقة.

٣. الآليّة التي انتهت بقتله

السيوري: محاكمة نتيجة وشايتين، الثانية منهما مدعومة بشهادات ضافية مرّت بالتسلسل من السلطة القضائيّة المحليّة إلى السلطة القضائيّة المركزيّة في دمشق. وأنّ الوالي بيدمر هو الذي نظّم المحاكمة.

البتديني: أنّه حوكم ولكنّ المحاكمة لم تنته إلى حكم عليه، بل وخرج منها الشهيد منتصراً وأنّ قتله تولّاه جمهور هائج، خُدع بمؤامرة مُدبّرة، ودون علم السلطة المحليّة، بل إنّ هذه عمدت إلى معاقبة مُنظّمي المؤامرة.

٤. واقعة القتل

تتفق الروایتان على أنّه قُتل بالسيف، ثمّ صُلب، ثمّ أُحرق. وتنفرد رواية السيوري بالقول أنّه رُجم قبل الإحراق.

ما من ريب عندنا في أن الاختلاف بين الروائيتين مع أنه كبير وعلى أمور أساسية فإنه لا يعكس اختلافاً في الموقف من الواقعة عند الراويين، أي أنه غير مقصود كما هو الشأن عادة في الاختلاف بين رواية موضوعة وأخرى صحيحة، فالأمر الجامع بين الراويين أنهما كلاهما من تلاميذ الشهيد والمتعاطفين معه، وأنهما لم يكونا شاهدي عيان، يقولان ما قالاه عن خبر^١.

إذن، ما هو سبب الاختلاف بينهما؟

الجواب: إنه في مستوى المقدرة النقدية لدى كلٍ منهما، ذلك أنه فيما نحسب فإن كلا الروائيتين انتشرتا بين الجمهور المفجوع في وطن الشهيد وكان أن اختار كل منهما ما وصل إلى سمعه، أو بدا له مُقنعاً، أو لأبي سبب آخر.

ويلوح لنا أن رواية البتديني هي من تدبيج السلطة بعد أن لمست حالة الغضب الواسعة التي أثارها جريمتها النكراء والغيبية لدى جمهور الشهيد، بل ولدى عارفي فضله من غيره، ومنهم صديقه محمد بن محمد الجزري، الذي لم يُخفِ اقتناعه ببراءته فقال:

صحبني مدة مديدة فلم أسمع منه ما يُخالف السنة، ولكن قامت عليه البيئة بآرائه، فعقد له مجلس بدمشق. واضطرّ فاعترف ليحكم بإسلامه الشافعي فما حكم، وجعل أمره إلى المالكي، فحكم بإراقه دمه. فضربت عنقه تحت القلعة بدمشق، وكنت إذ ذاك بمصر. وأمره على الله^٢.

إنّ اللمسات السلطوية واضحة جداً في رواية البتديني وإن لم يُدرِكها، فهي تلحّ مرّة بعد مرّة على العلاقة الطيبة بين الشهيد والسلطان برقوق، وبينه وبين واليه على الشام بيدمر، (وهي - بالمناسبة - ليست زعماً باطلاً كما سنعرف فيما سيأتي إن شاء الله)، وتؤكد على مناصرته له في غير ما موقف، وتخفي تماماً أدنى علاقة بين المحاكمة فالقتل، ثمّ إنها تضع وزر الجريمة على عاتق جمهور غاضب ومُحرّضين مجهولين، كما أنّها تزعم أن بيدمر غضب أشدّ الغضب عندما علم بما جرى، وأنزل العقاب بأولئك المُحرّضين، وأخيراً أنه أمر

١. نصّ على ذلك البتديني، حيث قال: «واشبهه على قوم كثيرة صفة قتله؛ لأنّ المُحبّ الصادق لم يرضَ فلم يحضر ذلك» انظر: مختصر نسيم السحر ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٢. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

ببناء قبة عظيمة على قبره، والغريب الطريف معاً أنّ هذه الخطة ستكرّر بأمانته مدهشة بعد زهاء القرنين من الزمان، وذلك في واقعة قتل الشهيد الثاني، زين الدين بن عليّ الجباعي (م ٩٦٥) على يد العثمانيين، حيث أذاعت أجهزة السلطة أنّ قاتله هو المُكلّف بسوقه إلى إستمبول خشية أن يُخبر السلطان بأنّه قد قصر في خدمته أو آذاه فقتله وأخذ رأسه إلى السلطان فأنكر عليه ما فعل وقتله، ولكي يتم التشابه العجيب بين الحُبكتين، قالت الرواية إنّ قبره هو أيضاً بُنيت عليه قبة^١.

نخلص من هذه المقارنة وما تلاها من مراجعة نقدية إلى أنّ رواية السيوري هي أقرب بكثير إلى الصحة على أنّ الرواية الأخرى غنيّة بالمعلومات والمغازي ممّا لم تقف عليه الأولى، وسنستفيد منها إن شاء الله في الفصل التالي.

أمّا تاريخ شهادته فهناك إجماع على أنّه في التاسع من جمادى الأولى سنة ٧٨٦^٢.

خلاصة الفصل

وُلد الشهيد في جزين، ومن المُحتمل أنّ ولادته في حانين، وهي قرية في أقصى جنوب جبل عامل، وكانت حوالي سنة ٧٢٤ على الأرجح، وما من شكّ في أنّه تلقى تعليماً جيداً قبل رحلته خارج وطنه.

قبيل السنة ٧٥٠ خرج من جزين قاصداً الحجاز فحجّ وأقام مدة في المدينة اتجه بعدها إلى الحلة ليقيم بها سبع أو ثماني سنوات، وفيها قرأ على أبرز علمائها آنذاك، وبدأت صلته بعليّ بن المؤيد الخراساني.

من الحلة انطلق في رحلة واسعة زار أثناءها بغداد ودمشق والخليل إبراهيم ومكة والمدينة قرأ فيها واستجاز عدداً كبيراً من علماء السنّة عاد بعدها إلى وطنه واستقرّ

١. انظر مراجعتنا النقدية لرواية السلطة العثمانية هذه في كتابنا: سنّة فقهاء أبطال، ص ١٦٧.

٢. مع ملاحظة أنّه ورد في مخطوطة مختصر نسيم السحر: «عصريّة يوم الخميس تاسع جمادى الأولى ١١٨٦».

وهو خطأ بلاريب.

في جزّين. وذلك عام ٧٦٠ تخميناً.

في جزّين انصرف إلى العمل، فجعل من قريته خلية تعجّ بالطلاب القادمين من مختلف الانحاء، وعرّف أسماء زهاء الثلاثين منهم، ولا شك في أنّ هذا العدد أقلّ من الحقيقي بكثير، وبنى مدرسة وُصفت بأنّها عظيمة، هي أمّ المدارس في جبل عامل، وفي السياق نفسه وضع كتابيه الدروس الشرعية في فقه الإمامية وذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، وخلال خمس وعشرين سنة من العمل الدائب وضع الأساس لنهضة جبل عامل الوشيكية. سنة ٧٨٥ قبض عليه في دمشق على الأرجح، وحُبس في قلعتها سنة إلاًتياً يسيرة، ثمّ عُقد له مجلس ترأسه قضاة المذاهب حيث جرت له محاكمة مُدبّرة انتهت بالحكم بقتله.

الفصل الرابع في خضمّ المعتزك

تمهيد

أمضينا الفصل السابق في عمارة - ما يبدو لنا - أو في سيرة للشهيد، مع الاستفادة من مختصر نسيم السحر، التي، على الرغم ممّا فيها من هنات، قدّمت لنا معلومات طريفة عن مواضع لم تلامسها كافة المصادر الأخرى على كثرتها، من ذلك: أنّه أنشأ مدرسة في جزّين، وأسماء لعددٍ من تلاميذه ممّن لم نقف على ذكر لهم في غيرها، وعمل السلطنة على التعفية على جريمته النكراء بقتله بإذاعة رواية تضع وزر الجريمة على عاتق جمهورها، غير مُدرك أنّه مخدوع بمؤامرة مُدبّرة، وهذه كلّها تنضوي لأوّل مرّة في أيّ سيرة مكتوبة له.

ومن قبلُ سردنا تاريخاً تأسيسياً للشيعّة في غرب وجنوب الشام ممّا كان تهيئةً لا غنى عنها لوصف الظرف السياسي - الاجتماعي الذي عمل فيه، ابتغاء بعث وإحياء الامكانات الخبيثة في شعبه، ليتولّى بنفسه عمليّة الصمود للمتغيّرات الأساسيّة، سكانيّة وسياسيّة، التي نشأت بفعل سلسلة من الاعمال العسكريّة العدوانيّة، بدأت بالغزوات الصليبيّة وانتهت بمقتلة أهل كسروان وما والاها وتهجير من بقي منهم إلى حيث يعتقد من خطّ لهذا العمل الهمجي أنّه لن يكون لهم فعل سياسي يُذكر ومنها بلد الشهيد جزّين الأمر الذي ما تزال تداعيته السياسيّة السيئة ناشطة حتّى اليوم، وغني عن البيان أن ممّا سهل على السلطنة ارتكاب جريمتها هذه بتغطية ضئيلة غياب القيادة الكارزمية ذات الجاذبيّة الشعبيّة عند ضحاياها، وهي وحدها المؤهّلة في مثل هذا الظرف العصيب للمّ الشمل وتجميع الجهود لعمل ما يلزم في المقابل، أمّا الآن فقد جاء الأهل للقيادة. الذي حمل مهمّة النهوض بشعبه، نهوضاً ثقافياً بالدرجة الأولى، لأنّ الجامع الثقافي هو الوحيد الذي يمنحه أن يكون كتلة

صلبة قادرةً على الاستيعاب والمقاومة، وقد وصفنا في الفصل السابق بقدر ما أتاحت لنا المعلومات المتوفرة، أعمال الشهيد في هذا النطاق.

يحلولي أن أعتقد هنا - مثل أي كاتب يبذل كل ما عنده من وسع في سبيل نقل أفكاره إلى ما يصوغه على الورق ويحب أن يشاركه قارؤه هذا الهم - أن القارئ الحصيف يتوقع أن تكون الخطوة التالية وصف ما اضطرب فيه بطل هذه السيرة وهو يكافح في سبيل هدفه المنشود وهذا صحيح، ولكن عليّ قبل أن أبرر نقطة منهجية بدون ذلك أخشى أن يحصل خلل في الرفقة بحيث يذهب ذهن الكاتب في غير الطريق الذي يتجه إليه ذهن القارئ، هذه النقطة هي فصل سيرة الشهيد إلى قسمين: الأولى وصفية، في الفصل السابق، والثانية تركيبية وهي ما نتهياً للدخول إليه.

والحقيقة إنني بعد عدة تجارب وصلت إلى قناعة خلاصتها أن ضمّ تانك الجانبين من السيرة سيكون أمراً متعباً للكاتب والقارئ على حدّ سواء، فالكاتب سيشقى في الانتقال بين هذه وتلك مع ضرورة الحرص على ربط عناصر كل منهما، والقارئ لن يكون أفضل حالاً وهو يركض خلف الأفكار، مع ضرورة المحافظة على تسلسلها المنطقي، وكل ذلك ناشئ من غنى السيرة وتعقدها، هذا كما أنني استعرضت إيراد هذه الفذلكة في المقدمة، وليس هنا حيث يُبرر الكاتب خطته، ولكنني صرفت النظر أيضاً عن ذلك لأنني هنا سأخاطب قارئاً أكثر تهيوماً لاستيعاب الإشكالية بعد أن قرأ الفصول السابقة.

بعد هذا التمهيد نعود إلى عمود البحث، وسنشرع على التو بوصف المتغير السكاني السياسي، الذي تتابعت فصوله ابتداءً مما يُسمى في مختلف المصادر «فتوح كسروان». ولقد كنّا قد أشرنا فيما فات، إلى أن الممالك عمدوا، بعد تهجير من بقي من أهل كسروان وما والاها إلى استقدام جماعات من التركمان أسكنتهم هناك ابتغاء ملء الفراغ السكاني، وربما أيضاً لقطع أمل المهجّرين من احتمال العودة مع تغيير الأحوال، وهذا أوان تفصيل القول في هذا تفصيلاً، وهو يستدعي بيان عدة أمور:

١. من هم أولئك التركمان؟

إنهم قبائل كثيرة العدد، تتكلم إحدى لهجات اللغة التركبية الكثيرة، كانت تستوطن

تُرْكمانستان، في آسية الوسطى، يعيشون في سهوبهم الواسعة على الرعى، وكانوا قبل أن يدخلوا في الإسلام يُعرفون بالفرز، ولكن فرعاً منهم برز قوّة عسكريّة بقيادة سلجوق بن دقاق خرجت من وطنها التاريخي واستقرّت على شواطئ نهر سيحون، ثمّ إنهم بعد أن تكاملت هجرتهم انساحوا في مختلف الأقطار، وسيطروا على إيران والعراق والشام، حاملين اسم مؤسس دولتهم فُعرفوا بالسلاجقة، وفي عصر البحث كانوا قد تلاشوا واطمحلّ أمرهم، ولم يبقَ منهم إلاّ إمارات صغيرة ضعيفة في كيليكّة وآذربايجان، وصارت الدولة الآن لجماعات عسكريّة هي الأخرى - دون ما رابطة بين أفرادها من عسكر وأمراء وسلاطين - كانوا خليطاً غير مُتجانس، منهم الشركس والمغول والروس، وربّما أوروبيون آخرون من غيرهم، جمعتهم رابطة المصلحة المُشتركة، فشكلوا طبقة عسكريّة سيطرت على البلاد والعباد، أولئك هم المماليك، وفي عهدهم جرت كافة الوقائع التي نتحدّث عنها في هذا الكتاب، وعاد التركمان الكثيرون المنتشرون في كافة أنحاء الرقعة التي تحكّمها الدولة المملوكيّة - عدا مصر - من عباد الله العاديين عامّتهم رُعاة أغنام، وقد ظلّوا على هذه الحال حتّى وقت قريب، ومن بقاياهم اليوم مَنْ يتعاطون الكذبة والاستعطاء، إلاّ مَنْ استقرّت به الحال منهم ونسي أصله البعيد.

٢. فرصتهم التاريخيّة الأخيرة

كانت واقعة كسروان النعمة غير المتوقّعة بالنسبة لهؤلاء الذين ذلّوا بعد طول عزّ وكانها بل إنّها أتت تصديقاً لقول الشاعر: «مصائب قوم عند قوم فوائد».

ذلك أنّهم، كما قلنا فيما فات، أُقطِعوا كافة المناطق الجبليّة التي أُجلي عنها أهلها^١، بل إنّهم - مع الوقت - أوكل إليهم «تدرّك [حراسة] ميناء البحر [في بيروت] ودروب البرّ من ظاهر بيروت إلى حدود عمل طرابلس»^٢ ومع مزيد وقت غدوا أمراء حقيقيين يبسطون سلطانهم على منطقة واسعة تشمل مدينة طرابلس والمناطق الجبليّة الموالية لها بالإضافة إلى كسروان وساحلها، وقسماً على الأقلّ من الشوف شرق بيروت، ففي القرن العاشر

١. راجع الفصل الأوّل من هذا الباب.

٢. تاريخ بيروت، ص ٢١٤.

للهجرة وما بعده كانت كل تلك المناطق محكومة من قبل ثلاث أسر تركمانية هي:

١. بنو سيفا في مدينة طرابلس، يصف المحبّي أحد أمرائهم - المدعو يوسف سيفا - بأنه «هو الذي أسس لهم الدولة»^١، وقد استمرّ حكمهم لها ثلاثاً وستين سنة^٢.
٢. بنو الأعمى أوّل من ولي إمارة كسروان من التركمان^٣، والظاهر أنّ إمارتهم فيها لم تطل وأنهم نزحوا عنها بنزوح بني جلدتهم، كما سنذكر بعد قليل.
٣. بنو عساف أمراء كسروان حسب المؤرّخ الصفدي^٤، وتركان كسروان وأمارة وأشرف بكسروان حسب مُصنّف قواعد الآداب المجهول^٥، وهؤلاء خلفوا بني الأعمى على الإمارة، وأخلاف هذه الأسرة اليوم منتشرون في أكثر المناطق اللبنانية، ولكنهم طبقاً للوتيرة اللبنانية لبسوا صبغة المنطقة التي انتهوا فيها، فالذين استقرّ بهم الحال في منطقة معمورة بالشيعة - وهم الأكثر - غدوا شيعة، وهم ينزلون اليوم في مدينة بعلبك وقرائها، ومنهم سنّة وموارنة. هذا بإيجاز فيما يعود إلى تطوّر الأحوال بهؤلاء التركمان من وجهة نظر سياسيّة - سلطويّة، والتي حملت إليهم ما وصفناه بحق بأنّه كان فرصتهم الأخيرة.

٣. التطوّرات السكانيّة وآثارها

لكن ما خُصنا فيه لا يُعني عن الوقوف على ما انتهى إليه تطوّر الحال بهم من وجهة نظر سكانيّة، بل ربما يكون هذا أشدّ خطراً وأكثر أهميّة بالنسبة لبحثنا.

فمن المعلوم ممّا قلناه أعلاه أنّ أولئك التركمان كانوا رُعاة، رُعاة أغنام على نحو التحديد، يكسبون لُقمة عيشهم من تتبّع موارد الماء والعشب، ولذلك فإنّهم لم ينجحوا في التكيّف مع منازلهم الجديدة، بما فيها من مناخ قاسٍ بارد، وطبيعة جبليّة صخريّة حيث تنعدم المراعي أو تكاد، ولذلك سارعوا إلى تركها وأخذوا يهجرونها باتجاه السواحل، حيث المناخ أكثر دفئاً مع توفر المراعي لمواشيهم.

١. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج ٤، ص ٥٠٣.

٢. بنو سيفا ولاة طرابلس، وللمزيد عن هذه الأسرة. انظر تراجم الأعيان من أبناء الزمان، ج ١، ص ٢١٣؛ تاريخ الأزمنة، ص ٤٤٥.

٣. تاريخ بيروت، ص ٢٩.

٤. لبنان في عهد الأمير فخر الدين، ص ٩٨.

٥. قواعد الآداب حفظ الأنساب، ص ٤٩.

والحقيقة أنّ هذه الحركة السكانية، التي قد تبدو للقارئ أمراً هيناً قليل الخطر، هي من أهمّ الأحداث في تاريخ لبنان السياسي. بل هي فيما أرى مفتاح تاريخه كما لا يزال مُستمرّاً حتّى اليوم، وأفرزت ما يعسر إحصاؤه من الأحداث الآخذ بعضها برقاب بعض ومنها - من أسف - مُسلسل الحروب الأهليّة، الذي مازال تاريخ هذا البلد وما يزال يتوالى فيما يُشبه الإيقاع الآلي الثابت، الذي يبدو وكأنّ ما من سبيل لتفاديه.

والعلّة في ذلك فيما نحسب هي في الاختلال السكاني المُتمادي الذي بدأ باجلاء أهل كسروان بعد تقتيل مَنْ قتل منهم، فتوطين التركمان في أرضهم فنزوح هؤلاء منها، وهذا المُسلسل أدّى بدوره إلى المزيد والمزيد: فالموارنة الذين كانوا في مواطنهم التاريخيّة في الأعالي الشماليّة أي في منطقة بشريّ وما والاها انتهزوا فرصة الفراغ السكاني بعد نزوح التركمان من كسروان فانطلقوا هابطين باتجاه الجنوب حتّى وصلوا بعد قرون إلى حدود فلسطين تاركين حيثما عبروا بقايا منهم ممّا تركه أي حركة سكانيّة مُماثلة وخصوصاً في منطقة الشوف الدرزيّة حيث غدوا في زماننا أي إلى ما قبل الحرب الأهليّة الأخيرة سنة ١٣٩٥ أكثرية، في حين أنّ التركمان تابعوا انتشارهم في السواحل من مدينة طرابلس في الشمال حتّى صيدا في الجنوب، وما عتَموا أن غدوا ظاهرة سكانية بارزة في طرابلس وبيروت وصيدا وأرياف كلّ منها.

في هذا الإطار يجب أن نضع ما يذكره مؤرّخون محدّثون من أنّ ظهور المسلمين السنّة في مدُن الساحل يعود إلى الفترة المملوكيّة، لا سيّما منذ القرن الثامن للهجرة^١، وإن لم يقفوا على ما وقفنا عليه من سياق تاريخي مُتصل، والمؤرّخ الذي يُحسن قراءة التاريخ في وثائقه الموضوعيّة (التقاليد، العادات، أسلوب العيش، اللهجات المحليّة، أسماء الأسر، المذاهب الدينيّة، أنواع الأطعمة المُفضّلة... إلخ). يستطيع أن يرى الآثار الباقية من هذا الأصل البعيد، مثلما يقرأ عالم الآثار تاريخ الأمم السالفة فيما خلّفته من آثار ماديّة، ولكن هذا بحث لن نخوض فيه الآن بأكثر من هذه الإشارة السريعة، وهو يستحقّ دراسة مستقلّة وفق منهجنا التاريخي الإنساني، ولعلّنا نفرغ له في يوم من الأيام إن شاء الله.

١. منهم كمال صليبا في تاريخ لبنان الحديث، ص ١٤، ووجيه كوثراني في الاتجاهات الاجتماعيّة السياسيّة في جبل لبنان والشرق العربي، ص ٣٢.

ما وصفناه من مُتغيّرات سكانية مُتلاحقة حملتُ إلى المسلمين الشيعة ما رأوا فيه بحق تهديداً جدياً لوجودهم التاريخي، والضغط السكاني على المَدُن الساحليّة الذي كان مدعوماً من السلطة (ولا ننسَ هنا الإمارات التركمانية ذات السطوة) اتّخذ شكل ضغط معنوي بالغ الشدّة، وأخذوا مذكّات يخبفون من أكثر مَدُن الساحل اللبناني. لتحلّ محلّهم جاليات سنّية، جاء بها المماليك^١.

في هذا الإطار من الأحداث وتناجها، يجب أن نضع نصّاً ورد لدي المجلسي (م ١١١٠) في بحار الأنوار، ونقله يوسف البحراني (م ١١٨٦) في لؤلؤة البحرين ومحمّد باقر الخوانساري (م ١٣١٣) في روضات الجنّات، يتحدّث أولئك جميعاً عن «أهل السواحل من المُتسنّين»^٢، أي الذين تحوّلوا عن قريب إلى أحد المذاهب السنّية، وهو نصّ هام جداً لمن يرصد التحوّلات العميقة التي نشأت على قاعدة الأحداث البالغة العُنف التي حملتها تلك الأيام الانقلابيّة من حيث إنّه يُشير إلى عدد مُعتدّب به من المسلمين الشيعة في «السواحل» تأثر بالاجتياح السكاني العالق والمدعوم من قِبَل سلطة قاهرة فأنتج ظاهرة نجدها دائماً في مثل هذه الحال وما يُشبهها هي الذرائعيون الذين يُقدّمون مصالحهم على أي اعتبار آخر، فيحلّون ما ينالهم من الأزمة عن طريق إعلان انضمامهم إلى الغالب الأقوى، وبما أن العنوان الأبرز والذي يمكن استخدامه في مثل هذا الإعلان هو المذهب فإنهم يتخلون عن مذهبه إلى مذهب الغالب.

من وجهة نظر نقدية فإنّه ما من ريب إطلاقاً في براءة النصّ، لأنّه لا يأتي في سياق حديثٍ عن حجم الوجود الشيعي في المنطقة مثلاً، أو أي سياق مُشابه يمكن أن يكون دافعاً عند صاحبه للاختلاق أو الوضع، لا شكّ في أنّ المجلسي الإيراني، والبحراني الذي يدلّ اسمه على موطنه، والخوانساري الإيراني أيضاً لم يكونوا يعرفون شيئاً عن تاريخ المنطقة، أي أنّهم كانوا خاليي الذهن تماماً عن التفكير أو معالجة ما نُعنى به الآن، وأصل النصّ عن المقداد السيوري، تلميذ الشهيد المقرب الذي كان ولا ريب عارفاً بالظرف السياسي - الاجتماعي الذي اضطرب فيه شيخه.

١. تاريخ لبنان الحديث، ص ١٥.

٢. ورد النصّ في الفصل العاشر من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

ثم إنَّ هناك ما يدلُّ على أنَّ هذا السلوك الانتهازي لم يكن الارتكاس الوحيد ولا الغالب على «أهل السواحل»، يُشير إلى ذلك نصُّ ورد لدى ابن يحيى تحدّث فيه عن حركة للمسلمين الشيعة في بيروت، وأنَّهم «أظهروا القيام بالسنة»^١، ونحن لا ننتهز هذا النصُّ من حيث المبدأ، بل يبدو أنَّه من هذه الوجهة صحيح، ولكننا نرى ضرورة إجراء تعديل أساسي عليه يُعلمنا علينا فهمنا المُختلف لحوافز وطبيعة هذه الحركة بعد أن وضعناها في إطارها التاريخي الصحيح المُناسب لكلِّ ما وصفناه من مسارٍ حدّثي، يأتي هذا القيام الآن على رأسها.

فهذا القيام الذي رآه ابن يحيى مذهبياً مُوجَّهاً إلى السنة بما هم سنة، نراه نحن سياسياً مُوجَّهاً ضدَّ السلطة المملوكية المركزية بوصفها التي قادت منذ البداية كلَّ ما رأي فيه الشيعة بحقِّ سبباً كافياً للخوف على وجودهم، ابتداءً من اجتياح كسروان فتداعياته وقد وصفناها، وتركمانية محلية عسكرية وجمهوراً بوصفهما مادّة هذا الانقلاب السكاني وحاميته، وعلى كلِّ حال فإنَّ لابن يحيى عُذره الواضح في عدم إدراك ما وراء الحدّث، لأنَّه وقومه لم يكونوا مُكتوبين بناره، بل ربّما كانوا مُستفيدين منه، ويمكن للذين يؤرّخون للنظام الطائفي في لبنان أن ينظروا إلى هذا التزييف - الذي ربما كان مُتعمّداً - بوصفه أول بادرة من نوعها رمّت إلى تغطية حالة سياسيّة - مطلبية بغطاء طائفي، ابتغاء تحريض قسم من المجتمع السياسي عليها، ومثل هذا في تاريخ لبنان يفوق الإحصاء.

بعد هذا التمهيد نبدأ الدخول إلى عمود البحث.

٤. بواعث الشهيد على العمل

تلك هي الصورة القاتمة، المُنذرة بما هو أدهى، التي يستخرجها الباحث ممّا تحت يديه من مصادر، وهي أعني الصورة - وإن تكن كافيةً لبناء تصوّر في العام لكنها ولا ريب قاصرة عن قول كلِّ شيء، وخصوصاً عن قول ما جرى على الضحايا، وما ذاك إلّا لأننا إنَّما أخذنا أكثر عناصرها عن غيرهم، وهذه - من أسف - مُشكلتنا المُزمنة مع التاريخ السُلطوي، إنَّه لا يُفقدنا فيما يتعلّق بالعباد إلّا حيث تتقاطع أخبارهم مع أخبار السلطة، لأنَّ دأب المؤرّخ أن

يلهث خلفها وهو يتتبع ما يسطره من أخبارها، في حين يُوجّه عينه العوراء نحو شؤون الناس مع أنهم هم صانعو التاريخ وأسياده، ولكن أكثر المؤرّخين لا يعلمون.

وذلك هو - فيما نرى - الظهير السياسي - الاجتماعي الذي تعامل معه الشهيد بعد أوبته من رحلته العلميّة الواسعة، ونظن بالسرائر - أنّه الحافز الذي بعثه إلى الفكر وإلى العمل، وفق منهج مُتكامل، سيكون علينا أن نصّفه وأن نُبيّن عناصره فيما بقي من هذا الفصل.

حقّ أنّ جبل عامل، لم يُصب إصابةً مباشرة في ذلك المُسلسل ذي الحلقات، الآخذ بعضها رقاب بعض، لكننا رأينا - وكأنا رأي العين - أنّ الشيعة كانوا الخاسري الأكبر بل الوحيد في كلّ ما جرى منذ نكبة كسروان، وغنيّ عن البيان أنّ أعضاء الجسد تتداعى، وأنّ ما أصاب جزءاً منه نذيرٌ للجزء الآخر، خصوصاً وأننا قد عرفنا أنّ قسماً بل القسم الأكبر ممّن هُجروا منه قد لجأ إلى جزّين بلد الشهيد ومنطقتها، ثمّ إنّ القارئ لرسالة ابن تيميّة إلى السلطان، الحافلة بضروب التضليل والبهتان، ليرتاع لما فيها من إغراء صريح بسفك المزيد والمزيد من دماء الشيعة، مع تحريض خاص بأهل جزّين وجبل عامل هم وسائر هذا المذهب الملعون، مثل أهل جزّين وما حواليتها، وجبل عامل ونواحيه^١ ليعود في خاتمتها إلى تأكيد التحريض، مع إضافة مناطق أخرى «تمام هذا الفتح وبركته تقدّم مراسم السلطان بحسم مادة أهل الفساد [...] وهي قرى متعدّدة بأعمال دمشق وصفد وحمص وحلب»^٢. وكان جبل عامل آنذاك من أعمال صفد.

فنحن نرى من مجموع هاتيك الوقائع الثابتة والنصوص الواضحة والتحليلات المقبولة، أنّه كان هناك بالفعل في وطن الشهيد بواعث كافية للعمل لتجعل كلّ الذين يرون في أنفسهم هدفاً فعليّاً أو مُحتملاً لأعمال من يملكون مقاليد السلطة أو يُصغون إلى مثل ما سمعناه من تحريض يبيحثون عن مخرَج يقيهم الشرور العظيمة التي تلوح تباشيرها، وما مثل هذه الأزيمة محكاً لمعادن الأمم والرجال، وما مثلها هذا الظرف ظرفاً لبروز الأبطال.

١. العقود الدريّة، ص ١٨٥.

٢. العقود الدريّة، ص ١٩٢.

٥. في سوح العمل، الإعداد الفكري

لسنا نملك صورة واضحة عما كان يجري داخل جزين بعد عود الشهيد إليها واستقراره فيها، كل ما عندنا أصداء تتجاوب عاكسة بتجاوبها صورة مُجتزأةً مما يجري. وهذا من نتائج ضياع ما سجله تلاميذه، وأشار إليه أو إلى بعضه مُختصر نسيم السحر، ومن المرجح أن عثورنا على أصل هذا الكتاب الهام، سيضيف الكثير إلى معلوماتنا عن أعمال الشهيد في هذا النطاق، وهو أمر ما نزال نأمل حصوله إن شاء الله تعالى.

ليس في أعمال الشهيد الأولى بقدر ما تعطينا إياه الكتب التي سجلت سيرته ما يدل على أنه كان يرمي إلى أمر كبير، وهذا أمر متوقع بالنسبة لمرئى كان عليه أن يبدأ من لا شيء تقريباً، ولو أنه أتيح لتلك الأيام ذات الخطر أن يُراقب ما يجري فيها آنذاك بعين يقظة ويُسجل أحداثها لما وجد الكثير مما يستحق التسجيل. فها هو أحد أبناء هذه القرية الهادئة الفقيرة يعود إليها بعد غياب طال زهاء التسع سنوات أو أكثر قضاها في طلب العلم ولقاء الشيوخ ولكن مثل هذا حدث من قبل في المنارة وطلوسة ومشغرة، بل حتى في جزين نفسها^١ دون أن يؤدي إلى كبير أمر.

ثم إذا به يُنشئ فيها مدرسة^٢ اختار لها مكاناً في أعلى القرية، حيث يوجد نبع الماء الذي يُغذي النهر الصغير الذي يشقها، ولكن مثل هذه المدرسة - أو أصغر منها حجماً - قد أنشئت قبل نصف قرن تقريباً في قرية مجدل سلم غير البعيدة، ثم قمعت السلطة منشئها، وهو نفسه مُدرّس طلابها^٣، وبذلك انتهت أول أحلام جبل عامل باليقظة على الواقع المرير، الذي يسلبه حقه الطبيعي في العمل باتجاه التقدم، كما كان المُحتلون الصليبيون من قبل يفعلون. لكن هذا القادم يأتيه الآن بمجد غير مسبوق، وهو الذي لم يخرج من الحلة إلا بعد أن غداً من شيوخها وصاحب حلقة، وذلك بالنسبة لقومه العطشى خصب وري، وهم أولاء الذين عرفناهم مُستفزين إلى ما يعلو بذاتيتهم المأزومة بالاحتلال الطويل إلى المعارج التي

١. جبل عامل بين الشهيدين، ص ٦٧ - ٧٨.

٢. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٣. جبل عامل بين الشهيدين، ص ٧٨ - ٨٩.

تهفو إليها أنفسهم بعد أن انقضت عهود الضيم والهضم والاستلاب والريادة البطيئة، وها الآن من جاء يقودهم على الصراط المستقيم.

من هنا، فيما نحسب، انطلق الشهيد، رافعه الأولى مكانته العلمية التي تتوفر الأدلة والملاحظات على أنها أكسبته بسرعة موقعاً عالياً في بلده جزين أولاً، كما تقتضي طبائع الأشياء، وهو هو ذلك البلد ذو التاريخ الأكثر عراقة بالنسبة لكل ما حوله في إنتاج العلماء ثم بالتأكيد في جبل عامل وعبره في عالم التشيع القريب والبعيد الأمر الذي جعل منه قطب الرّحى بين قوم هم بالفعل في ميسس الحاجة إلى قطب يُدبر أمورهم ويلمّ ما تشعث منها في القرون الثلاثة الماضية ويُحرّره من أزمته التي طال استحكامها.

لكن المُشكلة أنّ ذلك القطب كان وحيداً والمُهمّات تُقال، نقول هذا مع علمنا بأنّ من تلاميذه في الحلة ثلاثة من أبناء جبل عامل هم:

الأول: عليّ بن بشارة العاملي الشقراوي الحناط، نسبةً إلى بلدة شقرا المعروفة حتّى اليوم بالإسم نفسه في جبل عامل.

الثاني: عزّ الدين أبو عبد الله الحسين بن عليّ العاملي.

الثالث: حسين بن محمّد بن هلال الكركي، نسبة إلى بلدة الكرك في سهل البقاع شرق لبنان اليوم.

كما أنّه استحضر أو تبعه إلى جزين ثلاثة من تلاميذه العراقيين، هم:

الأول: محمّد بن الخازن الحائري.

الثاني: محمّد بن عبد العلي بن نجدة.

الثالث: المقداد بن عبد الله السيوري.

لكننا لا نعرف ما يُذكر عن أعمال أولئك العاملين الثلاثة، بل لا نعرثر على أيّ إشارة يُفهم منها أنّهم رجعوا إلى وطنهم، وقد يكون ذلك راجعاً إلى ضياع كثير من المعلومات عن تلك الفترة، في حين أنّنا على يقين من أنّ التلاميذ العراقيين الثلاثة قد تركوا وطنهم وتبعوا شيخهم وعاشوا معه في جزين حتّى شهادته، ولا ريب في أنّهم عاضدوه في أعماله، كما أنّهم أغنوا معلوماتنا عنه^١، كما أنّه لا ريب في أنّ السيوري كان أبرزهم، كان بيض الله

عزّته) رجلاً جميلاً من الرجال جهوري الصوت ذرب اللسان مُفوّهاً في المقال، مُتقناً في علوم كثيرة فقيهاً مُتكلماً أصولياً نحوياً منطقياً، صنّف وأجاد، كما شهد تلميذه الحسن بن راشد الحلبي^١. ويقول تلميذه هذا:

وربّ [يعني السيوري] القواعد للشّيح الشهيد محمّد بن مكّي ترتيباً اختاره. وبحثتُ معه شيئاً منها، فقطع المُباحثَة لأمر لم يُطلعني عليه وعن إتمام كتابتها، قال: إنّي كتبتها لنفسِي، وإنّي لا أكتبها أبداً...^٢.

وأعتقد أنّ القارئ العارف يُشاركني التأثير العميق بما تشي به هذه الكلمات، من حزن السيوري المُقيم للنهاية الفاجعة لشّيخه، وهو الذي غادر جزّين نهائياً بعد ذلك ليموت في النجف بتاريخ ٢٦ جمادى الآخرة ٨٢٦.

نبتغي من إيراد هذه المعلومات عن تلاميذ الشهيد الأوائل، الإلماح إلى أمر نحسّه وهو أنّه كان منذ أيّامه الأخيرة في الحلة على الأقلّ، يضع الخطط لما سينهك فيه بعد عودته إلى وطنه، وأنّه في هذا السبيل استحضّر معه أو بعد أن أتمّ رحلته العلميّة عدداً من خيار تلاميذه فيها، لكي يعاضدوه فيما ينتظره من مهام، وعلى رأسها إعداد النخبة التي سيكون عليها بانتشارها المدرّوس أن تتولّى زمام قيادة شعبه وتوجيهه وتنظيمه وهذه آلية في العمل راكّم التشييع ورجاله خبرات طويلة عليها، منذ أيّام الأئمّة عليهم السلام.

ولقد كنّا قد استفرغنا الوسع في الفصل الفائق، في تعداد أسماء من نعرفهم من تلاميذ الشهيد، وانتهدنا إلى أنّ من نعرفهم -على كثرتهم- هم أقلّ ممّا نعتقد، وأتى الآن أوان تركيب هذه المعلومة في سياق، فمن المعلوم أنّ البحث إنّما هو تقييش فتركيب، وأكبر السرّ كامن في التركيب.

إنّ أوّل ما يلاحظه المتأمل في سيرة الشهيد ذلك الحشد من الفقهاء الذي ربّاه، وهو حشد غير مسبوق في تاريخ جبل عامل، الذي ندّر أن اجتمع فيه من قبلُ فقيهان في عصر واحد، وفي هذا السبيل هيأ أسباب النجاح، فاستحضّر من تلاميذه معه من يعاضدوه فيما خطّط له، كما سبق منّا القول قبل قليل، ثمّ إنّه أنشأ مدرسة وُصفت بأنّها «عظيمة» هي أوّل المدارس

في جبل عامل، وربما كانت المدرسة الوحيدة في تاريخه الحافل، بل إنَّه عمد إلى تصنيف كتاب في الفقه الاستدلالي سمَّاه الدروس ليتدرَّب به تلاميذه الناضجين على فنِّ الاستنباط، وجماع هذه عملٌ إعدادي بكامل الأدوات.

هذه الملاحظة ذات وجهين فهي من جهة، تدلُّ على اهتمام الشهيد البالغ بهذا الشأن الإحيائي، كما أنَّها تدلُّ من جهة أخرى على أنَّه كان يزرع غرسه في أرض خصبة أي أنَّ الفضل أيضاً في المحل القابل، فما من مُشعلٍ ناراً في رماد بارد مهما يكن حطبه جَزْلاً ومهما نفخ فيه.

هكذا دفع الشهيدُ التوقُّ المُزمن الكامن في وطنه إلى حَيِّزِ الفعل، ونذكر هنا بقول أول من أَرخ لـ«جبل عامل» الثقافي، الحرَّ العاملي:

قد سمعتُ من بعض مشايخنا أنَّه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مُجهّداً في عصر الشهيد أو ما قاربه^١.

ومهما يكن في هذا العديد أو الوصف من مبالغة فإنَّه يدلُّ دلالة مُؤكدة على حجم النقلة التي تمَّت على يده وما أولئك الرجال الذين تحلقوا حول قطب الأوان إلاَّ الطليعة التي سنَّبتُ أمثالها، وستمَّتْ في الزمان وتنداح في المكان، مؤسَّسة لواحدة من أعظم ملاحم الفكر وأشدَّها إثارةً للعجب، لأنَّها نبئت من خارج القوانين المعروفة لنبات أمثالها، فمن المعروف أنَّ الناس إنَّما يصفون جهدهم إلى شؤون الفكر أو الأدب أو الفنِّ بعد أن يُحقِّقوا لأنفسهم حدًّا مقبولاً من الكفاية في حاجاتهم الأساسيَّة، ولكن هذه نَمَتْ وازدهرت وأثمرت في العوز والتطويق والحذر، بل واستمرَّت حتَّى بعد القتل الشنيعة لرائدها، وكأنَّ شيئاً لم يكن، وفي هذا ما هو أشدُّ إثارةً للعجب، ودليل لا يُدحض على قوَّة التصميم التي عمرت نفوس أولئك الرجال.

هناك من الأدلَّة ما يكفي على أنَّ تلاميذ الشهيد وأبناء مدرسته قد انتشروا من بعد في مُختلف الأنحاء. وكان لهم من الأثر في الميادين الفكرية والاجتماعية والسياسية بين قومهم ما يستحقُّ أن يُقرَّد بالحديث. وسنقِف عليه إن شاء الله تعالى.

بيد أننا قبل أن ندخل في هذا البحث المُعقد علينا أن نبيّن أمراً نراه ضرورياً جداً هو في وجه من وجوهه مُكمل لما فرغنا منه، حيث بيّنا أعمال الشهيد في إعداد النُخبة، لكن طغى عليه هناك الاهتمام بالجانب الإعدادي العملي، وسيكون علينا الآن أن نهتمّ ببيان الجانب الإعدادي الفكري وهو مُتمّم لذلك العملي، وبدون الوقوف عليه لن يكون في وسعنا أن نفهم بعض ما سيكون محلّ اهتمامنا فيما يأتي من سيرته.

هذا الجانب يتعلّق بالفقيه وموقعه من مُجتمع، فلقد علمنا ممّا سبق بيانه أن خطة الشهيد تعلقت بإعداد أكبر عدد ممكن من الفقهاء المؤهلين لكي يكونوا النخبة التي ستوجّه قومها في الطريق الطويل المؤدّي إلى بناء مجتمع مُتراصّ، يملك أدوات الصمود لتُنجيه ممّا هو مُتوقع من حلقات ذلك المُسلسل المُهلك الذي حاق به، ومن الغني عن البيان أن أمراً كهذا لن يتأتّى من دون رَسْم حدود واضحة لموقع الفقيه تكون معلومة عنده وعند الناس.

إنّ القارئ لمؤلّفات الشهيد الفقهيّة، إن كان يبحث عمّا نبحت عنه - يلاحظ أنّه أتى بلغة فقهيّة جديدة تدور على مفهوم جديد هو أيضاً، ذلك هو مفهوم «النائب العام» للإمام، مؤداه أن كلّ فقيه اجتمعت فيه أوصاف معلومة يكون نائباً عاماً عن الإمام، والوصف بـ«عام» هنا هو للنائب الفقيه، وليس للنباية، وهو آتٍ من أنّ التنصيص عليه قد ورد في مصادره على أوصاف وشروط، وكلّ من اجتمعت فيه اكتسب صلاحيّات قضائيّة وحسيبيّة وتنفيذيّة، وذلك في مقابل النائب الخاصّ الذي كان أحد الأئمة ينصّ عليه بالذات ابتغاء تقديم الخدمات والرعاية للمؤمنين في البلاد البعيدة حيث لا يتيسر الاتصال بالإمام. نصوص هذه اللغة الفقهيّة الجديدة كثيرة^١.

هذه نصوص حافلة بالمعاني والمغازي تتركنا نعتقد بأنّ صاحبها يُدير في ذهنه مشروع سلطة موازية للسلطة الفعلية، بل تتقدّم عليها: قضاء مُستقلّ عن النظام القضائي القائم: يفصل الخصومات، ويُنفذ الحدود والتعزيرات، ويجب الرجوع إليه حصراً عند الاقتضاء، جهاز إفتاء مُماثل، نظام جباية وصرّف، هذه مجملها خطوة هائلة إلى الإمام بالتركيبة الثقافية التي خاطبها الشهيد بفتاواه تلك، نقول هذا مع علمنا بأنّ ربّ قارئ قد لا يرى فيها

١. انظر الفصل السادس من الباب الأول: «مكاته العلمية والأخلاقية وبعض آرائه».

كبير أمر، لأنّه يعرف أنّ نظاماً كهذا كان قائماً عاملاً في عصر الأئمّة عليهم السلام، وخصوصاً منذ الإمام الكاظم (١٤٨ - ١٨٣)، هذا صحيح، ولكن هذا النظام توقف تدريجياً بعد انقضاء فترة الحضور العلني للأئمّة، وبادرة الشهيد الآن هي أوّل محاولة لإحياء هذه الصيغة بكامل عناصرها في الإطار السياسي الاجتماعي الذي أصبح القارئ على خُبر منه. نلاحظ أيضاً أنّ الهمّ الأمني حاضر بقوة في لغة تلك الفتاوي: «مع المُكَنَّة» و«يجب مع الامكان» و«يجب مع الأمن» و«يجوز مع الأمن»، وفي هذا دليل على حالة القلق التي كانت تعمر نفس الشهيد وهو يخطّ فتاواه، ونخال أنّه وصيّة ضمنيّة لشعبه بضرورة الحذر وهم يعملون بما أفتى لهم، والعلاقة بين مضمون هذه الملاحظة وبين الظرف السياسي الذي صدرت فيه غنيّة عن البيان.

مما لا ريب فيه أنّ جذور هذه الأفكار قد استحضرتها الشهيد من الحلّة، حيث ساد المنهج الأصولي العقلي الاجتهادي، وحيث شهدنا البدايات المُتواضعة الأولى للتفكير السياسي الإمامي في عصر الغيبة على يد الرائد الكبير محمّد بن إدريس الحلّي (م ٥٩٨). ثمّ طوّرها من بعده المحقّق الحلّي جعفر بن الحسن بن سعيد (م ٦٧٦).^١

هكذا يبدو لنا الآن بكامل الوضوح أنّ الشهيد كان يعمل على نقل شعبه إلى موقع سياسي، ويحرّك الكتلة الشيعيّة الكبيرة والخامدة أيضاً في وطنه إلى حيث تغدو مالكة لزام أمرها وقادرة بالتالي على استعادة ما أخذته منها كوارث القرون الثلاثة الماضية، أو - على الأقلّ - الصمود لعوادي الأيام في ظلّ السياسة المملوكيّة ومُمثليها المحليين. يبقى أن نقيّ الآن على التطوّرات العمليّة في هذا السياق.

٦. أعمال الشهيد تؤتي ثمارها

ليس في يدنا نصوص مباشرة تؤرّخ للفترة التي نتوقّع أن تكون الأعمال الإعداديّة للشهيد قد بدأت تؤتي ثمارها، وذلك بسبب غياب التسجيلات التاريخية الخاصّة أي التي كتبها مؤرّخون معنيون مباشرةً بمراقبة وتسجيل أحداث تلك الأيام ذات الخطر، جبل عامل

١. للتوسع على مضمون هذه الملاحظة، مقالتنا: «عالم الدين الإيراني ودوره في مجتمعه». منشورة في فصلية

الذي كان آنذاك يجبو باتجاه نهضته الآتية لم يكن قد أنجب مؤرخاً واحداً والتسجيلات الوحيدة التي كتبها مراقبون محلّيون هي تلك التي يُشير إليها مُختصر نسيم السحر على سيرة الشهيد ممّا كتبه تلاميذه، وذلك الغياب مفهوم جداً، فالناس إنّما يكتبون تاريخهم شعوراً منهم بذاتيّتهم وأهمّيتهم، الأمر الذي لم يتحقّق لجبل عامل إلاّ بعد أن اكتسب كيانيّته الثقافيّة، وهنا كتب الحرّ العاملي كتابه الشهير (أمل الآمل)، الذي أرّخ فيه لفترة النهضة من تاريخ بلده بالترجمة لأعلامها.

من هنا فإنّ كلّ ما عندنا عن تاريخ تلك الفترة هو ما سجّله مؤرّخون راقبوا الأحداث من خارجها، وهم عموماً مؤرّخون سلطويون إنّما يولون تاريخنا شيئاً من الاهتمام فقط حيث تتقاطع الأحداث مع تاريخ السلطة.

في هذا النطاق فإنّنا نجد ثلاثة نصوص أساسيّة تتفاوت من حيث أهمّيّتها، كما أنّها تنظر إلى الحدّث من زوايا مختلفة ولكنّها بمجموعها تُقدّم لنا ملامح تكفي لأن نتصوّر بعض ما كان يجري في تلك الأيام الانقلابيّة.

الأوّل: ما يذكره أكثر من مصدر عن «أعوانه» و«رفيق له» اسمه عرفة^١، والضمير في الكلمتين يعود للشهيد، وهو نصّ غامض وغريب، ما من ريب في أنّه يكتّم أكثر ممّا يُظهر، فمن هو «عرفة» هذا؟ وما كانت علاقته بالشهيد؟ وما هي دلالة أنّه كان للشهيد أعوان في مدينة طرابلس البعيدة عن جبل عامل؟ وما معنى «مُعتقده» في قول المصدرين معاً: «وضربت عنق رفيقه عرفة بطرابلس وكان على مُعتقده»؟ ومُعتقده عند العسقلاني والحنبلي هو «مذهب النصيريّة»^٢، فهل نفهم من ذلك أنّ الشهيد مدّ نشاطه إلى منطقة طرابلس، حيث توجد عدّة قرى معمورة بالعلويين الشيعة، وأنّ السلطة ردّت بأن قتلت رفيقه عرفة في الفترة نفسها التي قتلت فيها الشهيد، بل وأنّها حرصت على قتل عرفة في طرابلس كيما تكون قتله بمثابة رسالة إلى قومه بضرورة الاستكانة؟ أسئلة لا نجد سبيلاً للجواب عليها.

مهما يكن فإنّ من المفهوم أنّ كلمة «أعوانه» تُشير إلى فريق عمل - على شيء من

التنظيم على الأقلّ - يتلقى الأوامر من الشهيد كما أنّها قد تعني - فيما تعنيه - الفقهاء الجدد من تلاميذ الشهيد، الذين انتشروا في مختلف القرى والبلدان وخصوصاً في المنطقة الساحليّة ومنها طرابلس مُسلّحين بأفكار شيخهم، ممّا سنعالجه في قراءتنا الآتية لنصّ التوقيع الذي نشرته السلطة في دمشق بعد قليل.

أما «رفيق له» فهي تدلّ على معنى عام يصعب تحديده بدقة، ولكن السياق الذي وردت فيه الكلمة بالإضافة إلى حرص السُلطة على قتل ذلك «الرفيق» في بلده طرابلس، للغرض الذي ذكرناه، يتركنا نعتقد أنّ السلطة كانت في وضع ملاحقة جماعة أشبه بتنظيم واسع الانتشار.

الثاني: يقول المقداد بن عبد الله السيوري، تلميذ الشهيد المُقرب: إنّه كان ممّا أخذ على شيخه وأدّى إلى المحاكمة التي انتهت بقتله أنّه «كان عاملاً»^١ وهي عبارة ذات مغزى عميق جاءت بكلمة من خارج الكلام الدائر على الألسن «عامل»، هي، ولا ريب، قادمة من اللغة الديوانيّة الرسميّة، ممّا يُشير إلى المصدر الذي أتت منه، أعنى السلطة المملوكيّة بالذات، وإننا نعلم - استناداً إلى المقداد - أنّها كانت من ضمن المحضر الذي تولّى تنظيمه الخائن تقي الدين الخيامي بحقّ الشهيد ورفعته إلى القاضي المحلي في «صيدا» أو في «بيروت»^٢، ممّا يُشير إلى أنّه - أي المحضر - كان نتيجته تفاهم أو تنسيق بين الخيامي وبين السلطة.

في سبيل فهم معنى الكلمة رجعنا إلى المصادر المعنيّة بتحديد معاني الكلمات المُستعملة في اللغة الديوانيّة الرسميّة وعلى رأسها طبعاً صُحح الأعشى في صناعة الإنشا للقلشندي (م ٨٢١)، حيث عثرنا على التعريف التالي:

العامل: وهو الذي يُنظّم الحُسابات ويكتبها، وقد كان هذا اللقب في الأصل إنّما يقع على الأمير المُتولّي للعمل. ثمّ نقله العُرف إلى هذا الكاتب، وخصّه به دون غيره^٣.

إذن، فنحن هنا أمام معنيين للكلمة:

تاريخي مهجور، ذو مضمون سياسي «يقع على الأمير المُتولّي للعمل» أي الولاية على

١ و٢. راجع الفصل العاشر من الباب الأول من هذا الكتاب.

٣. صُحح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٥، ص ٤٦٦.

الأقطار، والتفسير الوحيد المُتصوّر لإتهام الشهيد بتهمة كهذه هو الصّلة التي قامت بينه وبين عليّ بن المؤيّد الخراساني اعتبرها الوُشاة - على سبيل تحريض السلطة على الشهيد - نمطاً من تولى العمل له، وما من ريب في أن تهمة كهذه، ستكون كافيةً لتذكير السلطة بدور ابن المؤيّد في فتح أبواب خراسان أمام تيمور^١ عدوّها اللدود، خاصّةً وأنّه منذ السنة ٧٨٣ كان ابن المؤيّد قد غدا مُجرّد ظلّ لتيمور في خراسان، بحيث إنّه لن يكون من الصعب تداعي تصوّر السلطة للصلة بين الشهيد وابن المؤيّد حتّى تصل إلى تيمور نفسه، ولانس أن تيمور كان يتظاهر - لأسباب سياسيّة - بالميل إلى التشييع، حتّى أنّه عندما فتح دمشق بعدُ أعلن أنّه يأخذ بشار الإمام الحسين عليه السلام من أهلها^٢.

لكن ما يُهوّن من شأن هذه الفذلكة إجمالاً، أنّ القلقشندي يُصرّح بأنّ هذا المعنى التاريخي للكلمة كان مهجوراً في زمانه.

المعنى الثاني للكلمة «الذي يُنظّم الحُسابات ويكتبها» هو الذي كان معمولاً به في عصر القلقشندي الذي هو عصر الشهيد أيضاً، ومن الغنيّ عن الذكر أنّه لهذا السبب أدعى للاهتمام، بالإضافة إلى أنّه يبدو لنا مفهوماً جداً.

ذلك أنّنا عرفنا ممّا فات قبل قليل، أنّ الشهيد حكم بدفع خمس المكاسب إلى الفقيه الجامع لشرائط الفتوى (نائب الإمام)، وهذا يعني إحياء العمل بخمس المكاسب، وهو تشريع يمنح الفقيه الحق في جباية ثلاثة سهام من أصل ستّة من خمس فاضل نفقة كلّ مُكلّف، أي عشر فاضل النفقة^٣.

١. عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص ١٩.

٢. حبيب السّير في أخبار أفراد بشر، ج ٣، ص ٤٩٧ - ٤٩٨.

٣. من المفيد أن تكون لدى القارئ فكرة عن تاريخ هذا التشريع، لأنّه سيقرّبه من فهم أبعاد خطوة الشهيد في هذا النطاق، وعليه نقول: إنّ موضوع التشريع في أصل الشرع مغاير الحرب، والنصّ عليه في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ (الأنفال ٨): (٤١). ومنذ الإمام السابع، موسى الكاظم عليه السلام (١٤٨ - ١٨٣)، على الأقلّ، بدأ العمل بخمس المكاسب، والظاهر أنّ التدبير اعتمد لتمويل التوجّهات الجديدة للأئمة، بعد انجلاء سنوات المحنة، التي بدأت بيوم كربلاء، تلك التوجّهات التي بدأت معرفيّة - إعداديّة على يدي الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام (٩٥ - ١٤٨). ثمّ تطوّرت بإضافة تدبيرات ذات طابع تنظيمي اجتماعي عملت على تنظيم ورعاية شؤون الشيعة المتكاثرين في العراق وإيران و

وعليه هل يمكن القول أن الشهيد قد أنشأ نظاماً خاصاً به للجباية؟ الجواب على السؤال يقتضى أن نقف على النصّ الثالث والأخير، من بين النصوص التي نعالجها في هذا القسم.

الثالث: نصّ التوقيع الذي أصدرته السلطة المملوكيّة بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ٧٦٤ «بمنع أهل صيدا وبيروت وأعمالهما من اعتقاد الرافضة والشيعة ورذعهم»^١ وهو من أهمّ وثائق هذه الدراسة إن لم يكن أهمّها على الإطلاق، وقد أورده القلقشندي في كتابه بوصفه - ويا لحسن حظنا - مثلاً وأ نموذجاً يُحتذى لِمَا «يُكتب في الأوامر والنواهي الدينيّة»، في سياق عمله الرامي إلى تدريب كتّاب الدواوين الرسميّة على مُختلف صنوف التوقيعات والرسائل، ولا شكّ في أنّه حين اختاره دون سواه لم يكن معنياً أبداً بمضمونه التاريخي الذي يحظى عندنا اليوم بالأهميّة الكبرى، وسنعمل على تحليله وكشف خبيثته، وسنبداً بتحديد مَنْ من رجال السلطة الذي أمر بكتّبه وإذاعته على الموجه إليهم.

من المعلوم أنّ هذا التوقيع ومثله إنّما يصدر عن أعلى مراكز الأمر في الدولة، أي إمّا عن السلطان نفسه، وإمّا عن أحد نوابه، وبما أنّ التوقيع موجه خصيصاً إلى «أهل صيدا وبيروت وأعمالهما»، وقد عنوانه القلقشندي بـ«ما يُكتب عن نواب السلطنة بالممالك»، فهذا ينفي أن يكون قد صدر عن السلطان، إذن فالاحتمال الوحيد الباقي هو أنّه صدر عن نائبه في الشام وقد كان بتاريخ التوقيع الأمير الكبير سيف الدين بَيْدَمَر الخوارزمي في ولايته الثانية^٢ وهو نفسه الذي تكاد المصادر تتفق على أنّه الأمر بقتل الشهيد في ولايته الثالثة من بين ولاياته الستّ عليها، وهذه هي النتيجة الأولى التي نخرج بها من دراسة نصّ التوقيع، وهي نتيجة هامة من حيث إنّها تُطلّق بنا على الأفكار المُحرّكة لهذا النائب، ومن هنا ربّما تُعيننا على معالجة الإشكاليات المُحيطة بنصوص واقعة الجريمة.

→ آسية الوسطى، لكنّها لم تشمل مَنْ كان منهم في المنطقة الشاميّة والحقيقة أنّ هذا التدبير كان من أنجح وأبرع تعميمات الاحكام وأعودها خصوصاً وأنّ الحكم الأصلي أعني خمس مغانم الحرب غداً غير ذي موضوع بعد انحسار حركة الفتوح فإذا صحّ قولنا: إنّ الشهيد قد أحيى العمل بهذا التدبير، فهذا يعني أنّ المنطقة الشامية التي لم يكن لها منه نصيب على عهد الأئمّة كان من حظّها أن يكون لها قصب السبق لإحيائه من بعدهم على يد الفقيه. الأمر الذي أصبح معمولاً به من بعد على أوسع نطاق.

١. صُبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٣ - ٢٠. ورد النصّ الكامل في الفصل العاشر من الباب الأول من هذا الكتاب.

٢. إعلام الوري بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى، ص ٢٦.

من الغني عن البيان أنّ التوقيع هو من صياغة كاتب مُحترِف لا بدّ أنّه أحد الموظّفين في دار النيابة، ومع ذلك فإنّ مضمونه - ولا ريب - يحمل بصمات رأس السلطة المحلي، أي نائب السلطان، وهذا إجمالاً واضح.

يُمكن قسمة نصّ التوقيع الطويل إلى ثلاثة عناصر:

الأول: المقدّمة التقليديّة، وهي استعراض لمسيرة الإسلام ابتداءً من البعثة النبويّة إلى أن «ظهرت البدع والضلالات وضلّ كثيرٌ في كثيرٍ من الحالات» ليصل إلى عرّض رأيه في الشيعة ومذهبيهم، فيقول:

وكان من أسخفهم عقلاً، وأضعفهم نقلاً، وأوهنهم حُجّةً، وأبعدهم من الرشد مَحَجّةً، طائفة الرافضة الشيعة [...] فأذاهم ذلك إلى القول بأشياء، منها ما يُوجب الكفر الصراح، ويُبيح القتل الذي لا حَرَجَ على فاعله ولا جُنَاح.

إذن، هذه هي النتيجة التي يرمي إعلان التوقيع إلى الوصول إليها «يُبيح القتل». أو بالأحرى التهويل به، بشهادة أنّه سيقول:

وأردنا أن نُجهز طائفة من عسكرا الإسلام، وفرقة من جُند الإمام، تستأصل شأفة هذه المُصيبة المُلحدة، وتُطهّر الأرض من رجس هذه المفسدة، ثمّ رأينا أن نقدّم الإنذار، ونسبق إليهم بالإعذار، فكتبنا هذا الكتاب.

ولو أنّ السلطة كانت عازمة أو قادرة على الاستئصال لما لجأت إلى الإعذار والإنذار، هذا خلاف كلّ ما نعرفه عن الأسلوب المملوكي العسكري في معالجة الأمور، الذي لجأ دائماً إلى أقسى وأعنف الحلول، والظاهر أنّ سبب عجزها عن معالجة المشكلة بأسلوبها الأثير يعود إلى اتساع رقعة انتشار الشيعة آنذاك كما سيصفها نصّ التوقيع.

ولكن، ما هي تلك «الأشياء» التي أداهم القول بها إلى «ما يُوجب الكفر الصراح»؟

يُسارع نصّ التوقيع إلى بيانها واحدةً واحدةً، وهي:

أنّهم يسبّون خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين؛

يستحلّون دم أهل السنتّة من المسلمين؛

يستبيحون نكاح المتعة ويرتكبونه؛

يأكلون مال مخالفيهم وينتهبونه؛

يجمعون بين الأختين في النكاح؛
يتديّنون بالكفر الصّراح.

هذه استعادة كاملة لخطاب ابن تيمية في رسالته للسلطان التي كتبها تبريراً للأعمال الوحشية التي ارتكبتها جماعته في كسروان^١، وكان الزمان قد دار دورته بعد ستين سنة من تلك الأيام السوداء، ليرجع إلى النقطة نفسها التي بدأ منها هذا المسلسل، حيث يتآزر البهتان والعنف الهمجي، وغني عن البيان لقارئ عارف وعي قلبه ما قدّمنا به من مراجعة نقدية لرسالة ابن تيمية أنه باستثناء استحلال نكاح المتعة فإن كل ما أتى به التوقيع من أشياء توجب الكفر هي بهتان واختلاق.

الثاني: وصف فريد لمعالَم حركة شيعية واسعة الانتشار، وهو أكثر عناصر التوقيع أهمية لبحثنا، وسنقتبس ما نرى أنه موضع الحاجة منه:

وقد بلغنا أنّ جماعة من أهل بيروت وضواحيها، وصيدا ونواحيها، وأعمالها المضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، ومزارع كلّ من الجهتين ضياعها، وأصقاعها وبقاعها، قد انتحلوا هذا المذهب الباطل وأظهروه، وعملوا به وقرّروه، وبثوه في العامة ونشروه، واتخذوه ديناً يعتقدونه، وشرعاً يعتمدونه. وسلكوا منهاجه، وخاضوا لُجابه، وأصلوه وفرّعوه، وتديّنوا به وشرعوه، وحصلوه وفصلوه، وبلغوه إلى نفوس أتباعهم ووصلوه، وعظّموا أحكامه، وقدموا حُكّامه، وتمّموا تبجيله وإعظامه، فهم بباطله عاملون، وبمقتضاه بتعاملون، ولاعلام علمه حاملون، وللفساد قابلون، وبغير السداد قائلون، وبحرّم حرامه عائذون، وبحمى حمايته لائذون، وبكعبة ضلاله طائفون، وبسدة شدته عاكفون.

من البين أنّنا في هذا النصّ أمام كلام يُضمّر وجهين:

فعل. هو ما يصفه من حركة شيعية واسعة الانتشار جغرافياً، كما أنّها متميزة في أكثر من وصف.

ارتكاس على الفعل من قبل السلطة هو التوقيع نفسه، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّه يستعيد لغة وذكريات تاريخية قاسية.

وسُئِلَ على الوجهين بادئين بالجانب الجغرافي من النصّ.

وأول ما نلاحظه هنا سعة الرقعة التي انتشرت وعملت فيها الحركة الجديدة «بيروت وضواحيها، وصيدا ونواحيها، وأعمالها المُضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، ومزارع كلّ من الجهتين وضياعها، وأصقاعها وبقاعها».

والمعنيّ بـ«بيروت وضواحيها» ثمّ بمزارعها واضح إجمالاً، فالضواحي الجنوبيّة للمدينة كانت وما تزال معمورة بالشيعة، والإضافة إلى معلوماتنا هي في إشارة النصّ الواضحة إلى نقل سكانيّ شيعي في المدينة نفسها، يوحى النصّ خصوصاً بأنّه بدأ بذكرها أنّه كان ثقلاً معتبراً يُحسب له حساب، هذا مع ضرورة القول كي لا يقع بعض القراء في الوهم على حجم بيروت آنذاك أنّها كانت في زمن النصّ بلدةً متوسطة على الأرجح تقتصر على منطقة المرفأ وما يُحيط بها حيث كلّ المساجد القديمة، وهذه إشارة إلى مساحة اتساعها سُكّانياً. ثمّ إنّ علينا أن نلاحظ أن النصّ يُميّز بوضوح بين هذه، أعني «بيروت وضواحيها»، وبين «مزارع كلّ من الجهتين»، حيث يعني بإحدي الجهتين بيروت نفسها، والتمييز يُشير بالضرورة إلى آخر في ذهن الكاتب وطبعاً في الواقع، ونحن نظنّ أنّه يعني بمزارع جهة بيروت قريتي كيفون والقماطية على الأقلّ، وهما كانتا أيضاً منذ زمن غير معلوم منطقتي سكن شيعيّتين، خلافاً لرأي الدكتور كمال صليبا الذي حار في لغز هويّتهما المذهبيّة في مُحيط غير مُجانس، فانهى إلى القول أنّهما نشأتا سُكّانياً بتحوّل جماعات شيعيّة إليهما بقصد العمل ثمّ استقرّوا فيهما^١، وهو رأي ارتجالي لا سبيل إلى قبوله على الأقلّ بسبب العلاقات المتوترة بين سكان المنطقة الدروز الذي عرفنا ممّا فات اشتراكهم بقوة باجتياح كسروان، ثمّ هاهو نصّ التوقيع يتحدّث عن مزارع مسكونة بالشيعة في جهة بيروت ممّا يُشير إلى وجود مُستقرّ وثابتٍ وفاعلٍ لهم في تلك المنطقة.

أمّا صيدا ونواحيها وأعمالها المُضافة إليها وجهاتها المحسوبة عليها ثمّ مزارعها وضياعها وأصقاعها وبقاعها فهي تعني امتداد الخط الساحلي جنوباً، ومثلما لاحظنا قبل قليل وسجّلناه بوصفه إضافة إلى معلوماتنا عن وجود للشيعة في بيروت، فإنّ هذا النصّ

يُضيف إضافة مماثلة عن وجود للشيعة مذكور في صيدا، ثم إنه ولا ريب يعني فيما يعني، بلدان جبل عامل التي كانت آنذاك تابعة إدارياً وقضائياً لهذه المدينة.

والظاهر أن مُنشىء التوقيع قد صدَفَ عن الاسم التاريخي ومال إلى هذه الصيغة التي يبيِّن فيها قصد الاستيفاء، لأنَّ جبل عامل كان قد أصبح بتاريخ النصِّ بقعة صغيرة نسبياً على إثر القسمة الاداريَّة الجديدة التي نظَّمتها السُلطة، ابتغاء ضبط جباية الضرائب المفروضة على الأراضي^١، وعلى كلِّ حال فإنَّ من الجلي أن كاتب التوقيع تذاكى في صياغة هذه الفقرة، وأراد أن يُظهر لمن يطلِّع عليه الطَّامة الدهماء التي نزلت بالأُمَّة بهذه الجماعة، ولذلك رأيناه لم يترك مُفردة ممتَّا تُسمَّى به البقاع إلَّا وزجَّها نواحي أعمال، جهات، مزارع، ضياع، أصقاع، بقاع.

ولنلاحظ أيضاً أن لا ذكر لمدينة صور في هذا الحشد، ذلك لأنَّها كانت ما تزال خراباً، منذ أن عمدت السُلطة إلى هدمها إثر تحريرها، كما قلنا فيما فات^٢.

خلاصة القول، إننا نفهم من مُجمل الكلام أن الحركة التي سيصِف معالمها قد غطَّت الساحل من بيروت إلى آخر ما تعنيه نواحي صيدا، ومنه طبعاً جبل عامل.

وما بقي من التوقيع حافل بالالغام التي ترمي إلى خِداق القارئ له أو من يصل إلى سمعه إنَّه يتركه يعتقد أنه أمام أمر حادث لم يكن ثمَّ كان، ونحن نقبل هذا الوصف على عِلَّاته مؤقتاً لأسباب تتصل بمصلحة البحث، وسنقولها للقارئ بعد قليل، لا أقلَّ من تفسير انبعاث السُلطة إلى نشر التوقيع والذي هو تعبير عن قلقها ممَّا يحدث والذي لو لم ترْفِه تهديداً جدياً لحكمها لما خرجت على الناس بهذا التوقيع الرنان.

لكننا نتحقَّق على قولها: «قد انتحلوا هذا المذهب». لأنَّه يعني أن التمزُّج به أمر حادث جديد، لم يكن ثمَّ كان، غير بعيد عن تاريخ إصدار ونشر التوقيع، وكأنَّها تريد ممَّا أن نفهم أن انتحال «هذا المذهب» هو من جملة ذلك الحادث الجديد، وذلك أمر غير صحيح دون أدنى ريب، إذ ما من شكِّ في أن المعنيين بالكلام كانوا شيعة هم وآباؤهم من قبلهم، وما كان هناك من انتحال ولا من مُنتحلين، نعم هم «أظهروه وعملوا به وقرَّروه وبثَّوه في العامَّة ونشروه» وذلك عند العارف ما هزَّ السُلطة وأقلقها، أو فلنقل إنَّ ما أقلقها في الحقيقة ليس ما

١. لمن يبتغي معرفة تطوُّر جبل عامل اسماً ومُسمًى، نرجو الرجوع إلى: جبل عامل بين الشهيدين.

٢. انظر الفصل الأوَّل من هذا الباب.

أفصحت عنه الكلمات صراحةً، بل النتائج السياسيّة المُتوقّعة من هذه الروح الجديدة، التي تُفصّل الفقرة الأولى من التوقيع وجوهها ومظاهرها.

وأول ما نَقَفُ عليه من ذلك قوله: «أظهره» يعني «هذا المذهب الباطل»، وغني عن البيان أنّ الإظهار لا يكون إلّا بعد استخفاء، إذن فهذا نصّ لا لبس فيه على أنّ المعنيين بالكلام كانوا من قبل لا يُعالنون بشعائرتهم ومعتقداتهم، يتقنون بذلك تَقَاةً، ثمّ إذا بهم لم يعودوا يبالون بغضب مَنْ يغضب، ورضى مَنْ يرضى، بل يعملون على أن يكونوا هم أنفسهم، فيما يفعلون، وفيما انطوت عليه ضمائرهم على حدّ سواء، وما من ريب في أن هذا التبدّل إمارة على حالة جديدة دخلت فيها الجماعة، إعلاناً عن تخلصها من الإحباط والخوف والإستكانة إلى حالة الاعتداد بالنفس والطمأنينة، وربّما أيضاً توطين النفس على الصدام إذا لزم الأمر، ووصف هذه الحال هو الأكثر أهميّة ممّا نخرج به من تحليل ودراسة نصّ التوقيع، وما الباقي إلّا مزيد بيان له، وتعليل لأسباب حدوثه.

من القسم الأوّل أي ما فيه مزيد بيان لما وصفناه قوله:

وبتّوه في العامّة ونشروه، واتّخذوه ديناً يعتقدونه، وسلكوا منهاجه، وخاضوا لجاجه، وأصلّوه وفرّعوه وتدبّروا به وشرّعوه، وحصلّوه وفصلّوه.

وأبنا لنفهم من هذا الكلام أنّه يدلّ على حركة عارمة نالت عقائد القوم، أو وفقاً للتصحيح الضروري الذي أدلينا به قبل قليل ما يُعلنونه ويُجاهرون به من عقائدهم كما نالت نظام حياتهم المَبني على أحكام الشرع الذي يؤمنون بصحته، بالإضافة إلى كيف ينظرون إلى أنفسهم وموقعهم من المجتمع الذي يعيشون فيه.

هنا أيضاً علينا أن نلاحظ أنّ كاتب التوقيع قصد إلى استيفاء كامل الجوانب والأشكال المُتصوِّرة للسلوك المَبني على التوجّهات الجديدة: عملوا، قرّروا، بتّوا، نشروا، اتّخذوا، سلكوا، خاضوا، أصلّوا، فرّعوا، وهذا التفرّيع مُتأثر بأساليب الكتابة في ذلك الأوان، ولكنّه أيضاً ينمّ عن أنّه أراد التهويل بذكر الأنشطة الكثيرة التي توسّلوا بها إلى الخروج عن المسلك المقبول من قِبَل السُلطة ومَن يشدّ على يدها مثلما فعل من قبل، حيث حشد كلّ ما خطر له من مُفردات جغرافيّة ولم يترك مُفردة ممّا تسمى به البقاع إلّا زجّها.

ومن القسم الثاني أي تعليل ما قد حصل قوله: «بلّغوه إلى نفوس أتباعهم ووصلّوه»،

باعتبار أن كل ما وصفه الكاتب في الأوّل هو نتيجة لاعمال أولئك الذين سمّاهم «حُكّامه». وسنقول بعدُ من هم هؤلاء الحُكّام.

الثالث: من عناصر التوقيع إنذار مُوجّه إلى مَنْ يقصدهم بالخطاب، من الواضح أنّه غرض السُلطة وبُعيتها:

وأردنا أن نُوجّه طائفة من عسكر الإسلام، وفرقة من جُند الإمام، نستأصل شأفة هذه العُصبة المُلحدة، ونُظهر الأرض من رجس هذه المفسدة، ثم رأينا أن نُقدّم هذا الإنذار، أو نسبق إليهم بالأعدار، فكتبنا هذا الكتاب، ووجّهنا هذا الخطاب، ليُقرأ على كافّتهم، ويُلغ إلى خاصّتهم وعامّتهم، يُعلمهم أنّ هذه الأمور التي فعلوها، والمذاهب التي انتحلوها تُبيح دماءهم وأموالهم، وتقتضي تعميمهم بالعذاب واستئصالهم.

الإنذار لوضوحه مُستغنٍ عن التعليق، لكن السؤال هنا: لماذا «تسبق إليهم بالأعدار» وهي الدولة التي آثرت دائماً الحسم بحدّ السيف بحكم ذهنيّة رجالها العسكريين؟ يصعب القول على نحو الجزم، لكننا نذكر احتمالات:

الأوّل: حصانة جبل عامل الطبيعيّة وخصوصاً قلبه الفكري آنذاك جزّين، وهي التي استعصت في الماضي على الصليبيين.

الثاني: سعة انتشار الحركة، وقد عرفنا ممّا فات قبل قليل أنّها غطّت رُقعة واسعة جداً، تمتدّ من بيروت حتّى أعالي جبل عامل. بحيث إنّ استئصال «شأفة هذه العُصبة المُلحدة» بالقوّة يستدعي عملاً عسكرياً كبيراً، وقول التوقيع «أردنا أن نُوجّه طائفة من عسكر الإسلام، وفرقة من جُند الإمام» هو للتهوين من شأن المُخاطبين، وجزء من حملة التهويل التي رمى إليها.

الثالث: غياب شخصيّة تحريضيّة بامتياز، تؤدّي مثل الدور الذي تولّاه ابن تيميّة يوم كسروان، قبل ستّين سنة، بل ربما كان الصدى السيء، الذي تداعى من الأفاعيل الشنيعة التي ارتكبتها المُعتدون يوم ذاك قد وقف اليوم حائلاً دون الإقدام على عمل مُماثل بل أكبر بكثير.

الرابع: الافتقار إلى قرار سياسي يصدر عن السُلطة العليا في القاهرة، ولنتذكر أنّ التوقيع صدر عن السُلطة المحليّة في دمشق (نائب السلطان) هذا، وقد لاحظنا أنّ الكتابات

التاريخية الصادرة في مصر في ذلك الأوان على تنوعها لم تُشر إطلاقاً إلى شيء مما حرك السلطة في دمشق مما يدل على أن الاهتمام به كان محلّيّاً فقط.

تلك الأسباب أو بعضها وربما غيرها جعلت السلطة تكتفي بإصدار ذلك التوقيع بدلاً عن أسلوبيها القمعي المعتاد والأثير، آملة أن ينفع التهويل والتلويح حيث عجزت عن الفعل الأمر الذي كان له أثره فيما يبدو وسنعود إليه بعد قليل.

والآن... ها نحن قد انتهينا من دراسة نصّ هذا التوقيع، وكشف الكثير من خبيثه، ولكننا نري أن ما بذلناه من جهد على ما فيه من فوائد جمة قد أبعث ذهن القارئ عن عمود البحث، ولذلك فإننا نطرح السؤال التالي:

ما هي علاقة ما انتهينا منه بسيرة الشهيد؟ ولا ننس أننا قد أوردناه من ضمن ثلاثة نصوص أساسية نقرأ فيها ملامح الفترة التي نتوقع أن أعمال الشهيد الإعدادية قد بدأت تؤتي ثمارها، وعليه فإننا نقول في الجواب:

أولاً: من الجليّ أنّ تاريخ صدور التوقيع يتناسب تماماً مع الفترة التي كان فيها الشهيد في جزين، بالتحديد بعد زهاء الخمس سنوات من استقراره فيها.

ثانياً: لقد وقفنا قبل قليل على ما يصفه التوقيع من حالة جديدة شملت جمهور الشيعة ونذكر الآن أهمّ معالمها على سبيل التذكير، من ذلك أنهم غدوا يُعالنون بعقائدهم وشعائرتهم بعد أن كانوا يكتُمونها، وما من ريب في أن هذا التغيير الجذري لم يحدث عفواً بنفسه ودونما عمل منهجي تولّاه أكفاء مؤهلون، وأولئك هم الذين أشار إليهم بقوله: حُكامه، يعني به حُكام الدين والشرع اتّخذوه [أي مذهبهم] ديناً يعتقدونه وشرعاً يعتمدونه [...] وعظّموا أحكامه وقدموا حُكامه «وهو نصّ صريح على صفة هؤلاء الذين ارتادوا وقادوا تلك الحالة الانقلابية والذين غدوا قادة مُجتمعهم جزاءً وفاقاً للعمل الإحيائي الذين أنجزوه».

ثالثاً: من أين أتى هؤلاء الحُكام الفقهاء؟

نحن نعرف جيّداً أنه منذ الغزوات الصليبية وتداعياتها، فإن المنطقة الشامية بأكملها عمّمت عن أن تنتج فقيهاً شيعياً واحداً. اللهم إلا أولئك السبعة الفقهاء الذين كانوا رُواد نهضة

جبل عامل قبل الشهيد^١، بالإضافة إلى فقيهه من «حلب»، هو السيّد علاء الدين ابن زُهْرَةَ، الذي درس في المنارة من قرى جبل عامل على الرائد الكبير طومان بن أحمد المناري (م: ٧٢٨)^٢، وعلى كلِّ حال فإنَّ العمل الذي وصفه التوقيع يدلُّ على مجموعة غير صغيرة من الفقهاء غطَّوا بنشاطهم منطقتَ عمليات واسعة جداً تنزِع من منزع واحد، وليس في البين إلاَّ الشهيد وطلّاب مدرسته.

ونحن إن لم نجد في نصِّ التوقيع ذكراً صريحاً للشهيد لكننا لا نجد مندوحة دون نسبة نفخ هذه الروح إليه دون سواه، وذلك لما ذكرناه أعلاه، بالإضافة لما تشهد به وتُشير إليه من منزع فكري ومن حالة تنظيمية، وإن شئت قلتَ تحريضية أو مطلبيّة لا يمكن أن يكونا قد نشأا عند الناس عفواً، ومن دون مُنظّر وباعث، وليس في الميدان إلاَّ الشهيد وفكره وعمله، هذا فضلاً عن التطابق التام بين ما نراه من منزع فكري وحالة تنظيمية سبق أن عالجنها وبيّنا أبعادها في هذا الفصل، وبين مظاهر سلوكية وصفها التوقيع ببسط ودقة لا مزيد عليهما، هذه النتيجة التي وصلنا إليها بالتدقيق والتمحيص والمقارنة، في نصِّ هذا التوقيع الفائق الأهميّة، تقصّر عن مثلها كافّة النصوص التي تتحدّث بلسان أو بغيره عن أعمال الشهيد والفضل لله سبحانه وإنّي آمل أن تُفيدنا في معالجة ما بقي من إشكاليّات سيرته.

خلاصة الفصل

إنّ بواعث الشهيد إلى العمل أتت على قاعدة التحوّلات السُكّانية الأساسية لدخول العناصر التركمانية في الصورة السُكّانية لمناطق الشيعة في لبنان، وما ترتّب عليها من آثار سياسية واجتماعية بالغّة حملت إلى الشيعة ما رأوا فيه، بحقّ تهديداً بالغاً لوجودهم، ونقرأها اليوم، بوصفنا مؤرّخين بشكّلين:

الأوّل: تحوّل بعض الشيعة إلى مذهب الحاكمين التركمان.

١. ذكرناهم واحداً واحداً وترجمنا لهم في الفصل الثالث من كتابنا جبل عامل بين الشهيدين، ٦١ - ١٠٤.

٢. أمل الآمل، ج ١، ص ١٠٣.

الثاني: حركة احتجاجية موجهة ضدّ السلطتين المملوكية والتركمانية.

ذلك هو الظهير الذي تعامل معه الشهيد بعد أن استقرّ به المقام في جزين، مُستفيداً من المكانة العلمية التي اكتسبها من رحلاته، والظاهر، بل الثابت، أنّه كان يُعدّ لأعماله منذ أن كان في الحلةً بدليل أنّه استحضر منها عدداً من تلاميذه فيها لكي يُعاضده فيما كان يُخطّط له.

بدأ عمله بأن بنى مدرسة في جزين هي الوحيدة في تاريخ جبل عامل وسرعان ما شرعت بتخريج الفقهاء الذين انتشروا في مختلف أنحاء وطنهم، حاملين أفكار شيخهم، وعلى رأسها مفهوم النائب العام للإمام أي الفقيه الجامع للشرائط، وما له من صلاحيات في الفتوى وفضّ الخصومات والحدود والتعزيرات، فضلاً عن التصرف في الأموال العامة، هذه الأفكار بمجموعها تُشكّل سابقة منذ انتهاء الحضور العلني للأئمة، وأسست لسلطة موازية للسلطة الفعلية ردتّ عليه بإصدار توقيع حافل بالتهويل والتهديد خلافاً لما هو معروف عنها من ميل إلى حَسَم الأمور بالعُنْف، وتلك أمانة على عجزها عن التصديّ المباشر بسبب اتساع رُقعة انتشار الحركة الاحتجاجية.

الفصل الخامس

عالم الشهيد وسيرته من هذا المنظور

تمهيد

في هذا الفصل نتعرّف على العالم الذي خاض فيه الشهيد، وهو بحث طريف ولا غنى عنه لاستيعاب خفايا سيرته الحافلة، بدهاءة أنّ سيرة كلّ إنسان هي ثمرة شخصيته وهي في حالة تفاعل مع الظروف والعالم الذي تفاعل معه وعمل فيه.

وربّما يخطر لقارئ أنّ هذا الفصل ينبغي أن يسبق الفصلين السابقين اللذين عالجتنا فيهما سيرته وأعماله، لأنّ العالم أو الظرف هو الأمر الثابت، في حين أنّ السيرة هي المتحرّك، وذاك أسبق رتبةً من هذه، أو فلنقل إنّ هذه مُرتّبة على ذلك، وهو أمر قد يبدو صحيحاً من حيث المبدأ، والحقيقة أنّنا جرّينا هذا المنهج وبالنتيجة وصلنا إلى أنّ من مصلحة القارئ أن تؤخّر هذا الفصل، ذلك أنّه سيكون من العسير عليه أن يفهم كيف عمل، ما لم يكن قد سبق له أن عرف ماذا عمل، وسيجد القارئ الشواهد الكثيرة على ذلك بعد قليل، ثمّ إنّ السؤال: كيف عمل؟ ينبغي أن يؤخذ فيه بالاعتبار ذلك العالم أو الظرف الذي خاض فيه بل هو من ضمنه. أمّا السؤال: ماذا عمل؟ فهو متحرّر من هذا القيد. وعليه فقد أحرّنا هذا الفصل إلى هنا.

هذا من حيث صورة البحث ومنهجه.

أمّا من حيث مادّته وأساسه فنقول:

مّا هو غنيّ عن البيان أنّ امرئاً يرمي إلى أهداف خطيرة من مثل ما رمى إليه الشهيد، ويتعامل بقضايا تمسّ حياة ومستقبل جمهور عريض، لا يؤمن أن تتعارض مع مقاصد غيره، وبالتحديد مع سلطة مُمكنة ستري في أعماله وأفكاره خطراً مباشراً عليها، لا غنى

له عن استيعاب ذكي لمُعْطِيَّات الظروف البالغة التعقيد التي عليه أن يعمل فيها، ومقدّمة لنسج شبكة من العلاقات من حوله تُعِينه على ما يروم وتحميه ومراميه من أخطار مُختلفة. من تلك الأخطار ما يتصل ببُنية شعبه المُخترَقة، خصوصاً في المناطق الساحليّة، حيث حضور السُلطة أقوى ما يكون. وهو الذي كان في ماضيه القريب والبعيد قد خَبِر صنوف الاضطهاد والقمع ممّا سترك أثره المُتوقَّع على مثله، فإذا به يميل إلى الدعة والسكون، ويتهَيَّب الدخول في كلّ ما يُعرّضه لكيدها وانتقامها هذا فضلاً عن أنّ الصيغة الجديدة للعلاقات التي أتى بها الشهيد، ومنحت الفقيه الموقع المُتميّز الذي عرفناه، سيفتح عليه باباً آخر من الشرور، من أولئك الذين كانوا مُستفيدين من الوضع القديم، وهذا من طبيعة الأمور. ومنها - بل وعلى رأسها - السُلطة نفسها، ما كان منها سُلطة مركزية أي الحكم المملوكي وما كان منها سُلطة محلّية أي الأمراء التركمان ذوو السطوة، وكلاهما سيوجد في نهج الشهيد وفكره ما يتعارض مع مصلحته، وهذا أيضاً من طبيعة الأمور.

أعتقد أنّ هذه الفذلّكة تكفي لمتصوّر القارئ الموقع البالغ الدقة للشهيد، وهو يخوض غمرات مُعتَرَكه، أي أنّنا لم نخرج من إشكاليّات الفصل السابق، ولكننا هنا سنكون أقرب إلى السياسي من سيرة الشهيد أما هناك فقد كُنّا أقرب إلى الفكري، على أنّ في كلا الموقعين شيء من هذا وشيء من ذلك.

مهما يكن فإنّ من الواضح لقارئ استوعب عناصر هذه الفذلّكة وما قد غادرناه فيما فات من وصف لما اضطرب فيه الشهيد من إرث تاريخي وواقع سياسي، أنّ أكثر ما سنعالجه من علاقاته هو ممّا فرض عليه فرضاً، فرضه عليه ذلك المزيج الحرج من الإرث والواقع، وهذا أيضاً وأيضاً من طبيعة الأمور، وعلى كلّ حال فإنّ الوقوف على ما يمكن الوقوف عليه من هذه العلاقات بقدر ما تعطينا إيّاه النصوص المُتاحة هو عنصر أساسي جدّاً من سيرته وبدونها لن نستطيع أن ندّعي أنّنا استوفينا كلّ ما ينبغي أن يُقال عليها.

سنبدأ بوصف علاقاته مع الجمهور الذي كان موضع عمله في جبل عامل وفي غيره، تحت عنوان «علاقاته الداخليّة»، ثمّ تُنْثَى بوصف علاقاته مع السُلطة خصوصاً في العاصمة الإقليميّة دمشق مع عناية خاصّة بعلاقته بعليّ بن المؤيّد الخراساني، كلّها تحت عنوان «علاقاته الخارجيّة».

١. علاقاته الداخليّة

من الواضح الجليّ أنّنا حينما نتحدّث على ما هو داخلي من علاقات الشهيد فإنّنا نعني بالدرجة الأولى الجمهور العريض الذي كان موضع اهتمامه وعنايته، أعني الشيعة فيما يُعرف اليوم سياسياً بلبنان بكامل أطيافهم وتوجّهاتهم، وهو جمهور عانى في تاريخه القريب والبعيد صنوف النوازل، وقد استفرغنا الوسع في الكلام على ذلك في الفصل الأوّل، ونُضيف الآن أنّ مُعاناته قد تركت آثارها المُتوقعة عليه ممّا ذكرناه بعد قليل.

واستناداً إلى ما نعرفه، وبعضه ممّا قد ألمحنا إليه فيما فات، فإنّ ذلك الجمهور كان من أطياف ثلاثة:

الطيب الأوّل: الأكثرية، والتي توصّف عادةً في الادبيات السياسيّة بـ«الصامته»، والحقيقة إنّها ليست صامته بالمعنى المُباشر والتامّ للكلمة لا في ما نحن فيه وليس في أيّ حال، وإنّما يصحّ عليها هذا الوصف لأنّها لا تفصح عن مكنونها وما تتطلع إليه إفصاحاً منهجياً على نحو المشروع المُعلن بأفكار مُحدّدة وإنّما تقفُ ساكنة طابوية الضلوع على ما تنهدّ إليه، ثمّ لا تتحرّك سياسياً إلّا وفق شروط معلومة في رأسها وجود القيادة الكارزمية التي تتوقّر فيها الصفات التي تجعل الجمهور يتحرّك على هديّ المشروع الذي تدعو إليه وتعمل عليه، وطبعاً إنّ من الشروط الأساسيّة لنجاح هذه القيادة بل لاكتسابها صفة الكارزمية أن تعرف جيداً المفاتيح السلوكيّة لجمهورها (ثقافته، آماله، أسباب قلقه)، وأن تُحسن الضغط عليها في الوقت المُناسب.

رُبّ قارئٍ حصيف يتساءل الآن: ولكن من أين لنا أن نعرف كيف جرى التفاعل بين مشروع الشهيد وأعماله وبين جمهوره (الصامت)؟ وبيننا وبينه أمد بعيد، فضلاً عن أنّنا نعمل على موضوع يطرح إشكاليّات جمة لا تنفكّ تلاحقنا بالأسئلة تلو الأسئلة مع ندرّة مُجحفة بالمعلومات.

وفي الجواب نقول:

حقّ أنّه ليس في يدنا نصوص مباشرة على هذه الإشكاليّة الهامّة ولكن هذا لن يُعجزنا عن أن نقرأ ما بين السطور، حيث تضيّن علينا السطور بذاتها.

ولقد كنّا وقفنا فيما فات على ما تتصوّره من وُقوع عودة الشهيد إلى وطنه على الناس، ووعداً هناك بتبيان ما نهض من علاقة بين الإثنين^١، وهذا أوان الوفاء بالوعد. في هذا السبيل أَدْعُو القارئ إلى العودة بالذاكرة - أو بالقراءة إن خاتته الذاكرة - إلى عدّة أمورٍ ما غادرناها آنفاً، نحتاج الآن إلى قراءة مغزاها، لِمَا لها من علاقة بما نعالجه الآن، هي: الأمر الأول: إنَّ عديد تلاميذ الشهيد قد سجّل رقماً غير مسبوق في تاريخ بلده، نعرف منهم ثمانية وعشرين تلميذاً بأسمائهم^٢، ونحن على شبه اليقين من أن هذا الرقم هو أقلّ من الحقيقي، ربّما بكثير، وما نزال نكتشف في هذا الباب جديداً كلّمَا أوغلنا في البحث، أو وقعنا على مصادر جديدة، أو لم نكن قد التفتنا إليها.

على أن المسألة هنا ليست في مُجرّد العديّد على ما فيه من أهميّة، بداهة أن أولئك التلاميذ يُمتلئون نُخبة مُنتقاة التحقت بالشهيد قادمةً من مجتمعاتها رامية من وراء عملها إلى إعداد أنفسهم ليكونوا فقهاء عاملين، هذا بالتأكيد ليس نزوعاً شخصياً فقط وإنما هو أيضاً وربّما أولاً تعبير جماعي لا ينقصه الوضوح عن حاجة المُجتمع إلى مَنْ يتولى علاج أزمته المُستحكمة وهو هو ذلك المُجتمع الذي عانى من احتلال أجنبي طويل قطعه عن كلّ مصادر ثقافته الخاصّة التي يُمثّلها الفقيه العارف بوصفه الحامل للثقافة المُنتمية.

بالقياس إلى ما تتصوّره من عديد السكان في كامل الرُقعة التي كانت معمورة بالشيعة آنذاك من لبنان، الذين كانوا لا يتجاوزون يومذاك عشرات الآلاف، فإنّ نسبة هؤلاء التلاميذ إلى مجموع السكان كانت نسبةً عالية جداً، يُشبه أن يتدفق اليوم مئات التلاميذ على شيخ للدراسة عليه.

إذن فعندما انتهج الشهيد هذا النهج، وصبّ جهوده على تخريج أكبر عدد ممكن من الفقهاء المؤهلين، وأعدّ للأمر عدّته، فاستحضر ثلاثة من أفضل تلاميذه من الحلة لمعاونتته فيما خطّط له، وبنى مدرسة كما عرفنا ممّا فات^٣، كان يُعبّر تعبيراً قوياً عن إدراك عميق لأزمة شعبه وسبب معالجتها.

ومن الجهة الأخرى فعندما أفرز شعبه من أبنائه ذلك العديّد غير المسبوق من التلاميذ،

كان يُعبّر هو أيضاً عن إدراك مُماثل، وعن التوق الكامل لديه لاستعادة التواصل المفقود مع ثقافته الخاصّة.

هنا نجح الشهيد نجاحاً باهراً في قيادة شعبه على الطريق الذي اختاره، وما النهضة العامليّة إلاّ أحد الثمار المُباركة بعمله.

الأمر الثاني: كلّ شيء يدلّ على أنّه ما إن تهيّأ للشهيد إعداد عدد من تلاميذه حتّى دفعهم أو اندفعوا إلى سوح العمل المُباشر فانتشروا في مختلف البلدان من وطنهم ساحلاً وجبلاً، حاملين أفكار شيخهم بين شعبه المُتوجس خيفةً ممّا تحمله المُعطيات السياسيّة - الاجتماعيّة القائمة، وسرعان ما أعطى عملهم ثماره، فرفعت الناس صوتها عالياً في حركة احتجاجيّة ضدّ السُلطة المحليّة التي لم تجد حولاً في المقابل إلاّ أن تخرج على الناس بذلك التوقيع الرّنان - الفارغ أيضاً - مُنذرةً بالويل والثبور وعظائم الأمور، وقد استفرغنا الوسع في التعريف بهذه الحركة في خاتمة الفصل السابق، ونحن إنّما نقف عندها الآن لتبيان مغزاها بقدر ما يتعلق الأمر بإشكاليّة هذا الفصل.

كانت تلك أوّل مرّة، منذ انهيار إمارة بني عمّار العظيمة في طرابلس، أي منذ زهاء القرنين ونصف القرن، يحظى فيها الشيعة في لبنان بقيادة حقيقيّة تلمّ شعّتهم بعد أن عبثت به النكبات المتواليّة عليهم. وترصّ صفوفهم، وتبثّ فيهم نمطاً من أنماط الوعي السياسي - الاجتماعي المفقود، وتوجّههم مُطلبياً، ونقلتهم من موقع الانفعال حيث يكونون موضوعاً خاضعاً لفعل وخطّ الآخرين إلى موقع الفعل أو محاولته على الأقلّ، نقول هذا لأنّنا لا نعرف بالضبط ماذا كان تأثير تلك الحركة على وضعهم إجمالاً، وذلك بسبب الغياب التام للتسجيلات التاريخيّة المُستقلة، بل إنّنا لولا ذلك التوقيع الذي كتبه السُلطة ونشرته لما عرفنا شيئاً عنها، ولكن ما تضمّنه نصّ التوقيع من وصف عريض مُهيب لها يتركنا على شبه اليقين من أنّها لم تضع كُلياً، ولكننا عاجزون عن التفصيل.

مهما يكن فإنّ ممّا لا ريب فيه أنّ أمراً كهذا لم يكن ممكناً أن يحدث لولا القيادة الجديدة التي حظي بها جمهور الشيعة بفضل أعمال الشهيد وخطّته المُتقنة ذات الحلقات، ابتداءً من إعداد الفقهاء وتزويدهم بأفكاره ونشرهم أو انتشارهم بين إخوانهم المأزومين ليستولوا قيادهم وتوجيههم.

وأيضاً ممّا لا ريب فيه أنّه عندما استجابت للشهيد ولتلاميذه أوسع الجماهير متنهم موضوع عمله وعلمهم وهمة وهمّهم، فإنّ هذا يعني أنّها قد تماهت معهم تماماً واستوعبت مقاصدهم، ونذكر هنا بأنّ مُجمل العمل ابتداءً من تاريخ عودته إلى بلده، في السنة ٧٦٠، إلى تاريخ الحركة في السنة ٧٦٤ - قد تمّ في بُرهة خمس سنوات، ممّا يدلّ على أنّ آليّة العمل في مختلف مراحلها كانت تتحرّك بسرعة قياسية.

هنا أيضاً نجح الشهيد نجاحاً يمكن أن نصّفه منذ الآن بأنّه تاريخي.

الطيف الثاني: المُتسنّنون وقد ذكرناهم في الفصل الرابع، وللتذكير نقول: إنهم فريق من الشيعة تأثروا بالضغط السكاني والهيمنة السياسيّة للترکمان، فأعلنوا تحوّلهم إلى مذهب الغالب، وهذه ظاهرة متوقّعة في هذا الظرف.

ونضيف الآن أنّ التمعّن في عبارة «أهل السواحل من المُتسنّنين»^١ - وهي للمقداد السيوري تلميذ الشهيد المُقرّب والذي رافقه منذ رجوعه إلى جزين، أو بُعيدها بقليل إلى أنّ حُبس في دمشق وعرف معرفةً مباشرةً الظروف التي اضطرب فيها شيخه - يدلّ على ثلاثة أمور:

الأول: أنّ هذه الظاهرة كانت محصورة في المناطق الساحليّة فقط، أي في مدينتي بيروت وصيدا وما والى الأولى منهما خصوصاً، وهذا أمر مفهوم جدّاً؛ لأنّ الاكتمال السكانيّ التركماني كان محصوراً في تلك المناطق، كما أنّ حضور السلطة كان أقوى ما يكون فيها، وضيلاً وربّما معدوماً في جبل عامل.

الثاني: إنّ تلك الظاهرة قد نشأت حديثاً بالقياس إلى تاريخ صدور النصّ أو تاريخ شهادة الشهيد، ذلك أنّه لو لم يكن تحوّلهم كان ما يزال حاضراً ومثالاً في الأذهان لِمَا سَمّاهم المقداد بما سَمّاهم به: «المُتسنّنون»، وهي صيغة يُفهم منها أنّ الجيل الذي تحوّل كان ما يزال على قيد الحياة.

وهذا أمر مفهوم أيضاً؛ لأنّ استيعاب السكّان الأصليين الشيعة للمُتغيّر السياسي والاجتماعي الجديد الذي نشأ بالحضور السكاني - السياسي للترکمان من قِبَل أولئك المُتحوّلين، ومن ثمّ

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٥، وانظر الفصل العاشر من الباب الأول.

التماهي معه والتصرّف بما يناسبه أو تقتضيه المصلحة الآتية يحتاج إلى زمن غير قصير، ولا يُعقل أن يحصل مثل متغيّر وانفعال آلي صرف يحصل فوراً ومباشرةً بعد نشوء سببه.

الثالث: إنّ ظاهرة التسنّن في السواحل كانت بارزة أي من أعداد كبيرة، والدليل على ذلك في العبارة نفسها «أهل السواحل من المُتسنّنين» التي تصف «أهل السواحل» وصفاً فيه معنى العموم، ولو أنّه قال مثلاً: المُتسنّنون من أهل السواحل لاختلف المعنى، ولما حمل الدلالة نفسها، ولذلك فإننا وبناءً على قاعدة أصالة صحّة النصّ ما لم يُقم دليل على العكس فقد فهمنا من العبارة ما ذكرناه، ويؤيد ذلك العديد الكبير للذين كتبوا خطوطهم تعصباً مع يوسف بن يحيى، الذي يزيد على الألف من أهل السواحل. وهو من ضمن النصّ الموثوق نفسه الذي كتبه السيوري^١. وهو عديد غير عادي بالقياس إلى ما تصوّره من عدد السكّان الإجمالي في ذلك الأوان، يدلّ على ما يُشبهه الرأي العام.

هنا أيضاً نقول: هذا أمر مفهوم لأنّ من يفعل ما فعله أولئك المتحوّلون يكون أكثر اهتماماً بكلّ ما يدلّ على صدق تحوّل، ولذلك فإنّه يندفع إلى المُزايمة على غيره، ويتخذ مواقف أكثر حدة في المواطن المفصلية المُتصلة بوضعه الجديد، وهذا واضح.

كلّ شيء يدلّ على أنّ هؤلاء «المُتسنّنين» كانوا المُشكلة الأكبر التي عانى منها الشهيد في مشروعه النهضوي، والظاهر أنّه وقف عاجزاً تماماً تجاهها، ذلك أنّهم كانوا من أعداد كبيرة واختراقاً واسعاً للجسم الشيعي المحليّ الكبير، كما أنّهم كانوا في المدى الذي تكون فيه السُلطة أقوى ما يكون ومحميين من قبلها، وبحاجة إلى تقديم الدليل تلو الدليل كلّما اقتضى الأمر، على صدقهم، ومن ذلك أنّهم لم يستجيبوا لأعمال الفقهاء الجدّد الذين عرفنا أنّهم انتشروا في مناطقهم، بدليل أنّ ذلك الموقف البالغ العداء الذي اتّخذوه من الشهيد إذ «كتبوا خطوطهم» ضدّه أتى بعد أعوام كثيرة من انفجار حركة الشيعة الاحتجاجية الكبرى التي وصفها التوقيع الذي درسناه وكشفنا خبيثه في خواتيم الفصل السابق، بل إنّنا نظن أن تنظيم ذلك المحضّر، بما احتوى عليه من تواقيع كثيرة كان بمبادرة وإغراء من قبل السُلطة المحليّة أو الإقليميّة، وإلاّ فمن ذا الذي في وسعه أن يجمع هذا العدد من التوقيعات غيرها.

١. وانظر مُختصر نسيم السحر، حيث يقول: «وكتب [في المحضّر] ألف رجل من السواحل منّ كان ظاهرهم التسنّن».

وهو دليل إضافي على أن الخطوات الأولى التي اتخذت لبدء محاكمة الشهيد كان بالتنسيق الكامل معها، يُشْتَبَى على ما وصلنا إليه من تحليل كلمة عامل فيما فات^١.

الطيف الثالث: المُرتَدون، والكلمة توحى بمعنى لا يخلو من التباس، لذلك فإنها تحتاج إلى شرح وبيان يرمي إلى كشف معناها استناداً إلى ما نعرفه عن الظروف التي عمل فيها الشهيد والتي أصبح القارئ على خُبْر منها.

ومصدر الكلمة هو أيضاً المقداد السيوري، فيما علّقه على مقتل شيخه و وصف بها الخائنين: تقي الدين الخيامي بقوله: «وظهور أمانة الارتداد منه»، ويوسف بن يحيى بقوله: «ارتدّ عن مذهب الإمامية»، ونحن نفهم سبب وصفها منه بهذا الوصف القاسي، وهو التلميذ المُخلص المفجوع بشيخه، العارف بأنّهما هما اللذان فتحا باب الشرّ عليه، ولكننا نجدها أيضاً في مختصر نسيم السحر، حيث يصف الخائنين نفسيهما بقوله: «ارتدّ عن مذهب الإمامية»^٢، بل إنّ هذا ينسب الوصف إلى الشهيد نفسه، حيث قال في ابن يحيى: «إنّ هذا الضالّ قد ارتدّ عن شريعة سيّد المرسلين»^٣، الأمر الذي إن صحّ يدلنا على مصدرها الأساسي، كما يمنحها بُعداً مُختلفاً.

فمن المعلوم أنّ الوصف بـ«مُرتد» فيه معنى الحقيقة الشرعية، وهذا يعني في اللُغة الفقهيّة أنّها ممّا أضافه القرآن إلى اللغة حاملاً معنى جديداً وهو الكفر بعد الإسلام.

لا نظنّ أنّ هذا المعنى هو المقصود في النصوص الأربعة، وحتّى عبارة الشهيد التي ينبغي أن نقرأها بكامل الجدية لا تدلّ على ذلك، لأنّها تقول: إنّ المعنى بالكلام قد ارتكب ما يُخالف الشريعة «ارتدّ عن شريعة سيّد المرسلين»، وهذا أمر مُختلف، لذلك فإنّنا نقترح قراءة أخرى لها تستوعب المعنى الأصلي للكلمة والذي يتضمّن حركة الارتداد إلى الخلف والرجوع، أي أنّ الكلمة تُرادف أو تُشبه معنى كلمة (رجعي) في لغة الصحافة اليوم، وهو معنى يَأوّل إلى اتجاه يرفض كلّ فكر أو سلوك يدفع إلى الإمام، ومقابلته: (تقدّمِي).

١. انظر الفصل الرابع من هذا الباب.

٢. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٣. وردت الكلمة بهذا المعنى في القرآن مرّتين. البقرة (٢): ٢١٧ والمائدة (٥): ٥٤. ويُحتمل أنّ الآية ٢٥ من سورة

محمد ﷺ تدلّ على المعنى نفسه.

لماذا نصرّ على هذا الفهم؟

الجواب: لأنّه ينسجم مع كلّ ما نعرفه عن نهج الشهيد والظروف التي عمل فيها، وأيضاً مع طبيعة الأمور، ذلك أنّه بنى نظام علاقات جديداً داخل الجماعة التي صبّ جهده عليها وعلى شؤونها عماده الفقيه، بعد أن سلّحه بأفكاره عن صلاحياته في الأمور القضائية والحسبيّة وما إليها، وطبعاً لا يمكننا أن نتصوّر أن المواقع التي ملاها بفكره هذا كانت فارغة تماماً، بل لا بدّ من أن نفرض أنّه كان هناك شكلٌ ما من نظام للعلاقات له رجاله، ضرورة أن كلّ مجتمع لا بدّ من أن يُفرض من داخله المادّي والمعنوي ما يُسيّر به شؤونه، وكما في كلّ حالةٍ انقلابيّة فإنّ أعمال الشهيد في هذا النطاق لا بُدّ أنّها قد أدّت إلى حرمان بعض المُستفيدين من وضع التخلف السابق كما هو الأمر في كلّ ما هو مُماثل.

من هؤلاء تقي الدين الخيامي، نسبةً إلى بلدة «الخيام»، المعروفة بالاسم نفسه حتّى اليوم في أعالي جبل عامل الشريقيّة والذي يُسمّيه صاحب مُختصر نسيم السحر محمّد بن تقي الدين الخيامي البابلي، ويبدو أنّ البابلي منسوب إلى قرية البابليّة المعروفة أيضاً بالاسم نفسه اليوم، وهي من قرى الساحل بين صيدا وصور، وإذا كان ترتيب النسب يلتزم القواعد المعروفة في هذا النطاق فقوله «الخيامي البابلي» يُفيد أنّ أصله أو مولده في الخيام ثمّ قطن البابليّة، أي أنّه حين فعل ما فعل فوشى بالشهيد - على رواية السيوري، أو «ادعى النبوة وارتدّ عن مذهب الإماميّة وخرج عن الدين» على رواية محمّد مكّي في مختصر نسيم السحر - كان من «أهل السواحل» الذين عرفنا من الفقرة الماضية خصوصيّة علاقتهم بالسلطة التركمانيّة المحليّة ودورهم في مُحاربة الشهيد، وعليه يبدو أنّ هذا كان المُتقدّمين البارزين في هذا الميدان، ويؤيد ذلك قول محمّد مكّي واصفاً تأثيره في الناس: «وأكثر القرى مالت إليه وجميع الناس الهمج انكرت عليه».

ومحمّد مكّي يُعرب في وصف أعمال هذا الرجل، ومن ذلك أنّه كلّم الناس الذين في جبل عرفات وقت الحجّ فسمعوا صوته، وأنّه أظهر البساتين وفيها الأشجار والأزهار، فتصدّى له الشهيد وأبطل سحره، وهذا كلّه طبعاً غير صحيح، ولكنّه يعكس الصورة التي نجح هذا الرجل في بنائها حول نفسه، كما أنّه بنى عدة حصون ممّا يدلّ على أنّه كان يُعدّ لحرب طويلة، وأنّ الشهيد أرسل ابنه الشيخ ضياء الدين عليّ على رأس وفد للتفاوض معه،

والتقى به في وادي زبدین، ولكنّ المفاوضات انهارت، وقتل الخيامي عدداً من أعضاء الوفد، فكتب الشهيد إلى بيدمُر الخوارزمي والي الشام طالباً منه قمع هذا الرجل بوصفه مدّعياً للنبوّة، وبالفعل حضر بيدمُر بعسكره وتلقاه الشهيد في الزريرية، وهي قرية غير بعيدة عن ساحل صور، ولكن الشهيد خشي فيما يبدو مغبّة القتال، فطلب من والي التروبي ومنح فرصةً أخيرةً للمفاوضة، وكتب إلى الخيامي طالباً لقاءً شخصياً به، وبالفعل حصل اللقاء، وفي النهاية قتل على يد أحد أنصاره السابقين، بعد أن اكتشف كذبه ومخادعته للناس.

وإني، وإن عبّرتُ دائماً عن شكّي بأقوال محمد مكي كوصفٍ للحقيقة، ومع ذلك فإنّ هذه التفصيلات الدقيقة الفائقة الأهميّة لا يُعقل أن تكون كلّها من نسج الخيال، حتّى مع أنّنا لا نجد أدنى إشارة إليها في نصّ السيوري البالغ الإيجاز. بل إنّه يقول على نهاية الخيامي: «بعد وفاة هذا الواشي»، وإذا فهمنا من كلمة وفاة أنّه مات حتف أنفه كما يقتضي معناها، فهنا يتعارض النصّان تعارضاً لا نملك إزاءه إلا أن نقول: الله أعلم بحقيقة ما جرى. هذا فيما يعود إلى أوّل المُرتدّين.

وثانيهم يوسف بن يحيى الذي يبدو أنّه كان أشدّ دهاءً ومكرّاً من سلفه، فلم يعمد إلى مواجهة الشهيد مباشرةً، والظاهر أنّه استفاد من تجربة سلفه، حيث وقفت السلطة في جانب الشهيد، على قول محمد مكي، فاختنط لعمله خطةً تقضي بتحريض الدولة لتتولي هي قمعه، أو لتقف على الحياد على الأقلّ.

يقول محمد مكي:

وشرع في التشنيع عليهم [يعني: الإماميّة] وعلى الشيخ شمس الدين خصوصاً، وأظهر بعض مُصنّفاته، ممّا يُظهر تشييعه، كرسالة القدسيّة، ورسالة الذرّة المضويّة في الأحاديث المرويّة، وكتاب جامع البين، وغاية العالمين وغير ذلك^١.

هذا نصّ في الغاية من الأهميّة لأسباب ثلاثة:

السبب الأوّل: أنّه يُبيّن بما يكفي من التفصيل خطة ابن يحيى في مُقارعة الشهيد، المبنية

على إظهار تشييعه.

السبب الثاني: أنه يقول ضمناً إنَّ الشهيد في كافة أعماله كان يتقي، فلا يُظهر تشييعه حيث يمكن للسلطة أن تطلع عليه، وهذا ملمح جديد في كل ما يُذكر من سيرته، ويبدو أنه صحيح لما سُئِلَ به بعد قليل، وهو يطرح سؤالاً كبيراً: كيف نجتمع بين هذه المعلومة وبين ما هو ثابت ومؤكّد من نشاطه الواسع في تربية عشرات التلاميذ وإنشائه مدرسة وتصنيفاته المتعدّدة؟

الجواب المُفضّل عند علّام الغيوب. ولكن ها نحن قد أصبحنا نعرف أنه نجح في إخفاء أعماله ومقاصده مدّة طويلة، وهذا يدلّ على مقدرة باهرة، وتنظيم وضبط في الغاية من الدقة، والنصّ التالي يُلقِي ضوءاً على ما اختطه لنفسه من طريقة في العمل، وهو لمحمّد مكّي أيضاً.

قال:

وكان ﷺ إذا حضر في مكان من الشام [يعني: دمشق] أو بعلبك أو صيدا يُدرّس ليلاً في مذهب الشيعة للخواصّ من الشيعة تقيّةً. وبقي على ذلك مدة^١.

والمفهوم من هذا الكلام أنه كان في جزّين يتمتّع بهامش واسع من الحرّيّة، وأنّ الناس فيها بل في كلّ جبل عامل، من حيث أتى أكثر تلاميذه كانوا في أقصى التضامن معه، ولتُضف هذا إلى ما قلناه في الطيف الأوّل من هذه الأطياف الثلاثة عن العلاقة الحميمة التي قامت بينه وبين الأكثرّيّة، ولم يشدّ عنها إلّا من ذكرناه في مطاوي هذا البحث.

ويقول الشهيد الثاني في شرحه على اللمعة الدمشقيّة:

ونُقل عن المصنّف ﷺ أن مجلسه في دمشق ما كان يخلو غالباً من علماء الجمهور، لخلطته بهم وصحبته لهم، قال، فلما شرعتُ في تصنيف هذا الكتاب كنتُ أخاف أن يدخل عليّ أحدٌ منهم فيراه، فما دخل عليّ أحدٌ منذ شرعتُ في تصنيفه، إلى أن فرغتُ منه. وكان ذلك من خفيّ الألفاظ^٢.

والحكاية نفسها - وإن في سياق مُختلف - في مختصر نسيم السحر، ودلالة ذلك في غير حاجةٍ إلى مزيد بيان.

١. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٢. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.

السبب الثالث: إن النص يأتي على ذكر أربعة كتب للشهيد بأسمائها، واحد منها معروف، يُسميه جامع البين، وتمام اسمه جامع البين من فوائد الشرحين^١، ولكن الثلاثة الأخريات غير معروفة إطلاقاً، ولم يذكرها الشهيد في الإجازات المُتعدّدة التي صدرت عنه، وهذا أمر مُحيرٌ حقاً، فلا نحن نجد سبباً للقول أن الجميع قد تجاهلوا بما فيهم مُصنّفها ولا سبباً لاتّهام محمّد مكّي وضماً بالتدويني مؤلف نسيم السحر بالإختلاق أو الإشباه، وسنكتفي الآن بإيراد هذه الملاحظة تاركين الأمر لمن يتناول الأمر بعدنا من الباحثين عسى أن يقعوا على ما لم نقع عليه، أو يلتفتوا إلى ما لم نلتفت إليه.

إلى جنب ذينك المعارضين شخصُ ثالث لا يُذكر من قبل كلّ الذين ترجموا للشهيد، وإنّما تنفرد بذكره المآثورات الشفويّة المُتناقلة في جبل عامل وهو الشيخ محمّد الياوشي، نسبةً إلى قرية من قراه في إقليم التفاح، على ميل من قرية الزريريّة وهي الآن خراب وفيها بُرج لا يزال قسم منه حتّى اليوم قائماً اسمها بُرج يالوش والظاهر أنّها اكتسبت اسمها من ذلك البرج، وأوّل ذكر مُحرّر للياوشي بالإشارة دون الاسم هو في أنيس المسافر وجليس الحاضر المنشور بعنوان كشكول البحراني للشيخ يوسف البحراني (١١١٧-١١٨٦)، حيث قال: «بُرج يالوش الذي ادّعى النبوّة وقتله الشهيد الأوّل، وقتل بسببه قدس الله روحه»^٢، إذن فهو يرجع إلى أواسط القرن الثاني عشر للهجرة، وهذا يدلّ على أنّ هذه الرواية كانت حيّة مُداولة حتّى ذلك التاريخ.

ذلك الرجل هو الوحيد من بين أولئك الثلاثة الذي يحمل لقب الشيخ، والرواية الشفويّة لا تضنّ علينا بالتفسير لهذا الامتياز فتقول أنّه كان من تلاميذ الشهيد أي أنّه كان فقيهاً وهو تفسير كافٍ ومُقنع، وتتابع قائلةً سبب خروجه على أستاذه أنّه وقع بيد الشهيد كتاب شعوذة فأعطاه لليالوشي ليُتلّفه فأخفاه وتعلّم منه الشعوذة، فصار مُشعوذاً وادّعى النبوّة، وأنّ الشهيد حاربه وقتله، ويُقال: إنّ قبور شهداء تلك الواقعة ما تزال معروفة في جبل عامل قرب مدينة النبطيّة^٣.

١. انظر تعريفاً مفصلاً بالكتاب في الفصل الأوّل من الباب الثالث، ذيل جامع البين.

٢. كشكول البحراني، ج ١، ص ٤٢٩.

٣. خطط جبل عامل، ص ٢٠٠.

أما السبب فهو سخيّف وتافه، ولا يستحقّ الوقوف عنده، والقضية في سببها المزعوم وفي نتائجها أكبر من ذلك بكثير، والرواية تحمل سمات التفسير الشعبي الساذج، ولا غرابة في ذلك بعد أن عرفنا أنّها من المنقولات الشفويّة.

لكن النتيجة مختلفة جداً في دلالتها، فهي تدلّ على أنّ اليالوشي أثار عاصفة هوجاء في وجه أستاذه، ممّا اقتضى حرباً سقط فيها الكثيرون من الذين لا تزال قبورهم بالفعل حتّى اليوم حيث ذكر النصّ، كما يُقيم النص نفسه علاقة سببيّة بين شكوى هذا اليالوشي وبين قتله الشهيد.

وسنعالج هذه النقطة في الفصل المُخصّص لأسباب قتله فيما يأتي إن شاء الله. فهذا ما يتصل بأولئك الثلاثة المُرتدّون. ومنه نُرجّح أنّ وصف مُرتدّ لهم لا يُراد منه المعنى القرآني الذي يأوّل إلى الكفر بعد الإسلام، بل معنى آخر يعود إلى مُجمل الوضع الثقافي - الاجتماعي الذي نجح الشهيد في بنائه وغدا صبغة المجتمع الشيعي ثمّ جاء أولئك الثلاثة ليهدموا ما بناه، لا لشيء إلاّ لأنّه حرّمهم أو لم يمنهم لسبب أو لغيره المواقع أو الإمتيازات أو المنافع التي يطعمون بها، الأمر الذي رأى فيه الناس ارتداداً أو نكوصاً إلى الوراء نحو مرحلة من تاريخهم القريب والبعيد لا يمكن وصفها بأقلّ من أنّها أزمة بكلّ المعاني، فكأنّها في قوّة تعبيرها ردّة.

٢. علاقاته الخارجية

نعني بـ«الخارجيّة» كلّ ما هو غير داخلي، حيث الداخلي يعني، كما عرفنا، شبكة علاقاته في لبنان سواءً منها ما هو من خطته أو ما فرض عليه فرضاً بحكم الأحوال القائمة سياسيّة واجتماعيّة، أما الخارجيّة فتعني، عملياً شبكة علاقاته في دمشق وبعليّ بن المؤيّد الخراساني.

أ) علاقاته بالسلطة في دمشق

كانت دمشق في أيّام الشهيد العاصمة الثانية للدولة التي يحكمها المماليك، والتي تتألّف من

قطرين رئيسيين مصر و الشام، وكان عاملها يُلقَّب بـ«الكافل» و«النائب»، أي نائب السلطنة، تمييزاً له عن غيره من الولاة الكثر، وإشارةً إلى أنه يأتي بعد السلطان مباشرةً بدرجة. وكانت الشام تشمل ما هو اليوم سورية و لبنان و فلسطين و الاردن و أجزاء من تركية، كما كانت مُقسمة إلى ست ولايات تُسمَّى كُلُّ منها مملكة أوسعها رُقعة مملكة دمشق. أما الإدارة فكانت مركزية بمعنى أن القرارات في إدارة كامل شؤون النيابة ينبغي الرجوع بشأنها إلى النائب في «دمشق».

أما جهاز الإدارة فيها فكان يتولاه ثلاثة أنواع من المسؤولين أو كبار الموظفين بإشراف النائب طبعاً، أعلاهم رتبة أصحاب السيوف. وهم جميعاً من العسكر المملوكي، يليهم الموظفون المدنيون الذين عليهم تنظيم وضبط وحفظ القيود والسجلات، ثم أصحاب الوظائف الدينية الذين يتولون شؤون الأوقاف والقضاء ومُختلف الأمور الحسبية.

جزين بلد الشهيد كان من ضمن مملكة صفد، ولكنه في شؤونه الإدارية والقضائية اليومية كان مثل كل جبل عامل تابعاً لمدينة صيدا حيث مقرّ الوالي المحلي والقاضي. نقول كل هذا - وإن كان قد يبدو للقارئ إطالة في غير محلها - لنساعده على أن يتصور صعوبة وتعقيد بناء علاقة طيبة وهادفة مع هذا الجهاز البالغ التعقيد بما فيه من منازع متباينة في مقاصدها وتوجهاتها وسلوكياتها، وفي الوقت نفسه ضرورة بناء علاقة كهذه لرجل غدا زعيم قومه وموجههم من ضمن خطة تعمل على إعادة بناء مجتمعه المُنهك المأزوم بناءً فكرياً واجتماعياً وسياسياً، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أن أفكار الشهيد وبعض أعماله تسير في اتجاه معاكس تماماً للسياسة المملوكية المبنية على مبدأ التفويض، حيث يُبايع عباسي النسب بالخلافة ليفوض من وقع عليه الاختيار أو فرض نفسه بالقوة من الأمراء المماليك بالحكم، وبهذه الآلية يغدو سلطة شرعية، ومما هو غني عن البيان أن الشهيد حين منح الفقيه ما ذكرناه فيما فات من سلطات واسعة تشمل فضّ الخصومات وتنفيذ الأحكام مع المُكنة وجباية الأخماس كان ضمناً يؤسس لسلطة موازية، ومن هنا قلنا إن من أعماله ما يسير في اتجاه معاكس لسياسة الدول، والأمر نفسه يصح بالنسبة لفقهاء السلطة الذين لا ريب في أنهم لم يكونوا مُرتاحين لبروز هذا الفقيه الشيعي بما يحمل من أفكار وبما عمل عليه من خطة نهضوية للشيعية.

ومع ذلك ويا للعجب فقد نجح في بناء علاقة وديّة مع الإثنيين، نجح في بناء علاقة مع رجال الدولة، ونجح في بناء مثلها مع الفقهاء في دمشق، وسنقول ما عندنا على هذا وذاك. بالنسبة لعلاقته مع رجال الدولة في دمشق فإن أوسع مادة على هذا نجدها في مختصر نسيم السحر، فهو يُصوّر نائب السلطنة بيدر عند أمر الشهيد، وحامياً له في وجه فقهاء المدينة، الذين ما انفكوا عن تدبير صنوف المهالك له، ولكن النائب كان دائماً لهم بالمرصاد ليتدخل في الوقت المناسب ويُنقذه ممّا يحيكونه له أو ينتقم له منهم، فهو يستجيب لطلب الشيخ فيأتي بعسكره إلى جبل عامل لحرب خصمه الخيامي، ثمّ إنّه يُخرجه من السجن بعد أن حُبس فيه مدّة بسعيهم ويُخيره في الإقامة أينما شاء، كما يهرع مُسرّعاً من القدس إلى دمشق بعد أن علم بطريقة إعجازيّة بقتله بتدبيرهم ويأمر بمعاقتهم وبنناء قبة عظيمة على قبره^١، وهذا كلّه يدلّ على علاقة من أحسن ما يكون، تصل إلى حدّ الرعاية الشخصية.

لكننا نشكّ في صحّة تلك المادة وأكثر، لِمَا فيها من أمور غير معقولة، كسقوط ورقة بدويّ عظيم في مجلس بيدمر تُخطره بقتل الشهيد، أو تُجافي ما نعرفه عن علاقة الفقهاء بالسلطة المحليّة العليا وآليات عمل كلّ منهما بوصفهما سلطتين مُتوازيتين، ونظنّ أنّ أساسها من تدبيح السلطة، ابتغاء علاج حالة الغضب العامّ بسبب قتل الشهيد، بتصوير الجريمة من فعل مجهول ودون رضی منها، ثمّ تناولها الخيال الشعبي في أوساط مُحبّيه، لأنّها مبعث رضی له، فأضاف وزين. ثمّ جاء مُصنّف نسيم السحر فأثبتها ببراءة فيما علّقه على سيرة شيخه، ومثل هذه الفذلّة المفزوحة حصلت أيضاً على أثر قتل العثمانيين الشهيد الثاني^٢، ولذلك فإننا سنكتفي من هذه المادة بما قلناه إثباتاً ونقدادون ترتيب أيّ أثر عليها.

المادة التي تستحقّ ممّا أقصى العناية فيما يخصّ الإشكاليّة التي نعالجها الآن نجدها في القصيدة التي كتبها الشهيد من سجنه في قلعة دمشق يُخاطب فيها بيدمر^٣، ولنتكلم أولاً في سند القصيدة، لأنّ الإفادة ممّا فيها متوقف على صحّة نسبتها له.

١. مختصر نسيم السحر ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٢. ستّة فقهاء أبطال، ص ١٦٧ - ١٦٩.

٣. نضها في الفصل الثالث من الباب الثالث من هذا الكتاب.

أعلى مَنْ رواها، بقدر ما بحثنا، الخوانساري في روضات الجنّات. قدّم لها بقوله:
 ليُعلم أنّي رأيتُ بخطّ شيخنا الشهيد الثاني على ظهر مجموعة من الرسائل النفيسة كانت
 جميعها بخطّه الشريف يقيناً، رواية منظومة أُخرى للشّيخ الشهيد شمس الدين بن
 مكّي رحمته في بيدمُر لَمّا حبسه في قلعة دمشق^١.

ثمّ يورد القصيدة، إذن فالسند وجادة عن الشهيد الثاني «يقيناً» على حدّ قول
 الخوانساري، وهو سند جيّد يؤيِّده ما في متن القصيدة من خصوصيات خفيّة من سيرة
 ناظمها، بمعنى أنّنا لا نجد لها ذكراً في كلّ ما كُتب عنه ولا يطلّع عليها إلاّ صاحبها، الأمر
 الذي يجعل احتمال نحلها وادّعاءها عليه ضعيف جداً، خصوصاً وأنّه لا مصلحة لأحد في
 عمل كهذا.

ولكن ومن جهة أُخرى وما دمنا نستخدم منهج النقد الداخلي للنصّ، فإنّنا نلاحظ أنّ
 القصيدة ركيكة ضعيفة التراكيب، بالقياس إلى ما نعرفه من شعر الشهيد، وتفسير ذلك غير
 عسير، ذلك أنّه كتبها في ظرف صعب، وهو قيد السجن، عبّر عن ذلك الخوانساري تعبيراً
 طريفاً. حيث سمّاها بـ«القصيدة الفزعية»، كما أنّه ضمّنها أموراً اقتضاها المقام وطبيعة
 الخطاب، ومعلوم أنّ من أسباب قوّة الشعر صدقه، وأنّ المُستأجرة ليست كالثكلي، وعليه
 نقول: إنّ عناصر صحّة نسبة القصيدة إليه قويّة إلى حدّ كافٍ، فلننتقل إلى قراءة نصّها باحثين
 عن إشارات إلى علاقة صاحبها برجال الدولة في دمشق.

أولّها: في قوله في البيت الثاني، والخطاب لبيدُمُر: «إنّي أراعي لكم في كلّ آونة» التي
 تشير إلى سوابق حصلت بينه وبين النائب راعاه فيها الشهيد. أي عمل فيها بما يُسرّه
 ويُرضيه وها هو يُدِلّ عليه بها، وهو معنى عام، ولكنّه يدلّ إجمالاً على ما قلناه، وإنّما
 لم يذكرها صراحةً لأنّه يفترض أنّ المُخاطب يعرفها حقّ المعرفة.

ثانيها: في قوله في البيتين الحادي والثاني عشر:

فكن كمنجك بلّ الله أعظمه وزادك الله عزّاً ليس ينحصر
 أتى إليه زواة السوء إذ أفكوا فحين حقّق أردادهم بما ذكروا

وفيها أن النائب السابق الأمير الكبير العادل سيف الدين منجك (ولي: في ٢٥ جمادى الآخرة ٧٥٤ - يوم عرفة من السنة نفسها، ثم في شهور سنة ٧٧٠ - إلى شوال ٧٧٥) سعى لديه «رُواة السوء» بالشهيد. فناصره وأردى (قتل؟) الساعين، وهي تدلّ على علاقة متينة جداً بين الإثنين. والواقعة المشار إليها غير مذكورة في كل ما كتب على سيرة الشهيد، وهي صحيحة دون أدنى ريب.

ثالثها: في البيت الثالث عشر وفيه يستشهد على صحّة ما قاله في البيتين السابقين بأحد الأمراء يُشير إليه بـ«نجل العسكري» وكان يشغل منصب الحجابة وهي من الوظائف الهامة في الإدارة المملوكية ولم نعر بعد البحث في مصادر الفترة على ما يزيدنا معرفة بهذا الأمير، ولكن استشهد الشهيد به يدلّ على أنه كان يأمن جانبه على الأقلّ.

رابعها: في البيتين ما قبل الأخير وفيها يذكر أنه كان من دأبه الحجّ كلّ عام، وأنه في حجّته الأخيرة كان في معيّة «محمد شاه» ابن النائب بيدمر، وهذا يدلّ أيضاً على علاقة متينة بهذا الابن، وضمناً على علاقة مُماثلة بأبيه، ذلك أنه لو لم يكن مقبولاً عند الأب لما أقدم ابنه وربما أبوه على ضمّه إلى حاشيته في هذا الطريق، الذي كان تشكيل وفد كهذا فيه يخضع لاعتبارات سياسية معروفة.

نخرج من هذه القراءة بمعلومات طريفة عن الشهيد وهي من الجانب غير المرئي من سيرته كما تعرّضها مختلف المصادر، وهي أنه ما بين السنتين ٧٧٠ و ٧٨٥، أي على مدى خمس عشرة سنة على الأقلّ كانت له علاقات واسعة بأعلى رجال الدولة في دمشق وذلك أمر يجب أن يكون مفهوماً جداً، فالذي يطلب ما طلبه ويعمل على ما عمل عليه لا يُعقل أن يفترض أنه في جزيرة معزولة وأنه يستطيع أن يتجاهل السلطة التي تبسط سلطانها على كامل منطقة نشاطه.

ومن ذلك أيضاً وأيضاً أنه كان كثير التردّد على العاصمة الإقليمية دمشق حيث التقى القطب الرازي سنة ٧٦٦، وابن الخازن الحائري سنة ٧٨٤ وحيث صنّف أشهر كتبه اللّمعة الدمشقية، ثم كان من تصاريف المقدور أن نال فيها درجة الشهادة.

(ب) علاقته بفقهاء دمشق

فأول ما ينبغي علينا أن نلاحظه مع تحفظنا عليه ما قاله في مختصر نسيم السحر بعد أن ذكر من يُسميه «عباد بن جماعة» أنه يعني عباد هذا:

كان شريكاً له [يعني الشهيد] في أوائل التحصيل والدرس في المعقول والمنقول، كالنحو والمنطق والأصول، على بعض الشيوخ في الشام والقدس ومصر والغرب^١.

والكلام يأتي في سياق بيان سبب قتل الشهيد بزعمه، وما كان من دور وسعى لعباد فيه، وهو إن صحَّ يضع تاريخاً لبدء علاقته بفقهاء «الشام» على الأقلَّ يرجع إلى أيام بدء الطلب والتحصيل، وهي مرحلة غامضة من سيرة الشهيد كما عرفنا ممَّا علقناه على سيرته في القسم الأول من الفصل الثالث.

لكن ما يدعوننا إلى التحفظ الشديد على النصِّ هو ضعفه الشديد من عدّة جوانب:

الأول: أنَّ الشهيد لم يذكر أبداً أنَّه بدأ التحصيل في تلك البلدان وهو الذي لم يُخفِ ذكر من أخذ أو سمع منهم من علماء ومُحدِّثي السنَّة، بل إنَّه أسس في هذا نهجاً سار عليه من بعده كبار علماء المنطقة: الشهيد الثاني وبهاء الدين العملي والمُحقِّق الكركي.

الثاني: أنَّ «عباد» ذاك هو فيما يبدو شخصيةً خياليَّةً لم توجد ولم نثر له على ذكر في كافة كتب الطبقات والتراجم التي بين يدينا وهي كثيرة.

الثالث: ليس من المفهوم ماذا يعني بـ«الغرب» وقد احتملنا أن تكون قد أصابها التصحيف فعرضناها على كافة الاحتمالات الممكنة ولكننا لم نخرج من ذلك بطائل.

خلاصة التدقيق في هذا النصِّ أنَّه لا دليل على الإطلاق على أنَّ الشهيد بدأ صلته بفقهاء دمشق في مرحلة مُبكرة من حياته، وحتى أثناء رحلته العلميَّة الواسعة بعد خروجه من الحلة، فإننا لا نجد بين من استجازهم أو قرأ عليهم أيَّ ذكر لفقهاء أو مُحدِّث أخذ عنه أو سمع منه في دمشق، والفقهاء المنسوبان إلى بني جماعة وهي أسرة حمويَّة، نسبةً إلى مدينة

١. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

حماة في شمال سوريتي لقيهما في غير دمشق، استناداً إلى ما ذكره عنهما في إجازتيه لابن الخازن الحائري ومحمد بن نجدة.

ولكن من المؤكد أنه كانت له علاقات واسعة وطيبة بفقهاء المدينة، وذلك استناداً إلى شهادة أحد أكثر العارفين بسيرته ألا وهو الشهيد الثاني، حيث قال في مقدّمة شرحه الشهير على اللعة الدمشقيّة:

وَيُقَالُ عَنِ الْمُصَنَّفِ عليه السلام أَنَّ مَجْلِسَهُ بِدِمَشْقَ ذَلِكَ الْوَقْتُ مَا كَانَ يَخْلُو غَالِباً مِنْ عُلَمَاءِ الْجُمْهُورِ، لَخَلَطْتَهُ بِهِمْ وَصُحْبَتَهُ لَهُمْ، قَالَ: «فَلَمَّا شَرَعْتُ فِي تَصْنِيفِ هَذَا الْكِتَابِ كُنْتُ أَخَافُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَيَرَاهُ، فَمَا دَخَلَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَرَعْتُ فِي تَصْنِيفِهِ إِلَى أَنْ فَرَعْتُ مِنْهُ»^١.

وهو نصّ صريح وغنيّ على:

١. أنه كان له «مجلس» أي دار أو مكان منه، مُعدّ للزائرين، يُفتَح لهم عند حضوره في المدينة.

٢. أن رُوَاد «المجلس» كانوا من كثرة العدد بحيث إنه «ما كان يخلو غالباً من علماء الجمهور» وناهيك بهذه العبارة دليلاً على سعة صلواته بهم، وعلى أن صاحبه كان مقبولاً منهم، مكيناً لديهم، ومنهم - ولا ريب - صاحبه محمد بن محمد الجَزَرِي الدمشقي (٧٥١ - ٨٣٣)^٢ الذي أودع كتابه غاية النهاية تلك الشهادة الطيبة في حقّ الشهيد^٣. وهي أنموذج للانطباع الطيب الذي تركه الشهيد لدى فقهاء دمشق عدا فقهاء السلطنة طبعاً.

نخلص من كلّ هذا إلى أن الشهيد بنى علاقته بفقهاء دمشق بعد أن استقرّ به المقام في جزين، وأنّه كان من الدقة والتحفّظ بحيث إنه كان يُحاذر أن يُطلّعو على تصنيفه لكتاب في فقه الشيعة، هذا مع علمهم أنه «شيخ الشيعة والمجتهد في مذهبهم» على حدّ قول الجزري، والمهمّ - كما يُقال - أن تبتعد العين عن المخرّز قليلاً.

١. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.

٢. انظر الترجمة له في معجم المؤلفين، ج ١١، ص ٢٩١ - ٩٢. ومنها نعرف أن الجزري عاش الشطر الأوّل من

عمره في دمشق، حيث عرف الشهيد، وصحبه مدّة مديدة على حدّ ما قال.

٣. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

ج) علاقته بابن المؤيد

عرضنا فيما فات لبداية علاقة الشهيد بابن المؤيد^١ حيث أشرنا إشارة سريعة إلى الرسالة الأولى التي أرسلها إليه وقد ضاع نصّها من أسف، ووعدنا بالعودة إلى الموضوع في محله المناسب وهو هاهنا تحت عنوان «علاقاته الخارجيّة»، خصوصاً وأننا هنا نملك أطروحة واضحة تُبيّن دافع ابن المؤيد لمبادرته غير العاديّة التي تضمّنتها رسالته إليه والتي ما يزال نصّها الدقيق، فيما يبدو، بين أيدينا، كما أننا الآن نملك من المعلومات عن أعمال الشهيد ما يُساعدنا على تصوّر سبب لرفضه العرّض والدعوة مع أنّه عرّض مُعرّجٍ ووجيه.

الرسالة بما فيها من فذلكة و توجيه وعرّض تطرح عدّة أسئلة، لا بدّ لنا في سبيل استيفاء كافّة عناصر الموضوع من فصلها تحليلياً مقدّمةً لمعالجة كلّ منها على حدة، وقد أثبتنا نصّها في عداد الوثائق التي ألقناها بمتن الكتاب، وسنبداً بدراسةٍ على سندها، لأنّ الاستفادة من المتن تتوقف إلى حدّ بعيد على قوّة سنده، أي إثبات أصل صحّة الرسالة، وهذا واضح. ١. في سند الرسالة: بين أيدينا من نصّها عدّة نسخ خطيّة، أعلاها وأوثقها سنداً - وربّما أمّها جميعها - مخطوطة مكتبة مجلس الشوري الإسلامي في طهران ذات الرقم ٤٨٨٦، وهي نسخة من الروضة البهيّة بخط السيّد عليّ بن الحسين الصائغ الجزيّني (م ٩٨٠). وهو أحد أجلّ تلاميذ المُصنّف. نسخها سنة ٩٥٨، أي في حياة شيخه وعن نسخة بخطّه، وعليها إجازة بخطّ الشهيد الثاني لتلميذه الناسخ، وقد أورد في أوّل النسخة نصّ الرسالة^٢.

إذن فالنسخة تتمتع بقدر كافٍ من الوثاقّة، بالنسبة لمقاييس الوثائق التاريخيّة، تطمئنّ إليه النفس.

٢. في تاريخها: الرسالة كما وصلتنا غير مؤرّخة، ولكنّنا نعرف من مقدّمة كتاب اللّمة الدمشقيّة أنّه كتبه «إجابةً لالتماس بعض الديّانيين»، وما هو إلّا حامل الرسالة نفسها شمس الدين محمّد الآوي، هذا وقد أشار الشهيد الثاني في مقدّمة شرحه إلى أنّ تاريخ تأليف الأصل عام ٧٨٢. إذن فهذا هو تاريخ كُتب الرسالة يقيناً.

١. انظر القسم الثالث من الفصل الثالث من هذا الباب.

٢. انظر ما يأتي في الفصل الأوّل من الباب الثالث، ذيل اللّمة الدمشقيّة.

٣. في مُلابساتها: نعني بهذا العنوان أمرين: لماذا كتب ابن المؤيد الرسالة؟ ولماذا إلى

الشهيد دون غيره؟

والتساؤلان يتجهان مباشرةً إلى سريرة كاتبها، وهذا ومثله أمر يتجنبه المؤرخ الحكيم عادةً، لأنّ السرائر علمها عند صاحبها، وعند المُطلّع على السرائر سبحانه، لكن ما يهوّن الأمر علينا أنّ هاهنا سابقة يُمكن البناء عليها، وما من ريب في أن ابن المؤيد قد بنى عليها أيضاً. نشير بهذا إلى إعلان أولجايتو خدابنده محمّد (حكم ٧٠٣-٧١٦)، وهو ثامن إيلخانات فارس تشييعه وضربته النقود باسم الأئمة الاثني عشر عام ٧٠٨^١، وتبعه جمّع من العلماء والأمرء، ويُقال: إنّ تشييعه كان على يد العلامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهر، وعلى كلّ حال فإنّ من الثابت أنّ العلامة انتقل إلى إيران حيث أسّس وأشرف على عمل ما عُرف باسم «المدرسة السيّارة» لتجوب البلاد ناشرةً المعارف الشيعيّة^٢، وبذلك مهد لسلسلة من التحفيزات باتجاه التشييع كان آخرها الدولة الصفويّة التي أعادت توحيد إيران على قاعدة التشييع الإمامي.

إذن فهذه هي السابقة التي بنى عليها ابن المؤيد، وإذن فلا عجب أن يتطلّع هو أيضاً صوب الحلقة كما فعل سلفه قبل زهاء السبعة عقود، وهو يتأمل بحكمة ظاهرة في سبل أعمال القرار السياسي الذي اتّخذه، والهبوط به إلى مُستواه الطبيعي، أي إلى عامّة الناس عبر التبليغ، وهو وظيفة العالم.

هذا فيما يعود إلى أوّل التساؤلين.

أمّا لماذا إلى الشهيد بالذات مع وجود غيره من أجلة العلماء الذين كانت تحفل بهم الحلقة في ذلك الأوان، ومنهم أساتذة الشهيد وشيوخه ممّن أتينا على ذكرهم في الفصل الثالث، فهذا من الجانب غير المرئي من سيرة الإثنين ترجع إلى فترة مُبكرة منهما يوم كان ابن المؤيد يبني دولته العتيدة في إيران الطوائفيّة عبر سلسلة من المغامرات الصعبة، وكان الشهيد، القادم من بلده الفقير المأزوم يبني نفسه استعداداً للمهام الكبرى التي تنتظره ولكنها إجمالاً شهادة للثنتين: شهادة لابن المؤيد بالتصميم والتخطيط الدقيق، من موقع العارف بأسرار

١. حبيب السيّر، ج ٣، ص ١٩١-١٩٢.

٢. للتفصيل: أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٩٦-٤٠٨.

أزمة بلده، وشهادة للشهيد بأنه بما لديه من شخصية صدامية مُبادرة أهل للمهام الكبرى، كان ذلك ما جمع بين الإثنين، ولكن في الوقت نفسه كان ما فرّق بينهما فاختلف طريقتاهما كما سنعرف بعد قليل.

٤، في متن الرسالة: كتبت الرسالة بلغة عربية سليمة، زينتها أبيات شعر، ممّا يدلّ على مستوى جيّد من الاحتراف، ولكن روحها فارسيّة تُذكرنا بأسلوب المُنشئين بالفارسيّة في ذلك العصر الذين دأبوا على تلميع نثرهم بالشعر بما يؤكد ويتناسب مع معنى النثر، ولا غزو في ذلك^١.

بعد السلام بثلاثة أبيات أصليّة، أي أنّها نُظمت خصيصاً للرسالة، تخلص الصياغة إلى الثناء الطويل على المُرسَل إليه: «العالم العامل، الفاضل الكامل... الخ.» وتنتهي بتلميح كأنه يدقّ على الوتر الحساس للشهيد: «مدّ الله أطناب ظلاله بمحمّد وآله في دولة راسية الأوتاد»، وكأنّ بل إنّ مُمليها يعرف الظروف الصعبة التي يضطرب فيها في ظلّ دولة أقرب إلى العدا، هو ذا إغراء صريح يستفيد من المُقارنة بين هوية الدولة التي يعيش الآن في ظلها، والدولة التي بانتظاره، وكأنه يقول هنا الحذر والترقب والمخاطر الكامنة، أمّا هناك فإنّه سيُمدّ ظلاله في دولة راسية الأوتاد.

تنتقل الرسالة بعدُ إلى وصف أحوال «شيعة خراسان» وأنّهم «مُتعتشون إلى زُلال وصاله» و«قد مزّق شملهم أيدي الأديار»، و«فرّق جُلّهم بل كلّهم صُروف الليل والنهار»، و«أنّهم يسألون الله تعالى شرف حضوره»، ويخلُص إلى القول: «نحن نخاف غضب الله على هذه البلاد لفقدان المُرشد وعدم الإرشاد».

وفي الختام التأكيد على «أن يتفضل علينا ويتوجه إلينا، مُتوكِّلاً على الله القدير، غير مُتعلّل بنوع من المعاذير، فإنّا بحمد الله نعرف قدره ونستعظم أمره».

من الواضح أنّ الرسالة صيغت بذكاء، وأنّ مُمليها كان يعرف جيّداً كيف يُخاطب الشهيد، سواءً من حيث إشارته إلى الظروف المُحيطة به في بلاده، أم من حيث المكانة العالية التي بانتظاره والواجب الذي يناديه في خراسان.

١. يقول زين العابدين مُحبّي في مشاهير شعراء إيران الناطقين بلغة الضاد، ج ٢، ص ٩: إنّ الرسالة من إنشاء الشاعر والمُنشئ محود بن يعين (م: ١٣٦٧/٧٦٩ م). ولكنّه لم يُسند قوله إلى مصدر يُعتَمَد.

ومع ذلك فقد كان للشهيد وجهة نظر مُختلفة، فاعتذر عن عدم تلبية الدعوة السخية، واكتفى بتصنيف كتابه الطائر الصيت اللمعة الدمشقية وسلمه للرسول المُنتظر ليوصله للسلطان، وربما يُعوّض عن حضوره الشخصي، ولكننا ما نشكّ أنّه كان يعرف جيداً أن لا شيء يُعني عن حضوره أو حضور منثله ليقود ويُوّجه ما بدأه ابن المؤيد.

٥. في سبب رفض الشهيد: والسؤال المُفتَرَض هنا يتوجّه أيضاً إلى سريرة صاحبه، وهو الأمر الذي عبّرنا فيما فات بوضوح عن حذرنا وتحذيرنا من الخوض فيه، ولكن ما يُهون الأمر هنا أيضاً أننا نفترض أن شخصاً كالشهيد الذي لم نرّمه إلا كلّ دقة في العمل، وتبصّر في الإحاطة بالظروف المُحيطة به، وحساب تحرّكاته على ضوئها، لا بدّ أنّه كانت له أسبابه الموضوعية الكامنة وراء الرفض.

ما سنحاوله هنا هو اكتشاف تلك الأسباب الموضوعية، أو على الأقلّ احتمالات منها، وذلك استناداً إلى ما قد أصبحنا نعرفه ويعرفه القارئ من سيرة الشهيد وأعماله في وطنه، وأيضاً استناداً إلى بعض ما نعرفه من مجاري الأمور في خراسان، ذلك أنّه إن كان ثمة أسباب موضوعية - كما تُرجّح - لرفضه فيجب أن تكون في أحد هذين المكانين.

بالنسبة لوطنه فإنّ القارئ الحصيف قد غدا الآن عارفاً بالعمل الكبير الذي قاده الشهيد، بحيث إنّنا نستطيع أن نقول بكامل الثقة - ودون أي مُبالغة - أنّه قاد ثورة حقيقية بالمعنى الثقافي للكلمة، لقد نجح في نقل وطنه وشعبه من حالة الأزمة المُستحكمة التي كانت تُطوّقه وتأخذ بخناقها إلى فضاء استعادة الذات والذاتية، والحقيقة التي ينبغي أن نُؤكد عليها ونحن نتأمّل في هذه الإشكالية أنّ الرجل قد أصبح الآن في قلب عمل أكبر منه بكثير، مع أنّه هو الذي خلقه، هكذا الأعمال التغييرية الكبرى لا بدّ أن تصل إلى تلك اللحظة التي تتجاوز فيها أصحابها وقادتها، دون أن يعني ذلك أبداً أنّها قد أصبحت في غنى عنهم، كلاً، بل إنّ العكس هو الصحيح، إنّها في حجمها الكبير، ومقتضيات ضبط مُختلف الاتجاهات التي ستنمو حتماً في داخلها، يجعلها بحاجة إلى رعاية أكبر، وقديماً قيل: إنّ المُحافظة على القلاع أكثر صعوبة من الاستيلاء عليها.

امرؤ في مثل هذا الموقع الدقيق كيف يمكن أن يُدير ظهره لكلّ شيء ويمضي! خصوصاً وأنّ خطوته في هذا الاتجاه ستكون - على الأرجح - خطوة لا رجوع فيها. هذا احتمال.

أما الثاني فهو كامن في الأحوال السياسيّة التي كانت قائمة في بلاد خراسان وما وراء النهر. لقد نجح السربداريون في بناء دولة في خراسان و دامغان، ولكن كان غير بعيدٍ عنهم تيمور لنك، القابع في عاصمته سمرقند، يتحفز لبدء سلسلة فتوحاته الواسعة التي أدخلته التاريخ بوصفه أحد أعظم الفاتحين، وبالفعل لم تمضِ أشهرٌ قليلة بعد تاريخ الرسالة حتّى خرج على رأس جيوشه الجرّارة واجتاح إيران و آسية الصغرى إلى أن وصل إلى دمشق. وكانت الدولة السربداريّة وسلطانها ابن المؤيد من أولى ضحاياه.

لكن ها هنا سؤال يطرح نفسه: هل كان الشهيد على اطلاع على هذه التي كانت عندما تلقى دعوة ابن المؤيد مُجرّد تهيؤات كي نقول: إنّه رفض تلبية دعوته بسببها؟ السؤال وجيه، والحقيقة إننا حاولنا تكوين فكرة عن الظروف التي كانت سائدة آنذاك في المنطقة، وخصوصاً ما يتعلّق منها بتيمور ونشاطاته بقرارات واسعة في مصادر تاريخها في ذلك الأوان، لعلّها تعيننا على الإجابة على هذا السؤال، فلم نخرج بطائل تطمئن إليه النفس، على أنّنا نعرف إجمالاً أنّ ما من حدث كبير بحجم أعمال تيمور العسكريّة الكبرى التالية إلّا وتسبقه إرهابات وإنذارات وإرجافات، ولكن يبدو أنّ كلّ هذه لم تلتفت أنظار المؤرّخين، أو بالأحرى لم تكن محلّ عنايتهم.

وعلى هذا فإنّ الاحتمال الأوّل يبقى الأقوى، والله العالم.

خلاصة الفصل

بالنظر لمقتضيات مشروعه وعمله فقد وجد الشهيد نفسه داخل شبكة مُعقدة من العلاقات، بعضها ممّا عمل عليه، والآخر ممّا فرض نفسه عليه فرضاً، قسمناها تسهيلاً لدراستها إلى قسمين:

القسم الأوّل: شبكة علاقات داخلية، أي بالشيعية فيما يُعرّف اليوم بלבnan. وهم كانوا من أطراف ثلاثة:

أ) الأكثرية التي وجّه جهوده إليها، ونشر الفقهاء من تلاميذه في أوساطها، وعمل على تنظيمها وتوجيه نشاطها.

ب) المُتسنّنون، وهم فريق من الشيعة تأثروا بالضغط السكاني والهيمنة السياسيّة للترکمان، فتحوّلوا إلى مذهب الغالب، وهم من أهل السواحل، ولقد كان هؤلاء المُشكلة الأكبر التي عانى منها دائماً في مشروعه النهضوي.

ج) المُرتدّون، وقد ارتضينا لهم هذا الاسم انسياقاً مع مُفردات لغة العصر، وهو لا يعني الكفر بعد الإسلام، وإنّما «المُرتدّون» إلى ما تجاوزه الشهيد بالشيعة بأعماله، أي ما يُشبهه ما تعنيه اليوم كلمة «الرجعيّون»، وقد كان لهؤلاء قيادات عملت كلّ ما في وسعها لمُضادّة الشهيد، وقد وصفنا أعمالهم.

القسم الثاني: شبكة علاقات خارجيّة. أي بمن هم خارج وطنه. وهي أيضاً من ثلاثة

جهات:

أ) السُلطة في دمشق التي يبدو أنّه بنى معها علاقة طيّبة استمرّت زمناً.

ب) الفقهاء في دمشق أيضاً الذين كان معهم في أطيب حال عدا فقهاء السُلطة.

ج) عليّ بن المؤيّد الخراساني الذي أرسل رسولاً يستدعيه إلى خراسان. وقد درسنا

رسالته دراسة دقيقة.

الفصل السادس لماذا قتل الشهيد؟

تمهيد

عرفنا في الفصل السابق أن الشهيد بنى من حوله شبكةً من العلاقات الخارجية الطيبة، نخص بالذكر بالسلطة في العاصمة الإقليمية دمشق، وأيضاً بعددٍ جمٍّ على الأقلٍ من فقهاءها، وكان له فيها مجلس مقصود منهم، وأنه كان يُقيم فيها ممدداً متفاوتة، وهذا يدلُّ على أنه لم يكن يخشى منها بأساً، بل على أنه كان يأمن جانبها أي جانب السلطة السياسية وجانب السلطة الدينية معاً.

ثم إذا بدمشق كلها بساستها وفقهاءها - وكأنما فجأةً - تقلب له ظهر المِجنِّ، وتدبر له محاكمة مهلكة تؤدِّي به إلى القتل، بل إلى ما هو أشدّ فظاعةً، فقتل بالسيف ثم صُلب ثم أُحرق، كما عرفنا من ختام الفصل المُخصَّص لسيرته.

والسؤال: لماذا؟ ما الذي جري فحوّل الأمور من حوله على هذا النحو الدرامي؟ فكأننا نقرأ فصول مسرحية مأسائية قد أحسن كاتبها حبكها فجاءت مُحركةً لعمق مشاعر الحزن والألم. هو ذا نحن الآن بما نظرته نعود إلى الغوص في سرائر البشر، فكأنما كُتِب على الباحث في سيرة الشهيد أن يخوض دائماً المياه العميقة حيث تكثر المخاطر والمزالق، وهذا دليل ساطع لا ريب فيه على عظمة الرجل، فالذي يُحرِّك الأعماق يركب المخاطر وقد تنال منه. ثم إنَّ مَنْ يُحاول قراءته من بعده لا يجد مفرّاً من الخوض حيث خاض، ولو أنه قنع بالضحل واليسير لاستراح وأراح.

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الاجسام

لكن ما يُهَوِّن علينا الأمر هنا أيضاً أنّ الجُنَاة وَمَنْ تكلّم بلسانهم قد سجّلوا كلاماً كثيراً وهم يُحاولون جاهدين تبرير جريمتهم النكراء، ونحن سنؤدّي عمل قاضي التحقيق، فنقرأ الوقائع التي كانت السبب في انتقاض الأمور وبدأ الآليّة التي انتهت بقتله، ونزواج ونقارن بين أقوال الجُنَاة ومن شاركهم بجريمتهم بالرضى عنها، لا لندينهم فهم مُدانون على كلّ حال، وإنّما لنكتشف الدوافع الحقيقيّة للجريمة الخبيثة وراء الوقائع الظاهرة.

١. في الوقائع

في اليد ثلاث رواياتٍ أساسيّة:

الأولى: رواية محمّد مكّي في مختصر نسيم السحر:

وهي أوسع رواية عنيت ببيان الوقائع، وهي رواية طويلة جداً تبلغ ما يزيد على الألفي كلمة، وبدأها بقوله: «ولقتله أسباب»، ثمّ شرع في بيان تلك الأسباب سبباً سبباً، ولذلك فإنّنا لن نقتبس نصّه كي لا نطيل دون طائل، ولكنّنا سنكتفي بالوقوف على أهمّ ما فيها، ويبدو من طريقة إيرادها، وخصوصاً من ترتيبها زمنياً، أنّه يُريد أنّها كانت ذات صفة تراكميّة، أي أنّها بتراكمها قد أدّت إلى القتل. وعليه فإنّنا سنوردها وفقاً للترتيب الذي جاءت به تسهيلاً لدراستها فيما يأتي.

١. أنّ فقيهاً شافعيّاً اسمه عبّاد بن جماعة، كان شريكاً للشهيد في أوائل التحصيل، فدفعه الحسد إلى أن اتّهمه بالرفض، وأخذ يُشنع عليه عند علماء السنة وعند الملك بيدمر.
٢. أدّت مساعي عبّاد إلى حبس الشهيد في القلعة سنّة كاملة خرج في نهايتها بأمرٍ من السلطان برقوق مكرّماً معظماً بعد أن كتب رسالة إلى نائبه في الشام بيدمر ضمّتها قصيدة مدحه واستنصره فيها، وهي غير التي أوردناها في الوثائق الملحقة بمتن الكتاب، وبعد أن نظم مجلس مُناظرة بينه وبين فقهاء دمشق. ظهر منها براءته ممّا ألصق به، وخيّره في الإقامة أتى شاء.
٣. انصرف الشهيد بعد ذلك إلى العمل مُطمئنناً، وخصوصاً إلى التدريس، مُوزّعاً وقته بين دمشق وصيدا وبعلبك، إلى أن خرج عليه تقيُّ الدين الخيامي البابلي الذي «فعل أشياء بالسحر والشعبذة... وأكثر القرى مالت إليه. خصوصاً في السواحل، وقد انتهت أعماله بقتله.

٤. على الأثر خرج عليه يوسف بن يحيى الذي عمد إلى خطة أكثر دهاءً، ابتغاء تحريض السُلطة عليه، فدأظهر بعض مُصنّفاته ممّا يظهر منه تشييعه» و«كتب محضراً شنع فيه عليه بأنّه شيعيٌّ وعمدّة الشيعة ومرجعها، وكتب معه ووافق على الارتداد عن مذهب الإماميّة والخروج عن طريق الحقّ سبعون رجلاً من الجبل وألف رجل من السواحل، ممّن كان ظاهرهم التسنن»، وعرضوا ما كتبوه على عدد من القضاة، وعقد له مجلس في القدس. وبالتّيجة أعلن السلطان برقوق براءته، وأمر برده إلى الشام [أي دمشق] وإلى حيث شاء. فرُدّ إلى دمشق وأقام بها مدّة من الزمان.

٥. في دمشق حيكت ضده مؤامرة (نلاحظ هنا أنّ الفاعل مجهول)، فترقّب حضوره إلى المسجد لصلاة الجمعة، وعمد إلى وضع أوراق في حذائه، كُتِب فيها أسماء العشرة المُبشرة، الأمر الذي أدّى إلى ثورة العوام، فقتلوه ثمّ صلبوه ثمّ أحرقوه، ثمّ «وضعه في مكان ودفنوه في عصريّة يوم الخميس تاسع جمادى الأولى سنة ٧٨٦».

الثانية: رواية المقداد بن عبد الله السيوري التي وردت بتمامها في الفصل العاشر من الباب الأوّل من هذا الكتاب^١.

الثالثة: رواية ابن قاضي شهبة (م ٨٥١) التي وردت بتمامها في الفصل العاشر من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

الجمع بين الروايات

أوّل ما نلاحظه أنّ روايتي ابن مكّي والسيوري أغني فيما يتعلق بالأسباب الأوّلى، التي أدّت إلى وضع السُلطة يدها على القضية وبدء إجراءات المحاكمة، في حين أنّ رواية ابن قاضي شهبة أغني وأدقّ فيما يتعلق بإجراءات المُحاكمة نفسها، وليس في هذا ما يفاجئنا، فهذا القبيل من النصوص خاضع لخبرات صاحبه حيث يدخل عامل المكان، فأنتى لفقّيه في جزين أنّ يطّلع على ما يجري في دمشق، وأنّى لمؤرّخ دمشقي أنّ يعرف تفصيلات ما اضطرب فيه الشهيد في وطنه.

١. مع الإشارة إلى أنّ هذه الرواية هي أمّ كلّ الروايات الشيعيّة في هذا النطاق. وقد اقتبسها الحرّ العاملي في أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٣؛ والبحراني في لؤلؤة البحرين، ص ١٤٦-١٤٧ وغيرهما.

يتفق المصدران الشيعيان على وضع القسط الأكبر من المسؤولية في عنق قاضٍ شافعي يُسمّيان «عبّاد بن جماعة»، فهو الذي بدأ الحملة على الشهيد، وهو الذي رتب ما جرى من المحاكمة بحيث صدر الحكم بقتله.

فمن هو عبّاد بن جماعة هذا؟

الحقيقة أنّه لا وجود لشخص بهذا الاسم، وقد تتبّعنا كلّ المُنتمين إلى أسرة بني جماعة الحمويّة الأصل، نسبةً إلى مدينة حماة في شمال سورية، فلم نقع على شخص منها بهذا الاسم، واتّفاق المصدرين المذكورين على الاسم الغلط، يدلّ على أنّه كان ذائعاً على ألسنة الناس المفجوعين في جبل عامل، وانسياق البتديني، مُصنّف نسيم السحر، والمقداد السيوري، وكلاهما من تلاميذ الشهيد، مع هذا الغلط يدلّ على ضعف صلتهم بما جرى على الشهيد في دمشق، وأنّهما استفادا معلوماتهما من الأصدقاء التي كانت تصل إليهما من بعيد، وهذا يُفسّر لنا سبب الاختلافات الكبيرة بين روايتيهما، مع أنّه ما من شكٍّ أبداً في سلامة قصدهما وبراءة نواياهما، الأمر يرجع بكل بساطة إلى مَنْ صادف أن أدار كلّ من الإثنين أذنه، وأيضاً إلى شخصيّة كلّ منهما وليعتبر القارئ العبارة الأخيرة إشارةً -أقرب إلى الصراحة- إلى بساطة تفكير البتديني، ونقداً ضمناً لكلّ الخيالات غير المعقولة في نصّه.

مهما يكن، فإنّنا بالتنقيب في المصادر المعاصرة وخصوصاً في كتاب الثغر البسام في ذكر مَنْ ولي قضاء الشام لابن طولون الصالحي (م ٩٥٣) عرفنا أنّ الهيئة القضائية التي نظرت في قضية الشهيد وأصدرت الحكم عليه، تألّفت من:

القاضي الشافعي: برهان الدين، إبراهيم بن جماعة الكناني. الذي ولي قضاء الشافعيّة في دمشق من السنة ٧٨٥، حتّى السنة ٧٨٩^١.

القاضي المالكي: علم الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الدمشقي، وقد ولي القضاء فيها بين السنتين ٧٧٩، حتّى السنة ٧٨٩^٢.

١. الثغر البسام في من ولي قضاء الشام، ط. باسم: قضاة دمشق، ص ١١٢-١١٤.

٢. الثغر البسام في من ولي قضاء الشام، ط. باسم: قضاة دمشق، ص ٢٤٩.

القاضي الحنبلي: محمد بن حسن بن قاضي الجبل، ولي القضاء فيها من السنة ٧٦٧ ومات وهو قاضٍ سنة ٧٩٤^١.

هذا ولم نعرف سبباً لغياب أو تغييب القاضي الحنفي عن هذه الهيئة، وقد كان في ذلك الأوان أحمد بن إسماعيل ابن الكشك، ولي القضاء فيها بين السنتين ٧٧٧ - ٧٩٠^٢. وإتينا بعد التأكيد على التساؤل عن سبب غياب أو تغييب القاضي الحنفي عن الهيئة نقول: أولاً: من الثابت والمعلوم أنّ النظام القضائي كان في ذلك الأوان خاضعاً خضوعاً كاملاً للسلطة، أي أنّ القاضي لم يكن مُمتعاً بأيّ حصانة ممّا نعرفه في أيامنا، وكان تعيينه وعزله يتّمان بناء على أمر مباشر من السلطان، والويل كلّ الويل للقاضي الذي لا يُحسن إثبات ولائه المُطلق له.

ثانياً: من المعلوم أيضاً أنّه منذ زمن الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦) ذلك الداھية الذي وضع الأسس النظرية لدولة المماليك انفصل القضاء بحسب المذاهب المُعترف بها، وكان كلّ قاضٍ يختصّ بالنظر في شؤون وخصومات أبناء مذهبه لا يعدوها، ولم يكن القضاة يتشكّلون - أو بالأحرى يُشكّلون - بهيئة إلاّ بأمر من السلطة، ولأمر جليل تحتاج السلطة فيه إلى غطاء شرعي قوي مبني على إجماع ذوي الشأن، ولنتدبّر هنا في نصّ ابن قاضي شعبة قوله: «فاجتمع العلماء والقضاة»، أي أنّ الهيئة لم تقتصر على الفقهاء الرسميين، بل أضيف إليهم آخرون من غيرهم، ممّا يدلّ على أنّ السلطة كانت تسعى إلى الحصول على أقوى قرار مُمكن، وهذا أمر نادر جداً، والحقيقة إنني بعد طول البحث، لم أعرثر على واقعة مماثلة.

ثالثاً: إنّ اجتماع الهيئة تمّ في «دار السعادة» - كما صرّح ابن قاضي شعبة - المقرّ الرسمي لنائب السلطان في الشام، وهي بمثابة القصر الرئاسي في أي عاصمة، ومن هنا نعرف أنّ الاجتماع كان بمبادرة من النائب نفسه الذي يملك وحده الحق في الدعوة إلى قصره وهذا واضح.

إذن، نحن هنا أمام قضية سياسية كبرى تعاملت معها السلطة على أعلى مُستوى وأكاد أقول على مُستوى السلطان نفسه لولا أنّ النصوص تعول عن هذا، لأنّ المخابرات بينه وبين

١. الثغر البسام في من ولي قضاء الشام، ط. باسم: قضاة دمشق، ص ٢٨٤.

٢. الثغر البسام في من ولي قضاء الشام، ط. باسم: قضاة دمشق، ص ٢٠٢.

نائبه تبقى شخصيّة، وبالتالي طيّ الكتمان، ولكن من الجهة الأخرى فإننا نعرف جيداً أنّ عملاً يُعدّله هذا الإعداد الدقيق ليس من المعقول أن يجرؤ نائبه على التفرّد به.

على أنّ هذا الاستنتاج لا ينفي إطلاقاً ما تنسبه المصادر الشيعيّة من دور كبير للقاضي الشافعي في تدبير نتيجة مهلكة للشهيد. ها هنا اختلاف في المُستوي، القرار اتّخذ من قِبَل السُلطة السياسيّة، أمّا الآليّة فقد تولّاها الشافعي، وربّما في هذا السياق جرى استبعاد القاضي الحنفي، وعلى كلّ حال فإنّ المصادر تُزوّدنا بمادّة إضافية، في الغاية من الأهميّة عن القضاة الثلاثة الذين أصدروا الحكم.

القاضي الشافعي - الذي تقول المصادر الشيعيّة عنه بلسان أو بآخر وبحقّ فيما يبدو أنّه كان لا يكتّم عداءه للشهيد - كان رجلاً جبّاراً بطّاشاً، قال فيه مُعاصره ابن حجر العسقلاني: وكان بلغه أنّ بعض فقهاء البلد غضّ منه بأنّه قليل العلم، ولا سيّما بالنسبة للذي عزل به، وهو أبو البقاء، فأحضر بعض من قال ذلك ونكل به. ثمّ أوقع بآخر، ثمّ بآخر^١.

إلى غير ذلك، ومما تجدر بنا ملاحظته هنا أنّ هذا القاضي الذي وُلد ودرس وولي القضاء وغيره من الوظائف في مصر قد وُلّي على قضاء الشام قبل أشهر قليلة من بدء إجراءات المحاكمة^٢، ولم يلبث في منصبه هذا إلاّ نحو سنة^٣، ممّا يبعث على الريب في أنّه إنّما جيء به لغرض مُحدّد، وبينما كان الشهيد قيد السجن تدبّر له التدابير، فلمّا قضاة أُعيد إلى حيث كان، وليس ذاك الغرض إلاّ إدارة محاكمة الشهيد بحيث تؤدّي إلى ما أدّت إليه.

أمّا القاضي المالكي الذي يقول ابن قاضي شهبه أنّه ادّعي على الشهيد عنده، فقد وُصف بأنّه «كانت له عناية بالعلم مع قصور فهم ونقص عقل»^٤.

وأما الحنبلي الذي حكم بزندقه الشهيد وإراقة دمه، وعلى حكمه هذا استند المالكي في حكمه النهائي فقد وُصف بأنّه «عنده مداراة وحبّ للمنصب»^٥.

هذه هيئة أنموذجيّة للغرض الذي يراد منها، وقد جرى تشكيلها بدهاء كبير بحيث

١. الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٩.

٢. قضاة دمشق، ص ١١٣.

٣. قضاة دمشق، ص ٢٤٩.

٤. قضاة دمشق، ص ٢٨٦.

٥. قضاة دمشق، ص ٢٨٤.

جاء على رأسها قاضٍ لا يتورّع عن البطش والتنكيل كما عُرف بعدائه الشديد للشهيد، وإلى جنبه اثنان أحدهما قاصر الفهم ناقص العقل، والثاني عنده مُداراة وحبٌ للمنصب. إذن فما من عجب في أن يُسيّرهما الشافعي كيف يشاء، أولهما عن طريق صفاته الشخصية والثاني عن طريق «مُداراته» للسلطة طبعاً وحبّه للمنصب. كما أنّ علينا أن نلاحظ هنا أمراً يبدو لأول وهلة أنه غير ذي بال، هو أنّ إجراءات المُحاكمة بدأت بالادّعاء على الشهيد عند القاضي المالكي، مع أنّ الشافعي هو أعلى القضاة رتبةً كما هو معلوم، والمقصود من هذا فيما يبدو لنا أحد أمرين أو كلاهما:

إمّا إظهار حياده وسلامة طويته، والحقيقة التي ينبغي ملاحظتها هنا أنّ دوره لم يظهر إلا بعد أن قطعت الإجراءات شوطاً باتجاه الإدانة «فاستغلطه ابن جماعة (لعنه الله) وقال: استغفرت فثبت الذنب»، على حدّ رواية السيوري. الأمر الذي أشار إليه ابن قاضي شُهبة أيضاً، مع إغفال الفاعل، فقال: «فقدّر أنّهم استدرجوا ابن مكّي حتى اعترف». وإمّا لأنّ المالكي لا يقبل توبة المرتدّ خلافاً للشافعي.

هذا كلّه فيما يرجع للوقائع.

٢. الأقوال والمزاوجة بينها

ونعني بالأقوال ما سجّلته مُختلف المصادر ممّا أخذ على الشهيد أثناء المُحاكمة ثمّ بُني الحكم عليها.

باستعراض المصادر التي بين يدينا سجّلنا الأقوال التالية:

١. محمّد بن محمّد الجزري (م ٨٣٣): «أنّه قامت عليه البيّنة بآرائه»^١.
٢. ابن قاضي شُهبة (م ٨٥١): «كان له في السجن مدّة، وأُثبت في حقّه محضّر عند قاضي بيروت يتضمّن رفضه وإطلاقه في عائشة وأبيها وعمر عبارات مُنكرة بل مُكفّرة»^٢.
٣. ابن حجر العسقلاني (م ٨٥٢): «قتل محمّد بن مكّي الرافضي بدمشق، بسبب ما شهد عليه من الانحلال واعتقاد مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف، وغير ذلك من القبائح»^٣.

١. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

٢. تاريخ ابن قاضي شُهبة، ج ١، ص ١٣٤.

٣. إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٠٠.

٤. ابن العماد الحنبلي (م ١٠٨٩): «فشهد عليه بدمشق بانحلال العقيدة، واعتقاد مذهب النصيرية، واستحلال الخمر الصرف وغير ذلك من القبائح»^١.
من الواضح أنّ نصّ ابن العماد منسوخ نسخاً عن العسقلاني، وإنّما أثبتناه لأنّه بيّن أنّ معنى «الانحلال» بأنّه «انحلال العقيدة».

من الممكن طبعاً أن تتداخل هذه الأسباب. فتكون، كلها أو بعضها وجوهاً لمقصود واحد، ولكنها حتّى في وضعها هذا تعكس لنا الزاوية التي أتيح أو اختار المؤرّخ أن ينظر منها إلى الواقعة، الرّفض كسبب للحكم ذكره ابن قاضي شُهبة والعسقلاني، لكن الأوّل أضاف إليه: «إطلاقه في عائشة وأبيها وعمر عبارات مُنكرة»، في حين أضاف العسقلاني: «الانحلال واعتقاد مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف وغير ذلك من القبائح».

ومن المعلوم أنّ الشهيد قد وُصف بالرفض في غير مصدر من المصادر غير الشيعية، في غير معرض الكلام على سبب قتله. وعلى كلّ حال فإنّ تشييعه لم يكن خفياً في دمشق على أحد، مع أنّه كان يصف نفسه بـ«الشافعي»، وقد أشار صاحبه الجزري إلى ذلك إشارة في غاية الوضوح.

ونُرجّح أنّ «إطلاقه في عائشة وأبيها وعمر» أي بالسبّ هي إضافة من عند ابن قاضي شُهبة، بشهادة أنّنا لا نعثر على أدنى إشارة إلى شيء من ذلك لدى العسقلاني، كما تابعه عليه ابن العماد الحنبلي، وما من شكّ في أنّ رجلاً كالشهيد لا يمكن أن يهبط إلى هذا المستوى، وهو الذي عمل بجدّ على بناء صلاتٍ طيبة بالمراكز العلمية السنية في المنطقة، وقرأ وحمل عن كثير من علمائها ومحدّثيها، وظلّ حتّى أواخر عمره يقيم مُدداً في دمشق حيث كسب لنفسه مقاماً علمياً ممتازاً وتقديراً عاماً، ونُدكر هنا بشهادة الجزري التي قال فيها: «صحبنى مدّة مديدة، فلم أسمع منه ما يُخالف السنّة»، وهذا يدلّنا على دقته وانسباطيته وتحاشيه الاستفزاز، وهو العارف الخبير بما هو كامن في النفوس، حتّى أنّه وهو يخطّ كتابه اللمعة الدمشقية كان يحرص كلّ الحرص على أن لا يطلّع عليه أحد.

رجل كهذا لا يمكن أن يلجأ إلى النيل والسبّ، وعلى كلّ حال فلماذا يفعل؟! وهو الذي

سَخَّرَ كُلَّ ما لديه لقضيته شعبه المأزوم، وكان في أمس الحاجة للعمل بسلام في سبيل بنائه من جديد.

نصّل في نهاية هذا المطاف إلى ما نراه أصدق قليلاً من حيث إنه يُعبّر بدقة عن الاتهام الذي وُجّه إليه بالفعل في بداية إجراءات المحاكمة وهو انحلال العقيدة واعتقاد مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف.

من الواضح أنّ انحلال العقيدة هو معنى عام غير مُحدّد، لا يُمكن أن يُفهم إلا من «اعتقاد مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف»، وسنقدّم بعد قليل نظرية لمغزى هذه التهم.

لكن ما يُلفت نظرنا هنا هو تناسق هذه الاتّهامات وتلازمها: انحلال العقيدة = اعتقاد مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف، وليس - مثلاً - شرب... باعتبار أنّ الاستحلال مخالفة لضرورية من ضروريات الإسلام موجب للكفر، هذا أمر لا يمكن أن يحدث عفواً، بل إنّه ليس من عمل هواة، لهذا فإنّني أميل بقوة إلى القول بأنّ ما سجّله العسقلاني ثمّ أخذه الحنبلي أخذ قابلي به، صديّ أمين لما بدأت به المحاكمة، نظمه تحالف السُلطة وفقهائها، يؤيد ذلك ما تذكره بعض المصادر الشيعية، من أنّه أخذت عليه «مقالات شنيعة عند العامة من مقالات الشيعة وغيرهم»^١، يُضاف إليه قول الجزري أنّه «قامت عليه البيّنة بآرائه»، وهذه إشارة لا ينقصها الوضوح على أنّ المحاكمة كانت على مواقف فكرية، ولسنا ندري لماذا سكت عن هذه «الآراء»، ولعلّه أثر هذه الإشارة السريعة محافظةً على ذكرى صديقه، فلا يذكر الاتّهامات الوقحة التي وُجّهت إليه، وهو الذي لم يُخفِ مرارته لقتله واعتقاده الضمني ببراءته.

لكن هذا يطرح سؤالاً:

تري لماذا اختار تحالف السُلطة وفقهائها هذه الاتّهامات بالذات؟

أميل إلى الاعتقاد بأنّ الجواب يكمن في مدى حركة الشهيد، لقد سبقت منّا الإشارة إلى أنّ السُلطة حرصت في الوقت نفسه الذي قتلت فيه الشهيد على أن تقتل في طرابلس رجلاً سمّته «عرفة» ووُصِف بأنه «رفيقه [...] وكان على مُعتقده»^٢ يعني مُعتقد الشهيد ومُعتقد

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢.

٢. انظر الفصل العاشر من الباب الأول.

الشهيد في سياق النصّ هو النصيريّة إذن، فكل شيء يوحي بأنّ «عرفة» هذا هو ممّن تُسمّيتهم السلطة وفقهاؤها نصيريّة، وأنّ الشهيد قد مدّ نشاطه لينظم العلويين الذين كانوا وما يزالون منتشرين في نواحي طرابلس، مُستفيداً من الصلة التاريخية بينهم وبين الشيعة الإماميّة، بل من أنّهم منهم دون أدنى ريب، ومن حاجة الطرفين لتجميع قواهم في مقابل السلطة المملوكيّة، وكلّ شيء يدلّ على أنّها قد عمدت إلى أن تقتل «عرفة» هذا في بلده طرابلس ليكون قتله بمثابة رسالة مُعمّدة بالدم إلى قومه بأن يخلدوا إلى السكينة ويلزموا الهدوء.

لكنّني بالنسبة إلى هذه النقطة بالذات أشعر بأنّها تخفي أكثر بكثير ممّا استظهرنا منها وأنّنا مع هذا التحليل الدقيق لم نفتح أسرارها.

من هو «عرفة» هذا؟ من المؤكّد أنّ اسمه ليس مقطوعاً هكذا، فهو حتماً من أب وعائلة وينتسب إلى بلد شأن كلّ الناس، فلماذا اقتصر ذكره على مُجرّد اسمه؟ ما كان دوره حقاً؟ لا مرأى في أنّه كان ذا حضور وأثر مُميّزين ليقتل مع قتلة شيخه، أو على حدّ تعبير العسقلاني: «رفيقه». أسئلة لا نملك عليها جواباً، وإنّما نظرناها لكي تبقى حيّة برسم من بعدنا عسى أن يُتاح لهم من المعلومات وأدوات البحث ما لم يقع تحت يدينا.

هكذا نصّل إلى واحدة من أهمّ مفاتيح قضية الشهيد الفقيه والعالم الكبير ومالي الدنيا وشاغل الناس في زمانه وإلى يومنا هذا، الذي حمل بكامل الجدارة عبء أزمّة شعبه التاريخيّة، ونجح رغم كلّ الصعاب في بناء نهضته، ومع ذلك - ويا للمفارقة المَهولة - فإنّه قتل بتهمة الارتداد، تحت شعار «اعتقاد مذهب النصيريّة واستحلال الخمر الصرف».

لقد أرادت السلطة بجريمتها الغيبية أن تُسكت الشهيد وأن تُعيد عقارب الساعة إلى الوراء، ولكن هيهات، لقد خطا ببلده وقومه الخطوة التي لا عودة عنها: أسّس لحركة علميّة مستقلّة، مُتصلة بأعماق الثقافة الخاصّة، بدأت فوراً تُعيد إنتاج نفسها، بإنتاج مُتقنين مُنتمين عضويين اتّجهوا فوراً إلى العمل في مُختلف الميادين الفكرية والاجتماعية والسياسية، ومنحّ البنية الثقافية المحليّة، التي كانت في حالة تحفز لاستعادة الذاتيّة، فكرها السياسي الخاصّ بها، فزوّدها برؤية ووضع أمامها هدفاً وإن يكن بعيداً، وبذلك أغلق إلى الأبد الهوة التي ظلت فاغرة زهاء الخمسة قرون من الاستلاب والعجز عن الانطلاق، ولم يعد في طوق أحد أن ينتزع منها هذا المكسب التاريخي.

سُجِّل التاريخ أن جبل عامل اجتاز مأزقه التاريخي بفضل بطل فرد من أبنائه بالإعداد الدقيق والتخطيط الذكي والعمل الدائب في أكثر من ميدان دفعةً واحدة مع المُدارة وبناء العلاقات الايجابية تحت أصعب الظروف وأقساها، وما عتمت هذه البقعة التي لم تكن من قبل شيئاً مذكوراً أن غدت بفضلها وبفضل تلاميذه من بعده وطناً لصفحة جديدة تماماً من التاريخ الثقافي لوطنه، وبأباً مُشرعاً نحو النهضة التي، في بعض وجوهها استمرار لمرحلة سابقة ويتجلى هذا الاستمرار في وحدة كيان شدّت عراه الوحدة التاريخية الثقافية والمأزومة بالاحتلال الأجنبي وكل مانتج عنه، وكان من فضل الشهيد وتلاميذه من بعده أن أغنى ذلك الشعور العميق بالوحدة، فغدا على يده ويدهم مشروعاً بعد أن كان تراثاً.

ومما يجدر بنا التنويه به دائماً أن الصيت البعيد الذي يتمتع به الشهيد حتى اليوم بين الناس في جبل عامل ما هو إلا صدقاً يخترق القرون عن الوشيجة المتينة بين البطل وبين شعبه المُطوّق بفضلها، وهو بذلك يعكس فهم الناس الصادق والعميق لإنجازاته بأفضل مما تعكسه التسجيلات الهزيلة التي كتبها مثقفون ومنهم بعض تلاميذه.

خلاصة الفصل

لا مرأى في أن واقعة قتل الشهيد في رحبة أو تحت القلعة بدمشق بوصفها حدثاً حصل في زمان ومكان معلومين هي أشبه بجبل ثلج غارق في الماء، لا يظهر منه للناظر إلا جزء ضئيل، في حين يحجب الماء القسم الأكبر منه عن الأنظار، وما رآه الراؤون منها هو الإجراءات العلنية للمحاكمة وكما جرت في مقرّ نائب السلطان ثم واقعة القتل والتمثيل بالجثمان الطاهر.

ما من ريب في أن هذا الجزء المرئي هو نتيجة لما جرى تحضيره سبقاً وسلفاً على يد تفاهم السُلطة وفقهائها، وتولى إدارته القاضي الشافعي برهان الدين إبراهيم بن جماعة الكناني الذي جري نقله من مصر إلى دمشق لهذا الغرض، حينما كان الشهيد في الحبس. بينما شكّلت هيئة المحاكمة من قاضيين آخرين هما الحنفي والمالكي اللذان عُرفا

بضعفهما، بالإضافة إلى جَمْع غير معروف العدد والأسماء من فقهاء المدينة، واستبعد عنها القاضي الحنفي خلافاً للأصول لأسباب غير معروفة وإن كنا لا نشك في أنها لمصلحة استصدار الحكم المهيئاً على الشهيد والذي لم يكن بحاجة إلى أكثر من تظهير، ومن هنا نُسجّل للمصادر الشيعية مراقبتها الدقيقة لما يجري، رغم بعدها عن مُضطرب الأحداث، وذلك إذ أجمعت على وضع القسط الأساسي من مسؤولية الجريمة على عاتق ابن جماعة دون سواه، مع أنّ من سجّلوا لنا ذلك لم يكونوا يعرفون اسمه، ونحن نرى في هذا - خلافاً لما يبدو للوهلة الأولى - نقطة إيجابية، لأنها تدلّ على أنهم كانوا أكثر اهتماماً بما يفعل وليس بمن هو.

يبدو أنّ تفاهم وتحالف السلطة وفقهائها - بعد أن تمّ له ما أراد - قد انهمك في الإغفاء على آثار ما ارتكبه، وهذا أمر طبيعي ومُتوقع، فمن ارتكب ما ارتكبه سيكون أكبر همه أن ينجو من مغبة ما فعل، وقرأنا ذلك في أمرين:

الأول: فيما سجّله محمّد مكّي - ببراءة تامة ودون أن يقصد طبعاً - من وقائع خيالية من سيرة الشهيد وكيفية قتله، حيث يؤكّد على أنّ السلطة كانت دائماً في جانبه تُناصره وتُعاضده وتحميه، وأنّ المسؤول عن قتله هي جماعة مُضلّلة هائجة مجهولة، وأنّ رأس السلطة غضب أشدّ الغضب لما جرى، وأوقع العقاب بالفاعلين، وهذا يعني ضمناً أنّه لم يكن هناك محاكمة ولا من يُحاكمون، وما من ريب في أنّ هذا المشهد (السيناريو) العجيب لم يكن من بُنات أفكار محمّد مكّي الذي اختصر نسيم السحر أو البتدبني مُصنّفه، وإنّما التقطه هذا من الأفواه وسجّله، بعد أن نشرته أجهزة السلطة، دون أن يلتفت إلى مغزاه الحقيقي.

الثاني: أنّ السلطة حرصت على أن تقتل علناً في طرابلس في الوقت نفسه رجلاً اسمه «عرفة»، كلّ شيء يدلّ على أنّه من الشيعة العلويين وذلك بذريعة أنّه من أعوان الشهيد، فإذا نحن جمعنا بين هذا وبين ما هو ثابت من أنّ محاكمته قد جرت على قاعدة اتهامه بالارتداد - أي عملياً بحسب قولها «اعتقاد مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف» - نكتشف أنّ الإعداد لما بعد الجريمة كان يجري أثناء المحاكمة وبعد ارتكابها فوراً.

الفصل السابع

ماذا مكث من أعمال الشهيد؟

تمهيد

نرمي في هذا الفصل إلى معالجة أمر نراه ذروة البحث وأحد أهم إشكالياته إن لم يكن أهمها على الإطلاق، وهو على كل حال ثمرة ما وصلنا إليه في فصوله الستة السابقة، وهو: ما الذي بقي حتى الآن من أعمال الشهيد؟ وقد اقتبسنا كلمة «مكث» في عنوانه من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ﴾^١.

قتل ابن مكّي، وعلى الأثر أطلق الناس عليه في جبل عامل، بمبادرة حرة منهم لقب الشهيد على الإطلاق، وهذا أمر قد يبدو طبيعياً جداً إزاء ميته النضالية، وهو كذلك بالتأكيد، ومع ذلك فإننا نري أن في الأمر ما يستحق التأمل، خصوصاً وأنه وشعبه ينتمون إلى مذهب لا يشكو أبداً من ندرة الشهداء.

وأول ما يخطر لنا على بال - ونحن نتأمل في هذه البادرة الشيعية الذكية والبديعة - أنها أتت جزاءً وفاقاً من شعبه - الذي طوّق عنقه - إذ نقله من وضع الأزمّة المُستحكمة إلى وضع النهضة المفتوحة على المستقبل، وقد صَنَّفنا كتابنا جبل عامل بين الشهيدين لوصف هذه الحركة من الماضي وأثقاله نحو المستقبل وإنجازاته.

لكن علينا هنا أن نلاحظ أمراً وهو أن الشهيد ومعاصريه لم يروا النهضة كما أزهرت وأثمرت من بعده، والحقيقة أنه زرع النهضة وأطلق تفاعلاً متسلسلاً أدى إليها، وكان من حسن التوفيق أن وُجد من تلاميذه من رعى زرعه، وعلى يد هؤلاء أصبحت شجرة مُثمرة،

ما نزال نتفياً ظلالها ونجني طيب ثمارها.

إذن فعندما توجه الجمهور بذلك اللقب، كانوا يُعبّرون عن شكل من أشكال الإدراك الأولى، أي الذي يرى ما تأول إليه الأمور، وهذا ليس غريباً على العقل الجمعي الذي قد نراه أدنى من مستوى التحليل ومفتقراً للقدرة التي يملكها الباحث المُتمرس على تركيب المعلومات وعاجزاً عن التعبير عنها بكلمات مُنمّقة مدروسة بعناية، ولكنه مع ذلك يتجه مباشرة إلى غرضه فيُعبّر بموقف أو حتّى بكلمة كما هنا عمّا يقتضي من الباحث صفحات وصفحات من الكلام المُستند إلى البحث والتنقيب والتركيب والصيغة. «ألسنة الخلق أقلام الحق» على أنّ هذا لا يعني أبداً أنّ العقل الجمعي معصوم في هذا النطاق، كلاً بل ربما وقع في الخطأ، وأبرز مثال على ذلك حيث يجري التلاعب بوجدانه، إذ ذاك ربما منح ولاءه وضميره لغير من يستحقه، ولهذا في تاريخنا وتاريخ غيرنا أمثال وأمثال.

غابتنا في هذا الفصل أنّ نلتحق بتلك المُبادرة الجمعيّة ابتغاء نقلها من مُستوي الفعل العفوي المُستند إلى إدراك آني نفتقر إليه الآن لُبعدنا عن ظرفه الزماني إلى مُستوى المنهج الذي يعمل عليه المؤرّخ، وهذا يُشبهه، على مُستوى درجة الادراك - الانتقال من التصور إلى التصديق كما يقول المنطق الأرسطي، حيث الفارق شاسع سعته بين العلم والجهل.

هذا يقتضي أنّ نسعى إلى معرفة ما كان قبل الشهيد خصوصاً في وطنه لنُقيم على ذلك ما قد عرفناه من أعماله، وبالمقارنة بين ما كان وما هو كائن يُمكننا أن نكتشف الحركة، بل وأن نتابع تداعيات إنجازاته الكبير والاساسي، أعني إطلاق النهضة في جبل عامل على نطاق العالم الشيعي، وبهذا نكتشف أيضاً علّة جانب ممّا للشهيد من حضور مُميّز في التاريخ الثقافي الشيعي.

إذن فإنّ أماننا في هذا الفصلان مُهتّان رئيستان:

الأولى: تأثيره الباقي في وطنه.

الثانية: وعبر ذلك تأثيره الباقي في عالم التشيع الإمامي إجمالاً.

١. المشهد في جبل عامل قبل الشهيد

عرفنا ممّا فات أنّ جبل عامل قد رزح تحت الاحتلال الأجنبي زهاء القرنين. بل إنّ

الاحتلال قد رافقه منذ أن تشكل سكانياً في أوائل القرن السابع للهجرة، من مرق الجماعات التي كانت تنزل الأردن وبعض أجزاء فلسطين، وأثناء ليل الاحتلال الطويل كان أبناءه مقطوعين انقطاعاً تاماً عن كل مصادر المعرفة التي لاغنى لشعب عنها لكي يتابع آلية النقل الثقافي الطبيعية من جيل إلى جيل.

هذا الوصف يطرح سؤالين:

الأول: ما كانت هوية أولئك النازحين المذهبية؟ هل كانوا من الشيعة؟

الثاني: ماذا حصل لتقافتهم الذاتية، أيّاً كانت، أثناء سنوات الاحتلال الطوال؟

وإننا إنما نطرح السؤالين لأننا نملك الجواب عليهما، على نحو مؤكد منصوص عليه. بل لأنه لا بد لنا من طرحهما لحاجة البحث إليهما، فضلاً عن أننا نملك مؤشرات وإيماءات نرجو أن تساعدنا في طريق الوصول إلى ما نروم.

بالنسبة للسؤال الأول نقول:

ما من ريب في أن أكثر أولئك النازحين، على الأقل، من نزال جبل عامل كانوا من الشيعة بدليل:

١. أننا نعلم اليقين أن أوسع المناطق عُمراناً وأكثرها سُكّاناً في وادي الأردن الخصيب، أعني مدينة طبرية فضلاً عن عشرات القرى والمزارع المطيطة ببحيرتها العذبة كانوا جميعاً من الشيعة^١، ويبدو أن هؤلاء كانوا مادة النازحين الأساسية، لأنهم الأقرب من جبل عامل.

٢. أننا نعلم أيضاً أنه ما إن بدأ انجلاء ليل الاحتلال حتى رأينا نخبةً مختارة من أبناء الجبل تنفر إلى الحلة. ليتفقوا في الدين. ثم ليرجعوا إلى قومهم^٢، ولم نشهد أحداً من غير الشيعة، في ذلك الزمان والمكان قد فعل ذلك أو ما يشبهه، فهذا دليل على أن عامة جبل عامل في ذلك الأوان كانوا من الشيعة، ثم إنه ما من ريب في أنهم لم يكتسبوا التشيع اكتساباً بينما كانوا تحت الاحتلال، بدهة أن أمراً كهذا لا يمكن أن يحدث بنفسه، أعني دون دعوة

١. للتوسع والتوثيق انظر الفصل الأول من هذا الباب.

٢. هؤلاء هم رؤاد النهضة قبل الشهيد. وقد أحصيناها، وذكرنا ما نعرف عن كل واحد منهم في كتابنا جبل عامل

ودُعاة، وأنّي لأولئك المساكين فيما كان لهم من حياة رزية أن يفرغوا أو يُتفرّغ لهم. فهذا دليل على أن أولئك كانوا أصلاً من الشيعة الإمامية.

أما بالنسبة للسؤال الثاني فنحن نعرف من قواعد التاريخ والاجتماع البشري أن قوماً يقعون ضحية انقطاع باتٍ مُفاجئ لا يمكن أن يبقوا على الحال التي كانوا عليها في أوقات الأمن والسلامة، والقطع مع الوطن هو أفسى أشكال القطع وأكثرها مضاءً، فالوطن ليس مُجرّد الأرض التي صادف أن عاش الناس عليها بل إنّه خزّان الذاكرة ومزرعة المستقبل، وعندما ينقطع أهله عنه فكأنهم بل إنهم ينقطعون بالفعل عن كلّ ما يتّصل بماضيهم، ومنه ثقافتهم الخاصّة وعناصر هويّتهم أمام أنفسهم.

عندما اضطرّ أولئك الناس إلى ترك أوطانهم في الأردن وفلسطين واللجوء إلى جبل عامل لم يكونوا يُفكّرون بغير النجاء بحياتهم من سيوف الغزاة الصليبيين، أما الغزاة أنفسهم الذين لحقوا بهم إلى موطنهم الجديد فقد كانوا يسعون للحصول على من يعمل لهم ويُنتج لهم حاجات مُجتمعهم الجديد، بعد أن تخلوا عن التفكير التطهيري الذي كان سمة أعمالهم العسكرية الأولى، فجعلوا من البشر الذين يعيشون في القرى والمزارع مُجرّد عبيد أرض (أقنان) يملكهم عملياً مالك الأرض بحق الفتح، وعلى هذا النحو عاشت أجيال بعد أجيال من أهل جبل عامل، تحيا وتموت لغير ما هدف إلا لمنفعة المُحتلّ.

هكذا تأسّس على القطع الأول مع الوطن، قطع آخر مُتمادٍ أكثر عمقاً، هو ذا مُجتمع يعيش دون أن يملك الحدّ الأدنى من مُقومات وأدوات النقل الثقافي بين الاجيال المُتعاقة الذي يتولّاه ويقوده المثقف المُنتمي والمؤسسات الثقافية في المجتمعات المُتقدّمة.

مثل هذا بل أقلّ منه بكثير حصل من قبل ومن بعد لمُجتمعات شيعية في آذربايجان و كيليكية و الأناضول وشرق أوروبا و جنوب العراق وسواحل سورية و التلال المُتاخمة لها. الجماعات الصوفية الأولى في أردبيل وامتداداتها الكبيرة في كيليكية و الأناضول و ألبانيا، وسكان منطقة البطائح في أهواز جنوب العراق، والجماعات التي تُعرّف بالعلويين اليوم في سورية وهؤلاء كلّهم في الأساس شيعة إمامية أدّى انقطاعهم عن الاتّصال بالمراكز العلمية إلى حصول اختراقات عميقة في البنية الثقافية قادت إلى خروجهم بدرجات مُتفاوتة عن الخط الكلامي - الفقهي للتشيّع الإمامي و شيوع عقائد وسلوكيات غريبة بينهم.

إننا وإن كنا نفتقر إلى أدنى تصوّرٍ لما حصل لأهل جبل عامل أثناء فترة الانقطاع الطويلة، أي ما بين نزوحهم عن أوطانهم الأصلية في وادي الأردن وفلسطين في أوائل القرن السادس للهجرة، إلى بدء أعمال الشهيد بينهم في أواسط القرن الثامن، إلا أننا ما نشكّ أبداً أن هذا الوضع قد ترك أثره المتوّقع، ذلك أنه من غير المعقول أن تُحافظ هذه الجماعات المأزومة على كامل نقائنها الفكري السلوكي في غياب المثقّف المنتمي (هنا: الفقيه، المُبلّغ، المُرشّد). من هنا فإننا ننظر بكامل الجدّية إلى ما تقوله مُختلف المصادر عن التأثير البالغ لمن عارضوا الشهيد على البسطاء من الناس لمهارتهم في بعض الأعمال السحرية^١، وأنّ الشهيد اضطر لدفع سحرهم بسحر مُقابل^٢، وعلى هذا بنى مصطفى كامل الشيبلي فقال:

ويبدو أنّ الشهيد الأوّل كان من تنوّع الثقافة بحيث اشتملت الموضوعات التي درسها حتّى على السحر، والذي ذُكر لمناسبة إبطاله سحر مُدعي النبوة في جبل عامل^٣.

مهما يكن فإنّ ما نوّد التأكيد عليه هنا هو أنّ شيوع الأعمال الموصوفة بالسحر في جبل عامل في ذلك الأوان ووجود من يتعاطونها وتأثيرهم البالغ على الناس كلّ ذلك أمانة على اختراق كبير وأساسي لمفهوم الناس عن دينهم ووظيفته، بل وأمانة على انحدار مفهوم الدين عند فريق واسع جداً منهم إلى مُستوى الأديان البدائية وهذا أمر طبيعي جداً بالنظر إلى ما عاناه الناس من انقطاع أجيال عدّة مُتتابة منهم انقطاعاً تاماً عن كلّ مصادر المعرفة،

١. يقول محمّد مكّي: «... إلى أن خرج [خارج] وادّعى النبوة، وارتدّ عن مذهب الإمامية، وخرج عن الدين، وكان اسمه محمّد بن تقي الدين الخيامي الباهلي، وفعل أشياء بالسحر والشعوذة ممّا يتعجّب منه غاية العجب، وأكثر القرى مالت إليه،... لِمَا رَأَوْا مِنْهُ مِنْ إِظْهَارِ الْعَجَائِبِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَلَّمَ النَّاسَ وَهَمَّ عَلَى جَبَلِ عَرَفَاتٍ وَسَمِعُوا صَوْتَهُ، وَأَوْهَمَ بِسَيِّئَاتِهِمْ غَيْرَ مَوْجُودَةٍ فِيهَا الْأَزْهَارُ وَالشَّمَارُ». مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٢. ويقول الخوانساري: «وفي بعض الحواشي المُعتبرة على شرح اللمعة، عند بلوغ الكلام في باب المُحرّمات من المكاسب إلى قول المصنّف: «وتعلّم السحر. ثمّ إتياعه من الشارح المرحوم بقوله: ولا بأس بتعلّمه ليتوفّى به أو يدفع سحر المُنتبى به ما صورته: كما دفع المصنّف نبوة محمّد الجالوشي لما ادّعى النبوة في جبل عامل، وبلغ أمره ما بلغ، فقتله المصنّف». روضات الجنّات، ج ٧، ص ٤.

٣. الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتّى القرن الثاني عشر الهجري، ص ١٥٦، وانظر ص ٣٢٢. ولكنّه حمل هذه المعلومة أكثر ممّا تحمل حتّى على فرض صحتها، فقال: «ولا بدّ أنّه كان - وحاله هذه - عارفاً بالتصوّف وممارساً له». دون أن يلتفت إلى أنّ التصوّف ليس صرف معرفة وإتّما هو بالإضافة إلى ذلك اتجاه فكري - سلوكي، أمّا أنّه كان عارفاً بالتصوّف فليس بالأمر الغريب على الشهيد، ولكن الإشكال في لا بُدّية أنّه كان ممارساً له.

وغياب الفقيه العارف المرشد، ونحن نعرف جيداً تأثير هذا الانقطاع من أمثال عدّة ممّا أشرنا إليه قبل قليل، والحقيقة أنّ ما ذكرناه من أمثال يقول لنا ضمناً أنّ تأثير هذا الانقطاع لم يكن ينقصه لكي يُصبح نموذجاً كامل العناصر إلاّ مسحاً من الغلوّ قد تتفاوت في عمقها وحجمها من حالةٍ إلى حالةٍ ولكنها موجودة على كلّ حال.

هذا فيما يعود إلى المشهد في جبل عامل قبل الشهيد، وغنيّ عن البيان أنّه مشهد لم يكن يُنبئ بخير.

٢. المشهّد نفسه بعد الشهيد

من كلّ ما سبق نعرف أنّ جبل عامل كان يتّجه بخطى مُتسارعة في الطريق نفسه الذي سار فيه أكثر ما يُعرف بالتشيعّ الشامي، وهو إطلاق فيه شيء من التجوّز في التعبير، لأنّه في الحقيقة يشمل أيضاً التشيعّ في الأناضول وكليكية وشرق أوروبا، وما ذلك الاتّجاه إلاّ خضوعاً للعوامل نفسها، وما هي إلاّ فقدان الاتصال بالمراكز العلميّة في العراق بالإضافة إلى تأثير مُرّجّح للشلمغاني محمّد بن عليّ، المعروف بابن أبي العزّاقر (م ٣٢٢) فيما يخصّ المناطق الثلاث المذكورة^١.

كلّ أعمال الشهيد تدلّ دلالةً أكيدة على أنّه بنى حراكه في كافّة الميادين على إدراكٍ مُفضّل وواضح للوضع الداخلي في وطنه، وأيضاً لما يُحيط به من صعوبات عمليّة وسياسيّة، وقد قلنا ما عندنا على هذا كله في الفصلين الرابع والخامس، حيث وصفنا نهجه في العمل وشبكتي علاقاته الداخليّة والخارجيّة، وأسلوبه في تفادي ومعالجة المُشكلات المنظورة والفعليّة.

١. من المسائل التي وجّهها أهل «ميافارقين»، حاضرة «ديار بكر» إلى السيّد المرتضى (م ٤٣٦) مسألة: «ما يشكّل علينا من الفقه تأخذه من رسالة عليّ بن موسى بن بابويه، أو من كتاب الشلمغاني، أو من كتاب عبّيد الله الحلبي؟». انظر رسائل الشريف المرتضى، ج ١، ص ٢٧٩. ومن المعلوم أنّ الشلمغاني عاش مدةً في المنطقة حيث يبدو أنّه ترك تأثيراً غير قليل. بدليل أنّ كتبه (والظاهر أنّ المقصود في السؤال كتابه «التكليف») كانت، بشهادة المسألة، ما تزال مُتداولة بعد زهاء قرنين من مقتله، أضف إلى ذلك أنّ ميافارقين هي من مواطن الغلاة الأولى. انظر الترجمة له في معجم الأدباء، ج ١، ص ٢٣٦-٢٥٣؛ ونوابع الرواة، ص ٢٨٩.

وعندما استحضر عدداً من أفاضل تلاميذه من الحلة لمعاونته فيما قد صمّم العزم عليه، وبنى في بلده جزيين مدرسة ووصفت بأنها «عظيمة»، ووضع كتاباً دراسياً على الأقل هو كتابه الدروس المخصّص للمتقدّمين من طلاب مدرسته^١، وعندما فعل كل ذلك فهذا يعني أنّه قد سبق له وأن شخصّ الداء، وأعدّ للعلاج عدّة متكاملة، فكأننا بل نحن بالفعل أمام مربّ خبير مُتمرّس لم يترك أدنى تفصيل من العلاج الناجع للصّدفة.

والحقيقة التي آن أوان الإدلاء بها - بالنظر إلى ما اجتازه البحث من إشكاليات مرحليّة - هي أنّ الشهيد قد نجح نجاحاً نادر المثل في التأسيس لثورة حقيقيّة على الصعيد الثقافي، وبالنتيجة نقل بلده جبل عامل من موقع المأزوم في أخصّ شؤونه - أعني ثقافته الخاصّة - إلى موقع المُبادِر الفاعل الذي يُشعّ من حوله إلى مسافات بعيدة، ومذ ذاك أصبحت هذه البقعة - التي كانت من قبله غير ذات شأن بكلّ المعاني - اسماً بارزاً في الفكر والمكتبة والأعلام الشيعيّة، وما تزال بحمد الله حتّى اليوم.

هذا فيما يعود إلى أوّل ما نراه قد مكث من أعمال الشهيد.

الأمر الثاني: التأسيس العملي لسلطة الفقيه، وبيانه يستدعيّ التقديم له بما يلي:

منذ العام ٢٦٠، عام وفاة آخر السفراء الأربعة للإمام المهديّ (عجلّ الله فرجه) كان الفكر السياسيّ للتشيع الإمامي محاصراً في المسافة المُستحيلّة بين سلّطة الإمام والسلّطة الفصيّة، أي أنّ أيّ سلّطة شرعيّة حتّى في أهون الأمور في ظلّ غياب إمام العصر كانت في حال عطالة كاملة، بحيث إنّ كلّ من يتصدّى أو يتولّى سلّطة فهو غاصب لحقّ شخصي للإمام، وعلى ذلك بُنيت مجموعة من الاحكام، منها مثلاً ما عن الشيخ الطوسي (م ٤٦٠) - وهو رائد الاتجاه الفقهي الاجتهادي - حيث رجّح الحكم بحفظ أخماس المغانم والمكاسب إلى حين ظهور الإمام الغائب بوصاية المُكلف بها إلى من يثق به من إخوانه المؤمنين أو دفنها في الأرض، وحصّر إقامة الحدود والتعزيرات بالإمام أو الوالي من قبله^٢.

وما تلك الفتاوي وأمثالها إلّا أمارّة من أمارات ثقافة الترقب والانتظار التي بسطت

١. انظر الفصل الرابع من هذا الباب.

٢. النهاية في مُجرّد الفقه والفتاوي، ص ٢٠٠ و ٦٩١.

سُلطانها على كامل الفكر السياسي والاجتماعي الإمامي في ذلك الأوان، بل ولعدة قرون من بعد.

أول محاولة لاختراق تلك المسافة التي وصفناها بأنها «مستحيلة». والتأسيس لسُلطة ليس على رأسها الإمام المعصوم هي ما نجده لدى رائد الاتجاه العقلي في التفكير الفقهي وأول فقيه كبير أنجبته الحلة، حيث تلقى الشهيد فيما بعد، ذلك هو محمد بن إدريس الحلبي (م ٥٩٨).
والحقيقة التي يكتشفها المُتممّن في الفكر الفقهي لابن إدريس أنّ موجه تفكيره في هذا النطاق هو قضية تأسيس شكلٍ ونمطٍ من سُلطة فعلية تؤدّي غاية الشريعة، أي تحول دون استمرار التعطيل ودون أن تتضارب مع المبدأ الرئيس الذي هو سلطة الإمام الغائب، وفي هذا السبيل وضع بدايات فكرة ما عُرف فيما بعد بـ«النائب العام» للإمام^١ في مُقابل النائب الخاص المنصوب منه شخصياً.

هكذا شقّ ابن إدريس - المؤسس الأكبر لمدرسة الحلة ومنهجها الأصولي العقلي - الطريق اللاحب أمام سلطة الفقيه بحيث أصبحت سالكة أمام أخلافه من فقهاء الحلة، وهو تطوّر ظلّ ثابتاً من بعده، بحيث يمكن أن نعتبره إحدى السمات البارزة لمدرستها ومنهجها الأصولي العقلي.

من ذلك أنّنا نجد في كتاب شرائع الإسلام لأبي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلبي (م ٦٧٦) إشارة تدلّ على نُضج مُصطلح جديد نقرأها في عبارة ذات وقع غير مسبوق هي «إمام الأصل»^٢، التي تسمح لنا بأن نتصوّر أنّ في ذهن الكاتب مُصطلح ثان اقتضى التقييد في العبارة هو «إمام الفرع»، أي الفقيه الذي منحه الحقّ في أن يتولّى صرّف سهم الإمام من الأخماس^٣، وهي المسألة التي رأينا فيها ابن إدريس ومن قبله يتوقّف فيها عند قول السلف.

١. يُسمّيه «القائم بإذنه في ذلك» يعني في إقامة الحدود. انظر كتابه: السرائر، باب «في إقامة الحدود» موسوعة ابن ادريس الحلبي، ج ١٣، ص ٢٩٢، ودراستنا عليه في مقالتنا «عالِم الدين الإيراني ودوره في مُجتمع» المنشورة في فصلية شؤون الأوساط الصادرة في بيروت، العدد ١٠٣، صيف ... ٢٠٠٢ م.

٢. شرائع الإسلام في معرفة الحلال والحرام، ج ٣، ص ٢٧٨.

٣. شرائع الإسلام في معرفة الحلال والحرام، ج ١، ص ٥١٥.

المغزى الأساسي الذي نخرج به من هذا التتبع الذي لم يقف إلا على المحطات الرئيسة هو أن التأمل والاجتهاد في الموضوع لم يتوقف منذ ابن إدريس، وإن يكن يدل أيضاً على أن التطور بطيء جداً وذلك بحكم حاجة المؤسسة الفقهيّة إلى هضم وتمثّل ما أدخله من تجديد جذري على موقعها الاجتماعي.

أفضنا في الحديث على هذا مع أنه خارج من عمود البحث لنتيح للقارئ الحصيف أن يقارن بين المستوى الذي كان عليه العمل الاجتهادي في هذا الشأن في الحلّة وبين البؤن الذي دفعه إليه الشهيد في جبل عامل.

ولقد قلنا ما رأينا أنه يجب أن يُقال على نهج الشهيد في العمل - ومن ضمنه الإعداد الفكري - في القسمين الخامس والسادس من الفصل الرابع تحت عنوان «في سوح العمل، الإعداد الفكري» و «أعمال الشهيد تؤتي ثمارها»، وها نحن نُلخّص النتائج التي وصلنا إليها هناك، مع إضافة بعض الملاحظات التي تبدو لنا ضروريّة، معونة للقارئ على ربط الأشياء بمآلها:

تربية وإعداد العشرات من الفقهاء.

إعدادهم فكرياً بمنهجهم صلاحيات واسعة غير مسبوقه تحت عنوان «النائب العام» للإمام. نشرهم في مختلف المناطق بوصفهم وكلاء أو أعوان للشهيد. إنشاء نظام للجباية - وضمناً للصرف والإنفاق - يتولاه أولئك الوكلاء بإشراف شيخهم. هذا بمجمله يعني أمرين:

الأول: إنشاء سلطة موازية للسلطة السياسيّة الفعلية.

الثاني: استعادة وتأصيل التجارب السياسيّة التي عمل عليها الأئمّة عليهم السلام منذ الإمام

الكاظم (١٤٨ - ١٨٣). وتابعها من بعدهم السفراء الاربعة للإمام الغائب.

هذا النهج أدّى لأول مرة منذ انتهاء فترة الحضور العلني للأئمّة عليهم السلام إلى تحريك الكتلة الشيعيّة المحليّة الكبيرة - ولكن أيضاً الخامدة - إلى موقع سياسي فاعل قامت بعمل اعتراضى واسع على سياسة السلطة التركمانيّة المحليّة المدعومة من السلطة الإقليميّة في دمشق، وكان حراكها السياسي من القوة والاتّساع بحيث أنّ تلك السلطة بشقيها لم تملك

إزاءه أكثر من إذاعة توقيع مملوء بالتهديد والوعيد دونما ذكرٍ لأيِّ إجراءٍ عمليٍّ في المقابل. اعتقد أنّ القارئ الذي وعى قلبه ما قلناه منذ أن بدأنا ما نحن فيه ليس بكبير حاجة الآن إلى دليلٍ على حجم الخطوة العمليّة الواسعة التي خطاها الشهيد باتجاه فقه سياسيٍّ فاعلٍ، حقٌّ أنّه استقى الفكرة ولا ريب من منبعها أي من الحلّة حيث أقام زهاء السبع سنوات يدرس ويُدرّس ويُصنّف، ومن المرجّح أنّ فكرة أو مبدأ سلطة الفقيه أو حلّ مشكلة مفهوم الشرعيّة في غياب الإمام ظلّ يتقدّم ويزداد نضجاً بالقياس إلى ما عرفناه عنه أيام ابن إدريس والمحقّق الحلبي، أي قبل زهاء القرن من الزمان (والمسألة على كلّ حال تحتاج إلى مزيد بحث وتنقيب) نقول كلّ هذا ليعرف القارئ السبيل الذي سلكته الأفكار الجديدة، وأن نفسّر جهوزها للتنفيذ والأعمال على يد الشهيد.

مهما يكن فإنّ من المؤكّد أنّ الشهيد بما فعل قد دفع سلطة الفقيه عمليّاً إلى أعلى مُستوى بلغته حتّى ذلك الأوان، وبعد أن اجتازت مراحل تطوّرها النظريّ البحث على شيء من الاستحياء في الحلّة، وهذه نقلة نوعيّة ذات معنى خطيرٍ تابعها التشييع الإمامي فيما بعد بكامل الاهتمام في جبل عامل وفي إيران، إلى أن وصل بها إلى ما عرف فيما بعد بـ«ولاية الفقيه»، وندعو القارئ الراغب في متابعة البحث إلى قراءة كتابنا الهجرة العمليّة إلى إيران في العصر الصفوي، أسبابها التاريخيّة ونتائجها الثقافيّة والسياسيّة.

الآن نسأل:

ما الذي كان يمكن أن يحدث على مستوى التشييع كلّّه - وليس فقط على مُستوى وطن الشهيد فقط - لولاه ولولا أعماله؟ (السؤال الثاني قد أجبنا عليه ضمناً، فيما سبق من هذا الفصل).

هذا سؤال كبير فضلاً عن أنّه خطيرٌ منهجيّاً إن أخطر سؤالٍ يمكن أن يوجّهه أو يواجهه المؤرّخ هو: ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم...؟ هوذا الرجم بالغيّب، ذلك أنّ كلّ ما لم يحدث سيحلّ محلّه حادث ما، لأنّ السلوك الإنساني لا يتوقّف عند نقطة غياب البطل، بل سيتابع سعيه، أما بأيّ اتجاه وعلى يد من وماذا سيفعل؟ فهذه هي نقطة الغيب، خصوصاً وأنّنا نعرف

أن محاولة الشهيد الناجحة في إطلاق النهضة في بلده مسبوقة بمحاولة مُعاصرة كانت تشق طريقها بنجاح لو لم تقع السلطة المملوكية بطلها جمال الدين إبراهيم بن أبي الغيث البخاري (ح ٧٣٦)١، الأمر الذي يجب أن نفهم منه أن الأمر لم يكن مرهوناً فقط بالبطل، وإنما أيضاً بالمحل القابل والدواعي القائمة.

لذلك فإننا سنقصر كلامنا في الجواب على الدور والمسرح، بعد أن استوفينا الكلام على الشخص البطل، أي أن السؤال سينتقل إلى جبل عامل وما كان له من دور تاريخي، وبذلك سنؤدّي البطل الشهيد حقه أيضاً، ولا ننس أننا نرمي من ذلك إلى الإجابة على السؤال الثاني الذي أنهينا به التمهيد لهذا الفصل:

ما كان التأثير الباقي للشهيد وأعماله في عالم التشيع إجمالاً؟ وإن كنا قد طرحنا السؤال نفسه قبل قليل من الجهة الأخرى، والمؤدّي واحد، وعليه نقول:

الحقيقة التي ينبغي أن نبدأ منها معالجة موضوع السؤال هي أن التشيع في القرن الثامن للهجرة كان شبه مُحاصر في مراكز أساسية معدودة لا يعدوها: ثلاثة منها في العراق هي النجف و كربلاء و الحلة، واثنتان في إيران هما قم و كاشان، إلى قرى أقل أهمية تطيف بكلٍ منها، أما في المنطقة الشامية وما والاها فقد كان في حالٍ مُتقدمة من الإنهاك نتيجة الكوارث المتوالية التي نزلت به، وقد وقفنا على ذلك فيما فات من هذا الكتاب.

الحقيقة الثانية هي أن نهضة جبل عامل كانت مُعطفاً تاريخياً يستحيل وصف تأثيره في حركة التشيع في العالم لسعته أولاً، وثانياً لأن ربط التفاعلات الثقافية المُتداعية المُتبادلة بأسبابها المُباشرة أمرٌ غير سهل، ولكننا على الأقلّ نطرح سؤالاً هو: كيف يمكن أن نتصور انتشاره الكبير في إيران و الهند لولا الدور الذي أدّاه علماء جبل عامل في هذا النطاق؟ ولنعتبر هذا السؤال دعوة ثانية لقراءة كتابنا الهجرة العالمية، دون أن ننسى تأثيره غير المكتوب حتّى الآن في سواحل الخليج الفارسي وجنوب العراق.

إن تكن حركة الشهيد قد فشلت في أوانها فشلاً شخصياً بالنظر لأنها انتهت بقتل بطلها، فإنها نجحت تاريخياً نجاح الدعوات الكبرى، التي تنتهي غالباً بمأساة، لكن الزمن وحده

يكشف أن قتل البطل كان أشبه بتفتق البذرة في جوف الأرض: موتاً آتياً شخصياً، وحياءً مستقبلية جماعية، في الآن نفسه.

خلاصة الفصل

رмина في هذا الفصل إلى بيان ما مكث من أعمال الشهيد، الأمر الذي اقتضى بيان ما كان عليه جبل عامل من قبل، وهو الذي رزح تحت احتلال أجنبي طويل بعد أن نزع سكّانه من مواطنهم الأصلية مما شكّل قطعاً مزدوجاً أدى إلى انحلال ثقافي عميق رصدناه في شيوع أنماط من التدين البدائي، أي أن جبل عامل كان يسير في الاتجاه نفسه الذي سار عليه من قبل أكثر التشيع في المنطقة الشاميّة وما والاها.

اعتمد الشهيد خطة محكمة أحسن الإعداد لها رمت إلى تصحيح المسار الذي كان ينحدر إليه بلده، وبالنتيجة نجح نجاحاً نادر المثال في التأسيس لثورة حقيقية على الصعيد الثقافي، وجعل من بلده اسماً بارزاً في الفكر والمكتبة والأعلام الشيعية، وفي سياق عمله هذا أنجز أول اختراق عملي للمعضلة التاريخية للتشيع، المتمثلة بغياب أي فكر سياسي منذ انتهاء فترة الحضور العلني للأئمة عليهم السلام، وبذلك بدأ مساراً جديداً تماماً ما زال يتطور حتى اليوم.

الخاتمة

ها نحن قد وصلنا إلى نهاية المطاف في سيرة رجل عظيم أعتقد أنّ البحث والكتابة عليه هي من إحدى أمتع التجارب التي يمكن أن يخبرها الباحث، وكثيراً ما سيطر عليّ شعور أثناء عملي أنّ جزءاً من جاذبيته الشخصية الفريدة ما يزال حياً في القليل القليل الذي تركه لنا السلف عنه.

لقد سعيّت في الفصول السبعة إلى كتابة سيرة مُفصّلة للشهيد الأول محمّد بن مكّي الجزيني (رضوان الله عليه)، وهو مطلب سعتُ إليه من قبل أجيالٍ من الباحثين، ومن تسجيل الفضل لأهله أن نقول: إنّ رائدهم هو المرحوم الشيخ محمّد رضا شمس الدين. الذي توفي في النجف الأشرف سنة ١٣٧٧ رديماً بعد أن سقط عليه سرداب بيته، وإنّ أنس فلا أنسى لحظة استخرجتُ مع بعض الرفاق جثمانه النحيل من تحت الركام والرمال حيث بدا لي مثل طفل صغير نائم مُرتاحٍ إلى نومته الأبديّة. (رحمه الله، وجمعنا به في دار كرامته). إنّ سيرة كلّ إنسان هو تفاعل حيّ بين الظرف الذي عاش فيه بكامل عناصره وبين ارتكاسه عليه، والإبداع كلّ الإبداع هو في الارتكاس الناجح الذي يأخذ في الاعتبار كامل المُعطيات القائمة، بالإضافة إلى الإمكانيّات الكامنة في موضوع عمله التي عليه أن ينقلها من القوّة إلى الفعل ومن الكمون إلى العمل، وهذا أشبه بعمل الطبيب النظامي حين يُشخصُ الداء بمعرفة وذكاء ثمّ يصف الدواء الناجح الذي يدعم الجسم المريض وهو يكافح في سبيل الشفاء، وهذا يُلخّص لنا عمل الشهيد حين عمل على إطلاق النهضة في بلده المأزوم المُتسخن بالجراح، وبذلك نقله من حال إلى حال ما نزال حتّى اليوم ننعّم ببركته. إنّ التحديّ الكبير الذي واجهته دائماً في عملي على إشكاليّات الموضوع الجمّة هو

للحاق بوجدان الجمهور المعاصر للشهيد في جبل عامل، حيث اتخذ بمبادرة حرّة منه أعجب وأجمل مُبادرة يمكن تصوّرها، فمنح بطله المقتول بكلّ صدق وبساطة لقب «الشهيد»، هكذا على الإطلاق، وكأنّه أوّل شهيد له يسقط وهو يناضل، كان ذلك بمثابة وسام فريد منه، وتنويه بالفضل الذي طوّق به عنقه، وفي النهاية دفع حياته على مذبحه.

إنّنا نعرف جيّداً أنّ إطلاق النهضة عمل مُعقد يقتضي جهود هيئات مُتمكنة خطّة وعملاً، كما أنّنا صرفنا أكبر الجُهد هنا على وصف أعمال الشهيد في هذا النطاق وفي كافّة الميادين، ووصفناه وهو يعدّ نفسه ويُخطّط ويعمل ويُحرّض ويُداري ويُدافع، وأعتقد أنّني استفدتُ في سياق عملي كلّ النصوص تقيماً وتحليلاً، وهو أمر يحصل لأوّل مرّة. ومع ذلك فإنّني لا أجد أدنى غضاضةً في أنّ أعلن أنّني لست راضياً تماماً عن عملي، ذلك أنّني أحسّ أنّ النتيجة - أي النهضة - أكبر بكثير من كلّ تلك المُقدّمات، أي أنّ هناك عنصر مفقود في البين لا بدّ أنّه ساهم فيها ولكن كلّ الآليات التي وظفناها لم تكن كافية لقراءته.

هل ذلك العنصر المفقود هو حضور البطل الشخصي وجاذبيته، أو كما نقول في لغة الصحافة اليوم: كارزميته؟ وهذه أمور يصعب أنّ نقرأها في النصوص.

هل هو تفصيلات من أعماله لم تُفلح النصوص المحليّة في حفظها لنا وهي التي على كلّ حال لم ترّ في بطلها إلاّ الشهيد المظلوم ضحيّة المؤرّات المحبوكّة؟

أم هل هو كلّ ذلك بالإضافة إلى حوافز الناس المشبوبة والكامنة أيضاً التي نجح الشهيد في تحريرها وقد رأيناها بمختلف أشكالها: إقبالاً على مدرسته وانضباطاً وطاعةً لوكلائه وأعوانه وثورة شاملةً على السُلطة وسياستها؟

أسئلة ستبقى يرسم البحث والباحثين.

في هذا السياق من التساؤلات أقول:

إنّني أعلق أهميّة كبرى على العثور على نسخة من كتاب نسيم السحر الذي تکرّرت الإشارة إليه فيما فات، عسى أنّ تُعيننا على كتابة سيرة أكمل لأحد أعظم أبطال تاريخنا الثقافي، وعلى الرغم من كلّ الأسباب التي تبعث على اليأس من هذا الأمل فإنّني أحبّ أنّ أعتقد أنّ هناك في مكان ما من العراق أو إيران أو البحرين أو في إستامبول نسخة منه، راقدةً

في الظلام، أو لا يعرف مالکها قيمتها الفائقة، وإذا صحَّ ظني وساهم هذا النداء في اكتشاف النسخة العتيدة فساكون أسعد الناس بذلك.

في الفصل الأخير من الباب «ماذا مكث من أعمال الشهيد؟»، ركزتُ الكلام على ملامحين اثنين: أولاهما إطلاق النهضة العامليّة وتداعياتها، وثانيهما أول فقه عملي مبني على إعمال سلطة الفقيه الذي فتح باباً لتطوير ما زال ناشطاً، وطبعاً كان من الممكن أن نمضي في التفرّيع على هذين الملامحين، فالنهضة العامليّة ما تزال تتفاعل حتّى اليوم، مُنجبة ما لا يحصى من النتائج على مختلف الصعد، ثقافيّاً و سياسياً واجتماعياً، ممّا يصلح أن يكون تتبّعه موضوعاً للبحث برأسه، والأمر نفسه يصحّ بالنسبة للملمح الثاني، وعليه فقد اكتفيتُ بوضع ما هو أشبه بعناوين للبحث، تاركاً الأعماق لمن يحبّ أن يخوضها من أهل البحث والنظر.

مؤلفات الشهيد وآثاره العلميّة

الفصل الأول: كتبه ورسائله

الفصل الثاني: إجازاته

الفصل الثالث: أشعاره

الفصل الرابع: فوائده المتفرقة وأعماله العلميّة

الفصل الخامس: الآثار المنسوبة إلى الشهيد

المقدمة

غلبت صفة الفقه على آثار الشهيد ومصنّفاته، وهي في العموم قيّمة وموضع للاستفادة، تجد فيها سلامة التعبير وجمال البيان، تخلو من التعقيد والإسهاب والإطناب، وربما أدّى التزامه بمنهج الإيجاز والابتعاد عن الحشو والزوائد إلى عدم وضوح العبارة أحياناً. وتحتل آثار الشهيد ومصنّفاته مقاماً عالياً، رغم كونها غير مسهبة وقليلة كمّاً، فهي على سبيل المثال أقلّ حجماً من مصنّفات الشهيد الثاني رحمته الله ولقد قال العلامة الأمين رحمته الله في الموازنة بين الشهيدين رحمتهما الله:

الشهيد الأول أفقه وأدقّ نظراً وأبعد غوراً وأكثر وأمتن تحقيقاً وتدقيقاً، يظهر ذلك لكلّ من تأمّل تصانيفهما، مع الاعتراف بجلالة قدر الشهيد الثاني وعظمة شأنه وعلوّ مقامه^١.

ولقد قسّمنا هذا الباب إلى خمسة فصول:

الفصل الأوّل: كتبه ورسائله؛

الفصل الثاني: إجازاته؛

الفصل الثالث: أشعاره؛

الفصل الرابع: فوائده المتفرّقة وأعماله العلمية؛

الفصل الخامس: الآثار المنسوبة إلى الشهيد.

الفصل الأوّل

كتبه ورسائله

هنا نبدأ أولاً بعناوين مصنّفات الشهيد مرتبّةً على الترتيب الأبجدي، وبعدها ندخل في التفاصيل. وقد وضعنا نجمةً بعد أسماء الكتب التي لم نقف على نسخة لها حتّى الآن تمييزاً عمّا وقفنا عليها:

١. أجوبة مسائل الفاضل ابن نجم الدين الأطراوي*

٢. أجوبة مسائل الفاضل المقداد

٣. أحكام الميّت من الوصية إلى الزيارة

٤. الأربعون حديثاً (١)

٥. الأربعون حديثاً (٢)

٦. الأربعون حديثاً (٣)

٧. الأربعينية في المسائل الكلامية

٨. البيان

٩. تفسير الباقيات الصالحات

١٠. جامع البين من فوائد الشرحين

١١. جواز السفر في شهر رمضان اعتباراً

١٢. حاشية القواعد

١٣. الدروس الشرعية في فقه الإمامية

١٤. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة

١٥. الرسالة الألفية

- ١٦ . الرسالة النقلية
- ١٧ . شرح قصيدة الشهيني *
- ١٨ . الطلائعية
- ١٩ . العقيدة الكافية
- ٢٠ . غاية المراد في شرح نكت الإرشاد
- ٢١ . القواعد والفوائد
- ٢٢ . اللمعة الدمشقية في فقه الإمامية
- ٢٣ . المزار
- ٢٤ . المسائل الفقهية *
- ٢٥ . المقالة التكميلية
- ٢٦ . المنسك الصغير (خلاصة الاعتبار في الحج والاعتمار)
- ٢٧ . المنسك الكبير
- ٢٨ . الوصية (١)
- ٢٩ . الوصية (٢)
- ٣٠ . الوصية (٣)
- لقد ذكر الشهيد صريحاً في إجازته لابن نجدة في العاشر من شهر رمضان عام ٧٧٠ أربعة من مصنفاته، حيث قال :
- ... فمما سمعته عليّ من مصنفاتي كتاب غاية المراد في شرح الإرشاد، والرسالة الألفية في فقه الصلاة، و خلاصة الاعتبار في الحج والاعتمار، ورسالة التكليف وغيرها^١.
- وذكر صريحاً في إجازته لابن الخازن في الثاني عشر من شهر رمضان عام ٧٨٤ تسعة من مصنفاته، حيث قال :
- ... فمما صنفته كتاب القواعد والفوائد في الفقه، مختصر يشتمل على ضوابط كلية أصولية و فريضة تستنبط منها أحكام شرعية، لم يعمل للأصحاب مثله :

ومن ذلك كتاب الدروس الشرعية في فقه الإمامية، خرج منه نصفه في مجلد؛
 ومن ذلك كتاب غاية المراد في شرح الإرشاد في الفقه؛
 ومن ذلك شرح التهذيب الجمالي في أصول الفقه؛
 ومن ذلك كتاب اللعة الدمشقية مختصر لطيف في الفقه؛
 ومن ذلك رسالتان في الصلاة تشتملان على حصر فرضها ونقلها في أربعة آلاف مسألة
 محاذاة لقولهم عليه السلام: «للصلاة أربعة آلاف باب»؛
 ومن ذلك رسالة في التكليف وفروعه؛
 ومن ذلك رسالة تشتمل على مناسك الحج مختصرة جامعة؛
 وغير ذلك من الرسائل والكتب شرع فيها يُرجى إتمامها - في الفقه والكلام والعربية - إن
 شاء الله تعالى^١.

وهنا نبحت تفصيلاً عن ذكر كتب الشهيد ورسائله طبقاً للترتيب الأبجدي.

١. أجوبة مسائل ابن نجم الدين الأطاوي

قال صاحب الرياض في ترجمة السيّد حسن بن أيّوب الشهير بابن نجم الدين الأطاوي:
 كان من أجلة العلماء وأكابر الفقهاء، من تلامذة الشهيد... وقد سأل الشهيد عليه السلام في قرية
 الأطراء مسائل وأجاب الشهيد عنها، وعندنا من ذلك نسخة^٢.
 وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني (طاب ثراه):

- ٣٢٦٢: مسائل ابن نجم، للسيّد الشريف... الحسن بن أيّوب الشهير بابن نجم الدين
 الأطاوي العاملي، تلميذ السيّد عميد الدين... ابن أخت العلامة... فهو معاصر
 للشهيد الأول... وينقل عن هذه المسائل الشيخ أبو القاسم بن طيّ في مسائله المعروف
 بمسائل ابن طيّ (الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣١). ونسخة منه عند السيّد رضا ابن الحاج
 السيّد محمّد الزنجاني عتيقة جداً، كتب عليها...: «هذه مسائل بخط السيّد المعظم ابن
 نجم الدين وأجوبتها بخط شيخنا ابن مكّي (أدام الله أيامهما). مسألة: نكاح المريض
 مشروط بالدخول، فلو مات الزوج وادّعت الزوجة أنّه دخل... إلخ». وفيه خمس

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧-١٨٨.

٢. رياض العلماء، ج ١، ص ١٦٢-١٦٣؛ وانظر تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

وستون مسألة فقهية من أبواب متفرقة، يقرب الكلّ من خمسة آلاف بيت^١.
 - ٣٢٨٢: المسائل الأطراية، للشيخ السعيد شمس الدين محمد بن مكّي... قال في
 الرياض: «عندنا منه نسخة». وهي جوابات مسائل سأل عنها الشهيد، فأجاب في قرية
 الأطراء من قرى جبل عامل^٢.

أقول: لم أعر على مخطوطة له في المكتبات وفهارس المخطوطات.

٢. أجوبة مسائل الفاضل المقداد

أورد الشيخ آقا بزرك الطهراني هذه الرسالة بتعبيرات مختلفة، حيث قال:

- ٩٩٢: جوابات الفاضل المقداد بن عبدالله السيوري، للشيخ السعيد محمد بن
 مكّي... وهي سبع وعشرون مسألة...^٣.

- ١١٢٩: جوابات المسائل المقدادية، سبع وعشرون مسألة، سأله الفاضل
 المقداد بن عبدالله السيوري من أستاذه الشهيد، فكتب هو جواباتها...^٤.

- ... ومرّ جوابات المسائل المقدادية... ويقال لها: المسائل المقداديات^٥.

- المسائل المقدادية، للشيخ شرف الدين أبي عبدالله المقداد... وهي سبعة
 [كذا] وعشرون مسألة، كما ذكرها في كشف الحجب^٦، وجواباتها للشيخ السعيد
 أبي عبدالله الشهيد، كما مرّت بعنوان جوابات المسائل...^٧.

ولا يخفى أنّ الطهراني رحمته الله عبّر عن كتاب آخر للفاضل المقداد، أعني تحرير قواعد

الشهيد - الذي سنتحدّث عنه - باسم المسائل المقدادية في قوله:

المسائل المقدادية، للشيخ السعيد... المستشهد سنة ٧٨٦، وهي تحرير لكتاب
 قواعد، رتبها الفاضل المقداد على ترتيب أبواب الفقه، وحرّرها وهذبها، ولذا نسب إليه

١. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣٣-٣٣٤.

٢. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣٦؛ وانظر أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٢٤-٢٥؛ وج ٨، ص ٢٩٤-٢٩٥.

٣. الذريعة، ج ٥، ص ٢١٢.

٤. الذريعة، ج ٥، ص ٢٣٤-٢٣٥.

٥. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٦٨؛ وذكرها السيد الأمين أيضاً باسم المسائل المقداديات في أعيان الشيعة، ج ١٠،

ص ٦٢.

٦. كشف الحجب والأستار، ص ٥١٣.

٧. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٦٩.

لا أنه سأله عنها، ويقال لها: تحرير القواعد على ما ذكره سيّدنا أبو محمد الحسن صدرالدين^١.

أقول: عبّر السيّد صدر الدين عن تحرير قواعد الشهيد للفاضل المقداد بتحرير القواعد الشهيدية، وعن أجوبة مسائل الفاضل المقداد بالمسائل المقداديات، حيث قال: ... وكتاب المسائل المقداديات، ذكرها السيّد المعاصر في الروضات^٢، وهي غير كتاب تحرير القواعد الشهيدية التي حرّرها الفاضل المقداد...؛ لأنّها المسائل التي سألها المقداد، وهي ستّ [كذا، والصواب: سبع] وعشرون مسألة^٣. وعلى آية حال، فهذه الرسالة عبارة عن سبع وعشرين مسألة للفاضل المقداد وأجوبتها للشهيد في مواضيع مختلفة «منها ما يطلب فيها السائل بيان الدليل بعد السؤال عن حكم المسألة، أو يبيّن فيها السائل آراء بعض العلماء وأدلتها، فيكون الجواب هو بيان الحكم مقروناً بالدليل»^٤. وإليك فهرس مسائلها:

- المسألة الأولى في تعلق الخمس بما يتملّك بعقد الهبة.
- المسألة الثانية في النفقة على أموال المضاربة من بعضها.
- المسألة الثالثة فيمن أحرّ بالطهارة حتّى بقي مقدار الصلاة.
- المسألة الرابعة في حكم الماء الساقط فيه دمٌ يعفى عنه.
- المسألة الخامسة في الجلد المأخوذ من المخالف.
- المسألة السادسة فيما لو أخذ الظالم رهناً على أموال المضاربة.
- المسألة السابعة في شخص بيده عين وذكر أنّها ودیعة.
- المسألة الثامنة في المصبوغ أو الطعام المأخوذ من الكافر.
- المسألة التاسعة في الفقّاع.
- المسألة العاشرة في طهارة الخفّ بالأرض لو كانت رطبة.
- المسألة الحادية عشرة في الحوض الصغير في غير الحمام له مادة.
- المسألة الثانية عشرة في اتّخاذ الميل للكحل وغيره من الفضة.

١. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٦٨.

٢. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٥.

٣. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٩.

٤. مجلّة تراثنا، العددین ٧-٨، ص ٣٦٣.

- المسألة الثالثة عشرة في التاجر الكافر غير الكتابي.
- المسألة الرابعة عشرة في بيع الوكيل المفوض نسيئةً.
- المسألة الخامسة عشرة في الاستخارة.
- المسألة السادسة عشرة في الشراء ممن في ماله خمس أو زكاة.
- المسألة السابعة عشرة في القبلة وقبله البصرة.
- المسألة الثامنة عشرة في الصلاة قبل دخول الوقت تقيّة.
- المسألة التاسعة عشرة في أخذ الأجرة على الأذان.
- المسألة العشرون في تطهير الأرض الصقيلة.
- المسألة الحادية والعشرون في حكم ولد الزنى.
- المسألة الثانية والعشرون في طهارة آنية الخمر المنقلب خلاً.
- المسألة الثالثة والعشرون فيمن ملك في وقت لا يتمكّن من قطع الطريق إلى الحجّ.
- المسألة الرابعة والعشرون في ردّ الوصيّ للوصيّة لو لم يعلم بها.
- المسألة الخامسة والعشرون في إيراد المضارب المال عند الصرّاف.
- المسألة السادسة والعشرون في الوديعة.
- المسألة السابعة والعشرون فيما يخرج الوديعة والمضارب على العروض^١.

طبعت هذه الرسالة لأول مرة في مجلّة تراننا (العدد ٧-٨، ربيع الآخر - شهر رمضان عام ١٤٠٧، ص ٣٦٥ - ٣٨٥) بإعداد الشيخ عبّاس الحسون. ثمّ حقّقت وطبعت ثانية ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ٢٦٢ - ٢٨٥) في قم المقدّسة، عام ١٤٢٣، ثمّ نشرت عام ١٤٣٠ في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

وتوجد منها عدّة مخطوطات منها:

- أ) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، المرقّمة ٤٢٤ فقه^٢.
- ب) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، المرقّمة ٧٢١٠^٣.
- ج) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية في طهران، المرقّمة ١٧٢٢/٥^٤.

١. مجلّة تراننا، العدد ٧-٨، ص ٣٦٣-٣٦٤.

٢. ذكرت في فهرسها، ج ٢، ص ١٢٩-١٣٠.

٣. ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ٣٥٥.

٤. ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ٣٤٧.

(د) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية في طهران، المرقمة ٢١٤٧/١٨.^١

(هـ) مخطوطة مكتبة المدرسة الباقرية في مشهد المقدسة، المرقمة ٣١١/٤.^٢

(و) مخطوطة مكتبة مركز إحياء التراث الإسلامي، المرقمة ١٨٦/٦.

(ز) مخطوطة مكتبة الفاضل الخوانساري في خوانسار، المرقمة ٢٣٩/٥.^٣

ذكر فيها اسم شيخه عميد الدين (المتوفى عام ٧٥٤) ويظهر من تعبيره أنه كان بعد وفاته؛ لأنه قال: «وسمعنا من شيخنا عميد الدين (رفع الله مكانه ومكانته)»،^٤ وأيضاً لا يعلم تاريخ تأليف هذه الرسالة، ولكن الشهيد ذكر فيها اسم كتابه الذكرى، حيث قال: «وقد بسطت المسألة في الذكرى»؛ «وقد أوردتُ خبرين في... وأنه جاز في كتاب الذكرى».^٥ ونستبين من ذلك أن الشهيد ألفها في أواخر عمره، حيث شرع في تأليف كتابه الذكرى. وعبر الشهيد في آخر الرسالة عن الفاضل المقداد بتعبيرات تدل على مكانته العليا، حيث قال:

ومولانا (أدام الله تعالى إفادته) هو صاحب الفضل والفضائل، وعزّ العلماء الأمانل
أطلع الله شمس علومه في الآفاق، وحال بينه وبين ما يمنع من استكمال النفس على
الإطلاق، ونفَعنا ببركات دعواته وأنفاسه... بحق الحق وأهله) وصلّى الله على
محمّد وآله.^٦

٣. أحكام الميِّت

قال الطهراني رحمته الله:

أحكام الأموات من الوصية إلى الزيارة، لشيخنا الشهيد الأول... أوله: «الحمد لله على ما أجزل من عطاياه [كذا، ط: عطائه]، وأشبّل من غطائه» وهو مرتّب على ثلاثة

١. ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ٤٣٧.

٢. مجلّة تراننا، العدد ٢٥، ص ٩٣.

٣. ذكرت في فهرسها، ج ١، ص ٢٠١.

٤. رسائل الشهيد الأول، ص ٢٧٣.

٥. رسائل الشهيد الأول، ص ٢٧٠، ٢٧٤.

٦. رسائل الشهيد الأول، ص ٢٨٥.

فصول، يقرب من سبعمائة بيت، رأيتُه عند العلامة ميرزا محمّد الطهراني بسامراء
والشيخ عبدالحسين الحلّي النجفي، وفي آخره: «هذا ما سطرناه في هذه الجُرْازة^١،
وفيه الكفاية لمن له هداية»^٢.

ولم أعتَر على من نسب هذه الرسالة للشهيد غير الشيخ الطهراني ومن تبعه كالشيخ
محمّد رضا شمس الدين^٣. ووقفتُ على مخطوطتين - فقط - لهذه الرسالة. إحداهما: هي
المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي^٤، المرقّمة ...، وليس فيها اسم المؤلّف؛ والثانية:
هي المحفوظة في مكتبة الإمام أميرالمؤمنين (عليه أفضل صلوات المصلّين) في النجف
الأشرف، برقم ٩٧٨/٤، كما ذكره العلامة السيّد عبدالعزيز الطباطبائي^٥، في فهرسها، وقال:
نسخة كتابة القرن الثالث عشر، بأوّل مجموعة جمعها العلامة الشيخ عبدالحسين الحلّي،
وكتب عليها تملكه سنة ١٣٢٢^٤.

فظهر أنّها هي النسخة التي رآها الطهراني عند الحلّي النجفي. وجاء في أوّلها:
هذه رسالة فيما يتعلّق بأحكام الميّت بعد الموت تصنيف الشيخ السعيد الشهيد
محمّد ...

الحمد لله على ما أجزل... أمّا بعد فهذه رسالة تشتمل على ذكر أحكام الميّت الخمسة
على الترتيب الذي يفعله المغتسل أولاً فأولاً... إجابةً لالتماس بعض إخواني المؤمنين
العارفين (وقفه الله لخير الدنيا والدين ونفعه الله بها، ونفع طلاب اليقين؛ إنّه خير...)...
ونشرت هذه الرسالة لأوّل مرّة عام ١٤٣٠ في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

٤ . الأربعون حديثاً (١)

هو كتاب صغير يشتمل على أربعين حديثاً أكثرها في العبادات العامّة البلوى، وأورد الشهيد
أكثرها مجرداً عن الشرح والتوضيح، واكتفى بذكر سنده تفصيلاً إلى المعصوم^{عليه السلام}.

١. جُرْازات... هي الوُرَيقَات التي تُعلَقُ فيها الفوائد، وهو مجاز. تاج العروس، ج ١٥، ص ٦٤، «جزز».

٢. الذريعة، ج ١، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

٣. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٧.

٤. مجلّة تراننا، ع ٥٣ - ٥٤، ص ٣١٨.

قال الشهيد في أوله :

... لمّا كثرت عناية العلماء السالفين والفضلاء المتقدمين بجمع أربعين حديثاً من الأحاديث النبوية والألفاظ الإمامية بما اشتهر في النقل الصحيح^١ عنه بألفاظ مختلفة بهذا العدد المخصوص، فمنها ما أخبرني به شيخي الإمام السعيد المرتضى العلامة المحقق... عن النبي ﷺ أنه قال: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينتفعون بها بعنه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً» إلى غير ذلك من الأحاديث، فرأيت أن أكثر الأشياء نفعاً وأهمها العبادات الشرعية؛ لعموم البلوى إليها، وشدة الحثّ عليها، فخرّجت أكثرها فيها وباقها في مسائل غيرها^٢.

وجاء في آخر بعض مخطوطاته - وفي آخر نسخته المطبوعة أيضاً -:

قد تمّ [كتاب] الأربعين في يوم الأحد ثمانية عشر [كذا] من شهر ذي الحجة الحرام من سنة اثنتين وثمانين وسبعمئة من الهجرة النبوية المصطفوية؛ وعلى آله وأولاده وعلى أصحابه ألف ألف من التحية^٣.

وظاهرٌ أنّ هذه العبارة ليست من إنشاء الشهيد، وأنّ هذا التاريخ أعني ٧٨٢ تاريخ كتابة نسخة من هذا الكتاب، وليس تاريخ الفراغ من تأليفه؛ لأنّ الشهيد قال في سند الحديث ٣٩:

قرأت على شيخنا الشيخ الإمام فخرالدين بن المطهر (دام فضله) بداره بالحلة^٤.

وظاهر هذه العبارة أنّ الشهيد حرّرها في زمن حياة شيخه فخرالدين عليه السلام، ومن المعلوم أنّ فخرالدين توفّي في أواخر جمادى الآخرة عام ٧٧١، كما صرّح به الشهيد^٥.

وقد طبع هذا الكتاب مراراً، منها:

(أ) في طهران عام ١٣١٨، مع غيبة النعماني؛

(ب) في قم، بالأوفست عن تلك الطبعة، مجرداً دون غيبة النعماني؛

١. ليس النقل بطريق صحيح على ما بيّنه الشهيد الثاني. انظر رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١٢٧٧ - ١٢٧٨.

٢. رسائل الشهيد الأول، ص ٣٥-٣٦.

٣. رسائل الشهيد الأول، ص ٧٤.

٤. رسائل الشهيد الأول، ص ٦٩.

٥. مجموعة الجبائي، الورقة ١٣٧ ب؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٦-٢٠٥.

- ج) في قم عام ١٤٠٧، بإعداد ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام؛
- د) في قم، عام ١٤٣٠ ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٩.
- وترجمه إلى الفارسية عليّ بن حسن الزواري في القرن العاشر وتوجد مخطوطة هذه الترجمة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، برقم ١٥٢٥٤. وتوجد مخطوطة ترجمة أخرى فيها أيضاً برقم ٩٣٨٤^١.
- وتُرجمه إلى الفارسية الفاضل المحترم محمد عليّ كوشا ونُشرت ترجمته في ٩٦ صفحة في قم، عام ١٣٧٤ ش.
- ونسخه المخطوطة كثيرة تبلغ حوالي أربعين، منها:
- أ) مخطوطة بالقاهرة عليها إنهاء ابن فهد في السابع من صفر المظفر عام ٢٨٣٩.
- ب) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة في مشهد، المرقّمة ١٩٠٠، نُسخت عام ١٠٠٣^٣.
- ج) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة في مشهد، المرقّمة ٢٥٤٢، نسخت عام ٩٤٤^٤.
- د) مخطوطة مكتبة الفاضل الخوانساري في خوانسار، المرقّمة ١٢٥/١^٥.
- هـ) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام، المرقّمة ٩٠٠٦.
- و) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، ضمن المجموعة المرقّمة ٨٥٥٧٣.
- ز) مخطوطة المكتبة الخاصّة للأستاذ العلّامة المحقّق الحاجّ السيّد محمد عليّ الروضاتي (دام عزّه) بإصفهان. وهي نسخة نفيسة، كتبها سلطان حسين محمّدي في المشهد المقدّس الرضوي سنة ٩٦٠، وعليها إجازة سيف الدين محمّد الخادم بن مخدوم الحسيني - المجاز من الشهيد الثاني في شهر رمضان سنة ٩٦١ بالمشهد المقدّس الرضوي، لجعفر بن إمام الدين الطهراني.

١. وانظر فهرس المكتبة، ج ١١، ص ٢٢٦-٢٢٧.

٢. الأعلام، ج ١، ص ٢٢٧: «أنهاها (أيده الله تعالى) في عدّة مجالس آخرها سابع صفر ختم بالظفر من سنة تسع وثلاثين وثمانمائة هلالية، وكتب أحمد بن فهد حامداً مصلياً مستغفراً، ربّ اختم بالخير».

٣. فهرست ألفبائي كتب خطي، ص ٣٥.

٤. فهرست ألفبائي كتب خطي، ص ٣٥. وانظر الذريعة، ج ١، ص ٤٢٨.

٥. ذكرت في فهرسها، ج ١، ص ٩٠.

قال العلامة الأمين بعد ذكره لهذا الكتاب: «ولا يبعد أنه أول من صنّف في ذلك من أصحابنا»^١. وهذا سهو بين؛ فإن علماءنا قبل الشهيد آلفوا في ذلك - كما صرح به الشهيد في أوله - منهم ابن زهرة الحلبي، وكتابه الأربعون حديثاً مطبوع. هذا، وقد ذكره الشهيد في الذكرى فقال:

ولابن أبي قرّة عليه السلام في كتابه رواية بمقدار... لكل ليلة، ذكرناه في الأربعين حديثاً^٢.

٥. الأربعون حديثاً (٢)

هو حديث واحد بسند واحد، رواه الشهيد بسنده، وطبع في إيران عام ١٣١٤ في ست صفحات بالقطع الجببي الصغير جداً مع رسائل أخرى. وهذا الحديث هو الذي رواه الشيخ الصدوق في الخصال بإسناده إلى الإمام الحسين عليه السلام.

واكتفى الشهيد بذكر الحديث مع سنده إلى الصدوق، وإليك نصّ كلامه:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقير إلى الله الغنيّ محمّد بن مكّي (أعانه الله على طاعته): أخبرنا الإمام عميد [الدين] بن عبدالمطلب الحسيني (قدّس الله روحه) قال: أخبرنا الشيخ [كذا، والصواب شيخ] الإسلام جمال الدين [ابن] المطهر (طيب الله ضريحه) قال: أخبرنا الإمام العامل رضي الدين عليّ بن طائوس الحسيني عليه السلام قال: أخبرنا السيّد محيي الدين أبو حامد بن محمّد بن زهرة الحسيني^٣، أخبرنا الشيخ شاذان بن جبرئيل القميّ، أخبرنا الشيخ أبو جعفر محمّد بن أبي القاسم الطبري، أخبرنا الشيخ أبو عبد الله المفيد، أخبرنا الشيخ أبو جعفر محمّد بن بابويه بإسناده إلى مولانا الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن أبيه الحسين عليه السلام قال:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى إلى عليّ عليه السلام وكان فيما أوصى إليه قال له: يا عليّ من حفظ من أمتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله والدار الآخرة حشره الله تعالى مع النبيّين

١. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩.

٢. ذكرى الشيعة، ج ٤، ص ٢٧٧؛ موسوعة الشهيد الأول، ج ٨، ص ١٦٥.

٣. وردت ترجمته في الشيعة في كتاب بغية الطلب، ص ١٣٥.

والصدّيقين والشهداء والصالحين وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. فقال عليّ عليه السلام: أخبرني يا رسول الله ما هذه الأحاديث؟ فقال رسول الله ﷺ: «أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، وتعبده ولا تعبد غيره. وأن تقيم الصلاة بوضوءٍ سابغٍ في مواقيتها ولا تؤخرها من غير علةٍ، فعن آخرها فعليه غضبُ الله (عزّ وجلّ). وأن تؤدّي الزكاة، وأن تصومَ شهرَ رمضان، وتحجّ البيت إذا كان لك مال وكنْتَ مستطيعاً، ولا تعقّ والدَيْك، ولا تأكل مال اليتيم ظلماً، ولا تأكل الربا، ولا تشرب الخمر ولا شيئاً من الأشربة المسكرة، ولا تزني، ولا تلوّط، ولا تمشي بالنميمة، ولا تحلف بالله كاذباً، ولا تسرق، ولا تشهد شهادة الزور لأحدٍ قريباً كان أو بعيداً، وأن تقبل الحقّ ممّن جاء به صغيراً أو كبيراً، وأن لا تركن إلى الظالم وإن كان قريباً حميماً [وأن لا تعمل بالهوى، ولا تقذف المحصنة، ولا ترائي فإنّ أيسر الرياء شرك بالله (عزّ وجلّ). وأن لا تقول لقصيرٍ: يا قصير، ولا لطويلٍ: يا طويل] تريد بذلك عيبه، وأن لا تسخر بأحدٍ من خلق الله، وأن تصبر على البلاء والمصيبة، وأن تشكر نعم الله التي أنعم الله بها عليك، وأن لا تأمن من عقاب الله على ذنب تصيبه، وأن لا تقنط من رحمة الله، وأن تتوب إلى الله تعالى من ذنوبك؛ فإنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له. و أن لا تصرّ على الذنب مع الاستغفار فتكون كالمستهزئ بالله تعالى وآياته ورُسله، وأن تعلم ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن لا تطلب سخط الخالق برضى المخلوق، ولا تؤثر الدنيا الفانية على الآخرة الباقية، وأن لا تبخل على إخوانك بما تقدّر عليه وأن تكون سريرتك كعلانيتك، ولا تكون علانيتك حَسَنَةً وسريرتك قبيحةً، فإن فعلت ذلك كنت من المنافقين، وأن لا تكذب ولا تخالط الكذّابين، وأن لا تعضب إذا سمعت حقاً، وأن تؤدّب نفسك وأهلك وولدك على حسب الطاقة، وأن تعمل ما علمت، ولا تعامل أحداً من خلق الله إلّا بالحقّ، وأن تكون سهلاً للقریب والبعيد، وأن لا تكون جبّاراً عنيداً. وأن تكثر من التكبير والتهليل والدعاء وذكر الموت وما بعده من القيامة والجنّة والنار، وأن تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه، وأن تستغنم البرّ والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات، وأن تنظر إلى ما يضرّ فعله بنفسك فلا تفعله بأحدٍ من المؤمنين، ولا تعمل من فعل الخير، ولا تستطل على أحدٍ، وأن لا تمنّ على أحدٍ إذا أنعمت عليه، وأن تكون الدنيا عندك سجنًا حتّى يجعل لك جنّةً.

فهذه أربعون حديثاً من استقام عليها وحفظها عني من أمتي أدخل الجنة برحمته وكان أفضل الناس وأحسهم إلى الله عز وجل^١.
والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً^٢.

قال الطهراني :

واستظهر العلامة المجلسي منه جواز الاكتفاء عن حفظ الأربعين حديثاً بحفظ الحديث الواحد المشتمل على أربعين حكماً؛ إذ يصدق الحديث على رواية كل منها مفردة، فلذا عددها أربعيناً ثانياً للشهيد^٣.

أقول : وإنما ذكرته باسم الأربعين حديثاً تبعاً للطهراني ولما جاء في أول نسخته المطبوعة من تسميته بهذا الاسم، ومن المحتمل أنه جزء من مجموعة الشهيد ولا يُعدّ تأليفاً مستقلاً له.

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني :

وروى الشهيد هذا الحديث - كما صرح في أوله - عن شيخه السيد عميدالدين الأعرجي... بإسناده إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري، صاحب بشارة المصطفى لشيعته المرتضى الذي يروي عن مشايخ كثيرين، منهم الشيخ أبو علي الحسن ابن الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي الراوي عن والده الطوسي، وهو عن الشيخ السعيد أبي عبدالله المفيد^٤. فما في النسخة المطبوعة من هذا الأربعين سنة ١٣١٤ من رواية الطبري عن الشيخ المفيد بلا قيد فالمراد به هو المفيد الثاني، وهو الشيخ أبو علي الحسن ابن الشيخ الطوسي والملقب به، وإلا فيكون ترك الواسطة من إسقاط الناسخ^٤.
أقول : القول بسقوط الواسطة بين الطبري والشيخ المفيد على الإطلاق هو المتعين؛ لأنه جاء في سنده هكذا - كما حكيناه آنفاً - :

أخبرنا الشيخ أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري، أخبرنا الشيخ أبو عبدالله المفيد، أخبرنا الشيخ أبو جعفر محمد بن بابويه.

١. الخصال، ج ٢، ص ٦٤٤ - ٦٤٦، ح ١٩، باب في من حفظ أربعين حديثاً من أبواب الأربعين وما فوزه. وما بين المعرفين من المصدر.

٢. رسائل الشهيد الأول، ص ٧٧ - ٧٨.

٣ و٤. الذريعة، ج ١، ص ٤٢٩.

ومن المعلوم أنّ أبا عبدالله المفيد الراوي عن الصدوق هو الشيخ المفيد على الإطلاق شيخ والد المفيد الثاني، فلا مجال للقول بأنّ المراد منه هو المفيد الثاني ولد شيخ الطائفة الطوسي.

٦. الأربعون حديثاً (٣)

قال شرف الدين محمد مكي حفيد الشهيد:

وقد روى شيخنا السعيد الشريف أبي عبدالله الشهيد شمس الدين محمد بن مكي المطلبي ثمّ الحسيني أربعين حديثاً غريباً في فضل العلم وطالبه، «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ»^١ والحمد لله وحده.^٢

وقال أيضاً ضمن تعداد بعض مصنّفات الشهيد: «الدرة المضيئة في الأحاديث المروية»^٣ وفي بعض نسخ أمل الآمل، في سرد مؤلفات الشهيد: «والدرة المضيئة»^٤. ولا أدري ما المراد من الدرة المضيئة، هل هي هذه الرسالة أعني الأربعون حديثاً (٣) أم غيرها. وفي مختصر نسيم السحر:

وذكر الشيخ الجليل محمد بن الخازن الحائري أنه قد أجازته شيخه الفاضل المحقق، شمس الملة والحق والدين محمد مكي بالأحاديث الأربعين المروية عن النبي ﷺ في فضيلة العلم وحامله، وهي من الأحاديث الغريبة التي تفردت بروايتها الشهيد عليه السلام وهي عندي بخطّ الشهيد.

وكيفما كان، فقد ذكرها حفيد الشهيد مرّةً أخرى ونقل منها أربعة عشر حديثاً، حيث قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد وجدت بخطّ جدّي الشريف أبي عبدالله الشهيد شمس الدين محمد بن مكي المطلبي ثمّ الحسيني العاملي، أربعين حديثاً في مدح العلم وأهله، والحثّ على تعلّم العلم وثواب من أعان عليها في قضاء حاجة، وقد كتبها بحذف السند اختصاراً؛ ليلوثوق بخطّ ورواتها.

١. المائدة (٥): ٥٤.

٢. سفينة شرف الدين محمد مكي، الورقة ١٤ ب.

٣. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق الكتاب.

٤. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١.

١. قال رسول الله ﷺ: «من حفظ من أمتي حديثاً واحداً كان له أجرُ سبعين نبياً صديقاً».
٢. وقال ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ حَدِيثَيْنِ لِيَنْفَعَ بِهِمَا نَفْسَهُ وَيَعْلَمُهُمَا غَيْرَهُ يَنْتَفِعَ بِهِمَا لِلَّهِ. كَانَ خَيْراً لَهُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ عَاماً بِغَيْرِ عِلْمٍ».
٣. وقال ﷺ: «من خرج في طلب العلم حُفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ وَصَلَّتْ عَلَيْهِ الطُّيُورُ فِي الْهَوَى، وَالْحَيْتَانِ فِي الْبَحْرِ، وَنَزَّلَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ سَبْعِينَ شَهِيداً غَيْرَ عِلْمَاءَ».
٤. وقال ﷺ: «لو كان بينك وبين العلم بحار من نار (خ: ل: نيران) فحُضِّمَتْ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ طَرِيقَ وَطَرِيقَ الْجَنَّةِ الْعِلْمَ».
٥. وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِدَعَاءِ الْعَالِمِ الْعَامِلِ، وَبَابٌ مِنَ الْعِلْمِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ، عَمِلَ يَعْلَمُهُ أَوْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ».
٦. وقال ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ مَسْأَلَةً مِنَ الْعِلْمِ قَلَّدَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَلْفِ قِلَادَةٍ مِنْ نُورٍ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ، وَبَنَى لَهُ مَدِينَةً فِي الْجَنَّةِ مِنْ ذَهَبٍ، وَكُتِبَ لِلَّهِ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ ثَوَابٌ حِجَّةٍ وَعُمْرَةٍ».
٧. وقال ﷺ: «من جاءه أجله وهو في طلب العلم لقيني ولم يكن بيني وبينه وبين الله (عز وجل) وبين الأنبياء إلا درجة النبوة».
٨. وقال ﷺ: «إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ».
٩. وقال ﷺ: «إِنَّ فِي الدُّنْيَا حَقُوقاً وَدِيُوناً لَا يَقْضِيهَا وَلَا يَغْفِرُهَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا حَجٌّ وَلَا جِهَادٌ إِلَّا مَنْ يَقُومَ (ظ) فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَقَضَاءِ حَاجَةِ الْعَالِمِ الْعَامِلِ».
١٠. وقال ﷺ: «من زار عالماً عاملاً فكأنما زار بيت الله (سبحانه وتعالى) ومن قضى حاجة لعامل عالم [كذا] قضاه الله [كذا] سبعين ألفَ حاجة في الدنيا والآخرة، وغفر الله له ما تقدّم من ذنوبه وما تأخّر».
١١. وقال ﷺ: «مَنْ أَكْرَمَ عَالِماً أَكْرَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَدْلَّ عَالِماً بِغَيْرِ حَقٍّ أَذَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى».
١٢. وقال ﷺ: «من كتب حديثاً لرجل مسلم لينتفع به، فكأنما تصدّق به من نار، وَتَصَدَّقَ بِرَبْقِيَّةٍ، وَكُتِبَ لِلَّهِ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ، وَمَحَا اللَّهُ عَنْهُ بِكُلِّ حَرْفٍ سَيِّئَةٌ».
١٣. وقال ﷺ: «من نظر في وجه العالم كان له عند الله خير من عبادة ستين سنة صائماً نهاره وقائماً ليله».

١٤. وقال عليه السلام: «من خدم عالماً عاملاً يوماً فكأنما خدم الله سبعين ألف يوم، وأعطاه الله ثواب سبعين ألف شهيد بغير علم».

١٥. وقال عليه السلام: ...

قال شرف الدين محمد مكي:

ولم يتيسر كتابة تمام الأربعين حديثاً في هذا المكان؛ لأنّ تتمة الأحاديث لم تكن حاضرة، وكانت في أجزاءٍ مفارقة، وقد كتبت هذه الأحاديث المكتوبة في مرشد آباد من بلاد بنغال من بلاد الهند، وبقية الأحاديث في كراريس في النجف الأشرف، وإن شاء الله لا بدّ أن نجتمعها في السفينة الكبيرة، مع ما جمعناه واستفدناه من آثار السابقين^١.

وفي المجموعة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١) برقم ٨٩٥٦،

الورقة ٢١٥:

وجد بخطّ الشهيد عليه السلام بحذف الإسناد عن النبي صلى الله عليه وآله: «نظرة إلى وجه العالم خير من ألف فرس يسرجها في سبيل الله، وسلام على العالم خير من عبادة ألف سنة، ومن خدم عالماً سبعة أيام فقد خدم الله فوق عرشه سبعمئة ألف سنة، وأعطاه الله بكلّ يوم ثواب ألف شهيد».

وعنه عليه السلام: «من أراد رضاي فليكرم صديقي» قيل: ومن صديقك يا رسول الله؟ قال: «طالب العلم فهو أحبُّ إلى الله من ملائكة الله، فمن أكرمه فقد أكرمني، ومن أكرمني فقد أكرم الله، ومن أكرم الله فله الجنة، وإنه ليس شيء أحبُّ إلى الله من أهل العلم، ومذاكرة العلم ساعة أحبُّ إلى الله من عبادة اثني عشر [كذا، ظ: اثنتي عشرة] سنة، فطوبى للعالمين».

والجدير بالذكر أنه لم يذكر هذه الرسالة - أعني الأربعون حديثاً (٣) - في عداد مؤلفات

الشهيد غير حفيده شرف الدين محمد مكي.

● الاعتقادية ← العقيدة الكافية

● الألفية ← الرسالة الألفية

● الباقيات الصالحات ← تفسير الباقيات الصالحات

٧. الأربعينية في المسائل الكلامية

قال العلامة السيّد الصدر عند إيراد مؤلفات الشهيد :

ورسالة في علم الكلام، ذكر فيها أربعين مسألة على ترتيب المعارف الخمسة، وهي عندي^١.

وهذه الرسالة هي التي عبّر عنها الطهراني بالمسائل الأربعينية، حيث قال :

٣٢٧٨: المسائل الأربعينية، للشيخ السعيد أبي عبدالله محمّد بن مكّي ... أوردتها بتمامها الفاضل أحمد عارف الزين في كتابه مختصر تاريخ الشيعة، وطبعه بمطبعة العرفان بصيدا^٢.

وعبّر عنها الطهراني مرّة أخرى باسم رسالة في الكلام فقال :

٩١٦: رسالة في الكلام، فيها أربعون مسألة من المسائل الكلامية على ترتيب المعارف الخمسة، للشيخ السعيد ... الشهيد ... رأيتها في مكتبة السيّد الصدر، وهي غير أربعينياته^٣.

أقول: إنّها المسائل الأربعينية بعينها، ولا وجه لقوله ﷺ: «هي غير أربعينياته».

ولم أجد بالرغم من الفحص الدقيق إلا على مخطوطة واحدة لها وهي النسخة التي كتبها الشيخ محمّد السماوي في النجف الأشرف وفرغ منها لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٩. والشيخ السماوي ﷺ قد استنسخها على نسخة كتبها الشيخ باقر بن عليّ بن حيدر على نسخة الأصل. وأخبرني صديقي الفاضل الدكتور يوسف طباجة أنّ لديه أيضاً مخطوطة منها في لبنان.

ورأى المرحوم محمّد رضا شمس الدين نسخاً متعدّدة لهذه الرسالة^٤. وورد اسمها - دون متنها - في المجموعة المرقّمة ١١٧٦ في مكتبة آية الله المرعشي (طاب ثراه) هكذا: «الأربعينية في المسائل الكلامية ... من إنشاء الإمام السعيد الشهيد ...».

١. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٩.

٢. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣٥-٣٣٦.

٣. الذريعة، ج ١٨، ص ١٠٨.

٤. حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٦٤.

ومخطوطة منها توجد في باريس برقم ٤٣٦/٦-٢٢٠١.

وهي رسالة موجزة في علم الكلام، ذكر فيها الشهيد أربعين مسألة من المسائل الكلامية على ترتيب المعارف الخمسة. وتكلم فيها في إثبات الصانع وصفات جماله وجلاله وبيان أفعاله في ثمان وعشرين مسألة، من المسألة الأولى إلى المسألة الثامنة والعشرين. ومسألان في معني التكليف والأعواض عن الآلام، هما المسألة التاسعة والعشرون والمسألة الثلاثون. وفي النبوة العامة والخاصة في ثلاث مسائل من المسألة الحادية والثلاثين إلى المسألة الثالثة والثلاثين. وفي الإمامة في خمس مسائل، من المسألة الرابعة والثلاثين إلى المسألة الثامنة والثلاثين. وفي التاسعة والثلاثين: أن هذه المسائل نظرية لا يجوز التقليد فيها. وفي الأربعين في معنى الإيمان. وفي ختامها أشار إلى أنه لا بد من المعاد البدني والروحاني.

هذه الرسالة لم تطبع مستقلة حتى الآن ولكن أوردتها بتمامها الفاضل أحمد عارف الزين صاحب العرفان في كتابه مختصر تاريخ الشيعة، وطبعها لأول مرة بمطبعة العرفان بصيدا عام ١٣٣٢.

ثم نشرتها عام ١٤١٩ اعتماداً على تلك الطبعة في ميراث إسلامي إيران، العدد ٩، ثم نشرت ضمن رسائل الشهيد الأول (ص ١٣٥ - ١٥٢) عام ١٤٢٣، بالاعتماد على طبعة صيدا. ثم حُققت اعتماداً على مخطوطة السماوي ونُشرت عام ١٤٣٠ ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٨، ولا يعلم تاريخ تأليفها. أولها:

الحمد لله بجميع محامده على جميع عوائده ... وبعد، فهذه رسالة في المسائل الكلامية وضعتها تقريباً إلى باري البرية، وحصرتها في أربعين مسألة.

وآخرها:

وكل ما أخبر النبي ﷺ به من ... يجب الاعتقاد لها والإقرار بها، لإمكانها وإخبار المعلوم الصديق بها.

وهذا آخر الرسالة. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا النبي محمد وآله الطاهرين.

١. كما ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٤٤١، كما في الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي في

ثمّ اعلم أنّ المرحوم الشيخ محمّد السماوي نظم هذه الرسالة وسماها جذوة السلام في مسائل علم الكلام^١. أوّلها:

الحمد لله الذي دلّ على توحيدنا بما دنا وما علا
فليس شيءٌ ليس فيه شاهد دلّ على أنّ الإله واحد

ومصوّرتها بخطّ الناظم موجودة عندي في مؤسّسة تراث الشيعة، وأصل المخطوطة محفوظة في مكتبة آية الله الحكيم العامّة في النجف الأشرف.

٨ . البيان

هو كتاب في الفقه مختصرٌ خالٍ من الاستدلال، مشتملٌ على كثير من الأقوال، جمع فيه بين سهولة العبارة وماتنتها، وخرج منه كتب: الطهارة والصلاة والزكاة والخمس وشيء يسير من الصوم^٢. واستشهد الشهيد عليه السلام قبل إتمامه، ونسخه الموجودة كلّها ناقصة، وآخر كلامه فيه هو: الفصل الثاني في الإمساك. وفيه مطالب: الأوّل فيما يمسك عنه وهو أقسام؛ القسم الأوّل: الابتلاع، يجب فيه.

وإلى هنا انتهى كلامه عليه السلام.

وأشار الشهيد إلى اسمه في خطبته، حيث قال:

... أمّا بعد، فإنّ الأدلّة العقلية والنقلية متطابقة على شرف العلوم، ومن أهمّها معرفة شرع الحيّ القيّوم. وهذا البيان كافٍ بالمهمّ منه والمحتوم، على طريق العترة الطاهرة أُولي الفهوم، الذين نقلهم إسناده معصوم عن معصوم، واستعنت على إتمامه بالله القادر العالم على كلّ مقدور ومعلوم.

وذكره الشهيد أيضاً في غاية المراد ومقدّمة الدروس باسم البيان، حيث قال:

... وقد حقّقنا الحال في ذلك فيما خرج من كتاب البيان^٣.

... فكتبتنا في ذلك ما تيسّر من الذكرى والبيان^٤.

١. وانظر الذريعة، ج ٢٠، ص ٩٣.

٢. وما جاء في تعليقه أمل الآمل، ص ٧٦ من أنّه وصل إلى أواخر الصوم، فهو سهوٌ واضح.

٣. غاية المراد، ج ١، ص ١٦٠، وانظر كلامنا حول هذا الموضوع في الفصل الثاني من الباب الرابع؛ وموسوعة

الشهيد الأول، ج ١، ص ١١٠.

٤. الدروس الشرعية، ص ١، ط. القديمة؛ وج ١، ص ٨٤، ط. الجديدة.

ولقد أشار الشهيد في البيان إلى كتابين من كتبه، وهما القواعد والفوائد وذكرى الشيعة، حيث قال:

- ١. وقد بيّنا صورته المتعدّدة في القواعد^١.
- ٢. وقد بيّنا ذلك في الذكرى^٢.
- ٣. ولا بأس به كما ذكرناه في الذكرى^٣.
- ٤. وقد استوفينا هذا الباب في الذكرى^٤.
- ٥. وتمام الآداب المذكور في الذكرى وغيرها^٥.
- ٦. وقد حقّقناه في الذكرى^٦.

طبع البيان في طهران عام ١٣١٩^٧، وطبع ثانياً على الحجر بالقطع الصغير في ٢٠١ صفحة عام ١٣٢٢، وطبعه مجمعُ الذخائر الإسلامية في قم بالأوفست على الطبعة الحجرية الثانية. وأخيراً وفي عام ١٤١٢ طبع في قم بإعداد الشيخ محمد الحسون (دام توفيقه) مع فهراس متعدّدة ومقدّمة مختصرة، في ٤٠٦ صفحة بالقطع الوزيري. ثمّ نشر عام ١٤٣٠ في قم ضمن موسوعة الشهيد الأول، الجزء ١٢ في ٣٦٠ صفحة. ووقفتُ على إجازة مكتوبة بخطّ المجيز في آخر البيان نقلها الشيخ آقا بزرك الطهراني في كتابه المخطوط بعدد: إجازات الرواية والوراية في القرون الأخيرة الثلاثة، الورقة ٧٩ أوّدّ نقلها؛ لما فيها من الفوائد منها اعتناء العلماء بكتاب البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نقتى

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

وبعد، فقد قرأ عليّ هذا الكتاب الموسوم بالبيان - تصنيف الإمام الشهيد، خاتمة المجتهدين زين الملة والحقّ والدين سراج الدين محمد بن مكّي (قدّس الله

١. البيان، ص ٤٨؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٢، ص ٤٦.

٢. البيان، ص ٤٨؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٢، ص ٤٥.

٣. البيان، ص ٦٩؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٢، ص ٦٤.

٤. البيان، ص ٨٢؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٢، ص ٧٦.

٥. البيان، ص ٢٠٠؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٢، ص ١٩٤.

٦. البيان، ص ٢٥٨؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٢، ص ٢٥٣.

٧. الذريعة، ج ٣، ص ١٧٤.

روحه وأسكنه بحبوحات الجنان بمحمد وآله أولى العرفان) - الولد العزيز والشيخ الفاضل والعالم العامل الورع الشيخ مبارك بن كعاب [كذا] حسين بن مفلح العكري، وذلك في أوقات متعددة وأزمنة متباعدة آخرها اليوم السابع عشر من شهر جمادى الثانية [كذا، والصواب: الآخرة] أحد شهور سنة تسع بعد الألف، وقد سأل خلال قراءته (دام توفيقه وجعل إلى الخيرات طريقه بمحمد وآله) عمّا أشكل عليه فنبيته على قدر طبعي ما وصلت إليه معرفتي، قراءةً وشرحاً واستشراحاً يدلّ على جَوْدَة فهمه وسلامة ذهنه. وأجزتُ له (دام فضله وجوده) الرواية فيما قرأ عليّ من أول الكتاب إلى آخره، فليرو ذلك لمن شاء وأحبّ وأراد، محتاطاً لي وله، ولا يضرّ قوله: «ما أدري».

وأجزت له أيضاً الرواية في الذي [كذا] قرأه عليّ وهي أغنية المصنّف عليه السلام وما عليها من حاشية المحقّق المدقّق الشهيد الثاني [و؟] جمال الملة والدين الشيخ العلامة الفهامة الشيخ عليّ بن عبدالعالي.

وأجزت له أيضاً جعفرية الشيخ عليّ بن عبدالعالي وما عليها من القيود والحواشي. وأشرط عليه (دام ظلّه) أن لا ينساني من الدعاء في الخلوات خصوصاً في أعقاب الصلوات والفاضل من الساعات، كما أجاز لي والدي شيخي عليه السلام كما أجاز له مشايخه (رحمة الله عليهم أجمعين) المتصلة روايتهم إلى المعصومين (رضوان الله عليهم أجمعين [كذا]).

وكتب الفقير إلى رحمة ربّه الغنيّ المتعالي صالح بن جابر بن فاضل العكري الأوالي الموالي للموالي (غفر الله لهم أجمعين) وعن [كذا، والصواب: ول] جميع المؤمنين. آمين ربّ العالمين^١.

ووقفنا على حوالي ثلاثين مخطوطة له، منها:

أ) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٢٧٥٠/١. كتبت في

٢٩ ربيع الأوّل، عام ٨٢٢.

ب) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام، المرقّمة ٦٧/٢. كتبت في ٢٨ صفر،

١. وانظر إنهاء محمد بن حسن بن أحمد بن فرج الأوالي على نسخة من البيان في الفوائد الطريفة، ص ٥٦٤.

عام ٨٤٣. كتبها عليّ بن محمّد بن حسن العاملي^١.

(ج) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام، المرقّمة ١٦٧٧.

(د) مخطوطة مكتبة مدرسة النوّاب في مشهد، المرقّمة ٨. كتبت في القرن التاسع، وقد

نقلت إلى مكتبة الروضة الرضوية المقدسة، فصار رقمها ١٣٨٥٣.

(هـ) مخطوطة المكتبة المركزية بجامعة طهران، المرقّمة ١٨٠٠^٢.

(و) مخطوطة مركز الفقيه العاملي - ومصوّرتها موجودة عندي في مؤسّسة تراث الشيعة -

نسخها ملاّ خضر بن حافظ عليّ في ٢٠ ربيع الأوّل سنة ٨٨٩، وفي الصفحة الأخيرة منها

إنهاء حسين بن عليّ بن الحسام وهذه صورتها:

أنها (أيده الله) قراءةً وفهماً وشرحاً (وقّقه الله وإيانا لمرضيه، وأعانه وإيانا على إمتثال

أوامره والانزجار عن نواهيه) في عدّة مجالس آخرها نهار الجمعة رابع ربيع الآخر سنة

تسع وثمانين وثمانمائة هجرية (على مشرفها...) وكتب أفقر عبادالله تعالى حسين بن

عليّ بن الحسام حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً.

وفي أعلى الصفحة الأخيرة منها كُتبت:

قتل المصنّف عليه السلام بدمشق... برحبة القلعة ممّا يلي سوق الخيل ضحى يوم الخميس تاسع

شهر جمادى الأولى، وتمّ [كذا] معلقاً هناك إلى قريب العصر، ثمّ نزل [كذا، ظ: أنزل]

وأحرق وذلك سنة ستّ وثمانين وسبعمائة...

واعلم أنّ الشيخ محمّد رضا شمس الدين قال: «فرغ منه [أي من البيان] مؤلفه في غرة

شعبان ٧٦٣»^٣.

ولم أفق على مستنده؛ والظاهر أنّه سهو؛ فإنّ الشهيد كان حيّاً إلى عام ٧٨٦، ومن

المستبعد جداً أن يترك الشهيد إتمام مصنّفه لمُدّة تربو على ثلاثة وعشرين عاماً، بل يترك

١. وفي الصفحة الأخيرة منها ورد إنهاء هكذا: «أنها (أيده الله) قراءةً وبحثاً وفهماً (وقّقه الله وإيانا لمرضيه،

وأعانه وإيانا على اجتناب معصيته والانزجار عن نواهيه) في عدّة مجالس آخرها يوم الأحد ثاني عشرين ذي

قعدة من شهر سنة سبع وتسعمائة هجرية نبوية (على مشرفها الصلاة والسلام) وكتب ذلك أفقر عباد الله

وأوجههم إلى عفوه أحمد بن محمّد بن عليّ بن خاتون حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً».

٢. انظر مقدّمه ما يرفقه شيعة، ص ١٣٦؛ وانظر أيضاً الذريعة، ج ٣، ص ١٧٤.

٣. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ١٦٣.

فصلاً شرع فيه دون أن يُتمّه؛ هذا بالإضافة إلى قرائن أخرى منها عدم ذكره في إجازته لابن نجدة، الصادرة عام ٧٧٠، وعدم ذكره أيضاً في إجازته لابن الخازن، الصادرة عام ٧٨٤. ومنها أنّ الشهيد أشار في البيان إلى كتابه الذكري مراراً، كما تقدّم، ومن المعلوم أنّه ألّف الذكري في أواخر عمره الشريف، كما سيأتي.

وشرحه المرحوم الميرزا محمّد الأرباب القميّ من أوّله إلى أحكام الأموات، ومخطوطة هذا الشرح محفوظة في مكتبة آية الله المرعشي بالله برقم ٧٨٧٥، ذكرت في فهرسها (ج ٢٠، ص ٢١٠).

٩ . تفسير الباقيات الصالحات

هو شرح مختصر للتسيّحات الأربع، قال الشهيد في آخره:

فهذه الكلمات الأربع تشتمل على الأصول الخمسة: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، فمن حصلها حصل الإيمان، وهي الباقيات الصالحات.

طبعت هذه الرسالة أخيراً في مقدّمتي لغاية المراد، ثمّ طبعت - مع شرحها: الكلمات النافعات - ضمن أربع رسائل كلامية (ص ٢٣٤ - ٢٣٥) وأيضاً ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ١٣٣ - ١٣٤) وقديماً أوردتها بتمامها الشيخ الكفعمي في حاشية الفصل الثامن والعشرين من مصباحه الكبير الموسوم بـجنته الأمان الواقية، وطُبعت معه على الحجر عام ١٣٢١. قال الكفعمي بالله قبل نقلها:

... قد تكرر في هذا الدعاء ألفاظ التسيّحات الأربع، أمّا فضلها فقد مرّ... وأمّا شرحها فقال الشهيد السعيد الإمام العالم محمّد بن مكّي بالله ...

وقال بعد تمامها: هذا آخر ما ذكره السعيد الشهيد (رحمه الله وطيب ثراه).^١

قال صاحب الرياض في ترجمة العالم الجليل عليّ بن يونس البياضي النباطي العاملي (٧٩١-٨٧٧) مؤلّف الصراط المستقيم:

عثرنا بإصبهان على مجموعة جلّها بل كلّها كانت بخطّ الشيخ زين الدين البياضي... وكثير منها كان من مؤلّفاته بالله، ومن جملتها... كتاب الكلمات النافعات في تفسير

البقيات الصالحات، وهو توضيح للرسالة التي ألّفها شيخنا الشهيد في تفسير الكلمات الأربع و... الرسالة اليونانية في شرح المقالة التكميلية للشهيد^١.
وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني - ذيل اليونانية للبياضي :-

... ونسخة أخرى بخط جعفر بن محمد... بن زهرة الحسيني في ٢٥ صفر ٩٠٢ عند السيد محمد علي الروضاتي بإصفهان معها الكلمات النافعات^٢.

وتوجد من رسالة تفسير البقيات الصالحات، للشهيد عدّة مخطوطات، منها:

(أ) مخطوطة مكتبة الفاضل المعاصر فخر الدين النصيري، الخاصّة، ضمن مجموعة من رسائل الشيخ المفيد والسيد المرتضى، عليها علامة تملك حفيد الشهيد شرف الدين محمد بإصفهان عام ١١٦٩، أولها:

ما نقل عن مولانا الشيخ العالم العامل الفاضل المحقق المدقق، شيخ الملة والحق والدين، السعيد الشهيد أبي عبدالله محمد بن مكّي (رحمة الله عليه ورضوانه وحسره مع من تولاه وحسرننا في زمرتهم بحق محمد وآله الطاهرين) في تفسير البقيات الصالحات.

(ب) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام المرقمة ٣٦٩٤/٧، نُسخَت عام ١٠٥٦ ظاهراً، ولم تذكر في فهرس المكتبة سهواً.

(ج) مخطوطة المكتبة المركزية بجامعة طهران، المرقمة ٨٨١/٤. نُسخَت المجموعة - التي بضمنها هذه الرسالة - محمد بن فتح الله البسطامي تلميذ شيخنا البهائي عليه السلام في ١٠٠٣ - ١٠٠٤ في قزوین. وجاء في أولها:

ما نقل عن الشيخ الفاضل... الشهيد أبي عبدالله محمد بن... مكّي في تفسير البقيات الصالحات^٣.

(د) مخطوطة المكتبة المركزية بجامعة طهران، ضمن المجموعة المرقمة ٢١٤٤، المذكورة في فهرسها (ج ٩، ص ٨٢٤)، أولها كأول المخطوطة السابقة.

١. رياض العلماء، ج ٤، ص ٢٥٨-٢٥٩؛ وانظر روضات الجنّات، ج ٤، ص ٣٥٤؛ الذريعة، ج ١٨، ص ١٢٠.

٢. الذريعة، ج ٢٥، ص ٣٠٨.

٣. فهرست نسخه های خطی کتابخانه مرکزی، ج ١، ص ٢٠.

هـ) مخطوطة المكتبة الخاصة للأستاذ العلامة المحقق الحاج السيّد محمد علي الروضاني (دام عزّه) بإصفهان.

و) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام، المرقّمة ١٤٦٧٣/٨ نسخت عام ١٢٣٣؛ ذكرت في فهرسها (ج ٣٧، ص ١٥٥).

ولاختصار الرسالة ووجازتها حققتُها اعتماداً على مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام برقم ٣٦٩٤/٧، ومخطوطة مكتبة فخر الدين النصيري، ومخطوطة مكتبة جامعة طهران ضمن المجموعة المرقّمة ٢١٤٤، والمطبوعة على الحجر ضمن المصباح للكفعمي، وأوردتها ضمن مقدّمة التحقيق لغاية المراد^١، ثمّ نشرت مرّة ثانية عام ١٤٢٣ في رسائل الشهيد الأوّل ثمّ نشرت ثالثة في قم، عام ١٤٣٠ ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨. وإليك نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

معنى «سبحان الله»: تنزيهه سبحانه وتعالى عن السوء وبراءته من الفحشاء، ليدخل في ذلك جميع صفاته السلبية كنفى الحدود والإمكان والحاجة والعجز والجهل والجسميّة والعرضيّة والتحيّز والجوهريّة والحلول في محلّ أو جهة والاتّحاد والصاحبة والولد. ومعنى «الحمد لله»: الثناء على الله بذكر آلائه ونعمه التي لا تُحَدُّ ولا تُعدّ.

فمنها: خلق الخلق من سماءٍ وأرضٍ وفلكٍ وملكٍ وحيوانٍ؛ وخلق العقل الفارق به بين الصحيح والفساد والحقّ والباطل؛ وابتعات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وختهم بأوصياء نبيّنا محمد المفتحين بسيد الوصيّين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، المختتمين بسيد الأئمّة أبي القاسم المهدي عليه السلام.

ثمّ خلق أصول النعم التي هي الحياة والقدرة والشهوة والنفرة والعقل والإدراك والإيجاد.

ثمّ خلق فروعها المُشْتَهيات والملذّات، حتّى أنّه ليس نفسٌ يمضي إلّا وفيه لله نعمة يجب شكرها، حتّى أنّ شكر نعم الله من نعمه التي يجب شكرها.

ومن ذلك تصديق النبيّ صلى الله عليه وآله في جميع ما جاء به من الحشر والنشر والمعاد والجنّة والنار

والصراط والميزان والحوار والولدان.

ومعنى «لا إله إلا الله»: تنزيهه عن الشريك والمثل والضدّ والنّدّ والمناوي والمنافي، وفيه بطلان قول اليهود والنصارى والثنويّة وعباد الأصنام والأوثان والصُّلبان والكواكب. وهي الشهادة التي مَنْ قالها مُخْلِصاً دخل الجنّة.

ومعنى «الله أكبر»: إثبات صفات الكمال له تعالى، مثل: الوجود والوجوب والقدرة والعلم والأزليّة والأبدية والبقاء والسرمدية والسمع والبصر والإدراك، عدلاً حكيماً جاريةً أفعاله على وفق الحكمة والصواب، وأنّه لا يستطيع أحدُ الاطّلاعَ على كُنْه ذاته تعالى ولا على صفةٍ من صفاته؛ فهو أكبر من أن يوصف أو يبلغه وصف الواسفين، فلا يعلم ما هو إلا هو.

وهذه الكلمات الأربع تشتمل على أصول الإيمان الخمسة أعني التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، فَمَنْ حَصَّلَهَا حَصَلَ الإِيْمَانُ، وهُنَّ الباقيات الصالحات. والحمد لله وحده والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

● التكليفيّة ← المقالة التكليفيّة

١٠. جامع البين من فوائد الشرحين

صنّف العلامة الحلّي كتاب تهذيب الوصول إلى علم الأصول، وتولّى شرحه ابنا شقيقة العلامة السيّد عميد الدين والسيّد ضياء الدين^١.

وقام الشهيد الأوّل بجمع كلا الشرحين في كتاب واحد، وأضاف ﷺ إليهما مطالب جديدة. قال الشهيد الثاني في إجازته لوالد الشيخ البهائي (قدّست أسرارهم):

... فمما قرأه من كتب أصول الفقه... تهذيب الوصول... وشرحه جامع البين من فوائد

الشرحين، للشيخ الإمام الأعلام شمس الدين محمّد بن مكّي (عزّج الله بروحه إلى دار القرار وجمّع بينه وبين أئمّته الأطهار)^٢.

١. انظر فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مرکزی، ج ٥، ص ١٧٢٧-١٧٣١؛ الذريعة، ج ٤، ص ٥١٣؛ وج ١٣، ص ١٦٨.

٢. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١١٤؛ بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٤٨؛ واعلم أنّ اسم هذا الكتاب جاء في أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٢: «...في فوائد الشرحين» بدل «...من فوائد الشرحين».

قال الشيخ الحرّ العاملي رحمته الله ضمن تعدد مؤلفات الشهيد :

كتاب جامع البين من فوائد الشرحين، جمع فيه بين شرحي تهذيب الأصول للسيد عميد الدين والسيد ضياء الدين، رأيته بخطّ الشهيد الثاني^١.

وقال السيد إعجاز حسين النيسابوري الكنتوري :

جامع البين من فوائد الشرحين، للشيخ الأجل... الشهيد الأول... جمع فيه بين شرحي تهذيب الوصول للسيد عميد الدين والسيد ضياء الدين، وزاد شيئاً كثيراً، إلا أنه لم يراجع المسوّدة بعد الجمع، مع أنّ الجمع المذكور كان في عنفوان شبابه، فهذبه وأصلحه الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي، وفرغ من إصلاحه سنة إحدى وأربعين وتسعمائة. وقال رحمته الله بعد ذكر ما يتعلّق بإصلاحه: «ثم إنَّ الشهيد رحمته الله ميّز ما اختصَّ به شرح الضياء فكتب عليه: «ض»؛ وما اختصَّ به شرح العميد فكتب عليه: «ع»، وتابعته في ذلك، وما كان زائداً عنهما كتبتُ في أوّله: «زيادة»، وفي آخره: «آخرها» فصارت هذه النسخة مميّزة لمختصّات الشرحين والزوائد عليهما، ومختصّة بمزيد الإصلاح المذكور والتصحيح».

وقد ظفرت بحمد الله على نسخة كانت بخطّ الشيخ حسين بن عبد الصمد، أولها:
«أحمدك اللهم على سوابغ نعمائك بأبلغ محامدك، وأسألك المزيد من فضلك...»^٢.

وهذه النسخة كانت في بعض مكنتبات الهند، ومصورةٌ منها توجد عند العالم الفاضل أكبر ثبوت^٣.

وكان هذا الكتاب موجوداً عند المحقّق التستري رحمته الله ونقل عنه، حيث قال :

... ومنهم الشهيد (طاب ثراه) وقد ذكر في الجمع بين الشرحين نحو ما تقدّم عن شيخه عميد الدين في المسائل الأصولية المذكورة، ونقل اتفاق الفرقة على كون مذهب الصحابي ليس حجّةً على غيره من الصحابة ...^٤.

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١.

٢. كشف الحُجُب والأستار، ص ١٥١ - ١٥٢؛ وانظر الذريعة، ج ٥، ص ٤٣ - ٤٤؛ وج ١٣، ص ١٦٨؛ وج ٢٣، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

٣. مجلّة تحقيقات إسلامي، السنة ١٢، العدد ١-٢، ص ٢٥٥.

٤. كشف القناع، ص ٣٦٣.

واعلم أنّ الشهيد قال في إجازته لابن الخازن في عداد مؤلفاته: «شرح التهذيب الجمالي في أصول الفقه»^١. ومراده من التهذيب الجمالي هو تهذيب الوصول لجمال الدين العلامة الحلبي، ومراده من شرح التهذيب هو كتاب جامع البين كما يظهر من كلام الشهيد الثاني الذي مرّ آنفاً. قال الطهراني:

شرح تهذيب الوصول، للشيخ السعيد الشهيد... ذكره بنفسه في بعض إجازاته، ولعله الذي سمّاه بجامع البين من فوائد الشرحين ...^٢

واعلم أنّ إسماعيل باشا عبّر في مواضع متعدّدة عن هذا الكتاب بجامع العين من فوائد الشرحين^٣، وهو خطأ بلاشك.

وطبع لأول مرّة قسم من هذا الكتاب - من أوّل الكتاب إلى ابتداء المقصد الثاني - في مجلّة تحقيقات إسلامي في طهران (السنة ١٢، العدد ١ و ٢، سنة ١٣٧٦ ش) ص ٢٥٩ - ٢٧٠ بتحقيق الفاضل المعاصر أكبر ثبوت. ثمّ نشر الكتاب بكامله لأول مرّة ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٦ و ١٧.

مخطوطات الكتاب: (أ) مخطوطة مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف الأشرف، فرغ الكاتب من نسخها في جمادى الآخرة عام ٩٧١. وعليها علامة تملك محمد باقر الشريف السبزواري^٤.

(ب) مخطوطة العالم الفاضل أكبر ثبوت، أهداها له المرحوم آية الله الشيخ محمد تقي الآملي رحمته الله^٥.

(ج) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١) برقم ٦٩٠٤ ذكر في النسخة وفي فهرس المكتبة (ج ٧، ص ١٥١ - ١٥٣) خطأ أنّها شرح عميد الدين للتهذيب، ولكنها مخطوطة جامع البين.

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

٢. الذريعة، ج ١٣، ص ١٧٠.

٣. إيضاح المكنون، ج ١، ص ٣٥٥، ٤٣٣، ٤٧١، ٥٥٩، ٥٦٠. وج ٢، ص ٢٦٥؛ هدية العارفين، ج ٢، ص ١٧١.

٤. ورد تاريخ الكتابة في نشرية نسخه هاى خطى، العدد ٥، ص ٤١٠، خطأ؛ القرن ١١.

٥. مجلّة تحقيقات اسلامي، السنة ١٢، العدد ١-٢، ص ٢٥٥.

د) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقمة ٩٦٣٥.
هـ) مخطوطة كانت في مكتبة ممتاز العلماء في لکنهو في الهند، ومصوّرتها موجودة عند الفاضل أكبر ثبوت في طهران. وهذه هي النسخة التي ظفر عليها الكنتوري وذكرها في كشف الحجب، كما سبق.

ثم إنَّ الشيخ حسين بن عبد الصمد (رحمهما الله تعالى) قال في مقدّمته لهذا الكتاب :
كتاب جامع البين من فوائد الشرحين. يعني شرحي الإمامين السيّدین السعیدین ضياء الدين وعميد الدين (رحمهما الله تعالى)؛ فإنّه ملتقط منهما؛ جامع لفوائدهما - كما سمّاه - مع ما فيه من الزوائد عنهما؛ إلاّ أنّه ﷺ لم يراجع المسوّدة بعد الجمع، مع أنّ الجمع المذكور كان في عنفوان شبابه؛ ولهذا وجدنا فيها سقطاً كثيراً من الأحرف والكتاب والسنة، وقد وجدنا فيه أيضاً تكراراً بيّناً في عدّة مواضع؛ وكأ أنّه لمّا حاول الجمع بينهما ذهل عمّا كتبه من أحدهما فكتبه من الآخر ونحو ذلك.

ثمّ إنّي لما كتبتّه وطالعت فيه، دعنتي الغيرة إلى التصدي لإصلاحه؛ فأصلحت فيه الكثير من السقط المذكور من مظانّه؛ ولم يبق فيه إلّا مواضع يسيرة جدّاً في بعض الزيادات التي لم أعلم من أين أخذها؛ وأمّا ما علمته فأصلحته منه؛ أو ما كان من شرح السيّد عميد الدين؛ فإنّ الملتقط منه الزائد على ما في شرح الضياء قليل جدّاً؛ ولم يكن هذا الشرح عندي.

وقد وجدنا أيضاً بخطّه في هذه النسخة مواضع معلماً عليها الباء الهنديّة؛ والمواضع غير صحيحة؛ فكانت نسخة الضياء التي عنده لم تكن صحيحة في تلك المواضع. فأصلحناه نحن أيضاً. وربّما وجد عنده منهما شيء مغلوط؛ فوافق أنّ نسختنا كذلك؛ لا يسعنا إلّا تركه كما هو... وإنّي راقم الكتاب ومالكه حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني ضحى يوم الجمعة سابع عشر رجب المرجّب سنة إحدى وأربعين وتسعمائة، بعد الفراغ من مطالعته بأيّام.

وقرأه الشيخ حسين بن عبد الصمد على أستاذه الشهيد الثاني، كما في إجازة الشهيد

الثاني له في الليلة الثالثة من شهر جمادى الآخرة عام ١٩٤١^١.

وكتب الشيخ البهائي عليه السلام فيها:

هذا الكتاب من أوله إلى آخره بخطّ والدي (قدّس الله قدّس الله قدّس الله [كذا] روحه). وليس فيه إلا شيء يسير بخطّ شيخنا الشهيد الثاني (نور الله نور الله نور الله [كذا] مرّقه).

وقال الشهيد الأوّل في أوله:

بسم الله الرحمن الرحيم. أحمدك اللهم على سوابغ نعمائك بأبلغ محامدك؛ وأسألك المزيد من فضلك؛ وأصلي على خير أنبيائك وأعظم أمّنتك وأصفائك؛ خصوصاً أعظمهم قدراً وأعلاهم ذكراً أبالقاسم محمّد، وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطاهرين الأبرار.

وأستعينك في الجمع بين شرحي الإمامين - السيّدين الأبرّين - لكتاب تهذيب الوصول إلى علم الأصول من مصنّفات الداعي إلى الله شيخنا الإمام جمال الدين بن يوسف بن المطهر (قدّس الله روحه) مع زيادات لطيفة وفوائد شريفة.

وأسألك أن يكون نافعا في الدارين وموصلاً إلى الحسنين، إنك وليّ الإعانة^٢.

واعلم أنّ بعض الفضلاء من المعاصرين كتب في مقام تعديد شروح تهذيب الوصول: - شرح الشيخ حسين بن عبدالصمد الحارثي العاملي. هو إصلاح للشرح المنوسوم بجامع البين للشهيد الثاني....

- شرح الشيخ السعيد... الشهيد، اسمه جامع البين^٣.

بينما يكون جامع البين من تأليفات الشهيد الأوّل، وثانياً إصلاح الشيخ حسين بن عبدالصمد لا يُعدُّ شرحاً مستقلاً لكتاب تهذيب الوصول في قبال جامع البين.

ثمّ اعلم أنّ جامع البين حُقِّق وطبع لأول مرّة عام ١٤٣٠ في قم، ضمن موسوعة الشهيد

الأوّل، ج ١٦ و ١٧.

١. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١١٤، ١١٤١.

٢. مجلّة تحقيقات اسلامي، السنة ١٢، العدد ١-٢، ص ٢٦٠-٢٦٢.

٣. تهذيب الوصول إلى علم الأصول، ج ٢٠-٢١.

١١ . جواز السفر في شهر رمضان اعتباطاً

رسالة ذكر فيها الشهيد مسألة جواز السفر في شهر رمضان بقصد الإفطار والتقصير، وبسط الكلام فيها واستدلّ على جوازه بعشرين طريقاً؛ وذكر أيضاً أدلة القائلين بالحرمة وأجاب عنها. وعبر عنها الشيخ الحرّ العاملي بقوله: «رسالة في قصر من سافر بقصد الإفطار والتقصير»^١.
 أوّل: «بعد حمد الله تعالى على نعمه الباطنة والظاهرة... فأقول: الظاهر من مذاهب العلماء في سائر الأعصار والأمصار جوازه، مع إجماعنا على كراهة ذلك... لنا عشرون طريقاً؛ الأول - وهو العمدة -: التمسك بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا﴾^٢.

لم يذكر الشهيد تاريخ تأليفها في آخر الرسالة، ولم يذكرها في إجازته لابن الخازن ولا في إجازته لابن نجدة، ولا في غيرهما من مصنفاته، ولم يُشر فيها إلى أحدٍ من كتبه ورسائله، وألفها الشهيد بأمر من لم يُسمّه صريحاً، بل أشار إليه في مقدّمها بقوله: «فإني ممثّل ما أمرت به من واجب الطاعة وإمام الجماعة (أدام الله ظلّه) من بحث هذه المسألة». والظاهر أنّ الشهيد ألفها في التقية، لأنّه قال في أوّله وآخره:

- بعد حمد الله على نعمه الباطنة والظاهرة، وصلاته على محمّد المصطفى وعترته الطاهرة، وأصحابه الأنجم الزاهرة^٣.

- والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء وخاتمهم محمّد بن عبد الله وعلى عترته الأئمة الأصفياء، صلاة متّصلة إلى يوم الدين، وعلى أصحابه الراشدين والتابعين وتابعي التابعين.

وكتب مؤلفها محمّد بن مكّي (تجاوز الله عن سيئاته)^٤.

ووقفنا على حوالي عشر مخطوطات لها، منها:

(أ) مخطوطة مكتبة إمام الجمعة في زنجان^٥.

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١.

٢. الذريعة، ج ٥، ص ٢٤١.

٣. رسائل الشهيد الأول، ص ٢٥١.

٤. رسائل الشهيد الأول، ص ٢٦١.

٥. دليل المخطوطات، ج ١، ص ١٣٧-١٣٨.

(ب) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة في مشهد، المرقّمة ٧٧٣٥، نسخت عام ١٨٥٥.^١
 (ج) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٤٥٦٦/١١.^٢
 قال الشيخ آقا بزرك الطهراني (طاب ثراه) عند البحث عن الدرّة المنثور للشيخ عليّ العالمي:
 وقد أورد [أي مؤلف الدرّة المنثور] في الجزء الثالث عين رسالة الشهيد الأوّل المسماة
 جواز إبداع السفر في شهر رمضان.^٣

والجدير بالذكر أنّ الجزء الثالث من الدرّة المنثور لم يطبع حتّى الآن، وهو قيد التحقيق
 في مركز إحياء التراث الإسلامي في قم مع الجزء بين الأوّل والثاني من الدرّة المنثور و سينشر
 بعون الله سبحانه.

وهذه الرسالة طبعت لأول مرّة عام ١٤٢٣ في قم، ضمن رسائل الشهيد الأوّل
 (ص ٢٤٩ - ٢٦١). ثمّ نشرت عام ١٤٣٠، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

١٢. حاشية القواعد

من المسلّم به أنّه كانت للشهيد حواشٍ على قواعد الأحكام للعلامة الحلّي، وفقهاؤنا
 الأمجاد نقلوا في زيرهم الفقهية مباشرة أو مع الوساطة مطالب عن حاشيته - أو الحواشي
 المنسوبة إليه - على القواعد، منهم:

(أ) المحقّق الكركي؛ فإنّه في موارد كثيرة من جامع المقاصد ينسبها إليه بعبارات مختلفة
 دون أيّ تردّد، وفي موارد آخر يتردّد في نسبتها إليه؛ إذ يعبر عنها بـ «المنسوبة للشهيد» ففي
 ثمانية وعشرين مورداً ذكرها بعنوان: «في حواشي شيخنا الشهيد»، هي جامع المقاصد،
 ج ٣، ص ١٥٨، ٤٣٧، ٤٤٣، ٤٥٦، ٤٨٢، ج ٤، ص ١٩، ١٦٥، ١٨١، ٢٢٢، ٢٣٥، ٣٦٦،
 ج ٧، ص ٤٢، ٨٦، ١٢٠، ١٥٠، ١٦١، ٢٤٨، ٣٤٣، ج ٨، ص ٧، ج ٩، ص ٢٨، ٣٨، ١٨٧،
 ٢١١، ٢٢٠، ج ١١، ص ١٣٨، ج ١٢، ص ٨٩، ١٦٩، ٤٨٩.

وفي عشرة موارد بعنوان: «شيخنا الشهيد في حواشيه»، هي ج ٣، ص ١٧٥، ج ٤،

١. فهرست ألباني كتب خطي، ص ٤٤٥.

٢. ذكرت في فهرسها، ج ١٢، ص ٢٦٣.

٣. الذريعة، ج ٨، ص ٧٧ - ٧٨.

- ص ٤٥، ج ٦، ص ١٩٥، ٢٨، ج ٧، ص ١٥٥، ١٢٥، ج ٩، ص ١٩٧، ٢٩١، ٣٦٣، ج ١٠، ص ٨.
- وفي ثمانية موارد بعنوان: «شيخنا الشهيد في بعض حواشيه»، هي ج ٣، ص ٢٩٢، ج ٤، ص ١٣، ٥٦، ٤٠٢، ٤٥٠، ج ٧، ص ١٣٤، ج ٩، ص ٢٠٧، ج ١٢، ص ٤٣٣.
- وفي سبعة موارد بعنوان: «في حواشي الشهيد»، هي ج ١، ص ٤٠٣، ج ٣، ص ١٩٨، ٢٠٧، ٢٦٣، ٣٨٠، ج ٤، ص ٨٨، ج ٧، ص ٣٢.
- وفي خمسة موارد بعنوان: «الشهيد في حواشيه» هي ج ٣، ص ١٦٨، ٢٣٤، ٢٩٩، ٣٠٣، ٤٥٥.
- وفي أربعة موارد بعنوان: «الشهيد في بعض حواشيه»، هي ج ٤، ص ٨٦، ج ٧، ص ٨٥، ١١٢، ٩٨.
- وفي ثلاثة موارد بعنوان: «شيخنا الشهيد في بعض الحواشي»، هي ج ٧، ص ١٨٢، ج ٩، ص ١١٨، ١٢٠.
- وفي موردين بعنوان: «في بعض حواشي شيخنا الشهيد»، هما: ج ٧، ص ٣٧، ج ٨، ص ١٤٤.
- وفي موردين أيضاً بعنوان: «في حاشية الشهيد»، هما: ج ٣، ص ٣٠٥، ٣٨٣.
- وفي مورد واحد بعدة عناوين:
- «الشهيد في حاشيته» في ج ٣، ص ١٠٩
- «شيخنا في حواشيه» في ج ٣، ص ٢٠٣.
- «في بعض حواشي الشهيد» في ج ٤، ص ٦٤.
- «واحتمل في حواشي القواعد كونه عيباً» في ج ٤، ص ٣٢٨.
- «وقد صرح بذلك شيخنا الشهيد في بعض حواشيه على الكتاب» في ج ٩، ص ١٥٠.
- أما الموارد التي تردّد في نسبتها إليه فهي:
- في أربعة موارد ذكرها بعنوان: «في الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد»، هي ج ٣، ٣٧٨، ج ٧، ص ٢٧٧، ج ٨، ص ١٥٤، ج ١٢، ص ٢٥٩.
- وفي ثلاثة موارد ذكرها بعنوان: «في بعض الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد»، هي ج ٨، ص ٨٥، ج ٩، ص ٢٨٧، ج ١٣، ص ٤٤٤.

وفي مورد واحد ذكرها بعنوان: «وجدتُ في بعض الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد على القواعد في بحث الأنفال من الخمس»، هو ج ٧، ص ١١.

وفي موردٍ واحدٍ أيضاً ذكرها بعنوان: «وعلى هذا حمله شيخنا الشهيد في بعض ما ينسب إليه من الحواشي»، هو: ج ١٣، ص ٤٠٨^١.

وقال في قاطعة اللجاج، ضمن رسائل المحقق الكركي، ج ١، ص ٢٧٧: «وفي حواشي شيخنا الشهيد على القواعد...».

(ب) الشهيد الثاني في مواضعٍ عديدةٍ من كتبه، منها:

١. روض الجنان، ج ١، ص ١١٥: «والشاهد في الذكرى وكذا في حاشيته على القواعد».
٢. الروضة البهيّة، ج ٤، ص ٣٤٠: «... هذا هو الذي رجّحه المصنّف في بعض حواشيه».
٣. فوائد القواعد، ص ٣٨-٣٩، ٤٣، ٦٦، ٧٢، ٧٥-٧٨، ١٢١، ١٩٤، ٢٠٠، ٢١١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٣٠٠، ٤٠٤، ٤١٦، ٤٧٣، ٥٢٦، ٦٣٢، ٦٤٠، ٦٤٢-٦٤٣. فقد نسبها إلى الشهيد في هذه المواضع جازماً ودون أيّ ترديد.

(ج) الشيخ حسين بن عبد الصمد والد شيخنا الهائي رحمته الله في حاشيته على القواعد، حيث قال: هكذا وقعت عبارة القواعد والشرائع، واعترضها شيخنا الشهيد في حواشيه على القواعد، وتبعه الفاضلان: الشيخ عليّ في شرحه على القواعد، والشيخ زين الدين في حواشيه^٢.

(د) السيّد محمّد العاملي صاحب المدارك في:

١. مدارك الأحكام، ج ٥، ص ١٧٥: «واعلم أنّ شيخنا الشهيد رحمته الله ذكر في حواشي القواعد...».
٢. مدارك الأحكام، ج ٨، ص ٢٢٤: «وفي بعض الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد...».

(هـ) السيّد العاملي صاحب مفتاح الكرامة في مواضعٍ عديدةٍ، منها:

١. مفتاح الكرامة، ج ١، ص ١٢٠: «وحكى الشهيد في بعض ما ينسب إليه من الحواشي...».

١. انظر حياة المحقق الكركي، ج ٣، ص ٥٢٢-٥٢٧.

٢. فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مرکزی، ج ٥، ص ١٨٦٧.

٢. مفتاح الكرامة، ج ١، ص ٥٥٠: «وَأَنَّهُ الْمَنْقُولُ أَيْضاً فِي... وَحَواشِي الشَّهِيد».
- (و) الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر في مواضع عديدة، منها:
١. جواهر الكلام، ج ١٢، ص ٤٤٣: «... وَإِنْ قَالَ الشَّهِيد فِي الْحَواشِي الْبِخَارِيَّةِ [كَذَا، وَالصَّوَابُ: النَّجَّارِيَّةِ]...».
٢. جواهر الكلام، ج ١٥، ص ٤٧٢: «... عَنِ الشَّهِيدِ فِي حَواشِيهِ عَلَى الْقَوَاعِدِ...».
- (ز) الشيخ الأنصاري في مواضع، منها:
١. المكاسب، ص ١٤٣: «أشار إليه العلامة في القواعد، وأوضحه قطب الدين والشهيد في الحواشي المنسوبة إليه».
٢. المكاسب، ص ١٥٩: «عن حواشي الشهيد...».
٣. المكاسب، ص ١٨٣: «... عَنِ فخر الإسلام والشهيد في الحواشي».
٤. المكاسب، ص ١٨٩: «وعن حاشية الشهيد ظهور الميل إليه».
٥. المكاسب، ص ١٩٨: «فظاهر القواعد والمحكي عن حواشي الشهيد...».
٦. المكاسب، ص ٢٧٦: «قال الشهيد في محكي حواشيه على القواعد...».
٧. «وقد وافق الفخر على ذلك الشهيدان في الألفية وشرحها وبعض أمالي الشهيد^١. هذه مواضع من نقل فقهاءنا العظام من تلك الحاشية، ونرى في بعض موارد النقل شيئاً من التردد، كعبارة «الحواشي المنسوبة إليه» أو عبارة «ما ينسب إليه من الحواشي».
- ولإيضاح الموضوع نورد كلمات أصحاب التراجم حول حاشية الشهيد وحاشية أحمد ابن النجار على القواعد - المعروفة بـ «الحواشي النجارية» - فنقول:
- (أ) قال ابن العودي تلميذ الشهيد الثاني في تعديد مؤلفاته:
- ومنها حاشية على قواعد الأحكام للعلامة... مشى فيها مشي الحاشية المشهورة بالنجارية للمولى السعيد الشيخ الشهيد، وغالب المباحث فيها بينه وبينه^٢.
- (ب) قال الشيخ حسين بن عبد الصمد تلميذ الشهيد الثاني رحمته في شرحه للألفية المخطوط بعد: الظاهر أن الحواشي ليست له، بل جمعها بعض تلاميذه وإن كان معانيها له.

١. ترات الشيخ الأعظم، ج ٢، ص ٤٩٢ - ٤٩٣، كتاب الطهارة.

٢. الدر المنثور، ج ٢، ص ١٨٦.

ج) قال صاحب الرياض في البحث عن شروح القواعد وحواشيه: ومنها الحواشي النجارية، والحق أنها بعينها حاشية الشهيد الأول^١.

وقال أيضاً في تعديد مؤلفات الشهيد:

وله أيضاً حواشي القواعد إلى آخر الكتاب، سماها [كذا] [الحواشي النجارية]^٢.

قال العلامة السيّد الصدر في ترجمة الشهيد عند البحث عن مصنّفاته:

والحواشي النجارية، وهي حاشية على قواعد العلامة، رأيتها عند السيّد عليّ آل بحر العلوم، أكبر من نكت الإرشاد^٣.

د) قال العلامة السيّد الأمين في ترجمة أحمد بن النجّار:

هو العالم الجليل الفقيه من خواصّ تلامذة الشهيد الأوّل صاحب الحاشية المعروفة بالنجارية على القواعد، ذكر فيها إفادات الشهيد وتحقيقاته على القواعد، وهي حاشية جليّة مشحونة بالفوائد، ويأتي في ترجمة الشيخ حسن بن عليّ بن حسن النجّار ظنّ صاحب الرياض أنّه هو صاحب الحاشية النجارية، وليس الأمر كذلك... وبيّنا هناك أنّ سبب نسبتها إلى الشهيد أنّها من تقريراته وتحقيقاته وإفاداته فراجع^٤.

ه) قال الشيخ آقا بزرك الطهراني:

- أحمد بن النجّار، جمال الدين، كان من أجلاء تلاميذ الشهيد... وله الحواشي النجارية على القواعد... مشحونة بتحقيقات الشهيد وإفاداته، طبع أكثرها على هامش القواعد ١٣١٥. كتب بخطّه القواعد والفوائد للشهيد وقرأه على شمس الدين محمّد بن محمّد العريضي وكتب العريضي عليه بخطّه ماصورته: «إنها أيده الله قراءةً وبحثاً وشرحاً وفهماً (وقفه الله للعمل به) في مجالس متفرقة وأوقات مختلفة آخرها يوم الأربعاء ١٨/١٠/٨٢٣ وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى محمّد بن محمّد العريضي» ثمّ قابل عليّ بن عليّ بن طيّب نسخته التي كتبها بخطّه في ٨٣٥ بنسخة خطّ صاحب

١. رياض العلماء، ج ١، ص ٣٨٧؛ وانظر أيضاً بحار الأنوار، ج ١١٠، ص ١٦٦، ١٦٨.

٢. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٨.

٣. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٨-٣٦٩.

٤. أعيان الشيعة، ج ٣، ص ١٩٤، وانظر أيضاً ج ٥، ص ١٨٥ منه.

الترجمة ودعا له بـ «تفمّده الله برحمته»، فيظهر وفاته بين التاريخين ٨٢٣ و ٨٣٥.^١
 - الحاشية عليه [أي على القواعد] للشيخ جمال الدين أحمد بن النجّار، من أجلّاء
 تلاميذ الشيخ الشهيد... وطبعَتْ جملة من هذه الحاشية مع القواعد في ١٣١٥. وقد
 يقال لها: الحواشي النجّارية^٢.

- الحاشية عليه، للشيخ السعيد محمّد بن مكّي الشهيد... قال المولى كمالا في بياض
 الكمالي (المذكور في ج ٣، ص ١٧٠): «إنها موجودة عند مولانا [العلامة المجلسي]».
 أقول: وتوجد نسخة منها في بقيّة موقوفة الطهراني بكر بلاء. وقال صاحب الرياض:
 «الحقّ أنّها بعينها الحواشي النجّارية التي دوّنها الشيخ جمال الدين أحمد بن النجّار
 تلميذ الشهيد»^٣. أقول: ويظهر حقيقته بتطبيق ما في النسخة المذكورة مع المطبوع من
 النجّارية كما ذكرناه^٤.

- الحواشي النجّارية، ذكرنا في ج ٦، ص ١٦٩ أنّها حواشٍ على قواعد العلامة، وطبع
 أكثرها على هوامش القواعد في ١٣١٥، وهو تأليف جمال الدين أحمد بن النجّار
 المتوفّي بين ٨٢٣-٨٣٥.^٥

- شرح قواعد الأحكام، المعروف بالحواشي النجّارية... عبّر عنه في رياض
 العلماء بـ شرح النجّارية^٦.

١. الضياء اللامع، ص ١١. وفي آخر مخطوطه من ذكرى الشيعة للشهيد محفوظة في مركز إحياء الميراث
 الإسلامي في قم، برقم ٣٤١٩ (ذكرت في فهرسها، ج ٨، ص ٣٩٥):
 «عورض هذا الكتاب الشريف... بنسخة - معارضة بنسخة و - مصحّحة بخطّ الفاضل الكامل الفقيه أحمد بن
 حسن بن محمود المشتهر بابن النجّار، من مشاهير تلامذة المصنّف (قدّس الله روحه) وكان قد قرأها على
 المصنّف إلى... صلاة الغدير، وعليها خطّ المصنّف (قدّس الله روحه) في عدّة مواضع، وكلّ ما كتب في حواشي
 هذا الكتاب ورسم في آخره: «ج» فهو علامة ابن النجّار، حيث كتبه في هوامش كتابه المقروء على مصنّفه (قدّس
 سرّه العزيز) وكان الفراغ من مقابلة هذا الكتاب بالنسخة المزبورة في أواخر شهر رجب المرجّب من شهر سنة
 ثمان وثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية...»
 فيظهر منها أنّ اسمه ونسبه هكذا: «أحمد بن حسن بن محمود».

٢. الذريعة، ج ٦، ص ١٦٩-١٧٠.

٣. رياض العلماء، ج ١، ص ٣٨٧.

٤. الذريعة، ج ٦، ص ١٧٢.

٥. الذريعة، ج ٧، ص ١١١.

٦. الذريعة، ج ١٤، ص ٢٢-٢٣.

- شرح قواعد الأحكام، للشهيد الأول محمد بن مكي، عيّره عنه بالشرح في رياض العلماء، وقد مرّ بعنوان الحاشية في ج ٤، ص ١٧٢.^١

كانت هذه كلمات العلماء وأهل الفن، ممّا وقفت عليه حول هذا الموضوع، ويُرَى فيها اضطرابٌ كثير: فذهب صاحب الرياض إلى أنّ حاشية القواعد للشهيد هي بعينها الحاشية النجارية، فيما عدّ الطهراني الحواشي النجارية تارةً من تأليف ابن النجّار؛ وأخرى أيّد كلام صاحب الرياض حيث قال: «إنّها بعينها الحواشي النجارية التي دوّنها.. تلميذ الشهيد»؛ وقال ثالثة: إنّ الحواشي النجارية «مشحونة بتحقيقات الشهيد وإفاداته». لكن العلامة السيّد حسن الصدر يقودنا إلى أنّ الحواشي النجارية هي من تأليف الشهيد، وليس هناك حاشيتان: إحداهما للشهيد، والأخرى لابن النجّار.

وممّا يذكر أنّه طُبِعَ قسم كبيرٌ من حاشية القواعد - من النكاح إلى آخر الكتاب - في هوامش قواعد الأحكام عام ١٣١٥، وهو يحمل توقيع «نجارية». كما أنّه كتب قسم من حاشية القواعد على هامش بعض نسخ القواعد المخطوطة، منها مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام، المرقّمة ١٢٩٢.^٢

إنّ الرأي الفصل في هذا الأمر يحتاج إلى مراجعة جميع النسخ الخطية المعروفة بحاشية الشهيد على القواعد أو حاشية ابن النجّار، وتفحصها الواحدة تلو الأخرى، وكخطوة أولى لكشف اللبس عن هذا الموضوع نُعرّف ستّ نسخ مسجّلة في إيران، وهي:

(أ) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ٢)، المرقّمة ٧٨٠/١.

(ب) مخطوطة المكتبة المركزية لجامعة طهران، المرقّمة ١١٩٣.^٣

(ج) مخطوطة مكتبة الوزيرى بمدينة يزد، المرقّمة ١٣٢٣، نُسخَتْ في القرن ٩، وأولها كأول مخطوطة مكتبة المجلس.^٤

(د) مخطوطة مكتبة مدرسة الآخوند في همدان، المرقّمة ٤٥٨٤، نُسخَتْ في عام ١٠٢٤.^٥

١. الذريعة، ج ١٤، ص ٢٣.

٢. ذكرت في فهرسها، ج ٤، ص ٨٨.

٣. ذكرت في فهرسها، ج ٦، ص ٢١٩٤-٢١٩٨.

٤. ذكرت في فهرسها، ج ٣، ص ٩٢٨.

٥. فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه‌های رشت و همدان، ص ١٣١٨.

هـ) مخطوطة مكتبة السيّد عبدالعظيم عليه السلام بالريّ، المرقّمة ١٩٤، نسخت في القرن ١١، وتختلف مع مخطوطة مكتبة المجلس ومخطوطة جامعة طهران في موارد كثيرة. أوّلها - بعد البسملة -:

قال (قدّس الله سرّه) في أوّل خطبة القواعد: «الحمد لله». الحمد هو الثناء بجميل على جهة التعظيم والتبجيل على الأفعال الحسنة الاختيارية^١.

و) مخطوطة مكتبة العلامة الطباطبائي في كلىة الطب بجامعة شيراز، المرقّمة ١٠٢٦ - كما ذكرها المرحوم الأستاذ العلامة السيّد عبد العزيز الطباطبائي عليه السلام. أوّلها:

بسم الله... وبه تقتي، وعليه تُكلّاني في الابتداء والانتها، ربّ وفّق لما تحبّ وترضى، قوله (قدّس الله سرّه): «في أنواعها» أي أنواع الطهارة^٢.

ومن بين النسخ المذكورة لديّ نسخة مصوّرة عن مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي؛ مصوّرة مخطوطة المكتبة المركزية لجامعة طهران، وورد كلام مبسوط حولها في فهرسها^٣. وأمّا سائر المخطوطات المذكورة آنفاً فلم تتوفّر لدينا معلومات عنها سوى ما ذكر في فهرسها، وهي قاصرة وغير مُجدية. وأمّا هاتان المخطوطتان - أعني مخطوطة المكتبة المركزية لجامعة طهران ومخطوطة مكتبة المجلس - فإليك وصفهما:

أ) نُسخت مخطوطة مكتبة جامعة طهران في الكرك غرّة شوّال سنة ٨٨٤، وصرّح ناسخها بأنّها نُقلت من نسخة بخطّ المزيدي. وجاء في آخرها:

... قوله: «بألفاظ مختصرة وعبارة [كذا، ظ: عبارات] محرّرة»، إشارة إلى هذين المعنيين.

قوله: وطريقة [كذا، ظ: طريق] السداد»^٤. هذا آخر ما وجد من الحواشي على قواعد

الشيخ جمال الدين أحمد بن النجّار (قدّس الله نفسه وروّحَ رسمه). ... فرغ العبد

محمّد بن عبدالعلي بن هاشم الحسيني من نسخها في الكرك يوم عيد الله غرّة شوّال من

سنة أربع وثمانين وثمانائة.

١. نشرية نسخه‌های خطی، العدد ٣، ص ٤٦٣.

٢. میراث اسلامی ایران، ج ١، ص ٤٢٥.

٣. فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مرکزی، ج ٦، ص ٢١٩٤-٢١٩٨.

٤. ليس لـ «طريقة السداد» في المخطوطة شرح.

وهذه المخطوطة مطابقة لمخطوطة مكتبة المجلس الشورى الإسلامي وكاملة سوى عدة أوراق سقطت من أولها. وهاتان المخطوطتان تختلفان في بعض الموارد مع ما طبع في هوامش القواعد عام ١٣١٥. يحمل توقيع «نجارية»^١.

(ب) أمّا مخطوطة مكتبة المجلس فقد نَسَخَهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْفَقْعَانِي فِي الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ عَامَ ٨٥١ فِي ١٩٤ وَرَقَةً، وَلَمْ يَسْقُطْ مِنْ أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا شَيْءٌ، وَهِيَ أَكْمَلُ مِنْ مَخْطُوطَةِ مَكْتَبَةِ جَامِعَةِ طَهْرَانَ.

وقد كانت هذه المخطوطة في مكتبة الدكتور حسين مفتاح الخاصة - كما ورد في فهرسها^٢ ثمّ نقلت بعد ذلك إلى مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ٢). أولها - بعد البسملة والحمدله -:

وبعد، فإنّي لمّا وقفت على كتاب قواعد الأحكام التي هي بخطّ الشيخ الفاضل جمال الدين أحمد بن النجّار (قدّس الله روحه) ونظرت في حاشيتها بخطّه لمعاً مترجمة عن مكنون أسرارها... وكاشفةً لقتاع أستاذها، فرأيت أنّ أونس وحشتها بجمع شملها... ولأنّها إذا كانت في وطن جامع مصون، ومسكن واسع مأمون، كان أسعد لمن يريد المجالسة لفوائدها... مستمداً من الله تعالى المعونة والتسهيل، والإرشاد إلى سواء السبيل؛ فهو حسبنا ونعم الوكيل.

قوله: «رافع درجات العلماء...» إشارة إلى ما ذكره ابن بابويه ...

وآخرها:

... قوله: «بألفاظ مختصرة وعبارة [كذا] محرّرة»، إشارة إلى هذين المعنيين.

قوله: «وطريق السداد» هو إصابة الحقّ. هذه آخر ما وجد من الحواشي على قواعد

الشيخ جمال الدين أحمد بن النجّار.

وترى في هذه الحاشية فوائد جمّة وتحقيقات رشيقة، ويُرَى فيها كثير من المطالب بتوقيع «فخر» (أي فخر المحقّقين) كما في الورقتين ٣٨ - ٣٩؛ و«شيخ» كما في الأوراق ٣٢، ٣٨، ٤٤، ٤٥؛ و«شيخنا» كما في الورقة ٣٥؛ وعلامات أخرى.

١. انظر فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مرکزی، ج ٦، ص ٢١٩٤.

٢. نشریه نسخه‌های خطی، العدد ٧، ص ٢٢٩.

واليك بعض مطالبها :

قوله : «وهل يسقط الهدي مع الاشتراط في المحصور والمصدود؟ قولان». قال شيخنا فخر الدين رحمته : «المراد بهذا من اجتمع له الحصر والصدّ حذراً من التكرار»^١ .
 قوله : «للإتمام مع احتمال البطلان». عليها بغير خطّه (أي المصنّف) : «المقصود هنا بالإتمام إكمال الشوط الناقص، بحيث لا يجعل المبدأ منتهى، وبيئدئ الطواف منه ثمّ يأتي إلى الحجر لاشتماله على زيادة الشوط». قال فخر : «هذه الحاشية ليست بخطّ المصنّف، وإنما هي بخطّ مولانا زين الإسترآبادي، وهو من جملة فضلاء تلامذة المصنّف في المعقول، كتبها ولم يفهم المسألة. وكان قد اشتهر بين تلامذة والذي أنّ المراد أنّ ينويّ عند الحجر الإتمام، أي يأتي بستّة أشواط إتمام الشوط الأوّل، ثمّ يأتي بنبئةٍ أخرى عند إتمام الستّة بشوط سابع، ويبطل ذلك، فكأنّه قد نوى الطواف بنبيتين ؛ فاللام يتعلّق بالنبية، أي ينوي الإتمام. - قال - : ولا يصحّ أنّ اللام للتعليل، أي لأنّه أتمّ الواجب عليه، وهو النية ومقارنتها والإتيان بجميع الأشواط، وإذا أتى بتمام ما وجب عليه خرج عن العهدة. ويحتمل البطلان ؛ لأنّه زاد في الواجب، وهو الشوط الأوّل الناقص، حيث لم يبطله. وليس بجيّد ؛ لأنّ الفعل قبل النية لا اعتبار به، ولا يكون زيادة في الواجب، لأنّ تجديد النية أبطله. فقوله : «فمنه» الضمير يرجع إلى الحجر، والمراد أنّ يجدد النية للطواف، ويُهْمَلُ الشوط الأوّل، فلا ينوي إبطاله ولا اعتباره ؛ أمّا لو نوى اعتبار الشوط الأوّل فإنّه زاد في طواف الفريضة. ويشكل بأنّ الزيادة قبله فلا تؤثر»^٢ .
 قوله : «ولو ظنّ الآكل ناسياً الفساد فتعمّده وجبت الكفارة». وجه وجوب الكفارة أنّه أفطر في يومٍ من شهر رمضان متعمّداً لغير عذرٍ... والاحتياط وجوبها في هذه الصورة. (هذه الحاشية بخطّ الشهيد على قواعد ابن النجّار)^٣ .

قوله : «ولا يجوز التصرف في حقّه عليه إلا بإذنه، والفائدة حينئذٍ له»، فلو استولى غيرنا من المخالفين عليها فالأصحّ أنّه يملك، لشبهة الاعتقاد كالمقاسمة، ويملك الذمّي الخمر والخنزير، فحينئذٍ لا يجوز انتزاع ما يأخذه المخالف من ذلك كلّه. وكذا ما يؤخذ

١. الورقة ٥٠ ب؛ وانظر جامع المقاصد، ج ٣، ص ٣٠٠.

٢. الورقة ٤٦ ب-٤٧ ألف؛ وانظر جامع المقاصد، ج ٣، ص ١٩٠-١٩١.

٣. الورقة ٣٨ ب.

من الآجام ورؤوس الجبال وبطون الأودية لا يحلّ انتزاعه من آخذه، وإن كان كافراً، وهو ملحق بالمباحات المملوكة بالنيّة لكلّ متملّك، وآخذه غاصبٌ تبطل صلته في أول وقتها حتّى يرده إلى مالكه. (وكتب محمد بن مكّي) ^١.

والجدير بالذكر أنّ بعض المطالب التي نقلها المحقّق الكرّكي في جامع المقاصد عن حاشية الشهيد على القواعد - وكذلك عن فخرالدين شيخ الشهيد - موجود في هذه المخطوطة؛ ومن جهة أخرى تختلف هذه المخطوطة في بعض الموارد مع ما طبع بتوقيع «نجارية» في هامش القواعد، كما تقدّم. وتوجد في الحاشية المطبوعة في هامش القواعد بتوقيع «نجارية» مطالب منقولة عن الشهيد بتعبير «الشهيد»، فعلى سبيل المثال:

... قاله الشهيد عليه السلام (نجارية) ^٢.

... وقال الشهيد: يمكن المساواة... (نجارية) ^٣.

... وهو اختيار الشهيد... (نجارية) ^٤.

فعلى ما مرّ لا يمكن القول - بأنّ جميع ما في هذه المخطوطة - أو ما طبع في هامش القواعد بتوقيع «نجارية» - هو تأليف الشهيد عليه السلام.

والمستفاد من القرائن أنّ بعض حواشي الشهيد - على أقلّ تقدير - كان بخطه الشريف على نسخة القواعد التي نسخها ابن النجّار، كما سبق. ولكنّ الشهيد لم يوقّق لتدوين ما كتبه من الحواشي في كتاب مفرد كسائر تأليفاته، ومن جهة أخرى كتب تلميذه أحمد بن النجّار ما سمعه من الشهيد أو أملاه الشهيد في نسخته من القواعد. والمتبقي لنا من حاشية القواعد مركّب ممّا كتبه الشهيد في نسخة القواعد لابن النجّار - ولم يدوّنّها في كتاب مفرد - ومما كتبه تلميذه ممّا سمعه منه أو أملاه عليه، وهذا علّة تسميتها بالحاشية النجارية. ونقلها من نسخة ابن النجّار ودوّنها بعض الفضلاء في نسخة مفردة وربما زاد عليه بعض النساخ في بعض النسخ حواشي لغير الشهيد ومن هنا تختلف النسخ زيادةً ونقصاً. والله العالم.

١. الورقة ٣٧ ألف.

٢. قواعد الأحكام، ج ٢، ص ٢٧٣، الهامش.

٣. قواعد الأحكام، ج ٢، ص ٢٧٣، الهامش.

٤. قواعد الأحكام، ج ٢، ص ٣٤٢، الهامش.

ونشرت هذه الحاشية لأوّل مرّة ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٤.

● خلاصة الاعتبار في الحجّ والاعتمار ← المنسك الصغير

١٣. الدروس الشرعية في فقه الإمامية

كتاب في أكثر أبواب فقه، من أدقّ كتب الشهيد الفقيهية وأشهرها، كتبه في أواخر عمره الشريف بطلب ولديه أبي طالب محمّد وأبي القاسم عليّ، وذلك بعد شروعه في تأليف الذكري والبيان، كما ذكره في مقدّمته بقوله:

... أما بعد، فإنّ علم الفقه لا يخفى شرفه وعلوّه، ومقداره وسموّه، وعموم حاجة المكلفين إليه، وإقبال الخلائق عليه. وقد صنّف علماء الأصحاب (رضي الله عنهم) فيه الكثير، وخرج عنهم الجمّ الغفير، المتّصل بأصحاب آية التطهير... فلمّا انتهت النوبة إلينا أحببنا أن ننسج على منوالهم، ونقتدي بهم في أقوالهم وأفعالهم، فكتبنا في ذلك ما تيسر من الذكري والبيان، وعزّزناهما بهذا المختصر للتيبان؛ لاقتضاء الولدين الموقّنين - إن شاء الله -: أبي طالب محمّد وأبي القاسم عليّ (رفع الله عنهما الضير ووفّقهما والمؤمنين للخير) وسمّيناه بالدروس الشرعية في فقه الإمامية^١.

أبدع الشهيد في هذا الكتاب ترتيباً لم يسبقه إليه سابق - كما مرّ تحت عنوان «مكائنه العلمية والأخلاقية وبعض آرائه» في الفصل السادس من الباب الأوّل - ونقل فيه آراء كثير من فقهاءنا كابن بابويه والعماني وابن الجنيد والجعفي وغيرهم من الذين لم تصل إلينا كتبهم، ولم ينقل فيه من آراء العامّة شيئاً. وقال في آخر كتاب الحجّ منه: وقد أتينا منه بحمد الله في هذا المختصر ما لم يجتمع في غيره من المطوّلات، فللّه الشكر على جميع الحالات^٢.

لم يوفّق الشهيد لإتمام الكتاب لاستشهاده، وخرج منه الطهارة إلى الرهن. وقد دوّنه الشهيد في جزئين: ضمّ الأوّل الطهارة حتّى آخر كتاب الإقرار^٣، وضمّ الثاني من أوّل كتاب

١. الدروس الشرعية، ص ١، ط. القديمة؛ وج ١، ص ٨٤، ط. الجديدة.

٢. الدروس الشرعية، ص ١٥٠-١٥١، ط. القديمة؛ وج ١، ص ٥٠١، ط. الجديدة.

٣. في حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٣؛ ولعلّ الجزء الثاني يبدأ بالزكاة. وهذا سهو بلا ريب.

المكاسب إلى الرهن، وقال في آخر الجزء الأول منه :

والله الموفق. تمّ الجزء الأول بعون الله وحسن توفيقه، وصلى الله على خير خلقه محمّد النبي وآله وسلّم، ويتلوه في الجزء الثاني كتاب المكاسب^١.

قال الطهراني رحمته الله :

شرح فيه ٧٨٠، وفرغ من جزئه الأول - كما صرّح به في الرياض - آخر نهار الأربعاء

لاثنتي عشرة ليلة خلث من ربيع الثاني [كذا، والصواب: ربيع الآخر] ٧٨٤^٢.

أقول: ما ذكره الطهراني من تاريخ شروعه في تأليفه فلا أدري ما هو مستنده، وأمّا تاريخ الفراغ من جزئه الأول فقد ورد في آخر هذا الجزء في بعض مخطوطاته القديمة بهذه العبارة :

وكان فراغه آخر نهار الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلث من شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وسبعمئة... هذا آخر كلامه (زاد الله تعالى علو درجاته ومقامه) ...^٣.

وقد ذكره الشهيد في إجازته لابن الخازن الحائري في الثاني عشر من شهر رمضان عام ٧٨٤

بقوله: «كتاب الدروس الشرعية في فقه الإمامية خرج منه نصفه في مجلد»^٤. وكلامه هذا يدلّ على أنّه قصد إلى تأليف دورة الفقه بهذا الشكل في مجلدين. وبما أنّه طبع في ٤٠٦

صفحة، وقد شغل جزؤه الأول ٣٢٥ صفحة، والقسم المؤلف من الجزء الثاني ٨٠ صفحة، فيستفاد منه ومن كلامه في إجازته لابن الخازن أنّه ألّف حوالي ربع الجزء الثاني من الكتاب.

وقد نهض العالم الجليل السيّد جعفر الملحوس لإكمال كتاب الدروس فألّف تكملة

الدروس. قال المحدّث النوري (طاب ثراه):

ومما ينبغي التنبيه عليه... أن... الدروس غير تامّ، لا يوجد فيه من أبواب الفقه: الضمان،

العارية، الوديعة، المضاربة، الوكالة، السبق والرماية، النكاح، الطلاق، الخلع، المبارة،

الإيلاء، الظهار، اللعان، الحدود، القصاص والديات. ونهض لإكماله وإتمامه العالم

الجليل السيّد جعفر الملحوس ...^٥.

١. الدروس الشرعية، ص ٣٢٥، ط. القديمة؛ وج ٣، ص ١٥٥، ط. الجديدة.

٢. الذريعة، ج ٨، ص ١٤٥.

٣. مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٨٦٢٩.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

٥. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٠٩، ط. الجديدة؛ وانظر الضياء اللامع،

ص ٢٣، ٢٤، ١٣٢؛ الذريعة، ج ٢، ص ٢٨٢؛ وج ٣ و٤؛ وج ٤، ص ٤١٣.

وفرغ السيد جعفر الملحوس من تكملة الدروس في السادس والعشرين من شهر رجب الأصب عام ١٨٣٦^١. ومخطوطة تكملة الدروس موجودة بحمد الله - في مكتبة الروضة الرضوية المقدسة في مشهد برقم ١٤١٣٣^٢، وفي مكتبة آية الله المرعشي رحمته برقم ٣١٥٦ - ولكنها لم تطبع.

وقد أشار الشهيد في الدروس إلى غاية المراد، حيث قال :

... وقد بيّناه في شرح الإرشاد^٣.

... وقد حررنا هذه المسألة في شرح الإرشاد^٤.

وإلى الذكرى والبيان بقوله :

... فكتبتنا في ذلك ما تيسر من الذكرى والبيان^٥.

... وقد ذكرنا الروايات... في الذكرى^٦.

... أوردنا طرفاً منه في الذكرى^٧.

... وقد بيّناه في الذكرى^٨.

وإلى القواعد والفوائد بقوله :

... وقد حققناه في القواعد^٩.

طبع الدروس طبعةً حجرية عام ١٢٦٩ في طهران في ٤٠٦ صفحة بالقطع الوزيري، وطبع أيضاً في قم حوالي عام ١٤٠٠ بالأوفست على الطبعة الحجرية. ثم نشر في ثلاثة مجلّدات بإعداد مؤسّسة النشر الإسلامي في قم، في الأعوام ١٤١٢-١٤١٤. ثم نشر في ثلاثة مجلّدات بإعداد مجمع البحوث الإسلامية، في مشهد الرضا (عليه آلاف التحية

١. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣١٠، ط. الجديدة.

٢. فهرست ألباني كتب خطي، ص ١٤٤-١٤٥؛ فهرس مكتبة الروضة الرضوية، ج ٢٠، ص ٩٦.

٣. الدروس الشرعية، ص ٥٩، ط. القديمة؛ وج ١، ص ٢٣٥، ط. الجديدة.

٤. الدروس الشرعية، ص ٢٧٥، ط. القديمة؛ وج ٢، ص ٤٠٤، ط. الجديدة.

٥. الدروس الشرعية، ص ١، ط. القديمة؛ وج ١، ص ٨٤، ط. الجديدة.

٦. الدروس الشرعية، ص ٢٥، ط. القديمة؛ وج ١، ص ١٤٧، ط. الجديدة.

٧. الدروس الشرعية، ص ٣٣، ط. القديمة؛ وج ١، ص ١٦٥، ط. الجديدة.

٨. الدروس الشرعية، ص ٣٥، ط. القديمة؛ وج ١، ص ١٧٢، ط. الجديدة.

٩. الدروس الشرعية، ص ١٨٩، ط. القديمة؛ وج ٢، ص ١٢٥، ط. الجديدة.

والثناء) في الأعوام ١٤١٧ - ١٤٢٦ ثم نشر عام ١٤٣٠ في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ٩ - ١١.

ومخطوطاته كثيرة جداً وقفنا على حوالى مأتي مخطوطه له^١، منها:

(أ) مخطوطة مكتبة مدرسة النواب في مشهد، المرقمة ٢٧ فقه^٢.

(ب) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ١٨٨٠، نسخت عام ٨٢٠.

(ج) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٢١٧٢، نسخت عام ٨٢٦.

(د) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٣٩٦٧، نسخت عام ٨٢٠.

(هـ) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٨٦٢٩، نسخت عام ٨١٤.

(و) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقمة ٣٠، من كتب السيد

الطباطبائي، نسخت عام ٩٤٩ (ذكرت في فهرسها، ج ٢٤، ص ٤٨).

(ز) مخطوطة مكتبة آية الله الحكيم؛ في النجف الأشرف، المرقمة ١٢٢ نسخت

عام ٣٩٦٧.

(ح) مخطوطة مكتبة ملي في طهران، المرقمة ١٥٠٦/ع، نسخت عام ٩١٢، (ذكرت في

فهرسها، ج ١٠، ص ٤).

(ط) مصورة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٨٥٣، نسخت في القرن ٩، (ذكرت في

فهرس مصوراتها، ج ٢، ص ٣٣٠-٣٣١).

(ي) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، المرقمة ٦٠٦، نسخت عام ٨٢٨ ظ.

(يا) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، المرقمة ١١٨١، نسخت عام ١١٠٤.

(يب) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، المرقمة ١٣٥٠، نسخت في القرن ١١.

(يج) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، المرقمة ١٩٥٩، نسخت حوالي ٩٥٦.

(يد) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، المرقمة ٢٤٥٠، نسخت في القرن ١١ (ذكرت هذه

١. انظر الذريعة، ج ٨، ص ١٤٥ و ج ١٣، ص ٢٤٢؛ مقدّمه‌ای بر فقه شيعه، ص ١٣٦؛ فهرست ألباني كتب خطي،

ص ٢٤٨؛ الضياء اللامع، ص ٢٣، ٣١، ٣٣، ٤٤، ٤٨، ٧٥، ٨٨، ٩٧، ١١٨، ١٣١؛ المحقق الطباطبائي في ذكره

السنية الأولى، ج ٢، ص ٨٢.

٢. فهرست نسخه‌های خطي دو کتابخانه مشهد، ص ٤٥٦-٤٥٧.

٣. من نوادر مخطوطات مكتبة آية الله الحكيم العامة، ص ٣٩-٤٢.

النسخ الخمس في فهرسها، ج ١، ص ٢١١-٢١٢).

(به مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ٢)، المرقمة ٨٠٧، نسخ قسم منها عليّ بن حسن بن عليّ في شهر رمضان عام ٧٨٥ في قرية جزّين، مولد الشهيد.
يو) مخطوطة مكتبة كلية الإلهيات التابعة لجامعة طهران، المرقمة ١٦٣ ح، نسخت عام ٧٩٨.

يز) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقمة ٨٨٢٥، نسخت عام ٨٢١.

يح) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدسة، المرقمة ٢٤٠١، نسخت عام ٨٢٢.

يط) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدسة، المرقمة ٧٦٤٧، نسخت عام ٩٦٢.

ك) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدسة، المرقمة ٢٣٩٧، نسخت عام ٩٦٤.

كا) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدسة، المرقمة ٢٧٣٧، نسخت عام ٩٧٧.

وللكتاب شروح وحواشٍ لا مجال لذكرها هنا^١. منها مشارق الشموس في شرح الدروس، للمحقّق الخوانساري رحمته الله، وقد طبع على الحجر قديماً. قال الخوانساري في أوّله: ... ولما كان كتاب الدروس الشرعية في فقه الإمامية ... أحسن الكتب المصنّفة تحقيقاً وتهذيباً، وأتقن الرسائل المؤلّفة تدقيقاً وتقريباً، وأكثرها اشتمالاً على الفروع التي تعمّ بها البلوى، وأسدها تقيحاً للمسائل التي تشتدّ الحاجة إليها، أحببنا أن نشرحه شرحاً يوضح مقاصده الدقيقة، ويُجلي مطالبه الأنيقة، ويبيّن حقائق أنظاره، ويُظهر دقائق أفكاره، غير مقتصرين على حلّ الكتاب وبيان مبانيه، ولا مكتفين بكشف الحجاب عن عرائس معانيه، بل أوضحنا في كلّ مسألة مقاصد من تكلم فيها، وأشبعنا القول فيما يصحّ أن يقال لها أو عليها، وأوردنا من الأدلّة ما أمكن بلوغ الفهم إليها، وأطلنا النظر في متن كلّ دليل وسنده، وأجلّنا الفكر في ردّ كلّ مذهبٍ ونقده، وأعلنا سرّ الأقوال في الإبرام والنقض، وأمعنا القول في ترجيح بعضها على بعض، وسَمّيناه مشارق الشموس في شرح الدروس ...^٢.

١. انظر الذريعة، ج ٤، ص ٢٢٥؛ وج ٦، ص ٨٥؛ وج ٨، ص ١٤٥-١٤٦؛ مقدمه أي بر فقه شيعه، ص ١٣٦-١٣٧؛ فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مرکزی، ج ٥، ص ١٨٧٧-١٨٧٨؛ مرآة الكتب، ج ٢، ص ٢١٦؛ فهرست مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي، ج ٩، ص ١٥٩.

٢. مشارق الشموس، ص ٤-٥.

ونقل الجباعي في مجموعته^١ حواشي على الدروس من خطّ رضي الدين ابن مكّي ولد الشهيد، إليك نصّها:

كتاب اليمين

قوله: «لا الماء على الأقرب»^٢.

حاشية: من عدم تسمية... عرفاً...

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمُهُ فَإِنَّهُ رَبِّي﴾^٣.

قال في الدروس: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمُهُ فَإِنَّهُ رَبِّي﴾^٤ محمول على الذوق، واللحم لا يتناول الشحم والمخّ والدماغ والكبد والطحال والكرش والمصران والقلب على الأقوى.

قوله: «كالسكنى وخدمة العبد، ففيها وجهان»^٥.

حاشية: من فساد أنها المال في الانتفاع. ووجه العدم أن المتبادر إلى الفهم الأعيان لا المنافع.

قوله: «أو لم يخذرها، على الأقرب»^٦.

حاشية: وجهه أنه المتبادر في اللغة، ووجه اعتبار التخدير إمضاء العرف إيّاه، ولما لم يكن مطزداً كان العمل على اللغة أولى.

كتاب الكفّارات^٧

حاشية: الكفّارة عبارة عن طاعة مخصوصة مسقطه عقوبة ذنب أو مخفّفة له غالباً، وبقيد الأغلبية تدخل كفّارة قتل الخطأ، فإنها ليست عقوبة عن ذنب.

قوله: «لرواية مقطوعة، واستحبه»^٨.

حاشية: المقطوعة هي الموقوفة على الراوي من غير تسمية المروي عنه.

قوله: «أو السكران تردّد»^٩.

حاشية: من عدم النصّ، ومن أنه لا...

١. مجموعة الجباعي، الورقة ١٠٦ ب - ١٠٧ ألف.

٢. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٧٢؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٣٧.

٣. البقرة (٢): ٢٤٩.

٤. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٧٢؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٣٧.

٥. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٧٧؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٣٩.

٦ و٨. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٧٩؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٤٠.

قوله: «ولو سافر فيه فالأقرب الإفطار»^١.

حاشية: وجهه أنه صومٌ واجبٌ قد لا ينعقد في السفر، ومن توهم التعيين على الإطلاق إذا كانت تلك الواقعة في السفر.

قوله: درس، «خصال الكفارة أربع»^٢.

حاشية: سؤال: إن أريد خصال جميع الكفارات فهي زائدة عن هذه الأربع كالذبح والنحر والاستغفار، بل وقضاء الحجّ على قول، وكفارة الحيض، وإن أريد مطلق الكفارة فلا يحتاج إلى الأربع؟

جواب: المراد به الكفارات الغالبة، وهي قسم ثالث [ظ]، وإنما لم يذكر تلك الأقسام لسبقها في الحدّ وسبق الاستغفار وسبق كفارة الحيض في بابها.

قوله: «أو ثمنها إذا أمكن الاعتياض»^٣.

[حاشية]: إنما ذكر الاعتياض ولم يذكر الشراء تعليقاً على العام، أو يدخل فيه الشراء والصلح و عوض الإجارة، وهبة... والإصدق والخلع.

قوله: «وفي المظاهر وجهان»^٤.

حاشية: من الضرر بالصبر وتحقّق الوجدان.

قوله: «وتباع ضيعته وتجارته وإن التحق بالمساكين كالدين»^٥.

[حاشية]: أي كما تباع في الدين.

قوله: «ولو طُلب منه النقد»^٦.

[حاشية]: أي الذي له مالٌ غائب.

قوله: «ويعتبر في الصحة أمور تسعة - إلى قوله: - وفي غيره على الأقوى»^٧.

حاشية: بناءً على أنّ المطلق يحمل على المقيد، وقد تقرّر في الأصول.

قوله: ز [السابع]: «النية، ويعتبر فيها الوجه»^٨.

حاشية: الوجه هو الصفة القائمة بالفعل مسببة للأمر به كالوجوب والندب.

١. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٧٩؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٤١.

٢-٦. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٧٩؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٤٢.

٧. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٨١؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٤٣.

٨. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٨٤؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٤٥.

قوله: «لرواية أبي هاشم الجعفري»^١.

حاشية: منسوب إلى الطيار.

قوله: «ولو أخذ الكبير ما يوراي الصغير فالأشبه عدم الإجزاء»^٢.

حاشية: لأنه لا يسمّى ثوباً بالنسبة إلى الآخذ، ووجه الجواز صدق اسم الثوب عليه، ولهذا يجزي لو كان المكسو صغيراً.

قوله: «وفي إجزائه للرجال عندي احتمال»^٣.

حاشية: إنما قال عندي لأنه لا نصّ فيه ولا ذكره الأصحاب. ووجه الاحتمال أنه ثوبٌ في الجملة و«صالح»؛ للإبدال بأثواب، فضلاً عن ثوب، وجائز لبسه للضرورة وفي الحرب. ووجه العدم تحريم لبسه لهم غالباً.

[كتاب العتق]

قوله: «كتاب العتق»^٤.

حاشية: العتق فك الرقبة عن المملوك بصيغة مخصوصة أو سبب مؤثّر تقريباً إلى الله غالباً. قوله: «ويجابه»^٥.

حاشية: إشارة إلى الحديث المأثور عن النبي ﷺ بطريق أهل بيته وبطريق العامة: «مَنْ أعتق مؤمناً أعتق الله العزير الجبار بكلّ عضوٍ منه عضواً له من النار»^٦. وإن كان المعتق أنثى ففي الحديث: «يعتق بكلّ عضوين منها عضواً من النار»^٧.

قوله: «ويكون استنقاذاً، لا شراء»^٨.

حاشية: الاستنقاذ دفع عوضٍ عن يد عادية.

قوله: «ويستقرّ ملك الرجل على كلّ أحد سوى العمودين»^٩.

حاشية: إنما قال «يستقرّ» ولم يقل «يملك» ليصدق الحكم؛ إذ لولا الملك لا تمتنع العتق،

١. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٨٤؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٤٦.

٢ و٣. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٨٨؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٥٠.

٤ و٥. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٩٣؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٥٣.

٦. الكافي، ج ٦، ص ١٨٠، باب ثواب العتق، ح ٣؛ تهذيب الأحكام، ج ٨، باب العتق وأحكامه، ح ٣.

٧. الكافي، ج ٦، ص ١٨٠، باب ثواب العتق، ح ٣؛ تهذيب الأحكام، ج ٨، باب العتق وأحكامه، ح ٣.

٨. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٩٥؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٥٤.

٩. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٩٥؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٥٥.

وَمَنْ عَبَّرَ مِنَ الْأَصْحَابِ بِالْمَلِكِ أَرَادَ بِهِ قَرَارَ الْمَلِكِ فَصَرَّحَ بِهِ هُنَا.

قوله: «ولا من السفية والمفلّس بعد الحجر عليه»^١.

حاشية: قوله «بعد الحجر عليه» يعلم منه جواز عتقه قبل الحجر، وإن كان عليه دين مستوعب، وهذا القيد في محلّ الضرورة إن قرئت «المفلّس» بالتخفيف، وفي التكميل وإزالة الوهم إن قرئ بالتشديد.

قوله: «وحملت على أنّه فعل ذلك مضارّة»^٢.

حاشية: قال (أعلى الله درجاته): هذا الحمل سمعناه مذاكرةً، وينسب إلى طومان بن أحمد عليه السلام.

والشيخ الأعظم الأنصاري شرح قسماً من الدروس وطبع ضمن سلسلة آثاره^٣.

وعلى ظهر مخطوطة الدروس المحفوظة في مكتبة النوّاب في مشهد الرضا عليه السلام ما لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربّه وعفوه وكرمه أبو طالب محمّد ولد المصنّف شمس الدين محمّد بن مكّي: أذكر هاهنا اصطلاح والدي (عليه منّي السلام) في هذا الكتاب في تسمية علمائنا (رضوان الله عليهم) ممّا تفرّد به؛ فإذا ذكر «الفاضل» عني شيخنا جمال الدين ابن المطهر؛ و«المحقّق» نجم الدين بن سعيد وعبّر عنهما بـ«الفاضلان»؛ وعن ابن أبي عقيل بـ«الحسن»؛ و«الحليان» ابن إدريس و شيخنا أبو القاسم بن سعيد، ومع إضافة الجمع يضاف إليهما الفاضل؛ و«الشاميان» أبو الصلاح وابن زهرة عليهما السلام، ومع الإطلاق ينصرف إلى أبي الصلاح؛ و«الطرابلسي» يعني عبد العزيز بن البرّاج ولي قضاء طرابلس عشرين سنة؛ و«ابنا بابويه» الصدوق محمّد وأبوه عليّ ومع الإطلاق ينصرف إلى الصدوق إلّا مع التعيين؛ و«الشاميون» أبو الصلاح والقاضي وابن زهرة؛ و«التقي» أبو الصلاح. كذا وجدته بخطّه (رضوان الله عليه وعليهم أجمعين)^٤.

وتوجد مجموعة في مكتبة كليّة الطبّ بجامعة شيراز تضمّ غاية المراد والدروس. كتبها

١. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٩٦؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٥٦.

٢. الدروس الشرعية، ج ٢، ص ٢٠٠؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٠، ص ١٥٩.

٣. تراث الشيخ الأعظم، ج ٥، ص ٣٧٣-٣٨٣، كتاب الطهارة.

٤. وانظر الفوائد الطريفة، ص ٥٧٨-٥٧٩؛ رياض العلماء، ج ٧، ص ٨١.

محمد زمان بن جعفر الشولستاني وفرغ من كتابة الدروس في الخامس من ربيع الأول سنة ١٠٦٣، وعليها نقلاً عن خط ابنه محمد:

هذا ما وجدت من هذا الكتاب بخط مصنفه والدي (عليه مني السلام). وانتظم اندراجها ثالث مرة تعليقاً لنفسه في سلك التحرير بعون الملك القدير بالقاعة الميدانية [خ:ل: المدينة] تحريراً في يوم الإثنين يَصُوحُ نشره والشهر العربي المحرم كاد أن يطوى نشره، موافقاً للشهر الرومي كانون الثاني كاد أن يُطْفَى ذكره، وعام سبعمائة انتظم إليه مع أحد وثمانين عشرًا [خ:ل: مع أحد وعشرين] انتظاماً أخذب أطرافه وتَوَعَّ أصنافه العبد المحتاج إلى الصمد، ولذو الأكبر أبو طالب محمد (سهل الله مآربه وحصل مطالبه بمحمد وآله المنتجبين للشريعة والدين، وصحابته الموفين بعهد، الأكرمين من بعده، صلوات الله عليهم أجمعين، آمين رب العالمين) ولله الحمد والمنة والكرم والجود، رب اختم بالخير^١.

ثم أعلم أن المحقق الكركي قال في رسالته صلاة الجمعة:

... إن عبارة الدروس على خلاف ذلك، وهي بعد الذكرى وسمعنا كثيراً من بعض أشياخنا عليه السلام أنه عليه السلام كان يقول: «خذوا عني ما في الدروس»^٢.

والجدير بالذكر أن الدروس كان موضع اهتمام الفقهاء منذ تأليفه، والدليل على ذلك إجازاتهم على نسخ الدروس المخطوطة تأتي هنا بنماذج منها:

١. إجازة ابن فهد الحلبي للشيخ ناصر الدين محمد بن أحمد بن المتوج البحراني، على

آخر كتاب الدروس، وهي على ما نقله صاحب الرياض هكذا:

أما بعد حمد الله، فقد قرأ عليّ المولى الشيخ الفاضل الورع العلامة المحقق المدقق، صاحب الفهم الثاقب، والفكر الصائب، أفضل المجتهدين، زين الإسلام والمسلمين، شرف الملة والحق والدين، أبو عبدالله ناصر الدين محمد، نتيجة الإمام العالم المتبحر، أفضل العلماء الراسخين، مكمل علوم الأولين والآخرين، وارث الأنبياء والمرسلين،

١. ميراث إسلامي إيران، ج ١، ص ٤٤٠ - ٤٤١، «من تراثنا الخالد في شيراز». وذكر هذا النص في سفينة شرف الدين محمد مكّي، الورقة ٧، وفيه: «في سنة ١١٨٥ قد رأيت كتاب الدروس في مرشد آباد من بلاد الهند بخط ولد الشهيد مصنفه، وهذا صورة ما كتبه ابن الشهيد في آخره: هذا ما وجدت من هذا الكتاب...».

٢. حياة المحقق الكركي، ج ٣، ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

خاتمة المجتهدين، أبي العباس جمال الدين أحمد بن المتوّج البحراني (أدام الله تعالى فضائله) هذا الكتاب من أوّله إلى آخره، قراءة بحث وإيقان وتحفّظ وإتقان، قراءة تشهد بفضلها، وتدلّ على نبهه، وسأل في أثناء قراءته عمّا أشكل من هذا الكتاب، وكانت الاستفادة منه أكثر من الإفادة له.

وأجزت له روايته عتيّ، عن الشيخ الفاضل السعيد الموقّف الشهيد [كذا] ضياء الدين أحمد [كذا، والصواب: عليّ] ابن الشيخ الإمام الفاضل، جامع الفضائل، مكتمل علوم الأواخر والأوائل، التقي السعيد الموقّف الشهيد، أبي عبدالله محمّد بن مكّي مصنّف الكتاب عنه.

وأن يروي عتيّ، عنه، عن والده شمس الدين محمّد بن مكّي جميع مصنّفاته ومؤلفاته. وأجزت له أيضاً أن يروي عتيّ جميع مصنّفات الشهيد أبي عبدالله محمّد بن مكّي، ومقرّواته ومجازاته، عن الشهيد [كذا] السعيد المرحوم زين الدين عليّ بن حسن الخازن الحائري، عن الشهيد عليه السلام.

وأجزت أيضاً للشيخ أبي عبدالله ناصر الدين ابن المتوّج (أدام الله تعالى [كذا]) أن يروي عتيّ جميع مصنّفات الإمام الأعظم...، محمّد بن الحسن بن المطهر عليه السلام، وجميع مصنّفات والده الإمام الأعظم العلامة مفتي الفرق، أبي منصور الحسن بن المطهر، وجميع مقرّواته ومجازاته.

وعن شيعي الإمام المقدّس الفاضل نظام الدين عليّ بن عبدالحميد النيلي، عن شيخه فخر الدين، عن والده.

وعتيّ عن شيعي المذكور، عن والده جميع مصنّفات الإمام أبي القاسم جعفر بن سعيد. وأن يروي عتيّ بهذا السند جميع كتب أصحابنا، فليرو ذلك لمن شاء وأحبّ، فهو أهل ذلك (وقفه الله تعالى وإيّانا لمراضيه، وأعانه وإيّانا على امتثال أوامره، والإنزجار عن نواهيه؛ إنّه ولي ذلك).

وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمّد بن فهد الحلّي، في ثاني ذي القعدة الحرام، من سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، والحمد لله وحده^١.

٢. إجازة عليّ بن حسن بن محمّد الإسترآبادي على مخطوطة الدروس التي كانت في مكتبة دار العلم لآية الله الخوئي رحمته الله في النجف الأشرف^١، برقم ٥٦:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على خير خلقه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين وسلّم تسليمًا.

أمّا بعد، فإنّ السيّد الفاضل الكامل العالم العامل المحقّق المدقّق الورع جامع الفروع والأصول مدرّس المعقول والمنقول عزّ الملةّ والدنيا والدين حسن ابن السيّد المعظم المكرّم حمزة ابن السيّد المرحوم المعفور أبي القاسم بن محسن بن الحسين بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن حمزة بن محمّد بن محمّد بن الحسين العزيزي بن الحسين بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عبدالله بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام (أدام الله سعاده وأيامه، وأسبغ عليه إنعامه) قرأ عليّ بعض كتاب الدروس في علم الفقه من تصنيف الشيخ العالم الكامل الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي رحمته الله وسمع الباقي إلى تمام ما صنّفه قراءة مرضيّة وسماعاً مرضياً وسأل من مشكلاته فيبنت له بيانا وافياً.

وأجزت له رواية هذا الكتاب عنّي وغيره من مصنّفات علمائنا من العلوم الدينيّة عنّي عن مشايخي منهم السيّد الفاضل المحقّق إمام المجتهدين السيّد رضي الملةّ والدين حسن بن عبدالله بن محمّد ابن عليّ الأعرج العلوي الحسيني المكنّى بأبي سعيد، عن شيخه المولى الإمام الأعظم فخر الملةّ والدين أبي طالب محمّد ابن المولى الشيخ الإمام جمال الحقّ والدين أبي منصور الحسن، عن نجم الدين أبي القاسم بن سعيد، عن ابن نما، عن ابن إدريس، عن عربي بن مسافر العبادي، عن حسن بن رطبة ومحمّد بن طحال المقدادي، عن الشيخ أبي عليّ، عن والده أبي جعفر الطوسي، عن المفيد، عن محمّد بن قولويه، عن محمّد بن بابويه، عن محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم عن الإمام المعصوم الحسن العسكري (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد أجزت له أيضاً بإجازتي بهذا الإسناد المذكور عن السيّد العالم الفاضل الفائق عليّ

أفرانه، وحيد دهره وفريد عصره، السيد جمال الملة والدين خاتم المجتهدين محمد بن عبدالمطلب الحسيني (قدس الله روحه) فليرو ويُدْرُس لمن شاء وأحب؛ لأنه أهل ذلك. وكتبه العبد الفقير علي بن حسن بن محمد الإسترآبادي يوم التاسع من شهر جمادى الآخرة يوم الأحد سنة ثمان وعشرين وثمانمائة. والحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيدنا محمد وآله أجمعين. ربّ اختتم بالخير.

وكتب المجيز على نسخة أخرى من الدروس - محفوظة في مكتبة آية الله الكليبايگانی عليه السلام في قم برقم ١٢٥ - إجازة لشهاب الدين أحمد بن علاء الدين النيلي في الرابع عشر من ربيع الآخر عام ٨٣٠.

١٤ . ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة

كتاب استدلال مسهب في الفقه، وفق الشهيد لتأليف الجزء الأول منه فقط، في أوله مقدمة فيها سبع إشارات في المباحث الأصولية. وهو في الطهارة والصلاة، ولكن باب الطهارة مندرج في كتاب الصلاة، ويبدأ بعد المقدمة بكتاب الصلاة، قال الشهيد في أوله:

... أما بعد، فهذا كتاب ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، أوردت فيه ما صدر عن سيد المرسلين بواسطة خلفائه المعصومين، مما دل عليه الكتاب المبين وإجماع المطهرين والحديث المشهور والدليل المأثور... وتنظمه مقدمة وأقطاب أربعة. أما المقدمة ففيها إشارات سبع... وأما الأقطاب فأربعة.

أولها: العبادات، وهو فعل وشبهه مشروط بالقرية، والجهاد ونحوه غابتان، فمن حيث الامتثال المقتضي للثواب عبادة، ومن حيث الإعزاز وكف الإضرار لا يشترط فيه التقرب، وما اشتمل عليه باقي الأقطاب من مسمى العبادة من هذا القبيل؛ وأما الكفارات والنذور فمن قبيل العبادات، ودخولها في غيرها تغليبا أو تبعاً للأسباب.

وثانيها: العقود، وهي صيغة مشروطة باثنين ولو تقديراً لترتب أمر شرعي. وثالثها: الإيقاعات، وهي صيغة يترتب أثرها بواحد، ويطلق على هاتين: «المعاملات». ورابعها: السياسات، وتسمى الأحكام بمعنى أخص، وهو ما لا يتوقف على قرينة ولا صيغة غالباً.

وتقريب الحصر أن الحكم الشرعي إما أن يشترط فيه القرينة أم لا، والأول العبادات،

والثاني إمّا ذو صيغة أم لا، الثاني السياسات؛ والأول إمّا وحدانية أم لا، والأول الإيقاعات، والثاني العقود.

القطب الأول في العبادات: كتاب الصلاة... وشروط الصلاة ستّة في ستّة أبواب: الباب الأول: الطهارة^١.

وقال في آخره - أعني آخر الجزء الأول منه -:

وليكن هذا آخر المجلّد الأول من كتاب ذكرى الشيعة، ويتلوه - إن شاء الله تعالى - في المجلّد الثاني كتاب الزكاة^٢.

وقال في موضع منه: «سنذكر في الحجّ والعقّ إن شاء الله تعالى»^٣. وهذا يدلّ على أنّه كان عازماً على إتمام الكتاب، ولكن استشهاده محتسباً حال دون ذلك.

وفرغ منه - أعني من جزئه الأول - في الحادي والعشرين من صفر عام ٧٨٤، كما جاء في آخر مخطوطةٍ قديمةٍ منه، فرغ ناسخها من نسخها بعد فراغ الشهيد من تأليفه بعد خمس وأربعين يوماً من فراغ المصنّف:

فرغ منه يوم الثلاثاء لتسع بقين من صفر ختم بالخير والظفر سنة أربع وثمانين وسبعمئة. والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والتسليم على أفضل المرسلين محمّد وآله الطيّبين الطاهرين صلاةً تامةً إلى يوم الدين.

هذا آخر كلامه (مدّ الله تعالى في شريف أيامه) فرغ منه العبد... أحمد بن حسن بن محمود يوم الجمعة المبارك لسبع مضيّن من شهر ربيع الآخر من سنة أربع وثمانين وسبعمئة...

قال الطهراني رحمته الله مشيراً إلى هذه المخطوطة:

رأيت نسخة عصر المصنّف في طهران في مكتبة مجد الدين النصيري، وهي بخطّ الشيخ أحمد بن الحسن بن محمود... والظاهر أنّ الكاتب كان تلميذ الشهيد، وكان كلّ ما يخرج من قلم الشهيد يستنسخه التلميذ تدريجاً حتّى فرغ الشهيد في التاريخ المذكور، وفرغ التلميذ في نيّف وأربعين يوماً بعد تأليف الشهيد^٤.

١. ذكرى الشيعة، ص ٧-٢، ط. القديمة؛ وج ١، ص ٣٩-٦٩، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ٥، ص ٣-٣٣.

٢. ذكرى الشيعة، ص ٢٧٩، ط. القديمة؛ وج ٤، ص ٤٧٧، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ٨، ص ٣٢٧.

٣. ذكرى الشيعة، ص ٨٠، ط. القديمة؛ وج ٢، ص ١٠٥، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ٦، ص ٢١.

٤. الدرعية، ج ١٠، ص ٤٠.

- أقول: هذه المخطوطة محفوظة الآن في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ١٩٠٦.^١
 وتوجد من الذكرى مخطوطات كثيرة^٢، ووقفنا على أكثر من مائة مخطوطة له، منها:
 (أ) مخطوطة مكتبة إمام الجمعة في زنجان، نسخت عام ٨٤٧.^٣
 (ب) مخطوطة مكتبة ملي في طهران، المرقمة ١٨٤٢/ع، نسخت عام ٨٨٣.^٤
 (ج) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته، المرقمة ١٣٤٨، نسخت عام ٩٨٠.^٥
 (د) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته، المرقمة ٢٤٥١، نسخت في القرن ١٠.^٦
 (هـ) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته، المرقمة ٢٦٢٢، نسخت في القرن ١٠.^٧
 (و) مخطوطة مكتبة السيد عبدالعظيم الحسيني رحمته، المرقمة ٤٠٥، نسخت عام ١٢٣٦.^٨
 (ز) مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، المرقمة ٣٠٨٦، تاريخ نسخها مجهول.^٩
 وقال صاحب الرياض:

رأيت في خزانة الشيخ صفي بأردبيل بخط الشيخ البويهي هذا [٨٥٢] كتاب الذكرى
 للشيخ الشهيد، وكان عليه من إفادات هذا الشيخ حواشٍ وتعليقات عديدة، وكان تاريخ
 كتابته سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، وكتب على ظهره وفي آخره بخطه هكذا:
 «بلغت المقابلة بنسخة الشيخ جمال الدين أحمد بن النجّار، وكان من أخصّ تلامذة
 الشيخ الشهيد محمد بن مكّي، وقد قرأها عليه، وعليها تعليقات المصنّف إلى صلاة
 السفر، وانعظت القراءة من هناك إلى آخر الكتاب». انتهى ما وجدته بخط هذا الشيخ.^{١٠}
 وطبع الذكرى في طهران لأول مرة عام ١٢٧١، بالقطع الرحلي بمعية تمهيد القواعد
 للشهيد الثاني، وأعاد طبعه - بالأوفست على الطبعة الحجرية - مكتبة بصيرتي في قم

١. ذكرت في فهرسها، ج ٨، ص ٥٢١.

٢. انظر الذريعة، ج ١٠، ص ٤٠؛ الضياء اللامع، ص ٩؛ مقدمه إى بر فقه شيعه، ص ١٣٧.

٣. دليل المخطوطات، ج ١، ص ١٠٨.

٤. ذكرت في فهرسها، ج ١٠، ص ٤٢١.

٥. ذكرت في فهرسها، ج ٤، ص ١٢٥-١٢٦.

٦. ذكرت في فهرسها، ج ٧، ص ٤٨-٤٩.

٧. ذكرت في فهرسها، ج ٧، ص ١٩٩.

٨. نشرية نسخه هاى خطى، العدد ٣، ص ٤٦٥.

٩. ذكرت في فهرسها، ص ٢٣٩.

١٠. رياض العلماء، ج ٥، ص ٢٣٤.

حوالي عام ١٤٠٠. ثم نشر في أربعة مجلدات بتحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، في قم المقدسة، عام ١٤١٩. ثم نشر في أربعة مجلدات أيضاً في قم، عام ١٤٣٠، ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ٥ - ٨.

والجدير بالذكر أن الشهيد في الذكرى ردّ على بعض أوهام ابن تيمية وأباطيله، حيث قال: عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى».

قلت: أجمع العلماء - إلا من شدّ - على أن المراد بهذا النفي بالنسبة إلى المساجد، أي لا يصلح ذلك إلى مسجد غير هذه الثلاثة؛ لتقارب المساجد سواها في الفضل... وهذا النهي يراد به نهى التنزيه؛ لانعقاد الإجماع على عدم تحريم السفر إلى غير المساجد المذكورة، لتجارة أو قرية من القرب.

وقال بعضهم: المراد: لا يستحب شدّ الرحال إلا إلى هذه، ولا يلزم من نفي الاستحباب نفي الجواز.

وارتكب واحد من العامة تحريم زيارة الأنبياء والأئمة والصالحين عليهم السلام، متمسكاً بهذا الخبر على مطلوبه، ذاهباً إلى أنه لا بدّ من إضمار شيء هنا، ولتكن العبادة؛ لأنّ الأسفار المطلقة ليست حراماً^١.

هذا هو كلام ابن تيمية الذي توقّف قبل ولادة الشهيد وقد انبرى الشهيد عليه السلام لمجابهة هذا الانحراف علمياً، وقال:

وهو تحكّم محض؛ لأنّ إباحة الشدّ للأسفار المطلقة يستلزم أولوية إباحته لما هو عبادة؛ إذ العبادة أرجح في نظر الشرع من السفر المباح، ويلزمه عدم الشدّ لزيارة أحياء العلماء وطلب العلم وصلة الرحم. وقد جاء: «من زار عالماً فكمن زار بيت المقدس». وورد: «اطلبوا العلم ولو بالصين». و«سِرُّ سَنَّتَيْنِ بَرٍّ وَالدَّيْكَ». ولا يخالف أحد في إباحة هذا مع أنّه عبادة.

فتعيّن أنّ المراد بالحديث: لا يستحقّ، أو لا يتأكّد، أو لا أولى بالشدّ من هذه الثلاثة، أو يضرر المساجد، كما سبق ذكره.

وهذا القائل كلامه صريحٌ في نفي مطلق زيارة قبور الأنبياء والصالحاء؛ لأنه احتجَّ بأنَّه لم يثبت في الزيارة خبرٌ صحيح، بل كلُّ ما ورد فيها موضوعٌ بزعمه.

وكلُّ هذا مراغمةٌ للفرقة المحققة والطائفة الناجية، الذين يرون تعظيم الزيارات والمزارات، ويهاجرون إليها ويجاورون، وفي رضى الله تعالى لأهلهم وديارهم يفارقون، انعقد إجماع سلفهم وخلفهم على ذلك، وفيه أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ويروون في ذلك أخباراً تفوت العُدَّ وتتجاوز الإحصاء، بالغة حدِّ التواتر، وقد روى منها الحافظ ابن عساكر من العامة طرفاً صالحاً، منها حديث: «وستكون حثالة من العامة يعيرون شيعتكم بزيارتكم كما تعيّر الزانية بزناها» وغيره.

مع أنَّ جميع المسلمين مجمعون على زيارة النبي صلى الله عليه وآله منذ نقله الله إلى دار عفوه ومحلِّ كرامته إلى هذا الزمان، ففي كلِّ سنة يعملون المطيِّ ويشدّون الرحال، ولا ينصرفون إلَّا بعد السلام عليه، وانعقاد الإجماع في هذه الأعصار قبل ظهور صاحب هذه المقالة الشنيعة وبعده حجّة قاطعة على هذا المقام، وأيِّ حجّة أقوى من إجماع جميع أهل الإسلام على زيارة النبي صلى الله عليه وآله بإعمال المطيِّ وشدّ الرحال في كلِّ عام. وأمّا الأخبار الواردة في زيارته، فهي كثيرة جداً قد ضمّنها العلماء في كتبهم المأثورة وسنتهم المشهورة. مثل ما رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة: إنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «ما من رجلٍ يسلم عليَّ إلَّا ردَّ الله عليَّ رُوحِي حتَّى أُرَدَّ عليه السلام». ولم يزل الصحابة والتابعون كلِّما دخلوا المسجد يسلمون على النبي صلى الله عليه وآله. ولا حاجة إلى الاستدلال بالأخبار في هذا المقام المجمع عليه، فإنَّه عدولٌ من يقينٍ إلى شكٍّ، ومن علمٍ إلى ظنٍّ^١.

وللكتاب حواشٍ ذكرها الطهراني (طاب ثراه)^٢.

وأشار الشهيد إلى الذكرى في كتبه: اللعة والدروس وأجوبة مسائل الفاضل المقداد،

حيث قال:

... وقد حقّقناه في الذكرى^٣.

١. ذكرى الشيعة، ج ٣، ص ١١١-١١٥ ط. الجديدة، وموسوعة الشهيد الأول، ج ٧، ص ٥٤-٥٥.

٢. الذريعة، ج ٦، ص ٨٦-٨٧ و ج ١٠، ص ٤٠؛ وانظر مقدمه إى بر فقه شيعه، ص ١٣٧-١٣٨.

٣. اللعة دمشقيّة، ص ٣٠.

- وقد بيّنا مأخذه في كتاب الذكرى ^١.
- فكتبنا في ذلك ما تيسر من الذكرى والبيان ^٢.
- وقد ذكرنا الروايات الدالة على القضاء عن الميت لما فاته من الصلوات وأحكام ذلك في الذكرى ^٣.
- أوردنا طرفاً منه في الذكرى ^٤.
- وقد بيّناه في الذكرى ^٥.
- وقد بسطتُ المسألة في الذكرى ^٦.
- وقد أوردتُ خبرين في... في كتاب الذكرى ^٧.
- وقد أشار في الذكرى إلى كتابه الأربعين حيث قال: «... ذكرناه في الأربعين حديثاً» ^٨.

١٥ . الرسالة الألفية

رسالة وجيزة في فرض الصلاة، مرتبة على مقدّمة وثلاثة فصولٍ وخاتمة، لم يسمّها الشهيد في مقدّمته ولا في مؤخرتها باسم خاصّ؛ ولكنّه سمّاها في أوّل الرسالة الشفلية باسم الرسالة الألفية ^٩ وكذلك في إجازته لابن نجدة ^{١٠}. وعبر عنها الشهيد الثاني أيضاً في الروضة بالرسالة الألفية ^{١١}، وسمّى شرحه لهذه الرسالة باسم المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية ^{١٢}.

١. اللمعة دمشقيّة، ص ٤٦.

٢. الدروس الشرعيّة، ص ١، ط. القديمة؛ وج ١، ص ٨٤، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٩.

٣. الدروس الشرعيّة، ص ٢٥، ط. القديمة؛ وج ١، ص ١٤٧، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٩.

٤. الدروس الشرعيّة، ص ٣٣، ط. القديمة؛ وج ١، ص ١٦٥، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٩.

٥. الدروس الشرعيّة، ص ٣٥، ط. القديمة؛ وج ١، ص ١٧٢، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٩.

٦. أجوبة مسائل الفاضل المقداد، ضمن رسائل الشهيد الأوّل، ص ٢٧٠؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

٧. أجوبة مسائل الفاضل المقداد، ضمن رسائل الشهيد الأوّل، ص ٢٧٤؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

٨. ذكرى الشيعة، ج ٤، ص ٢٧٧، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٨، ص ١٦٥.

٩. النقليّة، المطبوع مع الألفية، ص ٨٢؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

١٠. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥.

١١. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٧٨، ٢٧٩.

١٢. المقاصد العلية، ص ٤.

وما ورد من عبارة «في الواجبات» و«في فقه الصلاة» في كلام الشهيد - حيث قال: «وَفَقَّ اللهُ سُبْحَانَهُ لِإِمْلَاءِ الرِّسَالَةِ الْأَلْفِيَّةِ فِي الْوَأَجِبَاتِ»^١؛ «فَمَعَمَّا سَمِعَهُ عَلَيٌّ مِنْ مَصْنُفَاتِي... الرِّسَالَةِ الْأَلْفِيَّةِ فِي فِقْهِ الصَّلَاةِ»^٢ - فليس جزءاً من اسمها، بل توضيح لمحتواها؛ وكذلك عبارة «في فقه الصلاة اليومية» في كلام الشيخ الحرّ العاملي^٣. و«في الصلاة اليومية» في كلام بعض المعاصرين. نعم اشتهرت هذه الرسالة باسم الألفية اختصاراً، وذكرها أصحاب المعاجم في حرف الألف.

ذكر الشهيد السبب الداعي لتأليف هذه الرسالة في مقدّمة الرسالة النغلية:

... أما بعد، فإنّي لَمَّا وَقَفْتُ عَلَى الْحَدِيثَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِوَةِ أَعْظَمِ الْبَيِّنَاتِ، أَحَدَهُمَا عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ وَأَبْنَائِهِ أَكْمَلُ التَّحِيَّاتِ): «لِلصَّلَاةِ أَرْبَعَةٌ أَلْفٌ حَدٌّ»، وَالثَّانِي عَنِ الْإِمَامِ الرِّضَا أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى (عَلَيْهِمَا الصَّلَوَاتُ الْمُبَارَكَاتُ): «الصَّلَاةُ لَهَا أَرْبَعَةٌ أَلْفٌ بَابٌ»؛ وَوَقَّفَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِإِمْلَاءِ الرِّسَالَةِ الْأَلْفِيَّةِ فِي الْوَأَجِبَاتِ، أَلْحَقْتُ بِهَا بَيَانَ الْمُسْتَحَبَّاتِ، تَيَمُّنًا بِالْعَدَدِ تَقْرِيْبًا، وَإِنْ كَانَ الْمَعْدُودُ لَمْ يَقَعْ فِي الْخُلْدِ تَحْقِيقًا، فَتَمَّتِ الْأَرْبَعَةُ مِنْ نَفْسِ الْمَقَارَنَاتِ، وَأُضِيفَ إِلَيْهَا سَائِرُ الْمُتَعَلِّقَاتِ. وَاللَّهُ حَسْبِي فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ. وَهِيَ مَرْتَبَةٌ تَرْتِيبُ الْقَادِمَةِ [أَيِ الْأَلْفِيَّةِ] عَلَى مَقْدَمَةِ وَفُصُولِ ثَلَاثَةٍ وَخَاتَمَةٍ^٤.

وكذلك قال في إجازته لابن الخازن:

... ومن ذلك رسالتان في الصلاة تشتملان على حصر فرضها ونفلها في أربعة آلاف مسألة؛ محاذاة لقولهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «لِلصَّلَاةِ أَرْبَعَةٌ أَلْفٌ بَابٌ»^٥.

فالألفية تشتمل على ألف واجب في الصلاة، والنغلية تشتمل على ثلاثة آلاف نافلة فيها تقريباً.

ومما يذكر أنّ عبارات الشهيد في هذه الرسالة - كبعض آثاره الأخرى مثل النغلية

١. النغلية، المطبوع مع الألفية، ص ٨٢؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٨.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥، إجازة الشهيد لابن نجدة.

٣. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١.

٤. النغلية، المطبوع مع الألفية، ص ٨١-٨٢؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١٨.

٥. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

واللمعة الدمشقية - في غاية الوجازة. قال الشهيد الثاني في شرحه للرسالة الألفية بهذا الشأن:

... وما أبدع هذه العبارة وأجمعها، وكم لها نظائر في هذه الرسالة (قدّس الله روح واضعها) ^١.

... فهذه نبذة من أحكام صلاة السفر، وجملة من شروطها قد أدرجها المصنّف في هذه العبارة الجليلة المشتملة على الألفاظ الموجزة الجزيلة الآخذة بمجامع البلاغة ومعاهد الفصاحة ^٢.

لم يذكر الشهيد في آخر الألفية تاريخ تأليفها؛ ولكنّه ذكرها في إجازته لابن نجدة في عاشر شهر رمضان عام ٧٧٠، بقوله: «فمّا سمعه عليّ من مصنّفاتي... الرسالة الألفية في فقه الصلاة» ^٣ فيعلم منه أنّ الشهيد ألفها قبل عاشر شهر رمضان عام ٧٧٠. وقال الشهيد الثاني بشأن الألفية: «هي من أوّل ما صنّفه» ^٤.

طبعت الألفية مكرّراً، منها: عام ١٣٠٨ في طهران طبعةً حجرية؛ ثمّ طبعت في مطبعة دار السلام ببغداد مع الحاشية الفتوائية للعالم المعروف محمّد مهدي الكاظمي، وكتب في أولها: «قد قوبلت فلا بأس بالعمل بها إن شاء الله تعالى مع ما علّقته من الحواشي عليها». ومنها: عام ١٤٠٤ في لبنان بإعداد الشيخ محمّد عسيران، ومنها: عام ١٤٠٨ في قم بإعداد الشيخ عليّ الفاضل القائني بمعية النغلية للشهيد. ومنها مع شرح الشهيد الثاني لها المسمّى بالمقاصد العلية، في قم المقدّسة، عام ١٤٢٠، ثمّ طبع ضمن رسائل الشهيد الأول (ص ١٥٩-١٧٩) عام ١٤٢٣. ثمّ نشر في قم عام ١٤٣٠، ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٨. وتوجد مخطوطات كثيرة من الألفية ^٥، وقفنا على أكثر من ثلاثمائة مخطوطة، منها: مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، بالأرقام ٤١/١، ٥٣/١، ٦٧/٦، ٦٩/٣، ٦٨٠/٢، ١٤٦٧/٣، ٢٠٧٤/١.

١. المقاصد العلية، ص ٨٧.

٢. المقاصد العلية، ص ١٢٧.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥.

٤. الروضة البهية، ج ١، ص ٢٧٨.

٥. انظر مقدّمه‌ای بر فقه شيعه، ص ١٤١؛ فهرست ألفبائی كتب خطی، ص ٦٤-٦٥؛ المقاصد العلية، ص ٢٧-٢٩، مقدّمة التحقيق، ط. الجديدة، فقد ذكر فيها حوالي خمسين مخطوطة للألفية.

وعليها حواشٍ وشروح كثيرة^١، منها المسالك الجامعية في شرح الألفية الشهيدة، لابن أبي جمهور الأحسائي^٢؛ ومنها المحاكمات الجليلة بين شارحي الألفية، للشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي، فرغ منه في شهر المحرم عام ٩٨١ في هرات. من أهمها وأشهرها المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية للشهيد الثاني. ويظهر من المقاصد العلية أن الشهيد الثاني ظفر بنسخة من الألفية مقروءة على الشهيد الأول وعليها خطه، حيث قال:

... وهي موجودة في النسخة التي عندنا، وهي مقروءة على المصنف وعليها خطه^٣.

ونظمها عدّة من العلماء^٤:

منهم الحسن بن راشد في ٦٥٣ بيت، وفرغ من نظمها عام ٨٢٥، وسماها الجمانة البهية في نظم الألفية الشهيدة، توجد منها مخطوطة في مكتبة آية الله المرعشي^٥، برقم ٦٧/٧، من أبياتها:

قال الفقيرُ الحسنُ بن راشدٍ	مبتدئاً باسم الإله الماجدِ:
الحمد لله كما قد وجبا	مباركاً فيه كثيراً طيّباً
فهذه الرسالة الألفية	نظمتها بالحلة السيفية
في عام خمس بعد عشرين مضت	ثم ثمان من مئات انقضت
وأسألُ الأفاضل الأئمة	أئمة الدين هداة الأئمة
أن يستروا منها بذيل العفو	ما وجدوا من خلل أو هفو
فإنه من شيمة الإنسان	بل كلّ منسوب إلى الإمكان
ويسألوا الله بفضلٍ منهم	العفو فالله يغفو عنهم ^٥

١. انظر الذريعة، ج ٢، ص ٢٩٦-٢٩٧؛ وج ٦، ص ٢٢-٢٥؛ وج ١٣، ص ١٠٧-١١٤؛ المقاصد العلية، ص ١٩-٢٤، مقدّمة التحقيق، ط. الجديدة؛ مقدّماتى بر فقه شيعه، ص ١٤١-١٤٨؛ الألفية، ص ٢٩-٣٠، المقدّمة؛ هزارة كتاب پيرامون نماز، ص ٨٤ وبعدها.
٢. وقد نشرها مؤسسة أم القرى في قم، عام ١٤٢٥، بتحقيق الشيخ وجيه بن محمد المسيح الهجري.
٣. المقاصد العلية، ص ١٤٥، وانظر أيضاً ص ١٦٧ منه.
٤. الذريعة، ج ٢، ص ٢٤، ص ١٩٨؛ وللوقوف على سائر ناظمي الألفية راجع المقاصد العلية، ص ٢٦-٢٧، مقدّمة التحقيق، ط. الجديدة؛ تكملة أمل الآمل، ص ٣٠٢.
٥. الفوائد الرضوية، ص ٩٨-٩٩؛ أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٦٥-٦٧؛ الذريعة، ج ٥، ص ١٣١-١٣٢؛ وج ٢٤، ص ١٩٨.

وقام بترجمتها عدد من العلماء، وتوجد منها اليوم أكثر من عشر تراجم^١.

١٦. الرسالة النغلية

رسالة كبيرة تشتمل على ثلاثة آلاف نافلة تقريباً في الصلاة، كما سبق آنفاً عند البحث عن أختها - أعني الألفية - وكذلك سبق بعضُ المباحث حولها، فلا نعيد. وهي مرتبة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة كأختها. لم يثبت عليها تاريخ التأليف؛ ولكنه ألقها بعد الألفية كما صرح بذلك في مقدمتها. وذكرها في إجازته لابن الخازن في ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤^٢. وقال الشهيد الثاني في آخر نسخة الأصل من شرح النغلية: «فرغ المصنّف من المبيضة ثالث عشري جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة»^٣.

طبعت النغلية في إيران مكرراً طبعة حجرية وغيرها، منها: عام ١٤٠٨ في قم بإعداد الشيخ عليّ الفاضل القائيني النجفي. ومنها ضمن شرح الشهيد الثاني لها الموسوم بالفوائد المليّة، في قم المقدّسة، عام ١٤٢٠. ثمّ طبعت ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ١٨١ - ٢٢٠) عام ١٤٢٣، ثمّ نشر عام ١٤٣٠ في قم ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨. ومخطوطاتها كثيرة، وقفنا على حوالي مائة مخطوطة لها، منها:

(أ) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقّمة ١١٢٦/٣، وعليها إنهاء الشهيد الثاني رحمته الله في التاسع عشر من شهر ربيع الآخر عام ٩٥٠.

(ب) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقّمة ٦٩/٤.

(ج) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقّمة ٦٨٠/٦.

(د) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقّمة ١٣٨٠^٤.

ونقلها إلى الفارسية محسن الطباطبائي باسم سه هزاد مستحب براى يك نماز، ونشرها

في قم عام ١٤٢٨ دار معروف.

١. انظر أوصافها في المقاصد العلية، ص ٢٤ - ٢٦، مقدّمة التحقيق، ط. الجديدة.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

٣. نسخة الأصل من الفوائد المليّة، الورقة ١١٩ ب.

٤. وانظر أيضاً فهرست ألباني كتب خطي، ص ٥٨٦.

ونظمتها بالفارسية بعض الفضلاء في عهد السلطان طهماسب الصفوي (م ٩٨٤)، وتوجد مصوِّرة هذه المنظومة في مركز إحياء الميراث الإسلامي في قم برقم ١٥٦٢/٣. وشرحها الشهيد الثاني شرحاً مزجياً سمّاه الفوائد المليّة لشرح الرسالة النفلية، كما صرّح في مقدّمته. ويظهر من مواضع من هذا الشرح أنّ نسخة خطّ الشهيد كانت موجودة عند الشهيد الثاني، منها قوله: «كذا بخطّ المصنّف عليه السلام»^١؛ «هكذا بخطّ المصنّف عليه السلام»^٢.

● رسالة في التكليف ← المقالة التكليفية

● شرح الإرشاد ← غاية المراد في شرح نكت الإرشاد

● شرح التهذيب الجمالي ← جامع البين من فوائد الشرحين

١٧. شرح قصيدة الشهيني

قال الكفعمي عليه السلام:

ومن كتاب أبي الحسن عليّ بن الحسين الحلّي المعروف بالشهيني عليه السلام في التجنيس، ولها شرح صنّفه الشهيد (رحمه الله تعالى):

ياروح قدس من الله البديء بدا أرواح أنس على العرش العليّ بدا^٣

قال القاضي نور الله التستري رحمته الله في ترجمة الشهيني ما معرّبه:

وله في مدح أهل البيت عليهم السلام قصائد كثيرة، وقد شرح الشيخ الأجلّ الشهيد أبو عبد الله محمد بن مكّي (قدّس الله روحه) واحدةً منها في مدح أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا اطّلع الناظم على هذا الشرح ورأى اعتناء الشهيد بقصيدته أعجب بالشرح ومدّح الشهيد بعشرة أبياتٍ شكره فيها على ذلك^٤.

وقال صاحب الرياض في معرض الإشارة إلى مؤلّفات الشهيد:

وله أيضاً شرح على قصيدة في مدح عليّ عليه السلام للشيخ أبي الحسن عليّ بن الحسين الشهيني^٥.

١. الفوائد المليّة، ص ١٦.

٢. الفوائد المليّة، ص ٥٧، وانظر أيضاً ص ٤٠، ٤٢، ٥٧، ١٤٦ منه.

٣. مجموع الغرائب، ص ٣٣٠.

٤. مجالس المؤمنين، ج ٢، ص ٥٧١ - ٥٧٢؛ وانظر أعيان الشيعة، ج ٨، ص ١٩٢.

٥. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

وقال في ترجمة الشهفيني: «و عندنا قصيدة من جملة ديوانه ... وللشهيد شرح عليها»^١.
وقال صاحب الروضات في معرض الإشارة إلى مؤلفات الشهيد:

ومنها شرحه على قصيدة الشيخ أبي الحسن علي بن الحسين المشتهر بالشهفيني
العالمي... وهي من جملة ديوانه الكبير، كما ذكره بعض من هو بذلك خبير. والعجب أن
صاحب الأمل كيف غفَّل عن ذكر مثل هذا الرجل الجليل الفاضل الكامل^٢. ثم كيف
جهل بحال هذا الشرح الحميد المجيد، حيث لم يذكره في جملة مؤلفات الشهيد^٣.

وقال العلامة السيّد الصدر في ترجمة أبي الحسن الشهفيني:

له ديوان كبير، وهو صاحب القصيدة الشهيرة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام التي شرحها
شيخنا الشهيد الأول (قدس الله روحه)^٤.

وقال في جملة مؤلفات الشهيد:

... وشرح قصيدة الشهفيني في مدح أمير المؤمنين عليه السلام، والشهفيني هو أبو الحسن
علي بن الحسين الشهفيني الحلّي^٥.

وقال الطهراني رحمته الله:

- شرح قصيدة الشيخ علي بن الحسين الشهفيني العالمي ... للشيخ السعيد الشهيد ...
ذكره في رياض العلماء بوصف الشفهيّني، ولعلّه من غلط الكاتب...^٦.

- الشهفينية ... أو الشفهينية ... قصيدة دالية مجنّسة ... وقد شرحها الشهيد ... ولما أطلع
الناظم على اعتناء الشهيد بقصيدته وشرحها مدّحه تشكراً له بعشرة أبيات أرسلها إلى
الشهيد رحمته الله^٧.

١. رياض العلماء، ج ٣، ص ٤٢٧.

٢. أقول: ذكره الشيخ الحرّ العالمي في القسم الثاني من أمل الآمل، ج ٢، ص ١٩٠، و وصفه بقوله: «الشفهيني الحلّي» فهو حلّي لا عالمي.

٣. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٥.

٤. تكملة أمل الآمل، ص ٢٨٨.

٥. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٩.

٦. الذريعة، ج ١٤، ص ١٣؛ وانظر أيضاً ج ٩، القسم ٢، ص ٥٦٢.

٧. الذريعة، ج ١٤، ص ٢٦٤.

- شرح الشهفينية ... هو من مآخذ الشيخ إبراهيم الكفعمي في كتابه الفوائد الشريفة في شرح الصحيفة^١.

أقول: الشهفيني^٢ هو أبو الحسن علاء الدين الشيخ علي بن الحسين، كان عالماً فاضلاً وأديباً كاملاً، من شعراء أهل البيت عليه السلام في القرن الثامن، وردت ترجمته في مصادر كثيرة^٣. ولم ينسبه - أعني شرح قصيدة الشهفيني - للشهيد أحد قبل الكفعمي عليه السلام، ولم يذكره أحد من تلامذة الشهيد و معاصريه و المجازين منه في جملة مؤلفاته، والكفعمي هو أول من نسبه إليه - فيما نعلم - وتبعه الآخرون، ولم أقف على نسخة من هذا الشرح حتى أراجعتها وأبحث عنها أكثر مما ذكرت.

قال المرحوم الشيخ محمد رضا شمس الدين:

والظاهر أنّ الشرح كان موجوداً عند المجلسي أو وقف عليه، حيث مدحه وأثنى عليه، ولا م صاحب الأمل على عدم ذكره في مؤلفات الشهيد^٤.

أقول: ما نسبته إلى العلامة المجلسي (قدّس سرّه القدّوسي) لم أجده في كتبه. و الظاهر أنّ الأمر اشتبه عليه، فنسب ما قاله صاحب الروضات إلى العلامة المجلسي؛ فإنّ صاحب الروضات لا م صاحب الأمل على عدم ذكره في مؤلفات الشهيد^٥، كما تقدّم آنفاً.

قال العلامة السيّد الأمين - بعد نقله لكلام الروضات :-

أقول: الرجل حلّي لا عاملي، والعجب من صاحب الروضات كيف توهم أنّه عاملي. وأمّا هذا الشرح فلم نجد من نسبه إلى الشهيد غيره [كذا]. ولم يذكر سنده، فيوشك أنّه اشتبه فيه كما اشتبه في الشهفيني^٦.

● شرح القواعد ← حاشية القواعد

١. الذريعة، ج ١٣، ص ٣٤٤.

٢. انظر الخلاف في ضبطه في أعيان الشيعة، ج ٨، ص ١٩١؛ الفدير، ج ٦، ص ٣٦٥؛ الحقائق الراهنة، ص ١٣٧-١٣٨.

٣. منها: الفدير، ج ٦، ص ٣٥٦-٤٠٢؛ الحقائق الراهنة، ص ١٣٧-١٣٨؛ مجالس المؤمنين، ج ٢، ص ٥٧١-٥٧٥؛ رياض العلماء، ج ٣، ص ٤٢٧ و ج ٤، ص ١٠٧-١٠٨؛ شعراء الحلة، ج ٤، ص ٧٩-١٢٦.

٤. حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٦٩.

٥. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٥.

٦. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٢-٦٣.

١٨ . الطلائعية

رسالة صغيرة في الاعتقادات، سماها المؤلف الشهيد بهذا الاسم في مقدمتها. ووقفنا فقط على ثلاث مخطوطات لها وهي:

١. مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام، ضمن المجموعة المرقّمة ١٣٥٣٧، ولما تُفهرس بعدُ.

٢. مخطوطة مكتبة الشيخ محمود الأركاني الخاصة في قم، برقم ٣١/٣، نسخت في السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٦. (ذكرت في فهرسها، ص ٥٥).

٣. مخطوطة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم ٢٣١٤، ذكرت في فهرسها (ج ٢، ص ٦٣٤). ورد في أول المخطوطتين الأوليين: «قال الإمام العلامة شمس الدين محمد بن مكّي (تغمّده الله برحمته، وأسكنه بحبوحه جنّته)».

وقد ذكرت هذه الرسالة في معجم التراث الكلامي (ج ٣، ص ٤٣٥) ومؤلفات الزيدية (ج ٢، ص ٣٣) وعُدّت فيهما من تأليفات الزيدية!

وحقّقتها اعتماداً على النسخة الأولى، فنُشرت لأول مرة في نسخة بزوهي (ج ٣، ص ١٨٣ - ١٨٦). ثمّ حقّقتها اعتماداً على النسختين الأوليين ونوردها هنا. ونُشرت أيضاً بالاعتماد عليهما في موسوعة الشهيد الأول، ج ١٨ في قم، سنة ١٤٣٠. وهذا نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله باري البريّة، والصلاة على سيّدنا محمد وآله العترة المرضية. هذه الرسالة الطلائعية تُسْتَطَلَعُ بمعتقدِها المرتبة العليّة^١.

الفصل الأوّل في التوحيد

يَجِبُ معرفة الله تعالى؛ لوجوب شكره، وطريقها النظر في مصنوعاته وصورته

١. استطلع الشيء: طَلَبَ طلوعه ومعرفته. واستطلع رأيَه: نَظَرَ ما هو... المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٥٦٢، «طلع».

إِنَّ الْعَالَمَ مُحَدَّثٌ وَكُلُّ مُحَدَّثٍ فَلَهُ فَاعِلٌ. أَمَا حَدُوثُ الْعَالَمِ فَلِأَنَّهُ لَا يَخْلُو عَنِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ الْمَسْبُوقِينَ بغيرهما والمسبوق بغيره مُحَدَّثٌ. أَمَا احتِياجُ المُحَدَّثِ إِلَى فَاعِلٍ فبالضرورة.

وَيَجِبُ كَوْنُ فَاعِلِهِ قَدِيمًا لَا أَوَّلَ لوجوده؛ للزوم الدور والتسلسل لو كان مُحَدَّثًا. وَيَجِبُ كَوْنُهُ تَعَالَى وَاجِبَ الوجودِ وَإِلَّا لافتقر إلى فَاعِلٍ لو كان ممكنًا، فيكون باقياً أبدياً سرمدياً؛ لاستحالة العدم على واجب الوجود.

وَيَجِبُ كَوْنُهُ تَعَالَى قَادِرًا مُخْتَارًا؛ للزوم قَدَمِ الْعَالَمِ لو كان مُوجِبًا. وَيَجِبُ كَوْنُهُ عَالَمًا؛ لِأَنَّهُ أَحْكَمَ الْعَالَمِ وَأَتْقَنَهُ.

وَيَجِبُ كَوْنُهُ حَيًّا مَوْجُودًا لِاستحالة القدرة والعلم على من ليس بحَيٍّ وَلَا مَوْجُودٍ، وَيَجِبُ كَوْنُهُ تَعَالَى قَادِرًا عَلَى كُلِّ مَقْدُورٍ وَعَالَمًا بِكُلِّ مَعْلُومٍ؛ لِاستواء نسبته إلى جميع المقدورات والمعلومات واستواء صحتها في المعلومية والمقدورية، فلو قدر على البعض خاصة أو علم البعض خاصة لزم الترجيح بلا مُرَجِّح وهو محال. وَيَجِبُ كَوْنُهُ تَعَالَى سَمِيعًا بَصِيرًا بِمعنى علمه بالمسموع والمُبصر؛ لِاستحالة الحواس عليه؛ لِأَنَّهُ عَالَمٌ بِكُلِّ مَعْلُومٍ فَيَدْخُلُ [فيه] الْمَسْمُوعُ وَالْمَبْصُرُ.

وَيَجِبُ كَوْنُهُ تَعَالَى مَرِيدًا؛ لِأَنَّ الْحَدُوثَ مُسْتَوٍ نَسْبَتَهُ إِلَى جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَالْأَوْقَاتِ فَتَخْصِيصُهُ بِبَعْضِ الْأَحْوَالِ وَالْأَوْقَاتِ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْإِرَادَةِ، وَلِأَنَّ الْإِرَادَةَ نَوْعٌ مِنَ الْعِلْمِ، وَقَدْ ثَبَتَ عِلْمُهُ تَعَالَى بِكُلِّ مَعْلُومٍ.

وَيَجِبُ كَوْنُهُ كَارِهًا؛ لِأَنَّ إِرَادَةَ الشَّيْءِ كَرَاهَةٌ ضَدُّهُ، وَلِأَنَّهُ نَهَى عَنِ الْمَعَاصِي وَالنَّاهِي كَارِهٌ.

وَيَجِبُ كَوْنُهُ تَعَالَى مُتَكَلِّمًا؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ مَقْدُورٌ، وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ مَقْدُورٍ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^١ وَكَلَامُهُ مُحَدَّثٌ؛ لِأَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَسْبُوقَةِ بِغَيْرِهَا، وَالْمَسْبُوقُ بِغَيْرِهِ مُحَدَّثٌ وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^٢.

١. النساء (٤): ١٦٤.

٢. الأنبياء (٢١): ٢.

وَيَجِبُ كونه تعالى واحداً؛ للزوم التركيب والفساد لو تعددت الآلهة كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^١.

وَيَجِبُ كونه تعالى غنياً؛ لأنه لو افتقر في ذاته أو في صفاته لم يكن واجب الوجود.

وَيَجِبُ أَنْ تستحق صفاته لذاته لا لمعنى قديم؛ لاستحالة تعدد القدماء ولا بمعنى محدث وإلا لزم احتياجه تعالى لمحدث.

وَيَجِبُ تنزيهه عن الجسميّة والعرضيّة والجوهريّة والتحيّز والحلول في غيره والمحليّة لغيره والتركيب والجهة والاتّحاد بغيره؛ لما ثبت من قَدَمه تعالى ووجوب وجوده وقد ثبت حدوث هذه الأمور.

وَيَجِبُ تنزيهه عن الرؤية بالبصر؛ لاستحالة الجهة عليه لقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^٢.

الفصل الثاني في العدل

يَجِبُ كونه تعالى عدلاً حكيماً أي لا يفعل قبيحاً ولا يُخَلِّ بواجب؛ لأنه تعالى عالمٌ بقبح القبيح ووجوب الواجب وغنيٌّ عن القبيح والإخلال بالواجب، فيستحيل توجّه دواعيه إلى فعل قبيح أو إخلال بواجب. وَيَجِبُ أَنْ لا يريد شيئاً من القبائح؛ لأنّ إرادة القبيح قبيحةٌ وكلّ ما في العالم من القبائح، فهو فعل عباده لا فعله تعالى الله عن ذلك.

وَيَجِبُ عليه اللطف؛ لأنه مُقَرَّبٌ من الطاعة ومُبَعَّدٌ عن المعصية، فلو لم يفعله انتقض غرضه تعالى.

وَيَجِبُ حُسن جميع ما فعله الله من الآلام والأمراض والحيوانات المؤذية والسموم القاتلة؛ لما ثبت من تنزهه من فعل القبائح.

وَيَجِبُ حُسن التكليف بأسره؛ لما فيه من زجر المكلف عن القبائح والإخلال

١. الأنبياء (٢١): ٢٢.

٢. الأنعام (٦): ١٠٣.

بالواجب، وذلك حسن وهو أيضاً لطف واللفظ واجب، فيجب التكليف. وَيَجِبُ الجزاء عليه بالثواب الدائم عند الامتثال والعقاب الدائم للكافر لوعده تعالى بالثواب ووعيده بالعقاب. وأما الفساق من المؤمنين المصرين غير التائبين فمنقطع؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^١.

الفصل الثالث في النبوة

النبوة حسنة، لما فيها من تعريف المكلفين بالمصالح والمفاسد الخفية على العقول، وتقوية العقل فيما يدل عليه من الأصول. وَيَجِبُ بعثة الأنبياء؛ لتوقف التكليف بالسمعيات عليها وما يتوقف عليه الواجب واجب.

ويجب تصديقهم بالمعجز الخارق للعادة المطابق للدعوى ليعلم المكلفون صدقهم. وَيَجِبُ عصمتهم من جميع المعاصي والسهو والغلط ليوثق بأموارهم ونواهيهم ووعدهم ووعيدهم.

ومحمد رسول الله ﷺ لدعواه النبوة وظهور ألف معجزة على يده، منها: القرآن العزيز وانشقاق القمر والإخبار بالغيب وتكليم الذراع المشوي وشكاية البعير وحنين الجذع اليابس ومجيء الشجرة وعودها ونبع الماء وإشباع الخلق الكثير من الزاد القليل^٢ وهو خاتم النبيين.

الفصل الرابع في الإمامة

الإمامة رئاسة عامة لشخص إنساني في الأمور الدينية والدينيّة وهي حسنة، لما فيها من حفظ الشريعة وإرشاد المكلفين وحماية الثغور والأخذ على يد السفیه والانتصاف للمظلوم من الظالم. وواجبة على الله لكونها لطفاً؛ لأنّ المكلفين يكون حالهم معها إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد.

١. الزلزلة (٩٩): ٧-٨.

٢. انظر مصادر هذه المعجزات في رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٢٢٩.

وَيَجِبُ فِي الْإِمَامِ الْعَصْمَةَ لِيُوثِقَ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ كَمَا قَلَنَاهُ فِي النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّ الْمُحَوِّجَ إِلَيْهِ جَوَّازَ الْخَطَا عَلَى الْأُمَّةِ، فَلَوْ جَازَ خَطْوَهُ احْتِجَاجٌ إِلَى إِمَامٍ آخَرَ وَيَتَسَلَّلُ. وَيَجِبُ كَوْنُهُ مَنْصُوصاً عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ مِنَ الرَّسُولِ أَوْ مِنَ الْإِمَامِ قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ الْعَصْمَةَ أَمْرٌ خَفِيٌّ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

وَلَمْ يَحْصَلِ النَّصُّ وَالْعَصْمَةُ لغيرِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَأَوْلَادِهِ الْأَحَدِ عَشَرَ: الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَلِيَّ وَمُحَمَّدَ وَجَعْفَرَ وَمُوسَى وَعَلِيَّ وَمُحَمَّدَ وَعَلِيَّ وَالْحَسَنَ وَالْحِجَّةَ بْنَ الْحَسَنِ ﷺ.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^١. وَالصَّادِقُ الْمَطْلُوقُ ظَاهِراً وَبَاطِئاً فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ هُوَ الْمَعْصُومُ. وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكُوعُونَ﴾^٢. وَلَمْ يُوْتِ أَحَدُ الزَّكَاةِ وَهُمْ رَاكِعُونَ [ظ: وَهُوَ رَاكِعٌ] إِلَّا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ.

وَلِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «هَذَا وَلَدِي الْحُسَيْنُ إِمَامٌ، ابْنُ إِمَامٍ، أَخُو إِمَامٍ، أَبُو أئِمَّةٍ تَسَعَةَ تَاسِعِهِمْ قَائِمُهُمْ»^٣.

وَيَجِبُ كَوْنُ الْخَلْفِ الْحِجَّةِ الثَّانِي عَشَرَ مَوْجُوداً بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ لِوَجُوبِ اللَّطْفِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ وَقْتٍ. وَيَجِبُ ظُهُورُهُ وَتَمَلُّكُهُ وَمِلْأُ الْأَرْضِ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجوراً؛ لِتَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ بِذَلِكَ.

وَيَجِبُ صَدَقُ الْأئِمَّةِ فِي جَمِيعِ مَا جَاءُوا بِهِ عَنِ الرَّسُولِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) مِنْ فُرُوعِ التَّكْلِيفِ وَغَيْرِهَا لِثُبُوتِ عَصْمَتِهِ وَعَصْمَتِهِمْ. وَيَجِبُ الثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ وَشُكْرُ إِعْنَامِهِمْ بَعْدَ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ؛ لِقَضَاءِ صَرِيحِ الْعَقْلِ بِوَجُوبِ شُكْرِ الْمُنْعَمِ.

١. التوبة (٩): ١١٩.

٢. المائدة (٥): ٥٥.

٣. انظر مصادر الحديث في رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٧٣٢.

تَمَّتْ: سؤال القبر حقاً وكذا الحشر والنشر والإعادة بعد الموت والثواب والعقاب والجنة والنار وما أُعِدَّ فيهما والصراف والميزان وتطابير الكتب وإنطاق الجوارح؛ لإمكانها وإخبار المعصوم بها.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، محمد وآله الطاهرين.

١٩ . العقيدة الكافية

رسالة صغيرة جداً في الاعتقادات، عبّر عنها في بعض مخطوطاتها بالعقيدة الكافية، كما في المجموعة المرقّمة ١٩٩٥ في مكتبة المدرسة الفيضية بقم المقدّسة. قال الطهراني (طاب ثراه):

- الاعتقادية، للشّيخ الشهيد ... أوله: «أشهدكم عليّ معاشر المؤمنين» كما كتب عليه. وهو بخطّ المولى مقصود عليّ بن شاه محمّد الدامغاني، تاريخ كتابته سنة ٩٩٦، رأيته في مكتبة المولى محمّد عليّ الخوانساري^١.

- العقيدة الكافية، هو اعتقادية الشهيد الأول، عبّر عنه في بعض المواضع، ومرّ بعنوان الرسالة الاعتقادية ...^٢.

وتوجد منها مخطوطات كثيرة، وقفنا على حوالي خمس عشرة مخطوطة، منها:

(أ) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ٤٣ في مكتبة آية الله الكلبايگاني عليه السلام، نسخت عام ١٩٧٤^٣.

(ب) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ٣٩١٧ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، نسخت عام ١٠٨٧^٤. وقد كتب الناسخ ذيلها: «هذه عقيدة منقولة بوسائط عن خطّ الشّيخ الشهيد (رحمه الله تعالى)».

(ج) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ١٨٣٨ في مكتبة ملك الوطنية بطهران^٥.

١. الذريعة، ج ٢ ص ٢٢٩.

٢. الذريعة، ج ١٥ ص ٣٠٦.

٣. ذكرت في فهرسها، ج ١ ص ٥٤.

٤. ذكرت في فهرسها، ج ١٠ ص ١٩٤٧.

٥. ذكرت في فهرسها، ج ٥ ص ٣٧٨.

(د) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة M735 في مكتبة جامعة لوس أنجلس في الولايات المتّحدة الأميركيّة^١.

(هـ) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ١٩٩٥ في مكتبة المدرسة الفيضية بقم المقدّسة^٢. أوّلها:

اعتقدت اعتقاداً مطابقاً، لا مقلّداً في ديني لأحدٍ من الناس، ولا شاكاً ولا ظاناً ولا متوهماً ولا مراتباً. إنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله إلهاً واحداً فرداً صمداً ...
وآخرها:

وعليه أبعث إن شاء الله تعالى. أفوز بمشيئته في ديني وديبائي وآخرتي؛ إنّه رؤف رحيم.

(و) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ١٩٩٥ أيضاً في مكتبة المدرسة الفيضية، نسخت عام ١٩٥٥^٣.

أوّلها: «أشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له...».

وآخرها:

وعليه أبعث إن شاء الله تعالى. إنّي أودعتك يقيني هذا وثبات ديني وأنت خير مستودع،

وقد أمرتنا برّد الودائع فردّه عليّ عند حضور موتي يا أرحم الراحمين.

(ز) مخطوطة المكتبة الخاصّة للشيخ عليّ العلومي^٤.

(ح) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ١٤٠ m في معهد العلوم في باكو، ومصوّرة هذه

المخطوطة موجودة في مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام برقم ١١٨٢، الورقة ١٨٢. وهذه

النسخة تختلف عن سائر النسخ في بعض العبارات، أوّلها:

اعتقاد الإمامية سيّما خاتم المجتهدين الشيخ [ال]شهيّد (أعلى الله تعالى مقامه)

وهو هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم. أعتقد اعتقاداً مطابقاً، لا مقلّداً في ديني لأحدٍ من الناس ولا

شاكاً ولا ظاناً ولا متوهماً ولا مراتباً، أنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله...

١. نشرية نسخه هاي خطي، العددين ١١-١٢، ص ٦٩٠.

٢. ذكرت في فهرسها، ج ٢، ص ١٦٢-١٦٣.

٣. ذكرت في فهرسها، ج ٢ ص ١٦٢.

٤. نشرية نسخه هاي خطي، العدد ٤، ص ٤٤٧.

ولا اختصار الرسالة و عدم طبعها حَقَّقَتْهَا لأوَّل مرَّة، اعتماداً على مخطوطة مكتبة آية الله الكليبايگاني رحمته وأوردتها في مقدّمتي لغاية المراد^١، ثم نشرت في رسائل الشهيد الأول عام ١٤٢٣، ثم نُشرَت عام ١٤٣٠، في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٨. وإليك نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهدكم يا معاشر المؤمنين، أنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً أحداً فرداً وترأّ صمداً حياً قيّوماً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأنّ محمّداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأفضل رسله، وأنّ خليفته على أمّته أخوه وابن عمّه أمير المؤمنين أبو الحسنين عليّ ابن أبي طالب (عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيّات وعلى ذريّته الطاهرين والطاهرات) ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ عليّ ثمّ محمّد ثمّ جعفر ثمّ موسى ثمّ عليّ ثمّ محمّد ثمّ عليّ ثمّ الحسن ثمّ الخلف الحجّة القائم المهديّ (عجلّ الله فرجه).

وأستدلّ على وجود الله تعالى بحدوث ما سواه.

وأستدلّ على حدوث ما سواه بالتغيّر والزوال.

وأستدلّ على قِدَمه بانتهاء الحوادث إليه.

وأستدلّ على وجوب وجوده بإمكان ما سواه.

وأستدلّ على بقاءه وأبديّته بوجوب وجوده.

وأستدلّ على قدرته بوقوع الفعل منه على سبيل الجواز.

وأستدلّ على علمه بإحكام أفعاله وإتقانها.

وأستدلّ على عموم قدرته وعلمه بتساوي نسبة الجميع إليه، فلا يتخصّص البعض دون البعض.

وأستدلّ على كونه سمياً بصيراً بعموم علمه بهما.

وأستدلّ على إرادته وكرهه بأمره ونهيه.

وَأَسْتَدَلَّ عَلَى كَلَامِهِ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الْعَزِيزِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾^١.
 وَأَسْتَدَلَّ عَلَى وَحْدَتِهِ بِاسْتِقَامَةِ الْعَالَمِ، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^٢.
 وَأَسْتَدَلَّ عَلَى غِنَاهُ عَنْ غَيْرِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ بِكَوْنِهِ وَاجِبَ الْوُجُودِ.
 وَأَسْتَدَلَّ عَلَى كَوْنِهِ لَيْسَ بِجَسْمٍ وَلَا جَوْهَرٍ وَلَا عَرْضٍ وَلَا مَتَحَيِّزٍ وَلَا حَالٍ فِي
 الْمَتَحَيِّزِ وَلَا مَرْتَبٍ وَلَا مَرَكَبٍ وَلَا مَوْصُوفٍ بِالْمَعَانِي الْقَدِيمَةِ وَلَا الْحَادِثَةِ، بِكَوْنِهِ
 قَدِيمًا وَوَاجِبَ الْوُجُودِ.

وَأَسْتَدَلَّ عَلَى عَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ بِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَفْعَلُ قَبِيحًا وَلَا يُخْلُ بِوَاجِبٍ، تَعَالَى
 اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَبِكَوْنِهِ غَنِيًّا.

وَأَسْتَدَلَّ عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَدْعَائِهِ النُّبُوَّةِ، وَصَدَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَعْجَزِ
 الظَّاهِرِ عَلَى يَدِهِ، مِثْلَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ^٣، وَنُبُوعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ^٤، وَخَنِينِ الْجِدْعِ
 الْيَابِسِ إِلَيْهِ^٥، وَشَكْوَى الطَّبِيبَةِ^٦ وَالْبَعِيرِ^٧ إِلَيْهِ.

وَأَسْتَدَلَّ عَلَى عِصْمَتِهِ بِوَثُوقِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

وَأَسْتَدَلَّ عَلَى كَوْنِهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ
 وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^٨.

وَأَسْتَدَلَّ عَلَى إِمَامَةِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) وَأَحَدِ عَشْرٍ مِنْ وَلَدِهِ الطَّيِّبِينَ
 - خَلْفًا عَنْ سَلْفٍ - إِمَامًا بِالْعِصْمَةِ الْمَشْرُطَةِ فِي الْإِمَامَةِ، حِذْرًا مِنَ الدُّورِ وَالتَّسْلُسِ
 لو كَانَ الْإِمَامَ غَيْرَ مَعْصُومٍ؛ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
 الصَّادِقِينَ﴾^٩؛ وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَلَدِي الْحُسَيْنُ إِمَامٌ ابْنُ إِمَامٍ أَبُو أُمَّةٍ تَسَعَةُ تَسَاعِهِمْ

١. التوبة (٩): ٦.

٢. الإخلاص (١١٢): ١.

٣. إعلام الوري، ص ٣٨.

٤ و ٥. إعلام الوري، ص ٣٢.

٦. إعلام الوري، ص ٣٦.

٧. إعلام الوري، ص ٣٩.

٨. الأحزاب (٣٣): ٤٠.

٩. التوبة (٩): ١١٩.

قائمهم أفضلهم أعلمهم»^١.

وأستدلّ على بقاء المهديّ بتواتر الأخبار^٢، وامتناع الإخلال باللطف الواجب على الله تعالى.

وأستدلّ على المعاد وسؤال القبر والجنّة والنار والصراف والميزان بنبوت صدق المخبر بذلك، وهو النبيّ المعصوم ﷺ.

وأعتقد بجميع ما جاء به النبيّ ﷺ من نبوة الأنبياء السالفة (على نبينا وعليهم السلام)، ومن تكليف المكلفين، ومن الحشر والنشر والجنّة والنار. وما أعدّ الله فيهما من الثواب والعقاب والمطعم والمشرب والنكاح حقّ وصدق.

هذا اعتقادي، وعليه أحيأ وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله تعالى.

وصنّفه معتقده محمد بن مكي، وهو يشهد أنّ معتقده والعامل به ناج من عذاب النار، فائز برضى الجبار، إذا هو وافى عليه إلى نزول الحافرة وأول أيام الآخرة. والحمد لله حمد الشاكرين، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

٢٠. غاية المراد في شرح نكت الإرشاد

هو الكتاب الذي بحثنا عنه تفصيلاً في مقدّمة التحقيق في الجزء الأول من الموسوعة، فلانعيد.

٢١. القواعد و الفوائد

ذكره الشهيد بهذا الاسم في إجازته لابن الخازن في ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤، حيث قال: فمما صنّفته كتاب القواعد والفوائد في الفقه، مختصر يشتمل على ضوابط كليّة: أصولية وفرعية، تستنبط منها أحكام شرعية، لم يُعمل للأصحاب مثله^٣.

١. انظر الخصال، ج ٢، ص ٥٥٩، ح ٣٨، باب الاثني عشر.

٢. انظر الكافي، ج ١، ص ٥٣٢-٥٣٤، ح ٩-٢٠؛ الخصال، ج ٢، ص ٥٤٩-٥٦٧، ح ٦-٥١، باب الاثني عشر.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

وذكره في مقدمته أيضاً بهذا الاسم، حيث قال:

... وأسألك أن... تجعل ما عزمنا عليه من تأليف هذه «القواعد والفوائد» عدّة وذخراً ليوم لقائك^١.

وكلام الشهيد في إجازته لابن الخازن يدلّ على أنّه فرغ من تأليفه قبل تاريخ الإجازة، لكن تاريخ الشروع بالتصنيف بقي مجهولاً، ويبدو من كلامه في الإجازة أنّه أول من ولج هذا الباب من فقهاء الشيعة^٢.

قال الشهيد السيّد عبد الهادي الحكيم رحمته الله في وصف الكتاب:

وقد احتوى الكتاب على ما يقرب من ثلاثمائة و ثلاثين قاعدة، إضافة إلى فوائد تقرب من مائة فائدة، عدا التنبيهات والفروع، وهي جميعاً قد استوعبت أكثر المسائل الشرعيّة. وهذه القواعد والفوائد التي احتواها الكتاب ليست فقهية خالصة، وإنما فيها بعض القواعد والفوائد الأصولية والعربية، لكن الطابع الفقهي هو الغالب عليها.

ومنهج المصنّف في هذا الكتاب هو أنّه يورد القاعدة أو الفائدة ثمّ يبيّن ما يندرج تحتها من فروع فقهية، وما قد يرد عليها من استثناءات إن كان هناك استثناء منها، وهو لم يقتصر على بيان رأي الإمامية فيما يذكره من المسائل، وإنما اتخذ المقارنة في أغلب الفروع الفقهية، يعرض ما قيل من الوجوه سواء كان القائل إمامياً أم غيره، ممّا يدلّ على سعة اطلاع وإحاطته بأراء الفقهاء على اختلاف مذاهبهم...^٣.

وقال الشيخ محمّد بن عليّ بن أحمد الحرفوشي العاملي في شرحه لقواعد الشهيد

الموسومة بالقلائد السنيّة على القواعد الشهيدية:

إنّ كتاب القواعد - الذي ألفه شيخنا رئيس المحقّقين وزبدة المدقّقين، ظلّ الله على الأنام... من عليه في العلوم والمعارف المعول، الشيخ... شمس الدين محمّد، الشهير

١. القواعد والفوائد، ج ١، ص ٢٩.

٢. انظر الكلام حول هذا الكتاب مفصلاً في القواعد والفوائد، ج ١، ص ٧-١٣، مقدّمة التحقيق؛ الشهيد الأوّل محمّد بن مكي العاملي في المصادر العربية، ص ٤٩٥-٤٩٩؛ فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانه مركزى، ج ٥، ص ١٩٧٨-١٩٨٠؛ شناختنامه شهيدين، ص ١٤٦-١٧١.

٣. القواعد والفوائد، ج ١، ص ٧-٩، مقدّمة التحقيق.

بالشهاد الأَوَّل - كتابٌ لم ينسج أحد على مثواله، ولم يظفر فاضل بمثاله، انطوى على تحقيقات هي لطائف الأسرار، واحتوى على اعتبارات هي عرائس الأفكار...^١.

طبع القواعد والفوائد عدّة مرّات، منها:

(أ) لأوّل مرّة عام ١٢٧٠، طبعة حجرية.

(ب) حوالي عام ١٣٠٨، طبعة حجرية، بخط أحمد بن حسين التفرشي، مع بعض الحواشي عليه.

(ج) عام ١٤٠٠ بتحقيق الشهيد الدكتور السيّد عبد الهادي الحكيم في النجف الأشرف.

(د) عام ١٤٣٠، في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٥.

ومخطوطاته كثيرة^٢ وقفنا على حوالي مائة وخمسين مخطوط له، منها:

- مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٥٥١، من كتب السيّد الطباطبائي، نسخت عام ١٠٥٥ (ذكرت في فهرسها، ج ٢٤، ص ٣٥٣).

- مخطوطة مكتبة فخر الدين النصيري الخاصة، نسخت عام ٩٦٢ نسخها عبدعلي بن

عبدالله المدعوّ بـ «عدي»، و قوبلت بنسخة صحّحها الشيخ حسين بن عبد الصمد والد

الشيخ البهائي عليه السلام صحّحها محمّد بن محمّد بن عليّ الزواري سنة ١٠٠٢، وعليها خطّ الشيخ

بهاء الدين العاملي^٣.

- مخطوطة مكتبة مدرسة مروفي طهران، المرقّمة ٣٥٩، نُسخت في القرن ١١.

- مخطوطة مكتبة مدرسة تربيت في تبريز، المرقّمة ٢٢٣، تاريخ نسخها مجهول،

(ذكرت في فهرسها، ص ٥٨).

١. فهرست كتب خطي كتابخانه های اصفهان، ج ١، ص ٢٥٧.

٢. انظر مقدّمه ای بر فقه شيعه، ص ١٤٩؛ فهرست ألبائني كتب خطي، ص ٤٥١.

٣. ورد في هامش الصفحة الأخيرة من المخطوطة: «الحمد لله وحده. بلغ هذا الكتاب مقابلةً بنسخة صحّحها الشيخ المحقّق و... المدقّق، الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي، وعليها خطّه وخطّ... الشيخ المحقّق النحرير، العلامة المتبحّر، ملاذ العلماء، الشيخ بهاء الدين محمّد (مدّ ظلّه السامي) وقد كتب في آخرها ما صورته: الحمد لله وحده. انتهت مطالعتها يوم الخميس ثاني عشرين جمادى الآخرة من السنة المذكورة. فقير رحمة ربّه الغنيّ حسين بن عبد الصمد الحارثي (أصلح الله تعالى حاله وماله بمحمّد وآله) وكتب الفقير إلى الله الغنيّ المغنيّ محمّد بن محمّد بن عليّ الزواري (عفا ربّهم عنهم بمحمّد وعليّ في... اثنتين زائدة على الألف)».

- مخطوطة مكتبة السيد عبد العظيم الحسيني رحمته الله في الري، المرقمة ٢٣٣، نسخت عام ١٠٤٤، (ذكرت في نشرية نسخه‌های خطی، العدد ٣، ص ٤٧٣).

- مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، المرقمة ٢٨٤١، نسخت عام ١٠٧٦، (ذكرت في فهرسها، ص ٢٥٠).

- مخطوطة المكتبة المركزية لجامعة طهران، المرقمة ١٠١١، نسخت عام ٩٢٨، (ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ١٩٧٨).

- مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٢٥٧٩، نسخت عام ٨٢٢، على نسخة ابن المؤلف.

- مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٤٦٩٤، نسخت في القرن ٩.

- مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٦٥٧٦، نسخت عام ٩٦٦.

- مخطوطة مكتبة المدرسة الباقرية، المرقمة ٢٢٠، نسخت عام ٨٥٠، (ذكرت في

فهرسها في مجلة تراثنا، العدد ٢٣، ص ١٠٩).

- مخطوطة مكتبة المدرسة الباقرية، المرقمة ٢٣١، نسخت في القرن ٩ أو ١٠ تقديراً،

(ذكرت في فهرسها في مجلة تراثنا، العدد ٢٣، ص ١١٣).

واعلم أن الكتاب لأهميته كان محطاً لأنظار العلماء، وعنه قال الطهراني: «هو من الكتب

المؤتمعة التي دارت عليها رحي التدريس، وعُلقت عليه حواشٍ وشرحٌ بشروحٍ»^١. ومن أهم

شروحه القلائد السنية في شرح القواعد الشهيدية^٢. ومنها شرح السيد مهدي بن هادي

المازندراني، وتوجد نسخة من هذا الشرح في مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، برقم

١/٢٨١٠^٣. ومن حواشيه المهمة حاشية الشيخ بهاء الدين العاملي (م ١٠٣٠)، قال الشيخ

في أولها بعد البسملة:

اللهم إنا نحمدك بلسان الحال والمقال، ونشكرك على ترادف الإنعام والإفضال، ونصلي

١. الذريعة، ج ١٤، ص ١٦؛ وللقوف على شروحه وحواشيه انظر الذريعة، ج ٦، ص ١٧٣ - ١٧٤ و ج ١٤،

ص ١٦ - ١٧ و ج ١٧، ص ١٩٣؛ مقدّمه‌ای بر فقه شيعه، ص ١٥٠؛ علماء معاصرين، ص ٦؛ فهرس مخطوطات

مركز إحياء التراث الإسلامي، ج ١، ص ٢٤٧.

٢. انظر وصفه تفصيلاً في فهرست كتب خطی کتابخانه‌های اصفهان، ج ١، ص ٢٥٢ - ٢٥٩.

٣. ذكرت في فهرسها، ج ٢١، ص ١٠٥.

على أشرف مظاهر الجلال والجمال، نبيك محمد وآله بروج فلك العصمة والكمال. ونستعينك على رفع جلباب الغموض والإجمال، عن القواعد الشهيدية التي هي محكّ فحول الرجال، ومعتك أنظارهم في مضمار القيل والقال، ونسألك تسهيل السلوك في تلك الوهاد والتلال، فبك الاعتصام وإليك الالتجاء وعليك الاتكال^١.

ولقد هذب الكتاب ورتبه تلميذ الشهيد الفاضل المقداد، وسماه ضد القواعد الفقهية على مذهب الإمامية، وقال في مقدّمته:

... وكان شيخنا الشهيد (قدّس الله سرّه) قد جمع كتاباً يشتمل على قواعد وفوائد في الفقه؛ تأسياً للطلبة بكيفية استخراج المعقول من المنقول، وتدريباً لهم في اقتناص الفروع من الأصول، لكنّه غير مرتّب ترتيباً يحصله كلُّ طالب، وينتجز فرصة كلِّ راغب، فصرفت عنان العزم إلى ترتيبه وتهذيبه وتقريبه، وسمّيته ضد القواعد الفقهية على مذهب الإمامية... وهو مرتّب على مقدّمة وقطين^٢.

وزعم أحد المعاصرين في كتابه أنّ تمهيد القواعد للشهيد الثاني عليه السلام تلخيص وتنظيم لقواعد الشهيد الأول^٣. وهذا سهو قطعاً؛ فإنّ تمهيد القواعد كتاب مستقلّ يشتمل على مائة قاعدة أصولية ومائة قاعدة أدبية، ولا صلة له بقواعد الشهيد الأول، كما لا يخفى على من راجعهما. ويدلّ عليه قول الشهيد الثاني في إجازته لابن هلال الجزائري في وصف كتابه تمهيد القواعد:

وهو كتاب واحد في فنّه، بحمد الله ومنّه، ومن وقف على الكتاب المومي إليه علم حقيقة ما نبهنا عليه^٤.

وقول ابن العودي تلميذ الشهيد الثاني في وصف تمهيد القواعد:

سلك فيه مسلكاً بديعاً ومنهجاً غريباً ما سبقَ إليه... ولقد وصفنا هذا الكتاب لبعض فضلاء العجم بقزوين، فقال: «مثل قواعد الشهيد؟» قلنا: أحسن. فقال: «دعوى

١. مخطوطة حاشية القواعد والفوائد، المحفوظة في مكتبة الإمام الرضا عليه السلام في قم، برقم ٩١/١.

٢. ضد القواعد الفقهية، ص ٣-٤.

٣. مقدّمات بر فقه شيعه، ص ١٤٩، وانظر الذريعة، ج ١٧، ص ١٩٤، حيث قال: «... فَصَّلَ الشهيد الثاني قواعده الأصولية والأدبية مع فهرس المطالب والمسائل الفرعية في كتابه تمهيد القواعد».

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٤٤.

عظيمة». فقلنا: الشاهد حاضر، ودفعنا إليه الكتاب، فأخذه إلى منزله، وفي اليوم الثاني أرسل يستأذنُ منّا في تقطيع أجزاءه وتفريقها على الكتّاب ليكتبوه عاجلاً، فكتبه في أيامٍ قلائلٍ ومدّحه^١.

ولو كان تمهيد القواعد تلخيصاً لقواعد الشهيد الأول وتنظيماً له لما صدق في شأنه هذا الكلام من مؤلفه الشهيد وتلميذه عليه السلام.

٢٢. اللمعة الدمشقية في فقه الإمامية

أشهر مصنّفات الشهيد، مختصر لطيف جمع فيه أبواب الفقه ولخص أحكامه. سمّاه بهذا الاسم في مقدّمته، حيث قال:

أمّا بعد، فهذه اللمعة الدمشقية في فقه الإمامية، إجابةً لالتماس بعض الديّانين، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وهي مبنية على كتب^٢.

وقال في آخره:

وليكن هذا آخر اللمعة، ولم نذكر فيها سوى المهمّ، وهو المشهور بين الأصحاب، والباعث عليه اقتضاء بعض الطلاب (نفعه الله وإيتاناه). والحمد لله وحده...^٣.

ووصفه في إجازته لابن الخازن بقوله: «و... كتاب اللمعة الدمشقية، مختصر لطيف في الفقه»^٤.

ووصفه الشهيد الثاني بقوله:

المختصر الشريف والمؤلف المنيف، المشتمل على أمّهات المطالب الشرعية، الموسوم باللمعة الدمشقية^٥.

لم نستطع الوقوف على تاريخ التأليف تحديداً، لكن ورود اسم الكتاب في إجازة الشهيد

١. الدر المنثور، ج ٢، ص ١٨٥-١٨٦.

٢. اللمعة الدمشقية، ص ٢١؛ قال الشهيد الثاني في الروضة البهية، ج ١، ص ٢٣ في شرح هذا الكلام: «... نسبها إلى دمشق المدينة المعروفة؛ لأنّه صنّفها بها في بعض أوقات إقامته بها».

٣. اللمعة الدمشقية، ص ٢٨٧.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

٥. الروضة البهية، ج ١، ص ٥.

لابن الخازن في ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤ يُرشدنا إلى أنه فرغ من تصنيفه قبل هذا التاريخ؛ ومن جهة أخرى صرّح الشهيد الثاني في مقدّمة شرح اللمعة أنه ألفه عام ٧٨٢^١. وأنه قرئ بعد التأليف على مؤلّفه^٢. وأشار الشهيد الثاني أيضاً في شرحه إلى أنه من آخر مصنّفاته، حيث قال:

... وقد اختلف فيه كلام المصنّف فاختره هنا، وهو من آخر ما صنّفه، وفي الرسالة الألفية، وهي من أوّله^٣.

فليست اللمعة آخر ما صنّفه؛ فإنّه كان مشغولاً بتأليف الذكرى والدروس عام ٧٨٤، كما تقدّم، فما ذكره صاحب الجواهر من قوله: «... قد رجع عنه في اللمعة التي هي آخر ما صنّف، فقطع بالجواز»^٤ فليس بصواب.

وأشار الشهيد في اللمعة إلى كتابه الذكرى، حيث قال: «وقد حقّقناه في الذكرى»^٥؛ «وقد بيّنا مأخذه في كتاب الذكرى»^٦.

ثمّ اعلم أنّ الشهيد الثاني قال في شرح قول الشهيد في مقدّمة اللمعة: «إجابة لا لتماس بعض الديّانين»:

وهذا البعض هو شمس الدين محمّد الآوي^٧، من أصحاب السلطان عليّ بن مؤيّد ملك خراسان وما والاها في ذلك الوقت إلى أن استولى على بلاده تيمور لنگ، فصار معه قسراً إلى أن توفّي في حدود سنة خمس وتسعين وسبعمائة، بعد أن استشهد المصنّف^٨ بتسع سنين^٨. وكان بينه وبين المصنّف^٩ مودّة ومكاتبه على البعد إلى

١. الروضة البهيّة، ج ١ ص ٢٤.

٢. الروضة البهيّة، ج ٣، ص ٥٤١.

٣. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٧٨.

٤. جواهر الكلام، ج ٢٩، ص ٣١٧.

٥. اللمعة الدمشقيّة، ص ٣٠.

٦. اللمعة الدمشقيّة، ص ٤٠.

٧. وردت ترجمته في الحقائق الراهنة، ص ١٧٥-١٧٦.

٨. الصواب أنّه توفّي عام ٧٨٨، أي بعد استشهاد الشهيد بستنين. انظر تاريخ جنّيش سربداران، ص ٢٢٢-٢٢٣. قال السيّد حسن الأمين^٩ في الشهيد الأول، ص ٣٩: «وظلّ عليّ بن المؤيّد في صحبة تيمور سبع سنين إلى أن قتل سنة ٧٨٨ في الحويزة في الحرب التي اشتعلت مع اللرّ، ونقل جثمانه إلى سبزوار ودفن سرّاً؛ خوفاً من الدراويش الذين كانوا يومذاك يتولّون حكم سبزوار».

العراق، ثم إلى الشام. وطلب منه أخيراً التوجه إلى بلاده في مكاتبة شريفة^١ أكثر فيها من التلطف والتعظيم والحث للمصنّف عليه السلام على ذلك، فأبى واعتذر إليه، وصنّف له هذا الكتاب بدمشق في سبعة أيام لا غير - على ما نقله عنه ولده المبرور أبو طالب محمّد - و أخذ شمس الدين الآوي نسخة الأصل، ولم يتمكن أحد من نسخها منه لظنته بها، وإنما نسخها بعض الطلبة وهي في يد الرسول، تعظيماً لها، وسافر بها قبل المقابلة، فوقع فيها بسبب ذلك خلل، ثم أصلحه المصنّف بعد ذلك بما يناسب المقام، وربما كان مغايراً للأصل بحسب اللفظ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين وسبعمئة.

ونقل عن المصنّف عليه السلام أن مجلسه بدمشق ذلك الوقت ما كان يخلو غالباً من علماء الجمهور لخلطته بهم وصحبته لهم، قال: «فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب كنت أخاف أن يدخل عليّ أحد منهم فيراه، فما دخل عليّ أحد منذ شرعت في تصنيفه إلى أن فرغت منه، وكان ذلك من خفيّ الألفاظ».

وهو من جملة كراماته (قدّس الله روحه ونوّز ضريحه)^٢.

وكان تأليف اللمعة جواباً لرسالة وردت إلى الشهيد من عليّ بن مؤيّد - من ملوك «سربداران» في خراسان^٣ - كما صرح به الشهيد الثاني. وتلك الرسالة موجودة بحمد الله تعالى، ونشرت في عدّة كتب^٤. ولأهميتها وجزالتها وفصاحتها تأتي بنصّها هنا، اعتماداً على عدّة من مخطوطاتها، منها:

(أ) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٤٨٨٦^٥. وهي نسخة من شرح اللمعة للشهيد الثاني، نسخها تلميذه السيّد عليّ بن الصائغ في زمن حياته عام ٩٥٥، ونسخ في أوّل رسالة عليّ بن مؤيّد نقلاً عن خطّ الشهيد الثاني.

١. سنأتي بنصّ هذه الرسالة.

٢. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٣ - ٢٤.

٣. «السربداريون هم جماعة من قادة الشيعة حكموا منطقة خراسان ما يقرب من سبعين سنة، وامتدّت دولتهم من سواحل جنوب شرق بحر الخزر حتّى مدينتي طوس ومشهد» (الشهيد الأول، ص ٢١، الهامش). وانظر للوقوف على حكومتهم وحياتهم: تاريخ جنبش سربداران؛ قيام شيعة سربداران؛ مقالة «حكومت شيعة سربداران» ضمن كتاب پژوهشي درباره حديث و فقه، ص ٤١٣ - ٤٤٠.

٤. منها الصدق المشحون، للمولى محمّد شريف الشيرازي، ص ٧٧ - ٧٨.

٥. ذكرت في فهرسها، ج ١٤، ص ٢٨ - ٢٩.

- (ب) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية بطهران، المرقمة ٢٩٣٦/٣، نسخت عام ١١٠٩^١.
- (ج) مخطوطة الروضة البهية في مكتبة مدرسة العلوي بخوانسار، وقد نُسخَت عام ١٢٤٢ وفي أولها رسالة علي بن مؤيد.
- (د) مخطوطة ضمن المجموعة المرقمة $\frac{٢٥}{٧٧}$ في مكتبة آية الله الكليباكاني رحمته في قم.
- (هـ) مخطوطة الروضة البهية في مكتبة العلامة الحاج السيد محمد علي الروضاتي الخاصة في إصفهان، وفي أولها هذه الرسالة.
- وإليك نصّها:

رسالة علي بن مؤيد إلى الشهيد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

سَلامٌ كَثُرَ العَنَبِرِ المَتَضَوِّعِ يُخَلِّفُ رِيحَ المِسْكِ فِي كُلِّ مَوْضِعِ
 سَلامٌ يَبَاهِي البَدْرَ فِي كُلِّ مَنْزِلِ سَلامٌ يَضَاهِي الشَّمْسَ فِي كُلِّ مَطْلَعِ
 عَلِي شمسِ دِينِ الحَقِّ دَامَ ظِلَالُهُ بَجْدٍ سَعِيدٍ فِي نَعِيمٍ مُمْتَعِ

أدام الله تعالى مجلس المولى الإمام الهمام، العالم العامل، الفاضل الكامل، السالك الناسك، رضي الأخلاق، وفي الأعراف، علامة العالم، مرشد طوائف الأمم، قُدوة العلماء الراسخين، أسوة الفضلاء المحققين، مُفتي الفِرَق، الفاروق بالحق، حاوي فنون الفضائل والمعالي، حائز قَصَبِ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ^٢ الأعاطم والأعالي، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، مُحْيِي مَرَامِ الأئمة الطاهرين، سرّ الله في الأرضين، مولانا شمس الملة والحق والدين، (مَدَّ اللهُ أَطْنَابَ ظِلَالِهِ بِمَحْمَدٍ وَآلِهِ فِي دَوْلَةِ رَاسِيَةِ الأَوْتَادِ، وَنِعْمَةً مُتَّصِلَةَ الأَمْدَادِ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ).

وبعد، فالمحبُّ المشتاقُ مشتاقٌ إلى كريم لقائه غاية الاشتياق، وأن يُشْرِفَ بعدَ البعادِ بِقُرْبِ التَّلَاقِ.

١. ذكرت في فهرسها، ج ٦، ص ١٦٨.

٢. في المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٩١، «حلب»: «الحلبة: خيلٌ تُجمَعُ للسِّبَاقِ مِنْ كُلِّ أَوْب، مِيدَانِ سِبَاقِ الخَيْلِ، مَوْضِعٍ يَخْصُصُ لِلْمَلَامَةِ وَالْمِصَارَعَةِ وَنَحْوِهَا».

حُرِّمَ الطرفُ من مُحَيَّاكَ لَكِنْ حَظِيَّ القَلْبُ عَن حُمَيَّاكَ رِيًّا يُنْهِيهِ إِلَى ذَلِكِ الجَنَابِ (لَا زَالَ مَرْجِعًا لِأُولَى الأَلْبَابِ): أَنَّ شِيعَةَ خِرَاسَانَ (صَانَهَا اللهُ تَعَالَى عَنِ الحَدَّثَانِ)، مُتَعَطِّشُونَ إِلَى زَلَالِ وِصَالِهِ، وَالاغْتِرَافُ مِنْ بَحَارِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ. وَ أَفْضَلُ هَذِهِ الدِّيَارِ قَد مَرَّقَ شَغْلَهُمْ أَيْدِي الأَدْوَارِ، وَفَرَّقَ جُلُومَهُمْ بَلْ كَلَّهْمُ صُنُوفُ صُرُوفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ سَلَامُ رَبِّ العَالَمِينَ): «ثَلَمَةُ الدِّينِ مَوْتُ العُلَمَاءِ». وَإِنَّا لَا نَجِدُ فِينَا مِنْ يُوثِقُ عَلَى عِلْمِهِ فِي فُتْيَاهِ، وَيَهْتَدِي النَّاسُ بِرُشْدِهِ وَهُدَاهِ، فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى شَرَفَ حَضُورِهِ، وَالاِسْتِضَاءَةَ بِأَشْعَةِ نَوْرِهِ، وَالاِقْتِدَاءَ بِعُلُومِهِ الشَّرِيفَةِ، وَالاِهْتِدَاءَ بِرُسُومِهِ المَنِيفَةِ. وَالبَاقِينَ بِكِرْمِهِ العَمِيمِ وَفَضْلِهِ الجَسِيمِ أَنْ لَا يُخَيَّبَ رِجَاءَهُمْ، وَلَا يَرُدُّ دَعَاءَهُمْ، وَيُسْعِفَ مَسْئُولَهُمْ، وَيُنْجِحَ مَأْمُولَهُمْ.

إِذَا كَانَ الدَّعَاءُ لِمَحْضِ خَيْرٍ عَلَى يَدَيِ الكَرِيمِ فَلَا يُرَدُّ امْتِثَالًا لِمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾.

وَلَا شَكَّ أَنَّ أُولَى الأَرْحَامِ بِالصَّلَةِ الرَّجْمُ الإِسْلَامِيَّةَ الرُّوحَانِيَّةَ، وَأُخْرَى القَرَابَاتِ بِالرَّعَايَةِ القَرَابَةِ الإِيمَانِيَّةِ ثُمَّ الجَسْمَانِيَّةِ، فَهِيَ عَقْدَتَانِ لَا تَحْلُهُمَا الأَدْوَارُ وَالأَطْوَارُ، بَلْ شُعْبَتَانِ لَا يَهْدُهُمَا [خ: ل: لَا يَهْزُهُمَا] إِعْصَارُ الأَعْصَارِ، وَنَحْنُ نَخَافُ غَضَبَ اللهِ عَلَى هَذِهِ البِلَادِ، لِإِفْقَادِ المُرْشِدِ وَعَدَمِ الإِرْشَادِ.

والمَسْئُولُ مِنْ إِنْعَامِهِ العَامِّ، وَإِكْرَامِهِ التَّامِّ أَنْ يَنْفَضَّلَ عَلَيْنَا، وَيَتَوَجَّهَ إِلَيْنَا، مُتَوَكِّلًا عَلَى اللهِ القَدِيرِ، غَيْرِ مُتَعَلِّلٍ بِنَوْعِ مِنَ المَعَاذِيرِ؛ فَإِنَّا بِحَمْدِ اللهِ نَعْرِفُ قَدْرَهُ، وَنَسْتَعْظِمُ أَمْرَهُ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

والمَتَوَقِّعُ مِنْ مَكَارِمِ صِفَاتِهِ وَمَحَاسِنِ ذَاتِهِ إِسْبَالُ ذَيْلِ العَفْوِ عَلَى هَذَا الهَفْوِ.

وَالسَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ
المَحَبُّ المَشْتَأَقُ عَلِيِّ بْنِ مُؤَيَّدٍ

فَلَمَّا وَصَلَ هَذَا الكِتَابَ إِلَى الشَّهِيدِ أَبِي التَّوَجَّهَ إِلَى إِيرَانَ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَصَنَّفَ لَهُ اللِّمْعَةَ الدَّمَشْقِيَّةَ، وَأَعْطَاهَا شَمْسَ الدِّينِ الآوِي فَاتَى بِهَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُؤَيَّدٍ، كَمَا تَقَدَّمَ أَنْفَاءً.

والجدير بالذكر أنّ شرف الدين محمّد مكيّ حفيد الشهيد قال في وصف الشهيد:

... واشتهر في الآفاق عند أهل العلم والملوك، ومتمنّ كاتبه من الملوك والسلاطين:
السلطان عليّ بن المؤيّد سلطان العجم، وأرسل إليه السيّد شمس الدين الآوي ثلاث
مرّاتٍ بالتماس شديد وأراد منه زور [كذا، ظ: زيارة] العجم، فاعتذر في كلّ منها، ثمّ
انتهى الأمر أخيراً [إلى أن] كتب له كتاباً غريباً في فنون العلوم والأدب. ثمّ قال السيّد
رسول السلطان... فينبغي أن تكتب كتاباً بالفقه حتّى يكون العمل عليه ويرجعون إليه،
فكتب اللمعة. [قال] وكان السلطان وجميع من في بلاده يحبّون قدومكم، ويتشوّقون
إلى مشاورتكم لأجل الاقتباس من علومكم، فإذا لم يمكنكم كما اعتذرتم فليكن
تكتب [كذا] بيدكم الشريفة كتاباً مشتملاً على مسائل الدين...؛ لأنك العمدة في عصرنا،
فاستحسنَ الشهيد قوله وشرع فيها... فكتبها وآلفها في سبعة أيّام لا غير^١.

قال العلامة السيّد حسن الأمين رحمته الله:

وازن الشهيد بين واجبه في وطنه و واجبه في خراسان، فلم يتردّد في عدم الاستجابة
لدعوة عليّ بن المؤيّد؛ لأنّ وطنه كان في أشدّ الحاجة إليه، والأمر هنا يختلف عمّا كان
عليه بعد ذلك في أيّام الصفويين حين استدعوا العلماء العاملين فلبّوا دعوتهم؛ لأنّ
جبل عامل أيّام الصفويين كان مملوءاً بالعلماء الذين كان يمكن أن يستغني عن بعضهم
فيتركوه إلى إيران. في حين أنّ محمّد بن مكيّ كان وحيداً في جبل عامل في أيّام
السرداريين، لذلك لم يستجب لدعوة عليّ بن المؤيّد^٢.

صارت اللمعة محطّاً لأنظار الفقهاء، وأصبحت من أشهر المتون الفقهية، فكتبوا عليها
الشروح والحواشي^٣، ومن أهمّها وأشهرها الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، وكان
هذا الشرح أيضاً موضع اهتمام الفقهاء على مرّ العصور فكتبوا عليه الحواشيَ والشروح^٤.
طبعت اللمعة مرّاتٍ كثيرة ضمن بعض شروحها ومستقلّة، منها طبعة مكتبة المصطفوي
بقم عام ١٣٨١، وطبعة مؤسسة فقه الشيعة في بيروت عام ١٤١٠ ومنها عام ١٤٣٠ في قم،

١. سفينة شرف الدين محمّد مكيّ، الورقة ١٦٢ ب.

٢. الشهيد الأول، ص ١٠٢.

٣. انظر الذريعة، ج ٦، ص ١٩٠؛ وج ١٤، ص ٤٧-٥١؛ مقدّمه اي بر فقه شيعة، ص ١٣٨-١٤١.

٤. انظر الذريعة، ج ٦، ص ٩٠-٩٨؛ وج ١٣، ص ٢٩٣-٢٩٦؛ مقدّمه اي بر فقه شيعة، ص ١٨٤-١٩٤.

ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٣. وترجمها إلى الإنجليزية بعض المعاصرين^١ وإلى الفارسية المرحوم السيّد محمّد المشكاة وغيره، وطبع قسمٌ من ترجمة المشكاة في جريدة سبيل الرشاد أثناء سنوات ١٣٠١-١٣٠٥ش في إيران. وترجمها إلى الفارسية عدّة مرّات عدة من الفضلاء، ونشروها مكرّراً. ونظّمها المير قوام الدين محمّد الحسيني السيفي القزويني (م ح ١١٥٠) وسَمّاها التحفة القوامية في فقه الإمامية. ونُشرت هذه المنظومة عام ١٣٦٥^٢، ونظّم الطهارة والصلاة منها الشيخ فرج بن الحسن آل عمران القطيفي، وسَمّاها درة الصدق، عام ١٣٨٥^٣، وطبعت في النجف الأشرف، عام ١٣٧١ في المطبعة الحيدرية، ضمن الدرر والغرر. ونظّمها أيضاً سيف الدين عليّ بن محمّد جعفر الإسترآبادي وسَمّاها لؤلؤ الأحكام وشرحها باسم كنز درر الأحكام، ومخطوطة هذا الشرح موجودة في مكتبة آية الله المرعشي برقم ٣٨٧٨، ونظّمها بالفارسية في ٧٧١٧ بيتاً الشابّ المعاصر فرهاد اليوسفي اللاهجاني سنة ١٤٢٧، ولم تطبع هذه المنظومة.

ويوجد الكثير من مخطوطات اللمعة^٤، وقفنا على أكثر من سبعين مخطوطة لها، من أقدمها:

(أ) مخطوطة مكتبة العلامة الطباطبائي في كلية الطبّ بجامعة شيراز، المرقّمة ٢٣٨، نسخها حسين بن محمّد بن الحسن الجويّاني عام ٨٠٨، كما ذكرها العلامة المرحوم السيّد عبد العزيز الطباطبائي^٥.

(ب) مخطوطة الروضة الرضوية المقدّسة، المرقّمة ٢٥٤٧، نسخت عام ٨٤٩، وعليها إنهاء الشهيد الثاني في محرّم الحرام عام ٦٩٤٠.

* * *

١. انظر شناختنامه شهيدين، ص ١٣٩-١٤٥.

٢. الذريعة، ج ٣، ص ٤٦٢؛ فهرست كتابهاى چاپى عربى، ص ١٧١-١٧٢؛ كما في شناختنامه شهيدين، ص ٤٢٦؛ وانظر الذريعة، ج ٢٦، ص ٢٩٥.

٣. الذريعة، ج ٢٦، ص ٢٩٥.

٤. انظر الذريعة، ج ١٨، ص ٣٥٢؛ مقدمه اى بر فقه شيعه، ص ١٣٨.

٥. ميراث اسلامى ايران، ج ١، ص ٤٤٠، مقالة «من تراثنا الخالد في شيراز».

٦. اللمعة الدمشقيّة، ص ١٨، مقدّمة التحقيق؛ فهرست ألفبائى كتب خطى، ص ٤٨٥.

قال الشيخ الحرّ العاملي رحمته الله في ترجمة الشهيد رحمته الله:

وكانت وفاته سنة ٧٨٦... بعد ما حُبِسَ سنةً كاملةً في قلعة الشام. وفي مدة الحبس ألف اللمعة الدمشقيّة في سبعة أيام، وما كان يحضره من كتب الفقه غير المختصر النافع^١. والشيخ الحرّ هو أوّل من قال بهذا الكلام - فيما نعلم - ثمّ تبعه بعض أصحاب التراجم^٢ فنقلوه في كتبهم و صار مشهوراً؛ ولكنّه سهوٌ قطعاً، نعم نقل تأليفه في سبعة أيّام ولدُ الشهيد أبو طالب محمّد - كما حكاه الشهيد الثاني^٣ - وأمّا تأليفه في الحبس في السنة الأخيرة من عمره الشريف حينما كان لم يحضره من كتب الفقه غير المختصر النافع، فلم ينقله أحدٌ قبل الشيخ الحرّ فيما نعلم. ولم يذكره أحدٌ من تلامذته الشهيد ومعاصريه و وُلِدِه فيما وصل إلينا من المصادر. وإليك بعض الأدلّة على عدم صحّة ما قاله الشيخ الحرّ العاملي رحمته الله من تأليفه في الحبس في السنة الأخيرة من عمره الشريف:

(أ) الذي تدلّ عليه المصادر أنّ الشهيد حُبِسَ لمدّة حوالي عامٍ ثمّ استشهد محتسباً. وذكر الشهيد اللمعة في إجازته لابن الخازن عام ٧٨٤ - أعني حوالي سنتين قبل استشهاده، كما تقدّم - فيعلم منه أنّه ألفه قبل زمان حبسه.

(ب) ما ذكره الشهيد الثاني في مقدّمة شرح اللمعة دليل على أنّ تأليفه تمّ قبل استشهاده بأربع سنين تقريباً، وذيل كلام الشهيد الثاني دليل صريح على أنّ التأليف لم يتمّ في الحبس. (ج) صرّح الشهيد الثاني بأنّ اللمعة قُرئ بعد التأليف على مؤلّفه، حيث قال:

وفي بعض نسخ الأصل: وقال الشيخ والقاضي: «يحلّف البائع كالاختلاف في الثمن»^٤ وضرب عليه في بعض النسخ المقرّوة على المصنّف رحمته الله.

واعلم أنّه قال بعض المعاصرين:

... قال الشهيد الثاني في الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة: «وما جاء في أمل الآمل من أنّه صنّف اللمعة في الحبس غير صحيح؛ لما سمعت من أنّها صنّفها

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢ - ١٨٣. وأمثال هذه الاشتباهات كثيرة في أمل الآمل للشّرخ الحرّ (طاب ثراه)، كما ذكرتُ بعضها في مقدّمتي لمنية المرید، فراجع.
٢. ومنهم الطهراني في الذريعة، ج ١٣، ص ٢٩٢.
٣. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.
٤. الروضة البهيّة، ج ٣، ص ٥٤١.

بالتماس الآوي، وكان تصنيفها لسلطان خراسان سنة ٧٨٢. قبل قتل الشهيد بأربع سنوات^١.

والسهو فيه أوضح من الشمس؛ فإنّ الشهيد الثاني استشهد عام ٩٦٥، والشيخ الحرّ العاملي مؤلف أمل الآمل وُلِدَ عام ١٠٣٣، فكيف يقول الشهيد الثاني: «ما جاء في أمل الآمل ... غير صحيح»؟

٢٣. المزار

وقد يسمّى منتخب الزيارات، ولعله مأخوذ من قول الشهيد في مقدّمته: ... وبعد، فهذا المنتخب موضوع لبيان ما ينبغي أن يُعمل في المشاهد المقدّسة والأمكنة المشرفّة من الأفعال المرغّبة والأقوال المروية^٢.
وأخره:

هذا آخر ما أردنا ذكره في هذه المجموعة. والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين.

وهو موجود بحمد الله تعالى، ولا يُعلم تاريخ تأليفه، وتولّت طبعه مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام في قم في عام ١٤١٠ لأوّل مرّة. ثمّ أعدّه للطبع الفاضل محمود البدري ونشرته مؤسسة المعارف الإسلاميّة في قم، عام ١٤١٦. ثمّ نشر ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٩، عام ١٤٣٠.

وهو يشتمل على بايين: الباب الأوّل في الزيارات، وهو مرّتّب على ثمانية فصول وخاتمة؛ والباب الثاني يشتمل على سبعة فصول وخاتمة.
وإليك تفصيلها:

الباب الأوّل في الزيارات

الفصل الأوّل في زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله من بُعدٍ أو قرب.

الفصل الثاني في زيارة الأئمة الأربعة عليهم السلام بالبقيع.

١. اللعة دمشقيّة، ص ١١-١٢، مقدّمة التحقيق.

٢. المزار، ص ٩.

الفصل الثالث في زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

الفصل الرابع في زيارة أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

الفصل الخامس في زيارة أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

الفصل السادس في زيارة مولانا أبي جعفر محمد بن عليّ الجواد عليه السلام.

الفصل السابع في زيارة ثامن الأئمة الأطهار أبي الحسن الرضا عليّ بن موسى عليه السلام.

الفصل الثامن في زيارة الإمامين الهمامين السيدين أبي الحسن عليّ بن محمد الهادي و

أبي محمد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام بسرّ من رأى.

تتمّة في زيارة سيّدنا و مولانا حجة الله الخلف الصالح أبي القاسم محمد المهديّ

صاحب الزمان (صلوات الله عليه وعلى آبائه) بسرّ من رأى، وزيارة أمّ الحجّة القائم عليه السلام.

الخاتمة :

الفصل الأوّل في زيارة مختصرة جامعة يزار بها في جميع المشاهد المشرّفة (على

ساكنها السلام).

الفصل الثاني في زيارة سلمان الفارسي رضي الله عنه.

الفصل الثالث في زيارة قبور الشيعة.

الفصل الرابع فيما يقول الزائر عن غيره بالأجرة و ما يقوله تطوّعاً.

الباب الثاني

الفصل الأوّل في العمل عند ورود الكوفة.

الفصل الثاني في ذكر العمل بالمسجد الجامع بالكوفة.

الفصل الثالث في فضل مسجد السهلة و الصلاة به و الدعاء فيه.

الفصل الرابع في فضل مسجد صعصعة و الصلاة به و الدعاء فيه.

الفصل الخامس في فضل مسجد غني و الصلاة به و الدعاء فيه.

الفصل السادس في فضل مسجد الجعفي و الصلاة به و الدعاء فيه.

الفصل السابع في فضل مسجد بني كاهل، و يُعرّف بمسجد أمير المؤمنين عليه السلام و الصلاة به

و الدعاء فيه.

الخاتمة :

الفصل الأوّل في زيارة مسلم بن عقيل رضي الله عنه.

الفصل الثاني في زيارة هانئ بن عروة عليه السلام.

الفصل الثالث في زيارة المختار عليه السلام.

واعلم أنّ الكنتوري (طاب ثراه) قال عند التعريف بكتاب المزار للشيخ المفيد عليه السلام:

المزار، للشيخ المفيد ... ذكر فيه زيارات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام. أوله: «يا من جعلَ

الحضور في مشاهد أصفياه ذريعةً إلى الفوز بدرجات أحبائه ...»^١.

وتبعه الشيخ آقا بزرگ الطهراني (طاب ثراه) فقال:

مزار المفيد ... فيه زيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام. أوله: «يا من جعل الحضور في مشاهد...».

كذا في كشف الحجب ... أقول: وبعد الخطبة المذكورة يقول: «فهذا المنتخب موضوع

لبيان ما ينبغي أن يعمل في المشاهد والأمكنة المشرفة ...» وهو مشتمل على بابين ...^٢.

أقول: ما ذكره الكنتوري و الطهراني ينطبق على مزار الشهيد لا المفيد بلاريب.

وقال الطهراني أيضاً:

-مراد المرید لمزار الشهيد، ترجمة له، تزجّمه الشيخ علي بن حسين الكربلائي للشاه

سلطان حسين الصفوي ... فرغ من كتابتها في إصفهان في الخميس سلسخ ذي القعدة

١١٠٨، وخطبته: «الحمد لله الذي جعلَ زيارة أوليائه من أقرب القربات» ...^٣.

-مزار الشهيد، للشيخ شمس الدين ... الشهيد ٧٨٦. أوله: «الحمد لله الذي جعلَ زيارة

أوليائه من أقرب» وقد ترجمه الشيخ علي الكربلائي ... وسمّاه مراد المرید لمزار

الشهيد، كما مرّ. ونسخة عتيقة من مزار الشهيد عند السيّد آقا التستري في النجف ...^٤.

أقول: ليس أوّل مزار الشهيد: «الحمد لله الذي جعلَ زيارة أوليائه ...» وإنما هي خطبة

ترجمة مزار الشهيد^٥. وأما أوّل مزار الشهيد فهو: «اللهم يا من جعلَ الحضور في مشاهد

أصفياه ذريعةً إلى الفوز بدرجات أحبائه ...».

١. كشف الحجب والأسرار، ص ٥٠٢.

٢. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٢٥.

٣. الذريعة، ج ٢٠، ص ٢٩٦.

٤. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٢٢. أقول: وتوجد نسخة عتيقة من ترجمة الكربلائي بخط الكاتب المشهور أحمد

النيريزي كتبها سنة ١١٠٨ في مكتبة الروضة الرضوية، برقم ٣٣٢٦.

٥. انظر المزار، ص ٥، مقدّمة الناشر.

ووقفنا على حوالي ثلاثين مخطوطة له. واعلم أنه توجد ثمان مخطوطات لمزار الشهيد في مكتبة آية الله المرعشي (طاب ثوابه)، بالأرقام ٤٩٠، ٩٥٠، ٣٣١٤، ٣٣٤٢، ٤٦٤٢، ٤٦٧٥، ٤٩٣٨، ٧٨١١. وقد زعمها مُفهرس المكتبة مزار المفيد، ونسبها جميعاً - تبعاً للطهراني - إلى الشيخ المفيد في فهرس المكتبة.^١

وتوجد مخطوطة منتخب مراد المرید لمزار الشهيد - أعني منتخب ترجمة مزار الشهيد - في مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام برقم ١٤٦١٢، ورد في فهرسها (ج ٣٧، ص ٢٩ - ٣٠).

● مسائل ابن مكّي ← المسائل الفقهية

● المسائل الأربعينية ← الأربعينية في المسائل الكلامية

٢٤ . المسائل الفقهية

قال صاحب الرياض عليه السلام في ترجمة الشيخ أبي القاسم علي بن علي بن جمال الدين محمد بن طيّ (المتوفى عام ٨٥٥) ^٢:

من مؤلفاته عليه السلام كتاب المسائل الفقهية على ترتيب كتب الفقه، ويعرف بمسائل ابن طيّ، وقد رأيتُ نسخةً منه، توجد أيضاً نسخة عتيقة الآن منه بإصبعان عند أمير صالح شيخ الإسلام. وتاريخ تأليف هذا الكتاب سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وقد جمع فيه مسائل وفوائد من نفسه، ومسائل وفتاوى من جماعة من العلماء، منهم السيد عميد الدين والشيخ فخر الدين ولد العلامة، ومن كتاب المسائل للشهيد المعروف بمسائل ابن مكّي، ومن كتاب المسائل للشيخ الأديب ابن نجم الدين الأطراوي العاملي إلى غير ذلك من المؤلفين والمؤلفات والفتاوى ^٣.

١. انظر تفصيل ذلك فيما كتبه في فهرست آثار خطي شيخ مفيد، ص ١٥١ - ١٥٢.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢١٤، رياض العلماء، ج ٤ ص ١٥٩؛ وانظر إجازته للشيخ محمد بن علي الجبعي - في رابع شهر رمضان سنة ٨٥١ - في بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢١٣ - ٢١٤. ومن مؤلفات ابن طيّ كتاب الدر المنضود في معرفة صيغ النيات والإيقاعات والعقود، فرغ منه عام ٨٥٤، ومخطوطة منه توجد في مكتبة العلامة الطباطبائي في كلية الطب في جامعة شيراز كما في مقالة «من تراثنا الخالد في شيراز» المطبوعة في ميرات إسلامي إيران، ج ١، ص ٤٣٠، ونشر بإعداد الشيخ محمد بركت في شيراز عام ١٤١٨.

٣. رياض العلماء، ج ٤، ص ١٦٠.

وقال العلامة السيّد حسن الصدر^١:

- وقد جمع الشيخ أبو القاسم بن طيّ في كتاب المسائل فتاوى السيّد حسن بن نجم وفتاوى الشهيد على ترتيب أبواب الفقه، وسمّاه المسائل المفيدة بالألفاظ الحميدة لذوي الأبواب والبصائر السديدة، وعندني منه نسخة فرغ ناسخها منه سنة ٨٥٣ وهو المعروف عند الفقهاء بمسائل ابن طيّ^٢

- عندي كتاب المسائل، وأظنّه نسخة الأصيل، قال في أوّله: «أمّا بعد، فإنّي أستمّد من أهل المعونة وتيسير المؤونة على جمع مسائل كتاب المسائل، كلّ مسألة في كتابها المختصّ به، وأضيف إليها من غيرها مسائل أخسر هسي مسائل الشيوخ الإمامين المرحومين: ابن مكّي وابن نجم الدين».

أقول: يريد بكتاب المسائل ما جمعه عليّ بن مظاهر من مسائل أستاذه فخر الدين ويعرف بالمسائل المظاهرية، وعندني منه نسخة قديمة...^٣

وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني (طاب ثراه) في وصف مسائل ابن طيّ:

مسائل ابن طيّ، للشيخ أبي القاسم عليّ بن عليّ... صَفَّهَا سنة ٨٢٤، جمع فيها مسائل وفوائد من نفسه، ومسائل أخرى من فتاوى جماعة من العلماء... ومن مسائل الشهيد المعروف بمسائل ابن مكّي... رأيتها في خزنة سيّدنا الحسن صدر الدين من عصر المؤلف، تاريخها ثلاث وخمسين وثمانمائة... أوّله:

«الحمد لله المتفرد بالقدم والدوام... فإنّي مستمّد من الله المعونة على جمع كتاب المسائل كلّ مسألة في كتابها المختصّ به وأضيف إليها من غيرها مسائل آخر من مسائل الشيوخ الإمامين المرحومين ابن مكّي وابن نجم الدين... مرتبة على كتب و مقاصد، ونبدأ بالأهمّ فالأهمّ. كتاب الطهارة، وفيه مسائل. مسألة: لو مَسَّ السِّنُّ أَوْ الظفر المتّصل بالميت لا غسل عليه».

... وصرّح بأكثر خصوصيات هذه المسائل في الرياض...^٣

١. تكملة أمل الآمل، ص ١٣٦-١٣٧. وقد نقلت النسخة التي كانت عند السيّد الصدر إلى مكتبة آية الله المرعشي^٤؛ انظر ميراث شهاب، عدد ٤٣-٤٤، ص ١٧٨، رقم ٢٨٠. ومصوّرتها موجودة عندي في مؤسسة تراث الشيعة.

٢. تكملة أمل الآمل، ص ٣٠٩-٣١٠.

٣. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣١-٣٣٢.

وقال أيضاً في وصف مسائل ابن مكي:

مسائل ابن مكي، مسائل مرتبة على ترتيب أبواب الفقه، للشهيد السعيد الشهيد ...
وَرَّعَهَا ابن طي في مسائله المذكورة ...^١

أقول: وطبعت مسائل ابن طي متفرقاً ضمن سلسلة الينابيع الفقهية (٢) بإعداد الشيخ علي أصغر مرواريد، في بيروت، عام ١٤١٣/١٩٩٣م. وذكرت مخطوطاتها في بعض الفهارس، والآن هي قيد التحقيق، يحققها الفاضل المكرّم الشيخ محمد بركت (حفظه الله ورعاه).^٢
وقد تبين من كلامهما أن للشهيد كتاباً فقهياً معروفاً بمسائل ابن مكي، وقد سمّيناه بالمسائل الفقهية، ولكنني لم أعثر على مخطوطة له في المكتبات وفهارس المخطوطات؛ نعم قال الطهراني:

نسخة منها بخط الشيخ رضي الدين أبي طالب محمد ابن الشيخ الشهيد محمد ابن مكي، كتابتها سنة شهادة والده ٧٨٦ في الخزانة الرضوية، كما في فهرسها. أولها: «أي اجعلها من أهل بيت طاهر» وأخرها: «... وهذا ما وجدت من المسائل، والحمد لله وحده، ضحوة نهار الثلاثاء أول يوم من ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وثمانمائة، وكتب محمد بن محمد بن مكي حامداً مستغفراً». والتاريخ المسطور في الفهرس غلط قطعاً.^٣

أقول: النسخة التي أشار إليها الطهراني موجودة في مكتبة الروضة الرضوية المقدسة في مشهد، برقم ٢٣٤١ في ٤٥ ورقة؛ ونسبت الرسالة في فهرس المكتبة (ج ٢، ص ٣٩) إلى ولد الشهيد محمد بن محمد بن مكي، وجاء فيها أنه ألفها سنة ٧٨٦. ولكن بعد مراجعة المكتبة وزيارة النسخة تبين:

أولاً: أن النسخة ليست هي مسائل ابن مكي - التي أوردناها نحن بعنوان المسائل الفقهية - بل هي نسخة من مسائل ابن طي.^٤

١. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣٣.

٢. انظر مقدّمه اي بر فقه شيعه، ص ١٦٢.

٣. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣٣؛ وانظر وصف هذه المخطوطة وبعض مطالبها في أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٤١٠-٤١١.

٤. وتوجد نسخة أخرى منها في مكتبة الروضة الرضوية، برقم ٢٦٥٠، ذكرت في فهرسها، ج ٢٠، ص ٤٣٩.

وثانياً: جاء في آخرها:

وهذا آخر ما وجدت من المسائل، والحمد لله وحده، وذلك ضحوة نهار الثلاثاء أول يوم من ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وثمانمائة. وكتب محمد بن محمد بن مكّي حامداً مستغفراً مصلياً على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

هذا من المستبعد بمكان ولا يمكن الالتزام بصحته^١؛ لأن من المسلّمات أن شهادة الشهيد كانت عام ٧٨٦، وأجاز ابن مَعِيّة لولد الشهيد محمد عام ٧٧٦ بتصريح الشهيد نفسه^٢ - وشاهد إجازته صاحب المعالم بخطّ المجيز^٣ - وتوفي ابن مَعِيّة ثامن ربيع الآخر عام ٧٧٦، كما ذكره الشهيد؛ وإذا فرضنا أن ولد الشهيد محمد كان طفلاً صغيراً في أقلّ تقدير حين أجازته ابن مَعِيّة فإنه يلزم له من العمر عام ٨٧٨ - أعني عام نسخ المخطوطة - أكثر من مائة عام، وهو افتراض بعيد، ولو تحقق لذكره مترجمو نجل الشهيد رحمته الله.

ثمّ اعلم أن بعض الفضلاء استخرج ما نقل في مسائل ابن طي عن الشهيد وما نقل عن الشهيد في كتاب بخطّ الشهيد الثاني رحمته الله المحفوظة في مكتبة الشيد عبد العظيم الحسيني برقم ٧٠١، ومصوّرته موجودة عندي في مؤسسة تراث الشيعة. ونُشر لأول مرة في موسوعة الشهيد الأول، ج ١٨.

● المسائل المقدادية ← أجوبة مسائل الفاضل المقداد

● المقداديات ← أجوبة مسائل الفاضل المقداد

٢٥. المقالة التكليفية

رسالة في العقائد والكلام، سماها الشهيد بهذا الاسم في مقدّماتها، حيث قال:

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبثاً، ولم يدعهم هملأً، بل كلّفهم بالمشاقّ علماً وعملاً،

١. كتب الفقيه المحقّق الحجّة آية الله السيّد موسى الشبيري الزنجاني (دامت بركاته) تصحيحاً وتعليقاً على هذا الموضوع من الطبعة الأولى لهذا الكتاب: «لا يبعد كون الكاتب هو والد الشيخ عزّ الدين حسين المجاز من المحقّق الكركي في ١٦ شهر رمضان المعظم سنة ٩٠٣، وقد عبّر في الإجازة عنه هكذا: «سيدنا العلامة عزّ الملة والدين حسين ابن المرحوم الشيخ الجليل شمس الدين محمد الحرّ لقباً ابن المرحوم الشيخ الجليل شمس الدين محمد بن مكّي والمجاز هو جدّ شيخنا الحرّ مؤلف الوسائل رحمته الله».

٢. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة، ج ٢٠، ص ٣١٢، ط. الجديدة.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٥٠، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.

لينزجروا عن قبائح الأعمال، وينبعثوا على محاسن الخلال ... وبعد، فهذه المقالة التكميلية، مرتبة على خمسة فصول سنّية:

الفصل الأول في ماهيته و توابعها؛

الفصل الثاني في متعلّقه؛

الفصل الثالث في غايته؛

الفصل الرابع في الترغيب؛

الفصل الخامس في الترهيب ...

فالفصل الأوّل يُبحث فيه عن الثلاثة الأوّل، وهي: ما التكليف، والبحث فيه عن مفهومه بحسب الاصطلاح، وهل يجب في حكمته تعالى أم لا؟ ومن المكلف والمكلف؟ والفصل الثاني يُبحث فيه عن مدلول كيف التكليف، أي على أيّ صفة يكون. والفصل الثالث يُبحث فيه عن مدلول لم يجب التكليف مثلاً، وهو السؤال عن غايته. والفصل الأخيران من مكملات هذا الفصل^١.

وفي آخرها:

تعت الرسالة، والحمد لله ربّ الأرباب... وذلك هزيع ليلة السبت لإحدى عشرة ليلةً خلّت في جمادى الأولى سنة سبع وستين وسبع مائة. هذا آخر كلام المصنّف (رحمه الله تعالى)^٢.

وذكرها الشهيد في إجازته لابن نجدة في عاشر شهر رمضان عام ٧٧٠، وعبر عنها بدراسة التكليف^٣، وذكرها أيضاً في إجازته لابن الخازن في ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤، فقال: «... ومن ذلك رسالة في التكليف وفروعه»^٤. فيعلم من ذكرها في إجازته لابن نجدة أيضاً أنّه ألّفها قبل عاشر شهر رمضان عام ٧٧٠؛ ومن جهة أخرى ذكرها الشهيد في رسالته المنسك الكبير، حيث قال:

... السابع: «لوجوب الجميع». وبه يمتاز عن الندب، ووجه الوجوب هو للطف في التكليف العقلي أو شكر النعمة، على اختلاف الرأيين، كما بيّناه في رسالة التكليف^٥.

١. مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي (طاب ثراه)، المرقمة ١١٧٦/٢.

٢. رسائل الشهيد الأول، ص ٢٥، ١٢٩؛ فهرست كتب خطّي كتابخانه آستان قدس رضوي، ج ٦، ص ٤٠٣. وهذا التاريخ أعني ٧٦٧ صُحّف في الذريعة، ج ٤، ص ٤٠٨ بـ «٧٦٩»، وهو تصحيف بلا ريب.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

٥. رسائل الشهيد الأول، ص ٢٢٧.

ونعلم أيضاً أن الشهيد فرغ من تأليف المنسك الكبير في شهر شوّال عام ٧٦٥ - كما سيأتي - فلعلّه أضاف في المنسك الكبير بعد تأليفه قوله: «كما بيّنّاه في رسالة التكليف». وقد طبعت هذه الرسالة لأوّل مرّة مع شرحها: الرسالة اليونسية، ضمن أربع رسائل كلامية (ص ٣٤ - ٨٦) في قم المقدّسة عام ١٤٢٢، ثمّ نشرت ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ٧٩ - ١٢٩) عام ١٤٢٣، ثمّ ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨، عام ١٤٣٠.

ووقفنا على سبع مخطوطات لها، منها:

(أ) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي (طاب ثراه)، المرقّمة ١١٧٦/٢، نسخت عام ١٠٣٦.
 (ب) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة في مشهد، المرقّمة ٨٢٨٩، نسخت عام ٩٨٦.^١
 (ج) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٤٣٨ من كتب السيّد الطباطبائي (ذكرت في فهرسها، ج ٢٤، ص ٢٨٩).
 وتولّى شرح هذه الرسالة الشيخ عليّ بن يونس البياضي (م ٨٧٧). وشرّحه هذا موجود مطبوع بحمد الله، وذكره الطهراني عدّة مرّات فقال:

- ١٤٠٤: الرسالة اليونسية في شرح المقالة التكليفية، التي هي للشهيد الأوّل، للشيخ زين الدين عليّ بن يونس ... صاحب الصراط المستقيم ...^٢

- شرح التكليفية الشهيدة، للشيخ عليّ بن يونس البياضي، اسمه اليونسية، ...^٣

- ٢٧٩: اليونسية، شرح للرسالة التكليفية ... للشهيد الأوّل. والشارح زين الدين ...

النباطي البياضي العاملي ... ونسخة من شرح التكليفية موجودة عند السيّد رضا بن

محمّد الزنجاني ... وآخرها: «... فأنيّ ألّفْتُها ... ضحوة الجمعة لعشر خلت من ربيع

الآخر سنة أربع وأربعين تزيد على ثمان مئتين ...» ونسخة أخرى عند السيّد محمّد

عليّ الروضاتي بإصفهان، معها الكلمات النافعات ...^٤

أقول: و مصوّرة مخطوطة العلامة الروضاتي (دام علاه) موجودة في المكتبة المركزية

لجامعة طهران، برقم ١٠٨٩ (ذكرت في فهرس مصوّراتها، ج ١، ص ٥٦٣).

● منتخب الزيارات ← المزار

١. ذكرت في فهرسها، ج ٦، ص ٤٠٢ - ٤٠٣.

٢. الذريعة، ج ١١، ص ٢٣٠.

٣. الذريعة، ج ١٣، ص ١٥١.

٤. الذريعة، ج ٢٥، ص ٣٠٨.

٢٦. المنسك الصغير (= خلاصة الاعتبار في الحج والاعتمار)

هي رسالة حسنة مختصرة في مناسك الحج، ذكرها الشهيد في إجازته لابن نجدة عام ٧٧٠. بقوله: «فمما سمعه عليّ من مصنّفتي كتاب ... خلاصة الاعتبار في الحج والاعتمار»^١ وأشار إليها الشهيد في غاية المراد، حيث قال:

وقد كنت ذكرتُ في رسالتي: أن الإحرام هو توطين النفس على ترك المنهيات المعهودة إلى أن يأتي بالمناسك^٢.

وهذا الكلام يدلّ على أنّ الشهيد ألفها قبل الفراغ من تأليف غاية المراد أعني قبل منتصف ذي القعدة عام ٧٥٧.

وأورد العلامة السيّد الأمين هذه الرسالة في كتابه معادن الجواهر^٣، وطبعت ضمنه محفوفة بالأخطاء والتصحيقات، وقد سقط بعضها من أولها وآخرها. وقال السيّد الأمين قبل إيرادها:

عثرنا في بعض مكتبات جبل عامل على مخطوط قديم فيه رسالة في الحج والعمرة من مؤلفات الشهيد الأول (قدّس الله سرّه)، فأحببنا إنباتها هنا^٤.

والظاهر أنّ هذه المخطوطة المذكورة في معادن الجواهر هي التي أشار إليها الطهراني بقوله: خلاصة الاعتبار ... توجد نسخة منه في مكتبة السيّد محسن الأمين بدمشق بعنوان مناسك الحج؛ ونسخة أخرى بطهران في مكتبة المحيط^٥.

هذا، وتوجد مخطوطات أخرى من هذه الرسالة، منها:

(أ) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقّمة ٣٣٠٧/٤.

(ب) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ١٧/٦^٦.

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥.

٢. غاية المراد، ج ١، ص ٣٨٩؛ وموسوعة الشهيد الأول، ج ١، ص ٢٨١.

٣. معادن الجواهر، ج ١، ص ٢٩٦-٣٠٣.

٤. معادن الجواهر، ج ١، ص ٢٩٦.

٥. الذريعة، ج ٧، ص ٢١٤.

٦. ذكرت في فهرسها، ج ١٠، ص ٢٥٠.

و هناك مخطوطة لا نعلم أهي مخطوطة المنسك الصغير أم المنسك الكبير؛ لعدم ذكر مشخصاتها و هي مخطوطة مكتبة المحيط الخاصة، كما ذكرها الطهراني رحمته الله^١.
 طبعت خلاصة الاعتبار -مضافةً إلى طبعتها ضمن معادن الجواهر- في مجلة ميقات الحج (العربي) العدد ٦، عام ١٤١٧. ثم حَقَّقَت و طبعت ضمن رسائل الشهيد الأول (ص ٢٣٩-٢٤٨) عام ١٤٢٣. ثم نشرت عام ١٤٣٠ في موسوعة الشهيد الأول، ج ١٨.

٢٧. المنسك الكبير

و هي أيضاً رسالة مختصرة حسنة في مناسك الحج، أكبر من أختها. و لعلّ الذي ذكره الشهيد في إجازته لابن الخازن عام ٧٨٤ بقوله: «ومن ذلك رسالة تشتمل على مناسك الحج مختصرة جامعة»^٢ هو المنسك الكبير.

طبعت هذه الرسالة لأول مرة في مجلة ميقات الحج (العربي)، العدد الرابع، عام ١٤١٦، ثم حَقَّقَت و نُشِرَتْ ضمن رسائل الشهيد الأول (ص ٢٢١-٢٣٧) عام ١٤٢٣. ثم نشرت عام ١٤٣٠ ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٨.

أشار الشهيد الثاني رحمته الله إلى هذه الرسالة بقوله: «و في رسالة الحج اعتبر كونه [أي الرمي] مع ذلك باليد»^٣، وكذلك المحقق الكركي رحمته الله حيث قال: «جعل في رسالة الحج مبنى القولين على مسألة كلامية اختلف فيها، و هي أنّ الممكن الباقي هل هو محتاج إلى المؤثر أو مستغن عنه»^٤.

تبتدئ بقول الشهيد:

الله أحمدُ على جميع فرائضه و سنّته، و إياه أشكر على حسن توفيقه و منّته و أسأله المزيد من فضله في سرّه و علّنه ... و بعد، فهذه الرسالة في فرض الحجّ و العمرة، مجردة عن دليل و هي مَبْنِيَّةٌ على مقدّمة و مقالتين و تكميل ...

١. الذريعة، ج ٧، ص ٢١٤.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٨.

٣. الروضة البهيّة، ج ٢، ص ٢٨٣.

٤. جامع المقاصد، ج ١، ص ٢٠٠.

وتنتهي بقوله ﷺ :

... في كتب الأصحاب والأحاديث وهي كثيرة.

وهذا آخر الرسالة، والحمد لله على كلِّ حالة، والصلاة على المبعوث إلى خير أمة وآله

خير أئمة. كتب بالحلّة في شهر شوال سنة خمس وستين وسبعمئة.

وهذا كما ترى أُلّف في سنة ٧٦٥ أي بعد فراغه من تأليف غاية المراد في سنة ٧٥٧، فما

أشار إليه في غاية المراد (ج ١، ص ٣٨٩) هو المنسك الصغير المسمّى بخلاصة الاعتبار

في الحجّ والاعتماد. ومن هنا يظهر أنه أُلّف أولاً المنسك الصغير ثم غاية المراد عام ٧٥٧

ثم المنسك الكبير عام ٧٦٥.

وأشار الشهيد في هذه الرسالة إلى المقالة التكليفية حيث قال: «كما بيّناه في رسالة

التكليف». ولعلّ هذا مشعرٌ بأنّه أُلّف المقالة التكليفية قبل عام ٧٦٥، ولكنّه جاء في

مخطوطةٍ منها المحفوظة في مكتبة الروضة الرضويّة (برقم ٨٢٨٩):

تمّت الرسالة ... وذلك هزيع ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى

سنة سبع وستين وسبعمئة، هذا آخر كلام المصنّف (رحمه الله تعالى).

ومن نسخه:

أ) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، المرقّمة ٢١٤٧/١٤ (ذكرت في فهرسها، ج ٥،

ص ٤٣٦) باسم المنسك الكبير نسّخها يحيى بن حسين بن حسن سلماًبادي عام ٩٠٨،

وجاء في آخرها تاريخ تأليفها وأنها كتبت بالحلّة شهر شوال سنة ٧٦٥.

ب) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي ﷺ، المرقّمة ٣٣٠٧/٣. وجاء في آخرها تاريخ

تأليفها، وكتبت المجموعة في عام ٩٤٢ - ٩٤٧.

ج) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي ﷺ، المرقّمة ١٣٧٣٢/١٦ (ذكرت في فهرسها،

ج ٣٤، ص ٧٠٣).

د) مخطوطة المكتبة المركزية لجامعة طهران، المرقّمة ٥٣٩٦/١٢ (ذكرت في فهرسها،

ج ١٥، ص ٤٢٣٩).

ه) مخطوطة مكتبة فخرالدين النصيري الخاصة، جاء في آخرها:

تمّ منسك الشيخ الفاضل الكامل الأجلّ محمّد بن مكّي، وهو الشهيد الأول (تعمّده الله

بغفرانه وأسكنه أعلى جنانه) على يد العدد الضعيف المذنب الراجي رحمة ربّه الغنيّ
 محمّد بن فتح الله البسطامي (عُفي عنهما) يومَ الخميس تاسع شهر رمضان المبارك سنة
 ١٠٠٦ (ألف و ستّ) بدار السلطنة قزوين.

وتوفّرت لديّ مصوّرة لهذه المخطوطة.

● النلفية ← الرسالة النلفية

● نكت الإرشاد ← غاية المراد في شرح نكت الإرشاد

٢٨. الوصية (١)

قال العالم البارع السيّد محمّد بن الحسن الحسيني العاملي مؤلّف الاثنا عشرية في المواعظ
 العددية:

وصية للشهيد الكامل المحقّق العلامة شمس الدين محمّد بن مكّي رحمته الله لبعض
 إخوانه، منقولة من خطّ الشهيد الثاني الشيخ زين الدين (نور الله مرقدّه الشريف)^١.
 ثمّ نقل متنّها. ووردت في المجموعة المرقّمة ٢٩٢٨ المحفوظة في مكتبة مدرسة
 سبهاسالار في طهران، نقلاً عن خطّ الشهيد الثاني رحمته الله^٢، وفي المجموعة المرقّمة ١٠٠٢٩/٦
 المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي^٣. وكذلك العالم البارع المولى أحمد
 التراقي (طاب مثواه) نقلها بتمامها، وقال في أولها: «فائدة: ممّا وصّى به الشهيد رحمته الله بعض
 إخوانه»^٤. وأوردها الحبر السند الميرزا محمّد عليّ الرشتي (طاب ثراه) في إجازته للميرزا
 حسن المجتهد العلياري، حيث قال:

ثمّ إنّه (زيد شرفه) قد أمرني أن أنصحه... فأنصح الشهيد الأوّل محمّد بن
 مكّي رحمته الله لبعض إخوانه، نقلاً من خطّ الشهيد الثاني رحمته الله^٥.

ولم أقف على من نقلها ونسبها إلى الشهيد سوى هؤلاء الأعاظم. وأوردتها بتمامها في

١. الاثنا عشرية، ص ٢٨١.

٢. فهرس مكتبة مدرسة سبهاسالار، ج ٤، ص ٧٨ - ٧٩.

٣. ذكرت في فهرسها، ج ٣٢، ص ٣٧.

٤. الخزائن، ص ٤٤١.

٥. بهجة الآمال، ج ١، ص ١ - غ - أب، المقدّمة.

مقدمتي لغاية المراد لفوائدها الجمّة ولاختصارها، اعتماداً على هذه المصادر الثلاثة. ثمّ نُشرَتْ ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ٢٩٥-٢٩٦) عام ١٤٢٣. ثمّ نشرت عام ١٤٣٠ في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٩. وإليك نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

عليك بتقوى الله في السرّ والعلانية، واختيار الخير لكلّ مخلوقٍ ولو أساء إليك، واحتمالِ الأذى ممّن كان من خلق الله. ولو سُتِمْتَ وأُهِنْتَ فلا تقابلِ الشاتمَ بكلمةٍ واحدةٍ.

وإذا غضبتَ فإيّاك والكلام، ولكن تحوّل من مكانك و تشاغلْ بغيره يزل غضبُك وغيظُك.

وعليك بالفكر لآخرتك ودينك.

وإيّاك والخلو من التوكّل على الله في جميع أمورك، وكُن واثقاً به في مهمّاتك كلّها.

وعليك بالشكر لمن أنعمَ عليك.

وإيّاك والضحك؛ فإنّه مُميّثُ القلب.

وإيّاك وتأخير الصلاة عن أوّل أوقاتها ولو كان لك شغلٌ أيّ شغلٍ كان. ولا تترك القضاء لصلاة عليك ولو يوماً واحداً، فإذا فرغت من الصلاة فصلّ النوافل.

وعليك بالملازمة في طلب العلم منذ كان [كذا]، ولا تتلوه على كلّ أحدٍ، بل تستقبل من كلّ أحدٍ [؟].

وإيّاك ومنازعة مَنْ تقرأ عليه والردّ عليه، بل خُذ ما يُعطي بالقبول.

وإيّاك أن تترك النظر في الذي تقرأه ليلةً واحدةً.

واجعلْ لك ورداً من القرآن، وإنّ تمكّنت من حفظه فاحفظ، بل احفظه ما اشتطّعت.

واجتهد أن يكون كلّ يومٍ خيراً من ماضيه ولو بقليلٍ.

وإيتاك وأن تسمع نعمة أحدٍ من خلق الله؛ فإنها نعمة لا تُعدُّ ولا تحصى.
ولا تنقطع عن الزيارات.

وإيتاك وأن تُحدِثَ أحداً في غير العلم.

وإيتاك وكثرة الكلام، ونقل كلامٍ أحدٍ.

وإذا زُرْتَ أو دَعوتَ اذكرنا سرّاً، وادعُ لنا بخاتمة الخير وحسن التوفيق، وإن
تمكّنت عقيب كلِّ صلاةٍ فافعل.

وعليك بالمواطبة في كلِّ يومٍ بخمسة وعشرين مرّة: «اللهم اغفر للمؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات»؛ فإنَّ فيها ثواباً جزيلاً.

ولا تترك الاستغفارَ عقيبَ العصر سبعا وسبعين مرّة.

وأكثر من قراءة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

٢٩. الوصيّة (٢)

قال صاحب الرياض في جملة تأليفات الشهيد:

وله أيضاً رسالة مختصرة في الوصيّة بأربع وعشرين خصلة، رأيته بأردبيل وغيره^١.

أقول: لم أجد من نسب هذه الرسالة إلى الشهيد سوى صاحب الرياض؛ وهي رسالة

مختصرة جداً، وأول من نشرها هو المرحوم الدكتور حسين عليّ محفوظ في كراسٍ برأسه^٢

ثم طبعت في جريدة كيهان العربي، العدد ٤١٧ في الثامن من شهر جمادى الأولى عام

١٤٠٥، ثم نُشرَتْ ضمن رسائل الشهيد الأول (ص ٢٨٩ - ٢٩١) عام ١٤٢٣. ثم في عام

١٤٣٠ ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٩. ولا أعرف لها سوى مخطوطة واحدة وهي

مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، برقم ٩٤٦٦، الورقة ١٥٠، وهي

مجموعة نظام الدين أحمد بن تاج الدين عليّ الغفاري، والغفاري نقلها عن خطِّ ولد الشهيد،

وقال: «وجدتُ بخطِّ ولد الشهيد عليه السلام وهو يذكر أنّه وجده في بعض الأوراق من كتب والده

١. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

٢. جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٤٠.

(نَصَرَ الله وجهه)». وإليك نصّها اعتماداً على هذه المخطوطة وتلك المطبوعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه وصيّة العبد الضعيف، كاتب هذه الأحرف، محمد بن مكّي (تاب الله عليه توبة نصوحاً، وكان عن هفواته وزلاته صفوحاً) إلى إخوانه في الله، وأحبّائه لله، يبدأ بنفسه، ثمّ بهم، وهي مشتملة على أمور:

أولّها: تقوى الله تعالى فيما يأتون ويذرون، ومراقبته و مخافته، والحياء منه في الخلوات.

وثانيها: ذكره بالقلب على كلّ حال، وباللسان في معظم الأحوال.

وثالثها: التوكّل عليه، وتفويض الأمور إليه، والالتجاء عند كلّ مهمّ إليه.

ورابعها: التمسك بشرائع الدين، فلا يخرج عنها شعرة؛ لتلاّ تحصل الضلالة.

وخامسها: المباشرة على الفرائض من الأفعال والتروك، بحسب ما جاءت به

الشريعة المطهّرة.

وسادسها: الاستكثار من النوافل، بحسب الجهد والطاقة، والفراغ والصحة،

وخصوصاً الصلوات المندوبة؛ فإنّها خير موضوع، وما يقرب العبد إلى الله تعالى بعد

المعرفة بأفضل منها، و خصوصاً الليليّة منها.

وسابعها: كفّ اللسان عن الهذر والغيبة والنميمة واللغو وكفّ السمع عن اللغو،

وعن سماع كلّ ما لا فائدة فيه، دينيّة أو دنيويّة. وكفّ الأعضاء عن جميع ما يكرهه

الله تعالى.

وثامنها: الزهد في الدنيا بالمرّة، والاعتصار على البلغة منها، والقوت من حلّه،

ومهما أمكن الاستغناء عن الناس فليفعل؛ فإنّ الحاجة إليهم الذلّ الحاضر.

وتاسعها: دوام ذكر الموت، والاستعداد لنزوله. وليكن في كلّ يومٍ عشرين مرّة،

حتّى يصير نصب العين.

وعاشرها: محاسبة النفس عند الصباح والمساء على ما سلف منها، فإن كان

خيراً استكثر منه، وإن كان شراً رجع عنه.

وحادي عشرها: دوام الاستغفار بالقلب واللسان. وصورته: «اللهم اغفر لي، فإنّي أستغفرك وأتوب إليك». ومن وصيّة لقمان لابنه، أن يكثر من: «اللهم اغفر لي» فإنّ لله أوقاتاً لا يردّ فيها سائلاً.

وثاني عشرها: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مهما استطاع، على ما هو مرتّب شرعاً.

وثالث عشرها: مساعدة الإخوان، والتعرّض لحوائجهم، بحسب الحاجة والمُكنة. وخصوصاً الذرّيّة العلويّة، والسُلالة الفاطميّة.

ورابع عشرها: التعظيم لأمر الله تعالى، والتعظيم لعلماء الدين وأهل التقوى من المؤمنين.

وخامس عشرها: الرضى بالواقع، وأن لا يتمنّى ما لا يدري أخير هو، أو لا، ودوام الشكر على كلّ حالٍ.

وسادس عشرها: الصبر في المواطن؛ فإنّه رأس الإيمان.

وسابع عشرها: دوام الدعاء بتعجيل الفرج؛ فإنّه من مهمّات الدين.

وثامن عشرها: دوام دراسة العلم مطالعةً وقراءةً وتديراً وتعلّماً وتعلّماً ولا تأخذه فيه لومةٌ لائمٍ.

وتاسع عشرها: الإخلاص في الأعمال؛ فإنّه لا يقبل إلا ما كان خالصاً صافياً. والرياء في العبادة شرك (نعوذ بالله منه).

وعشرونها: صلة الأرحام، ولو بالسلام إن لم يمكن غيره.

وحادي عشرونها: زيارة الإخوان في الله تعالى، ومذاكرتهم في أمور الآخرة.

وثاني عشرونها: أن لا يكثرُوا في الرخص والأخذ بها والتوسعة. ولا يكثرُوا التشديد على أنفسهم في التكليف. بل يكون بين ذلك قواماً.

وثالث عشرونها: أن لا يدع وقتاً يمضي بغير فائدة دينيّة أو دنيويّة.

ورابع عشر ونها: معاشره الناس بما يعرفون والإعراض عما ينكرون، وحسن الخلق، وكظم الغيظ، والتواضع لهم، وسؤال الله تعالى أن يصلحهم ويصلح لهم. وملاك هذه الأمور كلها تقوى الله، ودوام مراقبته. والسلام عليهم جميعاً، والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله أجمعين.

٣٠. الوصية (٣)

نقل الجباعي في مجموعته وصية من خط الشهيد، وقال قبلها: «وصية حسنة للإخوان بخط الشيخ الشهيد شمس الدين بن مكّي، وهي له أو لغيره»^١. والظاهر أنها للشهيد، وطبعت هذه الوصية لأول مرة في مجلة پیام حوزة، العدد ٣، ثم نُشرَت ضمن رسائل الشهيد الأول (ص ٢٩٧ - ٣٠٠) عام ١٤٢٣، ثم ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٩. وكثرة فائدتها نوردتها هنا بنصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

وأوصيهم ببذل المجهود في الجمع بين القلب واللسان في التلاوة وسائر الأذكار في الركوع والسجود وسائر الهيئات. لا يفتن أحدهم أن يخضّر عند الله تعالى بقلبه دون قلبه. وعلى قدر ضبط الجوارح عن الفضول بين كل فريضة يجد قلبه في الصلاة.

وأوصيهم بذكر الله عز وجل باللسان والقلب؛ فأما القلب ففي كل مجلس ومحفل وكل طريق يسلكونه، وعند الأكل والوضوء خاصة؛ فإن الذكر على طعامة ووقت وضوئه يقلل طروق الشيطان على قلبه، وتقلّ وسوسته في صلاته.

وأوصي الإخوان بالدوام على الطهارة. ينبغي للعبد أن لا يحدث إلا ويجدد الوضوء؛ فإنه سلاح المؤمن.

ومهما قدر أن لا يقعد إلا مستقبل القبلة، وكل مجلس لا يكون فيه مستقبل القبلة

يَعْتَقِدُ أَنْ قَدْ فَاتَتْهُ فَضِيلَةٌ. وَيَتَصَوَّرُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاضِرٌ حَتَّى يَتَأَدَّبَ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ. وَلَا يَنَامُ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ مُسْتَقْبَلِ الْقِبْلَةِ.

وَمِنْ أَنْفَعِ الْوَصَايَا الْقِيَامُ بِاللَّيْلِ، فَإِنَّهُ ذَأْبُ الصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَدْعُ أَحَدَهُمْ أَنْ يَنْقُضِيَ لَيْلَهُ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِيهَا نَافِلَةٌ إِمَّا فِي أَوْلَاهَا أَوْ أَوْسَطِهَا أَوْ آخِرِهَا.

وَأَحَبُّ مِنْ إِخْوَانِي أَنْ لَا يَدْعُوا يَوْمًا بَلِيلِهِ لَا يَكُونُوا فِيهِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى مُتَأَسِّفِينَ عَلَى مَا بَدَّرَ مِنْهُمْ مِنْ أَمْرٍ، وَفَاتَهُمْ مِنْ عَوَالِي الدَّرَجَاتِ.

وَمِنَ الْعَوْنِ الْحَسَنِ عَلَى حَقَائِقِ الْعِبَادِيَّةِ ذِكْرُ الْمَوْتِ. وَقَدْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يُخْشَرُ مَعَ الشُّهَدَاءِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ يَذْكُرُ الْمَوْتَ بَيْنَ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَشْرِينَ مَرَّةً». فَذَكْرُ الْمَوْتِ يَقْصُرُ الْأَمَلَ وَيُحَسِّنُ الْعَمَلَ.

وَمِمَّا انْتَفَعْتُ بِهِ فِي زَمَانِي وَأَوْصِي بِهِ إِخْوَانِي الْبُكُورُ إِلَى الْجُمُعَةِ: يَجْتَهِدُ أَحَدُهُمْ أَنْ يُصَلِّيَ فَرِيضَةَ الصَّبْحِ فِي الْجَامِعِ وَيَشْغَلَ وَقْتَهُ بِالصَّلَاةِ وَالتَّلَاوَةِ وَأَنْوَاعِ الذِّكْرِ إِلَى أَنْ يُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ. فَيَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمُ الْآخِرَةِ لَا يَشْغَلُ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا. وَيَعْتَسِلُ لِلْجُمُعَةِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ. فَإِنْ أَمَكُنَهُ الْغَسْلُ مَعَ الْبُكُورِ إِلَى الْجُمُعَةِ قَرِيبَ الصَّلَاةِ، فَحَسَنٌ.

وَأَحَبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ أَنْ لَا يَدْعُوا يَوْمًا بِالصَّدَقَةِ، وَلَا يَدْعُوا أُسْبُوعًا كَامِلًا بِالصَّوْمِ، فَيَصُومُ أَحَدُهُمُ الْاِثْنَيْنِ وَالْاِثْمِنَةَ وَالْجُمُعَ، وَالْاِثْنَيْنِ مِنْهَا.

وَأَوْصِيَهُمْ أَنْ لَا يَذْكُرُوا أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ عَلَى مَا يَعْتَقِدُ فِيهِ مِنْ بَدْعَةٍ أَوْ شُبُهَةٍ، وَلَا يَفْتَحُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَابَ التَّأْوِيلِ لِلْوَقِيعَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ.

وَأَحَبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ تَرْكُ الْكَلَامِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا بَعْدَ صَلَاةِ الصَّبْحِ إِلَى أَنْ تَرْتَفَعَ الشَّمْسُ قَيْدَ رُوحٍ، ثُمَّ يَخْتَمِ الْمَجْلِسَ بِرَكْعَتَيْنِ.

هَذَا مَا حَضَرَنِي فِي الْوَقْتِ، وَكَتَبْتُهُ لِلْإِخْوَانِ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ (حَمَاهَا اللَّهُ، وَوَقَّفَهُمْ وَإِيَّايَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى بِحَوْلِهِ وَكِرْمِهِ)، وَالْحَمْدُ لَهُ وَحْدَهُ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

قال الأخ الفاضل الشيخ جعفر المهاجر في بحث له لَمَّا يُنْشَرُ بعدُ، في وصف هذه الوصايا ونقدها:

إنَّ قِراءَةَ تَقْدِيَةِ دَقِيقَةِ الوصايا الثلاث، تترك القارئ على شبه اليقين من أنَّها صدرت من ذهن واحد، هاهنا روح واحدة تنظمها جميعها. يمكن أن نقول: إنَّها روح الأب العارف، المُعلِّق القلب بقضية التسامي بنفوس من يُخاطبهم بوصاياهم، إلى الدرجة التي تكون فيها حوافزهم ومحرِّكاتهم السلوكية، فيما يفعلون ويتركون، مُنحصرة بما يُرضي الله تعالى، وحتَّت عليه الشريعة المُطهِّرة وآدابها، ورامية إلى كسب رضاه بالدرجة الأولى. وعن هذا الطريق إلى بناء مُجتمع مرصوص، تجمعه رابطة من الإخاء المتين العُرى، وعُبر ذلك إلى بناء نمط مُنتمٍ من التقدُّم.

مما يجدر بنا ملاحظته أنَّ كاتب هذه الوصايا مُطلع اطلّاعاً دقيقاً وشاملاً على مُختلف الآداب الشرعية، ليس فيها شيء مُرتجل على الإطلاق، إلى درجة أنَّ من الممكن لباحث مُتطلب أن يُرجع جميع عناصرها إلى أصولها في النصوص الشرعية الأصلية، من قرآن وحديث، كما أن ليس من العسير على الباحث نفسه أن يكتشف التقاطعات الكثيرة بين موادها، ممَّا يؤيِّد الملاحظة التي بدأنا بها.

وعلى كلِّ حال، فإنَّ القارئ الحصيف الذي استوعب نهج الشهيد، سيجدُ في موادَّ هذه الوصايا الرجل نفسه، سواءً من حيث الهمم، أم القلق، أم المنهج، أم الغاية. هذا فيما يرجع إلى الأمر الجامع بين الوصايا الثلاث. على أنَّ ذلك لا يُغنينا عن ملاحظة ما بينها من فروق، وهي، فيما نحسب، فروق في الشكل، وليست في الأساس، نظنُّ أنَّها نشأت من الظرف كُنبت فيه كلُّ واحدة منها. وخصوصاً أين كُتبت، ومَن هو المُخاطب فيها.

ما من ريب في أنَّ الوصية الثانية هي أكمل الثلاث وأكثرها أهمية. والقارئ الذي يُحسِن التقاطَ لحن الكلام، يُحسُّ من ختامها أنَّها رسالة وداع، وخصوصاً من قوله في ختامها: «والسلام عليهم جميعاً ورحمة الله وبركاته»، بما فيها من شحنة عاطفية جياشة، ممَّا يحمل على الظنِّ أنَّها كُتبت أثناء حبسه في دمشق. هذه كلمات لا يقولها إلا إنسان بعيد الدار. ومن المعلوم من خواتيم نصِّ مُختصر نسيم السحر أنه كان يُرسل أسرته وهو في حبسه، الأمر الذي يُفسِّر وصول نصِّ هذه الوصية إلى أسرته، على فرض صحَّة أنَّها

كُتِبَتْ أثناء حبسه، وبالتالي إلينا.

أما الوصية الثالثة فهي كالثانية مُوجَّهَةٌ توجيهاً عاماً. لكن هذه تصمَّنتُ نصّاً صريحاً على أنها كُتِبَتْ في دمشق، في الحُبس ولا ريب. فلماذا، على كلِّ حال، يُوجَّه رسالة مكتوبه إلى «الإخوان» لو كان في الوسع أن يُخاطبهم مُشافهة؟ هذه حذلقه، نعرف جيداً كم أن شخصيَّة الشهيد الجادة العمليَّة البعيدة عن الاستعراض الذاتي بعيدة عنها.

هذا مع الإشارة إلى أن نصَّ هذه الوصية تضمَّن مادةً غريبةً عن كلِّ ما وجَّه إليه العناية في كلِّ وصايا. هي في قوله: «وأوصيهم أن لا يذكروا أحداً من المسلمين إلا بخير، على ما يعتقد فيه من بدعة أو شبهة. ولا يفتنحوا على أنفسهم باب التأويل للوقعة بين المسلمين». هذا الكلام يطرح سؤالاً كبيراً، لسنا نملك الآن عليه جواباً، ومع ذلك فإنني لا أستطيع أن أكتم شعوراً بأنَّه موجَّه إلى السُلطة، على نحو «إياك أعني واسمعي يا جارة»، ودائماً كانت رسائل من هم قيد السجن تخضع لشكل أو غيره من أشكال المراقبة. الوصية الأولى هي الوحيدة الشخصيَّة. أي المُوجَّهَة إلى شخص بعينه بشهادة الخطاب بـ«عليك، إياك، لا تترك... إلخ». لا نعرف من كان. وكأنَّها كُتِبَتْ لمن قال: «أوصني» أو نحوه. ولكنني لا أشك في:

أولاً، أنَّه كان من تلاميذ الشهيد، بشهادة ما فيها من حتِّ له على «الملازمة في طلب العلم»، وكلمة «الملازمة» يفهم منها أنَّه كان قد بدأ ذلك بالفعل، وهذه الوصية تحثه على المتابعة والمثابرة، كما أنَّه كان ممَّن ياتمنهم على سيره، بشهادة ما سنقرؤه بعد قليل.

ثانياً، أنَّه كان يعيش في غير «جبل عامل» أو فلنقل في مكان لا يملك فيه الحريَّة التامة لنفسه، ويستوجب التزام الحذر والدقَّة فيما يفعل، ولعلَّه من أولئك الفقهاء الذين سبقت الإشارة إليهم وإلى انتشارهم بين الشيعة في المناطق الساحليَّة، حيث المخالفون والمتسننون فضلاً عن الدولة وسلطتها.

ذلك أنَّ هذه الوصية تنفرد بإشارات غريبة، لا تُفصح عن حقيقة مكنونها بسهولة ويُسرٍ. بل لا بدَّ لفهمها من الاستيعاب التامِّ أو شبه التامِّ لمُعطيات الظرف الذي اضطرب فيه الشهيد وتلاميذه. تلك الإشارات نقرأها في العبارة التالية:

«وإذا زُرت أو دَعوت اذكرنا سيراً. وادع لنا بخاتمة الخير وحُسن التوفيق. وإن تمكَّنت عقيب كلِّ صلاة».

هذه العبارة تُشير ضمناً إلى جانب آخر من صفات الظرف نفسه، يتصل بشخص الشهيد، حيث يُوصي بأن يذكره في دعواته سراً، وغني عن البيان، أن المفهوم من هذا الطلب أن ذكره جهراً، حيث هذا الموصى، عمل غير مأمون العواقب.

أما ما بقي من العبارة نفسها «وإدع لنا بخاتمة الخير وحُسن التوفيق، وإن تمكَّنت عقيب كلِّ صلاة»، فإنه يحمل إشارة غير خفية إلى ما يشغل بال الشهيد: ما تحمله له الأيام الآتية شخصياً «خاتمة الخير»، وللمستقبل مشروعه «حُسن التوفيق»، الأمر الذي يدلُّ على أنه كان يعي تماماً المخاطر المحيطة بالانئين، أي أنه سلك الطريق الصعب عن كامل استيعاب وإدراك وتصميم، ورغم معرفته بالأخطار التي تنتظره.



هذه كتب الشهيد ورسائله عليه السلام، وقد تُنقل عن الشهيد مطالبٌ عن غير هذه التأليفات؛ لكن أصحاب الرجال والتراجم لم يعدوها في زمرة تأليفاته، ومن الممكن أنها كانت فائدة أو نكتة في حاشية كتاب ولم تبلغ حدَّ الكتاب أو الرسالة، ومن هنا لم تُعدَّ من تأليفاته كسائر آثاره، ومن هذه المطالب:

(أ) حاشية الذكرى: الأصل و الحاشية كلاهما للشهيد. قال الطهراني في عداد حواشي ذكرى الشيعة:

- الحاشية عليها لمؤلف أصلها الشيخ السعيد محمد بن مكِّي ... نقل عنها الشيخ ناصر البويهي في حاشيته الآتية^١.

-... وحواشي المصنّف نفسه إلى صلاة المسافر، كما يظهر من حاشية البويهي^٢.

أقول: لم أقف حتّى الآن على نسخة من حاشية البويهي ولا حاشية الشهيد على الذكرى، ولم أقف على من نسبها للشهيد غير الطهراني (طاب ثراه).

(ب) حاشية الخلاصة: قال الجباعي في مجموعته:

سعيد بن المسيّب، قال في الخلاصة للشيخ جمال الدين بن مطهر: «عن محمد بن

١. الذريعة، ج ٦، ص ٨٧.

٢. الذريعة، ج ١٠، ص ٤٠.

قولوه عن سعد بن عبدالله ... وهذه الرواية فيها توقّف»^١.

وعلى هذا الكلام حاشية من خطّ ابن مكّي عليه السلام صورتها: «قال المفيد عليه السلام في الأركان: وأما ابن المسيّب فليس يدفع نضبه، وما اشتهر عنه من الرغبة عن الصلاة على زين العابدين عليه السلام، فقيل له: ألا تصلي على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالح؟ فقال: صلاة ركعتين أحب إليّ من الصلاة على الرجل الصالح من أهل البيت الصالح. وذكر عن مالك الفقيه أنه كان خارجياً إباضياً مخالفاً آل الرسول عليهم السلام. ذكر ذلك المفيد في حديث أمين [؟ كذا] عن أبي هريرة، وطعن فيه برغبته عن عليّ عليه السلام إلى معاوية. وأنّ عليّاً عليه السلام قال فيه: أكذب الأحياء على رسول الله الدوسي»^٢.

وقال أيضاً:

قال جمال الدين عليه السلام في خلاصة الأقوال في معرفة الرجال في الكني من الممدوحين: «أبوسعيد الخدري كان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام»^٣. ووجدت بخطّ الشيخ العالم الشهيد محمّد بن مكّي عليه السلام ما صورته:

«قال الكليني: عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن الحسين بن عثمان عن ذريح، قال: سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال عليّ بن الحسين (صلى الله عليه): إنّ أبا سعيد الخدري كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وكان مستقيماً فنزع ثلاثة أيام فغسله أهله ثم حمل إلى مصلاه فمات فيه. وبطريق آخر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ أبا سعيد الخدري كان قد رزقه الله هذا الرأي، وإنه اشتدّ نزع، فقال: احملوني إلى مصلاي. فجاؤوا به فلم يلبث أن هلك»^٤.

ونقل الشهيد الثاني عليه السلام في حاشية خلاصة الأقوال مطالب عن خطّ الشهيد أو نسخته، منها:
- في نسخة شيخنا الشهيد: «ثقة فقيه» وهو الصحيح^٥.

١. خلاصة الأقوال، ص ٧٩.

٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٦٣ ألف؛ وانظر جامع الرواة، ج ١، ص ٣٦٣؛ تنقيح المقال، ج ٢، ص ٣٦؛ معجم رجال الحديث، ج ٨، ص ١٣٨-١٣٩.

٣. خلاصة الأقوال، ص ١٨٩.

٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٧٩ ب. والروايتان مرويتان في الكافي، ج ٣، ص ١٢٥، ١٢٦، باب إذا عسر على الميت الموت واشتدّ عليه النزاع، ح ٤، ١.

٥. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٩١٧.

- بخط الشهيد عليه السلام: «بلال شهد بدرأ، وتوفي بدمشق في الطاعون سنة ثمانين عشرة، كنيته: أبو عبدالله، ودفن بباب الصغير»^١.

- في النسخة المقروءة ساقط أيضاً، وكذا في نسخة الشهيد عليه السلام^٢.

- وفي نسخة الشهيد عليه السلام: [عياس] بالسین المهملة، والحق ما هنا^٣.

- وجدت بخط الشهيد عليه السلام تخفيف لام التلعكبري في النسبة، قال: «عكبر رجل من الأكراد، نسب التل إليه. ورأيت ضبطه بخطه في الخلاصة بالتشديد»^٤.

- بخط الشهيد عليه السلام نقل من خط العلامة مصنف الكتاب:

وجدت بخط والدي عليه السلام ما صورته: «وُلِدَ الولد البار، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر ليلة الجمعة في الثلث الأخير من الليل رابع عشرين رمضان من سنة ثمان وأربعين وستمائة».

ومولد محمد كان قريباً من نصف الليل ليلة العشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وستمائة (أطال الله عمره ورزقه الله تعالى العمر المزيّد والعيش الرغيد).

توفي عليه السلام في العشرين من المحرم الحرام سنة ست وعشرين وسبعمائة.

قال الإمام فخرالدين ولد المصنف: «قرأت التهذيب في الحديث عليّ والدي الإمام مرتين: إحداهما بالمشهد المقدّس الغروي، والأخرى بطريق الحجاز، وحصل الفراغ منه وختمه في المسجد الحرام»^٥.

(ج) حاشية الألفية: قال الشهيد الثاني عليه السلام:

وهنا قول خامس - حكاه الشهيد عليه السلام في حاشية الألفية عن بعض الأصحاب ولم يسمّه - وهو أن ماء كل غسلة كمغسولها قبل الغسل وإن حكم بطهارة المحل ...^٦.

١. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٩١٩.

٢. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٩٥٣.

٣. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١٠٥٢.

٤. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١٠٦٨.

٥. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٩٤٤-٩٤٥، وانظر أيضاً ص ٩٣٥، ١٠٥٣.

٦. روض الجنان، ج ١، ص ٤٢٥.

وقال المحقق الكركي رحمته في شرح الألفية:

... ما كتبه المصنّف على هذا المحلّ في حواشيه ليس سليماً من الطعن، وما أخذناه هنا لا يخلو من تحقيق^١.

والظاهر أن الشهيد كتب في نسخه من الذكرى والخلاصة أو الألفية أو في مجموعته حواشي قليلة على الذكرى والخلاصة والألفية، ولم تكن بالمقدار الذي يمكن عدّها رسالة أو حاشية، فلم يذكر أصحاب التراجم في عداد تأليفاته حاشية الذكرى، وحاشية الخلاصة وحاشية الألفية. ونقل الكثير من أمثال هذه المطالب من خطّه في مجموعة الجباعي - ومن المستحسن جمع هذه الفوائد وتحقيقها ونشرها في مجلّد - وإليك نموذجاً منها:

قال الجباعي:

كتب الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي على ظاهر قواعد الشيخ جمال الدين ابن المطهر ما صورته: «كتاب مشحون بالفرائب المستطرفة على انغلاقٍ فيه، يُفجّمه وضمّة الاعتلال ويُطرق إليه هُجّة الاختلال، فإنّ المحصلين والمتحلّقين يزرون على تغميص الكلام، ويتحرّون عليه إيضاح المرام، والمصنّف قد كان أرفع أبناء عصره في العلوم عماداً، وأمّا الفقه فأحاط بغرائبه ونكته اعتماداً. وأعلى فيه متناً وإسناداً، وكان ينفجر له تغليق اللفظ وتعريض الكلام إمّا لمسارعة ذنك إلى جبلته أو بالأعلاق النفيسة [ظ] على من ليس في زمرته، أو لأنّه تلميذ العلامة فأعداه بدائه [ظ]. وذهب به في مذاهب الإيضاح عن سوائه. وقد تجسّم تلميذه تهذيب كتابه وتبيين إشاراتِهِ، إلّا أنّهما لم يستوفيا بيان تلك المزايَا، بل ولا وصلا إلى المثل السائر: «في الزوايا خبايا»؛ لأنّ معظمه باقٍ على انغلاقه ونابٍ عن الفهم بانطباقه^٢.

وأمثال هذه الفوائد من قلمه الشريف كثيرة. منها ما نقل عن خطّ الشهيد في المجموعة

المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي برقم ٨٩٥٦.



١. شرح الألفية، ضمن حياة المحقق الكركي، ج ٧، ص ٣١٥.

٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٩ ألف.

ثمّ اعلم أنّ بعض هذه المؤلفات يُعدّ كتاباً كبيراً أو متوسطاً، وبعضها يُعدّ رسالةً صغيرةً أو كبيرةً، أمّا الكتب فهي ثمانية عناوين وهي:

١. غاية المراد، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١ - ٤.
٢. ذكرى الشيعة، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ٥ - ٨.
٣. الدروس الشرعية، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ٩ - ١١.
٤. البيان، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٢.
٥. اللعة الدمشقية، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٣.
٦. حاشية القواعد، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٤.
٧. القواعد والفوائد، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٥.
٨. جامع البين، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٦ - ١٧.
- وما سواها فهي الرسائل الصغيرة والكبيرة، نشرت ضمن موسوعة الشهيد، ج ١٨ - ١٩.
- ولم تقف على ١. أجوبة مسائل ابن نجم الدين الأطراوي، ٢. شرح قصيدة الشهيني؛
٣. المسائل الفقهية، من آثار الشهيد.

الفصل الثاني

إجازاته

من المسلم أنّ للشهيد إجازات كثيرة لتلامذته، وأمّا ما وقفنا على نصّه أو ذكره منها فهي خمس إجازات:

١. الإجازة لجماعة من العلماء

قال الطهراني (طاب ثراه):

كتب هذه الإجازة لجماعة من العلماء الذين قرؤوا عليه علل الشرائع للشيخ الصدوق، وهي بخطّه كانت عند صاحب الرياض ونقلها فيه^١، تاريخها ثاني عشر شعبان سنة ٧٥٧. والعلماء المجازون هم: الشيخ جمال الدين أحمد بن إبراهيم بن الحسين الكرواني [كذا، والصواب: الكسرواني]، والشيخ عزّ الدين أبو محمّد الحسن بن سليمان بن محمّد الحلّي العاملي، والشيخ عزّ الدين أبو عبد الله الحسين بن عليّ العاملي، والفقير عزّ الدين الحسين بن محمّد بن هلال الكركي، والشيخ زين العابدين أبو الحسن علي بن بشارة العاملي الشقراوي الحنّاط، والسيد أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن زهرة الحلبي^٢.

قال صاحب الرياض في ترجمة الشيخ زين الدين أبو الحسن علي بن بشارة العاملي الشقراوي الحنّاط:

كان من أجلّة تلامذة الشهيد، وقد قرأ عليه مع جماعة كتاب علل الشرائع للصدوق،

١. رياض العلماء، ج ٣، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

٢. الذريعة، ج ١ ص ٢٤٧. وانظر ما سبق في البحث عن تلامذة الشهيد والراوين عنه.

وكتب الشهيد له ولهم إجازة، وقد مدحه فيها، ورأيت تلك الإجازة بخطّ المجيز الشهيد على ظهر الكتاب المذكور، وهذه صورتها:

سمع - بقرآتي أكثر هذا الكتاب وبقراءة غيري لباقيه - الشيخ الأجلّ العالم، العامل الفاضل، الفقيه الكامل، الزاهد العابد، زين الدين أبو الحسن عليّ بن بشارة العاملي الشقراوي الحنّاط.

والسيدّ الشريف الفقيه، العالم الفاضل، المحقّق الورع، شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن زهرة الحسيني الحلبي.

والشيخ الصالح الورع الدّين البدل، عزّ الدين أبو محمّد الحسن بن سليمان بن محمّد، الحلّي المولد، العاملي المحتد.

والشيخ الفقيه العالم، العامل الكامل، عزّ الدين أبو عبد الله الحسين بن عليّ العاملي لأكثره.

والشيخ الفقيه، الزاهد العابد، جمال الدين أحمد بن إبراهيم بن حسين الكردامي [كذا، ظ: «الكسرواني»]^١.

والفقيه عزّ الدين حسين بن محمّد بن هلال الكركي.
وأخرون كثيرون.

ورويته لهم بحقّ قرآتي عليهم من لفظي عن شيخي السيد المرتضى العلامة عميد الدين أبي عبد الله عبدالمطلب بن محمّد بن عليّ بن الأعرج الحسيني، وشيخي اللّباب العلامة المحقّق فخرالدين أبي طالب محمّد بن المطهر، كليهما عن الشيخ الإمام المتبحّر شيخ الإسلام مفتي الفرق جمال الدين أبي منصور الحسن بن المطهر وأخيه الشيخ الإمام رضي الدين عليّ بن المطهر والسيد فخرالدين عليّ بن الأعرج، جميعاً عن الشيخ الإمام العلامة نجم الدين أبي القاسم بن سعيد والشيخ سديد الدين أبي المظفر يوسف بن المطهر، كليهما عن السيد الإمام النسابة شمس الدين أبي عليّ فخار والشيخ الفقيه نجيب الدين أبي إبراهيم محمّد بن نما، كليهما عن الشيخ الفقيه العلامة فخرالدين أبي عبد الله محمّد بن إدريس، عن الشيخ عربي بن مسافر العبادي وغيره، عن إلياس بن هشام الحائري وغيره، عن أبي عليّ المفيد، ابن شيخنا الإمام أبي جعفر الطوسي، عن والده، عن شيخه

١. انظر ما سبق في البحث عن تلامذة الشهيد والراوين عنه.

الإمام أبي عبدالله المفيد، عن مصنف الكتاب (رضوان الله عليهم اجمعين).
وعن جماعة من مشايخي ومشايخ مشايخي الذين يَضيق الحالُّ عن تعدادهم بطريق
شَتَّى مَنا صَحَّ، وأذنت لهم في روايته بهذه الطريق وغيرها مَنا صَحَّ، فإنَّها الأصل.
وكتب محمَّد بن مكِّي يوم الأربعاء لاثنتي عَشْرَةَ ليلَةً خلت من شعبان سنة سبع
وخمسين وسبعمائة بالحلَّة، حامداً لله تعالى ومصلياً على رسوله محمَّد وآله
الطاهرين^١.

ثمَّ قال صاحب الرياض :

وكتب [ولد] الشهيد بخطه أيضاً على تلك النسخة بهذه العبارة :
يقول أفقر عباد الله - وأحوجهم إلى كرم الله تعالى وعفوه عنه وعن والديه - كاتب هذه
الأحرف محمَّد بن محمَّد بن مكِّي (كان الله له عوناً ومعيناً) إني أروي هذا الكتاب أنا و
أخي المسمَّى عليّ الملقَّب ضياء الدين بحق الإجازة من والدنا الواضع خطه أعلاه
(قدَّس الله روحه) عمَّن ذكره من مشايخه هنا وغيرهم، تَلَفَّظَ بالإجازة ﷺ مراراً
ملاحظة [؟] وكتابهً على عامَّة كتب الفقه والحديث وغيرهما من العلوم على الإطلاق
بحقِّ الرواية عن مشايخه (رضوان الله عليهم).
وكتب ضحى الأربعاء لثلاث مضي من الشهر الأعظم رمضان سنة تسع وثمانين
وسبعمائة، حامداً مصلياً^٢.

٢ . الإجازة لابن نجدة

وهي إجازته للشَّيخ شمس الدين محمَّد بن عبد العليِّ بن نجدة (رضوان الله عليهم)، كتبها
في العاشر من شهر رمضان سنة ٧٧٠. وتوجد نسخة من هذه الإجازة - وهي بخطَّ المجيز
الشَّهيد - في مكتبة مدرسة النَوَّاب في مشهد المقدَّسة بمعية مخطوطة غاية المراد بخطَّ المجاز
أعني محمَّد بن نجدة، برقم ٢٦٢ فقه، وقد اعتمدنا على هذه المخطوطة في تحقيق غاية المراد،
ومصوِّرة خطَّ الشَّهيد موجودة عندي بحمد الله. وقد أدرج العلامة المجلسي (طاب ثراه)
هذه الإجازة في البحار^٣. ثمَّ نُشرت ضمن رسائل الشَّهيد الأوَّل (ص ٣١١ - ٣٢٠) عام ١٤٢٣

١. رياض العلماء، ج ٣، ص ٣٧٤-٣٧٥.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٣-٢٠١.

اعتماداً على تلك المخطوطة. ثم في عام ١٤٣٠ ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٩. وما ذكره الشيخ الحرّ العاملي من قوله: «إجازة حسنة لولدي الشيخ علي بن نجدة رأيتها بخطه»، سهو من قلمه الشريف أو خطأ مطبعي. ولو جازتها وكثرة فوائدها نوردها هنا بنصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي مصير كل شيء إليه، والمعول في كل مهمّ عليه، والصلاة على أحظى خلقه لديه، محمّد بن عبدالله النبي الأمي أفضل مصطفيه، وعلى آله الأولى حفظوا شرعته، وأقاموا سنته، صلاةً تتزايد بتزايد الدهور، وتتضاعف بتضاعف الأيام والشهور.

وبعد: فإنّ المعترف بنعم الله (جلّ اسمه)، المغترف من تيّار بحاره، المستوعب جميع آناته في الإذعان بالقصور عن أيسر ما يجب من شكره في سرّه وجهاره، السائل من عميم فيضه وسيبه المدرار أن يعفو عنه ما اقترفه في سالفه آناء الليل والنهار، محمّد بن مكّي (سامحه الله في هفواته وغفر له خطيئاته) يقول:

لما كان شرف الإنسان إنّما هو بالعقل الذي امتاز به عن العجاوات، وشابه به ملائكة السماوات؛ وبالعلم الذي يستحقّ به رفيع الدرجات، ويفضل به على أبناء نوعه من ذوي الجهالات؛ وكانت العلوم متعدّدة وأصنافها متبدّدة، وكان أفضلها وأشرفها العلم بالله تعالى وكمالاته، وكيفية تأثيراته، والعلم بكتابه العزيز، وشرعه القويم، وصراطه المستقيم، المأخوذ عن خاتم الأنبياء، وأفضل الأولياء بطريق عترته الأئمة النجباء، والبررة الأئمّاء (صلوات الله عليه وعليهم ما تعاقب الظلام والضياء، وأتبع الصباح المساء) وما يتوقّف إتقان هذين عليه من المعقولات والمنقولات، وتلك هي العلوم الإسلاميّة، والقوانين الشرعيّة (صلوات الله على الصادع بها وسلامه، وعلى أحمد عترته وأطيب صحابته).

وكان [ظ: كان] الأخ في الله المصطفى في الأخوة، المختار في الدين، المولى الشيخ الإمام العالم العامل العلامة المتقي صاحب المباحث السنّية، والأفهام الدقيقة، والهمة العلية، والفكرة الدقيقة، المؤيد بتأييد رب العالمين، شمس الملة والحق والدين، أبو جعفر محمّد ابن الشيخ الإمام العالم الزاهد العابد تاج الدين أبي محمّد عبد العليّ بن نجدة (أسعده الله في أولاه وأخراه، وأعطاه ما يتمناه، وبلغه ما يرضاه) ممّن أقبل على تحصيل الكمالات النفسانيّة، وفاز بالسبق على أقرانه في الخصال المرضيّة، وانقطع بكلّيته إلى طلب المعالي، ووصل يقظة الأيام بإحياء الليالي، حتّى بلغ من آماله ما شرفه وعظّمه، وجعله من أعلام العلماء وأكرمه.

وكان من جملة ما قرأه على العبد الضعيف عدّة كتب:

فمنها: كتاب قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام، قرأ وسمع معظمه.

ومنها: كتاب اللمع في النحو للإمام أبي الفتح عثمان بن جنيّ رحمته الله.

ومنها: كتاب الخلاصة المنظوم للإمام العلامة ملك الأدباء جمال الدين أبي عبد الله محمّد بن مالك الطائي الجبّاني قراءةً حافظاً دارساً شارحاً باحثاً.

وسمع كتباً كثيرة غير ذلك بقراءة غيره في فنونٍ شتى، مثل: كتاب تحرير الأحكام الشرعيّة، وكتاب التلخيص، والإرشاد، وكتاب المناهج في علم الكلام، وكتاب شرح النظم في علم الكلام، وكتاب شرح الياقوت في علم الكلام، وكتاب نهج المسترشدين، كلّ ذلك من مصنّفات الإمام الأعلّم، أستاذ الكلّ في الكلّ جمال الملة والحقّ والدين أبي منصور الحسن بن مطهر الحلّي (رفع الله مكانه في جنّته، وجمع بينه وبين أحبّته).

وكتاب شرائع الإسلام، ومختصرها للإمام السعيد فخر المذهب محقّق الحقائق نجم الدين أبي القاسم جعفر بن سعيد (شرف الله في الملا الأعلى قدره، وأطاب في الدارين ذكره).

ومن ذلك: كتاب عيون أخبار الرضا (عليه وعلى آبائه أفضل الصلوات والتحيّات) تأليف الشيخ الإمام الصدوق أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه رحمته الله.

ومن ذلك: كتاب مختصر مصباح المتهجد من مصنّفات الشيخ الإمام الأعلم، السعيد الموقّ، شيخ المذهب، محيي السنن أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (قدّس الله روحه ونور ضريحه) وغير ذلك ممّا يطول عدّه ويعسر ضبطه.

وقد أجزتْ له (أسبغ الله فضائله) رواية جميع ما قرأه وسمعه عليّ ونقله وإقراءه والعمل به، عنّي عن مشايخي الذين عاصرتُهم، وحضرتْ دروسهم، واستفدتُ من أنفاسهم، واقتبستُ من علومهم (رضوان الله عليهم أجمعين).

بل أجزتْ له جميع ما صنّفه علماؤنا الماضون، وسلفنا الصالحون من الطبقة التي عاصرناهم إلى طبقات الأئمّة المعصومين في جميع الأزمنة، بالطرق التي لي إليهم على اختلافها.

وأجزتْ له رواية جميع ما رويته عن مشايخ أهل السنّة شاماً وحجازاً وعراقاً، وهو كثيرٌ.

وأجزتْ له رواية جميع ما صنّفه وألّفه ونظّمته في سائر العلوم التي شاركت فيها بعض أهلها. فمّمّا سمعه عليّ من مصنّفاتني: كتاب غاية المراد في شرح [نكت] الإرشاد، والرسالة الألفيّة في فقه الصلاة، وخلاصة الاعتبار في الحجّ والاعتبار، ورسالة التكليف وغيرها.

وها أنا مثبتٌ نبذة من الطرق إلى العلماء المذكورين، وجاعل استيفاء ذلك مفوضاً إليه (أدام الله نعمه عليه) وإلى ما عساه يتيسّر لي في مستقبل الأوقات من الكتابة له، والزيادة على ذلك.

فأمّا مصنّفات الإمام ابن المطهر عليه السلام فإنّي رويتها عن عدّة من أصحابنا.

منهم: المولى السيّد الإمام المرتضى علم الهدى شيخ أهل البيت في زمانه، عميد الحقّ والدين أبو عبدالله عبدالمطلب بن الأعرج الحسيني (طاب ثراه وجعل الجنّة مثواه).

ومنهم: الشيخ الإمام سلطان العلماء منتهى الفضلاء والنبلاء، خاتم المجتهدين فخر الملة والدين، أبو طالب محمّد ابن الشيخ الإمام السعيد جمال الدين بن المطهر

مدَّ الله في عمره مدّاً، وجعل بينه وبين الحادثات سداً).

ومنهم: الشيخ الإمام العلامة ملك الأدباء عين الفضلاء رضي الدين أبو الحسن علي بن المزيدي (قدّس الله روحه).

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه المحقق والخبر المدقق، زين الدين أبو الحسن علي بن طراد المطارآبادي جميعاً عنه، أعني الإمام جمال الدين بلا واسطة. وأجزت له (دامت أيامه) رواية مصنّفات هؤلاء المذكورين أيضاً ومؤلفاتهم ومروياتهم عنّي عنهم بلا واسطة.

وبهذا الإسناد عن الإمام جمال الدين مصنّفات الإمام نجم الدين بن سعيد (رضي الله عنهما) عنه. ويرويها الإمامان الأوّلان عميد الحقّ والدين، وفخر الحقّ والدين أيضاً عن الشيخ الإمام العلامة رضي الحقّ والدين علي بن المطهر، عن الإمام نجم الدين أيضاً. ويرويها الإمامان الأخيران رضي الدين وزين الدين عن الشيخ الإمام العلامة صفّي الدين محمّد بن سعيد عن الإمام نجم الدين أيضاً. ويرويها الإمام الأخير زين الدين عن الشيخ الإمام، سلطان الأدباء، ملك النظم والنثر، المبرز في النحو والعروض، تقّي الدين أبي محمّد الحسن بن داؤد عن الإمام نجم الدين أيضاً. وأروها عالياً عن الشيخ الإمام الخطيب المصنّف البليغ، جلال الدين محمّد ابن الشيخ السعيد ملك الأدباء والشعراء والخطباء، شمس الدين محمّد بن الكوفي الهاشمي الحارثي عن الشيخ نجم الدين بلا واسطة.

وبالإسناد عن الشيخ جمال الدين جميع مرويات الشيخ السعيد العلامة المغفور رئيس المذهب في زمانه نجيب الدين أبي زكريّا يحيى بن الحسن بن سعيد صاحب الجامع وغيره.

وبالإسناد عن الشيخ جمال الدين مصنّفات ومرويات الإمامين السعديين المرتضيين، السيّدين الزاهدين العابدين البدلين الفردين، رضي الحقّ والدين أبي القاسم عليّ، وجمال الدين أبي الفضائل أحمد ابني طاؤس الحسينيّين (سقى الله عهدهما صوب الغمام، ونفعنا ببركتهما وبركة أسلافهما الكرام).

وعن الشيخ جمال الدين مصنفات والده الإمام السعيد المعظم سديد الدين أبي المظفر يوسف بن المظفر.

وبالإسناد عن السيدين المذكورين، ونجم الدين ونجيب الدين ابني سعيد، وسديد الدين ابن المظفر مصنفات ومرويات الشيخ الإمام العلامة، قدوة المذهب، نجيب الدين أبي إبراهيم محمد بن نما الحلبي الربعي، ومصنفات ومرويات السيد السعيد العلامة إمام الأدباء والنساب والفقهاء شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي رحمته الله.

وعن ابن نما والسيد فخار مصنفات الإمام العلامة شيخ العلماء حنبل المذهب فخر الدين أبي عبدالله محمد بن إدريس رحمته الله.

وعن السيد فخار بلا واسطة، ونجيب الدين بن نما (رضي الله عنهما) بواسطة الشيخ الإمام السعيد أبي عبدالله محمد بن جعفر المشهدي رحمته الله جميع مصنفات شاذان بن جبرئيل، نزيل مهبط وحي الله ودار هجرة رسول الله.

وعن ابن إدريس رحمته الله مصنفات الشيخ الإمام السعيد أبي جعفر الطوسي بحق روايته، عن عربي بن مسافر العبادي عن إلياس بن هشام الحائري عن المفيد أبي علي ابن الشيخ أبي جعفر الطوسي عن والده.

ونروها أيضاً عن شيخنا الإمام السعيد جلال الدين أبي محمد الحسن بن نما رحمته الله عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد عن السيد الإمام المرتضى السعيد العلامة محيي الدين أبي حامد محمد بن زهرة الحسيني الحلبي الإسحاقى (طاب ثراه) عن الشيخ الإمام السعيد رشيد الدين أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، صاحب كتاب المناقب، عن أبي الفضل الداعي والسيد الإمام ضياء الدين أبي الرضا فضل الله بن علي الحسنى، والشيخ أبي الفتوح أحمد بن علي الرازي، والشيخ الإمام أبي عبدالله محمد، وأخيه أبي الحسن علي بن أبي علي بن عبدالصمد النيسابوري، وأبي علي محمد بن الفضل الطبرسي جميعاً عن الشيخين أبي علي الحسن المفيد، وأبي الوفاء عبدالجبار المقرئ، كليهما عن الشيخ أبي جعفر الطوسي.

وبهذا الإسناد مصنّفات الشيخ الإمام السعيد مرجع المذهب أبي عبدالله محمد بن محمد بن نعمان عليه السلام، عن الشيخ الطوسي عنه.

وعن الشيخ الطوسي عليه السلام مصنّفات الإمام السعيد المرتضى علم الهدى خليفة أهل البيت عليهم السلام أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي.

وبالإسناد عن الشيخ المفيد عن الشيخ الصدوق محمد بن بابويه جميع مصنّفات. وأما مصنّفات الإمام العلامة السعيد ملك الأدباء علامة الفضلاء أبي الحسين محمد الرضي، جامع كتاب نهج البلاغة من كلام الإمام الرّباني وارث علم رسول الله وخليفته أبي الحسن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فأبني أرويهما عن جماعة كثيرة، منهم مَنْ تقدّم إلى ابن شهر آشوب عليه السلام عن السيّد الإمام أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسن المروزي، عن السيّد الرضيّ بواسطة أبي عبدالله محمد بن عليّ الحلواني عليه السلام.

وأما مصنّفات القاضي الإمام الحبر المحقق خليفة الشيخ أبي جعفر الطوسي في البلاد الشاميّة عزّ الدين عبدالعزيز بن البرّاج عليه السلام فأبني أرويهما بالطريق المذكور إلى السيّد محيي الدين بن زهرة، عن الشريف عزّ الدين أبي الحارث محمد بن الحسن العلوي البغدادي، عن الشيخ الإمام السعيد قطب الدين أبي الحسين الراوندي، عن الشيخ أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسن الحلبي، عن القاضي ابن البرّاج عليه السلام.

وأما مصنّفات الشيخ الإمام السعيد خليفة المرتضى عليه السلام في علومه أبي الصلاح تقيّ الدين بن نجم الحلبي، فعن الشيخ سديد الدين أبي الفضل شاذان بواسطة محيي الدين بن زهرة والسيّد فخار بحق رواية شاذان، عن الشيخ أبي محمد عبدالله بن عمر الطرابلسي، عن القاضي عبدالعزيز بن أبي كامل الطرابلسي، عن الشيخ أبي الصلاح. وعن محيي الدين بن زهرة جميع مصنّفات والده جمال الدين أبي القاسم بن عبدالله عليّ بن زهرة، وعمّه السيّد الإمام المعظم المرتضى عزّ الدين أبي المكارم حمزة بن عليّ بن زهرة الحسيني صاحب كتاب الغنية، وكتاب نقض شبه الفلاسفة، وجواب المسائل البغدادية، وغيرها.

وأما مصنفات الإمام الحبر العلامة عماد المذهب أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي نزيل الرملة البيضاء (رحمة الله عليه) فإننا نروها بالإسناد عن أبي الفضل شاذان رحمته، عن الشيخ الفقيه أبي محمد ریحان بن عبدالله الحبشي، عن القاضي عبدالعزيز بن أبي كامل، عن المصنف الكراجكي المذكور، ولنذكر طريقاً واحداً إلى سيدنا وسيد الأنبياء وسيد البشر وسيد الممكنات رسول الله صلوات تبركاً به، وليكن عن آخر من أثبتناه من علمائنا أنفاً أعني الشيخ الكراجكي رحمته.

قال: أخبرني أبو عبدالله محمد بن محمد بن نعمان المفيد رحمته، عن أحمد بن محمد بن الوليد، عن والده، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن أبي عمير، عن عبدالله بن بكير، عن زرارة بن أعين، عن الإمام المعصوم أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه أمير المؤمنين قال: «قال رسول الله صلوات: بُني الإسلام على عشرة أسهم: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي الملة، والصلاة، وهي الفريضة، والصوم، وهو الجئة، والزكاة، وهي الطهرة، والحج، وهو الشريعة، والجهاد، وهو العز، والأمر بالمعروف [وهو الوفاء]، والنهي عن المنكر، وهو الحجّة، والجماعة، وهي الألفة، والعصمة، وهي الطاعة»^١.

وأما كتاب اللمع في النحو فرويته له عن الشيخ العلامة رضي الدين بن المزدي، عن والده جمال الدين أحمد، عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد، عن الشيخ الأديب مهذب الدين محمد بن كرم النحوي، عن الشيخ محيي الدين بن أبي البقاء العكبري. وعن الشيخ العالم علي بن الفرج السوراي كليهما، عن الشيخ زين الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب النحوي، عن السيد النقيب هبة الله بن الشجري الحسني، عن السيد أبي المعمر يحيى بن هبة الله بن طباطبا الحسني، عن القاضي أبي القاسم عمر بن ثابت الثمانيني النحوي، عن المصنف.

وأما الخلاصة المالكية الألفية فإنني رويتها له بحقّ قراءة بعضها وإجازة الباقي

على الشيخ العلامة ملك النحاة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن الحسن الحنفي النحوي، فقيه الصخرة الشريفة ببيت المقدس (زاده الله شرفاً) بحق قراءته على الشيخ الإمام العلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري بمقام النبي إبراهيم الخليل (صلوات الله عليه) عن الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن أبي الفتح الدمشقي، عن ناظمها وراقم علمها ابن مالك.

ومما أرويه كتاب الجامع الصحيح تأليف الإمام المحدث أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، عن عدة من العلماء، منهم: الشيخ الإمام العلامة المفضل فخر الحق والدين محمد بن الحسن بن المطهر الحلبي، والشيخ الإمام العلامة شرف الدين محمد بن بكتاش التستري، ثم البغدادي الشافعي، مدرّس المدرسة النظامية، والشيخ الإمام القارئ ملك القرّاء والحفاظ شمس الدين محمد بن عبدالله البغدادي الحنبلي، والشيخ الإمام فخر الدين محمد بن الأعز الحنفي، والشيخ الإمام المصنّف المدرّس بالمستنصرية - رضوان الله على منشئها - شمس الدين أبو عبدالرحمن محمد بن عبدالرحمن المالكي، جميعاً عن الشيخ الإمام رحلة الأمصار رشيد الدين محمد بن أبي القاسم عبدالله بن عمر المقرئ شيخ دار الحديث بالمستنصرية (رضوان الله على منشئها) بحق سماعه على الإمام أبي الحسن عليّ بن أبي بكر بن روزبه القلانسي الصوفي، بحق سماعه من أبي الوقت عبدالأول بن عيسى السجزي، بسماعه على أبي الحسن عبدالرحمن بن محمد بن مظفر الداوردي، بسماعه من أبي محمد عبدالله بن حمويه الحمّوني السرخسي، بسماعه على أبي عبدالله محمد الفربري، بسماعه على البخاري، قال: حدّثنا مكّي بن إبراهيم، حدّثنا يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ يَقُلْ عَلِيٌّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلَيْتَبَوْا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^١. وهذا الحديث من الثلاثيات. وسمعتها تقرأ على الشيخ الإمام المحدث سراج الدين الدمنهوري تجاه الكعبة الشريفة، وأجاز لي روايتها ورواية جميع الكتاب عن مشايخه إلى البخاري.

١. صحيح البخاري، ج ١، ص ٥٢، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ح ١٠٩.

وأما صحيح الإمام العلامة المحدث مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، فإنني أرويه عن الشيخ شرف الدين الشافعي المذكور، عن الإمام المحدث الرحلة عفيف الدين محمد بن عبدالمحسن - عرف بابن الخراط، وبابن الدواليبي - بسماعه من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر بن عبدالكريم الباذبيني، بسماعه على أبي الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي، بإسناده عن الإمام مسلم.

فليرو الشيخ شمس الدين محمد جميع ما ذكرته وغيره لمن شاء.

وكتب أضعف العباد محمد بن مكّي عاشر شهر رمضان المعظم قدره سنة سبعين وسبعمائة.

٣. الإجازة لابن الخازن

وهي الإجازة التي كتبها الشهيد لعلّي بن الخازن الحائري في دمشق يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر رمضان المبارك سنة ٧٨٤، حوالي سنتين قبل استشهاده، وقد أدرجها العلامة المجلسي (طاب مضجعه) في البحار^١، ثم نُشرت ضمن رسائل الشهيد الأول (ص ٣٠٣ - ٣٠٩) عام ١٤٢٣. ثم في عام ١٤٣٠ في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأول، ج ١٩.

وتوجد مخطوطة من هذه الإجازة في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ٦٩٥٥/٥؛ وأيضاً في مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، برقم ٨٤٩٣/٢، ورقم ٥٦٠٥/٢.

ولوجازتها وكثرة فوائدها نوردها هنا بنصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم! إنّا نحمدك والحمدُ من نعمِكَ، ونشكركُ والشكرُ من قَسَمِكَ، ونسألك أن تصلّي على سيّدنا محمد الهادي إلى أممك، وعلى أخيه ووصيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أمينك وحكّامك، وعلى الآخرين من ذريّتهما أولي أمرك وحكّامك، ونرغبُ إليك في

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧ - ١٩٢.

٢. ذكرت في فهرسها، ج ١٦، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

مُغفَرة ذُنُوبنا و حَسَن توفيقنا، وأن تجعلنا مَمَّن حَمَل شَريعَتَكَ فأَذاها كما حَمَلها، و نشرها في أهلها فأَحكمها و فَضَّلها، فإنَّ العَلم من أَشرف الصَفات، و ناهيك أن به تُرَفَّع الدرجات، و يُتَقَبَّلُ الأَعمالُ الصالِحَةُ، و أَحَدَ طَرقه الروايَةُ عن الأَثبات: فَطَوَّراً بالقَراءة، و طَوَّراً بالمَناولَة و الإجازَة.

ولَمَّا كان المولى الشَیخ العالمُ التَقِيُّ الورعُ المَحضُّ العالمُ بأعباء العَلم الفائق أولي الفِضائل و الفَهِوم، زين الدين أبو الحسن عَلِيِّ ابن المرحوم السعيد الصدر الكبير العالم عَزَّالدين أبي مُحَمَّد الحسن ابن المرحوم المَغفور سَيِّد الأَمْناء شمس الدين مُحَمَّد الخازن بالحضرة الشَريفة المَقَدَّسة المَطهَّرة مَهبط ملائكة الله و معدن رضوان الله، التي هي من أعظم رياض الجَنَّة، المَسْتَقَرُّ بها سَيِّدُ الإنسِ و الجَنَّةِ إمامُ المَتَّقين و سَيِّدُ الشَهداء في العالمين رِيحانَةُ رسولِ الله ﷺ و سَبْطُهُ و ولَدُهُ أبو عبد الله الحسين ابن سَيِّدِ العالمين أمير المؤمنين أبي الحسن عَلِيِّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين، مَمَّن رَغِب في اقْتناء العَلم العَقليَّة و النَقليَّة و الأَدبيَّة و الشَرعِيَّة، استَجاز العبدُ المَفْتِيرُ إلى الله تعالى مُحَمَّد بن مَكِّي (لطف الله به) فاستَخار الله تعالى، و أجاز له جَميعَ ما يَجوز عنه، وله روايته من مَصنَّفٍ و مؤلَّفٍ و منشورٍ و منظومٍ و مقروءٍ و مسموعٍ و مناوَلٍ و مُجازٍ.

فَمِمَّا صَنَّفَهُ كتاب القواعد و الفوائد في الفقه مختصراً يشتمل على ضوابط كَلِيبَةٍ أُصولِيَّةٍ و فرعيَّةٍ، تُسْتَنْبَطُ منها أَحكامٌ شرعيَّةٌ، لم يعمل للأصحابِ مثله، و من ذلك كتاب الدروس الشرعية في فقه الإمامية خرج منه نصفه في مجلِّدٍ. و من ذلك كتاب غاية المراد في شرح الإرشاد في الفقه، و من ذلك شرح التهذيب الجمالي في أصول الفقه. و من ذلك كتاب اللعة الدمشقية مختصراً لطيفاً في الفقه. و من ذلك رسالتان في الصلاة تشتملان على حصر فرضها و نفلها في أربعة آلاف مسألة محاذاةً لقولهم ﷺ: «للصلاة أربعة آلاف باب»^١. و من ذلك رسالة في التكليف و فروعه. و من ذلك رسالة تشتمل على مناسك الحجّ مختصرة جامعة، و غير ذلك من الرسائل

وكتب شرع فيها يرجى إتمامها في الفقه والكلام والعربية إن شاء الله تعالى.
وأما مصنّفات الأصحاب فإنّي أرويهَا عن مشايخي العدول والثقات الأثبات
(رضي الله عنهم).

فمن ذلك مصنّفات شيخيّ الإمامين الأفضليين الأكملين المجتهدين منتهيّ
أفاضل المذهب في زمانهما السيّد المرتضى عميد الدين، والشيخ الأعظم فخر الدين
ابن الإمام الأعظم الحجّة أفضل المجتهدين جمال الدين أبي منصور الحسن ابن
الإمام السيّد الحجّة الفقيه سديد الدين أبي المظفر ابن الإمام المرحوم زين الدين
عليّ بن المطهر (أفاض الله على ضرائحهم المراحم الربانيّة، وحباهم بالنعم الهيّة)
فإنّي أروي جميع مصنّفاتهما قراءةً وسماعاً وإجازةً.

ومن ذلك مصنّفات الإمام الأعظم جمال الدين المشار إليه، فإنّي أرويهَا عنهما
عنه، وأرويهَا أيضاً بطريق الإجازة عن جماعة آخرين:

ومنهم: الشيخ العالم الفاضل المحقق زين الدين عليّ بن طراد المطارآبادي تلميذ
الإمام المشار إليه.

ومنهم: السيّد العالم السعيد النسابة أعجوبة الزمان في جميع الفضائل والمآثر
تاج الدين أبو عبدالله محمّد بن مُعيّة الحسني (أطاب الله ثراه).

ومنهم: السيّد العالم الفاضل أمين الدين أبوطالب أحمد بن زهرة الحلبي الحسيني.
ومنهم: الإمام العلامة سلطان العلماء وملك الفضلاء الحبر البحر قطب الدين
محمّد بن محمّد الرازي البويهّي، فإنّي حضرت في خدمته (قدّس الله لطيفه) بدمشق
عام ثمانية وستين وسبع مائة^١، واستفدت من أنفاسه، وأجاز لي جميع مصنّفاتهِ
ومؤلّفاتهِ في المعقول والمنقول أن أرويهَا عنه، وجميع مروياته. وكان تلميذاً خاصّاً
للشيخ الإمام جمال الدين المشار إليه.

ومن ذلك جميع مرويات ومصنّفات الشيخ السعيد العلامة نجم الدين بن سعيد وابن

١. كذا، وهو سهو أو من خطّ النسخ بلاريب، والصواب «ستة» بدل «ثمانية»؛ لاتّفاق المصادر القديمة المعتبرة -
منها قول الشهيد نفسه كما تقدّم - على وفاته عام ٧٦٦.

عمّه نجيب الدين يحيى بن سعيد رضوان الله عليهما، عن الشيخ جمال الدين عنهما. ومن ذلك مصنّفات السيّدين الإمامين المرتضيين أبي الفضائل أحمد وأبي الحسن عليّ ابني طاؤس (رضوان الله عليهما وصلواته على آبائهما)، عن الإمام جمال الدين عنهما، وأرويهما أيضاً مع مرويات ابني سعيد، عن الشيخ الإمام ملك الأدباء والعلماء رضي الدين أبي الحسن عليّ ابن الشيخ السعيد جمال الدين أحمد المزدي رحمته، عن شيخه الإمام جمال الدين محمد بن صالح القتيبي [القندي] عنهم.

وبهذا الإسناد عن ابني سعيد وابني طاؤس مصنّفات الشيخ العالم نجيب الدين أبي جعفر محمد بن نما ومروياته، ومصنّفات السيّد النسابة العلامة شمس الدين أبي عليّ فخار ومروياته، وأرويهما عن السيّد تاج الدين بن مَعِيّة، عن السيّد علم الدين المرتضى بن عبد الحميد بن فخار عن والده عن جدّه فخار الموسوي رحمته.

وبهذا الإسناد عن فخار وابن نما مصنّفات الشيخ العلامة المحقق فخر الدين أبي عبد الله محمد بن إدريس الحلّي الربعي صاحب السرائر في الفقه.

وبهذا الإسناد عن فخار مصنّفات ومرويات الشيخ العالم نزيل مهبط وحي الله ودار هجرة رسول الله سديد الدين شاذان بن جبرئيل القمي (رضوان الله عليه).

وبهذا الإسناد مصنّفات ومرويات الشيخ العالم نجم الدين جعفر بن مليك الحلّي عن جماعة من مشايخ الإمام جمال الدين عنه.

وبهذا الإسناد مصنّفات الشيخ جمال الدين الحسن بن هبة الله بن رطبة السوراي عن ابن إدريس عنه.

وبهذا الإسناد عن ابن رطبة مصنّفات ومرويات الشيخ المفيد أبي عليّ ابن شيخنا أبي جعفر إمام المذهب بعد الأئمة، محمد بن الحسن الطوسي، وهو يروي جميع مصنّفات والده ومروياته.

وبهذا الإسناد مصنّفات الشيخ الإمام عضد المذهب، المفيد محمد بن محمد بن نعمان عن الشيخ أبي جعفر عنه.

وبهذا الإسناد مصنّفات الإمام السعيد، المرتضى علم الهدى أبي القاسم عليّ بن

الحسين الموسوي عن الشيخ أبي جعفر عنه.

وبهذا الإسناد جميع مصنّفات الإمام ابن الإمام الصدوق، أبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى بن بابويه القميّ عن الشيخ المفيد عنه، وهو يروي عن والده أبي الحسن عليّ صاحب الرسالة وغيرها.

وبهذا الإسناد مصنّفات الشيخ أبي القاسم جعفر بن قولويه عن الشيخ المفيد و ابن بابويه عنه.

وبهذا الإسناد مصنّفات صاحب كتاب الكافي في الحديث - الذي لم يعمل للإماميّة مثله - للشيخ أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني - بتشديد اللام - عن ابن قولويه عنه.

وبهذا الإسناد جميع مرويات الكليني عن الأئمة عليهم السلام بواسطة من روى عنه.

وبهذا الإسناد عن الأئمة عليهم السلام جميع أحاديث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله بطريقهم الصحيح الذي لامرية ولاشكّ يعتريه، ولنتبرّك بحديث مسندٍ إليه صلى الله عليه وآله فنقول:

أخبرنا الجماعة المشار إليهم عن الإمام جمال الدين، عن والده سديد الدين، عن ابن نما، عن محمّد بن إدريس، عن عربي بن مسافر العبادي، عن إلياس بن هشام الحائري، عن أبي عليّ المفيد، عن والده أبي جعفر الطوسي، عن المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان، عن أبي جعفر محمّد بن بابويه، عن الشيخ أبي عبدالله الحسن بن محمّد الرازي قال: حدّثنا عليّ بن مهرويه القزويني، عن داؤد بن سليمان الغازي، عن الإمام المرتضى أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، عن أبيه الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام، عن أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام، عن أبيه الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين عليه السلام عن أبيه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها زجّ في النار».

وأما مصنّفات العامّة ومروياتهم فإنّي أروي عن نحو من أربعين شيخاً من علمائهم بمكّة والمدينة ودارالسلام بغداد و مصر و دمشق و بيت المقدس ومقام

الخليل إبراهيم عليه السلام، فرويت صحيح البخاري عن جماعة كثيرة بسندهم إلى البخاري، وكذا صحيح مسلم ومسند أبي داود وجامع الترمذي ومسند أحمد وموطأ مالك ومسند الدارقطني ومسند ابن ماجه والمستدرک على الصحيحين للحاكم أبي عبدالله النيسابوري، إلى غير ذلك ممّا لو ذكرته لطلال الخطب.

وقرأت الشاطبيّة على جماعة منهم: قاضي قضاة مصر برهان الدين إبراهيم بن جماعة، عن جدّه بدرالدين، عن ابن قارئ مصحف المذهب، عن الشاطبي الناظم عليه السلام.
ومنهم: الشيخ شمس الدين محمّد بن عبدالله البغدادي، فإنّه رواها لي عن ابن الخرائدي، عن الشيخ كمال الدين العباسي، عن الناظم عليه السلام.

ورويت كتاب نهج البلاغة - الذي هو معجز الإمام المفترض الطاعة أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) - عن جماعة كثيرة، منهم: الشيخ رضي الدين المزدي عن شيخه الإمام فخرالدين البوقي بسنده المشهور.

ومنهم: السيّد تاج الدين بن مَعِيّة بسنده إلى ابن بلوحي عن السيّد العلامة المرتضى نقيب الموصل كمال الدين بن حيدر (قدّس الله روحه) بسنده المشهور.
ورويت كتاب الكشاف - لجار الله العلامة أبي القاسم محمود الزمخشري - عن جماعة كثيرة منهم قاضي قضاة مصر عزّالدين عبدالعزيز بن جماعة، عن ابن عساكر الدمشقي عن أبيه المؤيد عن الزمخشري.

ورويت كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن - للإمام أمين الدين أبي عليّ الفضل الطبرسي، وهو كتاب لم يُعمل مثله في التفسير - عن عدّة من المشايخ منهم: مشايخي المذكورون عن الشيخ جمال الدين بن المطهّر بسنده إليه، وكذلك تفسيره الملقّب بجوامع الجامع، وكتاب الكافي الشافي من كتاب الكشاف من مصنّفاته.

وأما المعاني والبيان فإنّي قرأت كتاب الفوائد الغيائية وشرحها للسيّد المرتضى العلامة ملك العلماء والأدباء جمال الدين عبدالله بن محمّد الحسيني العريضي الخراساني عليه بأسره، ورويت عنه جميع مروياته ومصنّفاته، وهو أيضاً يروي عن الإمام جمال الدين ابن المطهّر، وأروي عنه كتاب المفتاح للإمام السكّاسي بحق

روايته عن السيد اليميني بإسناده إلى السكاكي.

فليرو مولانا زين الدين علي بن الخازن (أدام الله تعالى بركاته) جميع ذلك إن شاء بهذه الطرق وغيرها مما يزيد على الألف، والضابط أن يصحّ عنده السند في ذلك بعد الاحتياط التام لي وله، وعليه أن يذكرني في حرم السبط الشهيد وحضرتة المقدّسة مدّة حياتي وبعد وفاتي، ويهدي إليّ دعواته المبرورة في الحضرة المشهورة الحائرية (صلوات الله على مشرفها وسلامه).

وكتب العبد الفقير إلى عفو الله وكرمه محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد بن طي في دمشق المحروسة منتصف نهار الأربعاء المعرب عن ثاني عشر شهر رمضان المبارك (عمّت بركته) سنة أربع وثمانين وسبعمائة، والحمد لله أهد الآبدن، وصلى الله على أفضل الخلائق أجمعين، أبي القاسم حبيب الله محمّد خاتم النبيين وعترته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين.

٤ . الإجازة لأولاده الثلاثة

قال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة :

... وجدتُ بخطّ شيخنا الشهيد الأوّل في آخر الإجازة السابقة ... ما هذا لفظه : «... وقد أجزتُ روايتها ورواية جميع ما صنّفته وألّفته ورويته لأولادي الثلاثة : رضي الدين أبي طالب محمّد، وضياء الدين أبي القاسم عليّ، وجمال الدين أبي منصور الحسن...»^١.

٥ . الإجازة لولديه

قال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة أيضاً :

ورأيتُ أنا بخطّ الشهيد على ظهر نسخة للشاطبية إجازة لولديه محمّد وعليّ، ذكر فيها أنّه رواها لهما عن عدّة من المشايخ قراءة وإجازةً، منهم ...^٢.

١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠؛ وانظر الذريعة، ج ١، ص ٢٤٨.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٥٠؛ وانظر الذريعة، ج ١، ص ٢٤٨.

ثمّ اعلم أنّ الطهراني رحمته الله أشار إلى مشيخة الشهيد لبعض تلاميذه - ولعلّها إحدى الإجازات المذكورة - حيث قال :

٤٠٠٥. مشيخة الشهيد محمّد بن مكّي العاملي، لبعض تلاميذه.

عدّ مشايخه وطرقه من السيّد الجليلين عميد الدين وضياء الدين إلى الأئمّة عليهم السلام في حاشية المستجاد من الإرشاد، نسخة عند السيّد محمّد الكوه كمرى^١.

ونقل الجباعي في مجموعته عن الشهيد بشأن رضي الدين عليّ بن طاوس:

روينا جميع مصنفاته ورواياته عن عدّة من أصحابنا، منهم: شيخنا الإمام العلامة عميد الدين أبو عبد الله عبدالمطلب بن الأعرج الحسيني، والشيخ زين الدين عليّ بن طراد، كلاهما عن الشيخ جمال الدين بن المطهر عنه، وابن طراد يروي عن تقي بن داود عنه رحمته الله. وكان جرى ملكه على ألف وخمسمائة كتاب في سنة خمسين وستمائة. وكتب محمّد بن مكّي حامداً مصلياً مسلماً^٢.

١. الذريعة، ج ٢١، ص ٧٢.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٧.

الفصل الثالث

أشعاره

لم يقتصر نتاج الشهيد على الفقه والأصول والدراسات الكلامية فحسب، بل منحه الله موهبةً أدبيةً فكان أديباً وكاتباً وشاعراً، بالإضافة إلى كونه فقيهاً من الطراز الأوّل. وشعره - وإن قلّ - يمتاز بالرقة ودقّة التصوير وجمال التعبير وجودة الأداء^١ و«لن تكمل صورة صاحبه عند القارئ ما لم يطلع على نماذج منه على الأقلّ». ثمّ إنّه من بواكير ما وصلنا من الشعر العاملي، بعد شعر سلفه الكبير ابن الحسام^٢. وقد نقل قسم كبير من أشعاره في مصادر متعدّدة^٣؛ ونورد هنا من أشعاره ما وقفنا عليه بترتيب القوافي وصحّحتها بقدر الوسع والإمكان.

١. انظر الروضة البهيّة، ج ١، ص ١١٦، المقدّمة.

٢. جبل عامل بين الشهيدين، ص ١١٥.

٣. منها:

(أ) مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٨ ألف؛

(ب) بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨، ٢٩؛

(ج) أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢؛

(د) الاثنا عشرية، ص ٤٠٧، ٣٣؛

(هـ) كشكول البحراني، ج ٢، ص ١٤٩؛

(و) روضات الجنّات، ج ٧، ص ٧-٨، ١٠، ١٥-٢٠؛

(ز) الفوائد الرضوية، ص ٦٤٧-٦٤٨، ٦٥١؛

(ح) أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣؛

(ط) مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب؛

(ي) سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الأوراق ٦-٨.

قال الشيخ محمّد رضا شمس الدين في جملة تأليفات الشهيد:

شعر الشهيد الأوّل، وهو بمنزلة ديوان صغير يشتمل على نحو عشرين مقطوعة وقصيدة، جَمَعَهُ مؤلّف هذا الكتاب^١.

وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني (طاب ثراه):

ديوان الشهيد الأوّل... جَمَعَهُ الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ زين العابدين بن شمس الدين العاملي، من أحفاد شيخنا الشهيد الناظم، والجامع شابّاً فاضل معاصر^٢.

وقال الشيخ محمّد هادي الأميني رحمته الله: نجل العلامة الأميني (طاب ثراه):

وتصدّى لجمع شعره المرحوم الشيخ محمّد رضا شمس الدين، (المتوفى ١٣٧٦) [كذا، والصواب ١٣٧٧]، غير أنّ الديوان بعد وفاته تلف ومُزَقّ ولم يُعرف له أثر، شأن سائر مؤلفاته^٣.

وفي مختصر نسيم السحر:

وله أشعار لطيفة، وقصائد شريفة كلّها مشحونة بالحكم، وقد رأيتُ مجموعة كتبت عن خطّه الشريف قرب أربعة آلاف بيت، كلّها ممّا تفرّد بها من نثره وأشعاره وخطبه^٤.

١. قافية الهمزة

من الطويل يرثي بها العلامة الحلّي:

دَعِينِي فَمَا كُلُّ الْخُطُوبِ سِوَاءِ	بدمع وهل يَشْفِي الغَلِيلُ بَكاءِ
وَلَا تَلْزِمْتَنِي بِالسَّلْوِ فليس لي	وإن كُنْتُ جَلْدًا شِقْوَةً وَعَزَاءِ
أُكَلِّفُ نَفْسِي الصَّبْرَ خَشِيَةً شَامِتٍ	وتكليفٌ ما لا يُسْتَطَاعُ عَنَاءِ
فَقَدْ نَا فَتَى لَوْ يَفْقِدُ الْبَدْرُ مِثْلَهُ	لأَمْسى وما في حَاجِبِيهِ ضِيَاءِ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاهُ مِنَ الْوَرَى	ولم تسبِكِ مَئِينًا فِي الْأَنَامِ نِسَاءِ

١. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٥.

٢. الذريعة، ج ٩، القسم ٢، ص ٥٦٠.

٣. الدرّة الباهرة، ص ١٤، مقدّمة التحقيق. نشرت دار المحجّة البيضاء في بيروت، عام ١٤٢٤ ما تبقى من آثار المرحوم محمّد رضا شمس الدين في كتاب باسم بهجة الراغبين في مؤلفات الشيخ محمّد رضا شمس الدين، وليس فيه الديوان المذكور.

٤. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سَنَاءِ سَنَاءِ
 وَأَصْبَحَ رَنَعَ الْأَنْسِ مِنْهُ خَلَاءُ
 وَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ كِفَاءُ
 فَضَاقَ عَلَى بَاغِي النَّجَاحِ فِضَاءُ
 وَأُخْجِمَ عَنْ تَفْسِيرِهَا الْعُلَمَاءُ
 وَعَظَاهُ مِنْ لَيْلِ الشُّكُوكِ غِطَاءُ
 فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا هُدَاكَ دَوَاءُ
 وَوَاضِحٌ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ عَمَاءُ
 كَخَالِصِ شَهْدِ النَّحْلِ فِيهِ شِفَاءُ
 وَحُكْمٌ عَلَيْهِ لِلْمَتَّوِنِ قِضَاءُ
 لَهَا مَعَ بَقَاءِ الْعَالَمِينَ بَقَاءُ
 فَمَا مِنْ ضِيَاهَا لِلْبَصِيرِ خَفَاءُ
 صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالسَّمَاءِ سَمَاءُ
 وَطَابَ عَلَيْهِ فِي الْأَنَامِ ثَنَاءُ
 بِهِ فَعَلِيهَا بِهَجَّةٍ وَتَنَاءُ
 بَدَلْنَا نَفُوساً لَوْ يَكُونُ بَقَاءُ
 جَدِيداً وَلَا أَقْنَى عُلاهُ فَنَاءُ
 عَلَى كُلِّ حَيٍّ فِي الْأَنَامِ ثَوَاءُ
 ...^١ مِنْهُمْ لِذَلِكَ هَوَاءُ
 وَجَاوَرَتْ جَاراً فِي حِمَاهُ كِلَاءُ
 وَجَارُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حِمَاءُ
 مِنَ اللَّهِ مَخْصُوصٌ بِهَا الشُّهَدَاءُ
 فَيَا طَيْبِيَّةَ عِنْدَ الْمَمَاتِ ...^٢
 سَحَابٌ مُزْنٍ غَيْثُهُنَّ رَوَاءُ

تَحَلَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ جِلْيَةٍ
 فَلَمَّا مَضَى لَمْ يَبْقَ لِلدَّهْرِ رَوْنُقُ
 مَتَى تُخْلِفُ الْأَيَّامُ مِثْلَ جَمَالِهِ
 لَقَدْ عَقَمَتْ عَنْ مِثْلِهِ كُلَّ حُرَّةٍ
 أَلَا مَنْ لِحَلِّ الْمَشْكَلاتِ تَعَقَّدَتْ
 وَمَنْ لَضَعِيفِ حَيَّرِ الدِّينُ قَلْبَهُ
 وَمَنْ لَمَرِيضِ الْقَلْبِ يَلْتَمِسُ الْهُدَى
 وَمَنْ ذَا لَقَمَعَ الْمَلْجِدِينَ يَعْزَمُهُ
 أَدْلَتُهُ تَجَلِي الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى
 فَتَى غُيِّبَتْ عَنَّا مَحَاسِنُ وَجْهِهِ
 فَمَا غُيِّبَتْ عَنَّا مَحَاسِنُ فَضْلِهِ
 تَصَانِيفُهُ فِينَا كَوَاكِبُ أَشْرَقَتْ
 قَوَاعِدُ عِلْمٍ لَا تُهْدَمُ رُكْنُهُ
 سَرَى ذِكْرُهُ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
 تَجَمَّلَتْ الْأَيَّامُ حَيَاتاً وَمَيَّاتاً
 فَلَوْ كَانَ يُفْدَى بِالنَّفُوسِ بَقَاؤُهُ
 وَمَا مَاتَ مَنْ أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ ذِكْرُهُ
 فَلَا يَشْمَتُ الْأَعْدَاءُ يَوْمَكَ إِنَّهُ
 فَكَمَ مِنْ شَجَى أَبْقَيْتَ فِي لَهَوَاتِهِمْ
 لَقَدْ عَشَّتْ فِي الدُّنْيَا سَعِيداً مُوَفَّقاً
 وَلِيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَارُهُ
 فَلَا تَحْسَبْنَهَا مَيِّتَةً بَلْ كِرَامَةٌ
 لَيْهِنِكَ هَذَا الْمَجْدُ حَيَاتاً وَمَيَّاتاً
 سَقَى اللَّهُ قَبِراً أَنْتَ فِيهِ مُوسَّدُ

١. هنا كلمات لا تقرأ.

٢. هنا كلمة لا تقرأ.

ولا حُجِبَتْ عَنْهُ صَلَاةٌ وَرَحْمَةٌ
 فَقَوْلِي لِفَخْرِ الدِّينِ^١ وَالْمَاجِدِ الَّذِي
 تَقَفُّ ... لَسْتُ دُونَهُ^٢
 وَمَا مَاتَ لَيْثٌ أَنْتَ فِي النَّاسِ شَبْلُهُ
 وَلَا أَنْهَدٌ مَجْدٌ وَالْعَمِيدُ^٣ عِمَادُهُ
 وَلَا أَظْلَمْتُ سُبُلَ الْمُعَالِي وَلَا وَجَّتُ
 وَأَنْتُمْ نُجُومٌ لِلْأَنَامِ ثَوَاقِبُ^٤
 مِنَ اللَّهِ يَأْتِيهِ بِهَا السُّفْرَاءُ
 عَلَيْهِ مِنَ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ رِدَاءُ
 فَبَيْكَ لَمَّا تَرَجَّوهُ مِنْكَ غَنَاءُ
 وَلَا خَابَ لِلْمُسْتَرَشِدِينَ رَجَاءُ
 وَلَا بَلَغَتْ نَبَأُ الْمَنَى الْبُعْضَاءُ
 وَعِنْدَكَ مِنْ وَجْهِ الضِّيَاءِ^٥ ضِيَاءُ
 يُقَصِّرُ عَنْ أَشْكَالِهَا النَّظْرَاءُ^٥

٢ . قافية الباء

من السريع:

من قوله في مسامرة ابن الجوزي في قوله:

أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ وَآلِهِ
 إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ مَذْهَبُهُ مَذْهَبِي
 أَلَيْتَ أَلْقَى بِهَا رَبِّي
 إِمَامُ أَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ
 فَإِنَّهُ أَنْجَسُ مِنْ كَلْبِ

فقال الشهيد عليه السلام:

لَأَنَّهُ صِنُونُ نَبِيِّ الْهُدَى
 وَقَدْ وَقَاهُ فِي^٦ جَمِيعِ الرَّدَى
 وَالنَّصُّ فِي الذِّكْرِ وَفِي «إِنَّمَا»
 مَنْ لَمْ يَكُنْ مَذْهَبُهُ هَكَذَا
 مِنْ سَيْفِهِ الْقَاطِعِ فِي الْحَرْبِ
 بِنَفْسِهِ فِي الْخِصْبِ وَالْجَدْبِ
 وَلِئِيكُمْ^٧ كَافٍ لِيذِي لُبِّ
 فَإِنَّهُ أَنْجَسُ مِنْ كَلْبِ^٧

١. ابن العلامة الحلبي عليه السلام.

٢. هنا كلمة لا تقرأ.

٣. عميد الدين ابن أخت العلامة عليه السلام.٤. ضياء الدين ابن أخت العلامة عليه السلام.

٥. مجموعة الجباعي، الورقة ١٧؛ غاية المراد، ج ١، ص ٢٦-٢٧، مقدمة التحقيق.

٦. في البحار، وأعيان الشيعة: «من» بدل «في».

٧. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨؛ شهداء الفضيلة، ص ٨٧-٨٨؛ روضات الجنات، ج ٧، ص ١٥؛ أعيان الشيعة،

٣ . قافية التاء

من البسيط :

يموتُ قومٌ ويُحيي العلمُ ذكرَهُمُ والجهلُ يُلحِقُ أحياءَ بأمواتِ^١

٤ . قافية الحاء

من الطويل :

جَبِلْتُ على حُبِّ النبيِّ وآله ولاطٌ بقلبي بلُ بِكُلِّ جوارحي
ومدحُهُمُ دأبي وليسَ ببالغٍ ما تَزَهُمُ حَقًّا ولا مَدَحَ مادِحِ^٢

٥ . قافية الدال

من الكامل :

وله في مناقضة هذين البيتين لبعض النواصب :

قول الروافضِ : «نحنُ أَطيبُ مولداً» قولُ جَرِيٍّ بِخلافِ دينِ مُحَمَّدٍ
نَكَحُوا النساءَ تَمَتُّعاً فَوَلَدَنَ مِنْ تِلْكَ النساءِ فَأَيْنَ طيبُ المولِدِ!^٣
فكان ردّه عليه :

إِنَّ التَّمَتُّعَ سُنَّةٌ مورودَةٌ وَرَدَ الكِتابُ بها ودينُ مُحَمَّدٍ
وَرَوَى الرواةُ بأنَّ ذلكَ قَدْ جَرِيَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ في زمانِ مُحَمَّدٍ
ثُمَّ اسْتَمَرَّ الحالُ في تَحْلِيلِها قَدْ صَحَّ ذلكَ مِنْ حديثِ المسنِدِ

→ ج ١٠، ص ٦٣؛ الطليعة في شعراء الشيعة، ج ٢، ص ٢٩١-٢٩٢، وفيه:

لأنّهُ صِنُّو نَسَبِيَّ الهُدَى ورحمُهُ المخصوص في القربِ
وقد وقاه في جميع الوري بنفسه في اليلم والحربِ

١. مختصر نسيم السحر، انظر ملاحق هذا الكتاب.

٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧ ألف؛ غاية المراد، ج ١، ص ١٩٠، مقدّمة التحقيق.

٣. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٦، نقل بيتين في الجواب، مختصر نسيم السحر، وفيها خمسة أبيات في الجواب.

انظر ملاحق هذا الكتاب. وفي كشكول البحراني: «ذاك النكاح» بدل «تلك النساء».

عَنْ جَابِرٍ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَنْ
حَسْتَى نَهَى عُمَرَ بِغَيْرِ دَلَالَةٍ
لَكِنْ مَوَالِيدِ النُّوَاصِبِ جَدَّدَتْ
لَفَّ الْحَرِيرِ عَلَى الْأَيُورِ وَعَمَّسُهَا
نَقَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ الْكَرِيمِ الْمَوْلِدِ
عَنْهَا فَكَدَّرَ صَفْوَةَ ذَلِكَ الْمَوْرِدِ
دِينَ الْمَجُوسِ فَأَيْنَ دِينَ مُحَمَّدٍ
فِي الْأُمْتَهَاتِ دَلِيلُ طَيْبِ الْمَوْلِدِ! ١

من الكامل:

ومن خطّه:

إِنِّي بِحُبِّ مُحَمَّدٍ وَوَصِيهِ
وَقَصَّدْتُ بِإِبْكَ طَالِبًا بَوْلَانِهِمْ
فَبِحَقِّ أَحْمَدَ وَالْبَتُولِ وَبَعْلَاهَا
وَإِثْنُ عَلَيٍّ بِرَحْمَةٍ أَنْجُو بِهَا
وَبَيْنَهُمَا يَا رَبِّ قَدْ عَلِقَتْ يَدِي
حُسْنَ الْكِرَامَةِ يَوْمَ أُبْعَثَ فِي غَدِ
وَبَنِي عَلِيٍّ لَا تُخَيِّبْ مَفْضِدِي
يَوْمَ الْحِسَابِ بِحَقِّ آلِ مُحَمَّدٍ ٢

من الوافر:

في تهنئته لتلميذه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد العالي الكركي:

قَدِمْتُ بِطَالِعِ السَّعْدِ السَّعِيدِ
وَأُخَيِّتَ الْقُلُوبَ وَكَانَ كُلُّ
نَعِمْتٍ بِحِجِّ بَيْتِ اللَّهِ حَقًّا
وَزُرْتُ الْمَصْطَفَى وَبَنِيهِ حَتَّى
وَعَاوَدْتُ الْأَقَارِبَ فِي نَعِيمٍ
وَدَامَ لَكَ الْهِنَاءُ بِهِمْ وَدَامُوا
فَلَوْ حُلِّفَتْ حَاكِيَتَ الْمَثَانِي
وَإِنِّي مَشْفُوقٌ وَالْعَزْمُ مِنِّي
وَحَيَاكَ الْقَرِيبُ مَعَ الْبَعِيدِ
مِنَ الْأَصْحَابِ بَعْدَكَ كَالْفَقِيدِ
وَبُلِّغْتَ الْأَمَانِي فِي الصُّعُودِ
وَصَلَّتْ إِلَى الْمَكَارِمِ وَالسُّعُودِ
مِنَ الرَّحْمَنِ أُتْبِعَ بِالْخُلُودِ
مَعَ الْأَيَّامِ فِي رَغَمِ الْحُسُودِ
بِطَاعَةِ وَالِدِ رَوْفٍ وَدُودِ
لِقَاؤِكَ مِنْ قَصِيرٍ أَوْ مَدِيدٍ ٣

١. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٦، وفيه: «ورد الكتاب بردّ دين محمد» والصواب ما أثبتناه: كشكول البحراني،

ج ٣، ص ٢٠١، وفيه سبعة أبيات في الجواب، وقال قبل نقل الأبيات: «فأجابته الشهيد وقيل: السيّد المرتضى».

٢. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣، نقلًا عن مجموعة الجباعي.

٣. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧، بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٩؛ روضات الجنّات، ج ٧، ص ٧-٨؛ غاية

المراد، ج ١، ص ٢٢٨، مقدّمة التحقيق.

٦. قافية الراء

من البسيط :

يخاطب بها بيدمر حاكم دمشق عندما حبسه في قلعة دمشق بتهمة وجهها إليه أعداؤه :

يا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ بَيْدَمْرُ
بكم خوارزم والأقطار تَفْتَخِرُ
إِنِّي أُرَاعِي لَكُمْ فِي كُلِّ آوْنَةٍ
وما جَنَيْتُ لِعَعْرِي كَيْفَ أَعْتَدِرُ؟
لَا تَسْمَعَنَّ فِيَّ أَقْوَالَ الْوُشَاةِ فَقَدْ
باؤوا بزورٍ وإفكٍ لَيْسَ يَنْحَصِرُ
وَاللَّهِ وَاللَّهِ أَيَّمَانًا مُؤَكَّدَةً
إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْإِفْكِ الَّذِي ذَكَرُوا
عَقِيدَتِي مُخْلِصًا حُبُّ النَّبِيِّ وَمَنْ
أَحَبَّهُ وَصَحَابَ كُلُّهُمْ غُرُرُ
يَكْفِيكَ فِي فَضْلِ صِدِّيقٍ وَصَاحِبِهِ
فَارُوقِهِ، الْحَقُّ فِي أَقْوَالِهِ عَمْرُ
جَوَارِ أَحْمَدَ فِي دُنْيَا وَآخِرَةِ
وَالْخَيْرُ عَثْمَانُ وَالْمَنْعُوتُ حَيْدَرَةُ
سَعْدَاهُمُ وَابْنُ عَوْفٍ ثُمَّ عَاشِرُهُم
وَالْفَقْهُ وَالنَّحْوُ وَالتَّفْسِيرُ يَعْرِفْنِي
فَكَنْ كـ«مَنْجَك» بَلَّ اللَّهُ أَعْظَمَهُ
أَتَى إِلَيْهِ رِوَاةُ السُّوءِ إِذْ أَفَكُوا
أَمِيرٌ حَاجِبٍ نَجْلِ الْعَسْكَرِيِّ لَهُ
وَاللَّهِ مَا مَسَّنِي مِنْهُ مَقَابِلَةٌ
لَأَتْنِي وَإِلَهُ الْعَرْشِ مُفْتَقِرُ
لَا أَسْتَعِيثُ مِنَ الضَّرَاءِ يَعْلَمُ ذَا

١. الأبيات الخمسة الأولى كتبها أيضاً تلميذ الشهيد الثاني الشيخ محمود اللاهجاني في مجموعة له، الورقة ٤١، وقال قبل نقلها: «منظومة للشيخ شمس الدين محمد بن مكِّي ؑ في بيدمر لما حبسه في قلعة دمشق» والمصرع الأول من البيت الثاني فيها: «إني لداخ لكم» بدل «إني أراعي لكم». وهذه الأبيات الخمسة وردت أيضاً في المخطوطة المرقمة ٨٩١٢ المحفوظة في مكتبة الروضة الرضوية، الورقة ٧٩.

فامُنُّنُ أميرِي ومُخدومي على رجلٍ
 في كلِّ عامٍ لنا حَجٌّ وكان لنا
 محمَّدُ شاهِ سلطانِ الملوكِ بقي
 ثمَّ الصلاةُ على المختارِ سيِّدنا
 واغتمَّ دعائي سِراراً بعد إذ جَهِروا
 في خدمةِ النجلِ في ذي العامِ مُختصر
 ممتعاً بِحماكمُ عُمُرُهُ عُمُرُ
 والآلِ والصَّحْبِ طُرّاً بَعْدَهُ زُمُرُ

خدمة المملوك المظلوم والله محمد بن مكّي الشامي^١

من الطويل:

شُغِلْنَا بكسبِ العلمِ عن طلبِ الغنى
 فصارَ لهم حَظٌّ مَن الجَهِلِ والغنى
 كما شُغِلُوا عن مَطَلَبِ العلمِ بالوفْرِ
 وصارَ لنا حَظٌّ مَن العلمِ والفَقْرِ^٢

١. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٨ - ١٩؛ الروضة البهيّة، ج ١، ص ١١٨. قال صاحب الروضات رحمه الله في روضات الجنّات (ج ٧، ص ١٩) قبل نقله لهذه الأبيات: «إني رأيتُ بخطِّ شيخنا الشهيد الثاني رحمه الله على ظهر مجموعة من الرسائل النفيسة كان جميعاً بخطِّه الشريف يقيناً رواية منظومة للشّيخ الشهيد شمس الدين بن مكّي رحمه الله - في بيدم لما حبسه في قلعة دمشق - بهذه الصورة» وقال بعد نقلها فيه: (ج ٧، ص ٢٠-٢١): «ثمّ إني بعد ما نقلت هذه القصيدة الفرعية لحضرتة المظلومة الشهيدية عن خطِّ شيخنا الشهيد الثاني رحمه الله جعلتُ أفكّر في جهة مشروعية هذه الأيمان المغلظة منه على أنّه بريء مما اتهموه به من مذهب الإمامية وعلى أنّ عقيدته حبّ النبيّ المصطفى وأصحابه والعشرة المبشرة، مع أنّ أكثرهم هالكون باعتقاده، إلى أن اتفق لي يوماً مطالعة كتاب التبر المذاب في منقبة الآل والأصحاب للسيد أحمد بن محمد الحافي الحسيني الشافعي، فوجدته يقول بعد ذكره الصحابة وبيان أنّ اعتقاده وجوب محبتهم جميعاً، والتأسي بهم... وقد حسن أن أقول:

عقيدتي مُخلصاً حُبُّ النبيّ ومَن أحبُّه وصحاب كُلمهم غرُرُ

إلى قوله:

أبو عبّيدة قومٌ بالتقى افتخروا

ومع زيادة قوله:

رضوانُ ربّي عليهم كُلمًا طَلَعَتْ شمسُ النهارِ وضاءِ النجمِ والقمرِ

فانكشف لي أنّها كانت من أشعار هذا الرجل الشافعي دون قدوتنا الشهيد محمد بن مكّي، كما شهد بذلك أيضاً قوله بعد إيرادها لتتام هذه الأبيات:

وعليه فالظاهر أنّ الشهيد رحمه الله جعل قوله: (عقيدتي مخلصاً إلخ) من قبيل بدل الجملة من المفرد أو بالعكس، وذلك بأن يكون المبدل منه هاء الوافك الذي ذكروا، أو في موضع المفعول من الفعل المذكور، فيصير المعنى: إني والله والله بريء من هذه العقيدة... التي ذكروها بهذه الكيفية المنظومة.

وهذا من جملة لطيف التدبير وإعمال مثل المعجزة في مقام التحبير، ولا يمكن إلاّ بإرادة إله خبير أو إجابة من إرادة عليّ كبير.

٢. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣. هذان البيتان منسوبان إلى محمود الوراق ومذكوران في ديوانه.

من الطويل:

أَلَمْتُ بِنَا وَاللَّيْلِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ
فَقَلْتُ لَهَا مَنْ أَنْتِ قَالَتْ تَعَجَّبًا
أَنَا الْفِضَّةُ الْبِيضَاءُ قَدْ نَالَهَا جَوَى
فَبَيْنَنَا عَلَى رَغَمِ الْحَسُودِ وَبَيْنَنَا
حَدِيثٌ لَوْ أَنَّ الْمَيِّتَ يُرْتَى بِبَعْضِهِ
فَوَسَّدْتُهَا زَنْدِي وَبِتُّ ضَجِيعَهَا
فَلَمَّا أَضَاءَ الصَّبِيحُ فَرَّقَ بَيْنَنَا
(أَمَا وَالَّذِي أَبْكِي وَأُضْحِكُ وَالَّذِي
لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أُرَى
(وَيَا حَبِّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ
عَجِبْتُ لَسْعِي الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لَذَكَرَاكَ هَزَّةً

وَلَا حَ لَنَا شَمْسٌ وَقَدْ طَلَعَ الْبَدْرُ
وَهَلْ سَائِلٌ لِلْبَدْرِ مَنْ أَنْتِ يَا بَدْرُ
أَنَا الْكُوكَبُ الدَّرِّيُّ أَنَا الْكَاعِبُ الْبِكْرُ
حَدِيثٌ كَنْشِرِ الْمَسْكِ شَيْبَ بِهِ خَمْرُ
لَأَصْبِحَ حَيًّا بَعْدَمَا ضَمَّمَهُ الْقَبْرِ
وَقَلْتُ لِإِلْيَلي طُلُّ فَقَدْ رَقَدَ الْبَدْرُ
وَأَيُّ نَعِيمٍ لَا يَكْدُرُهُ الدَّهْرُ
أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمْرُهُ الْأَمْرُ
أَلَيْفَيْنِ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا ذُعْرُ
وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ
فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
كَمَا انْتَفَضَ الْعَصْفُورُ بِلَلِّهِ الْقَطْرِ)^٢

من البسيط:

لَمَّا دَنَّتْ دَارَ مَنْ أَهْوَى وَبَدَّلْنَا
شَكَرْتُ رَبِّي وَحَالَ الْحَالُ مُبْتَهَجًا
رَبُّ الْبَرِّيَّةِ بَعْدَ السَّفَرِ بِالْحَضَرِ
يَا أَوَّلَ الصَّفْوِ هَذَا آخِرَ الْكَدْرِ^٣

١. في شهداء الفضيلة: «وما طلعت شمس وما طلع البدر، على رواية صاحب الخزانين».

٢. كشكول البحراني، ج ٢، ص ١٤٩ - ١٥٠، شهداء الفضيلة، ص ٨٦. وفيه: «ضُمَّتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بَعْضَ آيَاتٍ مِنْ قَصِيدَةِ الْهَذَلِيِّ الشَّاعِرِ الْعَرَبِيِّ الْجَاهِلِيِّ وَقَدْ وَضَعْنَاهَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ». وانظر الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي في المصادر العربية، ص ٤٤ - ٤٥. ونُسبت الآيات الثلاثة الأولى في شعراء الغري، ج ٣، ص ١٢٨، إلى الشيخ حسن آل مكي، نقلًا عن صاحب الحصون. والظاهر أن هذه النسبة خطأ.

٣. مجموعة الجباعي، ج ٢، الورقة ٦٣.

قال شرف الدين محمد مكي حفيد الشهيد:

مما قد رأيتُه في جزيْنِ على حائِطٍ مِنْ بيوتِ الشهيد الشريفِ شمسِ الدينِ محمدِ بنِ
شرفِ الدينِ مكيِّ المطلبيِّ ثمَّ الحسنِي:

من البسيط:

و جَاوِرِينَا رِعَاكَ اللّٰهُ مِنْ جَارِ) يَا نِعْمَةَ اللّٰهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا
وَالسَّعْدُ يَخْدُمُنَا فِي هَذِهِ الدَّارِ) وَاشْتَقْبَلِينَا بِأَيَّامٍ مُّبَارَكَةٍ
فَاللّٰهُ يَخْرُسُنَا مِنْ ذَلِكَ الْجَارِ^١) وَإِنْ يَكُنْ جَارٌ سُوءٍ فَهِيَ [كَذَا] يَحْسُدُنَا

٧. قافية العين

من المتقارب:

دمشقَ دمشقَ فلا تَأْتِهَا) وَإِنْ غَرَكَ الْجَامِعُ الْجَامِعُ
فَسُوقُ الْفُسُوقِ بِهَا قَائِمٌ) وَفَجَزُ الْفُجُورِ بِهَا طَالِعُ^٢

٨. قافية الفاء

من البسيط:

قصيدة في العرفان والأخلاق والتقوى وذمّ طريقة المتصوّفة^٣:
بِالشُّوقِ وَالدُّوقِ نَالُوا عِزَّةَ الشَّرْفِ) لَا بِالْدُفُوفِ^٤ وَلَا بِالْعَجَبِ وَالصَّلْفِ
وَمَذْهَبُ الْقَوْمِ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ) بِهَا تَخَلَّقَتِ الْأَجْسَادُ فِي النُّطْفِ

١. سفينة شرف الدين محمد مكي، الورقة ٧ ب. والبيت الأول منسوب إلى أبي نواس مع بعض الاختلاف.

٢. الفوائد الرضوية، ص ٦٤٨، وفيه: «وينسب إليه»: أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢، ذكر في الحاشية عن نسخة: «لا أعلم هل هي للشهيد أم لغيره؟».

٣. قال العلامة السيد حسن الأمين رحمته الله في الشهيد الأول: محمد بن مكي، ص ٩٣ قبل نقله لهذه القصيدة: «ومن شعره قصيدته الفائية التي تصوّر ما كانت عليه حال المسلمين من تسلّط شيوخ الصوفيّة على الحياة الإسلاميّة ما وصفه الدكتور جعفر خصباك في كتابه: العراق في عهد المغول الإيلخانيين، قائلاً: نشطت الصوفيّة الممتزجة بالخرافة فأبعدت الناس عن تفهّم واقعهم المرير وأشغلتهم بخيالات غريبة وأوهام مضلّلة. فكان من رسالة محمد بن مكي الوقوف في وجه هؤلاء والعودة بالإسلام إلى صفاته وتقائه...».

٤. في الاثنا عشرية: شهداء الفضيلة وروضات الجنّات: «الدلوف».

صبرٌ وشُكْرٌ وإِثَارٌ وَمَخْمَصَةٌ
 والزهدُ في كلِّ فإِنْ لا بقاءَ له
 قومٌ لتصفيةِ الأرواحِ قد عملوا
 ما ضرَّهم رثُ أطمارٍ ولا خَلْقٍ
 لا بالتخلُّقِ بالمعروفِ تعرفهم
 يا شِفوتي قد تولَّتْ أُمَّةٌ سَلَفَتْ
 يُنَمِّقونَ تَزَاوِيرَ الغُرورِ لنا
 ليسَ التصوِّفُ عُكَّازاً ومُسَبِّحَةً
 وأن تَرُوحَ وتَغْدُو في مُرَقَّعَةٍ
 وتُظهِرَ الزهدَ في الدنيا وأنتَ على
 الفقرِ سرٌّ وعنكَ النفسُ تحجبه
 وفارقِ الجَنَسَ واقْرِ النفسَ في نَفْسِ
 واثُلِ المِثاني ووَحِّدْ إنْ عَزَمْتَ على
 واخضَعْ له وتَذَلَّلْ إذ دُعِيَتْ له
 وقفْ على عرفاتِ الذلِّ مُنكسِراً
 وادخُلْ إلى خَلوةِ الأفكارِ مَبْتَكِراً
 وإن سَقَاكَ مَديرُ الرَاحِ من يده
 واشربْ وأسِقِ ولا تَبْخَلْ على ظمإٍ

وَأَنْفُسٌ تَفْقَعُ الأَنْفَاسَ بِاللَهْفِ
 كما مضتْ سُنَّةُ الأَخْيَارِ والسلفِ
 وَأَسْلَمُوا عَرَضَ الأَشْبَاحِ للتَلْفِ
 كالدَّرِ حاضره مُخْلَوِقُ الصدفِ^١
 ولا التكلِّفِ في شيءٍ من الكَلْفِ
 حتَّى تَخَلَّفْتُ في خَلْفٍ مِنَ الخلفِ
 بِالزُّورِ والبَهِتِ والبَهِتانِ والسرفِ
 كلاً ولا الفِقرُ رُؤيا ذلكَ الشرفِ
 وتحتها موبقاتُ الكِبَرِ والسرفِ
 عَكُوفِها كعكوفِ الكَلْبِ في الجِيفِ
 فارفَعْ حِجابَكَ تجلُّ ظُلْمَةُ التَلْفِ
 وغبْ عن الحُسْنِ^٢ واجلبُ دَمْعَةَ الأَسْفِ
 ذكِرِ الحبيبِ وصِفْ ما شئتَ واتصِفِ
 واعرفْ محلَّكَ من أباكِ واعترفِ
 وحولَ كعبَةِ عرفانِ الصفا فطَفِ
 وعُدْ إلى حانَةِ الأذكارِ بالصُحْفِ
 كأسَ التجلِّيِّ فَخُذْ بالكأسِ واعترفِ
 فإن رَجَعْتَ بلا رِيٍّ فوا أسفي^٣

١. في أعيان الشيعة: «الصلف».

٢. في بعض المصادر: «عن الحسن».

٣. الاثنا عشرية، ص ٣٣؛ شهداء الفضيلة، ص ٨٩؛ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣؛ روضات الجنات، ج ٧، ص ١٢؛ سفينة شرف الدين محمد مكِّي الورقة ٧ ب - ٨ ألف. الروضة البهية، ج ١، ص ١١٧ - ١١٨. قال العلامة السيد حسن الأمين رحمته الله في الشهيد الأول: محمد بن مكِّي، ص ٩٥، بعد نقله لهذه القصيدة: «وقيمة هذا الشعر ليست في ناحيته الفنية، ونحن لم نأخذ به للدليل به على شاعرية محمد بن مكِّي، وإنما قيمته أنه صورة من صور عصر ناظمه، ونحن لا ندعي لصاحبه بالشاعرية المجيدة، وإنما نستدل به على ما كان يعمل في نفس صاحبه من التفكير في مصائب الأمة ووصف عللها والدعوة إلى إصلاح ما اعترى حياتها من خلل، والتصدي لذلك والدعوة إلى مقاومته والخروج عليه».

من المتقارب:

وحكى له السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله هذا البيت ويُقرأ على وجوه كثيرة:

لِقَلْبِي مَلِيحٌ ظَرِيفٌ بَدِيعٌ جَمِيلٌ رَشِيقٌ لَطِيفٌ

فإنه - كما قيل - يُقرأ بحسب تغيير ألفاظه على أربعين ألف وجه وثلاثمائة وعشرين وجهاً، وتوجيه ذلك أن اللفظتين الأولتين لهما صورتان، فإذا ضربتا في مخرج الثالث صارت ستاً، فإذا ضربت في مخرج الرابع صارت أربعاً وعشرين، فإذا ضربت في مخرج الخامس صارت مائة وعشرين، فإذا ضربت في مخرج السادس فسبعمائة وعشرون، فإذا ضربت في مخرج السابع فخمسة آلاف وأربعون، ثم في مخرج الثامن تبلغ ما قلنا^١.

من الخفيف:

كُنْ صَبُوراً وَظُنَّ خَيْراً فَلِلَّهِ هُ خَفَايَا يُسْعَى لَهَا وَيُطَافُ
بَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي مَعِيشَةٍ سَوْءٍ إِذْ أَتَتْهُ مِنْ رَبِّهِ الْأَلطَافُ^٢

٩ . قافية القاف

من الخفيف:

كُنْتُ قَبْلَ الْهُوَى حَلِيفَ الْمَعَالِي وَلَا أَعْلَامَهَا عَالِيَّ خُفُوقٌ
نَقَصْتَنِي زِيَادَةَ الْحُبِّ حَتَّى أَدْرِكَانِي الْمَرِيخُ وَالْعِيُوقُ^٣

قال صاحب الرياض:

رأيت في مجموعة بأردبيل - وكانت بخطوط علماء جبل عامل - أن هذا الشيخ [يعني

١. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣.

٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧.

٣. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣. نسب هذان البيتان إلى عبد الباقي العمري وذكرنا في ديوانه مع اختلاف في بعض الألفاظ.

تلميذ الشهيد: شمس الدين محمد بن علي بن الضحاك الشامي [كتب إلى الشهيد - حين إرادة شمس الدين المذكور الشروع في استنساخ التحرير ولم يكن عنده ورق - بهذه الأبيات:

من البسيط:

يا سيِّداً حاسدوه للعناء لقوا
بدأت في نسخة التحرير مجتهداً
مما لم..^١ من عظيمة وشقوا
أننى ليحصل لي في شرعه ورق
لأنه عند وزن المال يختنق
وابن جعفر ما لي فيه من أرْب

فأجابه الشهيد عليه السلام بقوله:

من البسيط:

كُن في التوكُّل ذا صدقٍ وذا ثقةٍ
ولا تَضيقَنَّ صدرًا عند نائبةٍ
قد فاق قومٌ على [قوم بما] صدقوا
فالله كافيٌ لِرِزْقِ الخلقِ مُدَّ خُلِقُوا
لا تَطْلُبُنَّ مِنْ عبيدِ الله ما لَهُمُ
واطلُبْ مِنَ الله تَلَقَّ الخَيْرَ حَيْثُ لَقُوا
وَنَزَّهَ النَّفْسَ عَن ذُلِّ وَعَن طَمَعِ
فَكَمْ أَناسٍ بأَطْماعِ عَنانوا فَشَقُوا
خُذِ القِئانَةَ صَفْواً حَيْثُما وُجِدَتْ
كَلِّ المِشارِبِ فِيهِ الصَّفْوَ والرَّنقُ^٢

ومن قصيدة قد كتبها لأهل بيته وولده وهو في قلعة الشام مطلعها:

من الطويل:

سَلامٌ على أهلي ووُلدي وأسرتي
سَلامٌ مُجِيبٌ والفُؤادُ مَشوقٌ
ومنها:

فأوصيكمُ بالصبر والخير والتُّقى
وحسن الثنا في العالمين يَشوقُ
وبالألفِ فيما بينكم وبِحفظكم
لأولادكم حِفْظاً عليه يَفوقُ

١. كذا في المصدر.

٢. رياض العلماء، ج ٧، ص ١٤٩ - ١٥٠.

ومنها:

فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِثْلَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ تَزُولَا سَرِيعاً وَالْجَمِيلُ يَرُوقُ
وَمَا العَمْرُ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ وَمِثْلَ خِيَامٍ [كَذَا] الظِّلُّ حِينَ يَفُوقُ

ومنها:

تَسَلَّوْا بِمَا قَدْ حَلَّ بِالرُّسُلِ قَبْلَنَا فَفِيهِ لِمَنْ رَامَ السَّلْوَ طَرِيقُ
فَكَمْ نَالَهُمْ هَمٌّ وَغَمٌّ وَكُرْبَةٌ وَقَتْلٌ وَسَجْنٌ وَابْتِلَاءٌ وَمَضِيقُ
وَتَسْأَلُ رَبَّ العَرْشِ تَجْمِيعَ شَمْلِنَا فَرُحْمَاهُ فِينَا عَالَمٌ وَرَفِيقُ
وَيَحْزُنُكُمْ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ يَشِينُكُمْ وَ... عَنْكُمْ حَاسِدٌ وَفَسُوقُ
وَيَجْعَلُ جَنَاتِ النِّعَمِ مَقَرَّكُمْ ففِيهَا حَيَاةَ المُكْرَمِينَ تَرُوقُ^١

١٠. قافية اللام

من الطويل:

وَلَا أُبْتَغِي الدُّنْيَا جَمِيعاً بِمَنَّةٍ وَلَا أُشْتَرِي عِزَّ المَوَاهِبِ بِالدَّلِّ
وَأُعَشِّقُ كَحَلَاءِ المَدَامِعِ خِلْقَةً لئَلَّا أَرَى فِي عَيْنِهَا مِنَّةَ الكُحْلِ^٢

وقال الشيخ محمود اللاهجاني تلميذ الشهيد الثاني في مجموعة له:

نقلته من خطِّ الشيخ [يعني الشهيد الثاني] [سَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى] قَالَ: نَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّهِ [يعني
الشهيد الأول]: «مِمَّا نَظَّمَهُ الضَّعِيفُ مُحَمَّدُ بْنُ مَكِّيٍّ فِي أَعْمَارِ النَّبِيِّ وَالْأَتَمَّةِ الْإِثْنِي عَشَرَ
وَمَوَالِدِهِمْ وَوَفَاةٍ مِنْ تُوفِّي مِنْهُمْ».

ثم ذكر أربعة عشر بيتاً يصعب تحقيقها وفهمها جداً، تبدأ بهذا البيت:

تَقْبَلُ تَوَارِيخَ النَّبِيِّ وَرَهْطَهُ لَدَى الجَمَلِ المَعْرُوفِ وَالوَاوِ فَيَصِلَا^٣

١. مختصر نسيم السحر، انظر ملاحق هذا الكتاب.

٢. نُسِبَ هَذَا البَيْتَانِ فِي مَصَادِرٍ مُتَعَدِّدَةٍ إِلَى الشَّهِيدِ، مِنْهَا شَهَدَاءُ الفُضَيْلَةِ، ص ٨٩؛ رِيحَانَةُ الأَدَبِ، ج ٣، ص ٢٧٧،
وَلَكِنْ نُسِبَ فِي قِيَمَةِ الزَّمَنِ عِنْدَ العُلَمَاءِ، ص ١٥٦ إِلَى أَبِي نَصْرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ الرَّؤُوفِيِّ، وَفِيهِ: «وَلَا أَقْبَلُ الدُّنْيَا» وَ
«عِزَّ المَرَاتِبِ»، وَ «لِلْأَثَرِيِّ».

٣. مجموعة اللاهجاني، الورقة ٣٠٣.

١١ . قافية الميم

قال السيّد عليّ خان المدني رحمته الله:

قال شيخنا محمّد بن مكّي المعروف بالشهيد الأول (قدّس الله روحه): «الشهداء الذين
بعذراء دمشق -الذين قتلهم معاوية بعد أن بايعوه وأعطاهم اليهود والمواثق -: حجر بن
عديّ الكندي، حامل راية النبي صلى الله عليه وآله، وولده همّام، وقبيصة بن ضبيح العبسي، وصيفي بن
فسيل، وشريك بن شدّاد الحضرمي، ومحرز بن شهاب السعدي، وكرام بن حيّان
العبيدي، كلّهم في ضريح واحد في جامع عذراء.
أنشدني خادمهم هذه الأبيات:

جماعة بترى عذراء قد دُفِنوا وهُمْ صِحَابٌ لَهُمْ فَضْلٌ وَإِعْظَامُ
حجرٌ قبيصة صيفي شريكهم ومحرز ثمّ همّام وكرام^١
عليهم ألف رضوانٍ ومكرمة ترى تدوم عليهم كلّما داموا^٢
قال محمّد بن مكّي (رضوان الله عليه): «فزدت بيتاً:

ومثلها لَعَنَاتٌ لِلذّي سفكوا دِماءَهُم وَعَذَابٌ بِالذّي استاموا^٢.

١٢ . قافية النون

من الكامل:

عَظُمَتْ مُصِيبَةٌ عَبْدَكَ الْمَسْكِينِ فِي نَوْمِهِ^٣ عَنْ مَهْرٍ حُورِ الْعَيْنِ
الأولياءُ تَمَتَّعُوا بِكَ فِي الدُّجَى بَتَهَجْدٍ وَتَخْشَعٍ وَحَنِينِ
فَطَرَدْتَنِي عَنْ قَرَعِ بَابِكَ دُونَهِمْ أَتْرَى لِعَظْمٍ جِرَائِمِي سَبَقُونِي

١. كذا، وفي أكثر المصادر: «كدام»، بالدال، بدل «كرام» وقال العلامة السيّد محسن الأمين رحمته الله في أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٥٨٢: «أقول: الذي في النسخة المنقول عنها من الدرجات: «كرام» بالراء، ولا شك أنّها كانت كذلك في نسخة الشهيد بدليل ما في الأبيات. وكان الشهيد أخذ اسمه من الأبيات، والذي وجدناه في سائر الكتب: «كدام» بالدال، ولعله هو الصواب، وإن كان كلٌّ من «كرام» و«كدام» موجوداً في الأعلام العربية. والذي في الدرجات الرفيعة: «العبيدي» وفي غيره: «الغنوي». وقول هذا الشاعر: «وهم صحابٌ» إن أراد به أنّهم صحابيون فليس بصواب؛ إذ ليس فيهم من الصحابة غير حجرٍ».

٢. الدرجات الرفيعة، ص ٤٢٨.

٣. في روضات الجنّات وشهداء الفضيلة: «نوعه»، وهو خطأ.

أَوْجَدْتَهُمْ لَمْ يُذْنِبُوا فَرِحْتَهُمْ
 أَمْ أَذْنَبُوا فَعَفَوْتَ عَنْهُمْ دُونِي
 إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَفْوِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ
 لِلْمُذْنِبِينَ فَأَيْنَ حُسْنُ ظَنُونِي^١

١٣. قافية الهاء

من الطويل:

غَنِينَا بِنَا عَنْ كُلِّ مَنْ لَا يُرِيدُنَا
 وَمَنْ جَاءَنَا يَا مَرْحَبًا بِقَدُومِهِ
 وَمَنْ صَدَّ عَنَّا حَسْبَهُ الصَّدُّ وَالْقَلْبِيُّ^٢
 وَإِنْ كَثُرَتْ أَوْصَافُهُ وَنُعُوتُهُ
 يَجِدُ عِنْدَنَا وَدَاً صَحِيحاً نُبُوتُهُ
 وَمَنْ فَاتَنَا يَكْفِيهِ أَنَا نَفُوتُهُ^٣

من البسيط:

طُوبَى لِمَنْ سَهَرَتْ فِي اللَّيْلِ عَيْنَاهُ
 يَشْكُو إِلَى رَبِّهِ مَا قَدْ يَحُلُّ بِهِ
 وَمَاتَ مَنْ قَلَقَ فِي حُبِّ مَوْلَاهُ
 وَلَا تَحْسُ مِنَ الشُّكُوى سُويْدَاهُ^٤

من الطويل:

بُلِينَا بِقَوْمٍ أَهْلٍ مَكْرٍ وَعِنْدَهُمْ
 إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْظَى بِجَاهِكْ عِنْدَهُمْ
 دَهَاءٌ، فَهَمْ أَمْثَالُ حُمْرِ فَوَارِهِ
 تَجَاهِلُ وَإِنْ أُوتِيَتْ عِلْمًا فَوَارِهِ^٥

١. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٠؛ الفوائد الرضوية، ص ٦٤٨؛ شهداء الفضيلة، ص ٨٧؛ أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢؛ الروضة البهيّة، ج ١، ص ١١٦-١١٧؛ سفينة شرف الدين محمد مكّي، الورقة ٨، وفيه بعض الاختلاف في بعض الألفاظ. وفيه أيضاً قبل هذه الأبيات: «وسببه أنّه ﷺ كان في سفر، ففي ليلةٍ قد غلب عليه النوم، ولم يتنبه في الوقت الذي كان ينتبه فيه في كلّ ليلةٍ، ففاتته صلاة الليل، فلما انتبه نظّم هذه الأبيات، تأسفاً على ذلك ﷺ، سمعناه من الشيوخ».

٢. أمل الآمل وأعيان الشيعة: «الجفا».

٣. المخطوطة المصورة المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي ﷺ برقم ١٣٧٧، الورقة ٢١، عن نسخة مخطوطةٍ محفوظةٍ في الفاتيكان. والبيت الثالث ورد فقط في هذا المصدر والمصدر الأخير، ومختصر نسيم السحر، ولا توجد في سائر المصادر الفوائد الرضوية، ص ٦٤٧؛ الروضة البهيّة، ج ١، ص ١١٦؛ أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢؛ شهداء الفضيلة، ص ٨٧؛ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣؛ روضات الجنّات، ج ٧، ص ١١٠؛ سفينة شرف الدين محمد مكّي الورقة ٦.

٤. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣.

٥. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣؛ مجموع الغرائب، ص ٣٣٣ وفيه بعد هذين البيتين عدّة أبيات لاندري هل هي للشهيد أو لغيره.

من الوافر:

إذا العلويّ تابع ناصبياً
لمذهبه فما هو من أبيه
فإنّ الكلبَ خيرٌ منه طبعاً
لأنّ الكلبَ طبعٌ من أبيه^١

* * *

ومن شعر قد كتبه إلى ولده:

من الكامل:

اضبِرْ على حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمُرِّهِ
فَالضَّدْرُ مَنْ يَلْقَى الْخَطُوبَ بِضَدْرِهِ
وَالْحُرُّ سَيْفٌ وَالذُّنُورُ لِصَفْوِهِ
إِضْبِرْ فَكَمْ أَمْرٌ أَهَمَّكَ عُسْرُهُ
وَإِذَا أُصِيبَتْ بِمَا أُصِيبَتْ فَلَا تَقُلْ
وَكَمْ بَعْدُ يَا سِرِّ قَدِ اتَى فَرَجَ الْفَتَى
وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ بِالْعُ أَمْرِهِ
وَبِضْبِرِهِ وَبِحَمْدِهِ وَبِشُكْرِهِ
صَدّاً وَصَيْقَلُهُ نَوَائِبَ دَهْرِهِ
لَيْلَاً فَبَشْرِكَ الصَّبَاحُ بِيُسْرِهِ
أُوذِيَتْ مَنْ زَيْدَ الزَّمَانِ وَعَمْرِهِ
مِنْ سِرِّ غَيْبٍ لَا يَمُرُّ بِفِكْرِهِ^٢

١٤ . قافية الياء

من المتقارب:

إذا المرءُ عمّر حتّى يرى الـ
أصاغرَ في حاله العالِيه
أتاه المماتُ سريعاً كما
ترى السنَّ تَقْلُعُ للثانيه
وإن لم يمت فاعلَمَنَّ أَنه
كسَنٌ بدتْ فوقها شاغِيه^٣

* * *

١. أعيان الشيعة، ج ١٠ ص ٦٣.

٢. سفينة شرف الدين محمد مكي، الورقة ٦ ب؛ مختصر نسيم السحر، انظر ملاحق هذا الكتاب.

٣. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧.

وممّا أنشأه خطاباً لبیدمر حاکم دمشق:
من الطویل:

أيا بَيدُمُر يا مالک الناس رحمةً
رَموني بزور تُمّ إفک وحقّ من
فإسْمُکُم المحروس خمسَة أحرفٍ
إذا استنبطت تُجلی القلوب الصّاديا

فلا تسمَعن ما قيل فيّ فأنتي
علیم بأنساب النبی وآله
کذاک کتابُ الله أبلغُ شاهدٍ
ونحوً وصرفً وفقهً وحکمةً
وشغراً طریفً مَع عَروضٍ ومنطقی
فکن ناصرِي یَنصُرک رَبّي علی العدا
بريءٍ وربّي شاهدٌ في معاديا
وأصحابه الأخيارُ دُخري و زاديا
وتفسیره ثمّ الحديثُ رشاديا
وعلمٌ بدیع آتني و زاديا
ولسي راجماً یَرْحَمک یَوْمَ التناديا^١

أوزان الأسماء: الثلاثي والرباعي والخماسي
الثلاثي:

فَلَسُ سَهْلٌ جَمَلٌ بَطْلٌ
جِبْنٌ^٢ حِلْفٌ عِنَبٌ زَيْمٌ^٣
صُرْدٌ حُطْمٌ عُنُقٌ سُرْحٌ
كَبِيدٌ حَذِرٌ عَضْدٌ رَجُلٌ
بُرْدٌ بِلِزٌ^٤ إِبِلٌ
حِبْكٌ^٥ شَذَتْ وَأَتَى دُبْلٌ^٦

١. مختصر نسيم السحر، انظر ملاحق هذا الكتاب.

٢. الجبن: الدملة المقيحة.

٣. زيم: اللحم صار زيماً أي قطعاً.

٤. بلز: امرأة ضخمة.

٥. حيبك: قال المحدثي في ارتشاف الضرب: «فعل مفقود. ومن قرأ ﴿ذَاتِ الْحَبْكِ﴾ - بكسر الحاء وضمّ الباء - الآية ٧ من سورة الذاريات... فهذه القراءة منسوبة إلى الحسن البصري. الحيبك جمع الحباك وهو الطريق في الرمل ونحوه».

٦. الدبّل: دويبة شبيهة بابن عرس.

الرباعي :

قِمَطْرٌ^١ هَزَبٌ جَعْفَرٌ سَلَهَبٌ^٢ زَبْرَجٌ^٣ خِضْرٌ قَلْ دَرَهْمٌ أَتَى
 وَقَلْ بُرْزُنٌ فِي جُرْشُعٍ^٥ وَأَخْفِشٍ

الخماسي :

قِرْطَعِبٌ^٦ جِرْدَخْلٌ^٧ سَفَرَجَلٌ أَسْمَهُ شَمَزْدَلٌ^٨ اتَّبَعَ قَهْبَلِيسٌ^٩ ثُمَّ جَحْمَرِشٌ^{١٠}
 قُدَّعِمِلٌ^{١١} كَذَاكَ خُبْعَيْنٌ^{١٢} وَهَنْدَلِعٌ^{١٣} فِي بَقْلَةِ الْمَاءِ لَمْ تَعِشْ^{١٤}

١. قِمَطْرٌ: الجمل القوي السريع.

٢. سَلَهَبٌ: الطويل.

٣. زَبْرَجٌ: الذهب، السحاب الرقيق.

٤. خِضْرٌ: بثر كثير الماء.

٥. جُرْشُعٌ: العظيم الصدر، وقيل: الطويل.

٦. قِرْطَعِبٌ: القرطعية: قطعة الخرقه.

٧. جِرْدَخْلٌ: من الإبل الضخم.

٨. شَمَزْدَلٌ: من الإبل القوي السريع.

٩. قَهْبَلِيسٌ: القملة الصغيرة، الذي تملوه كدره.

١٠. جَحْمَرِشٌ: من النساء الثقيلة والعجوز الكبيرة.

١١. قُدَّعِمِلٌ: القصير الضخم من الإبل.

١٢. خُبْعَيْنٌ: تيس خُبْعَيْنٌ: غليظ شديد، ومن الرجال القوي الشديد.

١٣. هَنْدَلِعٌ: بقلة.

١٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٦ ب.

الفصل الرابع فوائده المتفرقة وأعماله العلمية

ومن أعمال الشهيد العلمية أنه قام بنسخ عدّة من الكتب بخطه الشريف ومقابلتها وتصحيحها وحفظها - كما هو دأب العلماء و الفضلاء في ذلك العصر - منها ما وقفت عليه وهي:

أ) الصحيفة السجّادية

نسخها الشهيد مرّتين: عام ٧٧٢ و عام ٧٧٦^١، كما سيأتي وسعى في نشرها وحفظها. وكتب الشهيد الثاني على الصحيفة التي بخطه الشريف:

قوبلت هذه النسخة وضبطت من نسخة شيخنا ومولانا السعيد أبي عبدالله الشهيد محمّد بن مكّي، وتتبع ما فيها وعليها من الضبط والنسخ والإعراب إلّا مواضع يسيرة تحقّق وقوعها سهواً على الخطأ، فضبطناها على الصواب. وهو كتب نسخته من خطّ الشيخ سديدالدين عليّ بن أحمد الحلّي رحمته الله، والشيخ سديد الدين نقل نسخته من خطّ

١. قال الطهراني رحمته الله في الذريعة، ج ١٥، ص ١٩: «ونسخة الصحيفة بخطّ الشهيد الأوّل كانت في خزانة كتب السيّد محمّد تقّي بن الحسين بن دلدار عليّ، ذكره حفيده السيّد عليّ تقّي في تراجم المشاهير». وكتب الشهيد عليها - كما في صحيفة المكتبة لمكتبة الإمام أميرالمؤمنين رحمته الله العامّة، في النجف الأشرف، عام ١٣٧٣، الرقم ٢، ص ٣٢ - : «للولد الأعزّ المعتضد قرّة العين أبي القاسم عليّ بن محمّد بن مكّي (نفعه الله بها ورزقه بما فيها واستجاب دعاءه)».

أقول: هذه هي النسخة الأولى أعني النسخة المكتوبة عام ٧٧٢. ومصوّرتها موجودة عندي في مؤسّسة تراث الشيعة. وتوجد حوالي عشرين نسخة من الصحيفة المباركة كتبت عن خطّ الشهيد مباشرة أو مع الوساطة. انظر: الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ٤٤٩ - ٤٥٧.

ابن السكون، وقابلها بنسخة الشيخ محمد بن إدريس...^١

وحكى العلامة المجلسي رحمته صورة ما كان في آخر صحيفة الشيخ شمس الدين محمد بن عليّ الجبعي جدّ شيخنا البهائي رحمته بخطه وفيها إجازات وفوائد كثيرة، منها قوله:

نقلت هذه الصحيفة من خطّ الشيخ العالم السعيد الشهيد محمد بن مكّي رحمته وعليها بخطه: «ونقلت هذه الصحيفة من خطّ عليّ بن أحمد السديد، وفرغت في حادي عشر شعبان سنة اثنين وسبعين وسبعائة، وكتب محمد بن مكّي حامداً مصلياً».

وعلى نسخة عليّ بن أحمد السديد ما صورته: «نقلت هذه الصحيفة من خطّ عليّ بن السكون وتتبع إعرابها عن أقصاه حسب الجهد إلا ما زاغ عنه النظر وحسر عنه البصر، وذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين وستمائة».

وعلى نسخة الشهيد: «عارضتها بأصلها المذكور، وفيها مواضع مهمة التقييد، فنقلتها على ما هي عليه، والحمد لله وصلواته وسلامه على سيّدنا محمد وآله، وكتب محمد بن مكّي».

وعارضتها بنسخة أخرى بخطّ الشيخ ابن مكّي مكتوبة في سنة ستّ وسبعين وسبعائة، وهي مكتوبة من النسخة التي كتب منها الأولى، قال: «وكتب العبد متبّعاً ما يحتاج إليه سوى بعض مصطلح الكتاب من ترك لفظ همزة وإثبات الألف في فعل لامة واو ونحوه».

وعلى نسخة عليّ بن أحمد السديد ما صورته: «بلغت مقابلةً وتصحيحاً بالنسخة المنقول منها، فصحّ بحسب الجهد إلا ما زاغ عنه النظر وحسر عنه البصر، وذلك في شهر ذي الحجة من سنة ثلاث وأربعين وستمائة ولله الحمد والمئة».

وعليها أيضاً - أعني على نسخة عليّ بن أحمد السديد -: بلغت مقابلة مرة ثانية بخطّ السعيد محمد بن إدريس بحسب ما وصل إليه الجهد، ولله الحمد. وذلك في شهر ذي القعدة من سنة أربع وخمسين وستمائة، وكلّ ما على هامشها من حكاية «سين» و «نسخة» فإنّه عن ابن إدريس، وكذلك جميع ما يوجد بين السطور وعليه «سين» فإنّه حكاية خطّه، وأمّا ما كان «نسخة» بلا «سين» فمنها ما هو بخطّ ابن السكون، ومنها ما

هو بخط ابن إدريس عليه السلام.

صورة خط ابن إدريس في مقابلته: «بلغ العرض بأصل الخبر الموجود وبذل فيه الجهد والطاقة إلا مازاغ عنه النظر، وحسر عنه البصر».

قال العلامة المجلسي عليه السلام:

وكان أيضاً في آخرها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جلا رين القلوب بمرآة الدعاء، وكشف به عن عباده عظام البأساء والضراء، وصلى الله على أشرف أهل الاصطفاء محمد بن عبدالله سيد الأنبياء، وعلى آله الحافظين لما نقل من تلقائه ليستمر له تأييده بالبقاء، وعلى أصحابه الخالصين من الزيف والرياء.

وبعد، فقد قرأ عليّ هذه الصحيفة الكاملة من أدعية مولانا و سيدنا الإمام زين العابدين عليّ ابن الإمام السبط الشهيد أبي عبدالله الحسين ابن إمام المتقين وسيد الوصيين أمير المؤمنين أبي الحسن عليّ بن أبي طالب (عليهم أفضل الصلوات وأكمل التحيات) المولى المعظم، الفاضل المكرّم، مفخر الفضلاء وخلاصة الأخلاء، شمس الدنيا والدين محمد ابن الشيخ العلامة أبي الفضائل زين الدنيا والدين، وشرف الإسلام والمسلمين، عليّ ابن الشيخ بدر الدين حسن الشهير بالجبعي (رفع الله درجاتهم في أعلى عليين، وحشرهم مع النبيين) قراءة مهذبة مرضية صحيحة، محررة ألفاظها، مبيّنة معانيها، بنسخها المنقولة وتأويلاتها المقبولة، وكنت مستفيداً منه (أعظم الله أجره) أكثر من إفاداتي له.

وأجزت له (أدام الله أيامه) أن يروي ذلك عني، فإنّي رويتها قراءة على السيد الجليل النقيب أبي العباس تاج الدين عبد الحميد ابن السيد جمال الدين أحمد بن عليّ الهاشمي الزينبي (طاب ثراه) و رواها لي عن الشيخ الأجلّ عزّ الدين شيخ السالكين حسن بن سليمان الحلّي (رفع الله درجته) بإسناده المتّصل إلى سيدنا و مولانا زين العابدين (عليه أفضل الصلاة والسلام).

ورويتها أيضاً له بحق الإجازة عن الشيخ الجليل بهاء الدين أبي القاسم عليّ ولد الشيخ الإمام العالم المحقّق، خاتم المجتهدين، أبي عبدالله شمس الدين محمد بن مكّي، عن

والده المذكور (قدّس الله سره) بطريقه المتّصل إلى الإمام المذكور آنفاً، فلُتِرَ ذلك لمن شاء وأحبّ؛ فإنّه أهل لذلك وأعلى وأعظم شأنًا ومحلًّا.
وكتب أقر العباد إلى رحمة الله ورضوانه، وأعظمهم ذنباً وجرمًا عليّ بن عليّ بن محمّد بن طيّبٍ (عفا الله عنهم) في رابع شهر رمضان المعظّم قدره، من شهور سنة إحدى وخمسين وثمانمائة (أحسن الله عاقبتها) والحمد لله وحده، وصلواته على خير خلقه محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

وبخط الشيخ محمّد بن مكّي: «يروى الصحيفة الكاملة السيّد محيي الدين [ابن] زهرة، عن شيخه محمّد بن شهر آشوب السروي، عن محمّد بن أبي القاسم، عن أبي عليّ، عن والده، عن الحسين بن عبيدالله الغضائري، عن أبي المفضّل الشيباني، عن الشريف أبي عبدالله جعفر بن محمّد، عن جعفر الحسيني، عن عبدالله بن عمر الزيّات، عن عليّ بن الأعمش، عن عمر بن المتوكّل، عن أبيه متوكّل بن هارون، قال: لقيت يحيى بن زيد، الحديث»^١.

وقال السيّد المحقّق الداماد في تعليقاته على الصحيفة الشريفة :

وهذه صورة خطّ شيخنا المحقّق الشهيد (قدّس الله لطيفه) على نسخته التي عورضت بنسخة ابن السكون :

«وعليها - أي على النسخة التي بخطّ ابن السكون - خطّ عميد الدين، عميد الرؤساء (عليه السلام) : قرأها عليّ السيّد الأجلّ النقيب الأوحد العالم جلال الدين عماد الإسلام أبي جعفر القاسم بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن مُعَيَّة (أدام الله علوه) قراءة صحيحة مهذّبة، ورويتها له عن السيّد بهاء الشرف أبي الحسن محمّد بن الحسن بن أحمد عن رجاله المسعّين في باطن هذه الورقة، وأبحث له روايتها عنّي حسبما وقفت عليه وحدّثه له. وكتب هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيّوب بن عليّ بن أيّوب في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستمائة. والحمد لله ربّ العالمين، وصلاته وتسليمه على رسوله سيّدنا محمّد المصطفى وعلى آله الغرّ اللهاميم».

إلى هنا حكاية خطّ الشهيد عليه السلام .^١

وقال السيّد العلامة إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيّد بالله (م ١١٥٢) في طبقات الزيدية الكبرى:

٧٢٠. مكّي بن محمّد [كذا، والصواب: محمّد بن مكّي] (... كان حيّاً بعد سنة ٧٧٢) .^٢
مكّي بن محمّد، أبو عبدالله. قال ما لفظه:

نقلتُ هذه الصحيفة - صحيفة زين العابدين عليّ بن الحسين المشهورة - مِنْ خَطِّ عليّ بن أحمد السديد وفرغت في حادى عشر شهر شعبان سنة اثنتين وسبعين وسبعمئة، وقد كتب عليّ بن أحمد: «نقلت هذه الصحيفة من خطّ عليّ بن السكون، وتبع إعرابها عن أقصاه حسب الجهد، إلا ما زاغ عنه النظر، وحسر عنه البصر، وذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين وستمئة». ونسخة عليّ بن السكون بخطّ عميد الرواة، وصورتها: «قرأها عليّ السيّد الأجلّ النقيب الأوحد العالم عماد الدين أبو جعفر القاسم بن محمّد بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن مُعَيَّة، قراءةً صحيحةً مهذبةً، ورويتها له عن السيّد بهاء الشرف أبي الحسن محمّد بن الحسن بن أحمد، عن رجاله المُسمَّينَ باطنَ الورقة، وأبحثه روايتها على حسب ما وقَّفتُه عليه وحدَّدتُه له، وكتب عبدالله^٣ بن حامد بن أحمد بن أيوب في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستمئة».

وكان الشيخ [محمّد بن] مكّي شيخاً شهيداً سعيداً، خاتمة المجتهدين (قدّس الله روحه). ثمّ قال في نسخته ما صورته: «عارضتها بأصلها المذكور، وفيها مواضع مهملة التقييد فبقيتها على ما هي عليه، وكتب [محمّد بن] مكّي».

ثمّ قال مولانا الإمام المؤيّد بالله محمّد بن القاسم بن محمّد بن عليّ: «نقلت هذه الصحيفة من خطّ الشيخ الشهيد السعيد خاتمة المجتهدين أبي عبدالله [محمّد بن] مكّي (قدّس الله روحه)، وهذا ما كتب الشيخ في صحيفته التي نقلتُ منها هذه». انتهى.
قلت: وهذه الوجادة الصحيحة^٤.

١. الرسائل الرجالية، ج ٢، ص ٥٦٢-٥٦٣: بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٧، ٢١٢.

٢. الظاهر أنّ مؤلف الكتاب ومحققه لم يعرفا الشهيد وعبراً عنه بـ «مكّي بن محمّد».

٣. كذا، والصواب: «هبة الله».

٤. طبقات الزيدية الكبرى، ج ٢، ص ١١٤٤-١١٤٥.

ثم اعلم أن متن هذه الجوهرة النفيسة كان مرجعاً للصحائف المخطوطة والمطبوعة المتدواله في عصرنا. ومن المعلوم أن أكثر طرق رواية الصحيفة - إجازة أو وجادة أو غير ذلك - ترجع إلى الشهيد عليه السلام. وقد احتجبت هذه الدرّة اليتيمة عن الأنظار حدود ثلاثة قرون، مع أنها أولى بالاعتبار في التصحيح والمقابلة.

ولا يخفى أن أول من روج هذه الرواية بهذا الشكل والترتيب، هو الشهيد الأول في القرن الثامن، وأن نسخة الشهيد وروايتها هي أصل جميع نسخ الصحيفة من الرواية المشهورة، ومنه انتشرت نسخها بواسطة تلامذته في القرن التاسع. وبعدهم في القرن العاشر سعى في نشرها وبنّائها وروايتها الشهيد الثاني، وقابل نسخته مع نسخة الشهيد. وفي القرن الحادي عشر كان الشيخ بهاء الدين محمد العاملي، والمولى محمد تقي المجلسي، ثم ولده العلامة محمد باقر المجلسي عليه السلام، مؤثرين في شهرتها ونشرها في البلاد الإسلامية.

وينبغي أن يعلم - كما صرح به الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني - أن طرق المشايخ على كثرتها وانتشارها يرجع المهمّ منها، في مرتبة من تأخر عن الشيخ الطوسي، إلى باني انتشار هذه الصحيفة الشريفة المباركة وكاتبها شيخنا الشهيد عليه السلام.^١

ب) كنز الفوائد في شرح مشكلات القواعد

قال العلامة السيّد حسن الصدر عليه السلام في ترجمة الشيخ صفي بن محمد بن عليّ بن الحسن الجرجاني العاملي نزيل جزّين من قرى جبل عامل:

كان من تلامذة الشهيد الأول، رأيتُ كنز الفوائد في شرح مشكلات القواعد للسيّد عميد الدين أستاذ الشهيد بخطه. قال في آخر الجزء الأول: «تمت كتابة هذا النصف - من نسخة منقولة من خطّ شيخنا المعظم وإماننا الأعظم، قدوة العلماء في العالم، قبلة فضلاء بني آدم، فريد الدهر ووحيد العصر، مولانا شمس الملة والدين محمد بن مكّي (دام ظلّه) وهو نقلها لنفسه من خطّ المصنّف عليه السلام - وقت الضحى يوم الأحد خامس ذي الحجّة الحرام سنة أربع وثمانين وسبعمائة، في قرية جزّين، حامداً لرّبّه ومصلياً على نبيّه وآله. والكاتب المالك صفي بن محمد (غفر الله له ولوالديه).^٢

١. انظر الشهيد الأول محمد بن مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ٣٩٦، ٤١٣، ٤٤٥.

٢. تكملة أمل الآمل، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

ج) اختيار معرفة الرجال

قال العلامة السيّد حسن الصدر رحمته الله في ترجمة الشيخ نجيب الدين عليّ بن محمّد بن مكّي بن عيسى الجبلي العاملي:

وكان من خاصّة الشيخ حسن بن زين الدين صاحب المعالم. وعندي نسخة مختار الكشّي بخطّه الشريف. وقد شاركه في بعض الصفحات الشيخ حسن بن زين الدين، وخطّهما متقارب، وكلا الخطّين جيّد، و ذكر فراغه من نسخه يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر ذي الحجّة الحرام عام تسعين وتسعمائة، على نسخة بخطّ الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي^١.

والظاهر أنّ هذه النسخة كانت عند المحدث النوري رحمته الله، حيث قال:

عندي نسخة شريفة من رجال الكشّي بخطّ الشيخ عليّ نجيب الدين بن محمّد... وفي الكتاب صفحات من خطّ الشيخ حسن صاحب المعالم، وقد استنسخه من نسخة الشهيد الأوّل، حيث نقل في آخر كلّ جزءٍ منه صورة خطّ الشهيد هكذا: «بلغ مقابلةً وتصحيحاً بالنسخة المنقول منها بحسب الجهد والطاقة، إلّا ما زاع عنه البصر، وحسر عنه النظر، وكتبه محمّد بن مكّي العاملي (عامله الله بلطفه الجلي)»^٢.

د) إيضاح الفوائد

فرغ الشهيد من نسخ الجزء الأوّل من إيضاح الفوائد لشيخه فخر الدين رحمته الله في منتصف ليلة الثلاثاء لخمس مضت من شوال عام ٧٥٦ بالحلّة. وهذه النسخة موجودة في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقم ٧٠٦. ذكرت في فهرسها (ج ٥، ص ١٧٨٧).

هـ) المقدار الواجب من المعرفة

تأليف جماعة من علماء الحلّة في عصر واحد وهم - كما قال الطهراني رحمته الله -:

الشيخ الفقيه يحيى بن سعيد الحلّي صاحب جامع الشرائع، والشيخ سديد الدين والد العلامة الحلّي، والفقيه الشيخ يوسف بن علوان الحلّي المجيز لتلميذه الشيخ محمّد بن الزنجي، والشيخ نجيب الدين محمّد بن نما من مشايخ المحقّق الحلّي، وتلميذه

١. تكملة أمل الآمل، ص ٤١٥.

٢. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٢١، ص ٢٨٨.

الشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد المحقق الحلبي، والشيخ محمد بن أبي العز الحلي المجيز لتلميذه السيد محمد بن مطرف الحسيني الذي هو تلميذ المحقق أيضاً، وبالجملة هؤلاء المشايخ الستة العظام قد كتبوا ما هو فتواهم من جواب هذه المسألة بخطوطهم، وكلهم أفتوا بكفاية الاعتقاد وعدم لزوم إيراد الألفاظ الدالة على ذلك. ونسخة هذه الجوابات بخطوط المجيبين حصلت بيد الشيخ السعيد محمد بن مكّي الشهيد في المدينة المنورة، فكتب هو بخطه الشريف نسخة عن تلك النسخة، وكتب في آخر خطه ما صورته:

«هذا نقل من خطوط هؤلاء الأئمة الفضلاء (طاب ثراهم) وشاهده العبد محمد بن مكّي بالمدينة النبوية، والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله»^١.

(و) فهرست منتجب الدين

فرغ الشهيد عليه السلام من نسخه في ٢٥ ربيع الآخر عام ٧٧٦ بالحلة^٢، فقد جاء في آخر مخطوطة من منتخبه وهي المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام برقم ٣١١٢/٦: يقول محمد بن علي الجباعي (عفا الله عنه) ... كتبته من نسخة بخط الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي، صورة كتابته:

«تم فهرست علماء الشيعة ومصنفيهم، وكتب العبد الراجي عفوريه محمد بن مكّي بن محمد هزيع ليلة الثلاثاء ... من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وسبعائة بالحلة، نقلاً من خط الفاضل محمد بن علي الحمداني القزويني في أواسط شهر الله الأصب رجب ... سنة ثلاث عشرة وستمائة، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على أفضل الأولين والآخرين محمد وآله الطاهرين».

قال ابن مكّي: «بخط الأصل: عورض بالمنتسخ منه ...». قال ابن مكّي: «وإني عارضته بها مع نفسي بتاريخ الكتابة، والحمد لله رب العالمين».

١. الذريعة، ج ٥، ص ١٩٢؛ وانظر أيضاً الذريعة، ج ١٦، ص ١٠٢-١٠٣؛ الأنوار الساطعة، ص ١٦٥، حياة المحقق الكركي، ج ٢، ص ٥٠٦.

٢. انظر فهرس مخطوطات مكتبة ملك الوطنية، ج ٥، ص ٢٩٦، المخطوطة المرقمة ١٥٧٢؛ فإن هذه المخطوطة كتبت عن نسخة الشهيد، وانظر أيضاً فهرس المكتبة الوطنية في إيران، ج ٩، ص ٢٣٤، المخطوطة المرقمة ١٢٤٧/٥؛ فإنها كتبت أيضاً عن نسخة الشهيد.

ز) كتاب الأربعين لمنتجب الدين

فرغ الشهيد من نسخه في الأول من جمادى الأولى عام ٧٧٦ بالحلة^١ والظاهر أن الشهيد نسخه في إحدى مجاميعه، كما سيأتي في هذا الفصل. ونقل عن خطّ الشهيد الثاني رحمته الله في هوامش مخطوطة الأربعين لمنتجب الدين، المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٨٥٥٧/٣:

بخطّ شيخنا الشهيد رحمته الله :

قال المفتقر إلى كرم الله محمد بن مكّي: إني أرويه عن شيخني الإمامين: عميد الدين عبدالمطلب بن الأعرج الحسيني، وفخر الدين محمد بن الإمام جمال الدين الحسن بن المطهر، عن شيخهما جمال الدين، عن والده سديد الدين و عن ابني طاوس، عن ابن مَعَدٍّ، وعن خواجه نصير الدين، عن الحمداني.

وأرويه عن السيد العلامة النسابة تاج الملة أبي عبدالله محمد بن القاسم بن مَعِيَّة الحسيني، عن رضي الدين علي بن السعيد غياث الدين عبدالكريم بن طاوس، عن والده (رحمهم الله أجمعين)^٢.

ح) إجازة العلامة الحلّي لبني زهرة

نسخها الشهيد رحمته الله ونقلها عن خطّه الشيخ ناصر بن إبراهيم البويهّي، ونقل عن خطّ البويهّي في مجموعة مخطوطة موجودة في مكتبة بلدية گرگان في إيران، وعن مصوِّرة موجودة في مركز إحياء الميراث الإسلامي في قم برقم ٥٩٨/٤، ذكرت في فهرسها، ج ٢، ص ١٩١.

ط) مصباح السالكين لابن ميثم البحراني الظاهر أن الشهيد نسخ هذا الكتاب^٣.

ي) الجزء الأول من قواعد الأحكام للعلامة الحلّي

١. فهرس المكتبة المركزية لجامعة طهران، ج ٥، ص ١٠٨١؛ فهرس المخطوطات المصوِّرة في مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، ج ٣، ص ٧٧؛ فهرست مخطوطات مكتبة ملك الوطنية، ج ٥، ص ٢٩٦-٢٩٧، المخطوطة المرقّمة ١٥٧٢.

٢. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١٨٥.

٣. مخطوطة مصباح السالكين، المرقّمة ٣٩، المحفوظة في مكتبة الوزيري في يزد، ذكرت في فهرسها، ج ٢، ص ٦٧٣.

الظاهر أَنَّ الشهيد صَحَّحَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ حَوَاشِيَّ بِخَطِّهِ الشَّرِيفِ^١.

(يا) علل الشرائع للصدوق^{عليه السلام}؛ فقد ورد في مخطوطة علل الشرائع المحفوظة في مكتبة مدرسة الصدر في إصفهان المرقمة ٩٥٢:

عورضت النسخة بنسخة عليها بخط الشهيد الأول^{عليه السلام} نهاية نهايتها [كذا] وهذه صورة خطه: «أنهاها سماعاً (نفعه الله وإيانا به) وكتب أفقر العباد محمد بن مكّي لثمان بقين من رجب سنة سبع وخمسين وسبعمئة بالحلة، حامداً لله تعالى ومصلياً على رسوله محمد وآله الطاهرين». آخر كلامه^{عليه السلام} وقد اشتملت النسخة المذكورة على تصحيفات كثيرة مكتوب عليها لفظ «كذا» وكان النسخة المكتوب عنها كذلك مع زيادة غلط في العربية في بعض الألفاظ، فزدنا عليه أيضاً لفظ «كذا» فصَحَّحْتُ إن شاء الله تعالى إلا مازاغ عنه البصر وحسر عنه النظر.

وكتبه محمد بن الحسن بن زين الدين العاملي (عفا الله عنهم أمين أمين) (٢).

يب) كتب الشيخ حسن بن سليمان الحلّي تلميذ الشهيد نسخةً من أنوار الملكوت في شرح الياقوت للعلامة الحلّي، وفرغ من كتابتها في سلخ ذي القعدة سنة ٧٥٤، وقرأها على الشهيد، فكتب الشهيد في آخرها إنهاءً بخطه الشريف، وهذه صورتها:

أنها (أيده الله) قراءةً وبحثاً وفهماً، وكتب محمد بن مكّي في ذي الحجة سنة ست وخمسين وسبعمئة حامداً مصلياً.

وهذه المخطوطة موجودة في المكتبة الرضوية في مشهد برقم ٣٢.

وتوجد نسخة أخرى لأنوار الملكوت كتبت عن هذه النسخة ظاهراً في ذي القعدة سنة ١٠٧٤، ونقل فيها إنهاء الشهيد كما ذكرنا^٣.

١. مخطوطة قواعد الأحكام، المرقمة ٣٨٧ المحفوظة في مكتبة جامع گوهرشاد، ذكرت في فهرسها، ج ١، ص ٣١٥.

٢. فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مدرسة صدر بازار، ج ٣، ص ٧٠٦-٧٠٧.

٣. مخطوطة أنوار الملكوت، المحفوظة في مكتبة الروضة الحسينية في كربلاء المقدسة، كما في فهرسها في مجلة الذخائر، العدد ١، (شتاء ١٤٢٠)، ص ٢٨٢؛ نشرية نسخه‌های خطی، ج ٥، ص ٤٣٧، «فهرس مخطوطات مدرسة الهندي في كربلاء»؛ وانظر مكتبة العلامة الحلّي، ص ٥٨.

يج) استنسخ الشهيد كتاب غاية الإحكام في تصحيح تلخيص المرام، وهو شرح تلخيص المرام، والتمن والشرح كلاهما للعلامة الحلّي. قال صاحب الرياض: في حواشي الخلاصة: رأيتُ بخطّ بعض الأفاضل ما هذا لفظه: كتاب غاية الإحكام في تصحيح تلخيص المرام، نسخة بخطّ شيخنا الشهيد^١. يد) وقرئ على الشهيد نسخة من خلاصة الأقوال للعلامة الحلّي، فكتب الشهيد على النسخة:

أنها (أيده الله) قراءةً وضبطاً وقبالاً، راجياً كمال تصحيحه فيما بعد إن شاء الله.

وكتب محمد بن مكّي لثلاث عشرة ليلةً خلّت من شهر ربيع الآخر سنة ٧٧٤، حامداً مصلياً مسلماً^٢.



ونقل عن الشهيد فوائدٌ نافعة، ولا ندري هل هي من مجاميعه أم من فوائده المتفرقة هنا وهناك، منها ما حكاه السيّد عليّ خان المدني رحمته ونقلناه في الفصل الثالث من هذا الباب ذيل قافية الميم.

ومنها ما قاله صاحب المعالم في إجازته الكبيرة:

.. ووجدت بخطّ الشهيد أيضاً حكاية صورة استدعاء الإجازة بخطّ السيّد الجليل جمال الملة والدين أحمد بن طاوس له ولولده السعيد غياث الدين عبد الكريم من الشيخ الفاضل العلامة رضيّ الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد الصغاني، وبعدها صورة الإجازة لهما من خطّ الصغاني، وهي هذه: «قد أجزتُ لمفخر السادة، ولولده جوهر السيادة، جميع مسموعاتي ومؤلفاتي ومنشأتي وكتب الصغاني»^٣.
.. ووجدت بخطّ الشهيد أيضاً ما حكايته:

«يروى شيخنا جمال الدين بن المطهر عن رضيّ الدين الحسن بن ... الصغاني اللغوي

١. تعليقة أمل الآمل، ص ١٢٥.

٢. مخطوطة خلاصة الأقوال كتبها حسن بن عليّ بن عبد النبي القطيفي، المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة

طهران، برقم ٥٣٨٥، الورقة ٩١.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٠ وفيه: «الصنعاني»، والصواب: «الصغاني» كما ذكرنا.

جميع ما يجوز روايته عنه»^١.

ومنها ما قاله العلامة المجلسي رحمته الله:

وروي أيضاً عن الشيخ يوسف بن الحسين أنه وجد بخط الشهيد السعيد محمد بن مكّي (قدّس الله روحه) قال: تقرأ أبناً نزلناه عشر مرّات ثمّ تدعو بهذا الدعاء «اللهم أنبي أستخيرك لعلك بعاقبة الأمور، وأستشيرك لحسن ظنّي بك في المأمول والمحذور، اللهم إن كان الأمر الذي عزمت عليه ممّا قد نيطت البركة بأعجازه وبواديه، وحفّت بالكرامة أيّامه ولياليه، فأسألك بمحمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وعليّ ومحمد وجعفر وموسى وعليّ والحسن والحجّة القائم عليه السلام أن تصلّي عليّ محمد وعليهم أجمعين، وأن تخير لي خيرة تردّ شموسه ذلولاً وتفيض أيّامه سروراً، اللهم إن كان أمراً فاجعله في قبضة الفرد، وإن كان نهياً فاجعله في قبضة الزوج» ثمّ تقبض على السبحة وتعمل على ما يخرج.

أقول: ووجدت بخطّ الشيخ الجليل محمد بن عليّ الجباعي جدّ شيخنا البهائي (قدّس الله روحهما) أنه نقل من خطّ السعيد الشهيد محمد بن مكّي (نور الله ضريحه) هكذا: طريق الاستخارة الصلاة على محمد وآله سبع مرّات، وبعده «يا أسمع السامعين ويا أبصر الناظرين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين صلّ على محمد وآل محمد» ثمّ الزوج والفرد^٢.

وقال الشيخ آقابزرگ الطهراني رحمته الله:

عين العبرة في عين العترة، للسيد أبي الفضائل أحمد بن موسى بن طاوس الحلّي المتوفّى ٦٧٣. صرّح به تلميذه ابن داود الحلّي في رجاله، ونقل عن خطّ الشهيد محمد بن مكّي «أنّ أسناد هذا الكتاب في الديباجة إلى عبدالله بن إسماعيل الكاتب تقيّة منه على نفسه، وتورية بأنّه عبدالله ومن ولد إسماعيل الذبيح». والنسخة التي بخطّ الشهيد الثاني كان عند صاحب الروضات فذكر فيه عين ما كتبه الشهيد الثاني في ظهر النسخة حكاية عن خطّ الشهيد الأوّل....

١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٠ وفيه: «الصنعاني»، والصواب: «الصفاني» كما ذكرنا؛ وانظر أيضاً ج ١٠٩،

ص ٢٠، ٦٩، ٧١-٧٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٢٥١، الباب ١١٧، ح ٦-٧.

وقد رأيت نسخة من هذا الكتاب بخط الشيخ محمد بن المؤذن الجزيني وعليها خط شيخنا الشهيد بما ذكرناه إلى آخر كلامه السابق في الطرائف في ص ١٥٤ فراجعه...^١
مجاميع الشهيد* : ومن أهم أعمال الشهيد وفوائده تدوينه لعدة مجاميع نافعة جداً، إليك كلمات الأعلام حولها:

قال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة :

... وعندنا بخط الشهيد عليه السلام إجازة الشيخ كمال الدين للسيد المذكور... .

... وكان هذا الشيخ [يعني الشيخ شمس الدين محفوظ بن وشاح] من أعيان علمائنا في عصره، ورأيت بخط شيخنا الشهيد الأول في بعض مجاميعه حكاية أمور تتعلق بهذا الشيخ، وفيها تنبيه على ما قلناه، فمنها...^٢

وقال صاحب الرياض :

وقد رأيت بخط الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني على ظهر فهرست الشيخ الطوسي: «وجدت بخط شيخنا الشهيد الأول عليه السلام في بعض مجاميعه ماصورته: أسماء الذين قرؤوا على سيد المرتضى...»^٣

وقال المحدث النوري (طاب ثراه) في أواخر الفائدة الثانية من الخاتمة في شرح حال الكتب ومؤلفيها :

مجاميع لشمس الفقهاء محمد بن مكّي الشهيد (قدس الله روحه)، وهي ثلاث

١. الذريعة، ج ١٥، ص ٣٧١؛ وانظر الذريعة، ج ١٥، ص ١٥٤.

* قال الشيخ جعفر المهاجر في جبل عامل بين الشهيدين، ص ٢١٣ - ٢١٤. «والمجموعات فنّ من فنون التأليف، وليس التصنيف، يجمع فيها مؤلفها ما يقع له أثناء مطالعته، وما قد يطلع عليه من أحداث، وأحوال من يعرفهم من رجال. ومن هنا فإنها تعكس بدرجة عالية ثقافة جامعها وحسن اختياره، وما يجده أحرى بالاهتمام. ولذلك فإنّ قيمة هذا النمط من التأليف تتفاوت وتفاوتاً بالغا...»

والحقيقة أنّ المجموع بمُجمله يدلّ على أنّ مؤلفه يتمتّع بحسّ تاريخي مُرهف، وكفاءة تقديّة عالية، وإطلاع واسع أهله لأنّ يُحسن انتقاء مادة كتابه. ولا ريب أنّ كثرة النقل عنه يدلّ على أنّه نجح في أن يُيسر فيه ما يعزّ الحصول عليه من غيره. بل ومن المرجّح أن يضع لو لم يحفظه. ونأمل أن يكون هذا التعريف به مُذكراً بأهميته البالغة. وحافزاً للباحثين وأهل التحقيق، ممّن يتيسّر لهم الوصول إلى نسخته الخطيّة حيث هي، إلى نشره النشرة العلميّة التي يستحقّها».

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ١٤ - ١٥.

٣. رياض العلماء، ج ٤، ص ١٦.

مجلدات، مجلّدان منها بخطّ الشيخ الجليل شمس الدين محمّد بن عليّ الجباعي جدّ شيخنا البهائي ... وقد وصفه جماعة من العلماء في مقام النقل بكونه صاحب الكرامات ... وكلّ ما في هذين المجلّدين منقول عن خطّ الشهيد عليه السلام، و المجلّد الآخر بخطّ بعض أحفاده نقله عن خطّه. وهذه المجلّدات كالبساتين النضرة والحدائق الخضرة التي فيها ما تشبهه الأنفوس وتلذّ الأعين، مشتملة على رسائل مستقلة في الأحاديث والعلوم الأدبية والأشعار والأخبار المستخرجة من الأصول والحكايات والنوادر وغيرها، خالية عن الهزليات التي توجد في أمثالها؛ نعم، يوجد فيها بعض اللطائف والطرائف ففي أحد المجاميع ... وفي مجموعة أخرى ... وفي هذه المجموعة مختصر الجعفریات، وذكر الدرّ الذي وُجد في الكوفة، وعليه منقوش البيتان المعروفان ونظائر أخرى لا مناسبة لنقله. وقد ذكر في كثير من المواضع تاريخ كتابته و كتابته الشهيد. وفي آخر الأربعين للشيخ منتجب الدين المدرج في أحدها: «نجز لإحدى وعشرين مضت من شهر الله رجب الأصمّ سنة إحدى وستين وثمانمائة برك نوح عليه السلام بقلم العبد الفقير محمّد بن عليّ بن حسن بن محمّد بن صالح الجباعي اللوزياني ... من نسخة بخطّ الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي كتبها بالحلّة سنة ستّ وسبعين وسبعمئة ...». وقد أكثر في البحار من النقل عنها وعن أخرى لم تصل إلينا مُعبّراً عنها هكذا: «وجدت بخطّ الشيخ محمّد بن عليّ الجباعي ... إلخ». وبالجملة فاعتبار ما يوجد فيها من الأخبار وغيرها يعرف من اعتبار جامعها الذي لا يحوم حول جلالة قدره خيالاً^١.

وقال أيضاً:

- وعندي مجموعة شريفة كلّها بخطّ الشيخ الجليل صاحب الكرامات شمس الدين محمّد بن عليّ الجباعي جدّ شيخنا البهائي عليه السلام، نقلها كلّها من خطّ شيخنا الشهيد (طاب ثراه)، ومما فيها ما اختصره من هذا الكتاب الشريف [أي الجعفریات]، يقرب من ثلث هذا الكتاب، وكتب في آخر الأوراق التي فيها هذه الأخبار: «يقول محمّد بن عليّ الجباعي: إلى هاهنا وجدت من خطّ الشيخ محمّد بن مكّي من الجعفریات ... وذلك

١. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٣٧٢ - ٣٧٣، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ٣٨٢ - ٣٨٥، ط. الجديدة.

يوم الإثنين سادس شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة»^١.

- مجموعة عندي كلها بخط الشيخ الجليل محمد بن علي الجباعي، نقل كلها من خط الشيخ الشهيد عليه السلام، وفيها أوراق أخرج فيها أحاديث مختصرة، اختارها من الأصول التي كانت عنده مثل كتاب الصلاة للحسين بن سعيد... وفي آخره بخط الجباعي: قال ابن مكي - يعني الشهيد عليه السلام -: «أكثر هذه مقروءة على الشيخ أبي جعفر الطوسي عليه السلام»^٢.

- مختصر كتاب العلاء، وجدناه بخط الشيخ الجليل صاحب الكرامات محمد بن علي الجباعي نقله من خط الشيخ الشهيد الأول، أوله هكذا: «من كتاب العلاء»، وساق الأخبار وكتب في آخره: «آخر المختار نقلاً من خط الشيخ العالم محمد بن مكي... آخر يوم الجمعة الثامن عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وستين وسبعائة...»^٣.
- قال الشهيد في مجموعته التي كلها بخط الشيخ محمد بن علي الجباعي: «قال القاضي تاج الدين...»^٤.

وقال العالم الفاضل المرحوم يحيى بن محمد شفيع الإصفهاني عليه السلام في هامش مخطوطة لخاتمة مستدرک الوسائل:

ومن الألفاظ الإلهية على العبد الجاني يحيى بن محمد شفيع الإصفهاني (عفي عنهما): أتى تشرفت قبل ذلك بثلاث سنين إلى زيارة أئمة العراق (عليهم صلوات الله وسلامه) وكان أوان تشرفي بكر بلاء في أول شهر رجب والمولى الجليل المصنّف [يعني المحدث النوري عليه السلام] قد تشرف للزيارة الرجبية من النجف الأشرف إلى كربلاء المشرفة، وكان بيني وبينه صداقة قديمة من أيام التحصيل وإقامتنا في النجف الأشرف، فبادر إلى زيارتي وفرحت كثيراً بزيارته. ولما تشرفنا بالنجف الأشرف كنا مرادين، فجاء يوماً إلى منزلي ومعه هذه المجاميع الثلاث التي اثنان منها بخط الشيخ الجليل الشيخ محمد الجبجي جدّ شيخنا البهائي، وقال عليه السلام لي: «هاتان المجموعتان بعينهما كانتا عند

١. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٢٩٤، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ٣٠، ط. الجديدة.

٢. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٢٩٨ - ٢٩٩، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ٥١، ط. الجديدة.

٣. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٣٠٧، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ١٠١، ط. الجديدة.

٤. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٤٠، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣١٣، ط. الجديدة.

المجلسي، وكُلُّ ما نقل عن خطِّ الشيخ محمَّد المذكور عن خطِّ الشهيد محمَّد بن مكِّي من هاتين المجموعتين، ولولا المحبَّة الكاملة ما أبرزتُهما لك». فأخذتُ المجاميعَ الثلاثَ كلَّها ونقلتُ أكثر ما فيها بخطِّ يدي، وكانت موجودة عندي، وكذا المجموعة التي بخطِّ السيِّد الجليل السيِّد حيدر الآملي المشتعلة على الرسائل الثلاث في سؤالات مهتأ بن سنان المدني، وغيرها التي نقلها سابقاً قبل ذلك، وفيها خطوط فخر المحققين وكد العلامة وإجازته للسيِّد حيدر في ظهر سؤالات المهتأ بخطِّه عليه السلام، وغيرها من الرسائل الشريفة كلَّها بخطِّ السيِّد حيدر الآملي، ونقلتُ جميعها بخطِّ يدي، وهي الآن موجودة عندي بحمد الله، وكانت نسخة الأصل من هذا الكتاب أيضاً عندي إلى أن رجعتُ وأودعته عليه السلام باستنساخ نسخة من هذا الكتاب فاستنسخها وأرسلها ووصلتُ إليَّ بعد أشهر من وفاته.

حرَّره العبد في يوم عرفة في بيتي في إصفهان سنة ١٣٢٠^١.

وقال العلامة السيِّد حسن الصدر عليه السلام في ترجمة الشيخ محمَّد بن عليّ الجباعي :

- صاحب المجاميع الثلاث التي أكَثَرَ النقل منها العلامة المجلسي، وأكثرنا نحن عن بعضها النقل أيضاً^٢.

- وقد وفق الله للثور على مجموعتين من المجاميع الثلاث، في إحداها أكَثَرَ النقل من مجموعة الشهيد الأول التي كانت عنده بخطِّه، وقد شَحَّختها من طرائف الفوائد ونوادير الفرائد نظماً و نثراً^٣.

وقال أيضاً في ترجمة الشهيد الأول عند إيراد مؤلفاته :

المجموع، وهو كتاب كبير، ينقل عنه الشيخ محمَّد بن عليّ الجباعي في مجاميعه الثلاث وينقل عنه أيضاً الشيخ حسن صاحب المعالم في إجازته الكبيرة للسيِّد نجم الدين العالمي^٤.

وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني (طاب ثراه):

- ونسخة الأربعين [لابن زهرة] موجودة بخطِّ الشيخ شمس الدين محمَّد الجبعي

١. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ١٩، ص ٣٨٣-٣٨٤، الهامش، ط. الجديدة.

٢. تكملة أمل الآمل، ص ٣٥٦.

٣. تكملة أمل الآمل، ص ٣٥٨.

٤. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٩؛ وانظر أيضاً أعيان الشيعة، ج ١، ص ١٩٠، ٢١٦؛ ج ٢، ص ٤٩٢؛ ج ٩، ص ٧١.

٤٣١، ج ١٠، ص ٢٨٦.

المتوفى سنة ٨٨٦، جدّ الشيخ البهائي، وهو نقلها عن مجموعة كانت بخطّ الشيخ الشهيد محمّد بن مكّي. والنسخة عند آقا ضياء سبط شيخنا العلامة النوري...^١

- مجموعة الجباعي، للشيخ شمس الدين... وله عدّة مجاميع، وقد أكثر من النقل عنها العلامة المجلسي في مجلّد إجازات البحار معبّراً بقوله: «وجدت بخطّ الشيخ محمّد بن عليّ الجبعي». أقول: هذه المجموعة إحدى تلك المجاميع، وكانت عند شيخنا العلامة النوري، وانتقلت بعده إلى سبطه الآقا ضياء الدين النوري، وينقل عنها المجلسي في مجلّد الإجازات من البحار، ص ٤٣، وهي اليوم في مكتبة الملك بطهران^٢... قد كتبها الشيخ شمس الدين محمّد الجباعي في صفر ٨٥٧، ثمّ قابل ولده الشيخ عبدالصمد هذه المجموعة بنسخة أخرى كانت بخطّ والده أيضاً، في ٩١٧. وهذه غير المجموعتين اللتين بخطّ الجبعي أيضاً، وقد كتبهما عن خطّ الشيخ محمّد بن مكّي الشهيد - كما يأتي - بشهادة أنّ المنقول عنها ليس موجوداً فيهما، وغير المجموعة الثالثة للشهيد التي كتبها الجبعي أيضاً عن خطّه، وكتب بعض أحفاد الجبعي عن خطّ الجبعي؛ لأنّ مقتضاه الإسناد إلى خطّ الشهيد كما صرّح به فيما هو منقول عن خطّ الشهيد^٣.

- مجموعة الجباعي، هي الثانية من مجموعات الشيخ شمس الدين محمّد الجباعي المذكورة قبلاً، وهي الموجودة في النجف بمكتبة مدرسة السيّد البروجردي، كتبها الشيخ شمس الدين في أولها السبع العلويات... وكتب في آخرها أنّه: «فرغ من كتابتها لنفسه العبد الفقير إلى الله تعالى محمّد بن عليّ بن حسن الجباعي في أخريات شعبان المبارك سنة ثمان وستين وثمانمائة»، وكتب على الهامش بخطّه: «قوبلت يوم الثلاثاء غرّة شهر رمضان المبارك سنة ثمان وستين وثمانمائة»... بالجملة أورد في المجموعة فوائده وأحاديث أخلاقية عن الأئمة و نصائح لقمانية وغير ذلك، منها ما اختاره من كتاب الكافي للكليني، كتبه في ستّ عشرة صفحة من المجموعة، وقال في آخره: «هذا آخر ما اخترته من كتاب الكافي... في يوم الجمعة رابع شهر رجب سنة

١. الذريعة، ج ١، ص ٤٢٦.

٢. وهذه هي التي مصوّرتها موجودة عندي في مؤسسة تراث الشيعة، واستفدت منها ورجعت إليها لتأليف هذا الكتاب كثيراً، وليس جميعها منقولاً عن مجموعة الشهيد كما لا يخفي على من راجعها.

٣. الذريعة، ج ٢٠، ص ٧٧.

انتين وسبعين وثمانمائة». وذكر في إمضائه تمام نسبه: محمد بن علي بن حسن بن محمد بن صالح الجباعي، وينقل فيها عن كتاب نهج البيان إلى سبيل الإيمان للشيخ المفيد، وعن كتاب التعريف للصفواني، وعن كتاب الأنوار^١.

- مجموعة الشهيد ... وهي بخط الشيخ الجليل شمس الدين محمد بن علي الجبعي والد الشيخ عبدالصمد جد البهائي، وقد كتبها عن خط شيخنا الشهيد في ٨٦١، وهذه النسخة كانت عند العلامة المجلسي على ما ينقل عنها في البحار وحصلت عند شيخنا العلامة النوري وهي موجودة الآن عند سبطه الفاضل الآقضاء الدين ابن الحاج شيخ فضل الله النوري بطهران وفهرست ما فيها إجمالاً هذه: الأربعين في فضائل أمير المؤمنين، للشيخ الجليل محمد بن أحمد بن الحسين النيسابوري جد الشيخ أبي الفتوح المفسر الرازي؛ الأربعين من الأربعين عن الأربعين، للشيخ الأجل منتجب الدين علي بن عبيدالله من أحفاد علي بن بابويه القمي؛ الأربعين، للسيد محيي الدين أبي حامد محمد بن عبدالله بن علي بن زهرة ابن أخي السيد أبي المكارم بن زهرة الحسيني الحلبي، وأخبار متفرقة منتخبة من أصول القدماء مثل كتاب الصلاة لحسين بن سعيد وكتاب إسحاق بن عمار وكتاب معاذ بن ثابت وكتاب علي بن إسماعيل الميثمي وكتاب معاوية بن حكيم وكتاب إبراهيم بن محمد الأشعري وكتاب فضل بن محمد الأشعري وكتاب زيد، ورسالة في القراءة والظاهر أنها لابن مالك صاحب الألفية؛ والمجتنى في الأدعية، للسيد رضي الدين علي بن طاوس الحلبي. وفي آخر أربعين الشيخ منتجب الدين هكذا: «نجز لإحدى وعشرين مضت من شهر رجب ٨٦١ برك نوح، بقلم محمد بن علي بن حسن بن محمد بن صالح الجبعي اللوزاني من نسخة بخط الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي كتبها بالحلة ٧٧٦ وهو نقل من نسخة بخط محمد بن محمد بن علي الحمداني القزويني تاريخها ٦١٣».

- الأربعون حديثاً عن الأربعين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام للشيخ المفيد أبي سعيد محمد بن أحمد بن الحسين الخزاعي... وهذا الكتاب في غاية الاشتهار، نقله بتمامه شيخنا الشهيد محمد بن مكّي في مجموعته بخطه وكتب الشيخ شمس الدين محمد

الجبعي جدّ الشيخ البهائي تمامه في مجموعته الموجودة نسختها نقلاً عن مجموعة خطّ الشهيد، وقد خصّ هذا الكتاب بالذكر في بعض الإجازات، والسند المذكور في أول النسخة التي كتب عنها الشيخ الشهيد هكذا: «حدّثني الشيخ الفقيه العالم شجاع الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن محمّد بن العباس البيهقي (وفقه الله تعالى بالخيرات) بمدينة مراغة في ثالث عشر صفر سنة ٥٣٤هـ، قال: حدّثنا السيّد الرئيس العالم الزاهد صفي الدين المرتضى بن الداعي بن القاسم الحسن بن الرازي عن الشيخ المفيد عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري عن المصنّف محمّد بن أحمد بن الحسين الخزاعي»^١.

- الأربعون حديثاً من الأربعين عن الأربعين، في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام للشيخ الإمام منتجب الدين... وأورد الشيخ الشهيد هذا الأربعين كأربعين الخزاعي السابق بتمامه في مجموعته بخطّه ونقله أيضاً الشيخ شمس الدين الجبعي عن خطّه في مجموعته...^٢.

-... ثم رأيت المجموعة التي بخطّ الشيخ شمس الدين محمّد الجبعي كتب فيها المنهج القويم بخطّه في صفر سنة ٨٥٧هـ ثمّ قابله ولده الشيخ عبد الصمد بن شمس الدين محمّد مع نسخة أخرى كانت بخطّ والده أيضاً في سنة ٩١٧هـ.^٣

- مجموعة الشهيد أيضاً، التي هي بخطّ بعض أحفاد الشيخ شمس الدين محمّد الجبعي كتبها عن خطّ الجبعي وهو عن خطّ الشهيد وكانت عند شيخنا العلامة النوري أيضاً.

- مجموعة الشهيد أيضاً، وهي بخطّ الشيخ شمس الدين محمّد بن عليّ الجبعي كتبها عن خطّ الشهيد وهي أيضاً حصلت بيد شيخنا العلامة النوري وفيها مختصر كتاب الأشعثيات أو الجعفريات في مقدار ثلث الكتاب وفي آخره: «يقول محمّد بن عليّ الجباعي: إلى هاهنا وجدت من خطّ الشيخ محمّد بن مكّي من الجعفريات على أنّي تركت بعض الأحاديث وأولّها ناقص ولعلّ آخرها كذلك. وذلك يوم الإثنين سادس شهر ربيع الأوّل ٨٧٢هـ»^٤.

١. الذريعة، ج ١، ص ٤٣٢-٤٣٣.

٢. الذريعة، ج ١، ص ٤٣٣-٤٣٤.

٣. الذريعة، ج ٢٣-٢٤، ص ١٩٦-١٩٧؛ وانظر ج ١٢، ص ١٢٩.

٤. الذريعة، ج ٢٠، ص ١١٢-١١٣.

وقال في ترجمة شمس الدين الجبعي :

محمّد بن عليّ الجبعي الشيخ شمس الدين ... المتوفّى ٨٨٦... له مجموعات بخطّه ذات فوائد، وفيها تراجم كثيرة للعلماء الأعلام، وتواريخ وفياتهم، ينقل عنها العلّامة المجلسي كثيراً في إجازات البحار ... وهذه المجموعة كانت عند شيخنا النوري، واليوم عند سبطه بطهران، كما أنّ المجموعة الأخرى التي هي أيضاً بخطّ صاحب الترجمة - وقد كتبها عن خطّ الشهيد في ٨٦١ أيضاً - كانت عند شيخنا المبرور، واليوم عند سبطه المذكور. ورأيت إحداها أخيراً في مكتبة الملك بطهران. وقد نقل ثالث المجاميع إلى موقوفة مدرسة السيّد البروجردي بالنجف، وفي عدّة مواضع منها خطّ حفيده الشيخ البهائي^١.

وقال نجل العلّامة الأميني (طاب ثواه) عند الإشارة إلى مؤلّفات الشهيد :

مجموعة، جمّع فيها النوادر والنكت الأدبية والفوائد العلمية وما طاب له من حكم وأمثال وحكايات ونوادير وشعر، وقد انتقلت هذه المجموعة إلى مكتبة الشيخ محمّد بن عليّ... الجباعي المتوفّى ٨٨٦، فنقلها إلى مجموعته بكاملها، مع الإشارة إلى مجموعة الشهيد الأول. وتقع في مجلّدين^٢.

هذه كلمات الأعلام حول مجاميع الشهيد والجباعي، ونستنتج منها ومن غيرها عدّة أمور: (أ) أنّه كان للشهيد الأوّل عدّة مجاميع ورأى بعضها صاحب المعالم بخطّ الشهيد، ونقل عنه في إجازته الكبيرة.

(ب) كانت تلك المجاميع - كلّها أو بعضها - بخطّ الشهيد عند الشيخ شمس الدين الجباعي المتوفّى عام ٨٨٦، الجدّ الأكبر لشيخنا البهائي عليه السلام، وعند الكفعمي صاحب المصباح^٣ والشهيد الثاني وولده صاحب المعالم، ونقلوا عنها في آثارهم بلا واسطة. ولا يوجد اليوم بخطّ الشهيد شيء منها حسب ما نعلم.

(ج) نقل العلّامة المجلسي وتلميذه صاحب الرياض والمحدّث النوري والسيّد حسن

١. مصفّى المقال، ص ٤١٢-٤١٣.

٢. الدرّة الباهرة، ص ١٤، مقدّمة التحقيق.

٣. انظر المصباح، ص ٤٧، ٤٨، ١٥١، ١٨٢.

الصدر والسيد محسن الأمين والشيوخ آقا بزرگ الطهراني مطالب كثيرة عن مجاميع الشهيد بواسطة مجاميع الجباعي.

(د) من المعلوم أنّ الجباعي أورد في مجاميعه مطالب عن غير مجاميع الشهيد.

(هـ) لا ندري هل نقل الجباعي في مجاميعه جميع ما كانت في مجاميع الشهيد أم نقل بعضها أو أكثرها.

(و) إحدى مجاميع الجباعي لم تكن موجودة عند المحدث النوري، كما صرح به، حيث قال: «وقد أكثر في البحار من النقل عنها وعن أخرى لم تصل إلينا»^١ وهذه المجموعة لم تصل إلينا أيضاً.

(ز) كانت للجباعي مجموعة كتبها عن خطّ الجباعي بعض أحفاده، وهذه أيضاً لم تصل إلينا وكانت عند المحدث النوري.

(ح) لشمس الدين الجباعي عدّة مجاميع بخطّه الشريف:

١. هي الموجودة في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقمي ١٧٩٥ و ١٧٩٦، ذكرت في فهرسها (ج ٨، ص ٣٦٠ - ٣٦٨)، وعرف بها المرحوم الدكتور حسين علي محفوظ في مقالة «نفائس المخطوطات العربية في إيران» ونشرت هذه المقالة في مجلة معهد المخطوطات العربية، في القاهرة، السنة الثالثة، عام ١٩٥٧ م، ثم في نشرية نسخهاى خطي، العدد ١٣، ص ٣٠٨ - ٣٠٩. وفي هذه المجموعة أرجوزة في الكلام لابن داود الحلّي، والمنهج القويم له أيضاً، وكشف اليقين للعلامة الحلّي وغيرها، وفرغ الجباعي من كتابة هذه المجموعة في شعبان سنة ٨٥٢، والظاهر أنّه لم ينقل شيء منها من مجاميع الشهيد.

٢. هي الموجودة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١) برقم ٨٩٣٢، ونقلنا عنها في كتابنا هذا بعنوان مجموعة الجباعي، ج ٢. ومما كتبها الجباعي في هذه المجموعة الجمانة البهية في نظم الألفية، منهاج الكرامة، قسم من مصباح الزائر^٢، وغيرها، وكتب

١. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٣٧٣، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ٣٨٥، ط. الجديدة.

٢. انظر وصفها تفصيلاً وماورد فيها في الشريعة إلى استدراك الذريعة، ج ١، ص ٢٥١ - ٢٥٣.

الجباعي في آخرها:

وكتب العبد الفقير إلى رحمة ربّه محمّد بن عليّ بن حسن الجباعي (غفر الله له ولجميع إخوانه المؤمنين) وذلك لانتني عشرة ليلة مضتّ من شهر رمضان المعظم قدره سنة اثنتين وخمسين وثمانائة حامداً لله تعالى، مصلياً على خيرته من بريته محمّد النبي والأصفياء من عترته.

ونقل الجباعي فيها عن خطّ الشهيد مطالب مراراً. والظاهر أنّها لم تكن عند المحدث النوري.

٣. هي التي موجودة الآن في مكتبة ملك الوطنية بطهران، برقم ٦٠٤ في أربع ومائتين ورقة، نسّخها الجباعي عام ٨٥٧، كما في الورقة ١٨٣ ب منها، وهذه هي التي أكثر العلامة المجلسي رحمته النقل عنها في بحار الأنوار، خصوصاً مجلّد الإجازات^١. والكثير من هذه المجموعة منقول من خطّ الشهيد الأوّل، وليس جميعها منقولاً من مجموعة الشهيد كما لا يخفى على من راجعها. وهي التي نقلنا عنها مطالب كثيرة في هذا الكتاب.

٤. هي التي عرّف بها الطهراني وقال:

وهي الموجودة بالنجف بمكتبة مدرسة السيّد البروجردي... وكتب في آخرها أنه: «فرغ من كتابتها لنفسه... في أخريات شعبان المبارك سنة ثمان وستين وثمانائة»^٢.

وكتب في التعريف بهذه المجموعة وأوصافها ومحتواها المرحوم محمّد هادي الأميني ولد العلامة الأميني رحمته مقالة تحت عنوان «من كنوز الأدب المنسي» نشرها مجلّة العرفان في لبنان، في العدد الأوّل من السنة ٥٣، في ربيع الأوّل ١٣٨٥، وأراد الأميني تحقيقها ونشرها فلم يوفق لذلك.

وتقع هذه المجموعة في ٢٤٧ ص بالقطع الربع. وفيها مختصر الجعفرات، والسبع العلويات، وفرغ الجباعي من كتابة بعضها في أخريات شعبان ٨٦٨، وفرغ من كتابتها في

١. منها: بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٦٧-١٦٨؛ وج ١٠٧، ص ٢٠٣-٢١٠.

٢. الذريعة، ج ٢٠، ص ٧٧-٧٨؛ وذكرت هذه المجموعة في فهرس مخطوطات مدرسة البروجردي في نشرية نسخته هاى خطّي، العدد ٥، ص ٤٢٩-٤٣١، برقمي ١٢٧١، ١٢٧٢.

١٤ رجب سنة ٨٧٢، ونقل فيها مطالب عن مجاميع الشهيد، وهذه هي التي قال عنها المحدث النوري فيما نقلنا سابقاً من كلامه: «نقلها كلّها من خطّ شيخنا الشهيد». وهذه المجموعة لم تذكر في الجزء الأوّل من فهرس مخطوطات مدرسة البروجرد في النجف الأشرف الذي نشر أخيراً. ووقفنا عليه بحمد الله أخيراً في مكتبة كاشف الغطاء في النجف الأشرف.

وهناك مجموعة مختارة من مجاميع الجباعي، وهي المجموعة التي كتبها الميرزا محمّد شفيح الإصفهاني (م ١٣٢٥) ونقلنا كلامه في هذا الموضوع قبيل هذا عن هامش خاتمة مستدرك الوسائل فراجع. ومجلّد من مجموعة الإصفهاني موجودة في مكتبة آية الله المرعشي برقم ٧٣٥٦ (ذكرت في فهرسها، ج ١٩، ص ١٥٧) وتقع في ١٥٠ ورقة، وفرغ من كتابتها في شهر شعبان ١٣١٩.

ومصوّرة هذه المجاميع - سوى الرابعة - وهي التي كانت بمدرسة السيّد البروجرديّ عليه السلام في النجف الأشرف - موجودة عندي في مؤسّسة تراث الشيعة بحمد الله سبحانه.



واعلم أنّه يوجد في مكتبة السلطنة في طهران - كما في فهرسها - مصحف مخطوط برقم ٦٤٥، وجاء في آخره:

-الحمد لله الذي وفق بإتمام [كذا] كتابة هذا المصحف المجيد - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - العبد الفقير علاء الدين بن شمس الدين محمّد القارئ النيرزي في سنة تسع وثمانين وتسعمائة، عن الشيخ السعيد السديد الشهيد محمّد بن مكّي، عن الشيخ فخر الدين محمّد، عن والده الشيخ جمال الدين حسن بن مطهر الحلّي (أفاض الله عليه غنائم رحمته، وسحائب مغفرته)، عن... الأولياء وركن الأتقياء وزبدة الأصفياء عليّ بن طاوس الحسيني (تغمّده الله سبحانه برحمته ورضوانه).

الفصل الخامس الآثار المنسوبة إليه

نُسِبَتْ في كتب التراجم وغيرها كتبٌ ورسائلٌ إلى الشهيد الأوّل - غير ما تقدّم - منها ما يُشكّك في أنّها من تصانيفه، ومنها ما تقطع بعدم كونها تأليفاً له، وبعضها من مؤلفاته ولكن بأسماءٍ غير صحيحة، نوردها هنا مع ما سنح ببالنا حولها:

١ . أجوبة مسائل محمّد بن مجاهد

نُسِبَتْ في بعض الفهارس^١ مخطوطة بهذا الاسم إلى الشهيد، وذكر مفهرس المكتبة أنّ ناسخها وتاريخ نسخها مجهولان، ولم ينسب في سائر المصادر كتابٍ بهذا الاسم إلى الشهيد، ولا أعرف له مخطوطة سوى هذه المخطوطة، وهي تقع في المجموعة المحفوظة في مكتبة الإمام الحكيم العامّة في النجف الأشرف برقم ٧٤٢. وفي هذه المجموعة أيضاً شرح الفرائض النصيرية، والفوائد البهائية، وكانت سابقاً في مكتبة الشيخ محمّد السماوي عليه السلام وعليها خطّه. ورأيت المجموعة في مكتبة الإمام الحكيم حين زيارتي النجف الأشرف في شهر ربيع الآخر عام ١٤٣٠، وتقع هذه المخطوطة في حدود ١١٠ ورقة، ولانعلم تاريخ كتابتها دقيقاً، ولكنّها قديمة، أولها بعد البسملة:

الحمد لله الخالق المتبدع المعيد، العظيم الشأن، القادر القاهر القوي، السلطان الجبار المتجبر، الظاهر البرهان، الغافر الستار... أحمده حمداً كثيراً، وأشهد أن لا إله إلا هو...
وأشهد أنّ محمّداً عبده....

١. فهرست مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم العامّة، ج ١، ص ٢٩، وتُقل عنه في مقدّمه أي بر فقه شيعه، ص ١٣٥.

وبعد، فإنه لما سأل شيخنا محمد بن مجاهد للمولى [كذا] الأجلّ شمس الملة والحقّ والدين هذه المسائل متفرقةً، فيطول على الكاشف مطالعتها، أُخْبِتَتْ أن أجمعها على ما رتّب قدوة العلماء وسيد الفضلاء، نجم الملة والحقّ والدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلبي في شراعه، بأن يكون كلّ مسألة في بابها، ليسهل [ظ] كشفها على طالبها. كتاب الطهارة. وفيها أربعة أركان في المسائل المتعلقة بتطهير المياه.

مسألة: البيارة [كذا] إذا وقع فيها نجاسة لم يقدّر لها منزوح يُنزح له ثلاثون دلوّاً. ذكره ابن طاوس في أصل الاستبصار، وهي رواية كردويه المشهورة، وقيل: أربعون دلوّاً، وقيل: جميع الماء.

مسألة: لا تليق في النزح ولا يجرى ليلاً؛ لعدم النصّ. قال: يُجرى إذا لم يضعف القوة بالنعاس.

مسألة: لا تتداخل النزح وإن كان شاتين [كذا]... .

مسألة: لو كان على إنسان سجدة السهو عن نفسه أو عن غيره بالتحمل ولم يكن عليه غير ذلك، هل يجوز أن يتوضأ قبل دخول وقت الفريضة - واجباً، وكذا صلاة الاحتياط أم لا؟ الجواب: نعم يجوز أن يتوضأ قبل دخوله واجباً؛ لأنّ سجدة السهو والاحتياط يشترط فيهما الطهارة، وينوي من وجب عليه سجدة السهو الواجب استحابة الصلاة لوجوبه قرينة إلى الله.

وآخرها:

مسألة: هل يصح أن يسجد سجدة السهو قبل فعل سها عنه.

مسألة: إذا انتقل الإنسان عن محلّ القعود، طالت المدة أم [لا]، ثم شك في صحّة العقد هل يلتفت، ولكنرة الشكّ هنا مدخل؟... .

مسألة: إذا لم يكن فرط في الصلاة ثمّ صلى مع ضيق الوقت بغلبة الظنّ إلى [إحد] الجهات، ثمّ تبين الخطأ وهو في الصلاة ولم يبق ما يسع ركعةً والظاهر [ظ: في الظاهر]، هل يستقيم، أو يبطلها ويقضي.

تمت: والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين في... من جمادى الأولى سنة ٨٥٣ [؟].

وورد فيها هذه التعابير: «قال فخر»، «قال عميدالدين»، «قاله شيخنا في القواعد»؛

«من فوائد عميد الدين في درب مشهد الحسين عليه السلام»، «وكتّب محمّد بن المطهر»، «كتب عبدالله بن الأعرج الحسيني»، «وكتّب محمّد بن مكّي»، «هذا نقله إسماعيل الزّراري عن شمس الدين بن مكّي»، «ما يقول مولانا (أحسن الله إليه)»، «قال مشايخنا (قدّس الله أرواحهم)»، «نقل عن ابن مكّي».

فعلى هذا ليست هذه المخطوطة من تأليفات الشهيد، بل هي فوائد ونكات وأجوبة متفرقة استفادها وسمعها تلميذ الشهيد محمّد بن مجاهد عنه، وكانت متفرقة فرتبها ونظّمها بعض تلاميذه، فهي تأليف محمّد بن مجاهد تلميذ الشهيد.

ثمّ اعلم أنّه توجد في المكتبة المركزية لجامعة طهران مخطوطة برقم ١٢٢٧، ذكرت في فهرسها (ج ٦، ص ٢٤٥٧ - ٢٤٦٠) تحت عنوان المسائل الفقهية، وبينها وبين مخطوطينا هذه مشابهاة كثيرة بل لعلّ أكثر مطالبهما مشتركة. ولعلّ مؤلّف المسائل الفقهية أدرج مخطوطينا هذه فيها، أو أكثرها فراجع.

٢ . أحكام الصلاة

في بعض الفهارس^١ نُسبَتْ إلى الشهيد مخطوطة باسم أحكام الصلاة^٢. ونعلم أنّه ليس للشهيد كتاب بهذا الاسم، وبعد مراجعة نفس المخطوطة تبين أنّها نسخة من رسالة الخلل في الصلاة؛ وسيأتي الحديث عنها، وهي ليست للشهيد قطعاً.

٣. اختصار أصل علاء بن رزّين

أصل علاء بن رزّين هو أحد الأصول الحديثية، ومختصره موجود ومطبوع ضمن كتاب الأصول الستة عشر وجاء في آخره:

هذا آخر المختار من كتاب العلاء بن رزّين القلاء التقفي، نقلاً من خطّ الشيخ العالم محمّد بن مكّي، وهو نقل من خطّ الشيخ الجليل أبي عبدالله محمّد بن إدريس...^٣

١. فهرست ألفبائي كتب خطي، ص ٢٥-٢٦.

٢. وهي محفوظة في مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة ضمن المجموعة، المرقّمة ١٣٣٦.

٣. الأصول الستة عشر، ص ٩٣، ٣٦٨.

وقال المحدث النوري رحمته الله:

مختصر كتاب العلاء، وجدناه بخط الشيخ الجليل صاحب الكرامات محمد بن عليّ الجباعي - نقله من خطّ الشيخ الشهيد الأول، أوله هكذا: «كتاب العلاء» وساق الأخبار وكتب في آخره: «آخر المختار نقلاً من خطّ الشيخ العالم محمد بن مكّي - وهو نقل من خطّ الشيخ الجليل أبي عبدالله محمد بن إدريس - في العشرين من جمادى الأولى سنة ستين وثمانمائه، وتاريخ الكاتب للأصل آخر يوم الجمعة ثامن عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وستين وسبعمائه». وذهب هنا نصف السطر في آخر الصفحة، وبقي منه هذا: «سبعين وخمسائة»... والظاهر أنّ هذا تاريخ خطّ ابن إدريس ^١.

وقال تلميذه الشيخ آقا بزرگ الطهراني:

أصل علاء بن رزين القلاء الثقفى... والمختصر المختار منه موجود، وهو أحد الأصول الموجودة إلى عصرنا، نسخ عن خطّ الشهيد، وهو نسخته عن خطّ محمد بن إدريس الحلبي ^٢. أقول: إنّ اختصار أصل علاء بن رزين جزءٌ من مجموعة الشهيد - التي سبق الحديث عنها في الفصل الرابع - ولا يُعدُّ تأليفاً له؛ لأنّ الشهيد لم يكن قد لخصّ بنفسه أصل علاء، بل إنّ ابن إدريس قد فعل ذلك، والشهيد نقل التلخيص من خطّ ابن إدريس ^٣.

٤. اختصار الجعفریات

قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني (طاب ثراه):

الأشعثيات، ويقال له: الجعفریات أيضاً، من الكتب القديمة المعول عليها عند الأصحاب... وهي ألف حديث بإسناد واحد... وحُصرت عدّة أبياته في سبعة آلاف ومائتي بيت ...

هذا الكتاب ممّا لم يظفر به العلامة المجلسي ولا المحدث الحرّ العاملي مع شدّة تنقيبهما للكتب، وإنّما ذخره الله تعالى لشيخنا العلامة النوري ... ^٤.

١. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٣٠٧، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ١٠١، ط. الجديدة.

٢. الذريعة، ج ٢، ص ١٦٤.

٣. اللوقوف على ترجمة علاء انظر رجال النجاشي، ٢٩٨، الرقم ٨١١؛ خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣،

ص ٣٠٨ - ٣٠٧، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ١٠١ - ١٠٢، ط. الجديدة؛ الأصول الستة عشر، ص ٩٠ - ٩٥.

٤. الذريعة، ج ٢، ص ١٠٩ - ١١٠؛ وانظر أيضاً ج ٥، ص ١١٢ منه، ذيل «الجعفریات».

وقال أيضاً:

- اختصار الجعفریات، المعروف بالأشعثیات، للشيخ السعيد أبي عبدالله محمد بن مكّي الشهيد... يقرب من ثلث الجعفریات، وقد كتبه عن خطّ الشهيد الشيخ شمس الدين محمد بن عليّ الجبعي جدّ الشيخ البهائي في مجموعته الموجودة بطهران^١.

- مختصر الجعفریات، للشيخ الشهيد محمد بن مكّي، كتبه بخطّه في مجموعته التي وجدها الشيخ شمس الدين محمد بن عليّ الجباعي جدّ الشيخ البهائي وكتب الجبعي عن خطّ الشهيد في مجموعة نفيسة التي حصلت تلك المجموعة بيد شيخنا العلامة النوري وكتب الجبعي في آخر هذا المختصر المنقول عن خطّ الشهيد ما لفظه: «يقول محمد بن عليّ الجباعي إلى هنا وجدت من خطّ الشيخ محمد بن مكّي من الجعفریات على أنّي تركت بعض الأحاديث»^٢.

وقال شيخه المحدث النوري رحمته الله:

وعندي مجموعة شريفة كلّها بخطّ الشيخ الجليل صاحب الكرامات شمس الدين محمد بن عليّ الجباعي... نقلها كلّها من خطّ شيخنا الشهيد (طاب ثراه) ومما فيها ما اختصره من هذا الكتاب الشريف [أي الجعفریات]، يقرب من ثلث هذا الكتاب. وكتب في آخر الأوراق التي فيها هذه الأخبار: «يقول محمد بن عليّ الجباعي إلى هاهنا وجدت من خطّ الشيخ محمد بن مكّي من الجعفریات، على أنّي تركت بعض الأحاديث، وأولها ناقص ولعلّ آخرها كذلك. وذلك يوم الإثنين سادس شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة»^٣.

أقول: إنّ اختصار الجعفریات جزءٌ من مجموعة الشهيد - التي تحدّثنا عنها في الفصل الرابع - ولا يُعدّ تأليفاً مستقلاً للشهيد.

واعلم أنّ كتاب الجعفریات قد طبع في طهران على الحجر عام ١٢٧١. ثمّ طبعته مؤسسة كوشان بور الشقافية في طهران عام ١٤١٧ طبعه في غاية الرداء وكثرة الأغلاط.

١. الذريعة، ج ١، ص ٣٥٦.

٢. الذريعة، ج ٢٠، ص ١٩٣.

٣. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٢٩٤، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ٣٠، ط. الجديدة.

٥. أربع مسائل فقهية

ذكر أحد المعاصرين في كتابه عند ذكره لمؤلفات الشهيد كتاباً باسم أربع مسائل فقهية وأضاف بأن مخطوطته موجودة في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ٢٧١١، (ذكرت في فهرسها، ج ١٠، ص ١٥٩١)^١. والحال أنه ليس للشهيد كتابٌ ولا رسالة باسم أربع مسائل فقهية، وإنما نسخ كاتب تلك المخطوطة أربع مسائل فقهية في ضمن مجموعته، وكتب في أولها:

مسائل أربعة [كذا] منقولة عن الشيخ الأجلّ العلامة أبوطالب ابن الشيخ إسماعيل الرازي^٢ [كذا] المذكور في الكتب، عن الشيخ العلامة الشهيد محمد بن مكّي (قدّس الله روحه العزيز).

وعلى فرض صحّة النسبة فهذه المسائل إمّا مأخوذة من مجموعة الشهيد أو من سائر آثاره وفوائده، وليست له رسالة مسمّاة باسم أربع مسائل فقهية. وإليك نصّ هذه المسائل الأربع:

الأولى: المقتول ظلماً ينتقل جميع ما في ذمّته من الحقوق الشرعيّة والذنوب والخطايا إلى ذمّة القاتل حتّى مهر الزوجة وميراث الورثة، وبصير المقتول بريئاً من الجميع.

الثانية: القاتل شخصاً ظلماً لأجل تزويج زوجته تحرم عليه مؤبداً؛ مواخذة بهذا المقصود [خ ل: عقوبة على فعله].

الثالثة: أنّ المرأة الزانية إذا كان زوجها يعلم حالها وفعلها تحرم تلك المرأة عليه مؤبداً.

الرابعة: أنّ المرأة إذا زنت وزوجها راض عن فعلها يجب قتله. والله أعلم^٣.

١. مقدّمه اي بر فقه شيعه، ص ١٣٥.

٢. انظر الضياء اللامع، ص ١٤، ٧٠. والظاهر أنّ الصواب «الزاري» نسبة إلى بلدة الزارارية من بلاد جبل عامل. انظر ما تقدّم حول الموضوع في الفصل الثامن من الباب الأول.

٣. مخطوطة المكتبة المركزية لجامعة طهران، المرقمة ٢٧١١، الورقة ١٦٦. ووقفت على مخطوطة أخرى لهذه المسائل الأربع في مكتبة مدرسة نمازي في مدينة خوي، ضمن المجموعة المرقمة ٦٦٠، الورقة ٤٨٥. وحققت المسائل الأربع اعتماداً على هاتين النسختين. وكتب كاتب هذه المجموعة قبل المسائل الأربع: «أربع مسائل منقولة من الشيخ الأجلّ العلامة أبي طالب ابن الشيخ إسماعيل الرازي [كذا]، عن أبيه المذكور عن الشيخ السعيد الشهيد (عليه الرحمة والرضوان) أنّه قال»، وكتب هذه المسائل الأربع أيضاً في الورقة الأولى من مخطوطة اللعة الدمشقيّة المحفوظة في مكتبة الروضة الرضوية، برقم ٢٨١١.

فهذا جميع مانسب إلى الشهيد باسم أربع مسائل فقهية، وأستبعد صحة نسبة المسائل إلى الشهيد، فلم أعرف واحداً من فقهاءنا العظام التزم بهذه المسائل وأفتى بها فضلاً عن الشهيد. ثم أعلم أن العالم المتتبع المرحوم آية الله الشيخ عبدالله المامقاني رحمه الله قد بحث حول هذه المسائل الأربع حوالي عشر صفحات في رسالته: وسيلة النجاة في أجوبة جملة من الاستفتاءات المندرجة في مجموعة من رسائله المسماة بالاثني عشرية (ص ٣٤ - ٤٣)، المطبوعة في النجف الأشرف سنة ١٣٤٤، وإليك بعض كلامه:

السؤال التاسع عشر: إن أربع مسائل عزيت إلى الشيخ الشهيد (قدس الله نفسه الزكية) نُحِبُّ أَنْ نَعْلَمَ رَأْيَكُمْ فِيهَا ...

الجواب: شرح الحال في المسائل الأربع أن يقال: أما المسألة الأولى فلم أجد - بعد فضل التتبع - منها في كتب الشهيد (أنار الله تعالى برهانه) عيناً ولا أثراً، لكن ذكرت في مبحث الدين من منتهى المقاصد أنه اشتهر نقل ذلك عنه في كتب الفقه، واشتهر الاستناد في ذلك إلى مضمون رواية هي أنه «ماترك القاتل على المقتول شيئاً»، لكن مع عدم ثبوت الرواية فالشيء محمول على الحقوق الإلهية، نظير ما ورد من أن ما ترك المقتول من ذنب فعلى قاتله. ولم أقف على موافق للشهيد رحمه الله في ذلك إلا صاحب الحدائق ... ولقد أجاد السيد العلامة السيد ماجد البحراني المدفون بشيراز تحت قبة السيد أحمد بن مولانا الكاظم عليه السلام المشهور بشاه چراغ حيث قال في الجواب عن هذه المسألة: «إن انتقال ما على المقتول إلى ذمة القاتل من الحقوق المالية والإلهية لا تعرف له وجهاً، وإن وجد في بعض الفوائد منقولاً عن بعض الأعيان». انتهى كلامه (علامه).

وأما المسألة الثانية والرابعة فلم أعر - بعد فضل التتبع - على أثر لشيء منهما في مصنفات الشيخ الشهيد رحمه الله ولا من نسب إليه شيئاً منهما ولا من أفتى بمضمونها، فإن صحّت النسبة فهما من الفتاوى العجيبة التي لا ينبغي صدورهما ممن ليس من مذهبه العمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة. وما علّل به الثانية عليل؛ لأنه استحسان صرف واعتبار محض لا يناسب التمسك بمسلك أصحابنا. وكذلك الأخيرة، بل الاعتبار يساعد على خلاف ذلك، ضرورة أنه إذا كانت الزوجة الزانية لا تقتل إلا مع اجتماع شرائط الإحصان، فكيف يقتل الزوج الراضي بفعالها مطلقاً، والحال أن وازرة لا تزور أخرى، والراضي بفعل محرّم وإن كان يشارك الفاعل في العقاب ويحشر معه يوم الحساب، إلا أنه لا يشاركه في الآثار الشرعية بلا رتاب.

وأما المسألة الثالثة فيمكن الاستئناس لها بقوله (عزّ من قائل):
 ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بناء على
 إرادة الوطء من النكاح في الآية.
 ولكن لا يخفى عليك أن المراد بالنكاح فيها التزويج وموردها المشهورة بالزنى مالم
 تتب، كما تشهد بذلك الأخبار الواردة في تفسير الآية، ولذا لم يفت أحد من فقهاءنا
 بالحرمة مطلقاً...
 وإذ قد عرفت الجهات الأربع بان لك أنّ المسألة الثالثة المنسوبة إلى الشهيد عليه السلام معاً لا
 قائل به ولا دليل. والله الهادي إلى سواء السبيل.

٦. الاستدراك

قال العلامة المجلسي عليه السلام في الفصل الأوّل من مقدّمة كتابه البحار في بيان مصادره:
 وكتاب الذكري... للشيخ العلامة السعيد الشهيد... وكتاب الاستدراك، وكتاب الذرة
 الباهرة... له عليه السلام أيضاً كما أظنّ...^١

وقال في الفصل الثاني في بيان توثيق المصادر:

ومؤلفات الشهيد مشهورة كمؤلفها العلامة، إلا كتاب الاستدراك؛ فإنّي لم أظفر بأصل
 الكتاب، ووجدت أخباراً مأخوذةً منه بخطّ الشيخ الفاضل محمّد بن عليّ الجبعي،
 وذكر أنّه نقلها من خطّ الشهيد (رفع الله درجته)^٢.

وقال تلميذه صاحب الرياض بعد نقل هذا الكلام: «أقول: بالبال أنّ هذين الكتابين من
 مؤلّفات غيره»^٣.

وقال المحدث النوري بعد نقله لكلام العلامة المجلسي عليه السلام:

وهذا غفلة عجيبة منه؛ فإنّ الشهيد ينقل عن الاستدراك في المأخذ الذي ذكره، ووصل
 إلينا بحمد الله، وصرّح بأنّه من القدماء^٤... فعّد الاستدراك من كتبه سهو ظاهر^٥.

١. بحار الأنوار، ج ١، ص ١٠.

٢. بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٩.

٣. تعليقه أمل الآمل، ص ٧٩.

٤. كما سيأتي، حيث قال الشهيد: «صاحب الاستدراك... يروي عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه وطبقته».

٥. خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣١١، ط. الجديدة.

وقال الطهراني (طاب ثراه):

الاستدراك، لبعض قدماء الأصحاب، كما نقله الشيخ شمس الدين جدّ شيخنا البهائي في مجموعته الموجودة بخطّه عن خطّ شيخنا الشهيد محمّد بن مكّي. وصورة خطّ الشهيد هكذا: «كتاب الاستدراك لبعض قدماء الأصحاب، ولم يظهر لي إلى الآن اسمه ولا شيء من حاله، نعم يروي عن الشيخ ابن قولويه، فهو من معاصري المفيد» ...^١

أقول: نقل الجباعي في مجموعته عدّة دعواتٍ عن كتاب الاستدراك، وقال قبل نقلها: هذه دعوات الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في دخلاته على المنصور. وقد ذكر صاحب الاستدراك منها ثلاثاً وعشرين، وهو روى عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه وطبقته، وعن جماعة بمصر وخراسان ...^٢

وخلاصة الأمر أنّ كتاب الاستدراك ليس من مؤلّفات الشهيد قطعاً.

٧. تقريب المبادئ

قال صاحب الرياض عند الإشارة إلى مؤلّفات الشهيد:

ونسب إليه بعض الفضلاء... كتاب تقريب المبادئ وكتاب التهذيب في الأصول. ولعلّ الأخير من باب الاشتباه.^٣

أقول: صحّة النسبة بعيدة جداً غاية البعد، فلم ينسب له أحدٌ من تلامذته ولا معاصريه والمتأخّرين عنه من أصحاب التراجم والرجال كتاباً باسم تقريب المبادئ ولا كتاب التهذيب في الأصول إلى الشهيد - سوى ما ذكره صاحب الرياض - نعم للعلامة الحلّي كتابٌ باسم تهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول وقد شرّحه الشهيد كما تقدّم، وليس له قطعاً كتابٌ باسم التهذيب في الأصول.

٨. التهذيب في الأصول

انظر ما قلناه آنفاً ذيل تقريب المبادئ.

١. الذريعة، ج ٢، ص ٢٢؛ وانظر كشف الأستار، ج ٣، ص ٤٤١ - ٤٤٥.

٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٤٧ ب؛ بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

٣. تعلية أمل الآمل، ص ٧٩.

٩ . حاشية التحرير

قال المحقق الكركي رحمته الله:

- ... ظاهر عبارة التذكرة والمستهي والتحرير يشعر بالتوقف في الحكم ...

وفي الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد على التحرير: «إنَّ توقُّف المصنَّف يحتمل شيئين: ...»^١.

- ... وفي الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد على التحرير تقييد ذلك بالمرض ...^٢.

هذا ما ذكره في جامع المقاصد، ولكن قال في شرح الألفية والرضاعية:

- وقد يوجد في بعض الحواشي المنسوبة إلى المصنَّف على التحرير وغيره، ولاشك في بطلان هذه النسبة^٣.

- وقد رأيت في عصري كثيراً من الحواشي والقيود منسوبة إليه رحمته الله وأنا أجزم بفساد تلك النسبة، والسرِّ في ذلك تصرف الطلبة الذي يعزُّ سلامته من الزيادة والنقصان والخطأ وسوء الفهم^٤.

ولم أجد من نسب حاشية التحرير إلى الشهيد رحمته الله. ولعلَّ الشهيد كتب في نسخته من التحرير حواشي قليلة، ولم تكن بالمقدار الذي يمكن عدّها رسالة أو حاشية، ومن هنا فلم يذكر أحدٌ من أصحاب التراجم في عداد تأليفاته حاشية التحرير.

١٠ . حاشية الشرائع

قال صاحب الرياض عند ذكره مصنَّفات الشهيد:

ونسب إليه بعضهم حاشية الشرائع، ولعلَّها مذكورة في مجالس المؤمنين أيضاً فلاحظ^٥.

ولم ينسبها إليه أحدٌ سوى صاحب الرياض، ولم نجد هذه النسبة في مجالس المؤمنين ولعلَّ

١. جامع المقاصد، ج ٣، ص ٣٩١.

٢. جامع المقاصد، ج ٧، ص ١٤٩. وانظر مفتاح الكرامة، ج ٧، ص ١٦١.

٣. حياة المحقق الكركي، ج ٣، ص ٥٢٢.

٤. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

الأمر قد التبس صاحب الرياض في حاشية الشرائع للشهيد الثاني^١، فقال: إنها للشهيد الأول.

١١ . خلاصة الإيجاز

قال صاحب الرياض أيضاً عند ذكره مصنفات الشهيد :

وله أيضاً رسالة خلاصة الإيجاز للمفيد، نسبها إليه سبط الشيخ علي الكركي في رسالة رفع البدعة في حلّ المتعة، ويروي عنها بعض الأخبار^٢.

أقول: نَشَرَ المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشيخ المفيد رحمته رسالة خلاصة الإيجاز في المتعة، ونُسِبَتْ في مخطوطةٍ منها - وهي التي توجد في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ٢٨٨٨/٤ - إلى المحقق الكركي^٣. ونسبتها إلى الشهيد بعيدة غاية البعد بل سهو، ولم نقف على مخطوطةٍ من مخطوطاتها نُسِبَتْ فيها إلى الشهيد، وكذلك لم نقف - بالرغم من الفحص الكثير - على نسخة لرسالة رفع البدعة حتّى ننظر ما فيها، ولم نقف على من نسبها إلى الشهيد غير من نقل عنه صاحب الرياض، وهو سهو بلا ترتيب، وأسلوبها يُعَارِضُ آثار الشهيد، ولم تكن الظروف والأجواء في عصره ومحلّ إقامته مساعدة على تأليف مثل هذه الرسالة.

١٢ . الخَلَلُ فِي الصَّلَاةِ

طُبِعَتْ رسالة في خَلَلِ الصَّلَاةِ مع كتاب البيان للشهيد عام ١٣٢٢ على الحجر، جاء في أولها: «هذه النسخة في أحكام الخلل الواقع في الصلاة من السهو والشك» وعبر عنها المتصدّي لطبعها الحاج الشيخ أحمد الشيرازي (طاب ثراه) في آخرها بقوله: «رسالة في أقسام الشكّ والسهو من مصنّفٍ غير معلوم». ومع هذا فقد نَسَبَهَا بعضُ المعاصرين في

١. صرّح الشهيد الثاني في إجازته للشيخ ابن هلال الجزائري رحمته بأنّ من تأليفاته حاشية الشرائع، حيث قال: «... ومن أهمّها كتاب مسائل الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام (وفق الله تعالى لإكمالها) في سبع مجلّدات كبيرة، ومنها حواشي الكتاب المذكور مجلّدان». بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٤٣ - ١٤٤.

٢. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

٣. للمزيد راجع خلاصة الإيجاز، ص ١٠، ١٢، مقدّمة التحقيق: حياة المحقق الكركي، ج ٢، ص ٤٤٩ - ٤٥٣.

كتابه^١ إلى الشهيد، كما نُسب في المخطوطة المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي برقم ١٣٤٣١/١ إلى الشهيد، كما ذكر في فهرسها (ج ٣٤، ص ٨٦-٨٧). والرسالة ليست للشهيد قطعاً، ويشهد لهذا أسلوبها وسبكها وصياغتها. وذكر بعض المعاصرين أنها تأليف المحقق الكركي (م ٩٤٠) وقد طبعت أخيراً ضمن رسائله^٢. ونسبها العلامة السيّد عبدالعزيز الطباطبائي^٣ إلى زين الدين أبي الحسن بن حسن بن عليّ القطيفي، اعتماداً على مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، برقم ٢١٤٧^٤، ذكرت في فهرسها (ج ٥، ص ٤٣٦).

هذه الرسالة ذكرها الطهراني (طاب ثراه) في الذريعة، ونسبها في موضع إلى الشيخ إبراهيم القطيفي وفي موضع آخر استظهر أنها للكركي، حيث قال:

١٧٧٢: رسالة في السهو والشك في الصلاة، للشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي المتوفى بعد ٩٤٥. أولها: «الحمد لله الذي فطر السماوات والأرض فاستوتا...» وأخرها: «إنه وليّ القدرة ومُقبل العثرة». توجد... في الرضوية، وأخرى كتابتها ٩٨٥^٥.
 ١١٩٧: الخلل في الصلاة، لبعض الأصحاب. وقد طبع في آخر كتاب البيان للشيخ الشهيد... أوله: «الحمد لله الذي فطر السماوات والأرض فاستوتا...» وأخره: «إنه وليّ القدرة ومُقبل العثرة». وهو مرتّب على قسمين: الأوّل في السهو، والثاني في الشك... نسخة منه في المكتبة الرضوية... وهي منضّمة إلى حاشية المختصر النافع للمحقق الكركي... ولذا استظهر مؤلف الفهرست أنه للمحقق الكركي. ورأيت أنا نسخة أخرى منه منضّمة إلى حاشية الشرائع للمحقق الكركي... ونسخة أخرى في النجف... وهي منضّمة إلى الجعفرية ورسالة العدالة والكبائر للمحقق الكركي... ومن اتّصالة بسائر تصانيف الكركي في هذه النسخ المكتوبات في قُرب عصره يُظنُّ كونه أيضاً من تصنيفه^٥.

١. مقدّمه ای بر فقه شيعه، ص ١٤٨.

٢. رسائل المحقّق الكركي، ج ٢، ص ١١٩-١٤٦. وللوقوف على مخطوطاتها انظر مقدّمه ای بر فقه شيعه، ص ١٧٦-١٧٧ وللبحث حول هذه الرسالة انظر فهرس مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، ج ٢٢، ص ١٥٨-١٥٩؛ حياة المحقّق الكركي، ج ٢، ص ٤٥٣-٤٥٧.

٣. المحقّق الطباطبائي في ذكره السنوية الأولى، ج ٢، ص ٨٩١.

٤. الذريعة، ج ١٢، ص ٢٦٦.

٥. الذريعة، ج ٧، ص ٢٤٨.

هذا، وقد نسب الطهراني رسالة أخرى في السهو والشك في الصلاة إلى المحقق الكركي في موضعين من الذريعة، حيث قال:

- ١٧٧٣: رسالة في السهو والشك في الصلاة، للشيخ نورالدين علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي المتوفى ٩٤٠. نسخة بخط الشيخ محمود ابن الشيخ طلاع الجزائري، فرغ من الكتابة في ١٠٨٦. في المكتبة التستيرية، مرتبة على ثلاثة فصول وخاتمة، مخرومة من أولها. ومرّ الخلل المرتب على قسمين... في ج ٧، ص ٢٤٨...^١
- ٢٢٣٨: الشك والسهو، رسالة للشيخ نورالدين... المحقق الكركي... مرتب على ثلاثة فصول وخاتمة. نسخة منه في المكتبة الحسينية التستيرية في النجف الأشرف بقلم الشيخ محمود بن طلاع الجزائري، فرغ من الكتابة سنة ١٠٨٦، وقد ذكرناه بعنوان رسالة السهو والشك في ج ١٢، ص ٢٦٧...^٢

أقول: هذه الرسالة ضمن مجموعة في المكتبة التستيرية برقم ٦١٨، وذكرت في فهرسها، وسماها المفهرس الرسالة السهوية، أولها - بعد بالبسملة والحمد لله -: «...فما تقول مولانا فيما لونسي نيّة الصوم ليلاً»^٣. وعلى هذا فهي رسالة أخرى غير رسالة الخلل في الصلاة المطبوعة مع البيان، ولكن بعض المعاصرين زعم في مقدّمة رسائل المحقق الكركي أنها هي التي طبعت مع البيان^٤. وهذا سهو واضح.

وخلاصة القول أن رسالة الخلل في الصلاة المطبوعة مع البيان ليست من تصانيف الشهيد.

ثمّ أعلم أن الشيخ عليّ العاملي رحمته الله صاحب الدر المنثور قال في كتابه هذا في توضيح مسألة من الروضة البهية فيمن جهل عين الفاتنة:

... السادس: أن يرجع إلى الثنائية والرابعة على معنى أنه يحصل ترتيب المغرب عليهما... ولكن وجهه غير ظاهر.

وأضاف في الهامش: «صرّح الشهيد الأول رحمته الله في رسالة السهو بوجوب التقديم في

مثل هذا»^٥.

١. الذريعة، ج ١٢، ص ٢٦٧.

٢. الذريعة، ج ١٤، ص ٢١٢.

٣. نشرية نسخههاى خطى، العددان ١١-١٢، ص ٨٦٩.

٤. رسائل المحقق الكركي، ج ٢، ص ١٣-١٤، المقدّمة.

٥. الدر المنثور، ج ١، ص ١٧٥.

أقول: لعلّ مراده رسالة الخلل في الصلاة المطبوعة مع البيان وضمن رسائل المحقّق الكركي، حيث جاء فيها:

... فإن وقع الاشتباه في ثلاث صلوات مثل... أو ثنائية بعدها رباعيتان أو ثلاثية قبلها كذلك أعاد صلاتين: إحداهما معيّنة والأخرى مطلقة...^١

١٣. الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة

قال العلامة المجلسي (أفاض الله سبحانه على روحه المراحم الرّبانية):

- ومؤلفات الشهيد مشهورة كمؤلفها العلامة إلّا... الدرّة الباهرة؛ فإنّه لم يشتهر اشتهاً سائر كتبه، وهو مقصور على إيراد كلمات وجيزة مأثورة عن النبي ﷺ وكلّ من الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)^٢.

-... وكتاب الاستدراك، وكتاب الدرّة الباهرة له ﷺ أيضاً كما أظنّ. والأخير عندي منقولاً عن خطّه ﷺ^٣.

وقال تلميذه صاحب الرياض - بعد نقله لكلام أستاذه -: «بالبال أنّ هذين الكتابين من مؤلفات غيره»^٤.

وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني (طاب ثراه):

الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة، ينقل عنه المجلسي في البحار، ونسبه في فضل ذكر المآخذ في أوّل البحار إلى الشيخ السعيد محمّد بن مكّي الشهيد... أقول: توجد منه نسخة في مكتبة المحيط^٥.

أقول: الدرّة الباهرة رسالة مقصورة على إيراد كلمات وجيزة مأثورة عن النبي ﷺ والأئمة المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين) حسب ترتيب الأئمة عليهم السلام، وقد ضمّنها العلامة المجلسي في البحار ووزّعها في مواضعها المناسبة.

١. الخلل في الصلاة، ضمن رسائل المحقّق الكركي، ج ٢، ص ١٢٥.

٢. بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٩ - ٣٠.

٣. بحار الأنوار، ج ١، ص ١٠.

٤. تعليقه أمل الآمل، ص ٧٩.

٥. الذريعة، ج ٨، ص ٩٠.

وأقدم مخطوطة كاملة لها - فيما أعلم - هي التي ضمن مجموعة الجباعي^١. وكتب الجباعي في أولها: «الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة». وفي آخرها: في هذا الموضوع ما صورته: «وكتب محمد بن مكّي بالمدينة المشرفة مدينة سيدنا رسول الله ﷺ في سنة خمسين وسبعمئة، حامداً ومصلياً»^٢.

هذا، ولكن لم يرد في مجموعة الجباعي ما يوحى بأن الرسالة من مؤلفات الشهيد، بل الأمر بالعكس، أعني أن الشهيد قام بنسخها فقط، كسائر الرسائل التي نسخها في مجموعته من مؤلفات غيره. وقال ناسخ مخطوطة الدرة الباهرة - المحفوظة في مكتبة الروضة الرضوية المقدسة، ضمن المجموعة المرقمة ٦٧٦٣ - في آخرها: «تمت الدرة الباهرة من مؤلفات العالم النحرير الكيذري (رحمة الله عليه تعالى، وصلى الله على محمد وآله أجمعين)». ولعل ما ذهب إليه الناسخ هو الصحيح؛ فإنه ورد في مجموعة الجباعي نقلاً عن خط الشهيد: من خط نقل من خط قطب الدين الكيذري ﷺ: «قال النبي ﷺ: المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة فيها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة سترًا فيما بينه وبين النار وأعطاه الله لكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات. وما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم إلا ناداه ربّه: جلست إلى حبيبي، وعزّتي وجلالي لأسكننك الجنة معه ولا أبالي»^٣. وهذا الحديث بعينه مروى في أوائل الدرة الباهرة، قسم كلام النبي ﷺ.

وعلى هذا فالظاهر أنها لم تكن تأليفاً للشهيد، بل أوردتها الشهيد - نقلاً عن الكيذري - في مجموعته بخطه، ونقلها عنه الجباعي في مجموعته^٤. ولم ينسبها إلى الشهيد أحد من تلامذة الشهيد ولا سائر العلماء قبل العلامة المجلسي، وفي كلامه شيء من التردد حيث قال: «فإنه لم يشتهر اشتهاً سائر كتبه»^٥. وقد مرّ كلام صاحب الرياض بشأن هذا الكتاب وكتاب الاستدراك حيث قال: «بالبال أن هذين الكتابين من مؤلفات غيره»^٦.

١. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٠ ب - ١٣٥ ألف.

٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٥ ألف.

٣. مجموعة الجباعي، الورقة ٦١ ألف.

٤. كما قال العلامة المجلسي (طاب ثراه) في بحار الأنوار، ج ١، ص ١٠ بشأنها: «والأخير عندي منقولاً عن خطه ﷺ».

٥. بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٩ - ٣٠.

٦. تعليقة أمل الأمل، ص ٧٩.

وقد طبعت المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف عام ١٣٨٨ هذه الرسالة مستقلة لأول مرة - اعتماداً على مجموعة الجباعي - بتحقيق الشيخ محمّد هادي الأميني رحمته الله نجل العلامة الأميني رحمته الله، وطبعتها أيضاً مؤسسة طبع ونشر الروضة الرضوية المقدّسة في مشهد عام ١٤٠٦ بإعداد داود الصابري. ثمّ ترجمها إلى الفارسية الشيخ عبدالهادي المسعودي ونشرها مع أصلها نشر زائر في قم المقدّسة عام ١٤٢٢ / ١٣٧٩ ش.

وتوجد لها عدّة مخطوطات، منها:

- أ) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية بطهران، ضمن مجموعة الجباعي، المرقّمة ٦٠٤.
- ب) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة في مشهد، المرقّمة ٦٧٦٣.^١
- ج) مخطوطة مكتبة الوزيري بمدينة يزد، المرقّمة ٢٥٨٥.^٢
- د) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ١٩١٨/٦.^٣

● رسالة السهو ← الخلل في الصلاة

١٤. شرح مبادئ الأصول

قال صاحب الرياض عند ذكره تصانيف الشهيد: «شرح مبادئ الأصول للعلامة، رأيت قطعة منه في بلدة رشت»^٤.

أقول: لم يذكر أحدٌ شرح مبادئ الأصول للعلامة ضمن مؤلفات الشهيد؛ وإنّما سَرَحَ الشهيد تهذيب الوصول إلى علم الأصول للعلامة، كما تقدّم، وذكره الشهيد في إجازته لابن الخازن بقوله: «شرح التهذيب الجمالي في أصول الفقه»^٥. ولعلّ الأمر قد التبس على صاحب الرياض فخلطَ بينهما، ورأى قطعةً من شرح التهذيب فتوهّمها قطعةً من شرح مبادئ الأصول، ويوجد في كلامه رحمته الله الكثير من أمثال هذا الاشتباه.

١. ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ٨٣، وفي فهرست ألفبائي كتب خطي، ص ٢٤٥.

٢. ذكرت في فهرسها، ج ٤، ص ١٣٥٣.

٣. ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ٤١.

٤. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٨.

٥. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

١٥ . غاية القصد في معرفة القصد

نسبَه م فهرس مكتبة السيّد محمد البغدادي الحسيني إلى الشهيد الأوّل^١. وهو ليس للشهيد قطعاً، بل ألفه الفيلسوف شمس الدين محمد بن مكّي أستاذ الشهيد الثاني رحمته، فهو من علماء القرن العاشر. قال الشهيد الثاني في ترجمة نفسه :

... ثم ارتحلْتُ إلى دمشق، واشتغلتُ بها على الشيخ الفاضل المحقّق الفيلسوف شمس الدين محمد بن مكّي، فقرأتُ عليه من كتب الطبِّ شرح الموجز النفيسي وغاية القصد في معرفة القصد من مصنّفات الشيخ المبرور المذكور ...^٢.

١٦ . قصر صلاة المسافر

نسبَتْ إلى الشهيد مخطوطة باسم قصر صلاة المسافر في بعض الفهارس^٣. وبعد مراجعة نفس المخطوطة تبين أنها هي رسالة جواز السفر في شهر رمضان اعتباراً، التي مرّت عند ذكر مؤلّفات الشهيد، وليست تأليفاً جديداً له.

١٧ . اللوامع

عدّ العلامة المجلسي رحمته - في الفصل الأوّل من مقدّمة بحار الأنوار - كتاب اللوامع من تصانيف الشهيد^٤. وقال المولى ذوالفقار من تلاميذ العلامة المجلسي رحمته في رسالة له إلى العلامة المجلسي - والتي وردت في مجلّد إجازات البحار :-

- كتاب المزاري... واللوامع والمقداديات كلّها لأبي عبد الله الشهيد^٥.

- وكتاب المزاري للشهيد... واللوامع والمقداديات له عند بهاء [أي الفاضل الهندي]

موجودتان^٦.

١. مخطوطات مكتبة آية الله السيّد محمد البغدادي الحسيني في النجف الأشرف، ص ١٠٧.

٢. الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٥٩؛ رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٨٦٤؛ وانظر الذريعة، ج ١٦، ص ١٤.

٣. فهرست القبائى كتب خطى، ص ٤٤٥.

٤. بحار الأنوار، ج ١، ص ١٠.

٥. بحار الأنوار، ج ١١٠، ص ١٦٦.

٦. بحار الأنوار، ج ١١٠، ص ١٦٨.

وقال صاحب الرياض أيضاً عند ذكره مؤلفات الشهيد :

نَسَبَ [أي العلامة المجلسي] إليه كتاب اللوامع أيضاً، وأظنُّ أنه من مؤلفات الشيخ مقداد^١.

وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني :

اللوامع، للشيخ أبي عبدالله محمد بن مكي... كتبه بعض تلاميذ المولى المجلسي إليه وأنه مما ينبغي إدخاله في البحار، وقال، «إنه موجود عند المولى بهاء الدين»^٢.

أقول: ليس للشهيد كتاب باسم اللوامع، ولم ينسبه أحدٌ من العلماء إلى الشهيد قبل العلامة المجلسي وتلميذه المولى ذوالفقار^٣، على أن صاحب الرياض قال أيضاً: «وأظنُّ أنه من مؤلفات الشيخ مقداد»^٣، ولم أعرف له مخطوطة - بالرغم من الفحص الكثير المضي - كي أبحث عن نسبه أكثر من هذا. ولعدة من علمائنا الأبرار كتب بهذا الاسم^٤، منها اللوامع الإلهية في المسائل الكلامية للفاضل المقداد، كما صرح به في مقدمة كتابه نضد القواعد الفقهية بقوله: ولما وفق الله ليزبُر كتاب اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية رأيت إتباعه بكتاب في المسائل الفقهية ...^٥

١٨ . مجموعة الإجازات

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني رحمته الله:

اعلم أن كثيراً من العلماء الأعلام أولهم - على ما أعلم - السيد الأجل رضي الدين علي بن طاوس المتوفى سنة ٦٦٤، والشيخ الشهيد في سنة ٧٨٦، ثم الشهيد الثاني ثم جمع من العلماء المتأخرين قد أفرد كل واحد منهم في الإجازات تأليفاً مستقلاً جمعوا فيه ما أطلعوا عليه منها، وقد رأيت من هذا النوع مجلّداتٍ، وجملة منها ذكرت في تراجم مؤلفيها بعنوان كتاب الإجازات ...^٦

١. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

٢. الذريعة، ج ١٣، ص ٣٨٥.

٣. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

٤. ذكرها الطهراني (طاب ثراه) في الذريعة، ج ١٨، ص ٣٥٨ - ٣٧١.

٥. نضد القواعد الفقهية، ص ٤.

٦. الذريعة، ج ١، ص ١٢٣.

وتبعه الشيخ محمد رضا شمس الدين فنسب إلى الشهيد كتاباً باسم مجموعة الإجازات وقال:

وهي التي جمعها الشهيد من إجازات العلماء القدماء ... ولعلها هي الموجودة بمكتبة الجامعة [ب طهران] بعنوان رسالة الإجازات، كما جاء في مقدّمة البحار من الطبعة الجديدة^١.

أقول: لم أفق على من نسب للشهيد كتاباً بهذا الاسم والمحتوى سوى الطهراني، ولا أدري ما هو مأخذه ومستنده، ولا يوجد اليوم من هذا الكتاب عين ولا أثر. نعم للشهيد عدّة إجازات لتلامذته، كما ذكرناها سابقاً في الفصل الثاني من هذا الباب في ذيل عنوان «إجازاته»، وما سوى ذلك فلم نعثر له على كتاب في هذا الموضوع. نعم ربما نقل الشهيد بعض إجازات العلماء في بعض المواضع، كما حكى عنه الجبائي في مجموعته إجازة العلامة الحلّي للقطب الرازي، والتي كتبها الشهيد على كتاب قواعد الأحكام للعلامة^٢. ومن الممكن أنّ الشهيد قد نقل بعض الإجازات في مجموعته، وهذا لا يدلّ على أنّ له كتاباً باسم مجموعة الإجازات في قبال سائر آثاره.

واعلم أنّ المولى ذوالفقار تلميذ العلامة المجلسي^{رحمته} قال في رسالته إليه في بيان «الكتب التي ينبغي أن تلحقَ بحار الأنوار»:

- كتاب المزار ورسالة الإجازة و... كلّها لأبي عبدالله الشهيد^٣.

- وكتاب المزار للشهيد ... ورسالة الإجازة له مشهورة، وربما تكون عندكم ...^٤.

وقال العلامة المجلسي في الفصل الأوّل من مقدّمة البحار في بيان مصادره:

وكتاب الذكري ... ورسالة الإجازات [كذا، ظ: الإجازة] و... كلّها للشيخ العلامة السعيد الشهيد ...^٥.

١. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٧. اعلم أنّ رسالة الإجازة التي توجد مخطوطتها في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقم ٣١٠٨/٤، والتي أشير إليها في مقدّمة البحار (بحار الأنوار، ج المدخل، ص ١٥٤، الهامش) هي إجازة الشهيد لابن الخازن - كما في فهرسها، ج ١١، ص ٢٠٦٣ - وليست مجموعة الإجازات للشهيد.

٢. مجموعة الجبائي، الورقة ٢٠٦ ب.

٣. بحار الأنوار، ج ١١٠، ص ١٦٦.

٤. بحار الأنوار، ج ١١٠، ص ١٦٨.

٥. بحار الأنوار، ج ١، ص ١٠.

والظاهر أنّ المراد برسالة الإجازة في كلام المولى ذوالفقار و في البحار هي إجازة الشهيد لابن الخازن أو لابن نجدة، وقد أدرجتا في مجلّد إجازات البحار^١.

١٩ . مسائل تزاحم الحقوق

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني (طاب ثراه):

- مسائل تزاحم الحقوق، للشيخ الأجلّ السعيد أبي عبدالله محمّد بن مكّي ... أوّله: «يجوز فتح باب في الطريق النافذ وإحداث روشن و ساباط». رأيت في مجموعة في طهران في كتب السيّد ميرزا محمّد تقي ابن الميرزا محمّد باقر المدرّس الرضوي في اثنتي عشرة صفحة. في آخرها: «هذه المسائل منقولة عن الشيخ الأجلّ العلامة أبي طالب ابن الشيخ إسماعيل الرزاني^٢ عن أبيه المذكور عن الشيخ الشهيد محمّد بن مكّي»^٣.

- إسماعيل الدراني (الواراني، الرزاني خ ل) كان من تلاميذ الشهيد محمّد بن مكّي ... وروى عنه مسائل تزاحم الحقوق ويرويها هو لولده الأجلّ أبي طالب بن إسماعيل - الآتي أنّه من تلاميذ ابن فهد (م ٨٤١م) - والنسخة موجودة عند السيّد محمّد تقي المدرّس الرضوي المشهدي بطهران^٤.

وتبع الطهراني أحد المعاصرين في كتابه^٥ فعدّ مسائل تزاحم الحقوق من مؤلّفات الشهيد. بينما هو ليس كتاباً مستقلاً للشهيد - ولم ينسبه أحد إلى الشهيد سوى الطهراني - بل هو بعينه قسم من كتاب الدروس^٦، أوّله: «كتاب تزاحم الحقوق. يجوز فتح باب في الطريق النافذ وإحداث روشن و ساباط ...».

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٦ - ٢٠١.

٢. الظاهر أنّ الصواب «الزاري» نسبة إلى «الزارية» بلدة في جبل عامل. انظر ماتقدّم في الفصل الثامن من الباب الأوّل، وفي هذا الفصل ذيل عنوان «أربع مسائل فقهية».

٣. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

٤. الضياء اللامع، ص ١٤، وانظر أيضاً ص ٧٠ منه، وما تقدّم ذيل «أربع مسائل فقهية».

٥. مقدّمه ای بر فقه شيعه، ص ١٤٨.

٦. الدروس الشرعيّة، ص ٣٨٠ - ٣٨٥، ط. القديمة؛ وج ٣، ص ٣٣٩ - ٣٥٢، ط. الجديدة، وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١١، ص ٣٠١.

٢٠ . المعتمر

قال صاحب الرياض في جملة تأليف الشهيد :

وَنَسَبَ إِلَيْهِ كِتَابَ الْمَعْتَمِرِ فِي الْفَقْهِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ فَتْحِ اللَّهِ الْكَاظمِي فِي رِسَالَةِ
الْخَمْسِ، وَهُوَ غَرِيبٌ، وَلَعَلَّهُ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ مَعْتَمِرُ الْمُحَقِّقِ^١.

أقول : كما ذهب إليه صاحب الرياض ليس للشهيد كتاب باسم المعتمر قطعاً، ولم ينسبه
إليه أحد سوى من ذكره صاحب الرياض.

٢١ . منظومة في مقدار نزع ما يقع في البئر

قال صاحب الرياض في جملة مؤلفات الشهيد :

وَمَنْظُومَةٌ مَخْتَصِرَةٌ فِي مِقْدَارِ نَزْحِ مَا يَلْقَى فِي الْبُئْرِ، عِنْدَنَا مِنْهَا نَسْخَةٌ، كَتَبْتُهَا مِنْ مَجْمُوعَةٍ
بِأَرْدَبِيلَ بِخَطِّ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْجَبَاعِيِّ الْعَامِلِيِّ، نَقْلًا عَنْ خَطِّ الشَّيْخِ
شَمْسِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَالِيِّ تَلْمِيزَ الشَّهِيدِ^٢.

أقول : لم أجد من نسب هذه الرسالة إلى الشهيد سوى صاحب الرياض، ولا أعرف لها
نسخةً، ومن المحتمل أن لا تكون هذه المنظومة من آثار الشهيد، بل إنما قام بنسخها فقط،
فنقلها عنه الجباعي في مجموعته.

وعرّف الطهراني (طاب ثراه) بمنظومةٍ باسم منظومة في منزوحات البئر ونقل عن
بعضهم أنّها للشَّيْخِ الْحَرِّ الْعَامِلِيِّ^٣.

٢٢ . النية

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني رحمته الله :

النِّيَّةُ، لِمُحَمَّدِ بْنِ مَكِّي الْجَزِينِيِّ الْعَامِلِيِّ الشَّهِيدِ ... أَوْلَاهَا : «اعلم - وَفَقَّكَ اللَّهُ وَإِنَّا - أَنْ
الأصل في النية واعتبارها أن الأفعال البشرية الصادرة...». تقرب من ثمانين بيتاً، في

١ و٢ . تعليقة أمل الآمل، ص ٧٨.

٣ . الذريعة، ج ٢٣، ص ٤٤٠ - ٤٤١.

مكتبة الطهراني بسامراء. وعمدة نظر الشهيد في هذه الرسالة دفع الوسواس في النيّة. وفي آخرها: «... وما أريد إلاّ الإصلاح... ونعم الوكيل». ونسخة أخرى رأيها عند الشيخ عبد الحسين الحلّي^١.

أقول: مخطوطة من هذه الرسالة موجودة في مكتبة المدرسة الفيضيّة بقم المقدّسة، برقم ١٧٤٣/٢^٢، وجاء في آخرها: «علّقها العبد زين الدين بن عليّ». وأيضاً مخطوطتها موجودة في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامّة في النجف الأشرف، برقم ٦٢٧^٣، وجاء في أولها: «رسالة النيّة للشيخ العالم العامل الكامل زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي». ومن المعلوم أنّ زين الدين بن عليّ هو الشهيد الثاني لا الشهيد الأوّل - ومن المسلّم أنّ للشهيد الثاني رسالةً في تحقيق النيّة^٤ - وأيضاً وردت هذه الرسالة في مجموعةٍ من رسائل الشهيد الثاني محفوظةً في مكتبة ملك الوطنيّة بطهران، برقم ٢٣٩٥، وكذلك وردت في بعض المجاميع الأخرى من رسائل الشهيد الثاني، ولكن نسبها إلى الشهيد الأوّل الفاضل المعاصر السيّد مهدي اللازوردي (حفظه الله) في هامش بعض مواضع الدروس^٥، كما سبقه الطهراني إلى هذه النسبة. وهو سهو بلاريب وشبهة.

قال الطهراني (طاب ثراه) أيضاً:

النيّة، لزين الدين بن عليّ... الشهيد [الثاني]... والنسخة الموجودة في نيّف ومائة بيت في مكتبة الطهراني بسامراء ليس فيها تسمية. أولها: «اعلم ووقّك الله تعالى وإيانا) أنّ القدر الواجب استحضاره من النيّة المعبرة في العبادات...» وآخرها: «والله تعالى هو الميسّر بمنّه وكرمه. انتهى». وفيها بيان نيّة تمام العبادات حتّى الحجّ و مناسكه...^٦.

١. الذريعة، ج ٢٤، ص ٤٤٠ - ٤٤١.

٢. ذكرت في فهرسها، ج ٢، ص ١٢٧.

٣. وذكرت في فهرسها، في مجلّة تراننا، العدد ٧٧ - ٧٨، ص ٢٩٩.

٤. الدرّ المنثور ج ٢، ص ١٨٨؛ أعيان الشيعة، ج ٧، ص ١٥٥؛ وحققنا هذه الرسالة ونشرناه ضمن رسائل الشهيد الثاني، ج ١، ص ١٦٤، ١٧٠.

٥. الدروس الشرعيّة، ص ٣٣، الهامش ط. القديمة.

٦. الذريعة، ج ٢٤، ص ٤٣٩ - ٤٤٠.

أقول: توجد من هذه الرسالة نسخة برقم ٢٣٩٩٨ في مكتبة الروضة الرضوية المقدسة في مشهد، وجاء في آخرها:

بمته وكرمه تمت، وآلاؤه تعالى عمت، يوم السبت ثاني شهر شعبان المعظم سنة ١٠٢٣. على يد أحوج الخلق إلى عفو ربّه المجيد: صدرالدين محمّد بن عبدالرشيد (شرح له صدره وسرائره...) قد فرغ من استنساخه العبد الأتيم محمّد حسن ابن المرحوم ميرزا عبدالرحيم النهاوندي (طاب تراه) يوم السبت ثالث شهر ربيع الأول ١٣٠٧.

فعلى هذا فمؤلفها هو صدر الدين محمّد بن عبدالرشيد الفسوي الشيرازي (كان حياً عام ١٠٥٠).^١ ومن العجيب جداً أنّها نسبت في فهرس الروضة الرضوية (ج ٢٠، ص ٥٨٨) إلى الشهيد الثاني، مع أنّ اسم المؤلف المذكور في آخر الرسالة!

ولم أعتز على من نسبها إلى الشهيد الثاني سوى الشيخ آقا بزرك الطهراني. وكذلك لم أعتز على من نسب رسالة باسم النية إلى الشهيد الأول قبل الشيخ الطهراني، وهو أول من نسبها إلى الشهيد الأول فيما نعلم.

* * *

واعلم أنّ القاضي نور الله الشهيد (م ١٠١٩) حكي قصة جزيرة الخضراء المعروفة عن أمالي الشهيد وقال: ما معرّبه: «حرّرها الشهيد في بعض أماليه»^٢. ولا ندري ما المراد من أمالي الشهيد، ولم ينسب إلى الشهيد أحد كتاباً بهذا الاسم، ولم نجد هذه القصة فيما وصل إلينا من كتب الشهيد، وما نقل هذه القصة أحد عن الشهيد قبل القاضي نور الله الشهيد.

* * *

هذه هي الكتب و الرسائل المنسوبة إلى الشهيد، وهي على أقسامٍ - كما أشرنا إليها في ذيل كل واحدٍ منها -:

أ) منها ما تقطع بعدم صحّة نسبته، مثل: غاية القصد، المعبر، التهذيب في الأصول، الاستدراك، الخلل في الصلاة، اللوامع، الدزة الباهرة.

١. انظر تراجم الرجال، ج ٢، ص ٣٤٣، ٤١٦ - ٤١٧؛ الروضة النضرة، ص ٢٩٣؛ فهرست كتابخانه مدرسه عالی

سيهسالار، ج ١، ص ٢٣٧؛ وج ٣، ص ٥٣٥.

٢. مجالس المؤمنین، ج ١، ص ٧٠.

ب) ومنها ما هو مشكوك في صحّة نسبته، مثل: منظومة في مقدار نوح ما يقع في البشر.
 ج) ومنها ما لا يُعدُّ تأليفاً مستقلاً للشهيد بل هو قطعة من سائر مؤلفاته، مثل: مسائل
 تراحم الحقوق.

د) ومنها ما لا يُعدُّ تصنيفاً، بل ممّا كتبه واستنسخه في مجاميعه، مثل اختصار أصل
 علاء بن رزين، واختصار الجعفرات.

هـ) ومنها أسماء غير صحيحة لسائر مؤلفاته المبتوت في صحّة نسبتها للشهيد، مثل:
 رسالة قصر صلاة المسافر التي هي بعينها رسالة جواز السفر في شهر رمضان اعتباراً.
 واعلم أنّي قد ذكرتُ جميع ما وقفتُ عليه في المصادر من تأليفاته وما نسب إليه،
 وبحثتُ حولها من حيث صحّة النسبة وعدمها وسائر الجهات، ولم يُنسب في المصادر التي
 راجعتها أثرٌ للشهيد سوى هذه الآثار والكتب والرسائل التي ذكرتها.

الخاتمة

أخطاء كتب التراجم في ترجمة الشهيد

قد تطرقت أخطاء كثيرة في المصادر وكتب التراجم في ترجمة الشهيد، أشرنا إلى المهم منها في مواضعها من هذا الكتاب. ونود أن نسردها هنا باختصار ونضم إليها ما لم نذكرها قبل في الأبواب والفصول المناسبة لها؛ لتسهيل تناولها والوقوف عليها، فنقول وبالله التوفيق ومنه الاستعانة وعليه التكلان:

١. جاء في الذريعة وكثير من كتب التراجم المتأخرة كخاتمة مستدرک الوسائل، وأعيان الشيعة، وطبقات أعلام الشيعة، وشهداء الفضيلة وطبقات الفقهاء في وصف الشهيد: «النبطي» نسبة إلى النبطية، بلدة في جبل عامل. ولكن لم يرد هذا التعبير في المصادر القديمة، ولعله تصحيف عن كلمة «المطلبية»، كما قاله الشيخ محمدرضا شمس الدين^١ أو تصحيف عن «ابن طي» في نسب الشهيد، كما بيّناه في الفصل الثاني من الباب الأوّل.

٢. جاء في كثير من كتب التراجم أنّ الشهيد ولد عام ٧٣٤، وقال العلامة السيّد حسن الصدر^٢: «تولّد عليه السلام سنة ٧٣٤ بلا خلاف»^٢.

وهذا التاريخ لولادة الشهيد خطأً بلا ريب وشبهة، والتاريخ الصحيح لولادته هو «حوالي ٧٢٤». كما بيّناه في الفصل الثالث من الباب الأوّل والأمور الكثيرة التي فرّعوها عليه - من قبيل أنّ مدّة عمر الشهيد كانت ٥٢ سنة، وأنّه أجازه فخرالدين في السابعة عشرة من عمره الشريف، وما إلى ذلك - فهو أيضاً خطأً واشتباه.

١. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٢٤.

٢. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٥.

٣. قال بعضهم: «هاجر [الشهيد] إلى العراق سنة ٧٥٠، ومدّة بقائه في العراق خمس سنين»^١. ولا دليل على هجرته إلى العراق سنة ٧٥٠، ولعلّه هاجر إليه سنة ٧٤٥ مثلاً، وأمّا التاريخ المذكور لرجوعه إلى بلاده فهو خطأ قطعاً، كما بيّناه في الفصل الرابع من الباب الأول.
٤. قال بعض المعاصرين: «الشهيد ورد الحلة في النصف الثاني من عمره»^٢. وهو أيضاً خطأ قطعاً كما يُعلم ممّا ذكرناه في الفصل الرابع من الباب الأول.
٥. قال بعض المعاصرين: «أجازه فخر المحقّقين عام ٧٥٧»^٣. وهذا أيضاً خطأ، فإنّ فخر الدين أجازه في العامين ٧٥١ و٧٥٦، كما تقدّم في الفصل الرابع من الباب الأول.
٦. قال بعض المعاصرين: «قرأ في دمشق على أربعين عالماً من علماء السنّة»^٤. وهذا أيضاً خطأ كما يُعلم ممّا ذكرناه في الفصل السابع من الباب الأول.
٧. قال كثير من أصحاب التراجم: «إنّ الشهيد سافر إلى مصر والخليل»^٥. وقلنا فيما سبق في الفصل السابع من الباب الأول أنّه لا دليل عليه، بل من المقطوع عدم سفره إلى مصر^٦.
٨. قال بعضهم: «إنّ الشهيد أجازه ألف نفر من الفقهاء، ودرس على ألفٍ من الفقهاء»^٧. وهذا أيضاً خطأ كما بيّناه وبيّناه وجهه في الفصل السابع من الباب الأول.
٩. قال بعض المعاصرين: «أجازه في بغداد شمس الأئمّة الكرمانى ومحمّد بن سعد القرشى وواحد من الفقهاء الشافعية عام ٧٥٨»^٨. والصواب أنّ هؤلاء الثلاثة شخصٌ واحد - وليسوا ثلاثة - وهو محمّد بن يوسف بن عليّ بن محمّد بن سعيد [لا «سعد»] القرشى الكرمانى الشافعي الملقّب بشمس الأئمّة، الذي أجاز للشهيد في بغداد عام ٧٥٨.
١٠. قال بعض المعاصرين: «قرأ على أربعين عالماً من علماء أهل السنّة وأكثر قراءته كان في سنة ٧٨٤»^٩. وهذا أيضاً خطأ كما يُعلم ممّا سبق في الفصلين الرابع والسابع من الباب الأول.
١١. عدّ الطهراني رحمته الله ابن فهد الحلّي من تلاميذ الشهيد^{١٠}، بينما لم يكن ابن فهد تلميذ

٤-١. اطلس شيعه، ص ٥١٠.

٥. انظر اطلس شيعه، ص ٥١٠؛ جبل عامل بين الشهيدين، ص ١١٢.

٦. انظر حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٣٩.

٧. انظر قصص العلماء، ص ٣٣٧؛ الصلة بين تصوّف والتشيع، ج ٢، ص ١٣٤.

٨ و٩. اطلس شيعه، ص ٥١٠.

١٠. الذريعة، ج ١٣، ص ١٠٨.

الشهيد وإنما يروي عن بعض تلامذة الشهيد، كما تقدّم في آخر الفصل الثامن من الباب الأوّل.
١٢. يظهر من عوالي اللآلي (ج ١، ص ٧ و ٩) أنّ ابن العشرة يروي عن الشهيد. وهذا أيضاً سهو وإنما يروي ابن العشرة عن بعض تلامذة الشهيد، كما تقدّم في آخر الفصل الثامن من الباب الأوّل.

١٣. عدّ المرحوم الشيخ محمّدرضا شمس الدين في كتابه حياة الإمام الشهيد الأوّل من الآثار المفقودة للشهيد كتاب جامع البين من فوائد الشرحين^١. بينما هو موجود بحمد الله تعالى وذكرنا خمس مخطوطات له في الفصل الأوّل من الباب الثالث ذيل «جامع البين من فوائد الشرحين». وطبع ضمن هذه الموسوعة الشريفة لأوّل مرّة.

١٤. قال المرحوم الشيخ محمّدرضا شمس الدين في حياة الإمام الشهيد الأوّل في وصف غاية المراد من تأليفات الشهيد: «هو من الطهارة إلى أحكام الأيمان»^٢. بينما هو تامٌّ وإلى آخر الفقه، كما هو واضح.

١٥. كتب المرحوم شمس الدين في حياة الإمام الشهيد الأوّل بشأن كتاب مسائل ابن مكّي - الذي ذكرناه بعنوان المسائل الفقهية -:

«ألّف سنة ٧٨٦ في السنة التي استشهد فيها وهي سنة ٧٨٦، فهي آخر مؤلّفاته، وأنّها توجد بخطّ الشيخ محمّد رضي الدين ابن الشهيد في المكتبة الرضوية، كما في فهرسها»^٣.

أقول: المسائل الفقهية من الآثار المفقودة للشهيد، والنسخة التي ذكرها المرحوم شمس الدين، هي ليست نسخة من مسائل ابن مكّي، بل هي نسخة من مسائل ابن طي، وتاريخ كتابتها ٨٧٨، وليس ٧٨٦، وليس كاتبها ولد الشهيد، كما بيّناه في الفصل الأوّل من الباب الثالث، ذيل المسائل الفقهية، وتاريخ تأليف مسائل ابن مكّي غير معلوم.

١٦. نسب بعضهم غاية المراد إلى الشهيد الثاني، بينما هو للشهيد الأوّل قطعاً.
١٧. زعم بعضهم أنّ تمهيد القواعد للشهيد الثاني هو تلخيص وتنظيم قواعد الشهيد

١. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٨.

٢. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٣.

٣. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٨.

الأول. وهذا سهو قطعاً، كما مرّ في الفصل الأول من الباب الثالث ذيل القواعد والفوائد.
 ١٨. زعم بعضهم أنّ اللمعة هي آخر ما صنّفه الشهيد. وهذا أيضاً سهو قطعاً. كما بيّناه في
 الفصل الأول من الباب الثالث ذيل اللمعة الدمشقية.

١٩. قال بعضهم: «إنّ الشهيد ألف اللمعة في السجن في السنة الأخيرة من عمره
 الشريف». وهذا أيضاً خطأ كما مرّ في آخر الفصل العاشر من الباب الأول، وفي الفصل الأول
 من الباب الثالث ذيل اللمعة الدمشقية.

٢٠. قال الشيخ الحرّ العاملي رحمته الله: «... ألف اللمعة الدمشقية في سبعة أيّام، وما كان
 يحضره من كتب الفقه غير المختصر النافع». نقل تأليفه في سبعة أيّام ولد الشهيد كما حكاه
 عنه الشهيد الثاني، أمّا أنّه ألفه حينما لم يحضره غير المختصر النافع، فلم ينقله أحدٌ قبل
 الشيخ الحرّ فيما نعلم، ولم يذكره أحدٌ من تلامذة الشهيد ومعاصريه وولده، كما تقدّم في
 الفصل الأوّل من الباب الثالث ذيل اللمعة الدمشقية.

٢١. كتب الشيخ جعفر المهاجر (حفظه الله سبحانه ورعاه) في البحث عن تلاميذ الشهيد:
 إسماعيل الرازاني، ورازان قرية من قرى إصفهان، وأيضاً محلّة في بروجرد، مدينة
 إيرانية. فهو على الحالين إيراني بقدر ما تدلّ نسبته^١.
 أقول: الظاهر أنّ الصواب «إسماعيل الزّراري» نسبة إلى «الزّرارية» بلدة في جبل عامل،
 فهو عاملي وليس إيرانياً، كما مضى في الفصل الثامن من الباب الأوّل.
 ثمّ اعلم أنّنا ذكرنا في الفصل الخامس من الباب الثالث أخطاءً كثيرة وقعت في كتب
 التراجم حول نسبة بعض الكتب إلى الشهيد؛ فلا نعيدها، فراجع.

الملاحق

١. مختصر نسيم السحر
٢. رسالة ابن تيمية إلى السلطان

١. مختصر نسيم السحر

للشيخ شرف الدين محمد مكي بن محمد من سلالة الشهيد الأوّل

(كان حيّاً ١١٨٦)

تحقيق ودراسة:

د. يوسف طباجة

أستاذ في الجامعة اللبنانية

مقدّمة التحقيق

نسب السحر في حياة الشهيد الأوّل من حين مولده حتّى قتل^١، كتاب مخطوط نعتقد بأنّه من أهمّ السير العاملة المفقودة، التي تؤرّخ لحقبة أساسية وغاية في الأهمية من تاريخ جبل عامل، مسحوبة على أهمية الرجل، علماً ومركزاً ودوراً.

نقول هذا لأننا بمتابعتنا لسيرة الشهيد الأوّل وآثاره، نلاحظ الغموض الكبير للدور الذي اضطلعت به هذه الشخصية العاملة، والتي لا زالت إلى اليوم تحتلّ مركزاً كبيراً لا يزاحمها عليه أحد، باعتباره من كبار فقهاء الشيعة الإمامية عامة، وجبل عامل على وجه الخصوص. ونظراً للقيمة العلمية العالية التي ارتقى لها من خلال مؤلفاته وتصانيفه المعروفة «في شتّى العلوم والفنون، وأنظاره الدقيقة، ومقترحاته العميقة»^٢. فهو «... أوّل من هدّب... الفقه عن نقل أقوال المخالفين وذكر آراء المبدعين...»^٣. «ومنح الفقه الشيعي شخصيته وهويته المستقلّة، وبسّطه، وفتح أمامه آفاقاً رحبة وجديدة، وقدم ابتكارات كثيرة، فبات فيه الفقه الذي صنّفه متميزاً عما سبقه من الفقهاء، وقد عدّت مصنفاته الفقهية التي جسّدت خصوصيات مدرسته الفقهية من المصادر القيمة للفقه الشيعي»^٤ والتي لا بدّ أن يعود إليها

١. تعرّفنا على اسم هذا الكتاب بذكر يتيم للشيخ محمّد رضا شمس الدين في كتابه: حياة الإمام الشهيد الأوّل مطبعة الغري، النجف ١٩٥٧م، ص ١٣ بقوله: «نسب السحر في حياة الشهيد الأوّل من حين مولده حتّى قتل، للفاضل المحقّق الشيخ أحمد بن الوجيه أو الوحيد العاملي من قرية زبدین». انظر وقارن اسم الكاتب وقريته في الرسالة، ولا حظ الخطأ الذي وقع فيه الشيخ شمس الدين، ولعلّه نقله سماعاً... هذا إلى جانب ذكره أيضاً لكتاب آخر مفقود هو «تاريخ حياة الشهيد الأوّل وأحواله، لمؤلف مجهول، وأحسبه لعاملي من تلامذة الشهيد ومعاصريه».

٢. راجع ما ذكره تلميذه ابن الخازن في هذه الرسالة وكذلك تلميذه الشيخ حسن بن سليمان الحلّي.

٣. المختاري، الشهيد الأوّل، حياته وآثاره، الفصل السادس من الباب الأوّل تقيلاً عن خاتمة مستدرک الوسائل.

٤. المختاري، الشهيد الأوّل حياته وآثاره، الفصل السادس من الباب الأوّل.

المتخصصون والمهتمون. إلى ذلك فإنه من المعروف، أن الشهيد الأول هو مؤسس نظام جباية الخمس وتوزيع العلماء - الوكلاء - في المناطق، والمرتبطون بالفقيه نائب الإمام المتصدّي بالأمة^١، وكان لهذا العمل الفكري والثقافي والتنظيمي الذي نهض به الشهيد ومن خلفه فقهاء الشيعة إلى اليوم دور كبير في حفظ الأمة ولحماتها وتواصلها، بالإضافة إلى نظريته في استخراج «النسبة بين الصحيح والمعيب»^٢. وهناك نظريات عدة، وآراء مهمة، أدرجها في كتابه القيم غاية المراد في شرح نكت الإرشاد^٣.

هذا من جانب، أما الجانب الآخر فهو الدور الذي لعبه الشهيد عملياً في التأسيس لمشروع سياسي / نهضوي، اجتماعي، ثقافي، اقتصادي / تنموي. ساهم إلى حد كبير بطبع المجتمع العاملي بطابعه وإلى اليوم، وشكّل بالتالي لابل رسم لعلماء جبل عامل خطوطاً ورسوماً أتبعوها في أغلبيتهم، نذكر على سبيل المثال صنوه الشهيد الثاني (م ٩٦٦) وبينهما العلامة الكركي (م ٩٤٠ هـ) المعروف بالمحقق الثاني^٤.

تأسيساً على ما تقدم، تتجلى أهمية هذه الرسالة باعتبارها «مختصر من كتاب نسيم السحر»^٥ المتقدم ذكره، ولتكشف عن تفاصيل جديدة في حياة الشهيد الأول، بعد أن تؤكد على حقائق معروفة عن دوره وحضوره ومكانته في بلاد الإسلام عامة، وبلاد الشام بشكل خاص^٦، ومنها علاقته بعليّ بن مؤيد حاكم خراسان (م ٧٨٨)، من حين كان الشهيد يتلمذ بالحلّة، أوائل خمسينات القرن الثامن الهجري، واستمرت إلى حين استشهاده^٧.

١. المختاري، الشهيد الأول، الفصل السادس من الباب الأول. ونشير هنا إلى قتل رفيقه عرفة في طرابلس عند قتل الشهيد في الشام. راجع المختاري، الشهيد الأول، الفصل السادس من الباب الأول، والفصل العاشر من الباب الأول.

٢. يوسف طباجة: الشهيد الأول ومشروعه... العرفان، م ٨٠، العدد ٣ و ٤، ص ١٢١.

٣. المختاري، الشهيد الأول، الفصل السادس من الباب الأول.

٤. عن الشهيد الثاني وصلته بمشروع الشهيد الأول، وكذلك العلامة الكركي راجع أطروحتنا للدكتوراة في الجامعة اللبنانية عام ١٩٩٣م كذلك حياة العلامة الكركي ضمن مجموعة: حياة المحقق الكركي وأثاره.

٥. يبدو أنّ هذه الرسالة هو جزء من مجموع لكتابه كما هو مبين في آخره.

٦. لاحظ في سيرة الشهيد عن وكيله في طرابلس والذي قتل معه... راجع دراستنا في مجلة العرفان، م ٨٠.

٧. سجّلت هذه الرسالة ثلاث مراسلات أخرى عندما حضر محمد الآوي وحصل على اللعنة الدمشقية وكتاب في الآداب السلطانية غير معروف وهناك وثيقة هي وصية الست فاطمة ابنة الشهيد تبين مدى العلاقة عندما تذكر «القرآن المذهب» هدية عليّ بن مؤيد. راجع دراستنا في العرفان، م ٨٠، عدد ٣ و ٤، ص ١٠١ و ص ١١٩.

ونستنتج من سياق ومضمون الرسالة أنّه في هذه الفترة من الإقامة بالحلة حصل أوّل اتصال لعلي بن مؤيّد بالشهيد. ويعزّز قولنا هذا أنّه في هذا العام وبحسب المخطوطة، وما هو معروف، أنّ الشهيد توجه إلى بلد الله الأمين حاجّاً حيث أجازته ابن جماعة^١ في المدينة يوم السبت ٢٢ من ذي الحجّة ٧٥٤^٢. ثمّ علاقته برجال السلطة المملوكية ومنهم السلطان برقوق (م ٨٠١) الذي أطلق يد الشهيد في بلاد الشام على أنّه «الفاضل المعظم لدينا والصادق المحق. أنت تاج الشريعة ومنهاج وسراج الحقيقة»^٣.

الشهيد الأوّل وأرباب السلطة (منجك وبيدمر و برقوق)

ذكرت بعض المصادر أنّ منجك ويلبغا وستدمر وبيدمر هم إخوة^٤. ومن خلال متابعتنا لسيرة هؤلاء الإخوة تبين لنا الدور البارز الذي اضطلعوا به. وفيه أنّ يلبغا كان نائباً للسلطان في العام ٧٥١ بمصر، وأخوه منجك وزير المملكة، حيث وصفه ابن كثير:

منجك هو وزير المملكة، وأستاذ دار الاستدارية، وهو باب الحوائج في دولتهم، وإليه يرجع ذوو الحاجات بالذهب والهدايا^٥.

وفي العام ٧٥٢ حصلت خلافات بدار السلطنة بمصر عزل على أثرها الملك الناصر، وولي أخوه الملك الصالح، الذي يبدو أنّه سجن حاشية أخيه ومنهم الإخوة الثلاث. وفي العام ٧٥٥، عاد الملك الناصر إلى السلطنة في ٢ شوال، وفي ١٩ منه دخل منجك دمشق متوجّهاً إلى نيابة طرابلس، بعد أن مضى مدة في صفد باطلاً. وبقي في نيابة طرابلس إلى العام ٧٥٩. وفي يوم الخميس ٢٤ جمادى الآخرة دخل منجك دمشق نائباً للسلطان بدلاً من المارداني، وبين يديه الأمراء على العادة، وقدمت له الشموع، وخرج الناس ومنهم بات

١. هو قاضي القضاة عزّ الدين عبد العزيز بن محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي

(م ٧٦٧ بمكّة مجاوراً) بعد أن ترك القضاء باختياره. لاحظ التناء عليه في ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١.

٢. وهو عمّ قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة. راجع بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ١٠٦.

٣. المختاري، الفصل السابع من الباب الأوّل.

٤. راجع في هذه الرسالة.

٥. راجع ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٦٨ و ٣٠٤.

٥. البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٧١.

على الأسطحة وكان يوماً هائلاً^١. وفي هذه الفترة عزل القضاة الثلاثة بدمشق ومن بينهم ابن جماعة ثم أُعيد إليها^٢.

الأحد ٢ ذي الحجة ٧٥٩ عزل منجك عن دمشق إلى صفد. وعاد المارداني إلى دمشق، ثم طلب منجك في العام ٧٦٠ إلى السلطان، لكنّه فرّ في الطريق، ثم اعتقل ومثّل أمام السلطان الذي أنعم عليه بأمرية أربعين^٣. في الشام التي كان أخوه بيدمر الحاجب^٤ يقوم بأعباء الأمر بعدما مسك نائبها المارداني، وليدخل سيف الدين استنمر (أخاهم الثالث وابنته زوجة السلطان) نائباً على دمشق في صبيحة الإثنين ١١ شعبان ٧٦٠ يعضده بيدمر الذي كان صاحب الحجاب في هذه الفترة^٥.

في العام ٧٦١ مسك منجك متخفياً في دمشق حوالي سنة متكرراً، ثم أرسل إلى السلطان الذي عفا عنه وخلع عليه^٦.

وصبيحة الأربعاء ٢٥ رجب ٧٦١ قبض على نائب السلطنة استنمر وعزل إلى طرابلس، وعيّن للنيابة بيدمر النائب في حلب^٧. ووصل في شعبان وتسلم دمشق «ودخلها بأبّهة وفرح به المسلمون لشهامته وصراحته، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر»^٨، ثم أرسل وراءه السلطان إلى مصر فكّرمه وبجلّه وعاد إلى دمشق بأبّهة هائلة ورياسة طائلة^٩.

في العام ٧٦٢ بدئ سلطنة الملك المنصور الذي اعتقل الأمراء الثلاثة (الإخوة) وعين المارداني على دمشق. والخميس ٩ شوّال بعد المغرب حمل ١٩ أمير من الأتراك والعرب،

١. راجع ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٠٠-٢٨٦؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٥٧٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٠٨.

٢. لاحظ ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٥٦٧.

٣. أمرية أربعين: وظيفة.

٤. الجبوية: وظيفة ينصف صاحبها بين الأمراء والجنود... راجع القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩ ويكون الحاجب نائب الغيبة عندما يخرج النائب. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٢٣.

٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٠٤ و ٣٠٦.

٦. راجع ابن كثير، ج ١٤، ص ٣٠٧؛ وابن تغري بردي، النجوم، ج ١، ص ٢١٠؛ والمقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٥٣.

٧. راجع حملة بيدمر الناجحة في بلاد سبيس، في ابن كثير، البداية، ج ١٤، ص ٣١٠؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٥٦٨، المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٥٠.

٨. راجع ابن كثير، ج ١٤، ص ٣١٢.

٩. ابن كثير، ج ١٤، ص ٣٢٤.

منهم بيدمر ومنجك واستدمر، وساروا إلى الديار المصرية مقيدين^١.

في أحداث العام ٧٦٤ يورد ابن كثير قصيدة لأحد الشعراء يصوّر الحالة في دمشق فيقول:

دخول دمشق يُكسِبنا نحولاً كأنَّ لها دخولاً في البرايا

إذا اعتاد الغريبُ الخوضَ فيها فأيسر ما يثرُّ به المنايا

إلى ذلك يصف الشهيد الأوّل الحالة في دمشق بقصيدة تشابه المضمون أعلاه ولعلّها

نظمت في نفس الفترة فيقول:

دِمَشقُ دِمَشقَ فلا تَأْتِها وإنَّ غرَّكَ الجامعُ الجامعُ

فَسوقُ الفُسوقِ بها قائمٌ وفَجْرُ الفُجورِ بها طالعٌ^٢

وفي هذه الحقبة، يبدو أن الفتنة المذهبية بسفاسفها قد استشرت وانتشرت، ولوحق أهل

الشيعة بأوامر سلطانية وفتاوى سياسية مصدرها العصبية دون العقيدة. فهذا ابن كثير

يتحدّث عن قتل وحرق علماء من الشيعة يسميهم الروافض. منهم الشيخ حسن السكاكيني

(م ٧٤٤)^٣. وثلاثة تتشابه طريقة قتلهم وحرقتهم بما فعل بالشهيد وهم: عثمان بن محمّد

المعروف بابن دبادب الدقاق (م ٧٦١)^٤. والثاني هو الشيخ عليّ بن أبي الفضل (م ٧٥٥)^٥.

والثالث هو محمود بن إبراهيم الشيرازي (م ٧٦٦)^٦. «وفي شهر الله الحرام (٧٦٦) رسم

نائب السلطنة [بدمشق] بتخريب مشغرا وتلبثاتا»^٧.

١. راجع ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٢٦-٣٢٩.

٢. راجع يوسف طباجة، الشهيد الأوّل ومشروعه السياسي، العرفان، م ٨٠ عدد ٥ و٦، ص ٥٧.

٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٤٤؛ راجع ترجمة السكاكيني في الأمين، أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٦٢٨؛

العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٤؛ الأميني، شهداء الفضيلة، ص ٧٣.

٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣١٢.

٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٥٤؛ العسقلاني، الدرر، ج ٤، ص ٣٢١ وترجمته؛ الأميني، شهداء

الفضيلة، ج ٣، ص ٣٤ و٨٣.

٦. ابن كثير، ج ١٤، البداية والنهاية، ص ٨٠ وغيرهم. راجع يوسف طباجة، الشهيد الأوّل ومشروعه السياسي،

العرفان، م ٨٠، عدد ١ و٢، ص ٥٣.

٧. المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٠٢ ومن المعروف أن «مشغرة» هي من قرى جبل عامل، وهي مقدّمة

كـ«جرّين»، يملكها المقدمون الشيعة آل صبح، وقد خرج منها العديد من الفقهاء ومنهم الحرّ العاملي صاحب

الوسائل، وإنّ مقامي جرّين كانوا على تعاون تام مع مقامي مشغرة». راجع بولياك: الإقطاعية في مصر وسوريا

ولبنان، ص ٤٥ وما يليها.

إذن، في العام ٧٦٦ صبيحة يوم الثلاثاء ٢٧ شعبان قدم الأمير بيدمر. فنزل بداره عند مأذنة فيروز، وذهب الناس للسلام عليه بعدما سلم على نائب السلطنة بدار السعادة. وقد رسم له بطلبخانيتين (فرقة موسيقية)، وتقدمة ألف وولاية الولاية من غزة إلى أقصى بلاد الشام. وأكرمه ملك الأمراء إكراماً زائداً، وفرحت به العامة بذلك فرحاً شديداً ببعودته إلى الولاية^١.

في العام ٧٦٧ تحرك بيدمر بواسطة وزير السلطنة بمصر يلعباً استعداداً لغزو قبرص وبذلك شرع في بناء السفن في بيروت، ما استدعى النجارين وكل من له صلة بهذه الصناعة^٢.

ثم تتوالى الأحداث، فيعتقل بيدمر وينفى إلى طرسوس في العام ٧٦٩، ويعين مكانه منجك من طرابلس في العام ٧٧٥. لينقل الأخير إلى مصر ليتولى النيابة المطلقة، ويفوض إليه الولاية والعزل في سائر المراتب السلطانية، من الوزراء والخوفاص والقضاة والأوقاف وغيرها لكن الأجل وافاه في آخر العام ٧٧٦^٣. ثم تتوالى الأحداث فنجد أن بيدمر تولى نيابة دمشق، وسائر وظائف الدولة وممالك الشام، قبل وبعد العام ٧٧٩ لتتعرّز مواقفه أكثر عند وصول السلطان برقوق إلى السلطنة واستخلفه على الشام كما مرّ معنا سابقاً^٤.

والجدير ذكره هو أن برقوق كان من مماليك الأمير يلعباً العمري، ولما قتل الأخير في ٩ ربيع الآخر ٧٦٨ سجن برقوق في الكرك مدة، ثم أفرج عنه وصار إلى دمشق، فخدم عند نائبها منجك، حتى طلب إلى مصر وصار أمير كبير، ثم السلطان. وعليه نرى أن علاقة ود واحترام كانت بين الشهيد الأول والأمير منجك، ثم سنلاحظ أن مثل تلك العلاقة هي أيضاً مع برقوق كما تظهره الرسالة، لنصل إلى القول: إنه ربما انسحبت هذه العلاقة منذ وجود برقوق في دمشق بخدمة منجك، حيث تعرّف على شخصية الشهيد وجديتها لابل رصانتها^٥...

١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٥٦ للمقارنة، وعن الصورة المعاكسة لشخص بيدمر، انظر ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٧٨ و ٤٧٩.

٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٦٢ و ٣٦٤؛ ولاحظ صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٠٢.

٣. ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٥٩ - ٤٦١.

٤. ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٧٨.

٥. راجع المقرئ، السلوك، ص ٤٧٦؛ وابن أبياس، النجوم الزاهرة، ص ٣١٨.

وينسحب هذا الموقف على تلبية فتوى الشهيد بالقضاء على حركة «اليالوشي»، المرتدّة في جبل عامل، ومدعى النبوة. فكان أنّ جهّز نائب دمشق - ملك الأمراء^١ - بيدمر الخوارزمي^٢... «والشأم له»^٣، وأمر من السلطان برقوق، حشدًا كبيرًا من العسكر السلطاني حضر على رأسهم بيدمر، الذي توضح الرسالة أنّ علاقة جيّدة كانت تربطه بالشهيد كون بيدمر كان من حاشية السلطة ومتوليّها، خصوصاً في دمشق، إلى جانب نائبها «منجك اليوسفي» (م ٧٧٦) منذ العام ٧٥٩ هـ. يعاضده الشهيد بما حشده من رجال القرى والداكر العاملة المجاورة لجزين بمساعدة تلامذته^٤... حيث تمّ القضاء على تلك الحركة المرتدّة بقتل زعيمها بيد الشهيد شخصياً.

وتوضح هذه الرسالة أيضاً، أنّ الشهيد اعتقل واستنجد بالسلطة المملوكية مراراً. منها أيام الأمير منجك (م ٧٧٦) كما تظهره قصيدته الرائية الموجهة للأمير بيدمر. وكذلك القصيدة التي وردت في هذه الرسالة والتي مطلعها:

أيا بيدمر يا مالك الناس رحمة أجزني من القوم الوُشاة الأعادي

فقد تبين لنا من خلال البحث والتحقيق مثلاً: أنّ سجنه فترة السنة، تقع أو توزعت ما بين العامين (٧٨٢ و ٧٨٣) والدلائل هي:

أنّ كاتب «نسيم السحر» الشيخ البتديني، قد استخدم طريقة حساب الجمل في التاريخ للوقائع والحوادث، الأمر الذي يبدو أنّ المُختصر، صاحب هذه الرسالة الشيخ شمس الدين،

١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٢٣؛ وصالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢١. إنّ نواب الأقاليم الكبرى مثل دمشق وحلب وطرابلس، فإنّ أحدهم كان يسمى أحياناً «ملك الأمراء»، لكن ابن فضل الله العمري يرى أنّ هذا اللقب لا يطلق بحق إلا على نائب دمشق نظراً لأهميتها. راجع العمري، مسالك الأبصار دولة المماليك الأولى ص ١١٥.

٢. ابن طولون، أعلام الوري، ص ٢٥ ويمكننا رصد سيرة هذا الرجل في البداية والنهاية، ج ١٤ لابن كثير، والسلوك للمقرئزي، ج ٣؛ وبدائع الزهور لابن أبياس، ج ١؛ وتاريخ ابن خلدون، ج ٥ ص ٤٧٦.

٣. ابن خلدون، العبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٧٩.

٤. ابن طولون، أعلام الوري، ص ٢٢؛ وكذلك يمكن رصد سيرة هذا الرجل في البداية والنهاية، ج ١٤؛ والسلوك أيضاً، ج ٣؛ والبدائع، ج ١؛ وذكرت بعض المصادر أنّ منجك وبلغوا وستدمر وبيدمر إخوة لاحظ البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٦٨ و ٣٠٤.

٥. لاحظ في الرسالة قول الشيخ محمد الوحيد البتديني صاحب نسيم السحر: «كنّا معه» يوم الحملة على اليالوشي...».

لم ينتبه له. فمثلاً أرخ لعام اعتقال الشهيد في القلعة بـ «خوفاً منه»: (خوفاً: ٦٨٧) + (منه: ٩٥) = / ٧٨٢ وما يتّاه نؤكد عليه بعدة دلائل منها:

أنّه في أثناء اعتقال الشهيد جاءت مراسلة ابن مؤيد، وحضر سفيره ابن الآوي، الذي وجد الشهيد سجيناً أو في الإقامة الجبرية حسب ما نراه ونلاحظه.

وحيث إن الرسالة تبيّن أنّ «ابن الآوي» قدم على الشهيد «في أوّل الشهر الثاني عشر أي ذي الحجّة». وأنّ الشهيد لم يستغرق في كتابة اللمعة سوى سبعة أيّام، وكتاب آخر في الآداب السلطانية على نهج كتب سراج أو نصائح الملوك أو مرايا الأمراء ستّة أيّام، أي «... في اثني عشر يوماً...». وأنّ الشهيد الثاني ذكر: «أنّ تأليف اللمعة كان في العام ٧٨٢»^١. لنقرّر أنّها أي اللمعة كتبت في آخر هذه السنة، وتحديد أشهر ذي الحجّة الذي قدم «ابن الآوي» في أوّله. هذا وإن تحركاً لأهل جزين بالمشاركة في يوم عزاء شهاب الدين بن زين الدين بن صالح... كان سيّداً من سادات الناس، ذا عقل وعلم ودين، جمع محاسن كثيرة منها الكتابة الجيدة، والبلاغة ونظم الشعر والذكاء، وحسن النظر في الأمور ومحبة أهل العلم، واشتغل في علم النحو ومعرفة الكواكب... المتوفّي في الرابعة من نهار السبت الحادي عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (٧٨٣) وفي هذا نرجّح بأن يكون الشهيد هو من كان على رأس تحرك أهل جزين للمشاركة في هذا العزاء، لما لهذا الرجل من صفات علمية ودينية، لعلّها كانت السبب في علاقته ومعرفته بالشهيد، وكون شهاب الدين هذا أيضاً كانت تربطه علاقة جيدة بنائب دمشق «بيدمر» حيث يقول صالح بن يحيى:

وسمعت أنّه حضر عند المير بيدمر نائب الشام يوماً، والمجلس حافل بالأمرء والأعيان؛ فشكره بيدمر بقوله: «لا يكتب مليحاً ويرمي نشاطاً مليحاً وهو رجل جيّد والسلام» وسمعت أنّ شهاب الدين المذكور كان يعمل طومير وسبكات ويقدمها لبيدمر، فيفرّقها بيدمر على مماليكه ومن حضر عنده...^٢

والدليل الآخر هو أنّ بيدمر الخوارزمي في هذه الفترة التاريخية (٧٨٢ - ٧٨٣) كان

١. الشهيد الثاني، شرح اللمعة، ج ١، ص ٢٤.

٢. صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٠٨.

بمصر (معتقلاً أو مبعداً) بعيداً عن الشام، وأنه علم بحال الشهيد بواسطة أحد «معتمدي أهل الشام»^١ لبعده عنها^٢ وأن هذه القصيدة أرسلت له كنداء استغاثة. وهنا نسأل: هل كان أحد أسباب اعتقال الشهيد أو إقامته الجبرية لسنة يعود لعلاقته ببيدر؟ ومعلوم من المصادر التاريخية أنه توفي السلطان الناصر في صفر ٧٨٣، فحضر الأمير برقوق الذي كان له اليد الطولى في دار السلطنة، إذ أنه حال الوفاة استدعى برقوق الأمراء، واتفقوا على نصب أخيه «أمير حاج» ولقبوه الصالح... وجعل الأمير برقوق كافل له لصغر سنّه، الأمر الذي هيأ للأخير خلع السلطان الصالح أمير حاج، وجلسه على التخت، واستبداده بالسلطان ذي القعدة (١٩ شهر رمضان)^٣ أي أواخر عام ٧٨٤. واستخلص برقوق «بيدر» وولاه «الشام له»^٤.

وأيضاً توضح هذه الرسالة أن فتنة «اليالوشي» وقعت في العام ٧٨٣، ونرجح أنها كانت بعد جلوس برقوق على تخت السلطنة في ١٩ شهر رمضان عام ٧٨٤، وإطلاقه ليد «بيدر» والشهيد على السواء في الشام^٥ كما بيّنا أعلاه، لنقول: إن أحداث هذه الفتنة دارت وتمّ القضاء عليها بقتل زعيمها في العام ٧٨٥، باعتبار أن بعض كتب ومؤلفات الشهيد تدلنا على أنه كان طليقاً وقد تفرّغ للتأليف والكتابة والتدريس في العام ٧٨٤^٦. وهذا ما يظهره تاريخ

١. معتمدي: أي رؤساء أو متنفذي....

٢. وتشير بعض الروايات التاريخية أن بيدمر كان معتقلاً... (اعتقل في ١٨ ربيع الآخر سنة ٧٨٢ وأفرج عنه في ٢٤ شعبان منها) في بداية اعتقال الشهيد. (راجع المقرئزي، السلوك، حوادث سنة ٧٨٢، ج ٣، ص ٣٨٨ وص ٣٩٤ و ص ٣٩٦) وأن أشتقر المارديني هو نائب الشام. المقرئزي، م.س.ن، ص ٣٨٩ وص ٤٤٢؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٦٥ وص ٢٨٨ (حوادث سنة ٧٨٣)؛ والجدير ذكره أن بيدمر كان أعيد إلى نيابة الشام في ٢ محرم ٧٨٢، السلوك، ص ٣٧٧؛ وبدائع الزهور، ص ٣٢٥٣ ثم عزل عنها واعتقل في نمر دمياط بمصر إلى ١١ محرم ٧٨٤ هـ؛ السلوك، ج ٣، ص ٤٦٥؛ بدائع الزهور، ص ٣٠٢ حيث أفرج عنه وأعيد إلى نيابة الشام في ٢ صفر ٧٨٤ عوضاً عن اشتقر، ثم يعزل عنها لصالح كُشْبُغا الحموي في شعبان ٧٨٤ هـ ليصبح ملك الأمراء في الشام بعد تولي برقوق السلطنة، راجع السلوك، ج ٣، ص ٤٧٣ و ٥١٣ (في ١٣ ربيع الأول ٧٨٦ هـ خلع عليه... وطلع... بتقدمة جليلية)؛ وبدائع الزهور، ص ٣٠٨ و ٣٤٤؛ وتاريخ ابن خلدون، ص ٤٧٨؛ ولاحظ صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢١ و ١١١.

٣. ابن خلدون، العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٧٢ - ٤٧٩.

٤. المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٧٧؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٩.

٥. المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٦٥؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٢.

٦. حول مؤلفات الشهيد. راجع رضا المختاري، الشهيد الأول، حياته وآثاره، الباب الثالث.

انتهائه من كتابة ذكرى الشيعة في ٢٦ صفر ٧٨٤ و الدروس الشرعية في ١٢ ربيع الآخر ٧٨٤ وإجازته لابن الخازن بدمشق في ١٢ شهر رمضان ٧٨٤. وأنه كان في الحج ذي الحجة ٧٨٤ بحسب قصيدته الرائية التي كتبها قبيل استشهاده، وبعد المكيدة التي دبرت له ووضحها فيها. إلى ذلك، توفي قصيدة الشهيد الرائية المشهورة الأحداث المذكورة في آخر هذه الرسالة، لجهة المكيدة التي دبرت له، والتي أدت إلى قتله. فقد نظمها الشهيد بأبيات تصوّر حاله وحياته التي كانت مليئة بالمخاطرة والمثابرة معاً، ولكننا لانعرف لماذا لم يوردها الشيخ شمس الدين على أهميتها، ضمن بعض القصائد التي ختم بها رسالته، وهذه من المآخذ عليه والتي أدت إلى اضطراب المعلومات وعدم تناسقها.

وحقيقة الأمر أنّ هذه الرسالة تكشف عن قصيدة أخرى هي على نسق القصيدة الرائية، ولكنها غير معروفة، يستجد بها الشهيد أيضاً بـ«بيدمر»، ويطلب منه فيها المساعدة ضدّ الوشاة. معرّفاً نفسه كفقيه وأديب لغوي وشاعر كما عهده بيدمر، ويبدو أنّ مناسبة هذه القصيدة كانت غير تلك، وقد كتبها الشهيد في إحدى الملمّات التي أوقعه فيها حساده ومعارضيه بحسب مضمونها والذي مطلعها «أيا بيدمر» يدلّ على المدح.

أمّا القصيدة الرائية، فيبدو أنّها كتبت في آخر مُلمّة نزلت بالشهيد، حيث تتطابق مع ما جاء في الرسالة ومضمون الاتّهام المساق له زوراً وبهتاناً حيث يقول فيها:

يا أيّها الملك المنصور بيدمر بكم خوارزم والأقطار تفتخر
إني أراعي لكم في كلّ آونة وما جنيت لعمرى كيف أعتر؟

هذا المطلع «يا...» يؤكّد على صرخة واستنجد ليست الأولى، وفي كلّ مرّة يكون فيها بريء، لذا يطلق الشهيد حيرته عمّا يعتذر متعجباً ومستفهماً ليقول:

لا تسمعن في أقوال الوشاة فقد باؤوا بزورٍ وإفكٍ ليس ينحصر
والله والله أيماناً مؤكّدة إني بريء من الإفك الذي ذكروا^١

١. هذا ما أشار إليه السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٦ في تعليقه على القصيدة بقوله: «إنّه كان قد وشى بالشهيد إلى الأمير منجك قبل هذا فلم يقبل الوشاية، وأنّ الأمير حاجب وأستاذ الدار كانا يعلمان ذلك، وأنّه كان يحجّ في كلّ سنة... وكان أمير الحجّ محمّد [شاه] بن بيدمر، وأنّه كان له خلطة مع أرباب السلطنة وأركان الدولة».

بعد أن ينعث خصومه بالوُشاة الكاذبين تماماً كما في مطلع القصيدة الواردة في الرسالة، يطلق الشهيد أيماناً مغلظة بالله تعالى على أنه بريء مما هو متهم به، وهذه المرة لجهة العشرة المبشرين بالجنة - موضوع ما ورد في الرسالة بشأن التهمة وربّما كانت تهمة الشهيد حول العشرة المبشرين بالجنة تلاحقه قبل أن تدبّر له المكيدة الأخيرة - ليستعين بالأبيات الخمسة التالية للسيد أحمد بن محمد الحافي الحسيني الشافعي الواردة في التبر المذاب في منقبة الآل والأصحاب^١. فيكمل الشهيد بالقول:

عقيدتي مخلصاً حبّ النبيّ ومن أحبه صحاب كلهم غرر
يكفيك في فضل صدّيق وصاحبه فاروقه الحق في أقواله عمر
جوار أحمد في دنيا وآخرة وآية الغار للأبواب تعتبر
والخير عثمان والمنعوت حيدرة وطلحة وزبير فضلهم شهر
سعداهم وابن عوف ثمّ عاشرهم أبو عبيدة قومٌ بالتقى فخرُوا

وبعد ذكره العشرة المبشرين بالجنة على هذا النحو، يذهب الشهيد ليعاود التعريف عن نفسه كفقيه، وفق قصيدته الواردة في الرسالة تشبيهاً بالمتنبي في قصيدته الشهيرة التي يقول فيها:

الخييل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
والشاهد في بيت واحد يقول:

الفقه والنحو والتفسير يعرفني ثمّ الأصولان والقرآن والأثر

بعد ذلك يذكر الشهيد فضل من سبق له أن وقف معه وقفة حقّ في ملمة مشابهة، وهذا المنوّه عنه هو الأمير سيف الدين «منجك اليوسفي» (م ٧٧٦)^٢ من كبار الأمراء في تلك المرحلة (ملك الأمراء)^٣ الذي تولّى الوزارة بمصر ونيابة الشام وصفد وطرابلس وغيرها كما أشرنا سابقاً. وتدلّ القصيدة على أنّ منجك كان منصفاً للشهيد ويحترمه ويجلّه، ورا دعاً

١. الخوانساري، روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٨ - ٢١. ولعلّ الشهيد في تضمين قصيدته لهذه الأبيات أراد إثبات «شافعيته» التي كان يتظاهر بها في دمشق؟

٢. ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٦١؛ والمقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٢٢٥؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٤٩.

٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٢٣.

لخصومه وللواشين عليه حيث يقول مخاطباً بيدمر:

فكن كـ«منجك» بَلَّ الله أعظَمَه وزادك الله عزراً ليس ينحصر
أتى إليه رواة السوء إذ أفكوا فحين حقق أرداهم بما ذكروا^١
أمير حاجب نجل العسكري له من ذاك خبر فسله يُعرف الخبر^٢
والله ما مسنى منه مقابلة بالسوء كلا ولا خسرت ما خسروا
لأتسني وإله العرش مفتقر إلى نقير وقطمير له خطر^٣
لا أستغيث من الضراء يعلم ذا ربي وأستار دار ظل يدكر^٤

بعد هذا يصل الشهيد بقصيدته إلى الطلب بالإنعام عليه، ليغنم دعاءه بالسرّ. باعتبار أن

الدعاء سرّاً أفضل الأعمال المستجابة، فيقول:

فامنن أميرى ومخدومي على رجل واغنم دعائي سراراً بعد إذ جهروا
ثمّ في هذه الأسباب الأخيرة يشير الشهيد إلى قضية اشتهر بها، وهي حجّه إلى البيت
الحرام في كلّ عام، بحسب ما جاء في الرسالة، ليقول:

في كلّ عام لنا حج وكان لنا في خدمة النجل في ذي العام مختصر^٥
ثمّ الصلاة على المختار سيدنا والآل والصحب طرّاً بعده زمر

١. أفكوا: الإفك: الكذب.

٢. أمير حاجب: وظيفة يتولاه أمير ينصف بين الأمراء والجند، والتحقق من تنفيذ أوامر السلطنة بإقامة العدل عند الفصل في المخاصمات، ويكون نائب الغيبة عندما يخرج النائب. صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩ و ص ١٨٥.
لا شك أن الشهيد يشير على أحد الأمراء الممكن معرفة اسمه إذا دققنا في المصادر التاريخية، وهذا ما يعيننا على معرفة تاريخ الحادثة بالتحديد.

٣. نقير: النقرة الصغيرة في ظهر النواة، أي لا يساوي شيء. (لسان العرب. مادة: نقر) وهو بالأساس مصطلح قرآني ورد في سورة النساء الآية ٥٣ ﴿لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ وفي الآية ١٢٤ ﴿وَلَا يَظْلُمُونَ نَقِيرًا﴾ قطير: القشرة الرقيقة على النواة كاللغافة لها، والمعنى: الشيء الهين الحقير (لسان العرب. مادة: قطر) أيضاً هو مصطلح قرآني ورد في الآية ١٣ من سورة فاطر ﴿... وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.

وهنا يقصد الشهيد أنه بريء إلى مستوى تلك المسائل البسيطة الحقيرة التي لا تذكر.

٤. يشير الشهيد إلى أنه من الصابرين المحتسبين لا تهمة الضراء: أي الشدائد... التي يبدو أنه قد ألغها.

٥. ورد اسم النجل مرتين، ولا ندرى أنه نجل بيدمر أو هو لقب أم رتبة إقطاعية، ولعلّ الأوّل هو المرجح كما سيتوضح أدناه، والأمر الأهم الذي نوضحه هنا هو أن الشهيد كان حاجباً في العام ٧٨٤ وليس العام الذي قتل فيه (يوم الخميس ٩ جمادى الأولى ٧٨٦ هـ أي قبل ذي الحجة بستة أشهر).

محمد شاه سلطان الملوك بقي ممتعاً بحماكم عمره عمر^١
 خدمة المملوك المظلوم شمس الدين محمد بن مكّي الشامي^٢.

وتوضح لنا الرسالة أيضاً أنّ الشهيد حاول مراراً إنهاء ظاهرة اليالوشي، سلماً وبالحوار، لتكشف لنا أنّه وفي إحدى جولات الحوار قتل اليالوشي خمسة وثلاثون رجلاً من الفريق الذي أرسله الشهيد إلى اليالوشي، بغية إقناعه وردعه عما هو فيه، وكان على رأس هذا الفريق ولده الشيخ عليّ، وهؤلاء القتلى هم الذين تعرف قبورهم بقبور الشهداء^٣، وأنّ القضاء بالنهاية على حركة أو ظاهرة اليالوشي لم تكن بمعركة هيئيّ وحُشد لها من الجيوش والرجال، ولكنها انتهت بقتل زعيمها اليالوشي على يد الشهيد نفسه. وهذا خلاف ما هو سائد ومتداول في المصادر والمراجع التي تحدثت عن إنهاء حركة اليالوشي.

ولكن هناك ملاحظتان نوّد أن نذكرهما هنا وهما:

أولاً: إنّ معركة ما حصلت في النبطية الفوقا في تلك الحقبة التاريخية، ودفن في ذلك المقام محمد شاه ابن بيدمر. كون البناء يعود إلى العصر المملوكي... وهناك بعض الروايات الشعبية تدور حول هذا الموضوع ولكن بشكل مشوش جداً قد أوردنا بعضاً منها دراستنا في العرفان.

ثانياً: إنّ الشهيد ومكانته وإمكانياته العلمية، وعلاقته الجيدة برجال السلطة المملوكية وعلى رأسهم السلطان برقوق ورجلين من أهمّ رجالات دولة المماليك في تلك الحقبة وهما منجك وبيدمر وطول باعه، هي التي أدّت إلى اختراق قواعد النظام الإداري الإقطاعي

١. محمد شاه: هو ابن بيدمر، وهذا ما صرّح به ابن خلدون أثناء حديثه عن «... وقعة بيدمر». راجع ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٨٧ وحول هذا الاسم تدور عدة علامات استفهام واستفسار، والإشكالية هي أنّه يطلق على المسجد أو بالأحرى المقام الموجود في النبطية الفوقا (مسجد محمد شاه) وعليه أكبر القباب العاملية. والذي كنا نظن أنّه لأحد تلامذة الشهيد الأوّل لارتباط اسمه به بحسب الذاكرة الشعبية. ومشروعية السؤال المحير هو أنّ هذا المقام يشرف على مقبرة الشهداء لجهة الشمال منه على مسافة ٥٠٠ متر تقريباً، ويتّصلان بالطريق العام المار من النبطية إلى النبطية الفوقا، وحوله أي المقام بعض العقارات التي لازالت تحتفظ بتسميات تدلّ على أنّ معركة كبيرة حصلت هناك تقتضي البحث والتدقيق. راجع ما ذهبنا إليه في دراستنا في العرفان، م ٨٠، عدد ٧ و٨ ص ٦٦.

٢. لاحظ الصفة التي ختم بها اسمه «الشامي» وهي الصفة المحببة عند الشهيد ...

٣. راجع ما ذكرناه حول هذه المسألة في الهامش السابق.

الذي كان سائداً، إن لجهة عدم ورود أي اسم لإقطاعي في مرحلة الشهيد إذا جازت التسمية. أو لجهة تجاوز أو الدخول من منطقة إدارية إقطاعية إلى منطقة، وهي أن جزيين كانت تخضع لنيابة أو مملكة دمشق، بينما برج يالوش الواقع في منطقة الشقيف / النبطية تخضع لنيابة أو مملكة صفد، والحد الفاصل بين المملكتين هو مجرى نهر الزهراني^١. وهذه مسألة تستحق الوقوف عندها باعتبار أن النظام الإقطاعي هو أساس التركيز السياسي المملوكي^٢.

وأيضاً بحساب الجمل وبحسب الرسالة، فقد أرخ الشيخ البتديني (بحساب الجمل) لعام قتل الشهيد بـ «ذبيح الله»: (ذبيح: ٧٢٠) + (الله: ٦٦) = ٧٨٦^٣. وهذا ما أثبتته وأكدته معظم المصادر والمراجع والدراسات^٤. رغم ذلك فإنّ المُختَصِر في هذه الرسالة كتب خطأ تاريخ الاستشهاد مرتين ١١٨٦.

الشهيد الأول ودوره، وقضاة السلطة ومقتله

تشكل مشروعية القضاء في الإسلام جدلية منذ بداياتها^٥، وانسحبت هذه الجدلية على كافة المراحل التاريخية للدولة السلطانية الملك العضوض التي رأت فيها ملجأ التجأت إليه لتضفي على حالها مشروعية الحكم والسلطة، بعد أن تحولت مؤسّسة الخلافة إلى أداة يدها، مع الإبقاء عليها كرمز أيضاً لأجل مشروعيتها^٦.

وهذا تمام ما فعله الظاهر بيبرس بعد أن وصل على مصر من بغداد بعد سقوطها بيد المغول المستنصر بالله أبو القاسم العباسي، فعقد له اجتماعاً وبايعه بالخلافة في القاهرة

١. راجع طه الطروانة، مملكة صفد في عهد المماليك، ص ٦٩ وما يليها.

٢. عن الموضوع، راجع أطروحتنا للدكتوراة، تحت عنوان: النظام الإقطاعي أساس التركيز السياسي في العهد المملوكي.

٣. المختاري، الشهيد الأول، حياته وآثاره، الفصل العاشر من الباب الأول نقلاً عن بهجة الآمال في شرح زبدة المقال، للمولى عليّ العلياري التبريزي.

٤. المختاري، الشهيد الأول وقد استعرض سماحته لهذه المصادر والمراجع وأثبتها....

٥. عليّ عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم، دراسة، ص ١٣٩.

٦. دوروتيا كرافولسكي، العرب وإيران، ص ١٠٧؛ ولاحظ على الورد، وعاظ السلاطين، ص ٢٤٠.

عاصمة السلطنة المملوكية^١... بعدها عمد بيبرس إلى تعيين قاضي قضاة لكل من المذاهب السنية الأربعة في العاصمة وعواصم الولايات التابعة لها^٢. الأمر الذي أدّى إلى الجمع بين شوكة السلطنة المرتكزة على نظام إقطاعي مركزي محكم^٣ وشرعية الخلافة، والقضاء الشرعي، وهما الرئيسي - أي السلطة - مالي الطابع^٤.

استمرت دولة المماليك على هذا التقليد سلطة مركزية على رأسها السلطان، الذي يمسك ويدير شؤون السلطنة، يعيّن ويعزل الخليفة والقضاة ساعة يشاء وأنى يشاء، تماماً كما يعزل أحد أمراءه وحاشيته... لكن المصادر التاريخية تحدّثنا بأنّ عزل أحد الأمراء أحياناً قد يكون صعباً ومكلفاً، باعتبار أنّ الأمراء أو الإقطاعيين يمكن أن يكون لهم من المقدرة على تجييش الأتباع والعسكر على الأرض بوجه السلطة، وهذا ما لا يملكه الخليفة أو القاضي^٥.

وكذلك القضاء فكان تحت نفوذ كبار الأمراء في الدولة، لجهة التعيين والعزل والنقل وغيره، فقد كان القضاء يسعون كثيراً للحصول على هذا المنصب ويبدلون المال ويسافرون إلى القاهرة في سبيل ذلك، كالقاضي الشافعي الشيخ جمال الدين يوسف بن الباعوني. والقاضي ابن الفرعي الذي ولي القضاء الشافعي في صنف مرتين عن طريق البذل، وقد تولّى بعض قضاة صنف وظائف أخرى إلى جانب منصب القضاء مثل نظر الجيش وكتابة السّر التي أضيفت للباعوني سنة ٨٣٨. كما تولّى القضاء من لا تتوفّر فيهم الصفات المطلوبة في شخص القاضي، كالعفة والنزاهة وغيرها، مثل قاضي المالكية القبيباتي والذي اشتهر

١. كرافولسكي، العرب وإيران، ص ١٠٢ و ١٠٣ اعتماداً على ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار؛ والمقريري، السلوك، ولاحظ يوسف طباجة، الشهيد الأوّل ومشروعه؛ ومجلة العرفان، م ٨٠، عدد ١ و ٢، ص ٥٠.
٢. كرافولسكي، العرب وإيران، ص ١٢٧ ورضوان السيّد: الفقه والفقهاء والدولة، مجلة الاجتهاد، عدد ٣، ص ١٣٤.
٣. اطروحتنا للدكتوراة، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٣.
٤. رضوان السيّد، مجلة الاجتهاد، عدد ٣، ص ١٥١.
٥. لاحظ كيف عزل الأتابكي أيبك، شارب الخمر علانية، الخليفة المتوكل على الله محمّد. في شهر ربيع الأوّل ٧٧٩ «وبالغ في سبه ويوبخه بهذا الكلام الفاحش...». (ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٠٥؛ والمقريري، السلوك، ج ٣، ص ٢٠٩) كذلك لاحظ في رجب ٧٨٥، المشادة بين الخليفة المتهم بالتأمّر على السلطان برقوق، كيف أنّ الأخير حنق على الخليفة، واستلّ السيف ليضرب به عنق الخليفة، وحيل بينه... فسجنه وولى الخلافة لآخر. المقريري، السلوك، ص ٤٩٥؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٣٣.

عنه قلّة دينه، وقلّة عقله وجهله ورذالته. وقاضي الحنابلة عام ٧٨٦^١. هذه الحالة هي التي كانت سائدة في مرحلة الشهيد الأول، والتي يبدو أنّه قرأها جيّداً. وعرف كيف يمكنه تفادي الصدام مع السلطة، بالبقاء على مسافة منها، بالتواصل والتماهي الذي يتيح له معها حرية التحرك، ولا يكون موظفاً، وبالتالي أداة بيد أرباب السلطة وأركان الدولة، مؤكداً على فكره وعقيدته، عاملاً بها متظاهراً بالشافعية، وهو المذهب الأكثر انتشاراً في بلاد الشام أيام المماليك، ثمّ تحوّلت هذه الأثرية إلى المذهب الحنفي زمن الدولة العثمانية^٢ دون أن يتنكر لولائه لأهل البيت والإمامة مرتكز عقيدته^٣ التي من خلالها استطاع أن يطبع المرحلة بطابعه حضوراً مرموقاً في ساحة الفكر والعقيدة تأليفاً لمصنفات شكّلتُ جديداً عرفت بمدرسة الشهيد الأول الفقهية^٤ وممارسة عملية في نشر هذه الأفكار في حلّه مدرسته في بلدة جزّين^٥ وترحاله في دمشق والعراق وبيت المقدس وغيرها وفي الاجتماع من خلال علاقته بجمهور واسع، إمّا مباشرة أو بواسطة تلاميذه ووكلائه^٦ وفي السياسة حيث استطاع بناء علاقة قائمة على الاحترام المتبادل، ولكنها يبدو أنّها كانت واسعة ومتينة.. ونعتقد أنّ هذا ما مكّن له أن يسجّل مواقفه تجاه الحاسدين والمارقين، والأهمّ تصديه الحاسم للشوشة والمرتين. وفق مشروع نهضوي

١. حول الموضوع راجع طه الطراونة، مملكة صفد في عهد المماليك، ص ٢٥٣ و ٢٥٤.

٢. حول الموضوع، راجع طه الطراونة، مملكة في صفد عهد المماليك.

٣. لاحظ في سيرة الشهيد انفتاحه على كافة المذاهب الإسلاميّة وفقهاها ومنهم ابنا جماعة (عبد العزيز أجاز الشهيد عام ٧٥٤ وإبراهيم المتهم بالتحريض على الشهيد الذي استجازه بحسب ما جاء في إجازة الشهيد لابن الخازن). وأظنّ أنّ طلب الشهيد الإجازة من إبراهيم بن جماعة شريكه في الدرس والتأمّر عليه فيما بعد كانت في صميم خطة الشهيد في الانفتاح على كلّ تضايف المجتمع الذي كان يعيشه برحابته... راجع الشهيد الأول، العقيدة الكافية، ضمن رسائل الشهيد الأول، ص ١٥٤.

٤. راجع مقدّمة ذكرى الشيعة للشهيد الأول، ص ١٤؛ والمختاري، الشهيد الأول، حياته وآثاره، الفصل السادس من الباب الأول.

٥. لاحظ في المخطوطة عن مدرسته (مدرسة رأس النبع) في جزّين. وقد تحوّلت اليوم إلى كنيسة.

٦. بات من المعروف أنّ الشهيد هو صاحب نظرية الوكلاء وكيل نائب الإمام... وهذا ما صرح به مختصر نسيم السحر عندما قضى على الباليوشي وأعاد الأمور إلى نصابها من خلال ولده الشيخ علي وبعض تلاميذه. راجع المختاري، الشهيد الأول، الفصل السادس من الباب الأول. نقلًا عن مقدّمة رياض المسائل، والهجرة العاملة للشهيد المهاجر.

متكامل، وهنا تكمن عظمة وأهمية الرجل.

وتصديقاً للملاحظة الأخيرة التي علّق بها السيّد محسن الأمين في أعيانه على قصيدة الشهيد الرائية، بقوله: «وإنّه أي الشهيد كان له خلطة مع أرباب السلطة، وأركان الدولة»^١. وهذه حقيقة أوضحتها هذه الرسالة وفق مجموعة من المواقف والوقائع المذكورة ولكن الأهمّ في ذلك، إجراءات برقوق التي اقتضت المناظرة، والتي ظهرت فيها الغلبة للشهيد على مدى ثلاثة أيام. على أثرها كتب له برقوق بعد الثناء الكبير عليه، ليطلق يده وأن:

يختار ما يشاء... ويسكن حيثما شاء في الديار الشامية.

فإنك الفاضل المعظم لدينا، والصادق المحق فيما ورد منكم علينا... ليهتدي بهداكم السالكون، ويقتدي بكم الراسخون، فأنت تاج الشريعة، ومنهاج وسراج الحقيقة، أحقّ أن تتبع، وكلامك أصحّ بأن يستمع^٢.

إلى ذلك يتقاطع هذا النصّ مع ما ذكره صاحب تاريخ بيروت، صالح بن يحيى (م ٨٤٠) المعاصر لأحداث عام ٧٨٤، وفي سياق الحديث عن بيدمر وعلاقته بوالده كإقطاعي... يقول: ..لما تحرّكت الشيعة في بيروت، وأظهروا القيام بالسنة، ومعهم مرسوم سلطاني^٣، وكانوا في الباطن قائمين بمذهب الشيعة، وجرى لذلك حركة رديئة، فاغتنم بيدمر الفرصة وطلب الوالد وأهانه...^٤.

إنّ هذه الصلة بالسلطان برقوق الذي كان في تلك الفترة «كبير الأمراء»^٥، وعلاقة الشهيد التي تبدو أنّها كانت وطيدة مع بيدمر الخوارزمي وزير السلطنة ونائب الشام لأكثر من ستّة

١. السيّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦١.

٢. بالمقارنة بين هذه الرسالة ومضمونها وتصرف برقوق مع الخليفة والقضاة خصوصاً عندما قال فيهم: «إنّ القضاة ليسوا بمسلمين» يتضح وقار ومكانة الشهيد التي كوّنّها لنفسه من خلال انفتاحه وعلاقاته القائمة على الود والاحترام والتي يمكن أن تكون قد بدأت مع برقوق عندما كان في دمشق إلى جانب الأمير منجك. (راجع التحقيق).

٣. لعلّ هذا المرسوم هو أحد الكتب التي كتبها برقوق للشهيد وأطلق فيها يده في بلاد الشام. راجع نصّ الكتب ضمن سياق نصّ الرسالة.

٤. صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١١١.

٥. كان برقوق في هذه الفترة يعرف بالأتابكي أو كبير الأمراء، وهي الفترة التي أصبح له اليد الطولي السلطنة والتي مهّدت له الوصول إلى رأسها. راجع المقرئ، السلوك؛ وابن أبياس، بدائع الزهور.

مرّات، وهو الذي حضر مع الشهيد بحسب الرسالة حين طلبه للقضاء على حركة اليالوشي، ومن قبل مع منجك بحسب القصيدة الرائية وزير السلطنة أيضاً، ونائب الشام لعدة مرّات. هذا وعلاقته مع عليّ بن المؤيد التي تأخذ بعداً آخر مغايرة لعلاقته بأرباب السلطة المملوكية وأركانها^١.

إذن، بقيت علاقة الشهيد بالسلطنة المملوكية على ما تظهره هذه الرسالة، من الواقعية والدقة، والقائمة على الاحترام والتقدير، وهو الفقيه البارز الذي استطاع أن يؤمن لنفسه حضوراً فكرياً وعقائدياً، ومكانة حصّنت حركته على الساحة الاجتماعية والثقافية والسياسية. على ضوء ما تقدّم، تبدو المفارقة العجيبة التي توضحها هذه الرسالة وتبرزها، من أن الشهيد لم يقتل من قبل أرباب السلطة بل فقهاؤها وقضاتها، وهذا مغاير لما هو معروف ومتواتر فيما كتب عن مسألة استشهاد الشهيد الأول على يد السلطة وأمر من برقوق وبيدمر^٢. هذا وإن كانت السلطة ودائماً بحسب الرسالة تبدو بعيدة عن المكيدة التي دبّرت للتخلص من الشهيد، ولكن الروايات التاريخية تتقاطع مع سياقات الرسالة عند المحرّك الأساسي ضدّ الشهيد وهو قاضي القضاة ابن جماعة الشافعي، ومعه مجموعة من القضاة من مختلف المذاهب، وحشد من الوشاة والمرتدين^٣.

ابن جماعة، قاضي القضاة في القاهرة ثمّ في دمشق

يبدو أنّ قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمّد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الشافعي، المقدسي المولد (٧٢٥ - ٧٩٠)^٤. كان وبحسب الرسالة شريكاً للشهيد

١. حول صراع المماليك والممالك الإيرانية في تلك الحقبة. راجع كرافولسكي، العرب وإيران ص ٩٩. ولاحظ في الهامش كلامها عن دولة (السربداران الشيعية) التي كان عليّ بن المؤيد أبرز قادتها، حيث قامت مع عدة دويلات شيعية بعد سقوط الخلافة العباسية ببغداد.

٢. عن هذا الموضوع راجع المختاري، الشهيد الأول، الفصل العاشر من الباب الأول حيث عرض لكافة جوانب هذه القضية.

٣. لاحظ وثيقة تلميذ الشهيد المقداد السيوري في بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٦ - ١٨٤ وتبدوا لنا هذه الوثيقة أنّها منقوصة بالمقارنة مع هذه الرسالة.

٤. ترجمته: المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ١١٤؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ص ٣٦.

الأول (٧٢١) «في الدرس في أوائل التحصيل والدرس...». كما جاء في الرسالة، وما هو معروف في الكثير من كتب الرجال التي أرخت للشهيد.

وصل ابن جماعة كما عمّه^١ وجدّه^٢ من قبله إلى منصب قاضي قضاة الشافعية بدار السلطنة بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ٧٧٣، بعد أن كان خطيب بيت المقدس^٣، ثم عزل نفسه عن القضاء في شهر رمضان ٧٧٦ واخلع على آخر عوضاً عنه، فلما عزل أنشد يقول:

وليت القضاء وليت القضا فلم يك شيئاً توليته
فأوقعني في القضاء القضا وما كنت قد تمنيته^٤

ثم أُعيد في ٢٥ ذي الحجة ٧٧٦، وبعد تدخل السلطان واجتماعه معه، رضى بالعودة إلى القضاء بشروط قبلها السلطان^٥.. ثم عزل نفسه في رجب ٧٧٩ «وسبب ذلك لما رأى تغيير أحوال أرباب الدولة بالأمر الفاحشة»، وسافر إلى بيت المقدس، فعين مكانه آخر^٦، ثم أُعيد إليها في ٢٣ صفر ٧٨١ وزينت له في ذلك اليوم القاهرة وكان يوماً مشهوداً إلى الغاية^٧.

برقوق والقضاء وابن جماعة

وفي جمادى الأولى ٧٨١ خلع على قاضي القضاة جلال الدين جار الله الحنفي، ورسم له أن يلبس الطرحة، كما يلبسها قاضي القضاة الشافعي، وأن يستنوب عنه في أعمال مصر، من قبلها وبحريها، قضاة حنفية. فشق ذلك على قاضي القضاة الشافعي ابن جماعة وتحدثت مع

١. هو قاضي القضاة عبدالعزيز بن جماعة أستاذ الشهيد، أجاز له في مصر وفي المدينة، راجع ترجمته والثناء عليه. ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣١.

٢. وهو قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، الشافعي (م ٧٣٣) وهو صاحب كتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، راجع المختار، مقدمة التحقيق في منية المرید، الطبعة الثانية، ص ٧٠.

٣. المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ١٩٧؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٠٦.

٤. ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٤٢.

٥. ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٤٩، وكذلك السلوك. ولاحظ كيف استناب ابن جماعة صهره في الحكم بالقاهرة بعدهم انتقل الأخير من مذهب مالك إلى مذهب الحنفية في ذي القعدة عام ٧٧٧ المقرئ، السلوك، ج ٣، ص ٢٥٧.

٦. ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢١٦ و ٢٤١ وكذلك السلوك.

الأتابكي برقوق في إبطال ذلك^١.

وفي ١٥ جمادى الأولى ٧٨٣ عقد مجلس عند الأتابكي برقوق بسبب وقف، فاجتمع فيه القضاة الأربعة، ومشايخ العلم، فوقع في ذلك المجلس تشاجر بين قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة الشافعي، وبين قاضي القضاة علم الدين سليمان البساطي المالكي، فعزَّ بينهما الكلام، فحرق برقوق على القاضي المالكي، فعزله في ذلك المجلس، وأشار إلى ابن جماعة بأن يعيّن من المالكية من يلي القضاء، فعين ابن جماعة الشيخ جمال الدين عبد الرحمن بن خير، فأخلع عليه في ذلك المجلس، ونزل من القلعة في موكب حفل^٢.

وفي رجب ٧٨٣ امتنع ابن جماعة عن الأحكام الشرعية... فعزل نفسه من القضاء، فطلبه الأتابكي برقوق، وخلع عليه ثانية خلعة الاستمرار، وفرح به كلُّ أحد من الناس^٣.
وفي ٤ شعبان ٧٨٣ رسم برقوق بنفي محتسب القاهرة.. بسبب نقله لقاضي القضاة الحنفي صدر الدين بن منصور، قول الأتابكي بالتركية لمن حوله وهو فيهم: «إنَّ القضاة ليسوا بمسلمين»^٤.

فشقَّ ذلك على قاضي القضاة الحنفي، الذي ذهب إلى بيت قاضي القضاة ابن جماعة الشافعي، واستشاره في عزل نفسه عن القضاء، وقال له: «أنا قطعْتُ عمري في الاشتغال بالعلم في دمشق، ثمَّ في آخر عمري أنفَى عن الإسلام» فلمَّا سمع ابن جماعة ذلك تغير خاطره على الأتابكي برقوق، فزاره ممَّا أدَّى إلى نفي المحتسب بعد عزله إلى القدس^٥.
وكان الأتابكي برقوق في هذه الأيام صار يقع في حقِّ القضاة والفقهاء بما لا يليق...، وقد انحط قدر القضاة والعلماء في آخر دولة الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج، وما بعد ذلك، ينزلون عند أبواب الدولة منزلة السوء، حتَّى صار أقلَّ الناس من الأراذل، يخاطبونهم بكلِّ

١. ابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٤٤.

٢. المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٤٣؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٨٨.

٣. المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٤٥؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٨٩.

٤. المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٤٧؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٩١.

٥. المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٤٨.

قبيح، وقد ذلوا أنفسهم في طلب الدنيا، وحبّ المناصب، «عقوبةً من الله لهم، لامتهانهم العلم» فلا حول ولا قوة إلا بالله^١.

وفي شهر رمضان ٧٨٣ أن قاضي القضاة ابن جماعة، حضر مجلس سماع صحيح البخاري، ثم نزل من القلعة إلى داره، فلما ركب أخذ شخص، يعرف بابن نهار، بعنان بغلته وقال له: «قد حكمت عليّ بحكم لا يجوز شرعاً». وأخذ ابن نهار في الإساءة المفرطة على ابن جماعة، فشقّ ذلك عليه فعزل نفسه من القضاء.. فلما بلغ برقوق ذلك أتى بابن نهار، فضرب بالمقارع. ثمّ شهر على جمل بالقاهرة. ثمّ بعث برقوق يسترضي ابن جماعة فلم يرض، ثمّ فعل مرّة ثانية بواسطة أميرين حتى أخذه وأتيا به إلى برقوق الذي أكرمه وخلع عليه التشرّيف... وكان يوماً مشهوداً^٢.

في ١٤ صفر ٧٨٤ طلب الأمير الكبير برقوق^٣، من قاضي القضاة، أن يسلمه مال تاجر قد مات عن ورثة غائبين، وترك المال بمودع الحكم، فأبى أن يدفعه إليه. فغضب برقوق واستدعى الشيخ الأبناسي ليؤيّه القضاء، فتغيّب، فامتنع ابن جماعة من الحكم، وأخذ الناس في السعي، وفي يوم الخميس سلخه، خلع على ابن أبي البقاء وظيفة القضاء، عوضاً عن ابن جماعة الذي سافر إلى القدس^٤ (بطالاً)^٥.

وفي سؤال ٧٨٥، أرسل السلطان [برقوق] إلى قاضي القضاة ابن جماعة تشريفاً وتقليداً، بأن يكون قاضي القضاة بدمشق عوضاً عن ابن أبي البقاء بحكم وفاته، «فتوقّف في ذلك أيّاماً»^٦ «فخوّف عاقبة ذلك» فأجاب وتوجّه إلى دمشق^٧.

١. ابن أبياس، بدائع الزهور. لاحظ عزل القضاة الأربعة في نيابة حلب من قبل السلطان «وسبب ذلك أن وقع بين القضاة فتنة عظيمة، وقد فوا أعراض بعضهم بالسوق...». ابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٤٩.
٢. المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٥١؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٩٤.
٣. في ١٤ شهر رمضان ٧٨٤ كتب الشهيد إجازته لابن الخازن ذاكراً ابن جماعة قاضي مصر.
٤. المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٦٨؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٣.
٥. ابن أبياس، بدائع الزهور، ص ٣٠٤. ولاحظ السؤال الذي سأله الشهيد لابن جماعة: «في رجل مات وعليه دين...». راجع المختاري، الشهيد الأوّل حياته وآثاره، الفصل السابع من الباب الأوّل نقلاً عن مجموعة الجباعي.
٦. ابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٣٨.
٧. المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٥٠٤.

هذا وقد أورد صلاح الدين بن أبيك الصفدي نقلاً عن بعض الظرفاء في دمشق:

بدمشق آية قد ظهرت للناس تماماً
كلّما ولي شمس قاضياً عادت ظلاماً

وقيل:

أظلم الشام وقد ولي للحكم شمس
ليس فيهم من علماً ويسوس^١

انطلاقاً من سيرة ابن جماعة في القضاء، وفق الوقائع الواردة آنفاً، يتبيّن الفارق واضحاً بين الواقع (المقيّد) الذي عاشه ابن جماعة، والحركية (الحرّة) التي كانت سمة الدور والواقع الذي عاشه الشهيد الأول. خصوصاً إذا ما تأملنا بالكيفية التي أحضر فيها ابن جماعة إلى دمشق مرغماً، ليصبح وجهاً لوجه مع الشهيد، بعد أن كان يدير ملاحقته من مصر.

ابن خلدون والمرحلة، وتاريخه المشوّش

إلى ذلك فإنّ نصاً مشوّشاً أوردته ابن خلدون (الذي كان وليّ قاضي قضاة المالكية في القاهرة في ١٩ جمادى الآخرة ٧٨٦، أي بعد أربعين يوماً على قتل الشهيد)^٢ في تاريخه يتحدث فيه عن واقعة إقصاء «بيدمر» عن نيابة دمشق^٣، مشتعاً عليه، مُتنبياً على خلفه الجوباني (وهو الذي اتّصل به عند وصوله إلى القاهرة)^٤ مشيراً لوقائع نرى أنّها تستحقّ التوقّف عندها، على أهميّتها، لما يمكن أن يكون لها صلة بقضية الشهيد الأول فجاء النصّ كما يلي:

يقدم ابن خلدون للنصّ برسمه صورة عن الحسد فيقول:

... إلى أن دبّت عقارب الحسد إلى مهاده، وحومت شبة السعاية على قرطاسه.^٥ ثمّ استخلصه أي لبيدمر السلطان برفوق، وردّه إلى عمله الأوّل [نيابة الشام التي تولّاها أكثر من ستّة مرّات..] بعد جلوسه على التخت، والشام له، وكان جماعاً للأموال، شديد

١. صلاح الدين الصفدي، أمراء دمشق في الإسلام، ص ١١٨.

٢. المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٥١٧؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٤٨.

٣. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٧٦ - ٤٧٩.

٤. المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٨٠.

٥. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٧٨.

الظلامة فيها، متحياً على استخلاصها من أهلها بما يطرق لهم من أسباب العقاب. مصانعاً للحاشية بماله من حاميته، إلى أن سئم الناس إباته، وتَرَحَّمت القلوب منه^١. وكان بدمشق جماعة من الموسوسين المسامرين لطلب العلم بزعمهم^٢، متهمون في عقيدتهم بين مجسّم ورافضي وحلولي^٣، جمعت بينهم أنساب الضلال والحرمان، وقعدوا عن نيل الرتب بما هم فيه^٤، تلبسوا بإظهار الزهد والتكبر على الخلق^٥، حتّى على الدولة في توسعة بطلان الاحكام والجباية عن الشرع إلى السياسة^٦، التي تداولها الخلفاء، وأرخص فيها العلماء وأرباب الفتيا وحملة الشريعة^٧، بما تمس إليه الحاجة من الوازع السلطاني، والمعونة على الدفاع^٨... فلبس هؤلاء الحمقى على الناس بأمثال

١. ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٧٩ بالمقابل لاحظ الثناء على بيدمر في ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣١٢ و ص ٣٥٥؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ص ٣٠٢ (في محرم ٧٨٤ خلع على الأمير بيدمر نيابة دمشق على عادته... وكان خيار نواب الشام)؛ والمقرزي، السلوك (حوادث ٧٨٦ والإكرام عليه)، ج ٣، ص ٥١٣. ٢. لعلّه هنا يقصد الشهيد وتلاميذه، باعتبار أنّ الشهيد وكما هو معروف وما تبيّنه المخطوطة كان يدرس بدمشق وله فيها مجلس حاشد يقصّ بالمحاورين والمناظرين.

٣. الرفض والتصيرية، والزندقة واستحلال الخمر وحبّه لابن ملجم؟؟؟ وغيرها هي من التهم التي سبقت للشهيد... لاحظ ما قاله طاهر بن حبيب (م ٨٠٨) وابن قاضي شعبة (م ٨٥١) وابن حجر العسقلاني (م ٨٥٢) وابن العماد الحنبلي (م ١٠٨٩) في المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل العاشر من الباب الأوّل. وهذه الفقرة عند ابن خلدون تعرّز ما ذهبنا إليه آنفاً، وأنّ هذه التهم هي التي تساق على أهل الشيعة. فابن خلدون، يورد في المقدّمة ما يقارب هذا الادعاء، فعند حديثه عن مذاهب الشيعة يقول: «... ومنهم طوائف يسمّون الغلاة، تجاوزوا حد العقل والإيمان... وهو قول بالحلول...» المقدّمة، ص ١٩٨. حول هذا الموضوع وهذه التهم. راجع د. كامل الشيبني، الصلة بين التصوّف والتشيع، ج ٢، ص ١٥١ - ١٥٤ «أنّ التجسيم تهمة للشيعة»؛ هاشم معروف الحسني، بين التصوّف والتشيع، ص ٧٨ حيث ينكر عن الشيعة هذه التهم... خصوصاً الحلول، ص ٨٤.

٤. قارن هذه التهم بما قاله طاهر بن حبيب (م ٨٠٨) عن الشهيد: المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل العاشر من الباب الأوّل، لأقول: إنّ نيل الرتب، هو مطلب يجاهر به ابن خلدون، وأنّ الانصراف عنه هو شبهة وتهمة على من لديهم صفات العلم والزهد، ولا يطلّبونه!..

٥. وهنا تتضح الشبهة عند ابن خلدون على من تحدّث عنهم وقصدهم.

٦. الإشارة إلى البعد عن رأي الفقهاء إلى العلاقات الخاصّة بسمّة السياسة الاجتماعية.

٧. الإشارة إلى إهمال العلماء. وهذه الأجواء زخرت بها كتب التاريخ، وقد لاحظناها في سيرة ابن جماعة. ونودّ الإشارة إلى أنّ ابن خلدون نفسه عزل عن القضاء في ربيع الآخر عام ٧٨٧.

٨. هذا المنطق التبريري هو معروف عند ابن خلدون وخاصّة في المقدّمة، وهو بذلك يجاري الماوردي، بينما عند الشهيد الأوّل الوازع للشرع المتمثّل بالنبي والإمام ونائب الإمام. لاحظ رأي الشهيد في الدروس واللمعة. وراجع حول الموضوع أطروحتنا للدكتورة، ص ٥٠ وما يليها.

هذه الكلمات، ودخلوا من في قلبه مرض من الدولة، وأوهما أن قد توثقوا من الحَلِّ والعقد في الانتقاض^١ فرية انحلوها، وجمعاً أنهوه نهايته، وعدوا على كافل القلعة بدمشق وحاميتها يسألونهم الدخول معهم في ذلك لصحابة كانت بين بعضهم وبينه، فاعتقلهم وطالع السلطان بأمرهم، وتحدّث الناس أنّهم داخلوا في ذلك بندمر [بيدمر] النائب بمدخلة بعضهم كابنه محمد شاه، ونمي الخبر بذلك إلى السلطان فارتاب به وعاجله بالقبض والتوثق منه ومن حاشيته. ثمّ أخرج مستوفي الأموال بالحضرة لاستخلاص ما احتازه من أموال الرعايا واستأثر به على الدولة، وأحضر هؤلاء الحمقى ومن بسوء سيرتهم مقتدون إلى الأبواب العالية، فقفذوا في السجون وكانوا أحقّ بغير ذلك من أنواع العذاب والنكال...^٢.

والجدير ذكره هنا هو أنّ ابن خلدون في هذه المرحلة حتّى ١٧ جمادى الأولى ٧٨٧ كان قاضي قضاة المالكية بالقاهرة^٣. وقد أورد هذا النصّ المشوّش دون أيّ ذكر للشهيد أو توضيح إذا كان يقصده في مضمون النصّ المتقدّم؟! إنَّ أسئلة نودّ طرحها وهي هل أنّ هذا النصّ، وما جاء في سياق الرسالة، يتقاطعان عند الموقف الذي اتّخذه بيدمر تجاه الشهيد؟! وهل أنّ إحساس فقهاء السلطنة أو السلطة (وابن خلدون منهم بحسب نصّه المتقدّم) يبعدهم عن القرار، أو إبعادهم عن التأثير الذي أحسّوا بأنّ الشهيد «كنموذج» سلبه منهم، وهو الذي أدّى إلى قيام فتواهم وقلته؟!!

١. الانتقاض: انتقض الشيء: فسد بعد إحكامه. لاحظ الشهيد الأول، المقالة التكميلية (الفصل الأول في ماهية التكليف) ضمن كتاب رسائل الشهيد الأول، ص ٨١.

٢. محمد شاه بن بيدمر المارّ ذكره في قصيدة الشهيد الرائية. راجع أنفأ إلى ذلك بقول د. علي الوردى عند مقارنته ابن خلدون بمكيافلي: «... إنّ آراء ابن خلدون، كانت أشدّ انحرافاً عن شرعة الأخلاق والاديان من آراء زميله الإيطالي... فقد امتار ابن خلدون بأسلوبه الدبلوماسي، الذي يغطّي الآراء المنحرفة بغطاء براق. فهو يكثر من ذكر الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية... وظنّ الناس أنّه كغيره من الفقهاء والمؤرّخين، سائر على سنة الله ورسوله، ولو أنّهم أدركوا مقاصده الحقيقية بوضوح، لربّما شنّوا عليه حملة شعواء لم يعهد مكيافلي لها مثيل». د. علي الوردى، مقدّمة كتابه، منطق ابن خلدون، ص ٢١. وقارن هذا مع صالح بن يحيى في الهامش الوارد لاحقاً عن بيدمر.

٣. المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٥٣٣؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ص ٣٥٩.

لقد لفت نظري الاضطراب في التاريخ ليوم قتل الشهيد عند المقرزي المعاصر للحدث كما ابن خلدون، فقد أورد كلُّ من المقرزي وابن حجر العسقلاني إعلانه عن قتل الشهيد مرّتين: الأوّل في آخر ذكره لأحداث ٧٨١ يقول: «وفيه قتل محمّد بن مكّي، داعية الرفضة، تحت قلعة دمشق» وواقعه العسقلاني.

الثانية في آخر ذكره لأحداث ٧٨٥ هـ يقول: «وفيها قتل محمّد بن مكّي كبير الرفضة بدمشق، لتظاهرة بزاي [كذا] النصيرية، ضربت عنقه تحت القلعة». وتبعه بذلك ابن أياس أيضاً في آخر أحداث ٧٨٥، أما العسقلاني فأرّخ ٧٨٦. أسئلة برسم البحث والتدقيق لعلّها توضح الالتباس.

أخيراً تبين الرسالة، أنّ الشهيد لم يقتل بإيعاز من السلطة كما هو كذلك شائع ومعروف، ولكن بوشاية تبعها مكيدة، لم تكن الأولى ولكنها كانت الأخيرة، بعد أن أحكم ابن جماعة وأعوانه هذه المرّة فصول تدابيرها وتنفيذها بحسب ما ورد في المخطوطة. وأنّ الأسباب هي كما ذكرنا تعاضم الحسد والمغلف بالمذهبية بسفسفها^١. وإني أرى أنّ هذه هي العلة الأساسية في انحطاط وتراجع الأمة... واليوم ليس ببعيد عن ذلك.

على العموم، يتضح لنا أنّه في هذه الفترة، سطع اسم الشهيد الأوّل «حتّى اشتهر ذكره في سائر الآفاق، فتعرض له حينئذ بالعراق السادة الكبار والعلماء الأخيار، والتمسوا منه السكن والإقامة وسلّموا له الإمامة، فأبى، ورجع، إلى بلده جزّين». وتلقى دعوة من عليّ بن المؤيد، كذلك أبى، حيث كان ينتظره الدور الكبير الذي أسّس له واضطلع به، واستشهد لأجله، ولولاه لما كان الأمر في جبل عامل (خصوصاً) على ما صار عليه. وهذا ما أثبتته الوقائع العملية والعلمية، أي الحراك الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي للشهيد^٢

١. لعلّ هذا الحسد منصب على الحالة التي كان عليها فقهاء السلطة.. وهذا ما يظهر لنا في مطالعة أخبار المقرزي في السلوك خصوصاً ج ٣، ص ٥٢ مثلاً. وما ألمح إليه ابن خلدون في تاريخه، ج ٥، ص ٤٧٩.

٢. إلى ذلك راجع صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٠٨ - حيث يقول عند حديثه عن أحد أنسابه وعلاقته ببيدر: «إنّه عند وفاته في ٢١ ربيع الأوّل ٧٨٣ حضر أهل جزين في يوم عزائه قبل دفنه» ثمّ ص ١١١ - يقول عند حديثه عن والده وعلاقته ببيدر: «فمن ذلك لما تحركت الشيعة في بيروت وأظهورها القيام بالسنة، ومعهم مرسوم سلطاني، وكانوا في الباطن قائمين بمذهب الشيعة، وجرى لذلك حركة رديئة، فساغتم بيدمر الفرصة وطلب الوالد وأهانته...».

وعبر تلامذته ومؤلفاته التي لازالت ذخراً.

إن ما تبين لنا هو أن مخطوطة نسيم السحر موجودة ولم تنلها يد الجزار أيام نكبة مكنتات جبل عامل على يده المجرمة^١. لذا يقتضي البحث عنها لأنها ستوفر لنا الكثير من المعلومات وتوضح مسائل كثيرة أو تتممها بعد أن أوضحت هذه الرسالة إشكاليات كثيرة.

عملنا على مخطوطة مختصر نسيم السحر

١. في وصف المخطوطة:

تقع هذه المخطوطة في واحد وأربعين ورقة، إذا ما أضيفت عليها الورقة التي تصدر عنها عشرة أسطر، وبخط غير منقوط، ومختلف عن الخط الذي كتبت به المخطوطة. بل ورد فيها الثناء على كاتب المخطوطة، وعلى الاجتماع به، وهذا ما يؤكد أنها لغير صاحب المخطوطة. وربما كانت لأحد أساتذته بالإجازة، لذلك فهي مبتورة أي الورقة وبالإجمال نقرر بأن هذه المخطوطة هي جزء من مجموع للكاتب الشيخ شمس الدين.

خصّص الكاتب ستّة وعشرون ورقة في أحوال الشهيد الأول. والتي اقتصر عملنا في التحقيق عليها. وأمّا البقية من الأوراق فعلى ما يبدو أنها في سيرة الكاتب ومشايخه، خصوصاً في البحرين أو البحرانيين منهم. وقد استعنا بصفتين لهما علاقة بالشهيد، وقد أشرنا لها في حينه. إضافة إلى الصفحة الأخيرة التي ذكر فيها الكاتب اسمه ونسبه في آخرها.

أمّا قياسات أوراق المخطوطة فهي (١٩,٥ × ١٤,٥ سم). تقع الأوراق: (الأولى، والثانية، والثالثة، والسابعة، والثامنة، والتاسعة، والثالثة عشرة، والخامسة عشرة) في واحد وعشرين سطرًا لكل منها (فيكون المجموع ١٨٩ سطرًا). أمّا الأوراق (الخامسة، والسادسة، والحادية عشرة، والثانية عشرة) فتضمّنت عشرين سطرًا لكل منها (فيكون المجموع ٨٠ سطرًا). أمّا الأوراق (العاشر، والسادسة عشرة) فتضم اثنتين وعشرين سطرًا لكل منها (فيكون المجموع ٤٤ سطرًا). وتبقى الورقة الرابعة عشرة التي تضم (٢٣ سطرًا). وعليه يكون مجموع أسطر المخطوطة ٣٣٦ سطرًا.

١. راجع عن الموضوع أطروحتنا للدكتورة.

على الهوامش تعليقات عديدة أشرنا إليها في مكانها، وهي بخطّ الكاتب في معظمها، والتي يبدو أنها مستدركات له لأنه ذيل آخر كلّ تعليقة على الهامش بنسيم السحر. وهي إشارة إلى الأصل المنقول عنه.

تقسم المخطوطة بحسب رؤيتنا على ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: وهو ما اختصره الكاتب عن كتاب نسيم السحر.

القسم الثاني: وهو ما جمعه الكاتب وضّمه للمخطوطة نقلاً عن تلامذة الشهيد، بدءاً ممّا

كتبه الشيخ محمّد بن الوحيد البتديني في مجموعته.

القسم الثالث: ما أورده الكاتب من أشعار للشهيد.

٢. منهجنا في المخطوطة:

اقتضت الأمانة العلمية أن ننقل ما ورد في المخطوطة كما هي، مع الإشارة إلى تصحيح ما وجدناه خطأً ككتابة [كذا] أو تصحيحها بين مركنين بعد الكلمة الخطأ. أو ألحقناها بتعليق في الهوامش التي خصصناها للتحقيق والدراسة. إلى ذلك فقد جمعنا متن المخطوطة في نصّ متكامل، بعد إضافة الهوامش إليه في مكانها، إمّا إلى المكان المشار إليه، وإمّا ما وجدناه مناسباً لسياق النصّ.

هذا لجهة التحقيق، أمّا لجهة البحث والدراسة فإننا اتبعنا المنهج المشترك، القائم على الاستقراء والاستدلال، مع تغليب العام على الخاصّ. ولكن متن المخطوطة أحياناً أملت علينا مسألة التغليب. أمّا المصادر والمراجع فقد اعتمدنا فيها الاختصار، حيث نظمنا في آخر الدراسة لائحة خاصّة بها.

٣. في مضمون المخطوطة:

يستخلص من فقرات المخطوطة الاضطراب الواضح في بعض المضامين، التي تشوّش بدورها بعضاً من الحقائق، مثلاً في مطلع المخطوطة يورد الكاتب اسم العلامة الحلّي بتمامه: جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر الحلّي على أنّه أستاذ الشهيد، وهذا أمر مستغرب غير صحيح، والصحيح هو أن ابن العلامة «فخر الدين محمّد بن الحسن بن يوسف

المظهر الحلّي...» هو من تتلمذ عليه الشهيد.

ثمّ تظهر هذه المخطوطة الاضطرابات المؤدّية إلى تشويبات في ذكره لبعض الأماكن. فيتّضح أنّ الكاتب يجهل جغرافية المنطقة، فحصلت هذه التشويبات مثلاً: خلال حديثه عن معركة الشهداء وقبورهم، وأثناء حديثه أيضاً عن المسافات بين صيدا وبيروت وطرابلس وبينها وبين القدس.

أمّا فيما يختص بالتسلسل والسرد التاريخي، فإنّه يشكل الاضطراب الأكبر، إذ خلت المخطوطة من ذكر لايّ تاريخ. علماً أنّه ذكر في أوّل المخطوطة أنّ الأصل فيه: «ذكر تاريخ ولادته... وابتداء شروعه بالعلم...» إلّا أنّه لم يذكرها، سوى تاريخ استشهاد الشهيد الذي ورد مرّتين وفي كلتا المرّتين كتبه خطأ ١١٨٦ هـ والصحيح / ٧٨٦ ولعلّ الكاتب قرأ الرقم ٧ منفرد الأضلع، فنسخ خطأ الرقم ٧، الرقم / ١١. أمّا الذي شكّل اضطراباً مضافاً إلى ما تقدم، هو ذكره للواقعة والعودة إليها. أي خلط وتشابك الوقائع التاريخية دون تسلسلها. بالنسبة للأخطاء الإملائية فهي كثيرة، والنصّ مكتوب بلغة عصره.

إنّ المشكلة الكبيرة التي تعترض الباحثين في تاريخ جبل عامل هي ضياع وفقدان المصادر الأساسية بسبب الويلات والحروب والهجرة التي لم يرتاح منها هذا الجبل الأشمّ إلى اليوم، وخصوصاً في الحملة الشرسة التي تعرّض لها إبان استباحته أثناء حملة أحمد باشا الجزّار في أواخر القرن السابع عشر للميلاد، وما حصل فيه من مذابح ومجازر ونهب وسلب، خصوصاً المكتبات التي أحرقت في عكا^١. ممّا أدّى إلى هجرة أبنائه في أربع جهات الأرض، حاملين معهم ما استطاعوا^٢ من هذه المحمولات ما احتفظ به في المكتبات الخاصّة وتمّ اكتشافها وتحقيقها ومنها هذه المخطوطة.

وهنا أودّ تقديم الشكر لسماحة حجة الإسلام المحقّق والباحث الشيخ رضا المختاري على جهوده في هذا الميدان.

١. لمزيد من التفاصيل راجع أطروحتنا للدكتوراة في الجامعة اللبنانية عام ١٩٩٣.

٢. لاحظ حفيد الشهيد الثاني في الدرّ المنثور في المأثور وغير المأثور.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على ما هديتنا إلى سلوك طريق الرواية، ونشكرك اللهم على ما أنعمت به علينا من نظمنا في سلك درب الدراية. ونصلي على نبيك المنقذ من الضلالة والغواية، وآله البالغين في نشر صحائف الحديث أقصى نهاية.

وبعد، فمن نعم الله المتواترة، وآلائه المتكاثرة، الاجتماع مع الأكمل الأنبل، ذي الفهم النقّاد والفكر الوقّاد، مصباح المتهجّدين وإقبال السالكين، الأفضل البهي والتحرير الأملعي، الشيخ شرف الدين محمّد مكّي بن محمّد بن الشيخ شمس الدين بن الحسن بن زين الدين من سلالة الشهيد الأوّل المطلبي العاملي^١ (وقّقه الله سبحانه لارتقاء معارج العلوم والمعارف)، وتحرير النكت واللطائف في البحث والمذاكرة والتدقيق والتحقيق والإفادة والاستفادة، في كتاب تهذيب الأحكام، المشتمل على النقص والإبرام فظهر لي من ذلك وسلوك تلك المسالك توقّد ذهنه الثاقب، وتصويب إدراكه الصائب، وكونه أهلاً لتحمل الرواية، وسلوك مسلك طرق الدراية^٢.

١. من أعلام القرن الثاني عشر الهجري ترجمته: الصدر، تكملة أمل الآمل، ص ٢٢٩؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٤، وجاء علي الهامش الأيسر من الورقة ٣٦ من المخطوطة: «الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ بهاء الدين هو جد أم كاتب الأحرف لأئمتها».

وجاء في آخر ورقة من هذه المخطوطة اسمه على النحو التالي: «وكتب بيده أفقر الطلبة إلى ربه المجيد شرف الدين محمّد مكّي بن محمّد ضياء الدين بن شمس الدين بن الحسن بن زين الدين بن خير الدين عليّ بن أحمد من ذرّيّة الشريف أبي عبد الله الشهيد محمّد بن مكّي المطلبي العاملي الجزّيني».

٢. هذه الورقة منفصلة السياق عن مضمون المخطوطة سوى الدلالة على نسب الكاتب، وأنّ خط هذه المقدّمة غير منقوط وهو مغاير لخطّ المخطوطة ولعلّها إحدى إجازات الكاتب.

متن الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم^١

قد نقلت مختصراً من كتاب نسيم السحر في أحوال الشهيد الشريف^٢، شمس الدين محمد بن شرف الدين مكّي بن حامد بن محمد بن طاهّا [كذا] بن عليّ المطلبي العاملي الجزيني^٣.

فإنّه قد ذكر فيه أولاً آباء الشريف الشهيد محمد بن مكّي وأجداده من الطرفين^٤. ثمّ ذكر تاريخ ولادته^٥، وكيفيّة حاله بعد أبيه ببلدة جزّين، وابتداء شروعه في العلم^٦، وسفره إلى

١. في الجهة اليمنى من أعلى الورقة كتب: «يظهر من هذه الرسالة أنّه قد رُوي في صفة قتل الشهيد بغير ما ذكر في هذا الكتاب يكون مجملاً، أو لعدم اطلاع من روى. والله أعلم».

٢. الشريف: نسب آخر للشهيد الأوّل يضاف على ما ذكر عن نسبه، لكن التوضيح يأتي من الاستدراك على هامش الأعلى للورقة الأولى من هذه الرسالة من أنّه «شريف من طرف أمّه»، وهو أوّل كلام يتحدّث عن والدته ونسبها. وهذا ما ألمح إليه الشيخ شمس الدين في كتابه: حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٢٩.

في أعلى كلمة الشريف توضيح يقول: «الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي فهو شريف من طرف أمّه، فهي من بيت مّعّية بنت السيّد محمد الحسن بن مّعّية».

٣. حول اسم الشهيد ونسبه، وبعض الاضطراب حوله، فقد أفاض به شرحاً الأخ المحقّق حجة الإسلام الشيخ رضا المختاري في الشهيد الأوّل، حياته وآثاره، الفصل الثاني من الباب الأوّل. أما الجديد التي جاءت به هذه الرسالة فهو من عند أجداده «...محمد بن طاهّا بن عليّ» حيث إنّه نقل عن صاحب الرسالة ذكر اسم جده في موقع آخر على النحو التالي: «...الشريف محمد بن جمال الدين مكّي بن محمد بن أحمد بن حامد بن طيّ المطلبي الحارثي الهمداني الخزرجي العاملي الحائيني الجزيني» قارن وراجع المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل الثاني من الباب الأوّل.

٤. والجدير ذكره هو أنّ التعليقات أو المستدركات الموجودة على هامش الرسالة مذيلة غالباً في آخرها بكلمتي: «نسيم السحر». الأمر الذي يوجي بأنّها عن كتاب نسيم السحر.

٥. وهو الأمر المختلف عليه أيضاً: فقد رجّح الشيخ المختاري أنّه في حوالي عام ٧٢٤ ونحن نقدر أنّه ولد في العام ٧٢١. راجع يوسف طباجة، الشهيد الأوّل ومشروعه. العرفان م ٨٠ العدد ١ و ٢ ص ٦١.

٦. هذه الإشارة تدلّ على أنّ الشهيد شبّ يتيماً، وأنّ شروعه بالعلم لم يبدأ على يد أبيه، كما هي العادة عند أبناء العلماء إذا ما عرفنا أنّ والده وجدّه كانوا من العلماء. راجع المختاري، الشهيد الأوّل الفصل الثاني من الباب الأوّل.

الأمصار وسعيه في الأقطار لتحصيل العلم من العلماء الأعلام^١، والتفكر في ملكوت الملك العلام^٢.

وذكر ما جرى بينه وبين الكرمانى المشهور عبد الأئمة [كذا] القرشى^٣، من المباحث اللطيفة والمناظرة الشريفة لَمَّا ورد بغداد، وكان ذلك في المدرسة النظامية^٤. وما جرى بينه وبين العلامة الفاضل جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي^٥ من المباحث البهية والمسائل المرضية، وذلك في الحضرة الحائرية، قال: فإنَّ الشريف شمس الدين محمد بن مكِّي رحمته، لَمَّا ورد الروضة الشريفة المقدسة الحائرية لزيارة مولانا وسيدنا أبى عبد الله الحسين عليه السلام، لم يكن قبل ذلك رأى الفاضل العلامة رحمته، فلَمَّا رآه جرى بينهما ما قد جرى من المناظرة والمطارحة، وأجاب كل واحد منهما جواباً عن قوله، بأدلة عقلية ونقلية أولاً وثانياً وثالثاً، فرضى الشهيد من العلامة، إلا في بعض المسائل بقي متردداً^٦ والعلامة رحمته

١. مصر: المدينة الكبيرة تقام بها الأسواق والمدارس، أما القطر: الناحية وهي جملة من البلاد والنواحي تعرف باسم خاص.

٢. تستوقنا هذه الجملة المليئة بالعبير والمعاني، وهي دلالة على أنَّ الشهيد أخذ في ملكة التفكر وتجذير وترسيخ إيمانه بالله عزَّ وجلَّ، لينطلق في مشروعه الفكري والعلمي فيما بعد. هذه دلالة وتأكيد على ما ذهبنا إليه في دراستنا المنشورة في مجلة العرفان، من أنَّ الشهيد قد عزم مبكراً على بناء مشروع متكامل في النهضة والإصلاح، قوامه البناء الذاتي، ثم الاجتماعي والفقهى (السياسي ضمنياً بحيث إنَّ الشهيد يعتبر أنَّ السياسة بمعنى التدبير هي جزء من هذا المشروع) وقد جاءت هذه الرسالة كما سيلي من شرح وتفسير للتأكيد على صحة ذلك.

٣. الصحيح أنه مشهور: بشمس الأئمة القرشى، لاحظ الشهيد الأول، الفصل السابع من الباب الأول.

٤. نعم إنَّ الحوار والمناقشة والمناظرة ليست مسألة أو قضية عبثية أو عادية لا بل هي هادفة. الشهيد الثاني: منية المرید، تحقيق الشيخ رضا المختاري، باب المناظرة وشروطها وآدابها وأفاتها، ص ٣٠٩.

٥. ترجمته: أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٩٧. وهذا أمر غير صحيح لأنَّ العلامة كان قد توفي في العام ٧٢٦ وأنَّ من تتلمذ عليه الشهيد هو ولده فخر الدين محمد.

٦. على الهامش الأيسر من الورقة الأولى كتب: «قد نقل بعض الثقات أنَّ اجتماع الشهيد [كلمة غير واضحة] بالعلامة، وكان العلامة في مجلس الدرس. فلَمَّا دخل الشهيد والعلامة يدرِّس، حينئذٍ فاعترض الشهيد مستفهماً فأجابه العلامة، فاعترض الشهيد، حتَّى جرى بينهما قرب عشرين مسألة. فقطع العلامة الدرس حينئذٍ وتوجَّه للشيخ شمس الدين محمد بن مكِّي وأجابه، ثمَّ اعترض ثمَّ أجابه، ثمَّ اعترض فأجابه، فرضى الشهيد إلا في سبب. وأتته نوى بعد الزيارة أن يرجع إليه للدرس. ففضى [كذا] الله وقدره قد نفذ. سمعت أيضاً من ثقة. سمعت من ثقة (نسيم)».

٧. في الأصل: متردداً.

لقد تعجب من الشريف الشهيد شمس الدين محمد بن مكّي رحمه الله لقوة حدسه، وبلاغته واستحضاره.

وقد اعتمد [فوقها «ونوى»] الشهيد بأنّه إذا [فوقها «قدر»] زار الأمير عليه السلام يرجع إلى عند شيخ المشايخ العلامة في الحلّة إن شاء الله. ففي الأيام التي كان الشهيد رحمه الله فيها في النجف عند الأمير، فإذا قد مات العلامة رحمه الله ودفن في النجف. فتألّم الشهيد لذلك كثيراً.

ثمّ إنّ الشهيد قد سافر إلى الحلّة واجتمع بعلمائها وقرأ على فضلائها، وبقي مدة في العراق، حتّى اشتهر ذكره في سائر الآفاق أكثر من شيوخه على الإطلاق. بينما هو في الحلّة إذ قد ورد عليه مكاتيب من عليّ بن مؤيد سلطان العجم، وفيها الحثّ والالتماس منه على الحضور لديه، للتشرفّ بقدمه وللاستفاد من علومه. وأكثر من التلطف والتودد له فيها، فأجابه واعتذر له بما يناسب الحال والمقال^١.

ثمّ إنّ بعد إقامته بالحلّة عزم على الرحيل إلى بلد الله الأمين، ثمّ إلى بلده جزيّن. فتعرّض له حينئذٍ بالعراق السادة الكبار والعلماء الأخيار، فتمنّوا دوام صحبته الشريفة ومطارحته اللطيفة، والتمسوا منه السكنى والإقامة^٢ وسلّموا^٣ له بالإمامة، فأبى إلاّ الانطلاق وعقد للرحلة حبل النطاق، فتودّع من أولئك الأجلة، وزيارة الأئمة سادة الأمة، ورجع بعد زيارة بيت الله الحرام وزيارة سيّد الأنام إلى بلده جزيّن، معدن الكرم والعلم والدين، فأقرّت به عيون العباد والمحبّين، وأقبلت عليه أهل البلد، وحضر لديه الخاصّ العام^٤، وسار ذكره في الأقطار، وصار فضله لا يخفى كالشمس في

١. هذه المراسلة قد سبقت إرسال الشهيد لعليّ بن مؤيد اللمعة دمشقيّة، عام ٧٨٢: لاحظ الشيخ المختاري، الشهيد الأول، حياته وآثاره، الفصل الأوّل من الباب الثالث، ونشير هنا إلى أنّ هذه الفقرة من الرسالة موجودة في الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.

٢. في وسط أسفل الورقة الأولى كتب: «والتمس منه فضلاء الحلّة أن يبيّن مشكلات الإرشاد في أيّام تدرّسه، فبيّن مشكلاتها وهو بمشهد الحلّة».

في غاية المراد، فرغ الشهيد من تأليف الجزء الثاني زوال يوم الخميس منتصف ذي القعدة الحرام سنة ٧٥٧ بالحلّة، المختاري، الشهيد الأوّل حياته وآثاره، الفصل الثاني من الباب الرابع.

٣. هنا انتهى مضمون الصفحة الأولى من المخطوطة، والتي سنشير إلى مثلها بالشكل التالي [ص ١].

٤. أي أهل السنة والشيعة.

رابعة النهار، ولم يزل مشيداً لدين الله، وفي أكثر السنين حاجاً بيت الله^١، إلى أن قتل «ذبيح الله»^٢.

قال^٣: ولقتله أسباب، وهي: أن رجلاً عالماً فاضلاً بزعمه من علماء الشافعية، وهو عباد ابن جماعة^٤، كان شريكاً له في الدرس في أوائل التحصيل والدرس في المعقول، كالنحو والمنطق والأصول، على بعض الشيوخ في الشام والقدس ومصر والغرب. فلما رأى طيران الشهيد في زمان قليل على معارج الكمال في العلوم كلها العقلية والنقلية، وعلم أنه قد حاز من العلوم الأدبية واليقينية بأوفر نصيب، وضرب في سائر العلوم بقدحي المعلّى والرقيب، ورأى رجوع الناس إليه كلها [كذا] في التدريس والاستفتاء في الشام وغيرها، ورأى ملوك زمانه قد أقبلت عليه، وجميع الأحكام الشرعية رُدت إليه، وهو بين العام والخاص^٥ على الطريقة المحمودة، وقد طلع من أفق العالم كواكب ذكره المسعودة، وركب متن الشريعة الغراء، ولزم المحجة البيضاء^٦، تحرك عرق الحسد والعصبية في نفسه الخبيثة، فسعى بالفساد، وبالغ في التشنيع بين العباد على الشريف الشهيد شمس الدين محمد بن مكّي.

وقد دفع أموالاً كثيرة، وبذل أجناساً غزيرة لتعلو كلمته^٧ وتنفذ شوكته، وتستقر أحكام الشريعة إليه بانفراده، فلم يحصل على طائل، ولم يرجع إليه من الشام شخص يُعتبر، ولا

١. وهذه مأثورة عن الشهيد الأول، كما جاء في هذه الرسالة، وكما صرح هو في قصيدته الرائية، حيث يتضح أنه كان يعتقد أن الحجّ هو مؤتمر علمي سنوي، ودلالة ذلك لقاءاته وحواراته مع من كان يلتقيهم. راجع مثلاً ما أورده صاحب مختصر نسيم السحر في آخر التحقيق في حوارته مع الشيخ جمال الدين ابن المتوج البحراني، وإجازته من قاضي قضاة الشافعية الشيخ عبد العزيز بن جماعة في ذي الحجة عام ٧٥٤.

٢. على الهامش الأيمن كتب مقلوباً: «فيه لطيفة شريفة وهو سنة تاريخ قتله».

بحساب الجمل: ذبيح الله = ٧٨٦.

٣. يعني صاحب نسيم السحر.

٤. لم نثر على هذا الاسم كما هو وارد هنا «عباد».

٥. هو المحرّض الأساسي على قتل الشهيد كما سيتضح لاحقاً.

٦. المحجة البيضاء: الطريق المستقيم أو جادة الطريق ومعظمه. وهذا الوصف لحال الشهيد يدل أيضاً على المكانة والمركز المرموق الذي كوّنه لنفسه، وعلى الدور الذي اضطلع به في تلك الحقبة من الزمن.

٧. عن دفع الأموال لتولي القضاء راجع ما ذكرنا في مقدّمة التحقيق.

أقبل عليه أحد بالخير يذكر. فاشتدّ لذلك غضبه، وغلظ حسده، فاتهمه حينئذ بالرفض^١.
 وشنَّ عليه عند علماء السنة وعند الملك بيدمر. وأظهر ذلك في المجالس والمجامع
 المعترية في الشام وصيدا وهوران وبيروت وطرابلس وغير ذلك^٢. وشدّد في ذلك، حتّى
 أنّه قد استعان بكبار الشام، فضيّقوا عليه أنّه لا يخرج من الشام^٣. وحبس في القلعة الشامية
 خوفاً منه^٤، بأن يخرج من أيديهم، ويُبطل أقاويلهم الباطلة، وخيالاتهم الفاسدة عند جميع
 الخلق في الأقطار الشامية^٥.

ولمّا أدخلوه القلعة اختصّ مجلسه بعلماء الشام ومعتبريها، وصاروا [ص ٢] يتردّدون
 إليه في كلّ يوم، وكانوا يناظرونه^٦ في كلّ علم في المعقول والمنقول، على جميع اختلاف
 العلوم، فيوضح ما يقولون، ويكشف لهم عما يسترون ويكتمون، ويصحّح ما يفسدون.

١. قيل: إنّ ابن جماعة كتب إلى الشهيد هذا الشعر ردّاً على الشيعة في صحّة المتعة:

قالوا الروافض قولاً أتى
 بكخلاف دين محمد*
 نكحوا النساء تمتعاً فولد من
 تلك النساء فأين طيب المولد

فأجابه الشهيد:

إنّ التمتع سنّة مفروضة
 وروى الرواة بأنّ ذلك قد جرى
 ثمّ استمرّ الحال في تحليلها
 حتّى نهى عُمرٌ بغير دلالة
 لكن مواليد النواصب جدّدت
 ورد الكتاب بها وسنّة أحمد
 من غير شكّ في زمان محمد
 قدّ صَحَّ ذلك من حديث المسند
 عنها فكذّر صَفُو ذاك المورد
 دينَ المَجوس فأين دينُ محمدٍ**

* كذا في المخطوطة، وصوابها في الفصل الثالث من الباب الثالث.

** التقصيدة معروفة ولكن أبيات جديدة أظهرتها هذه الرسالة: قارن مع المختاري، الشهيد الأول، الفصل الثالث
 من الباب الثالث نقلاً عن الروضات، ج ٧، ص ١٦، إنّ هذا الاستدراك في غير محله من الصفحة، بل في الصفحة
 التالية من المخطوطة عند ذكره: «وكتب ابن جماعة للشهيد... في صحّة المتعة» ولكن كثرة الاستدراكات على ما
 يبدو حالت على الكاتب دون ذلك..

٢. أيضاً أسماء هذه المدن الشامية، لا بل أهمّها، تدلّ على المدى الحيوي لانتشار نفوذ الشهيد والسماع لرأيه،
 وهو الذي بنى شبكات علاقات واسعة على امتداد البلاد وعرضها كما تبيّن لنا هذه النصوص، وكما هو معروف
 بأنّه هو صاحب نظرية الوكلاء.

٣. أي الإقامة الجبرية دون تعطيل لدوره الفكري والفقهية، ودلالة ذلك لقاءاته ومحاوراته وإن اقتصر على
 علماء الشام ومعتبريها.

٤. بحساب الجمل: (خوفاً: ٦٨٧) + (منه: ٩٥) = ٧٨٢.

٥. كلمتان غير مقروءتين.

٦. فوقها كتب: «أي يجادلونه».

ولم يزل في كلِّ يوم ينشر عليهم لآلي فوائده السنية، وفي كلِّ ليلة يعتمهم بمواهبه وألفاظه المضيئة، بما يليق بحالهم من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، راداً على ابن جماعة، بمحضر الأماجد، مبطلاً ما ينسبه إليه من العقائد بما هو أحسن عقلاً، وبما اتفق عليه شرعاً وعقلاً^١. وقد كتب ابن جماعة للشهيد وهو في القلعة ردّاً على الشيعة في صحّة المتعة.

وبقي سنة كاملة في القلعة. فبينما هو في تلك الحال إذ قد ورد عليه مكتوب عليّ بن مؤيد سلطان العجم^٢ مع رسوله المصلح العارف الكامل الذكي الأديب شمس الدين محمد الآوي^٣. وكان بينه وبين الشريف الشهيد شمس الدين محمد بن مكّي مودة ومكاتبة على البعد إلى العراق ثمّ إلى الشام. فطلب منه أخيراً التوجه إلى بلاده، في مكاتبة شريفة^٤ أكثر فيها من التلطف والتعطف والتعظيم والحثّ للشيخ الشريف محمد بن مكّي، كما قد كان كتب له سابقاً غير مرّة^٥. فاعتذر إليه وكتب جواباً شريفاً لطيفاً معتذراً، كما كان قد اعتذر إليه

١. تدلّ هذه الفقرة دلالة كبيرة على المكانة المرموقة التي كوّنّها الشهيد لنفسه، فذاع صيته، وأصبح مقصداً للساثلين، وقطباً للمناظرة والمجادلة والمحاورة «في كلِّ علم في المعقول والمنقول على جميع اختلاف العلوم...». موضحاً لقولهم كاشفاً لسرهم وما يكتُمون من وراء أقوالهم.. مصحّحاً لما يفسدون... ناشراً عليهم لآلي أفكاره السنية، وفي كلِّ ليلة يعتمهم بمواهبه وألفاظه المضيئة ولعلّه من هذه المجالس عرف من كتب عنه أنّه: لغوي... مستنداً إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، راداً على ابن جماعة وما ينسبه إليه من العقائد بما هو أحسن عقلاً وبما اتفق عليه شرعاً، وهنا نود الإشارة إلى ما أورده البعض من حوار دار بين الشهيد وابن جماعة ولعلّها في هذه المرحلة أي سنة الإقامة الجبرية: أنّ هذا الأخير أراد تحقير الشهيد الذي يبدو أنّه كان صغير الجثة، وأمامه دواة، فقال ابن جماعة: ما لي لا أحسّ إلاّ صوتاً من وراء دواة، ولا أفهم ما يكون معناه...؟ فأجابه الشهيد على الفور: نعم ابن الواحد لا يكرن إلاّ كذلك، فنجب ابن جماعة وامتلاً قلبه حقداً على الشهيد. يوسف طباجة: الشهيد الأوّل ومشروعه... العرفان، م ٨٠٠ عدد ٣ و٤، ص ١١٧. وفي لهجة القول عند ابن جماعة يبدو الاستفزاز واضحاً.

٢. فوقها كتب: «ملك خراسان وما والاها».

٣. ترجمته في أمل الآمل، ج ٢، ص ٢٤٧؛ راجع يوسف طباجة: الشهيد الأوّل ومشروعه... العرفان، م ٨٠٠ عدد ٣ و٤، ص ١١٩.

مقابلها على الهامش الأيسر كتب: «وكان ورود محمد الآوي في أوّل الشهر الثاني عشر من تلك السنة التي ضيق عليه فيها، وقد كتب له اللعنة وهو في الحبس في سبعة أيّام لا غير (مكّي)».

٤. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «بعد ثالث مرّة وقيل أكثر».

٥. مقابلها في الهامش الأيسر كتب: «وقد كتب عليّ بن مؤيد إلى الشريف الشهيد ثلاث مرّات، فكتب له وهو في العراق مرّتين، وهذه الثالثة إلى الشام. واتفق أنّه في الحبس لا يمكنه الخروج ولا الخلوة، ولولا خوف الإطالة لذكرت جميع المكاتبة ولفظها، ولكن من أراد... فعليه بنسيم السحر».

وهذه دلالة أخرى على علوِّ مقام الشهيد وذباع صيته وهو لا زال في العراق. لاحظ في وثيقة السّت فاطمة. القرآن المذهب المعروف بهدية عليّ بن مؤيد، دراستنا في العرفان. ص ١٠٦.

سابقاً. وكتب له مع الجواب رسالة شريفة، مشتملة على المسائل العجيبة^١. والنكات الغريبة^٢. بما يناسب حال الملوك في مجالسها، وبما يكون به بقاء ملكها^٣. فلما رآها الصالح العارف الأديب شمس الدين محمد الآوي قال: هذه الرسالة حسنة جداً، ولكن لا تصلح ولا تناسب إلا له ولأمثاله، فينبغي أن تكتب شيئاً ما يعم نفعه ويكثر فعله^٤ في كل آن وزمان؛ لأن قولكم الآن علينا حجة، ونحن لا يمكننا الوصول إليكم في كل وقت، فاستصوب كلامه واستحسن مقاله^٥.

ثم شرع في تصنيف اللمعة. فلما شرع فيه فلم يدخل عليه أحد ذلك اليوم، وكذا ما بعده إلى مدة سبعة أيام، وكان تمامها في سابع يوم^٦، ولم يدخل عليه أحد قط إلا خادم لا يتوقف بمجلسه^٧، فلما فرغ في اليوم الثامن كرت الناس عليه، والعلماء والوزراء وأرباب الدول كعادتهم رجعوا إليه^٨. فبينما الناس إليه يترددون إذ قال له رجل ممن له مزيد صحبة مع

١. فوقها كتب: «أي القضايا العجيبة».

٢. فوقها كتب: «والنصائح والمواعظ»، وتحتها كتب: «النكت الغريبة والمواعظ النفيسة».

٣. لا شك أن هذه الرسالة (الكتابات) هي على ديدن كتب سراج أو نصائح الملوك، ولكن هذا الكتاب وهذه الآراء لم تأخذ حيزاً في مؤلفات الشهيد الموجودة.

٤. تحتها كتب: «ويجب شرعاً فعله».

٥. على الجانب السفلي من الهامش الأيسر كتب: «ولما أخذ شمس الدين محمد ما كتبه الشريف الشهيد، ورد إلى العراق وفي كاشان فكتبوها نص مشوش فيه: وهي في يده لا يعطيها ليلاً إلا بحضوره...»، ومن كاشان قد كتب مكتوباً شريفاً شمس الدين محمد الآوي، ومعه شعر لطيف يتضمن مدح الشهيد وصفاته التي رآها منه. وهي مكاتبة حسنة وشعر بليغ قد ذكره في نسيم السحر».

٦. على الجانب السفلي من الهامش الأيمن كتب: «وتلك الرسالة التي كتبها قبل، وجميع ما كتبه لعلبي بن مؤيد في اثني عشر يوماً: اللمعة تمت في سبعة أيام، وتلك في ستة أيام. إن رسالة بأهمية اللمعة الدمشقية أشهر مؤلفاته التي استغرق الشهيد في تأليفها سبعة أيام يدل أيضاً على أهمية الرجل. والرسالة «بما يناسب الملوك في مجالسها وما يكون به بقاء ملكها» التي استغرق في تأليفها هي الأخرى ستة أيام. هذه الرسالة من الكتب المفقودة للشهيد، ولو تم العثور عليها لأفادتنا كثيراً في رؤية العمل مع السلطان، وما يكون عليه الأخير تجاه الفقيه نائب الإمام وهذه مسألة على كبير من الأهمية لا تزال إلى اليوم موضع إشكال في الفقه الشيعي».

٧. أي لا يجالسه.

٨. وصف آخر يدل على علو شأن الشهيد في دمشق كفقيه لامع، واشتهاره كمنظر ومحاور في كافة أصناف المعارف الفقهية والأدبية والشعرية. ودليل ذلك ما حصل من حوارات بينه وبين العديد ممن ترددوا عليه وأبرزهم (خصمه اللدود) ابن جماعة. لاحظ مثلاً إحدى محاوراتهم في حياة الإمام الشهيد الأول للشيخ شمس الدين، ص ٧٢.

الشريف شمس الدين محمد بن مكّي:

إنّي في كلّ يوم كنت أُجِبُّ الحضور عندك والاستفادة منك، لكنّ كلّما عزمْتُ على أن أنقل قدميَّ يعرض لي عارض يصدّني ويمنعني. ورأيت مرةً في المنام قائلاً يقول لي: لا تمضي [لا تمض] إلى عند الشيخ الشريف شمس الدين محمد بن مكّي إلا بعد سبعة أيّام. فتعجبت من ذلك».

فقال له الشريف الشهيد: «الله عالم السرائر، ومطلّح على الضمائر، ولعلّ الخير فيما وقع في قضائه وقدره»^١.

ولما انقضت السنة عليه وهو في القلعة، ورأى الناس منه ما قد رأوا، من الصبر والآداب، وحسن العشرة والأجوبة، وبلغ الألفاظ ومحاسن [ص ٣] في المجالس، ولم يقع لأحد عليه اعتراض، ولا صدر عنه شيء يوجب الانقراض^٢. فأخبر بيدهم^٣ بأنّ الشيخ الشريف شمس الدين محمد بن مكّي قد بالغ في الإنصاف والردّ على ابن جماعة^٤، ومن كلّ بهتان قيل فيه بالأدلة العقلية والنقلية، بالأحاديث (خ ل: من الأحاديث) النبوية والآيات القرآنية، وبأقوال العلماء والحكماء الذين يشار إليهم في البرية، فانظر ماذا ترى. فلمّا بلغ بيدهم ذلك وعلم كذب الوشات، وما ابتدعه العداة [كذا]، تعجّب من أمره وحسن صبره وقال: «لأيّ شيء

١. هذه صورة من صور الكرامات التي ينقلها بعض الرواة عن الشهيد، راجع حديث الشهيد بهذا الخصوص، الشهيد الثاني، الروضة البهية، ج ١، ص ٢٤.

٢. دلالة أخرى على أنّ الشهيد كان في الإقامة الجبرية، خاضعاً للمسألة والمناظرة والمحاورة في قضايا الاتهام التي سيقّت إليه «بهتاناً». بنتيجتها لم يستطع أحد من مناظريه وحاضريه أن يسجّل عليه أيّ «اعتراض» على أفكاره وأقواله، ولا أخطأ فصدر عنه شيء يوجب «الانقراض». والانقراض: العمل الذي يوجب عليه الجزاء. راجع لسان العرب، مادة «قرض».

٣. فوقها في أعلى الصفحة من الجهة اليسرى كتب مقلوباً: «وقد كان الذي أخبره من معتمدي أهل الشام. يبدو أنّ بيدهم لم يكن على علم بحال الشهيد وسجنه، كون بيدهم في هذه الفترة كان بمصر إلى جانب برقوق (الأمير الكبير) كفيل السلطان الضعيف، الذي ربّ عزله وجلس على تخت السلطنة. (راجع المقرزي، السلوك، ص ٤٣٩؛ وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٧٢؛ وابن أبياس، بدائع الزهور، ص ٢٨٥) وبعد النتيجة الواضحة لمصادقية الشهيد أخبر بيدهم أحد «معتمدي أهل الشام» من قبل السلطة المملوكية وثقاتها ولم يكتب الشهيد ليدهم لنفسه، وسنلاحظ أنّه كتب له عندما تهدد الأمر المجتمع الأمة. مثلاً: أثناء عزمه على إنهاء حركة اليالوشي كما ستبين المخطوطة لاحقاً. وهو مذکور اسمه وما كتبه في كتاب نسيم السحر».

٤. هذا الكلام يعني أنّ الشهيد منصف في أقواله وردوده لعلّه تجاه بعض قضايا الخلاف بين السنة والشيعة والتي أبرزها وعظّمها ابن جماعة. وللأسف أخذ بعض المؤرّخين الذين نسبوا للشهيد ليبروا قتلته.

لم يخبرنا بما له ولم ينبئنا بمقاله؟^١. ثم كتب له كتابة من قبل نفسه، من غير أن يطلب منه أو يلتبس له، جبراً لخاطره، وتعظيماً لشأنه، وجلالة لمقامه، وتعرضاً لمطالبه وقضاء حوائجه^٢، فقيل للشيخ شمس الدين الشريف الشهيد محمد بن مكي: ينبغي أن تكتب شرح حالك، لدفع ما لعله أن يقع بك وبولدك أو بمالك، بسبب قول الواشي. فأبى ذلك، فألح عليه فلم يفعل ذلك، ثم قيل له أيضاً. فحينئذ قال: «يجب على المرء أن يسعى بما فيه خلاص نفسه أو صلاح نفسه». ثم كتب إليه مكتوباً بما يحسن أن يخاطب به الملوك وأرباب الدول والسلوك^٣، بما اقتضاه الحال والمقام، فمن ذلك القول البليغ والنثر الفصيح الذي كتبه الشيخ هذا الشعر:

أجرني من القوم الوشاة الأعادي	أيا بيدمر يا مالك الناس رحمة ^٤
جَعَلَكَ مليكاً حاكماً يا عماديا	رموني بزور ثم إفك وحق من
إذا استنبطت تجلي القلوب الصوادي	فاسمكم المحروس خمسة أحرف
في الشام حَضْرُ وباديا [كذا]	فبرء أول ثم آخر لكل امرئ [كذا]
بريء وربِّي شاهدٌ في معاديا	فلا تسمعن ما قيل فيَّ فإتني
وأصحابه الأخيار ذخري وزاديا	عليمٌ بأنساب النبي وآله
وتفسيره ثم الحديث رشاديا	كذاك كتاب الله أبلغ شاهد
وأصلين مع [علم] البيان قياديا	ونحو وصراف وفقه وحكمة

١. تعجب بيدمر الذي كان في هذا التاريخ بمصر، لأمر الشهيد وحسن صبره، وتساؤله عن عدم إخبار السلطة بما يجري عليه، يدلنا على ثقة الشهيد بنفسه، وبالخطة التي أخطتها وسار عليها. وهذه النتائج بدأت تأتي أكلها.
٢. من النتائج في نضج مشروع الشهيد هو أن يكتب بيدمر إلى الشهيد دون سابق طلب أو التماس بل «جبراً لخاطره، وتعظيماً لشأنه وجلالة لمقامه، تعرضاً أي عارضاً لمطالبه وقضاء حوائجه»، الأمر الذي يذكرنا بالقول المشهور: «إذا رأيت العلماء على أبواب الملوك فيبس العلماء، وإذا رأيت الملوك على أبواب العلماء فنعم الملوك والعلماء». وهذا ما يدل مرة أخرى على رصانة الشهيد، وكبر نفسه، وعزة نفسه التابعة من موقعه كفقيه يعرف جيداً ما هو مطلوب منه وماذا يريد، وهذا من مقتضيات مشروع العتيد على أنه ليس من فقهاء السلاطين.
٣. السلوك: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه. ابن منظور، لسان العرب، «سلوك». وفي علم النفس: الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حي إزاء أي موقف يواجهه.

٤. لم ينته بصفة السلطة والملك بل بسماحته المعهودة لديه ولدى كافة أهل الشام حضراً وبادياً. وهذا عكس ما ذكره ابن خلدون عن بيدمر. راجع ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٧٩، وما ذكرناه في مقدمة التحقيق.

وشعر طريف مع عروض ومنطق وعلم بديع آتني وزناديا
فكن ناصري ينصرك ربّي على العدا ولي راحماً يرحمك يوم التناديا^١
وبعد، إلى آخر ما كتب من القول البليغ، والنثر الفصيح. ومضمون ذلك أنه ينبغي التدبر
في عواقب الأمور، ومنه أن يعلم ما في الصدور ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ
مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾^٢. ومنه أنه يجب على العاقل العمل بما ورد
في الشريعة المطهرة، التي وردت على لسان نبيّنا محمّد خير البرية (صلاة الله وسلامه
عليه وعلى آله وصحبه الأكرمين)^٣.

قال، فلمّا بلغ برقوق كلامُ الشريف شمس الدين محمّد [ص ٤] بن مكّي [و] تدبّر حسن
كلامه، وعلم صدق مقاله، أمر بأن يحضر جميع علماء الشام، ومن كان من أهل الحل والعقد،
ويحضر الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي، ثمّ يناظروه ويناظرهم بما اقتضته الشريعة
المطهرة. فحينئذٍ حضروا بأجمعهم واجتمعوا بأسرهم في الشام، وحضر كلُّ من له شأن في
الأنام، وجرت بينهم ثلاثة أيام المناظرة، والله شاهد والناس ناظرة وكانوا [كذا] القوم في ذلّ
وانخفاض وهو في علوّ عليهم وارتقاء وظهرت له الغلبة عليهم، واتّضح أنّ الحق معه
لديهم^٤. فعلم بذلك العادل برقوق الملك، فعظّم لده، وتوجّه بكلّ وجه إليه، وكتب له زيادة

١. القصيدة جديدة يظهر مطلعها الاستغاثة الواضحة، ثمّ مديح رصين في بيتين، ليعرّف عن نفسه كفقير وأديب
وشاعر... ليختتمها بالاستغاثة.

٢. العاديات (١٠٠): ٩-١١.

٣. هذا الجزء المقتطع من ردّ الشهيد الأوّل على رسالة بيدمر يوضح عدة أمور منها:

(أ) أنّ الشهيد لا مانع لديه من العمل مع السلطان على القاعدة الآتفة الذكر أعلاه، والتي يؤمن بها علماً وعملاً.
(ب) أنّ هذه القصيدة هي جديدة في ما عرف من أشعار الشهيد. ولكنّها مشابهة للقصيدة الرائية التي أوردها
الخونساري في روضاته والأمين في أعيانه. ونقلها وعلّق عليها الأخ الشيخ المختاري، الفصل الثالث من الباب
الثالث. لجهة الاستغاثة (بالسلطة بشخص «بيدمر») من نفس الأشخاص، وهم فقهاء السلطة، بحسب ما سيتضح
لاحقاً.

(ج) أنّ التهم التي كانت تساق على الشهيد عكس حاله التي بيّنها في الأبيات الخمسة الأخيرة من القصيدة.
(د) أنّ الشهيد أراد أن ينيه إلى حال الأمة إذا ما استشرت فيها روح النميمة والفساد والإفساد والتفسيّد. لذلك كان
إطلاق صرخته، مستشهداً بالآيات القرآنية، والعمل بها و«بما ورد في الشريعة المطهرة على لسان نبيّنا محمّد
خير البرية ﷺ».

٤. هذا يدلّ على أنّ المشكلة مع «العلماء».

على ما مرّ، بعد تحيّةٍ لطيفةٍ وكلمات منيفة، فمنها هذه:

إلى المولى الفاضل العارف، الغوث البدل المكاشف، في المشارق والمغارب، أسوة الفضلاء المحققين وقدوة العلماء المتبحرين، شمس الملة والحق والدين محمد بن مكي؛ فإنه يختار ما يشاء، ويسكن حيث ما يشاء في الديار الشامية، إن اختار الشام، أو صيدا، أو بعلبك، أو القدس الشريف^١. فإنك الفاضل المعظم لدينا، والصادق المجتهد فيما ورد منكم علينا، فلتسكن أتم ومن معكم أمد الآباد في ديار الفضل، ولتقم أنت ومن ينسب إليك، أمد الآباد في أمصار العدل. ليهتدي بهداكم السالكون، ويفتدي بكم الراسخون. فأنت تاج الشريعة، ومنهاج الحقيقة، أحق أن تتبع، وكلامك أصح بأن يستمع. وخرج من القلعة مكرماً معظماً، ثم أنه قيل للشيخ: ينبغي أن تقيم^٢، في كل مكان ذكر أو في بعضها الفصل الذي يناسب لها، لرضى الخليفة المؤيد، والمنصور المؤيد.

وكان عليه السلام إذا حضر في مكان من الشام أو بعلبك أو صيدا يدرّس ليلاً في مذهب الشيعة للخواص من الشيعة تقيّة^٣.

وبقي على ذلك مدةً ساعياً في تشييد الدين، وإرشاد الناس إلى الحق المبين، معيناً للضعيف، ناصراً للمظلوم، مغنياً للملهوف، ماثراً [مؤثراً] على نفسه إخوانه، مروّجاً للأحكام الشرعية، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، راحماً للصغير، موقراً للكبير، لا تأخذه في الله لومة لائم. إلى أن خرج رجل وادّعى النبوة، وارتدّ عن مذهب الإمامية^٤، وخرج عن الدين. وكان اسمه محمد بن تقي الدين الجبائي البابلي^٥، وفعل أشياء بالسحر والشعبذة، مما

١. مقابلها في الهامش الأيسر كتب: «هذه الأماكن الأربعة أحسن ما يكون في المدن في بلاد الشام، هي وقراها حسنة جداً، وجزين بلد الشهيد من قرى صيدا».

٢. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «وأن تقيم في كل قطر مدة لأجل إرشاد الناس وتعليمهم ووعظهم ودلائهم على الدين».

٣. مقابلها على الهامش الأيسر كتب: «وأما في بلده جزين وفي قرى جبل عاملة لا يوجد أهل السنة قط فيدرّس ما شاء ولكنه في تقيّة، وأما المدينة كان ليلاً للشيعة ونهاراً لمن حضر منهم».

٤. مقابلها على الهامش الأيسر كتب: «وكانه قصد السعي غير واضح ولم يظهر في الصورة فكان مدة لأجل تعليمهم ودلائهم على الدين».

٥. هو المعروف باليالوشي نسبة إلى «برج يالوش»، وهو المكان الذي اتخذته مسكناً للإقامة به. وهو يقع على مرتفع بين بلدي الزرارية وبريق، فوق الطريق العام لجهة اليمين، وتوجد هناك آثار دارسة ومنها آثار لقبور

ويتعجب منها غاية العجب. وأكثر القرى مالت إليه، وجميع الناس الهمج انكرت^١ عليه، لمّا رأوا منه [ص ٥] إظهار العجائب وأفعال الغرائب، ممّا لو ذكرته لطال. منها: أنّه كلّم الناس الذين في جبل عرفات في وقت الحجّ، وهو واقف على ظهر البرج الذي بناه وتحصن به. وقيل: إنّّه قد كان عهد إليهم، وطوى الهواء [؟]، على ذلك. فلمّا رجع الحجاج وسألهم من كان حاضراً وسامعاً، فقالوا: نعم نادانا وقال كذا وكذا.

ومنها أنّه قد أظهر يوماً البساتين وفيها الأشجار والأزهار، وذلك بالشعبذة. فأخبر الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي حينئذٍ، وكان قريباً لذلك المكان الذي فعل به ذلك، ولم يعلم أنّ الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي في ذلك المكان^٢. فلم [فلماً] علم الشريف محمّد فقال: «يا أيها الناس، لا تعجبوا من أشجاره وأزهاره التي رأيتموها. وانظروا الآن ماذا يُفعلُ بزروعه وخضره التي توهّمتموها». قال: فأخذ ورقة وقطعها أربعة قطع، وكتب على كلّ ورقة شيئاً من الأسماء، ثمّ رمى تلك الأوراق في الهواء إلى الجهات الأربع، الجنوب والشمال والشرق والغرب، فلمّا رمى بكلّ الأوراق، فما كان أقلّ من لحظة إلّا وقد ظهر جراد منتشر في كلّ ناحية، وقد غطّى الأرض والأفق، والناس ينظرون إلى ذلك، فأكل ما قد كان صنع بسحره وبشعبذته وكأّنها لم تكن^٣.

→ محفورة في الصخر، لعلّها تعود إلى اليهود البيزنطية. راجع سليمان ظاهر، معجم قرى جبل عامل، العرفان، م ٨٠، ص ٧٥٩، وفيه يروي الشائع والمتواتر في جبل عامل عن الياوشي.

أما اسمه فهو محمّد.

- أمّا الجبائي: فإنّ في جبل عامل بلدة باسم «الجبين» جنوب مدينة صور... انظر سليمان ظاهر، معجم قرى جبل عامل، العرفان، م ٢١، ص ٣٣٤، ولعلّ الصحيح «الخيامي» نسبة إلى قرية الخيام في جبل عامل.

- البابلي: هناك بلدة قريبة من برج يالوش وبموازاتها شمالاً تدعى «البابلية» من أعمال إقليم الشومر في جبل عامل، ولعلّه ينسب إليها. انظر سليمان ظاهر، العرفان، م ٨، ص ٧٦٤.

١. تحتها كتب: «اجتمعت لديه».

٢. وهو مكان تواجد ونفوذ الياوشي في ساحل جبل عامل، وعلى الأغلب في منطقة الشقيف / النبطية. وهي المنطقة التي ينسب إليها الشهيد الأول. راجع أطروحتنا للدكتوراه.

٣. هذه الروايات وغيرها من روايات لا زال أهل جبل عامل يتحدثون عنها بالتواتر، قيل: إنّّه كان يسير تحت المطر دون أن يتبلّ... وإنّه كان يقيم حفلات الرقص حول النار في ساحة نبطية الفوقا. وإلى ذلك قد أشار الشهيد الأول في بعض كتبه إلى تعلم السحر لرد السحر وليس للعمل به كونه محرم. راجع اللمعة الدمشقيّة، كتاب المتاجر، وكتاب الحدود. ما نزيد الإشارة إليه هنا أنّ المقابلة أو ما يشبه المناظرة في السحر حصلت بين الشهيد والياوشي الذي لم يتعظ، فلبجأ الشهيد إلى وسيلة المفاوضات على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم أرسل إليه الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي جماعةً من المسلمين، على أن يترك هذه الشعابذة: «ولا تكن من الجاهلين، ولا تشغل الناس عن الدين بما لا يجوز في شريعة سيّد المرسلين». فلم يرتدع، ولا لقوله سمع^١.

ثم أرسل إليه ولده الشيخ الصالح النجيب الأصيل الشيخ ضياء الدين^٢. وأرسل معه أربعين عالماً^٣ من تلامذته الأخيار، ومعهم جماعة من أولي الابصار^٤. فلما ساروا إليه لينصحوه، وبالموعظة الحسنة لعلمهم بِنفعوه، وعن جهله يردّوه، علم بذلك فتلقاهم للقتال في وادي زبدین، وهي قرية من قرى الشقيف^٥، ومعهم جماعة كثيرة، وشرع يقاتلهم ويتهدّدهم.

١. فوقها كتب: «شرع».

٢. هذه المراسلة الأولى أو بالأحرى الإنذار الأول بالمراسلة، والوفد من عموم الناس (جماعة من المسلمين)، فلم يرتدع ولا لقوله سمع.

٣. على الهامش الأيمن كتب: «الشيخ ضياء الدين شريف أيضاً من أمه، فهو من بني الحسين حسيني».

توضح هذه الرسالة تعدّد زوجات الشهيد، وهذا ما ذهبنا إليه في دراستنا في العرفان، م ٨٠، عدد ١ و ٢ ص ١٠٠. وهذه أول إشارة إلى نسب زوجة الشهيد «أم عليّ» علي أنّها من السادة حسينية. والملاحظة هي أنّ الشهيد يكنى بأبي محمد كونه الأكبر في أولاده. فيتضح أنّ زوجته «أم عليّ» هي زوجته الثانية. باعتبار أنّ عمه الشيخ أسد الله الصانع أبو زوجته الأولى (أم محمد) وأن آل الصانع ليسوا سادة. لاحظ الشيخ المختاري، الشهيد الأول، الفصل الرابع من الباب الأول والفصل التاسع من الباب الأول».

٤. وهي المراسلة الثانية، ولكن هذه المرة ضمت نخبة من «أربعين عالماً من تلامذته الأخيار، ومعهم جماعة من أولي الأبصار...» أي قوة الإدراك والفظنة والعلم والخبرة. هذا القول يدلّ على أنّ الوفد كان كبيراً بقيادة تلامذته الأربعين، الذين اختارهم الشهيد لهذه المهمة بالنصيحة والموعظة الحسنة، ليردوه عن موقفه إلى جانب فقهاء عدول. هذا الإصرار على إنهاء ظاهرة اليالوشي تدلّ على المدى الخطير الذي وصلت إليه... خصوصاً لجهة تأثيرها على المجتمع العالمي كما تبيّنه هذه المخطوطة.

٥. أولي الأبصار: أي قوة الإدراك والفظنة والعلم والخبرة. ابن منظور: لسان العرب، مادة: بصر.

٦. تكشف هذه الرسالة وللمرة الأولى، حقيقة «مقبرة الشهداء» المعروفة في جبل عامل عامة، وبلاد الشقيف / النبطية خاصّة. والمتواتر الحديث عنها أنّها مقبرة شهداء «معركة الشهداء الواقعة بين الشهيد الأول واليالوشي»، لتكشف هذه الرسالة ولأوّل مرّة لتاريخه عدد الشهداء والسبب الغدر الذي أدّى إلى مقتل هؤلاء الشهداء الخمسة والثلاثون. (انظر ما ذهبنا إليه في دراستنا المنشورة في العرفان، م ٨٠، عدد ٧ و ٨، ص ٧٠-٦٢).

وأنت حصلت معركة، ولكنها كانت غير متكافئة العدد والاستعداد. هذا من جهة السمة العامة للواقعة، أما الواقع فهناك تعارض بين ما كتب في هامش الرسالة، والواقع الجغرافي لمقبرة الشهداء التي لا زالت إلى اليوم قائمة ومعروفة، ولو أنّ القبور الدارسة قد شوّحت بعدما حفرت فيها بعض القبور الجديدة.

- جاء في هامش الرسالة المذيل بنسيم السحر، أي نقلاً عن المخطوطة الأصل بنسيم السحر: «وقبورهم إلى الآن مشهورة يقال لها قبور الشهداء» وهذا القول صحيح، إلى اليوم هي معروفة بهذا الاسم أمّا «في الوادي الذي تحت

فقالوا له: سبحان الله، نحن ما أتيناك للقتال، ولاللشنيع من الأفعال ... فقال: إنني أريد أن أرميكم بالفضيح. ثم غدرهم، ويسوء صنيعه قد قتلهم^١، إلا خمسة منهم ابن الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي، ضياء الدين عليّ المذكور، فإنه قد تركهم. ثم إنّه قال للشيخ ضياء الدين عليّ ذي الرأي السديد: ارجع إلى أبيك الشيخ الفاضل المجيد^٢، وقل له أن يتركني، وفي أفعالي لا يتعارضني.

فلمّا صدر من المرتدّ ما ذكرنا، رجع ولد الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي إلى بلده جزّين، فأخبر أباه بما جرى، وأخبره بما قال. ثمّ أخبر أباه أيضاً بأنّ جميع قرى البلاد من السواحل كلّها وما فوقها^٣ قد مالت إليه، وتابّعه على فعله القبيح، ولم يبقَ على طريق الصواب إلاّ القليل من أهل القرى والأصحاب^٤ [ص ٦] فتكدّر لذلك وتأمل، وقال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم، إنّ هذا الضال قد ارتدّ عن شريعة سيد المرسلين،

→ زبدین» فهو مخالف تماماً للواقع. وكوني ابن المنطقة، قمت بمسح للوادي وسألت المهتمين والعارفين بجغرافية المنطقة، والمسنيين أيضاً. فتبين لي بالقطع أن لا أثر لقبور أو لمقبرة في وادي زبدین. ولكن الواضح أنّ موقع مقبرة الشهداء وفي الحقيقة يقع على ربوة بمحاذاة منطقة هي امتداد لوادي زبدین، الذي هو أي وادي زبدین جزء من واد أو مجرى مياه الشتاء، يمتد من منطقة كفر تبنيث العقارية ليمر تحت النبطية الفوقا، إلى الجهة الجنوبية من النبطية التحتا، وصولاً إلى وادي زبدین. إنّ مقبرة الشهداء تقع بمحاذاة تقاطع طريق كفر رمان النبطية الفوقا وطريق النبطية التحتا قلعة الشقيف، مرجعيون. والظاهر أنّ الموقعة أو الملاحقة قد حصلت فعلاً في وادي زبدین «تحت قرية النباطية الغربية» (النبطية التحتا اليوم) كما جاء في حواشي هذه الرسالة. وأنّ الشهداء دفنوا في الموقع الذي يعرف اليوم بمقبرة الشهداء كما بيّناه أعلاه. ولكن الملاحظة التي أود ذكرها هنا هو أننا أنشأنا بحثنا عن الموضوع ظهر لنا عدة مقابر متناثرة بين مقبرة الشهداء ومقام «محمد شاه بن بيدمر» في النبطية الفوقا، ما حدى بنا إلى الاعتقاد أنّ معركة أخرى حصلت، ما يوجب البحث والتدقيق. فوقها على الهامش الأيسر كتب: «تحت قرية النباطية الغربية».

١. على الهامش الأيمن كتب: «وقبورهم إلى الآن مشهورة يقال لها: «قبور الشهداء» في الوادي الذي تحت زبدین» (نسيم السحر).

٢. نلاحظ أنّ الياوشي لا زال ينظر إلى الشهيد نظرة احترام وتقدير، ولعلّ قوله «الشيخ الفاضل المجيد» هو الذي يثبت ما ذكره العديد من المؤرّخين، من أنّ الياوشي هو تلميذ من تلامذة الشهيد الذين خرجوا عنه وليس عليه بمعنى الارتداد عن الدين وادعاء النبوة وهذا ما استتبته هذه الرسالة لاحقاً.

٣. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «السواحل قرى متعددة من صيدا إلى مدينة صور».

٤. الخطورة في ظاهرة الياوشي لم تقتصر على شخص، بل بتعميم تلك الظاهرة وشيوعها في أغلب قرى ساحل جبل عامل. إذ توضح هذه أنّ هذا التعميم كان يحصل بقوة السيف.. «إلا القليل من القرى والأصحاب» ويعني أصحاب من هم مرتبطون بقيادة الشهيد الأوّل.

فَرَجُّهُ وردعه عن أفعاله القبيحة، وحركاته الشنيعة بالقتال لعلّه يستلزم أن يُقتل مَنْ لا يستحقُّ القتل من الجانبيين، وأنه لا ينبغي القتال بين المسلمين. فكيف مع الأصحاب والمحبين، وأكثر القوم أقارب، وكلهم على الدين القويم. فإنا نتأمل في أمره إن شاء الله تعالى بما يليق، وإنَّ الله بنا لرؤف شفيق^١.

فحينئذٍ كتب الشيخ الشريف محمّد بن مكّي إلى الملك بيدمر - بعد التحية وشرح

القضية :-

أن رجلاً من السواحل، قد ارتدّ عن مذهب الإسلام، وأنّه قد ادّعى النبوة بعد نبينا محمّد سيّد الأنام. وفي الصحيح: «أنّه من ادّعى النبوة بعد سيد المرسلين، يُقتل باتفاق المسلمين» ولقوله ﷺ: «لا نبيّ بعدي»^٢. ولقوله تعالى: ﴿وَلَسٰكِنَ رَّسُوْلَ اللّٰهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّيْنَ﴾^٣. وأنّه قد أضلّ كثيراً من المسلمين. فيجب على الرؤساء في الملة الحنفية المحمّدية، المساعدة والمبادرة على قمع من خالف الشريعة المطهّرة بارتداد، وإقامة الحدّ عليه إن ظهر (خ ل: على من يظهر منه) منه فساد أو عناد. وأنّ الله سبحانه قد منّ عليك بالرياسة الدينوية. وأنّه (جلّ شأنه) قد منّ وأنعم على هذا العبد بمعرفة الأحكام الشرعيّة التي جاء بها نبينا محمّد سيّد المرسلين، (صلوات [الله] عليه وعلى أصحابه أجمعين) فيجب علينا العمل بمقتضى أوامره ونواهيه. وأنّه يجب عليكم مساعدة الشريعة الغراء^٤.

١. يبدي لنا هذا النصّ رحابة وسعة بال الشهيد، المتزامن مع الإصرار على التصدّي والقضاء على ظاهرة الارتداد عند الياوشي. فلاحظنا سابقاً التصدّي المباشر لأفعال الياوشي السحرية، ثمّ إرساله مجموعة من المسلمين لمحاورة الياوشي بالنبي هي أحسن، ثمّ خلص تلامذته وبعض الفقهاء ومعهم ولده الشيخ عليّ. فكان رد الفعل على الضغط الذي تعرض له الياوشي هو قتل خمسة وثلاثين من الوفد القادم إليه. مع ذلك نجد الشهيد يتأمل، ويحوّل، ليبدأ التفكير بالقتل وليس القتال عليّ «أنّه لا ينبغي القتال بين المسلمين، فكيف مع الأصحاب والمحبين، وأكثر القوم أقارب وكلهم على الدين القويم» كون الشهيد هنا مطمئن لحال الناس أنّهم ضحية ارتداد الياوشي، وأنّ العلة والمشكلة تكمن فيه. ولذلك قرّر التخلص منه وبأقلّ التكاليف، حذراً من دم المسلم للمسلم، أو سفك الدم كرد فعل وكيفما كان... لذلك سنالاحظ أنّ تجهيز العسكر، وإعلام السلطة بشخص بيدمر الذي حضر على رأس هذه الحملة، والحشد الذي سار على رأسه الشهيد شخصياً للتخلّص من ظاهرة شخص الياوشي كانت للتخويف أولاً، وللقتال والمواجهة إذا استلزم الأمر، وهذا ما لم يحصل كما سنرى لاحقاً.

٢. هو حديث مشهور قد أظهرته كتب السنة.

٣. الأحزاب (٣٣): ٤٠.

٤. لاحظ لغة الوجوب المستندة إلى الأحكام الشرعيّة، والسنة النبوية. ليتضح أنّ قول الشهيد يندرج سياق

فتوى.

ولزوم المحجة البيضاء^١، لدفع هذا الضالّ. فالمسؤول والمأمول من الخليفة القاهر الباهر، والملك الناصر القادر الرافع لأعلام الرايات الدينية، والقامع لمعانيد الشريعة النبوية. (خلد الله ملكه، وجعل الدنيا بأسرها ملكه) أن يقابلنا بجهوده المشكورة، وأن يساعدنا (خ ل: يؤيدنا وينصرنا)^٢ بجهوده المشكورة، وعساكره المنصورة، لردع هذا الضالّ المضلّ عن الشرع الشريف، والمرتدّ عن الدين المحمّدي الحنيف^٣.

فركب بيدمر بجنوده وعساكره^٤ سريعاً، وأرسل إلى الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي وأخبره بسيره بجنوده وعساكره فتلّقاه الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي، وجميع أهل

١. المحجة البيضاء: المحجة: الطريق المستقيم أو جادة الطريق ومعظمه. وهذه العبارة استعارة من خطبة الإمام عليّ عليه السلام: في الحثّ على العمل الصالح. نهج البلاغة، خطبة ٦٧.

٢. السلطان يساعد الفقيه كمبادر في إقامة الحدّ على مرتد.

٣. هذه الرسالة على أهمية محتوياتها فإنّ دلالاتها تفوقها أهمية.

أولاً: أما لجهة المحتوى: فإنّها تحسم أمر الياقوشى ومعتقداته لجهة الشعوذة وادعائه النبوة. بعد أن تكشف ما هو مغاير لما هو معروف وسائد، وهو العلاقة الوطيدة ما بين السلطة المملوكية المتمثلة بالأمير «بيدمر» وصولاً إلى السلطان بقوق، والشهيد الأوّل وما بينهما من مراسلات. ومدى الباع الطويلة للشهيد التي توفّرها له السلطة، إما إنكفاء أو مساعدة. ولعلّ هذه الرسالة ترجح الأمر الأخير، خصوصاً إذا ما أخذنا بالاعتبار ما ورد سابقاً.

- المحتوى اللافت يحدد همّ الشهيد كفقيه، منّ الله عليه «بمعرفة الأحكام الشرعية»، ليتصدّى لمرتد أضلّ كثيراً من المسلمين فوجب «إقامة الحد عليه». ونعتقد هنا جازمين أنّ ضلالة الناس وميلهم وإن بالقوة أو التهديد والوعيد إلى آراء الياقوشى، وخروجه على الإسلام، وانفراط عقد اللحمة الاجتماعية، هي القضية الأساس التي كانت وراء موقف الشهيد في إقامة الحد على الياقوشى والتخلص من ظاهرتيه وهذا ما حصل.

- أمّا المحتوى الآخر والأخير فهو طلب المساعدة العسكرية، والتأييد والنصرة للتحرك بصيغة الوجوب إلى حد بعيد، لا بل وتحميل السلطان المسؤولية الشرعيّة إن لم يلب الطلب في «ردع هذا الضالّ المضلّ عن الشرع الشريف والمرتد عن الدين المحمّدي الحنيف».

ثانياً: لجهة الدلالة: يرمي النصّ إلى ما ذكرناه أعلاه من طيب العلاقة ومتانتها مع السلطة على حدّ أنّ الشهيد يطلب بالمراسلة فيليبى، وأنّ أوامره ونواهيّه مطاعه ولا جدال فيها، وأنّ فتياه منفذة ومأخوذ بها.

- الدلالة الأهمّ هي أنّ الشهيد يستطيع جمع العسكر (المدني) من الأهالي وهي الأساس من موجبات الإقطاعي بحسب النظام الإقطاعي الذي كان سائداً، ويحكم علاقة السلطة المملوكية بتواحيها لكن المفارقة هي أنّ الإقطاعي يُطلب منه تجهيز العسكر، ولكن الشهيد طلب من السلطان التحرك «سريعاً» ليطلب الشهيد أيضاً بالنزول في المنطقة التي حدّدها (وادي الزرارية)، لفصل هذه القضية، وكان له ذلك كما سيوضح.

٤. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «وكان بيدمر في القدس الشريف».

جزّين، وجميع أهل قرى جزّين والريحان ومشغرة وكلّ النواحي الجبلية^١ إلى وادي الزريرية [الزرارية]^٢. وقال: هاهنا النزول لفصل هذه القضية. فلما استقرت (خ ل: وصلت) العساكر والجنود في المكان المذكور، أرسل الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي إلى الرجل المرتدّ اليالوشي:

اعلم أنّه لا ينبغي منك أن يكون ما قد كان^٣، لكن ما قدّر الله يكون وسوف يكون. وأنّ لنا عليك حقوقاً فلم تنكرها، وأنك لتعلم أنّ الله قد منحنا علوماً لا تعلمها، من علم السیما^٤، والشعبذة^٥، وعلم السحر^٦، وغيرها، وأنّي لأسترها وأكتمها خوفاً من الحي القيوم، وتصديقاً لنبيّه محمد مخزن أسرار العلوم. وأنت بحقير منها^٧، قد ضللت عن الطريق، وخالفت نصيحة كلّ صاحب وصديق وأنك قد خالفت الطريقة المصطفوية، وملّت عن الشريعة المطهرة المحمّدية. واعلم بأنّ هذه الجنود والعسكر قد كانت أرادت السير إليك، والنزول بخيلها ورجلها عليك، لسفك دماء ما قد جمعت من الرجال لديك، وهدم الحصون التي قد شيّدتها وبنيتها، جزاءً لما قد فعلته من سفك دماء المسلمين، ومخالفة شريعة سيد المرسلين^٨. ولكن ردّيناها [كذا]، وعنك قد صدّيناها إلى بعد الاجتماع معك منفرداً. فأني بنفسني أريد الوصول إليك، ومعني رجل لا غير. وأنت

١. وكان له ما طلب إذ جاء بيدمر نفسه يقود العسكر المملوكي ليلقاه الشهيد مع تلامذته وجميع أهل جزّين وجميع أهل قرى جزّين والريحان ومشغرة قرى عاملية وكلّ النواحي الجبلية، وهذا الحشد للحملة يدلّ على أهميّة الموقف تجاه خطورة الظاهرة ومدى نفاذ أحكام أو فتوى الشهيد...

٢. وادي الزرارية: هو سهل صغير بين بلدتي بريقع والزرارية العامليتين تقعان إلى الجهة الجنوبية الغربية من النبطية على بعد ٢٠ كلم تقريباً، وفوق هذا السهل أو الوادي لجهة الجنوب تقع التلة التي فيها برج يالوش، والموجودة خرابته إلى اليوم، وهو البرج الذي كان يتحصن فيه اليالوشي، وللإستفادة، نذكر أنّنا عند زيارتنا إلى تلك المنطقة ودراستها وجدنا بالقرب من البرج آثاراً على شكل نواويس محفورة في الصخر المنبسط على وجه الأرض، وفي أعالي الصخر المرتفع، وقيل: إنّها نواويس تعود للحقبة البيزنطية أو الرومانية.

٣. إنّ هذا الكلام يدلّ على معرفة الرجلين لبعضهما البعض بعمق.

٤. السیما والسیماء: ضرب من السحر يقوم على إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس. راجع ابن منظور، لسان العرب، «سوم».

٥. المشعوذ: هو من مهّر في الاحتيال وأظهر الشيء على غير حقيقته معتمداً على خداع الحواس.

٦. السحر: كلّ أمر يخفي سببه ويتخيّل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع. ابن منظور، مادة سحر.

٧. يجيز الشهيد في كتبه الفقهية تعلّم السحر ولكن بشرط عدم استخدامه إلاّ لرّد وردع مستعمله.

٨. هي الإشارة إلى مقتل الشهداء الخمسة والثلاثين.

والقوم الذين لديك، [ص ٧] لا تخافوا من أن يقع مني بكم ضير^١.

ملخص ما كتبه (خ ل: ما ذكر) شمس الدين محمد بن مكّي.

فلما وصل مكتوب الشيخ إليه، أبعده القوم، وبقي منفرداً في البرج ذلك اليوم. ثم سار إليه الشريف الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي، ومعه ولده ضياء الدين عليّ. فلما دخلا عليه في حصنه وقلعته^٢، فتلقاهما بقلب شديد، مُصرّاً على ما هو عليه من الحوبة، فعلما ارتداده، وأنه لا تقبل منه التوبة^٣.

ولقد كان قبل دخولهما عليه، وحال سيرهما إليه، رجل من المخلصين، والثابتين على الحق القويم والدين المتين، ومن المقرّبين عند الياوشي، لكن من الذين ظاهروهم معه وقلوبهم عليه، قد كان عهد إلى الشيخ: فإذا توجّهت إليه، وأقبلت عليه، ودخلت البرج، فإنّي أكفيك إن شاء الله تعالى. فإنّي أشهد بالله أنه مرتد، وكاذب في دعواه، وأنه من الضالّين المضلّين^٤. فلما دخل عليه شمس الدين محمد بن مكّي، وولده الشيخ ضياء الدين عليّ، قضى أمره والله بالغ أمره^٥.

ثم إنّ الشيخ قد أرسل ولده إلى الجماعة التي كانت مجتمعةً لديه، وإلى بقية أهل القرى ليسألهم: هل كنتم صدقتم دعواه، أو كنتم اعتقدتم ما صنعه (خ ل: استحسنته) وافتراه، فلما سألهم قالوا: حاشا لله، بل كان عندنا من الكاذبين، وكنا نعتقد أنه قد ارتدّ عن الدين، لكنّه لمّا بالغ في بذل المأكول والملبوس، والناس أكثرهم عبيد ما يأكلون ويلبسون. حتّى أنه قد نُقل عن ولد مراهق قد قال لأبيه: «يا أبتى، الياوشي أنبيّ هو؟» فقال له أبوه: «يا بنيّ، ألا ترى إلى كثرة هذه الكباب. يا بُنيّ إذا قيل: أنبيّ، فقل: نبيّ ونصّ. يا بنيّ، كل من هذه

١. يبدو أنّ الشهيد لا زال مصرّاً ومقتنعاً بأنّ المشكلة تتعلق بشخص الياوشي، وأنّ الناس اتبعوه خوفاً منه نظراً لبطشه وقطيع فعلته وأفعاله من جهة، ولتكرامه وسخائه على أعوانه ومريديه من جهة ثانية، لذلك طلب الاجتماع به منفرداً وكان له ما أراد. وهنا إشارة أخرى على ما في نفس الياوشي من موقع للشهيد.

٢. أي برج يالوش المارّ ذكره آنفاً.

٣. الحوبة: الإثم: أي بقي مصرّاً على ارتداده وادعاءاته، فلم تقبل منه التوبة.

٤. هذه صورة عن الذين اتبعوا الياوشي في دعواه. بالمقابل تنقل هذه الرسالة في آخرها صورة راقية عن حال الشهيد وتلامذته.

٥. أي أنّ الشهيد قد قضى عليه، وهذا ما سيّضح لاحقاً عندما سنعود إلى صاحب الرسالة للحديث عن هذه القضية.

الكباب وقُصَّ حَتَّى تَغْصَ. وقال: يا بني، إذا قالوا [كذا] الناس: إنَّ العجل ربّ، فنحن نأخذ الحشيش ونطعمه. فليس علينا من كفر بالله أو ذنب^١؛ فإنَّ الدين له من يحفظه ويَحْمِيه ويَقِيْمه، والدين فضل من الله، والله يُؤْتِي فضله من يشاء». انتهى.

فحينئذٍ قد رُدَّتْ الناس إلى مأمَنهم بعد خوفهم من برقوق وعساكره^٢. وأمرَ الشيخ ضياء الدين - ابن الشيخ - النَّاسَ بأن يردوا إلى منازلهم، بعدما نصَّحهم ووعظهم. وصاروا مطمئنين، وهم على ما كانوا عليه من الدين لله ربَّ العالمين. وجلس (خ ل: وأقام) الشيخ ولد الشيخ شمس الدين محمد بن مكِّي، ضياء الدين عليّ، مدَّة في السواحل، لإرشادهم ووعظهم ودلالتهم على الدين، كما هو شأن العلماء الأكرمين الأبرار، والفضلاء الأخيار، والشيخ الشريف شمس الدين محمد بن مكِّي في بلدة جزين، والناس مقبلة عليه للعلم والدرس في كلِّ وقت وحين، حامدين شاكرين، برهة من الزمان، مستقرِّين آمنين مطمئنين^٣. فبينما هم في ذلك، إذ قد خرج رجل آخر اسمه: يوسف بن يحيى وارتدَّ عن مذهب الإمامية أيضاً، وصار عدوَّ الإمامية. وشرع في التشنيع عليهم عموماً، وعلى الشيخ الشريف شمس الدين محمد بن مكِّي خصوصاً^٤. وأظهر^٥ بعض مصنَّفاتِه، مما يظهر منها تشييعه، كرسالة [ص ٨] المقدسية^٦، ورسالة الدرَّة المضيئة في الأحاديث المروية^٧، ورسالة

١. صورة أخرى عن المجتمع الهش الذي بناه الياوشي، إذا أبعاد أنصاره وانفرد في حصنه، وعندما خرج الشهيد وأرسل إليهم ولده الشيخ علي لم يبدر منهم أي ردة فعل، بل عادوا إلى «ما كانوا عليه من الدين لله رب العالمين».
٢. وهي الإشارة البارزة إلى الدور الإعلامي الذي لعبه حشد الجيش المملوكي.
٣. هذه الفقرة ذات الدلالة على استقرار الأمر للشهيد في جميع أنحاء جبل عامل ساحلاً وجبلاً، وأنَّ الدور الأبرز للشهيد في تلك المرحلة كان التدريس والتعليم في جزين. راجع ما ذكرناه آنفاً نقلاً عن صالح بن يحيى في كتابه: تاريخ بيروت.
٤. اللافت هو أنَّ الفترة الزمنية بين القضاء على الياوشي وظهور يوسف بن يحيى ليست بعيدة. أمَّا المقارنة أو إضافة هذا الرجل الآخر يوسف بن يحيى إلى الياوشي (كمرتدين)، والإشارة إلى ارتداده عن مذهب الإمامية ليصبح «عدوَّ الإمامية»، وشرع في التشنيع عليهم عموماً وعلى الشيخ الشريف الشهيد خصوصاً، وأظهر لأهل السنة بعض مصنَّفاتِه ممَّا يظهر تشييعه.. للدلالة على أنَّ الشهيد كان يظهر بمظهر الشافعية ويكتم تشييعه تقيَّة، ولكن حرية الاعتقاد والتحرُّك في جبل عامل وبعض بلاد الشام يبدو أنَّها كانت محفوفة بالمخاطر رغم هامش الحرِّيَّة الذي كان موجوداً.
٥. تحتها: «لأهل السنَّة».

٦. هي رسالة غير معروفة والظاهر أنَّ «المقدسية» تصحيف «العقيدة» مطبوعة.

٧. وهي رسالة غير معروفة ولعلَّها رسالة الأربعون حديثاً (٣)، انظر الشهيد الأول، الفصل الأوَّل من الباب الثالث، وأورد صاحب مختصر نسيم السحر قسماً منه في سفينته. انظر المختاري، الشهيد الأول.

التكليفية^١، وكتاب جامع البين، وغاية العالمين^٢، وغير ذلك من الأجزاء التي لم يذكر لها اسم^٣.

وكتب محضراً شنع فيه عليه بأنه شيعي، وعمدة الشيعة ومرجعها، والمروّج مذهبها، وهذه الكتب بخطّه وتشهد بذلك^٤. وكتب معه وواقفه على الارتداد عن مذهب الإمامية، والخروج [عن] طريق الحقّ سبعون رجلاً من الجبل^٥، ممّن كان يعتمد مذهب الإمامية ويعتقده وألف رجل من السواحل، ممن كان ظاهرهم التسنن^٦، بغضاً وحسداً وعناداً للشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي. حيث إنّه في كلّ وقت أمر بالمعروف وناه عن المنكر، وإنّه مرجع للخاصة والعامة^٧. وكتبوا بخطوطهم، وعرضوا ما كتبوه في ذلك على قاضي

١. وهي «المقالة التكليفية». رسالة في العقائد والكلام، شرحها الشيخ عليّ بن يونس البياضي العاملي تحت عنوان: الرسالة اليونسية في شرح المقالة التكليفية.

٢. لا يوجد أثر للشهيد بهذا العنوان سوى غاية المراد في شرح نكت الارشاد وهو كتاب معروف للشهيد.

٣. في أعلى الصفحة كتب ومشاراً بخطّ: «وكانت كلّها من مصنّفاته، وله رسائل عديدة، وكتب آخر أشهر. لكنّها قد ذهبت [كذا] بسبب المرتدّ المذكور، فإنّه الذي سعى في إطفاء فضله، وذهاب كتبه».

٤. «بأنّه شيعي»، وتورد المصادر عن ملاحقة أتباع المذهب في بلاد الشام، وأن من أراد أن يكيد لشخص رساه بالشيّع. راجع طباجة، العرفان، ٨٠م، عدد ١ و٢، ص ٥٢.

«عمدة الشيعة ومرجعها، والمروج مذهبها، وهذه الكتب بخطّه وتشهد بذلك»... تستوقفنا هذه الفقرة كونها التهمة الرئيسية الموجهة للشهيد كتبه بخطّه. هذه الكتب التي ما زالت إلى اليوم زاخرة عامرة، لم نجد فيها ما يستوجب التهمة التي ستؤدي إلى ما أدّت إليه من قتل وتشنيع وحرق.. سوى العصبية المذهبية بسفسفها، ولعلّها الأداة الوحيدة المسؤولة عن انحطاط الأمة، وذهاب ريحها عندما يستخدمها الوصوليون ومن يضررون للأمة الضعف والانكسار.

٥. أي جبل عامل، وهذا النصّ موافق لما ورد في وثيقة المقداد السيوري، تلميذ الشهيد. والتي كانت قبل هذه الرسالة الوثيقة الوحيدة التي تتحدث عن قتل الشهيد وكيفيته.

٦. لاحظ صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، حوادث ٧٨٤، ص ١١١ - حول بيدمر نائب الشام، وتحركه في بيروت في العام ٧٨٤. والعام ٧٨٥ الذي نفترض أن الشهيد قضى فيه على حركة الياقوشية... «... لما تحركت الشيعة في بيروت، وأظهروا القيام بالسنة، ومعهم مرسوم سلطاني، وكانوا في الباطن قائلين بمذهب الشيعة، وجرى لذلك حركة رديئة، فاغتنم بيدمر الفرصة».

٧. نقول: إنّ هذا الحسد والبغض لم يأت من كون الشهيد رجل دين شيعي، بل لأنّه «أمر بالمعروف وناه عن المنكر، وأنّه مرجع للخاصة والعامة» أي للسنة والشيعة.

هذه المكانة العلمية العالية، والعلاقات والروابط التي عقدها الشهيد، خصوصاً من كبار رجال السلطة، وعلى رأسهم السلطان برقوق، هي التي ساعدت على قوة حضوره وبسط نفوذه. وبالتالي اشتعال نار الحسد من مناوئيه.

الشام ابن جماعة^١، وقاضي صيدا، وقاضي بعلبك، وقاضي بيروت، وقاضي القدس والخليل^٢.

وَسَعَوْا بَأْنَ يَحْضُر فِي الْقُدْسِ وَالْخَلِيلِ^٣. فَأُحْضِر فِيهِ الشَّيْخَ شَمْسَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ مَكِّيٍّ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْمُحَضَّرَ الَّذِي كَانُوا كَتَبُوهُ. فَلَمَّا قَرَأَ عَلَيْهِ بِمُحَضَّرِ جَمْعٍ عَظِيمٍ فِي الْقُدْسِ^٤، فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ يَكُونُ مِنْكَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي قَدْ سَمِعْتَهَا، وَالْكَتَبُ الَّتِي قَدْ صَنَعْتَهَا؟ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ، رِعَايَةً لِلتَّقِيَّةِ الْوَاجِبَةِ، وَلِزِيَادَتِهِمْ فِي الْبَهْتَانِ. فَقِيلَ.

١. عَيَّنَ ابْنَ جَمَاعَةَ قَاضِي الْقَضَاةِ بِدَمَشَقٍ اعْتِبَارًا مِنْ شَوَالِ ٧٨٥. الْمُقْرِزِيُّ: السُّلُوكُ، ص ٥٠٤. وَهَذَا مَا يُؤَكِّدُ أَنَّ ابْنَ جَمَاعَةَ هَذَا هُوَ نَفْسُهُ عَبَادَ بْنَ جَمَاعَةَ، وَلَعَلَّ هَذَا الْأَسْمَ هُوَ الشَّائِعُ الَّذِي كَانَ يَعْرِفُ بِهِ بَيْنَ الْعَامَةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ لِذِكْرِ هُنَا، أَنَّ ظُهُورَ هَذَا الْمُرْتَدِ ابْنَ يَحْيَى، وَتِلْكَ الْعَرَائِضُ، حَصَلَتْ بَعْدَ وَصُولِ ابْنَ جَمَاعَةَ فِي أَوَّلِ الْعَامِ ٧٨٥ إِلَى دَمَشَقٍ، وَلَعَلَّهُ هُوَ السَّبَبُ فِي تَهْيِيجِ وَهَجُومِ هَؤُلَاءِ الْمُرْتَدِينَ، لِعَلْمِهِمْ بِمَا بَيْنَ الشَّهِيدِ وَابْنَ جَمَاعَةَ مِنْ خِلَافٍ وَتَبَايُنٍ بِالرَّأْيِ وَالْمَوْقِفِ...؟

إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا الْمَقْطَعُ مِنَ الرَّسَالَةِ هُنَا، مُطَابِقٌ تَمَامًا لِمَا وَرَدَ فِي وَثِيقَةِ الْمُقَدَّادِ السِّيُورِيِّ عَنِ اعْتِقَالِ وَمَقْتَلِ الشَّهِيدِ. حَيْثُ إِنَّ سِيَاقَهَا يُؤَدِّي إِلَى مُحَاكَمَتِهِ وَقَتْلِهِ، وَلَيْسَ إِطْلَاقُهُ كَمَا هُوَ مَبَيَّنٌ هُنَا فِي مُخْتَصَرِ نَسِيمِ السَّحْرِ الَّتِي يَعُودُ لِيُطَابِقَ سِيَاقَهَا وَنَصَهَا عَنِ مُحَاكَمَةِ الشَّهِيدِ وَمَقْتَلِهِ، مَعَ سِيَاقِ وَنَصِّ وَثِيقَةِ السِّيُورِيِّ الَّتِي يَبْدُو أَنَّهَا مُجْتَزَأَةٌ وَلَيْسَتْ كَامِلَةٌ بِحَسَبِ مُقَارَنَتِهَا بِمُخْتَصَرِ نَسِيمِ السَّحْرِ... لِحَظْ مَا بَيَّنَّاهُ فِي الْعُرْفَانِ م ٨٠، عَدَدِ ٧ وَ ٨، ص ٧٢.

٢. مَقَابِلَهَا عَلَى الْهَامِشِ الْأَيْسَرِ كَتَبَ: «مَدِينَةُ صَيْدَا هِيَ مَدِينَةُ جَبَلِ عَامِلَةَ. صَيْدَا هِيَ مَدِينَةُ جَبَلِ عَامِلَةَ: بِمَعْنَى عَاصِمَتِهِ. وَالْقُدْسُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَامِلَةَ بِلَادِ صَفَدٍ، سَفَرُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ أَوْ سِتَّةٍ، وَبَيْرُوتُ مَدِينَةُ حَسَنَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ قَرِبَ طَرَابُلُسِ. لَا نَعْتَقِدُ أَنَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَ صَيْدَا وَالْقُدْسِ تَحْتَاجُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَوْ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَلْ عَلَى الْأَكْثَرِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. وَهَذَا دَلِيلٌ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ وَذَكَرْنَاهُ سَابِقًا، مِنْ أَنَّ كَاتِبَ مُخْتَصَرِ نَسِيمِ السَّحْرِ يَجْهَلُ جُغْرَافِيَّةَ الْمَنْطِقَةِ، خُصُوصًا عِنْدَ قَوْلِهِ: إِنَّ بَيْرُوتَ. قَرِبَ طَرَابُلُسِ. إِذْ أَنَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَ صَيْدَا وَالْقُدْسِ هِيَ ضَعْفِي الْمَسَافَةَ بَيْنَ صَيْدَا وَطَرَابُلُسِ».

هذه المدن تشكل حواضر مملكة دمشق في تلك الحقبة، والتي يبدو أنَّ الشهيد كان له معارف وأنصار فيها وبالتالي امتداد نفوذه أيضاً، وهذا ما لحظناه آنفاً في رسالة برقوق له.

٣. على الهامش الأيمن مقابلها كتب: «قصودوا إحضاره في القدس لبعده عن الشام وعن وطنه، خوفاً من أن يظهر له ناصر، أو أحد يشفع من عظماء الشام وكبارها؛ لأن... كلهم كان [كذا] معه. هذا النصّ مصداق قولنا عن قوّة حضور الشهيد ومكانته خصوصاً في دمشق، التي استطاع الشهيد أن يكون لنفسه فيها مكاناً مرموقاً جعله مقصداً لـ«عظماء الشام وكبارها». إلا ابن جماعة: إلا ابن جماعة؛ فإنه دائماً [ظ؟] عليه حسداً وبغضاً به. ولم يتم لهم المراد، والله وليّ العباد، وأنّ الله لا يحبّ الفساد».

٤. أي أنّ هذه المحاكمة لم تكن في دمشق عاصمة المملكة، بل في القدس، ولعلّ في ما ذهب إليه الكاتب تكمن الحقيقة. وربما حصلت في الفترة التي عزل فيها ابن جماعة عن القضاء ورجع إلى القدس بطلاً، وقبل أن يجبر على الحضور إلى دمشق. وفي هذه الفترة كان بيدمر أيضاً معزولاً عن نيابة دمشق. راجع آنفاً في المدخل إلى التحقيق.

ألا ترى إلى هذه الشهود فقال: «سبحان الله ما شاء الله كان، هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ فَاللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»^١.

ولمّا صار في هذا المحضر ما صار، من المناظرة والمعارضة ما لا يمكن نشره، ولا حصره، وهو بإذن الله ومن جوده وكرمه، مسلّط العَلَم الشريف [ابن مكّي] عليهم. ومع كثرتهم^٢ عليه وحسدهم له، فله الخطر والعظمة لديهم^٣.

ولمّا علم بذلك برقوق، بعد إحضارهم لديه ومناظرتهم له، وأنّ له عليهم الغلبة والقوة الباهرة، في علم المعقول وعلوم الآخرة، فغضب على من سعى في ذلك، وأمر برجوعه إلى الشام وإلى حيث شاء، ويكون مقدماً على الخاصّ العام^٤. فرجع إلى الشام لأُمور اقتضت ذلك^٥. وأضرموا له السوء القوم اللثام، واضطرت نار الحسد في جلودهم، وأغرقت في بحار الظلمات قلوبهم.

ولمّا رُدّ إلى الشام، وأقام بها مدة من الزمان، والناس مقبلة عليه للاستفادة كما كان، بين فائدة يديها، أو ضالّة يهديها، نهاره في التدريس والإفادة، وليله في التفكّر في جنب الله سبحانه وتعالى والعبادة. إلى يوم جمعة والناس تسعى إلى المسجد الجامع، مسجد يزيد، والناس يأتونه عن كلِّ جانب قريب وبعيد. وإذا قد دخله الشيخ الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي للصلاة. وكان حينئذ ممن يترقّب وروده إليهم، وقدمه عليهم، ودخوله إلى المسجد المذكور، من القوم الذين ضلّوا عن سواء الطريق، وقد كان قد كتب أسماء العشرة المبشرة ونوى أنّه إذا دخل، وضعها في حذائه فإذا خرج من [ص ٩] المسجد يرميه بالزور والبهتان. ففعل ذلك، فلمّا خرج الشيخ الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي، أحضروا له الحذاء،

١. الزمر (٣٩): ٩؛ الشورى (٤٢): ١٥؛ القصص (٢٨): ٧٠.

٢. فوقها: «وابن جماعة».

٣. خطر فلان: زها وتبختر، وخطر خطورة: عظم وارتفع قدره، والخطَرُ: المثل في الشرف والرفعة. راجع لسان العرب، مادة: خطر.

٤. مرّة جديدة يصل الأمر إلى برقوق الذي «غضب» على الساعين في ذلك. وهذا ما يؤكّد على أهميّة الرجل «الشهيد» وأهميّة دوره وحضوره ومكانته العلمية. المسحوب عليها مكانة لدى السلطة والمجتمع... والتي أيضاً عاد برقوق ليؤكّد من جديد إطلاق يد الشهيد وإلى حيث يشاء «ويكون مقدماً على الخاصّ العام».

٥. أي وجوب وضرورة تأكيد حضوره في دمشق، دون العودة إلى جزّين، ولعلّه من تداعيات فعل الاستدعاء إلى القدس.

فسقطت منه الأوراق، وهي عشرون ورقة، في كلِّ حذاء عشرة. فلَمَّا سقطت منه الأوراق المعهودة، قرأوا ما فيها من الأسماء العشرة المبشّرة^١، فغضبوا لذلك، ونادوا بأعلى الأصوات: ألا ترون إلى الشيخ شمس الدين بن مكّي، الذي يعظّمه برقوق وغيره، وهذا فعله. ألا ترون علامة رفضه [!؟] فبادرتِ الناسُ، واجتمع خلق كثير، وينظرونه، وهم ينظرون سوء فعلهم، ويسمعون أكاذيبهم، والمناادي ينادي بينهم في أسواق الشام: «من كان مسلماً فليساعد على إحراق شمس الدين بن مكّي». فاجتمع من الخلق ما لا يحصى، وتعصبوا على الباطل. والمحِب والصديق صار خائفاً، وهو ساكت.

ولَمَّا اجتمع رأيهم على قتله، من غير مراجعة أرباب الدول كبيدمر وغيره، فقال أهل الشام: نحن نجتمع على قتله قبل أن يعلم بيدمر، فيأمر بإطلاقه كما سبق. وأما إذا فعلنا به المراد فلا يخالف ما اجتمعنا عليه. بعد ذلك اختلفوا في صفة قتله^٢. فمنهم من قال: نُمثّل به. ومنهم من قال: نحرقه. ومنهم من قال: نضربه ضربة واحدة بالسيف. فقال قائل نُحضر جملين، ثم نربط يديه في أيديهما ورجليه في رجليهما، ثم نصح بهما، فيقوموا بسرعة، فيقطع قطعاً. فلَمَّا أوثقوه وربطوا يديه ورجليه كما اختاروا، ثم صاحوا بهما صيحةً عظيمة، فلم يقوموا، ولم يزولا عن مكانهما. فتعجب الحاضرون، وتركوا قتله بهذه الصفة. ونادوا ثانياً، من كان مسلماً فليساعد على إحراق ابن مكّي. فحينئذٍ قد اجتمع حطب كثير بالرحبة عند القلعة، وجاءوا بخشبة غليظة طولها اثني عشر شبراً [كلمات مشطوبة] فأدخلوه فيها، وألقوه في وسط الحطب، ثم أضرموا النار في الحطب. فاشتعلت واضطربت النار، وهاجب والتهبت حتّى لهبها علا على حائط القلعة. والناس ينظرون وينادون: «اللهم أحرق الخشبة، اللهم أحرق الخشبة»^٣. فإذا خمدت النار سريعاً بقدره الله، مع كثرة الحطب،

١. يخصّص الشهيد في قصيدته «الرائية» لهذا الموضوع جانباً كبيراً استعاره عن الشاعر الشافعي السيّد أحمد بن محمّد الحافي الحسيني الشافعي. راجع المختاري: الشهيد الأول، الفصل الثالث من الباب الثالث. نقلاً عن الروضات للخوانساري.

علمنا أنّ هذه القصيدة يبدو أنّها تكشف عن العديد من المواقف والمصاعب التي اعترضت خطة الشهيد ومشروعه كما قدّمناها آنفاً.

٢. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «ولكن اختلفوا في كيفية قتله كيف يقتلوه».

٣. مقابلها على الهامش الأيسر كتب: «حتّى إلى الآن في الشام، في بعض الطرق، في بعض الأسواق، إذا رأوا شيعياً قالوا في وجهه: اللهم أحرق الخشبة، اللهم أحرق الخشبة».

ولم تحترق الخشبة، ولا أضرَّت بها النار. وذلك من فضل الله العزيز الجبار، [تحتها]: «الكريم الرحيم الغفار». وخرج من الخشبة، يخاطب الجماعة التي لا تحصى، بالتوبيخ على سوء فعلهم من غير جرم يستوجب ذلك. والناس قد تعجبت لذلك. وقالوا: إنَّ هذا وليّ ذو جلال، فلا تضرّه النار، ولا تقوم به الجمال. فيحننذ طلب دواة وقرطاساً، فجاؤوا بهما إليه، فكتب على الورقة:

ألك رضىً بأنَّ عظمي تخلّه أم لك رضى بأنَّ الأرض دمي تقلّه

ثم رمى بها في الهواء إلى جهة القبلة. فرجعت إليه والناس قد رأَتْ رجوعها إليه وما كتب فيها، فإذا في قفاها بخطّ جليّ «فلي الأمر كلّه»^١.

فسكت حينئذٍ وقال: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رُجُوعُونَ»^٢ «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»^٣. وكلّ ما فعلوا بالشيخ الشريف الشهيد، والناس مع كثرتها ترى ما فعل به، وما ظهر منه من الكرامات، فلا يرجعون ولا يندمون لما رأوا ما يدلّ على فضله وجلالة قدره، وعظم شأنه عند الله سبحانه وتعالى. بل قال ابن جماعة ومن تابعه: ابن مكّي لا بدّ إن خرج من أيدينا ولم تقتله فلا يبقى منا أحد إلّا وقتله، وكلّ الناس تميل إليه زيادة عما مضى، لما رأوا منه ما رأوا من عدم حرقه بالخشبة، وعدم قيام الجملين، وما رجع إليه في الورقة على اختلاف الروایتين. فيحننذ بعد كتابته للورقة، وسكوته وخوفهم بأن ينعكس عليهم السوء. اتَّفَق ابن جماعة وقاضي المالكية على قتله. فضرب بالسيف، ثم رفع على خشبة قدر ربع ساعة^٤. ثم نودي على إحراقه بعدما أنزلوه عن الخشبة. فاجتمع حطب كثير، وأضرموه

١. وفي رواية تحتها في ذيل الورقة كتب: «ويحتمل أنه كتب على ورقتين، فتصح الروایتين (نسيم السحر) عمن كان حاضراً أنه قد كتب في الورقة هكذا: «رَبِّي رَبِّي إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِر». مضمون الآية. ثم رمى بها في الهواء نحو القبلة، فرجعت إليه: «يا ابن مكّي، إن كنت عبدي فاصطبر» وفي مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «والناس حال الكتابة يرونه، ولما رامها نحو القبلة أيضاً رأوه وحال رجوعها إليه رأوها وهذه كرامة [و] منقبة من مناقبه وكرامة له». هذه الروايات، بعضها موجودة في بعض المصنّفات مثلاً: شمس الدين، حياة الإمام الشهيد، ص ٧٣. [ص ١٠]

٢. البقرة (٢): ١٥٦.

٣. الشعراء (٢٦): ٢٢٧.

٤. لا خلاف في وقائع قتل الشهيد كما هو مبين هنا، وبين ما هو معروف ودون في كتب التاريخ والتراجم سوى التفصيل أكثر، خصوصاً في وثيقة المقداد السيوري. راجع دراستنا في العرفان، م.م.

بالنار، وشبهوا للناس أنه [أنهم] أحرقوه بالنار، إطفاءً للكرامة التي صارت له أولاً. ولما أضرمو له ناراً عظيمة قد كانوا وضعوها في مكان، ودفنوه في عصرية يوم الخميس تاسع جمادى الأولى سنة ١١٨٦ [٧٨٦].^١

ولما فعلوا به ما ذكر، لم يكن بأمر برقوق، ولا أخبر بقتله^٢ قبل. لكن قد نقل الثقات من أهل القدس والخليل، أن اليوم الذي قتل فيه الشهيد شمس الدين محمد بن مكّي، بينما بيدمر في جلسة بالقدس الشريف، وعنده جمع غفير في ديوانه، قرب ألف رجل ونيف، إذ قد سقط بين يديه ورقة بسرعة، ولها دويٌّ حال سقوطها. فتعجّب الجماعة، وبادروا إلى النظر فيها، فإذا فيها:

وها أنتم وها أنتم أمروا أو باشروا أو استحسنا سفك دم شمس الدين، وويلاً ثم وويلاً
على فرقة ارتكبت قتل محمد بن مكّي البرّ الأمين. وبعداً وسحقاً لطائفة هذه طريقتهم،
وجرى على ذلك سمّتهم.

فتعجّب - والقوم - من ذلك. فركب سريعاً مسافراً إلى الشام قائلاً: لعلّ ابن مكّي ما قد وقع به قد ظنّ أنه بأمرى أو بعلمي. فلما دخل الشام، فاتفق أنه قد مرّ على المكان الذي قتل فيه الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي فحينئذٍ [ظ] قد عثر به جواده، وقد سقط على وجهه مغشياً عليه. ثم أفاق فتشاءم وتطيّر من ذلك الحصان. فقيل له: «إنّ الفاضل البدل المولى الشريف شمس الدين محمد بن مكّي قد قتل به، وفعل به ما فعل في هذا المكان». فقتل من قد قتل وغضب على من قد غضب عليه. وقد ضرب من قد ضربه منهم، وصاروا في أقبح الحالات، فكما تدين تدان. فسبحان الملك الديان، فلحوم العلماء مسمومة، وعواقب الظلم وخيمة مذمومة. وبقيت الندامة والحسرة على: (خ ل: في) أهل الشام، وعلى الذين رضوا وسعوا من أولئك القوم اللثام [ص ١١] حتّى قد وقع عليهم الخسران والمضرات، وأنواع

١. في أعلى الهامش الأيسر كتب: «واشتبه على قوم كثيرة صفة قتله: لأنّ المحبّ والصادق لم يرض فلم يحضر. وأولئك خبرهم كاذب، بل إنهم قتلوه ولم يحرقوه، بل شبهوا حرقه فتوهم الأكثر فأخبر كلُّ بما اعتقده».

أيضاً هذا التاريخ لا خلاف عليه، وهو الصحيح على ما هو جلي وواضح. لنقول: إنّ محاكمة الشهيد والتداول بشأنه استمرّ أسبوعاً كاملاً، أي من يوم الجمعة إلى عصر يوم الخميس.

٢. هنا المفارقة بين ما هو مشهور ومعروف، وبين ما تكشفه هذه الرسالة، وتأسيساً عليه وبناء على ما ورد من أواصر العلاقة بين برقوق وبيدمر والشهيد يمكننا الأخذ بالرأي الوارد هنا.

المشقات، ما لو ذكرتها لاجتمع كراريس ولم يمكن شرحها في القراطيس^١.

ثم أمر بيدمر بأن يُبنى عليه قبة عظيمة، ويكون مزاراً مشهوراً وبالخير يكون دائماً مذكوراً، فُبني عليه قبة عظيمة^٢.

وما جرى عليه من الواشين والمرتدين، فله أسوة بما قبله من الأئمة المعصومين الأكرمين، وبالأنبياء والمرسلين؛ لأنّ مصائب الخلق على قدر منازلهم لديه، وابتلاءهم بالنسبة إلى مراتبهم وإقبالهم عليه؛ لأنّ الله العالم بمصالحهم في أولاهم وأخراهم، والحمد لله وحده.



وقد ذكر الشيخ الفاضل الصالح الشيخ محمد بن علي بن الوحيد البغدادي^٣، في مجموع له قد كتبه بخطه جميع أحوال الشريف الشهيد شمس الدين محمد بن مكّي، من حين مولده، إلى حين مقتله في عصرية يوم الخميس تاسع شهر جمادى الأولى سنة ١١٨٦ [٧٨٦]، على نحو ما ذكرناه، إلا في يسير من بعض الألفاظ، قد ذكرها جميعاً من غير اختصار، كما ذكر في غير موضع بعضُ الأصحاب. ومما ذكره الشيخ الفاضل المجيد محمد بن علي بن الوحيد في مجموعهُ هكذا صورة ما ذكره:

لقد كان شيخنا الفاضل المحقق المدقق، علامة دهره ووحيد عصره، عديم النظر في

١. لم نعرّف على هذه التفاصيل بعد، وهي بحاجة إلى بحث وتدقيق، كون هذه المعلومات جديدة وبالتالي مغايرة لما هو معروف وسائد.

٢. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «قد نُقِلَ عن الثقات أنّه من مرّ في ذلك المكان، لم تقصّ له حاجة ذلك اليوم قطّ، مجرّبٌ. والآن لا يعلم هذا المكان إلاّ الخواصّ من الشيعة أنّه المكان الذي قتل فيه الشهيد. وأما السنة، وأكثر الناس يظنون أنّه من شيوخ أهل السنة والجماعة. كمحمد بن يعقوب في بغداد، لا يعلمه إلاّ ما قلّ من الشيعة. والسنة يعتقدون أنّه من شيوخهم».

أيضاً هذه الواقعة المذكورة جديدة سوى ما أورده الشيخ شمس الدين: حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦.

٣. مقابلها على الهامش الأيسر كتب: «بتدّين: قرية عاملية هجرها الشيعة أثناء تهجيرهم من جزّين ومعروفة اليوم بـ«بتدين اللش»». راجع عليّ الزين، للبحث عن تاريخنا في لبنان، ص ١٦٣: الشيخ إبراهيم سليمان، بلدان جبل عامل، ص ٧٦. قرية من قرى جبل عامل من تابع جزّين».

٤. هذا الكلام تكرر لما جاء في مقدّمة هذه الرسالة، ولكنّه يدلّ على أهميّة الأساس أي نسيم السحر فيما لو كشف عنها. والأهم هو مجموع الشيخ البغدادي التي لعلّ من ضمنها نسيم السحر. الأصحاب: أي أصحاب الشهيد.

المشارق والمغرب. أقرت لفضله فضلاء الأعاجم والأعارب^١. ولقد جدّد شعائره سنن الحنيفة^٢، وشيّد دينَ الفرقة الاثني عشرية في جبل عاملة^٣. وبه اقتدى بعده من رام تحصيل الفضائل، وعلى طريقته جرى من تحلّى بالوصف الكامل. قد أمر ورغب في تعمير مساجد الله، وأشاد بنيانها، ورّتب وظائف الطاعات فيها، وعظّم شأنها^٤. ولولاه لارتدّت أهل جبل عاملة^٥ من أكاذيب المدّعي الساحر اليالوشي. وارتدّ من أمثاله من كلّ جاهل واشي. فوالله لقد كان سبباً للخير في تلك الأرض، ومفتاحاً للدين، ومن ظلّمة الجهل وأخرجهم إلى النور المبين، إلّا الذين سبق في علم الله أنّهم لم يزالوا في ضلال مبين^٦. ولما قتل اليالوشي ونحن معه^٧، فاجتمع أهل السواحل وغيرهم من الأمصار في البلاد الشامية، فقال^٨:

أيها الناس، فلا يكن في صدوركم شيء على اليالوشي الساحر الكاذب المرتد [عن] طريق الحق. ولا يتوهّم أحدٌ منكم أنّه كان منفرداً بما كان يفعل من الخيالات بالسحر،

١. الأعاجم: خلاف العرب وهنا إشارة إلى إيران الفارسية.
٢. إن معرفة الشيخ البتديني بالتجديد الفقهي على يد الشهيد، متأتية من أنّه أحد تلامذته وملازميه. كما تظهر هذه الرسالة كما وأن قرية بتدين مجاورة لجزين.
٣. شيّد البناء: أعلاه ورفعته وأحكم بناءه. لسان العرب، مادة: شاد. والذي يرمى إليه الكاتب هنا هو تثبيت دعائم الشيعة الإمامية في جبل عامل، بعد عدة تصدّعات حصلت من ردة وما شابه على يد اليالوشي الذي قضى عليه الشهيد كما مر معنا. وكذلك يوسف بن يحيى ومن تبعه.
٤. إن مسألة تعمير المساجد لله.. في حقبة الشهيد أمر متواتر عند العالميين، وعلى وجه الخصوص في بلدة جزين.. وهناك بناء يعتبر من أكبر المساجد الذي تعلوه أكبر قبة في جبل عامل على ما ذكره السيّد الأمين في خطبه، أعني مسجد محمّد شاه في النبطية الفوقا، والذي ينسب إلى المرحلة المملوكية وبقربه على مئات الأمتار تقع مقبرة الشهداء التي تحدّثنا عنها.
٥. أي لولا الشهيد الأول الذي له الفضل في بقاء جبل عامل وأهله على الإسلام الموالي لأهل البيت عليهم السلام.
٦. إشارة إلى أمثال يوسف بن يحيى المرتد بعد اليالوشي وأتباعه ومن سار معه.
٧. قتل: الفعل للشهيد. ونحن معه: أي أنّ الشيخ محمّد بن عليّ بن الوحيد البتديني كان مع الشهيد فيمن احتشد وسار لقتال اليالوشي، وهذا ما يعطي الرسالة أهمية كبيرة على أنّ كاتبها شاهد عيان، وهذه الفقرة تعود إلى يوم قتل اليالوشي، وإن جاءت متأخرة في النصّ وفي سياق الرسالة.
٨. فقال: أي الشهيد، وهذه الخطبة يبدو أنّه خطبها بعد قتله لليالوشي، وأنّ مضمون الخطبة تدلّ على مدى نجاح اليالوشي في استقطاب الجماهير ذوي النفوس الضعيفة بالسحر والشعوذة الذي كان مشهوراً في تلك المرحلة. راجع مقالنا في العرفان ولكن هذا الاستقطاب لم يكن فعل إيمان.

وما أظهر بالحركات السيماءية والشعابذية [كذا] بل يكون غيره أعظم شأنًا في العلوم، وأرفع منازل في سائر الفنون. ولكن لا يعمل ما رأيتم منه إلا المستضعفين في الدين القويم، والمستخفين بقول الرسول النبي الكريم، الأئمة الهداة [ص ١٢]: إلى الصراط المستقيم. وإنّي لأعلم خمسة وعشرين علماً، أدناها ما كان يستعظمه ويعمل به اليالوشي. وإنّ الله سبحانه لا يرضى بأن يعمله أحد إلا لدفع سحر ساحر، أو ليدفع به دعوى من ادعى بهذه العلوم النبوة. أو ادعى شيئاً لا يجوز صاحب الشرع الشريف، صوتاً للدين الحنيف، وإطاعة لله رب العالمين، وللنبي وآله الطاهرين، وحفظاً لأسرار رب العالمين^١.

وروي عن السيّد الجليل النبيل السيّد محمّد بن أحمد الموسوي البعلبكي^٢، قال: كنّا في بعض أسفارنا في بلاد الغرب^٣، مع شيخنا العالم العلامة، النجيب الأصيل البدل التحريز، الفاضل المتبحر، صاحب الكرامات الخارقة، والأنفاس الصادقة، والأحوال الفاخرة، والأنوار الباهرة، والمقامات العالية، والمناقب السامية، والمواهب الجزيلة، والأوصاف الجميلة، الشريف أبي عبد الله الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي المطلبي. وكنا سائرين مع قافلة عظيمة، قرب ثلاثمائة نفس، في برية واسعة، في ليلة مظلمة، وكانت ليلة تاسع والعشرين من شهر رجب^٤ قرب الصبح ٣ ساعات ونصف [كذا]. بينما نحن سائرون في تلك الليلة، إذ قد أرعدت وأبرقت ونزل المطر الغزير، وضلّت القافلة عن الطريق، وضربها الريح إلى مكان سحيق. والناس سائرون، وهم حائرون، والناس لا يدرون

١. هنا يبرز دور الشهيد كفتيه مصلح ومهدّب للدين من الشوائب التي علقت به. وهذا ما حصل إذ أرسل ولده الشيخ عليّ، الذي بقي فترة في السواحل يعمل بفتوى أبيه، ويهدي الناس الذين غرر بهم اليالوشي، ولا شك أنّ تلامذة الشهيد الذين كانوا معه، كان لهم دور بهذه المسألة. خصوصاً عندما نعلم لاحقاً أنّ صاحب هذه الرسالة كان موجوداً معه في سهل الزرارية.

٢. لم نعر على ترجمة له، لكنّه على ما يبدو أنّه أحد تلامذته ومرافقيه في أسفاره. والجدير ذكره هو أنّه لم تقتصر مدرسة جزين على أبناء جبل عامل بل وبعلبك وطرابلس وغيرها، كما أنّ تلامذة الشهيد كانوا من كافة الأقطار التي كان يحلّ بها. راجع تلامذة الشهيد في دراستنا في العرفان.

٣. وردت عبارة الغرب مرّتين في هذه الرسالة.

٤. ٢٩ رجب الواقع في فصل الشتاء هي الموافقة لما بين الأعوام: رجب ٧٧١ ورجب ٧٨١ وهذه من الكرامات التي بدت من الشهيد.

إلى أيّ جهةٍ ينقلبون، وهم في شأنهم مضطربون، فحينئذٍ أمر شيخنا الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي بأنّ القافلة تفت وتجتمع ثمّ أنّه جدّد وضوءه، وصلى ركعتين، ورفع يديه ودعا. فلم يكن إلّا قدر طرفة العين، إلّا وقد سطع نورٌ من السماء إلى جانب القافلة، شبه عمود كالمنارة، فأضاءت الدنيا، واهدوا إلى الطريق بقدرة الله الهادي إلى سواء الطريق^١. وذكر لي^٢ الصالح الزاهد العابد الشيخ حسين بن محمد الوحيدى البتديني^٣، قال: بينما الشيخ الشريف شمس الدين يكتب ويؤلف كتاب الدروس^٤، وهو في مدرسته برأس النبع^٥، إذ قد دخل عليه رجلٌ ذو هيبه ووقار تكاد أن تذهل لحسن منظره وهيبته القلوب والأبصار. فأحسن الصحبة معه كثيراً، وعظّمه تعظيماً جليلاً، وجرى بينهما من المسائل الفقهية والأحاديث المروية كثير. ومما سُمعَ من الرجل ذي الهيبه والوقار يقول للشيخ الشريف شمس الدين محمد بن مكّي:

هذه العبارة التي ذكرتها في كتابك الدروس، ما قصدته من معناها والعمل بمقتضاها حقّ وصدق، لكن الناس لا يفهمون قصدك، ولا يبلغ فهمهم مقدار فهمك، ويقعون في الشطط والغلط إن أخذوا بظاهرها، ينبغي أن تُغيّرَها إلى كذا وكذا.

ثمّ كَلّمه بكلام سرّاً خفيفاً، ونحن في جانب من المدرسة قريبهما، فأقبلتُ بوجهي نحويهما، فغاب عني ولم أراه قطّ. فتعجّبتُ من ذلك. فأقبلتُ على الشيخ ومَن كان حاضراً، فقلت: يا شيخنا، ما هذا الرجل الذي ما رأيناه [ص ١٣]. قبل هذا دخل إلى هذه المدرسة،

١. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «وهذه قد اشتهرت حتّى نقلها العلماء في بعض مجاميعه».

٢. الكلام للسيد البعلبكي.

٣. الشيخ حسين بن محمد الوحيدى البتديني، من تلامذة الشهيد غير معروفين، ويبدو أنّه ابن صاحب الرسالة الشيخ محمد.

٤. شرع الشهيد بتأليف الدروس عام ٧٨٠ و فرغ من جزئه الأول آخر نهار الأربعاء لاثنتي عشر ليلة خلت من ربيع الآخر عام ٧٨٤.

٥. تحتها كتب: «وهي مدرسة عظيمة جدّاً، وهي لمحضر الدرس».

هي المرّة الأولى التي يشار فيها إلى مكان مدرسة الشهيد الأول في جزين على رأس النبع أي نبع جزين الموجود إلى اليوم. إنّ معظم المؤلفات تحدّثت عن العدد الكثير من التلامذة التي ضمّتهم، لتأتي هذه الرسالة وتوضح على أنّها «مدرسة عظيمة جدّاً»، والتي يبدو أنّها حولت إلى كنيسة موجودة اليوم على رأس نبع جزين، تماماً كما حوّل المسجد الذي بناه الشهيد إلى كنيسة أيضاً. راجع حياة الشهيد الأول، ص ٦ و ٧.

ولا رأينا نظيراً له ولا أعظم منه هيبة ووقاراً. فضحك الشيخ، وكلّمنا بفائدة أخرى بغير ما سألتناه، ولم يخبرنا. فعلمنا أنّ الشيخ لا يريد أن يُخبر به. فصار بعضنا يتكلّم مع بعض، واتفق رأينا على أنّه المهديّ (صلوات الله وسلامه عليه)¹.

وذكر الشيخ الجليل الشيخ محمّد بن الخازن الحائري، أنّه قد أجازه شيخه الفاضل المحقّق، شمس الحقّ والدين محمّد بن مكّي، بالأحاديث الأربعين المرويّة عن النبي ﷺ في فضيلة العلم وحامله. وهي من الأحاديث الغريبة التي تفرّد بروايتها الشهيد تقيّ²، وهي عندي بخطّ الشهيد، قال:

أما رواة هذه الأحاديث لا يخفى فضلهم على ذوي الأبصار، ولا ينكر جلاله شأنهم أحد في الأعصار والأمصار. فأما شيخنا وإمامنا، العالم الفاضل الزاهد، الشيخ الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي المطلبي، كان عالماً ماهراً فقيهاً محدثاً مدققاً متبحراً كاملاً، جامعاً للمعقول والمنقول، زاهداً عابداً ورعياً [ورعاً]، شاعراً أديباً منشئاً، فريد دهره، وحيد عصره، بل عديم النظير. إليه انتهت رئاسة المذهب والملة. وبه قامت قواطع البراهين والأدلة. قد جمع فنون العلم، فانهقد عليه الإجماع، وتفرّد بصنوف الفضائل، فبهر النواظر والأسماع، أرتجت أنفاس فوائده أرجاء الأقطار، وأحيت كلّ أرضٍ نزلت بها، فكأنّها لبقاع الأرض أمطار، تصانيفه في وجه الأيام غرر، وكلامه في عقود السطور دُرر. إلخ. وقال الشيخ الفاضل الجليل، صاحب الهمة العليّة، والأوصاف السنّيّة الشيخ محمّد بن عبد العلي النجدي العاملي³، في مجموعته التي رواها عن شيخه بالقراءة والإجازة قال:

فضائل شيخنا وإمامنا المحقّق، والبدل النحرير المدقّق، الجامع بين منقبة العلم والسعادة، ومرتبة العمل والشهادة، الإمام السعيد أبي عبد الله الشهيد شمس الدين

١. هذه الرواية أيضاً جديدة لم يذكرها أحد ممن كتب في سيرة الشهيد.

٢. للشهيد رسالتان باسم الأربعين حديثاً؛ الأولى اشتملت على أربعين حديثاً في موضوعات مختلفة، والثانية تحتوي على حديث واحد، في أربعين باب حول آداب المؤمن. راجع رسائل الشهيد الأول، ص ٣٥-٧٨، ولكن ما نوّد توضيحه هو أنّ الكاتب يشير إلى أنّ مضمون الأحاديث «في فضيلة العلم»، وأنّ الرسالتين الآتفة الذكر لا تحوي هذا المضمون المشار إليه، بل للشهيد رسالة أخرى في هذه المسألة، ورد الحديث عنها في هذه الرسالة وفي الشهيد الأول، حياته وآثاره، الفصل الأوّل من الباب الثالث.

٣. المعروف بـ: ابن نجدة، وهو من أشهر تلامذة الشهيد وله إجازة منه إجازة كبيرة. راجع الشهيد الأول، حياته وآثاره، الفصل الثاني من الباب الثالث.

محمد بن مكّي المطّلبي، (أعلى الله درجته كما شرف خاتمته) فأكبر من أن تُحصى أو تُذكر، وأعرّ من [أن] توصف وتسطر. كان الإدراك عن كنهه قاصراً، والعلم عن كفايته فاتراً. وهو كريم الأبوين، عظيم القدر في الخافقين، فائق في العلم والحكمة والآداب، فاضل تحرير في مراسم السؤال والجواب، عالي الهمة، كبير النفس، بعيد الغور، قويّ الحدس، لطيف العبارة، وجيز اللفظ، دقيق الإشارة، ثابت الرأي في البأساء والضراء، عادل في الخصومات، كامل في الأحكام والحكومات، عارف بتصاريف الأمور، واقف على ضمائر الجمهور، عذب الكلام، رحيب اليدين، عالي الهمة [ص ١٤] في تحصيل العرام، كثير المناقب والكرامات، والى^١ المناصب في جميع الأوقات، بريء من الأخلاق الذميمة، عريّ [كذا] الوحشة والنميمة، ناصح للملوك والسلاطين فيما يتعلّق بشأنهم، مُعريضاً عمّا في أيديهم (خ ل: عن أموالهم)، شديد الأنفة في العار^٢، معتقد للصالحين والأبرار، لئِن الجانِب في المعاشرة، سهل العريكة في المطالبة. مقوم أبناء جنسه، مربّي نوع الإنسان. يؤثر على نفسه إخوانه، حسن المداراة، صدوق في الأقوال، مصيب في الفراسة^٣. مكارم أخلاقه في الآفاق مشهورة، وطيب أعرافه في الدنيا مذكورة. وجلالة قدره كبرئ عن الذكر وتعلّث، وسوابق نعمائه وأياديه على علماء الدهر دَرَّتْ وتوالّث، وشرف ذاته ومحاسن جوامع صفاته آيةٌ (خ ل: سنّة) يقتدي بها المتخلّقون، ويتحير فيها الواصفون. ما من إنسان إلّا وهو زطّب اللسان بذكر أطفاه وإحسانه واتّصافه. وهو غائض في أنواع العلوم وجوامع الكلم. له اليد الطولى في أقسام الرياضيات على اختلافها، والأحاديث، والتفاسير، والأنساب، والتواريخ، ومعرفة أسماء الرجال وأنسائها، والأسانيد وأوصافها. فطِن للمعالي، محسن للأعادي، مستفيد من العلويات، مدرك بالإشارات. دائم السرور بالله ممكّن. وافر الأُنس مع الطلاب

١. والى: تابع... وتأتي بمعنى تولّى الشيء: أدبر عنه، أي عرض وتركه. لسان العرب، مادة: ولا.

٢. هناك نصّ أوردته ابن خلدون في تاريخه يرسم ملامح تلك المرحلة ولعلّه يشير إلى الشهيد وحركته. راجع ما ذكرناه آنفاً.

٣. العار: كلّ ما يلزم منه شبةٌ أو عيب، والعيار: ما اتخذ أساساً للمقارنة والتقدير. راجع لسان العرب، مادة: عار. إلى ذلك فالشهاد بحسب ابن نجدة ميّال لا بل معتقد - بمعنى صدقهم ومال قلبه وضميره إليهم - للصالحين والأبرار. لسان العرب، مادة: عقد.

٣. الفراسة: المهارة في معرفة بوطن الأمور من ظواهرها. لسان العرب، مادة: فرس.

والأصحاب. كثير الشفقة على الواحد والجمع. عالم بالحكمة الإلهية، حافظ الأسرار، مبغض الأشرار، قويٌّ في حلِّ الرموز والبرهان، قد أطلع على أحوال الماضية، له اليد العظمى في اللطائف الأدبية، والدرجة العالية في المعارف اليقينية. مظهر الرحمة والوجود. مظهر المعدلة في الوجود. شأنه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^١. بيانه ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾^٢.

قد استفدت من أنفاسه الشريفة في جميع العلوم، المنثور منها والمنظوم، وعرضت عليه بعض خيالاتي، ونتائج أفكارني في خلواتي، فاستحسنها وأجازني بإجازة شريفة^٣، وشرّفتني بكلماتٍ لطيفة، ورفع شأنني بكلماته المنيفة، إلى آخر ما قاله.

هذا موضع الحاجة^٤ في ذكر السعيد الشهيد شمس الدين محمد بن مكّي، وذكر ترجمة أولاده الثلاثة، وذكر الإجازة التي كتبت لهم مع أختهم فاطمة المدعوة بسّ المشايخ قدس [الله] أرواحهم^٥.

وقال الشيخ حسن بن سليمان الحلّي^٦، في آخر رسالة قد ألفها:

فإن جميع ما ذكرته في رسالتي هذه عن شيخي وأستاذي ومعتمدي، شمس العلوم والمعارف، الذي أشرقت بالفضل أقماره وشموسه، وزخر بالعلم عبابه وقاموسه. فدوّخ صيته الأقطار، وطار ذكره في مناكب الأرض واستطار. وتهادت أخباره الركبان، وظهر فضله في كلِّ صُقعٍ وبان. قد علم من العلوم ما قام بها أحد مُضطلع، ولا ظهر على مكنونها مُطَّلِع. استنزل عصم البلاغة من صياصياها^٧، واستقلَّ بركاب [؟] البراعة فشقَّ بنواصياها^٨. إن نثر فما للؤلؤ المنثور انقصم فطامه [؟]، أو نظم، فما الدر المشهور اتسق نظامه. لم يزل

١. القلم (٦٨): ٤، وهي من الآيات الكبرى في وصف أخلاق النبي ﷺ.

٢. يوسف (١٢): ٣٦.

٣. سبق ذكرها.

٤. مقابلها على الهامش الأيسر: «مما قد نقلناه من المجموع للشيخ المذكور، التي رواها عن شيخه الشهيد. ثم ذكر فيها أحواله وخصائصه وذكر ترجمة أولاده ملخصاً».

٥. وهو أمر معروف ومشهور. راجع الشهيد الأول، حياته وآثاره، الفصل الثاني من الباب الثالث.

٦. وهو من خلص تلاميذه، وتلمذ عليه في مدرسة رأس النبع مدرسة الشهيد في جزين المقدم الحديث عنها.

٧. الصياصي: الحصون.

٨. الناصية: مقدّمة الرأس، ويقال ناصية الحصان أي رأسه.

مدرّساً في مدرسته برأس النبع [ص ١٥] ببلده جزيّن. ولم يزل مجتلياً به وجوه [كلمات مشوّشة] مجتنيّاً من رياضه أزهار المحاسن والإحسان، إلى أن نكد عليه المرتدّين [المرتدون] والوشاة، من أبناء الزمان^١ بعد أن أصلح العباد، وأحيا الدين في البلاد. حتّى انصرفت في العيش مدّته، وتمت في الحياة عدّته، وهو شهيد. والله على كلّ شيء شهيد. وله أشعار لطيفة، وقصائد شريفة، كلّها مشحونة بالحكم. وقد رأيت مجموعة كتبت عن خطّه الشريف، قرب أربعة آلاف بيت^٢، كلّها ممّا تفرّد بها، من نثره وأشعاره وخطبه. فمنها: ممّا قاله بعد انتباهه بعد نوم غلبه عن قيام الليل في سفر له، وهو هذا:

عَظُمْتُ مَصِيبَةُ عَبْدِكَ الْمَسْكِينِ فِي نَوْمِهِ عَنِ مَهْرِ حُورِ الْعَيْنِ
الأولياءَ تَمَتَّعُوا بِكَ فِي الدُّجَى بِسْتَهْجِدٍ وَتَخْشَعٍ وَحَنِينِ
فَطَرَدْتَنِي عَنِ قَرْعِ بَابِكَ دُونَهِمْ أَتَرَى لِعَظْمِ جِرَائِمِي سَبَقُونِي
أَوْجَدْتَهُمْ لَمْ يُدْزِنُوا فَرَحِمْهُمْ أَمْ أَدْزِنُوا فَعَفَوْتَ عَنْهُمْ دُونِي
إِنْ لَمْ يَكُنْ [لِلْعَفْوِ] عِنْدَكَ مَوْضِعٌ لِلْمَذْنِبِينَ فَأَيْنَ حَسَنُ ظَنُونِي

ومن أشعاره اللطيفة الشريفة، وهذا الشعر قد سمّطه^٣ ولده وأنا أذكر الأصل وتسميطه وهو هذا:

بِنَا قَدْ سَمَّتْ أَوْجُ الْكَمَالِ جُدودَنَا فنحنُ بدور لا يَغيبُ سعودنا
وَإِذْ قَدْ أَبَتْ دِرْكُ الْهُوَانِ جُدودنا غَنِينَا بِنَا عَنْ كُلِّ مَنْ لَا يُرِيدُنَا
وَإِنْ كَثُرَتْ أَوْصَافُهُ وَنَعْوَتُهُ

رَعِينَا لِمَنْ أَصْفَى الْهُوَى طَيْبِ خِيَمِهِ وَلِلْوُدِّ شُدْنَا مَا اعْتَفَى مِنْ رُسُومِهِ
وَلَمْ نَكْتَبْدِئْ بِالْعَتَبِ غَيْرَ مَلُومِهِ فَمَنْ جَاءَنَا يَا مَرْحَباً بِقُدُومِهِ
يَجِدُ عِنْدَنَا وَدّاً صَاحِباً ثَبُوتِهِ

نُبُوؤُهُ مِنْ سَاحَةِ الْقَرَبِ مَنْزِلاً وَنَجَلِي لَهُ مِنْ خُمْرَةِ الْحُبِّ سَلْسَلَا

١. وهو مثل يضرب بمن يرفعهم الزمن وهم من الأراذل.

٢. لم يعرف من شعر الشهيد سوى ما حققه الأخ الفاضل الحجّة الشيخ رضا المختاري في الشهيد الأول حياته وأثاره، وما عرفناه هنا وأشار إليه في هذه الرسالة.

٣. مقابلها على الهامش الأيمن: «قد سمّطه ولده الفاضل الكامل الشيخ ضياء الدين عليّ».

سمط. تسميط: وهو أن يضيف الشاعر لشعر غيره صدرألعجز أو العكس.

وتترك أمر الكاشح الغرُّ مُهملاً
ومن صدَّ عنا حسبه الصدُّ والقلي
ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته^١

ومن شعر قد كتبه إلى ولده:

إصبر على حُلُوِ القضاء ومُرِّهِ
واعلَمَنَّ بأنَّ اللهَ بالغُ أمرِهِ
فَالصَّدْرُ من يَلْقَى الخُطوبَ بصدرة
وِبصيرِهِ وِبِحَمْدِهِ وِبشُكْرِهِ
والحُرِّ سيفٌ والدُّثور لَصْفُوهُ
صَدَأٌ وِصيقُهُ نَوائبُ دهرِهِ
إصبر فكم أمرٌ أهَمَّكَ عُسرةً
ليلاً فبِشْرِكِ الصبَاحِ بِمُيسرِهِ
وَإِذَا أصِبتَ بما أصِبتَ فلا تَقُلْ
أُوذِيتُ مِن زِيدِ الزمانِ وَعَمْرِهِ
وَكَمْ بعدَ يأسٍ قد أتى فرَجُ الفتى
مِن سِرِّ غَيبٍ لا يَمُرُّ بِفكرِهِ
ومن قصيدة له قد كتبها لأهل بيته وولده وهو في قلعة الشام مطلعها^٢:

سلامٌ على أهلي وولدي وأسرتي
سلامٌ مُحِبٍّ والفؤادُ مشوقٌ
ومنها:

فأوصيكمُ بالصبر والخير والتقى
وحسن التناء في العالمين يشوقُ
وبالإنف فيما بينكم ويحفظكم
لأولادكم حفظاً عليه يفوقُ

ومنها:

فما الدهرُ إلا مثلُ يومٍ وليلةٍ
تزول سريعاً والجميل يروقُ
وما العمرُ إلا مثلُ أحلامٍ نائمٍ
ومِثْلِ خِيامٍ^٣ الظلُّ حينَ يفوقُ

ومنها:

تَسَلَّوا بما قد حَلَّ بالرُّسُلِ قَبلنا
ففيه لمن رامَ السلوَّ طريقُ
فَكَمْ نالهم همٌّ وغمٌّ وكربةٌ
وَقَتْلٌ وِسَجْنٌ وِابْتِلاءٌ وَمَضيقُ
ونسألُ ربَّ العرشِ تجميعَ شَمِلنا
فَرُحْماهُ فينا عالمَ وِرْفيقُ

١. تم ضبط البيت الأخير من خلال البيتين المكتوبين في أعلى الصفحة، مشاراً بخط إلى موضعها ما بين الصدر والعجز لهذا البيت، ومن أعلى الهامش الأيمن بجانب القصيدة أيضاً.

٢. لا ندرى في أي فترة من وجوده في السجن في قلعة دمشق كتب الشهيد هذه القصيدة، التي ترسم لنا ملامح منهجه التربوي على مستوى الأسرة، لكننا نغلب أنها في الأيام التي سبقت مقتله، وذلك لما تتضمنته من وصية، وما توحى من وداع.

٣. كذا، ولعل الصواب «خيال».

وَيَخْرُسُكُمْ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ يَشِينُكُمْ
 وَيَجْعَلُ جَنَاتِ النَّعِيمِ مَقَرَّكُمْ
 وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ، كُلُّهَا حِكْمٌ وَنَصَائِحٌ. مَضْمُونُ آيَاتٍ وَأَحَادِيثٍ.
 قَدْ كَتَبْتُ عَنْ نَسْخَةٍ غَيْرِ مَنْقُوطَةٍ بِخَطِّ يَصْعَبُ قِرَاءَتَهُ، فَمَنْ وَقَعَ نَظْرَهُ عَلَى خَلَلٍ أَوْ خَطَأٍ،
 فَلْيَصْلِحْهُ أَصْلَحَ اللَّهُ حَالَهُ [غَيْرِ وَاضِحَةٍ وَلَعَلَّهَا]: «بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْمَكْرَمِينَ». [ص ١٦]

* * *

[وعن الصفحة ١٨ للمجموعة التي وجدت فيها هذه الرسالة كتب]:

فقد رأيت في بعض الكتب، بخط بعضهم: أن هذا الشعر للشهيد محمد بن مكي رضي الله عنه.
 يموتُ قومٌ وَيُخَيِّبِي الْعِلْمُ ذَكَرَهُمْ وَالْجَهْلُ يُلْحِقُ أَحْيَاءَ بِأَمْوَاتٍ
 [وكتب في الصفحة ٣٢ من المجموعة المخطوطة]:

... ومنهم الشيخ الجليل جمال الدين أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن حسن بن متوَّج البحراني^١. وهو شيخ الإمامية في وقته كما ذكره ابن جمهور الأحسائي في عوالي اللآلي^٢. وذكر في موضع آخر، أن فتاويه مشهورة في المشارق والمغارب. وهو من تلامذة الشيخ الفاضل فخر الدين ابن العلامة، ومن تلامذة غيره في الحلة السيفية المزيدية. وله تصانيف جميلة جداً، منها: منهاج الهداية في آيات الأحكام^٣، يدل على فضله. ومن جملة إفاداته، أن الطلاق البذلي أعم من الخلع ومن المبراة، يصح حيث يصح إحداهما، ويصح حيث لا يصح إحداهما كما هو مشهور في زماننا. وله رسالة وجيزة فيما يعم به البلوى، وذكر فيها بحث قبلة البحرين بأن يجعل الجدي محاذي الطرف اليمنى، وليس قبلتها كقبلة البصرة كما ظنّه بعض متفهمي زماننا. ومنها كتاب مختصر التذكرة^٤، وهو جيد جداً. ومنها كتاب مجمع الغرائب والعجائب، وهو كما سُمِّيَ قد احتوى على فروع غريبة عجيبة ومسائل نادرة.

١. ترجمته في أعيان الشيعة، ج ٣، ص ١٤.

٢. الأحسائي، عوالي اللآلي، ج ١، ص ٣٤٩.

٣. الذريعة، ج ١٩، ص ٣٧.

٤. الذريعة، ج ٢، ص ٣٥.

وقبره بالجزيرة، جزيرة أكل [كذا] في المشهد المعروف بمشهد النبي صالح. وقد حكى الشيخ سليمان^١، وغيره من علماء البحرين: أنه كان كثيراً ما يقع بينه وبين الشريف أبي عبد الله الشهيد شمس الدين محمد بن مكّي^٢، مناظرة ومباحثة. وكانا في الأغلب يستويان، وتارةً قيل: إنه كان يحصل الغلبة للشيخ جمال الدين أحمد بن متوج. وكانا يجتمعان في مكة أكثر السنين^٣. وقيل: كانا بالحلّة^٤. فلما تفرّقا ورجع الشيخ جمال الدين إلى البحرين، واشتغل بالناس بأموال الحسبة وفصل قضايا الشريعة وغيرهما. فاتّفق أنّهما اجتمعا بعد ذلك في مكة المشرفة، الشيخ جمال الدين المذكور والشريف السعيد الشهيد شمس الدين محمد بن مكّي، فتناظرا، فأفحمه الشريف الشهيد مراراً، فتعجّب الشيخ جمال الدين، فقال الشيخ الشريف الشهيد شمس الدين محمد بن مكّي: «وما ليلنا إلاّ سواء، وإمّا تفاوته أنا قد سهرنا ونُمتّم». وقال له أيضاً: «سَهْرُنَا وَأَضَعْتُمْ»^٥.



وكتب الكاتب في آخر المجموعة التي وجدت فيها الرسالة أيضاً اسمه ونسبه على النحو التالي:

شرف الدين محمد مكّي بن محمد ضياء الدين بن شمس الدين بن الحسن بن زين الدين بن خير الدين عليّ بن أحمد من ذرية الشريف أبي عبد الله الشهيد محمد بن مكّي المطّليّ العامليّ الجزينيّ.

١. هو الشيخ سليمان الماحوزي صاحب: جواهر البحرين في علماء البحرين. الذريعة، ج ١٩، ص ٣٧ ترجمته في أعيان الشيعة، ج ٧، ص ٣٠٢.

٢. على الهامش الأيسر كتب: «جدّ كاتب الأحرف».

٣. دلالة أخرى على أنّ الشهيد الأوّل كان يحجّ كثيراً كما صرّح هو.

٤. كانا تتلمذا بالحلّة معاً....

٥. آغا بزرگ الطهراني، الذريعة، ج ٢٣، ص ١٨٠ عن الشيخ سليمان في جواهر البحرين، ونقلها الشيخ المحقّق المختاري في الشهيد الأوّل، حياته، آثاره، الفصل السادس من الباب الأوّل.

وهنا أودُّ أن أشير إلى قول الشهيد في القواعد والفوائد، ج ١٥، ص ٦٦ (ضمن الموسوعة، ج ١٥) «معدود من الخسران إن صُرّف الزمان في المباح وإن قلّ، لأنّه ينقص من الثواب ويخفف من الدرجات، وناهيك خسراناً بأن يتعجّل ما يفنى (الدنيا)، ويخسر زيادة نعيم يبقى (الأخرة)». وأورده المختاري في الشهيد الأوّل، الفصل السادس من الباب الأوّل.

ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. ابن أبي طالب، الإمام عليّ عليه السلام. نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٥ م.
٣. ابن أبياس، محمّد (م ٩٣٠). بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمّد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣ م.
٤. ابن تغري بردي، يوسف (م ٨٧٤). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢ م.
٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد (م ٨٥٣). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق سيّد جاد الحقّ، القاهرة ١٩٦٦ م.
٦. ابن خلدون، عبد الرحمن (م ٨٠٨). مقدّمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت ١٩٨٤ م.
٧. ابن خلدون، عبد الرحمن (م ٨٠٨). تاريخ ابن خلدون، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٨. ابن فضل الله العمري، أحمد (م ٧٤٢). التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، القاهرة ١٣١٢.
٩. ابن فضل الله العمري، أحمد (م ٧٤٢). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دن. القاهرة ١٨٩٤ م.
١٠. ابن طولون، محمّد (م ٩٥٣). أعلام الوردى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمّد دهمان، دمشق ١٩٦٤ م.
١١. ابن كثير، إسماعيل (م ٧٧٤). البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق عليّ شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨ م.

١٢. ابن منظور، محمّد. لسان العرب، دار صادر، بيروت د.ت.
١٣. ابن يحيى، صالح (م ٨٤٠). تاريخ بيروت، دار الفكر الحديث، بيروت ١٩٩٠ م.
١٤. الاجتهاد، مجلة، عدد ٣، بيروت ١٩٨٩ م.
١٥. الاحسائي، محمّد. عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، تحقيق آقا مجتبي العراقي، مطبعة سيّد الشهداء، قم ١٩٨٣ م.
١٦. الامين، السيّد محسن. أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت ١٩٨٦ م.
١٧. الاميني، الشيخ عبد الحسين. شهداء الفضيلة، دار الشهاب، قم د.ت.
١٨. بولياك، أن. الإقطاعية في مصر وسوريا ولبنان، ترجمة عاطف كرم، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، بيروت ١٩٤٨ م.
١٩. الجباعي، محمّد بن عليّ. مجموعة الجباعي، مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، طهران، رقم ٦٠٤.
٢٠. الحر العاملي، محمّد. أمل الآمل، دار الوفاء، بيروت ١٩٨٣ م.
٢١. الحسيني، هاشم معروف. بين التصوف والتشيع، دار القلم، بيروت ١٩٧٩ م.
٢٢. الخوانساري، السيّد محمّد باقر. روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، دار الصادق، بيروت، طبع قم ١٣٩٢.
٢٣. الزركلي، خير الدين. الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت ١٩٨٠ م.
٢٤. الزين، عليّ. للبحث عن تاريخنا في لبنان، دن، بيروت ١٩٧٣ م.
٢٥. سليمان، إبراهيم. بلدان جبل عامل، مؤسّسة الدائرة، بيروت ١٩٩٥ م.
٢٦. شمس الدين، الشيخ محمّد رضا. حياة الإمام الشهيد الأوّل، مطبعة الغري، النجف ١٩٥٧ م.
٢٧. الشهيد الأوّل. رسائل الشهيد الأوّل، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قم ١٤٢٣.
٢٨. الشهيد الأوّل. اللعة دمشقيّة في فقه الإمامية، تحقيق محمّد تقي وعليّ أصغر مراريد، دار التراث، بيروت ١٩٩٠ م.
٢٩. الشهيد الثاني. الروضة البهيّة في شرح اللعة دمشقيّة، دار العالم الإسلامي، بيروت د.ت.
٣٠. الشهيد الثاني. منية المرید في أدب المفيد والمستفيد، تحقيق الشيخ رضا المختاري، الطبعة الثانية، مكتب الاعلام الإسلامي، قم ١٤١٥.

٣١. الشيبلي، د. كامل. الصلة بين التشيع والتصوف، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٤ م.
٣٢. الصدر، السيد حسن. تكملة أمل الأمل، دار الأضواء، بيروت ١٩٨٦ م.
٣٣. الصفدي، صلاح الدين (م ٧٦٤). أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٣ م.
٣٤. طباجة، يوسف. الدين والسياسة في جبل عامل، أطروحة دكتوراه، الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٩٣ م.
٣٥. طباجة، يوسف. الشهيد الأول ومشروع القيادة الدينية سياسية في جبل عامل. العرفان، م ٨٠، بيروت ١٩٩٦ م.
٣٦. الطراونة، طه. مملكة صفد في عهد المماليك، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢ م.
٣٧. ظاهر، سليمان. معجم قرى جبل عامل، العرفان، م ٨ و ٢١.
٣٨. العاملي، علي بن محمد. الدر المنثور في المأثور وغير المأثور، مطبعة مهر، قم ١٣٩٨.
٣٩. عبد الرزاق، علي. الإسلام وأصول الحكم، دراسة: د. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٠ م.
٤٠. عبد الصمد العاملي، الشيخ حسين. رسالة الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي إلى أستاذه الشهيد الثاني، تحقيق يوسف طباجة، مجلة المنهاج، عدد ٢٩ بيروت ٢٠٠٣ م.
٤١. القلقشندي، أحمد (م ٨٢١). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دن. القاهرة ١٩٦٣ م.
٤٢. كرافولسكي، دوروتيا. العرب وإيران، دار المنتخب العربي، بيروت ١٩٩٣ م.
٤٣. المختاري، الشيخ رضا. الشهيد الأول، حياته وآثاره، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، قم، ١٤٢٦.
٤٤. الورددي، د. علي. وعظ السلاطين، الطبعة الثانية.
٤٥. الورددي، د. علي. منطق ابن خلدون، الطبعة الثانية، دار كوفان، لندن ١٩٩٤ م.

٢. رسالة ابن تيميّة إلى السلطان*

* محمّد بن أحمد بن عبدالهادي: العقود الدرّيّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة، ط. القاهرة ١٩٣٨/١٣٥٦ م، ص ١٨٢ - ١٩٤. أخذناها من بحث غير منشورٍ بعدُ للأستاذ الشيخ جعفر المهاجر، وهوامش المتن كلّها بقلمه (دام علاه).

بسم الله الرحمن الرحيم

سلطان المسلمين، ومَن أيدَ الله في دولته الدين، وقمع الكفَّار والمنافقين (أيدَ الله به الإسلام ونشر عدله في الأنام).

من الداعي أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين، ومَن أيدَ الله في دولته الدين، وأعزَّ به عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفَّار والمنافقين والخوارج والمارقين (نصره الله ونصر به الإسلام، وأصلح له وبه أمور الخاصَّ والعام. وأحيا به معالم الإيمان. وأقام به شرائع القرآن. وأذلَّ به أهل الكفر والفسوق والعصيان).

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإنَّا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. وهو للحمد أهل، وهو على كلِّ شيء قدير. ونسأله أن يُصلي على خاتم النبيين وإمام المتقين محمدٍ عبده ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلَّم تسليماً).

أما بعد، فقد صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده. وأنعم الله على السلطان وعلى المؤمنين في دولته نعماً لم تُعهد في القرون الخالية. وجدَّد الإسلام في أيامه تجديداً بانَّت فضيلته على الدول الماضية، وتحقَّق في ولايته خبر الصادق المصدوق، أفضل الأولين والآخرين، الذي أخبر فيه عن تجديد الدين في رؤوس المثين، والله تعالى يُوزعه والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين، ويُتمِّها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين.

ذلك أن السلطان (أتمَّ الله نعمته) حصل للأمة بيمن ولايته وحُسن نيَّته، وصحَّة إسلامه وعقيدته، وبركة إيمانه ومعرفته، وفضل همَّته وشجاعته، وثمرة تعظيمه للدين وشرعته، ونتيجة اتِّباعه لكتاب الله وحكمته، ما هو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين،

وما كان يقصده أكبر الأئمّة العادلين من جهاد أعداء الله المارقين من الدين. وهم صنفان:
 - أهل الفجور والظغيان، وذوو الغي والعدوان، الخارجون عن شرائع الإيمان. طلباً للعلو
 في الأرض والفساد، وتركاً لسبيل الهدى والرشاد. وهؤلاء هم التتار ونحوهم، من كل
 خارج عن شرائع الإسلام، وإن تمسك بالشهادتين أو ببعض سياسة الإسلام.
 - والصنف الثاني: أهل البدع المارقون، وذوو الضلال المنافقون، الخارجون عن السنّة
 والجماعة، المارقون للشرعة والطاعة، مثل هؤلاء الذين غزوا بأمر السلطان من أهل
 الجبل والجرد^١ والكسروان^٢؛ فإنّ ما من الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغام هو من
 عزائم الأمور التي أنعم الله بها على السلطان وأهل الإسلام.

وذلك أنّ هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا والدين؛ فإنّ اعتقادهم أنّ أبا
 بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وجمهور المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم
 بإحسان، وأئمّة الإسلام وعلمائهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، ومشايخ الإسلام
 وعبّادهم، وملوك المسلمين وأجنادهم، وعوامّ المسلمين وأفرادهم - كلّ هؤلاء - عندهم
 كفار مُرتدّون، أكفر من اليهود والنصارى. لأنّهم مُرتدّون عندهم. والمُرتدّ شرّ من الكافر
 الأصلي. ولهذا السبب يُقدّمون الفرنج والتتار على أهل القرآن والإيمان.

ولهذا لمّا قدم التتار إلى البلاد، وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يُحصى من الفساد،
 وأرسلوا إلى أهل قبرص^٣ فملكوا بعض الساحل، وحملوا راية الصليب، وحملوا إلى

١ و٢. في هذه العبارة خطأ واضح؛ لأنّها من باب قسمة الشيء إلى نفسه وغيره. ممّا يدلّ على أنّ قائلها لم يكن
 يدري ما يقول. وهو الذي حشا كتابه بمختلف الدعوى العريضة بمعرفته التفصيليّة بالمنطقة وأهلها. ذ «الجبل»
 ليس شيئاً غير «الجرد» و «كسروان» (وليس «الكسروان!») وغيرهما.

والمعروف أنّ «كسروان» كانت يومذاك تعني المنطقة الجبلية الواقعة بموازة الساحل اللبناني الممتدّ بين مصبّ
 «نهر الكلب» جنوباً ومصبّ «نهر إبراهيم» شمالاً. أمّا «الجرد» فهو امتداده من هضاب قرية «فاريّا» وشرقاً حيث
 «كسروان» يعني المنطقة المأهولة، بما فيها من قرى ومزارع، أمّا «الجرد» فهو خال إلّا من القليل منها، ومن هنا
 جاء اسمه، أي من صفته بأنّه أجرد لا شجر فيه. في حين أنّ «كسروان» منطقة غابات. وجرّد «كسروان» ينتهي
 عند قرية «كفرتي». ولكن يفهم من كلام ابن تيميّه أنّه يعني عنده أيضاً جرد «المتن»، الذي ينتهي من الجهة
 الشرقيّة عند بلدة «مجدل ترشيش».

٣. جزيرة في البحر المتوسّط شرقاً، غرب الساحل اللبناني السوري. قامت صلات وثيقة بين أهلها وبين
 المسيحيين الموارنة، منذ بداية الغزوات الصليبيّة. وكان منهم جالية كبيرة في الجزيرة، ما تزال بقاياها حتى اليوم.

قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يُحصي عدده إلا الله، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوماً يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص، وفرحوا بمجيء التتار. هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون، مثل أهل جزين وما حواليتها وجبل عامل ونواحيه.

ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية، ظهر فيهم من الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم. ولما نصر الله الإسلام النصر العظمى عند قدون السلطان، كان بينهم شبه الغزاة كل هذا وأعظم منه عنده هذه الطائفة، التي كانت من أعظم أسباب خروج جنكسخان^١ إلى بلاد الإسلام، وفي استيلاء هولاءكو على بغداد، وفي قدومه إلى حلب، وفي نهب الصالحية، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله؛ لأنّ عندهم أنّ كلّ من لا يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مُرتد، ومن استحلّ الفُقّاع فهو كافر، ومن مسح على الحفّين فهو عندهم كافر، ومن حرّم المتعة فهو عندهم كافر، ومن أحبّ أبابكر أو عمر أو عثمان أو ترضى عنهم، أو عن جماهير الصحابة، فهو عندهم كافر. ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر.

وهذا المنتظر صبيٌّ عمره سنتان أو ثلاث أو خمس. يزعمون أنّه دخل السرداب بـ«سامراً» من أكثر من أربعمئة سنة، وهو يعلم كلّ شيء، وهو حجّة الله على الأرض، فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر، وهو شيء لا حقيقة له، ولم يكن هذا في الوجود قطّ. وعندهم من قال: «إنّ الله يُرى في الآخرة» فهو كافر. ومن قال: «إنّ الله تكلم بالقرآن حقيقة» فهو كافر. ومن قال: «إنّ الله فوق السماوات» فهو كافر. ومن آمن بالقضاء والقدر، وقال: «إنّ الله يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء، وإنّ الله يُقلّب قلوب عباده، وإنّ الله خالق كلّ شيء» فهو عندهم كافر. وعندهم أنّ من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته، التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله، فهو عندهم كافر.

وهذا هو المذهب الذي تلقّنه لهم أئمّتهم، مثل بني العود؛ فإنّهم شيوخ أهل هذا الجبل. وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين، ويُفتونهم بهذه الأمور.

١. يعني: چنگيزخان، سلطان التتر ومُنشئ الأمبراطورية المغولية (م ٦٢٥).

وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود وغيره، وفيها هذا وأعظم منه، وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علّموهم أمر وهم. لكنهم مع هذا يُظهرون التقية والنفاق. ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلها منهم. وهكذا عادة هؤلاء الجبيلية؛ فإنهم أقاموا بجبلهم لما كانوا يُظهرونه من النفاق، ويبدلون من البرطيل^١ لمن يقصدهم.

والمكان الذي لهم في غاية الصعوبة، ذكر أهل الخبرة أنّهم لم يروا مثله. ولهذا كثر فسادهم، فقتلوا من النفوس، وأخذوا من الأموال، ما لا يعلمه إلا الله.

ولقد كان جيرانهم، من أهل البقاع^٢ وغيرها معهم في أمر لا يُضبط شره، كلّ ليلة تنزل عليهم منهم طائفة، ويفعلون من الفساد ما لا يُحصيه إلا ربّ العباد. كانوا في قطع الطرقات، وإخافة سكّان البيوتات على أقيح سيره عُرفت من أهل الجنابات. يرد إليهم النصارى من أهل «قبرص» فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين، ويعقون بالرجال الصالح من المسلمين، فإما أن يقتلوه أو يسلبوه، وقليل منهم من يفلت منهم بالحلية.

فأعان الله ويسرّ، بحُسن نيّة السلطان وهمته، في إقامة شرائع الإسلام وعنايته بجهاد المارقين، أن غزوا غزوة شرعية، كما أمر الله ورسوله، بعد أن كُشفت أحوالهم، وأزبحت علمهم، وأزيلت شُبُههم، وبُذِل لهم من العدل والإنصاف ما لم يكونوا يطمعون به، وبُيّن لهم أنّ غزوهما اقتداء بسيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قتال الحرورية المارقين، الذين تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله الأمرُ بقتالهم ونعتُ حالهم، من وجوه مُتعدّدة. أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه: من حديث عليّ بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن حنيف، وأبي ذر الغفاري، ورافع بن عمرو، وغيرهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله قال فيهم:

يَحِقُّ أَحَدَكُمْ صَلَاتُهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامُهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَقِرَاءَتُهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ. يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ. يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ. لَنْ أَدْرِكْتَهُمْ لِأَقْتَلْتَهُمْ قَتْلَ عَادَ. لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَهُمْ مَاذَا لَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لَا تَكَلُّوا عَنِ الْعَمَلِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ. وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأُوثَانِ. يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ. شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ. خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ.

١. يعني: «الرشوة». والكلمة ما تزال مسموعة حتّى اليوم في المحكية الشامية وأصلها من اللغة الآرامية.

٢. يعني «سهل البقاع» وهو المُنخفض الواقع بين سلسلتي الجبال الشرقية والغربية. شرقة مدينة بعلبك.

وأول ما خرج من هؤلاء زمن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. وكان لهم من الصلاة والصيام والقراءة والعبادة والزّهادة ما لم يكن لعموم الصحابة. لكن كانوا خارجين عن سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعن جماعة المسلمين، وقتلوا من المسلمين رجلاً أسمه عبدالله بن خنّاب، وأغاروا على دوابّ المسلمين. وهؤلاء القوم كانوا أقلّ صلاةً وصياماً. ولم نجد في جبلهم مصحفاً، ولا فيهم قارئاً للقرآن. وإنّما عندهم عقائدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة. وأباحوا دماء المسلمين. وهم مع هذا فقد سفكوا من الدماء، وأخذوا من الأموال، ما لا يحصى عدده إلاّ الله تعالى.

فإذا كان عليّ بن أبي طالب قد أباح لعسكره أن ينيهوا ما في عسكر الخوارج، مع أنّه قتلهم جميعهم، كان هؤلاء أحقّ بأخذ أموالهم. وليس هؤلاء بمنزلة المتأولين، الذين نادى فيهم عليّ بن أبي طالب يوم الجمل: «أنّه لا يقتل مدبرهم، ولا يُجهز على جريحهم، ولا يُغنم لهم مال، ولا يُسبى لهم دُريّة». لأنّ مثل أولئك تأويل سائح، وهؤلاء ليس لهم تأويل سائح. ومثل أولئك إنّما يكونون خارجين عن طاعة الإمام. وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته. وهم شرّ من التتار من وجوه متعدّدة، لكن التتر أكثر وأقوى، فلذلك يظهر كثرة شرّهم.

وكثير من فساد التتر هو لمخالطة هؤلاء لهم، كما كان في زمن قازان وهولاكو وغيرهما؛ فإنّهم أخذوا من أموال المسلمين أضعاف ما أخذوا من أموالهم، وأرضهم فيء لبيت المال. وقد قال كثير من السلف: إنّ الرافضة لا حقّ لهم في الفيء؛ لأنّ الله إنّما جعل الفيء للمهاجرين والأنصار ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^١. فمن لم يكن قلبه سليماً لهم، مستغفراً لهم، لم يكن من هؤلاء.

وقُطعت أشجارهم؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لما حاصر بني النضير قطع أصحابه نخلهم وحرّقوه. فقال اليهود: «هذا فساد وأنت يا محمّد تنهى عن الفساد». فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ﴾^٢.

١. الحشر (٥٩): ١٠.

٢. الحشر (٥٩): ٥.

وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجر، وتخریب العامر، عند الحاجة إليه. فليس ذلك بأولى من قتل النفوس، وما أمكن غير ذلك؛ فإن القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التي اختفوا فيها، وأيسوا من المقام في الجبل، إلا حين قُطعت أشجارهم، وإلا كانوا يخبثون حيث لا يمكن العلم بهم، وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم، لأن التركمان إنما قصدهم الرعي، وقد صار لهم مرعى، وسائر الفلاحين لا يتركوا عمارة أرضهم ويجيئون إليه.

فالحمد لله الذي يسر هذا الفتح في دولة السلطان، بهتمته وعزمه وأمره، وإخلاء الجبل منهم، وإخراجهم من ديارهم، وهم يشبهون ما ذكره الله في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ أَلَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾^١.

وأيضاً فإنه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام ومصر والحجاز واليمن والعراق ما يرفع الله به درجات السلطان، ويُعزِّبه أهل الإيمان.

تمام هذا الفتح وبركته تقدّم مراسم السلطان بحسم مادة أهل الفساد، وإقامة الشريعة في البلاد؛ فإن هؤلاء لهم من المشايخ والإخوان في قرى كثيرة من يقتدون بهم وينتصرون لهم، وفي قلوبهم غلّ عظيم ومُعَاداة شديدة، لا يؤمنون معها على ما يمكنهم، ولو أنها مُبَاطنة العدو. فإذا أمسك رؤوسهم الذي يضلّونهم، مثل بني العود، زال بذلك من الشر ما لا يعلمه إلا الله.

ويتقدّم إلى قراهم، وهي قرى متعدّدة بأعمال دمشق و صفد وطرابلس وحماة وحمص وحلب بأن يُقام فيهم شرائع الإسلام والجمعة والجماعة وقراءة القرآن، ويكون لها خطباء ومؤذنون، كسائر قرى المسلمين، وتُقرأ فيهم الأحاديث النبوية، وتُنشر فيهم المعالم

الإسلامية، ويُعاقب مَنْ عُرِفَ منهم بالبدعة والنفاق بما توجبه شرائع الإسلام، فإنَّ هؤلاء من المحاربين وأمثالهم قالوا: نحن قوم جبال، وهؤلاء كانوا يُعَلِّموننا ويقولون لنا: أنتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين. وَمَنْ قُتِلَ منكم فهو شهيد.

وفي هؤلاء خلق كثير لا يُقرّون بصلاة ولا صيام ولا حج ولا عمرة، ولا يُحرّمون الميتة والدم ولحم الخنزير، ولا يؤمنون بالجنّة والنار، من جنس الإسماعيلية والنُصيرية والحاكمية^١ والباطنية، وهم أكفر من اليهود والنصارى بإجماع المسلمين.

فتقدّم المراسيم السلطانية بإقامة شعائر الإسلام، من الجمعة والجماعة وقراءة القرآن وتبليغ أحاديث النبي ﷺ في قرى هؤلاء من أعظم المصالح الإسلامية، وأبلغ الجهاد في سبيل الله، وذلك سبب لانقماص مَنْ يُباطن العدوَّ من هؤلاء، ودخولهم في طاعة الله ورسوله وطاعة أولي الأمر من المسلمين، وهو من الأسباب التي يُعين الله بها على قمع الأعداء؛ فإنَّ ما فعلوه بالمسلمين في أرض «سيس» نوع من غدرهم الذي ينصر الله المسلمين عليهم، وفي ذلك حكمة عظيمة، نصره للإسلام جسمية، قال ابن عباس: «ما نقض قوم العهد إلا أُدِيلَ عليهم العدو».

ولولا هذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوة الإيمان، وللعُدوّ من الخذلان، ما ينصر الله به المؤمنين، ويُذَلَّ به الكفّار والمنافقين.

والله هو المسؤول أن يُنمَّ نعمته على سلطان الإسلام خاصّة وعلى عباده المؤمنين عامة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. والحمد لله وحده. وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

١. نسبة إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله. وابن تيمية يعني بهم هنا الدروز.

مصادر التحقيق

تنبيهات

- ١ . ذكرنا أشهر الأقوال في سني ولادة المؤلفين ووفياتهم غالباً، ومن لم نذكر من المؤلفين سنة وفاته فهو من المعاصرين.
- ٢ . التواريخ المذكورة في هذا الكتاب كلها بالهجري القمري إلا ما صرّح بغيره.
- ٣ . حرف «م» قبل التاريخ يعني: المتوفى؛ وبعده يعني: السنة الميلادية.
- ٤ . هذه العلامة « ← » تعني: أنظر، فمثلاً ترى:
□ المسائل المقدادية ← أجوبة مسائل الفاضل المقداد
يعني للاطلاع على مشخّصات المسائل المقدادية أنظر أجوبة مسائل الفاضل المقداد .
- ٥ . حين يعرف المصدر باسم أشهر من عنوانه الأصلي، مثل الرعاية لحال البداية في علم الدراية، وشهرته شرح البداية في علم الدراية فقد استعملنا العنوان المشهور وأحلنا إليه من العنوان الأصلي، هكذا:
□ الرعاية لحال البداية في علم الدراية ← شرح البداية في علم الدراية
- ٦ . اعتمدنا في إثبات ما وجدناه مذكوراً في المصدر من خصوصيات الطبعة وتاريخ الطبع ومحلّه وغير ذلك، وأهملنا ما لم نجده فيه إلا ما جعلناه بين المعقوفين.
- ٧ . ذكرنا في هذا الفهرس الاسم والعنوان الكامل للمصدر، بينما ذكرناه في الكتاب باسمه المختصر غالباً، مثل نهاية الأحكام في معرفة الأحكام، وذكرناه بعنوان نهاية الإحكام فقط.
- ٨ . إذا لم نذكر في هذا الفهرس عدد مجلّدات المصدر فمعناه أنّه مجلّد واحد.

أ) المصادر العربيّة المطبوعة

القرآن الكريم

- ١ . الاتجاهات الاجتماعية السياسيّة في جبل لبنان والمشرق العربي. لوجيه كوثراني. بيروت، ١٩٨٧ م.
- ٢ . اثنا عشرية في المواعظ العددية. للسيد محمد بن الحسن بن القاسم الحسيني العاملي (م بعد ١٠٨٠). قم، مكتبة المصطفوي.
- أجوبة المسائل الخمس عشرة ← الرسائل التسع
- ٣ . أجوبة مسائل الفاضل المقداد. للشهيد الأوّل شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد عباس الحسون. نشر في مجلة تراثنا، العدد ٧-٨، قم، ١٤٠٧.
- ٤ . أجوبة المسائل المهنيّة. للعلامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨-٧٢٦). إعداد محيي الدين المامقاني. الطبعة الأولى، قم، ١٤٠١.
- ٥ . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. لمحمد بن أحمد المقدسي (ح ٣٨١)، ليدن، مطبعة بريل.
- ٦ . إحياء الدائر من القرن العاشر (من طبقات أعلام الشيعة). للشيخ محمد محسن آقا بزرك الطهراني (١٢٩٣-١٣٨٩). تحقيق عليّ نقي المنزوي. الطبعة الأولى، طهران، جامعة طهران، ١٣٦٦ ش.
- ٧ . أربع رسائل كلامية. للشهيد الأوّل شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦) وعليّ بن يونس البياضي (م ٨٧٧). تحقيق مركز الأبحاث و الدراسات الإسلاميّة، الطبعة الأولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٨٠ ش.
- ٨ . الأربعون حديثاً. للشهيد الأوّل شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦) قم، مكتبة مدينة العلم [بالأوفست عن طبعته الحجرية، طهران، ١٣١٨].
- ٩ . إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان. للعلامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨-٧٢٦). تحقيق فارس الحسون. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٠.
- ١٠ . إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، المطبوع مع غاية المراد. للعلامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨-٧٢٦). تحقيق رضا المختاري وآخرين في مركز الأبحاث والدراسات

- الإسلامية، الطبعة الأولى، ٤ مجلّدات، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤ - ١٤٢١^١.
١١. الأصول الستة عشر (من الأصول الأوّليّة). لعدّة من الرواة القدماء. تحقيق ضياء الدين المحمودي، قم، دار الحديث، ١٣٨١/١٤٢٣ ش.
١٢. الأعلام. لخير الدين الزركلي (١٣١٠ - ١٣٩٦). الطبعة السادسة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤ م.
١٣. أعلام العرب في العلوم والفنون. لعبد الصاحب عمران الدجيلي. الطبعة الثانية، ٣ مجلّدات، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ١٩٦٦/١٣٨٦ م.
١٤. إعلام الوري بأعلام الهدى. لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن حسن الطبرسي (م ٥٤٨). طهران، المكتبة العلمية الإسلامية، ١٣٨٨.
١٥. إعلام الوري بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى. لشمس الدين محمّد ابن طولون الصالحي (٩٥٣) تحقيق محمّد دهمان.
١٦. أعيان العصر وأعوان النصر. لخليل بن أبيك الصفدي (م ٧٦٤). تحقيق عليّ أبوزيد وآخرون. بيروت، دارالفكر، ١٤١٨ / ١٩٩٨ م.
١٧. أعيان الشيعة. للسيد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي الشقراي (١٢٨٤ - ١٣٧١). إعداد السيد حسن الأمين. الطبعة الخامسة، ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م.
١٨. الإكمال في رفع الارتبايعن المؤلف المختلف في الأسماء والكنى والأنساب. لعليّ بن هبة الله، ابن ماکولا، حيدرآباد.
١٩. الألفية (الرسالة الألفية). للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد عليّ الفاضل القائيني النجفي. الطبعة الأولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٨.
٢٠. امتداد العرب في صدر الإسلام. لصالح أحمد العلي، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م.
٢١. أملّ الأمل في علماء جَبَل عامل. للشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤).
- إعداد السيد أحمد الحسيني. الطبعة الثانية، مجلّدان، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٣٦٢ ش.

(بالأوفست عن طبعته الأوّلي، بغداد، مكتبة الأندلس).

٢٢. إنباء القُمر بأنباء العمر. لأبي الفضل أحمد بن عليّ بن حَجَر السَّقَلَانِي (٧٧٣ - ٨٥٢). إعداد السيّد عبدالله بن أحمد مُدَيِّح العلوي الحسيني الحضرمي. الطبعة الأوّلي، ٩ مجلّدات، حيدر آباد الدكن، ١٣٨٧ - ١٣٩٦ / ١٩٦٧ - ١٩٧٦ م.

٢٣. الأنوار الساطعة في المائة السابعة (من طبقات أعلام الشيعة). للشيخ محمّد محسن آقا بزرك الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩). تحقيق عليّ نقي المنزوي. الطبعة الأوّلي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٢ م.

□ أنيس المسافر ← كشكول البحراني

٢٤. إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد. لفخر المحقّقين محمّد بن الحسن بن يوسف الحلّي (٦٨٢ - ٧٧١). إعداد عدّة من العلماء، الطبعة الثانية، ٤ مجلّدات، طهران وقم، بنياد فرهنگ اسلامي كوشان بور (مؤسسة الثقافة الإسلاميّة لكوشان بور) وإسماعيليان، ١٣٦٣ ش (بالأوفست عن طبعته الأوّلي، ١٣٨٧ - ١٣٨٩).

٢٥. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. لإسماعيل باشا بن محمّد أمين الباباني البغدادي (م ١٣٣٩). مجلّدان، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠ / ١٩٩٠ م.

«ب»

٢٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. للعلامة محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي (١٠٣٧ - ١١١٠). إعداد عدّة من العلماء، الطبعة الثالثة، ١١٠ مجلّد (إلا ٦ مجلّدات، من المجلّد ٢٩ - ٣٤) + المدخل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م. [بالأوفست عن طبعة إيران].

٢٧. البداية والنهاية. لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ - ٧٧٤). إعداد عليّ شيري. الطبعة الأوّلي، ١٤ جزءاً في ٧ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م.

٢٨. البلدان. لأحمد بن واضح اليعقوبي (م بعد ٢٩٢) بيروت، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م.

□ بلوغ المراد إلى معرفة الأسناد ← طبقات الزيدية الكبرى

٢٩. بنو سيف وولاية طرابلس. لجوزيف إيلان. بيروت، ١٩٨٧ م.

٣٠ . بهجة الآمال في شرح زبدة المقال . للمولى عليّ العلياري التبريزي (١٢٣٦ - ١٣٢٧). الطبعة الأولى، ٧ مجلدات، طهران، بنياد فرهنگ إسلامي كوشان بور (مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشان بور)، ١٣٩٥ - ١٤٠٩.

٣١ . بهجة الراغبين في مؤلفات الشيخ محمدرضا شمس الدين . (م ١٣٧٧). إعداد رضا محمد حدرج. الطبعة الأولى، بيروت، دارالمحجّة البيضاء، ١٤٢٤ / ٢٠٠٣ م.

٣٢ . البيان . للشهيد الأوّل شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد محمد الحسنون. الطبعة الأولى، قم، ١٤١٢.

«ت»

٣٣ . التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية . للشيخ جعفر المهاجر، بيروت، دار الملاك، ١٤١٣ / ١٩٩٢ م.

٣٤ . تاج العروس من جواهر القاموس . للسيد محمد بن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥). تحقيق عدّة من الفضلاء. [الطبعة الأولى]، صدر منه حتّى الآن ٢٥ جزءاً، [بيروت]، دار الهداية [بالأوفست عن طبعة الكويت، ١٣٨٩ - ١٤٠٩ / ١٩٦٥ - ١٩٨٩ م].

٣٥ . تاريخ ابن قاضي شهبة . لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الدمشقي المعروف بابن قاضي شهبة (٧٢٩ - ٨٥١). تحقيق عدنان درويش. [الطبعة الأولى]، صدر منه حتّى الآن مجلّد (الجزء الثالث من المخطوط، أعوام ٧٨١ - ٨٠٠)، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ١٩٧٧ م.

٣٦ . تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام . لمحمد بن أحمد الذهبي (م ٧٤٨)، بيروت، دارالكتاب العربي، ١٤٢٠ / ١٩٩٩ م.

٣٧ . تاريخ بيروت . لصالح بن يحيى (م ٨٤٠)، بيروت، ١٩٩٠ م.

٣٨ . تاريخ بيروت . لعصام بشارو. بيروت، ١٩٨٧ م.

٣٩ . تاريخ لبنان الحديث . لكamal صليبيا. بيروت، ١٩٧٩ م.

٤٠ . تاريخ الزرارية والبلاد العاملة ماضياً وحاضراً وتطلعات . لخليل شرف الدين. بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٥ م.

٤١ . تاريخ العراق بين احتلالين. لعباس الزاوي (م ١٣٩١). ٨ أجزاء في ٥ مجلدات، قم، الرضي، ١٤١٠ [بالأوفست عن طبعته الأولى في بغداد، ١٣٥٤-١٣٧٦/١٩٣٦-١٩٥٦م].

٤٢ . تاريخ لبنان أزيمة نصّ ومصطلح وهويّة. لنايل أبو شقراء، بيروت، ٢٠٠٤م.

٤٣ . التبيان في تفسير القرآن. لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠). إعداد أحمد حبيب قصير العاملي، ١٠ مجلدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

٤٤ . تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية. للعلامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨ - ٧٢٦). الطبعة الثانية. جزءان في مجلّد واحد، قم، مؤسّسة آل البيت عليه السلام للطباعة والنشر [بالأوفست عن طبعته الحجرية].

٤٥ . تحفة العالم في شرح خطبة المعالم. للسيد جعفر ابن السيد محمّد آل بحر العلوم (١٢٨١ - ١٣٧٧). الطبعة الثانية، جزءان في مجلّد واحد، طهران، مكتبة الصادق، ١٤٠١ / ١٣٦٠ ش.

□ تذكرة المتبحرين في العلماء المتأخرين ← أمل الآمل في علماء جبل عامل

٤٦ . تراثنا. مجلة فصلية تصدرها مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث في قم. صدر منها حتّى الآن ٧٠ عدداً.

٤٧ . التعريف بالمصطلح الشريف. لأحمد بن يحيى (م ٧٤٢) بتحقيق محمّد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨ / ١٩٨٨م.

٤٨ . تعليقة أمل الآمل. للميرزا عبدالله الأفندي الإصفهاني (١٠٦٧ - حوالي ١١٣٤). إعداد السيد أحمد الحسيني. الطبعة الأولى، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤١٠.

٤٩ . تكملة أمل الآمل. لأبي محمّد السيد حسن الصدر الموسوي العاملي الكاظمي (١٢٧٢ - ١٣٥٤). إعداد السيد أحمد الحسيني، الطبعة الأولى، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٦.

٥٠ . التنقيح الرائع لمختصر الشرائع. لجمال الدين المقداد بن عبدالله السيوري الحلّي المعروف بالفاضل المقداد (م ٨٢٦). إعداد السيد عبداللطيف الكوهكمري. الطبعة الأولى، ٤ مجلدات، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٤.

٥١ . تنقيح المقال في علم الرجال. للشيخ عبدالله بن محمّد حسن المامقاني (١٢٩٠ - ١٣٥١). الطبعة

- الثانية، ٣ مجلّدات، [قم]. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٢].
٥٢. تهذيب الأحكام. لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠). إعداده السيّد حسن الموسوي الخراسان. الطبعة الثالثة، ١٠ مجلّدات، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٤ ش.
٥٣. تهذيب الوصول الى علم الأصول. للعلامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨ - ٧٢٦). تحقيق سيّد محمّد حسين الرضوي الكشميري. الطبعة الأولى، قم، ١٤٢١.

«ث»

٥٤. الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام. لشمس الدين محمّد ابن طولون الصالحي (م ٩٥٣) تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٥٦ م.
٥٥. مجلّة الثقافة الإسلاميّة. مجلّة تصدرها المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة بدمشق، كلّ شهرين. صدر منها حتّى الآن حوالي ٩٠ عدداً.
٥٦. الثقات العيون في سادس القرون (من طبقات أعلام الشيعة). للشيخ محمّد محسن آقا بزرك الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩). تحقيق عليّ نقي المنزوي. الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٢/١٣٩٢ م.

«ج»

٥٧. جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والأسناد. لمحمّد بن عليّ الأردبيلي (م ١١٠١). مجلّدان، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٣/١٩٨٣ م.
٥٨. الجامع في الرجال. للشيخ موسى الزنجاني (م ١٣٩٩). قسم المخطوط منه توجد مصوّرته في مؤسّسة التراث الشيعة.
٥٩. جامع المقاصد في شرح القواعد. للمحقّق الثاني عليّ بن الحسين بن عبد العالي الكركي (٨٦٨ - ٩٤٠). تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى، ١٣ مجلّداً، قم، ١٤٠٨ - ١٤١١.

□ جُنَّة الأمان الواقية وجَنَّة الإيمان الباقية ← المصباح

٦٠. جواهر البحرين في علماء البحرين. للشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي البحراني (١٠٧٥ - ١١٢١). المطبوع مع فهرست آل بابويه له أيضاً. إعداد السيد أحمد الحسيني [الطبعة الأولى]. قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٤.
٦١. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام. للشيخ محمد حسن بن باقر النجفي (م ١٢٦٦). إعداد عدّة من الفضلاء. الطبعة السادسة، ٤٣ مجلداً، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٩٨.
٦٢. جبل عامل في التاريخ. للمرحوم الشيخ تقي الفقيه (م ١٤١٩). الطبعة الثانية، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م.
٦٣. جبل عامل بين الشهيد بن. للشيخ جعفر المهاجر. الطبعة الأولى، دمشق، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، ٢٠٠٥ م.
٦٤. جبل عامل تحت الاحتلال الصليبي. للشيخ جعفر المهاجر، بيروت، دار الحق، ١٤٢١ / ٢٠٠١ م.

«ح»

٦٥. الحقائق الراهنة في المائة الثامنة (من طبقات أعلام الشيعة). للشيخ محمد محسن آقا بزرك الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩). تحقيق عليّ نقي المنزوي. الطبعة الأولى، بيروت، دارالكتاب العربي، ١٩٧٥ م.
٦٦. حياة الإمام الشهيد الأول. للشيخ محمد رضا شمس الدين (م ١٣٧٧). [الطبعة الأولى]، النجف الأشرف، مطبعة الغريّ الحديثة، ١٣٧٦ / ١٩٥٧ م.
٦٧. حاشية الإرشاد - المطبوع مع غاية المراد - للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ - ٩٦٥). تحقيق رضا المختاري وآخرين في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة. الطبعة الأولى، ٤ مجلّدتان، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤ - ١٤٢١.
٦٨. حياة المحقق الكركي وآثاره. للمحقّق الثاني عليّ بن الحسين بن عبدالعالي الكركي (٨٦٨ - ٩٤٠). تأليف وإعداد محمد الحسون. الطبعة الأولى، ١٢ مجلداً، طهران، الاحتجاج، ١٣٨١ / ١٤٢٣ ش.

«خ»

- ٦٩ . الخزائن. للمولى أحمد بن محمد مهدي النراقي (١١٨٥ - ١٢٤٥). تحقيق حسن زاده الآملي وعلي أكبر الغفاري. [الطبعة الأولى]، طهران، ١٣٨٠.
- ٧٠ . الخصال. لأبي جعفر محمد بن عليّ الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١). - المطبوع مع ترجمته الفارسية - طهران، المكتبة العلمية الإسلامية.
- ٧١ . خطط جبل عامل. للسيد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي الشقراي (١٢٨٤ - ١٣٧١). بيروت، ١٣٨٠ / ١٩٦١ م.
- ٧٢ . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. لمحمد بن فضل الله المحبّي (م ١١١١)، بيروت، دار صادر، لات.
- ٧٣ . خلاصة الأقوال في معرفة الرجال. للعلامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨ - ٧٢٦). إعداد السيد محمد صادق بحر العلوم. قم، الرضي، ١٤٠٢ [بالأوفست عن طبعته الثانية، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨١/١٩٦١].
- ٧٤ . خلاصة الإيجاز في المتعة. المنسوب إلى المحقق الثاني عليّ بن الحسين بن عبدالعالي الكركي (٨٦٨ - ٩٤٠). تحقيق علي أكبر زماني نژاد. الطبعة الأولى، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣.

□ الخلل في الصلاة ← رسائل المحقق الكركي

«د»

- ٧٥ . الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة. المنسوب إلى الشهيد الأوّل شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد محمد هادي الأميني. الطبعة الأولى، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٨/١٩٦٨ م.
- ٧٦ . الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة. للسيد عليّ خان الحسيني المدني الشيرازي (١٠٥٢ - ١١٢٠). تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم. قم، مكتبة بصيرتي، ١٣٩٧ [بالأوفست عن طبعته السابقة].

٧٧. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. لأبي الفضل أحمد بن علي بن حَجَر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢). الطبعة الأولى، ٤ مجلدات، حيدر آباد الدكن، ١٣٤٨ - ١٣٥٠.
٧٨. الدر المنثور من المأثور وغير المأثور. لعلّي بن محمّد بن الحسن بن الشهيد الثاني العاملي (١٠١٣/١٠١٤ - ١١٠٣). إعداد السيّد أحمد الحسيني. الطبعة الأولى، مجلّدان، قم، ١٣٩٨.
٧٩. الدروس الشرعيّة في فقه الإمامية. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). قم، انتشارات صادق، ١٣٩٨ [بالأوفست عن طبعته الحجرية].
- الدروس الشرعيّة في فقه الإمامية. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي. الطبعة الأولى، ٣ مجلّدات، قم، ١٤١٢ - ١٤١٤.
٨٠. دليل المخطوطات. للسيّد أحمد الحسيني. [الطبعة الأولى]، صدر منه مجلّد واحد، قم، المطبعة العلمية، ١٣٩٧.

«ذ»

٨١. مجلّة الذخائر، مجلّة فصلية محكمة تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق تصدر في بيروت، صدر منها ١٢ عدداً إلى سنة ١٤٢٣.
٨٢. ذرائع البيان في عوارض اللسان. للشيخ محمّد رضا الطبسي النجفي (م ١٤٠٥). [الطبعة الأولى]، جزءان في مجلّد واحد، [العراق]، حوالي ١٣٧٧.
٨٣. الذريعة إلى تصانيف الشيعة. للشيخ محمّد محسن آقا بزرك الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩). الطبعة الأولى، ٢٥ جزءاً في ٢٨ مجلّداً (الجزء ٩ في ٤ مجلّدات). التجف الأشرف وطهران، ١٣٥٥ - ١٣٩٨.
٨٤. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). قم، بصيرتي، حوالي ١٤٠٠ [بالأوفست عن طبعته الحجرية، حوالي ١٢٧١].
- ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد ونشر: مؤسسة آل البيت للإحياء التراث. الطبعة الأولى، ٤ مجلّدات، قم، ١٤١٩.

١. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة، ذكرنا بعده: «ط. الجديدة».

٢. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة، ذكرنا بعده: «ط. الجديدة».

٨٥ . ذيل مرآة الزمان . لموسى بن محمد اليونيني (م ٧٢٦)، حيدرآباد.

٨٦ . الذيل على الروضتين . لعبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي (م ٦٦٥)، بيروت، دار الجيل.

«ر»

□ رجال السيد بحر العلوم ← الفوائد الرجالية

□ رجال العلامة ← خلاصة الأقوال في معرفة الرجال

٨٧ . رجال النجاشي (فهرس أسماء مصنفى الشيعة). لأبي العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (٣٧٢ - ٤٥٠). تحقيق آية الله السيد موسى الشبيري الزنجاني. الطبعة الأولى، قم، مؤسسه النشر الإسلامي، ١٤٠٧.

□ الرسالة الألفية ← الألفية

□ الرسالة النقلية ← النقلية

٨٨ . الرسائل التسع . للمحقق الحلبي نجم الدين جعفر بن حسن بن يحيى بن سعيد الهذلي (٦٠٢ - ٦٧٦). تحقيق رضا الأستاذي. الطبعة الأولى، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٣٧١/١٤١٣ هـ.ش.

٨٩ . الرسائل العشر. لأبي جعفر شيخ الطائفة محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠). إعداد عدّة من العلماء. [الطبعة الأولى] قم، مؤسسه النشر الإسلامي، [حوالي ١٤٠٣].

٩٠ . الرسائل الرجالية. لأبي المعالي محمد بن محمد إبراهيم الكلباسي (١٢٤٧ - ١٣١٥). إعداد محمد حسين الدرايتي. الطبعة الأولى، مجلّدان، قم، دار الحديث، ١٣٨٠/١٤٢٢ ش.

٩١ . رسائل الشهيد الأوّل. للشهيد الأوّل شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة. الطبعة الأولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٨١/١٤٢٣ ش.

٩٢ . رسائل الشهيد الثاني. للشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي (٩١١ - ٩٦٥). تحقيق رضا المختاري وآخرين في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة. الطبعة الأولى، مجلّدان، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢١ - ١٤٢٢/١٣٧٩ - ١٣٨٠ ش.

٩٣. رسائل المحقق الكركي. للمحقق الثاني علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي (٨٦٨ - ٩٤٠).
إعداد محمد الحسون. الطبعة الأولى، ٣ مجلدات، قم، مكتبة آية الله المرعشي ومؤسسة النشر
الإسلامي، ١٤٠٩ - ١٤١٢.

□ الرعاية لحال البداية في علم الدراية ← شرح البداية في علم الدراية

٩٤. روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات. للسيد محمد باقر الخوانساري الإصفهاني
(١٢٢٦ - ١٣١٣). إعداد أسدالله إسماعيليان، ٨ مجلدات، قم، إسماعيليان، ١٣٩٠.

٩٥. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية. للشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي
(٩١١ - ٩٦٥). إعداد السيد محمد كلانتر، تقديم محمد مهدي الآصفي، ١٠ مجلدات، بيروت،
دار العالم الإسلامي. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف، جامعة النجف الدينية].

● الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية. للشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي
(٩١١ - ٩٦٥). إعداد دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، تقديم الشيخ عبدالله السببتي،
الطبعة الخامسة، مجلدان، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١١ [بالأوفست عن طبعة مصر].

٩٦. روضة المتقين في شرح أخبار الأئمة المعصومين. للعلامة المولى محمد تقي المجلسي
(١٠٠٣ - ١٠٧٠). إعداد السيد حسين الموسوي الكرمانى والشيخ علي بنه الاشتهاردي.
[الطبعة الأولى]، ١٤ مجلداً، [طهران]، بنىاد فرهنگ إسلامى كوشان بور (مؤسسة الثقافة
الإسلامية لكوشان بور)، ١٣٩٣ - ١٣٩٩.

٩٧. الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة (من طبقات أعلام الشيعة). للشيخ محمد محسن
آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩). تحقيق علي نقي المنزوي. الطبعة الأولى، بيروت،
مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١/١٩٩٠ م.

٩٨. روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان. للشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي
(٩١١ - ٩٦٥). قم، مؤسسة آل البيت للإبلاغ للطباعة والنشر. [بالأوفست عن طبعته الحجرية،
طهران، ١٣٠٧].

● روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان. للشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي

١. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة لكتاب الروضة البهية، أضفنا بعد ذكر اسمه ورقمي الجزء والصفحة: «طبع مصر»؛
تمييزاً بينها وبين طبعة جامعة النجف الدينية في النجف الأشرف.

- (٩١١ - ٩٦٥). تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية. الطبعة الأولى، مجلّدان، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٢.
٩٩. رياض العلماء وحياض الفضلاء. للميرزا عبد الله الأفندي الإصفهاني (١٠٦٧ - حوالي ١١٣٤). إعداد السيد أحمد الحسيني. الطبعة الأولى، ٧ مجلّدات، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠١ - ١٤١٥.
١٠٠. رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل. للسيد عليّ بن محمّد عليّ الطباطبائي (١١٦١ - ١٢٣١). إعداد مؤسسة النشر الإسلامي، تقديم محمّد مهدي الآصفي. الطبعة الأولى، ١٤ مجلّدًا، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢ - ١٤٢٢.

«س»

١٠١. ستّة فقهاء أبطال. للشيخ جعفر المهاجر. الطبعة الأولى، بيروت، المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ١٤١٥/١٩٩٤ م.
١٠٢. السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي. لمحمّد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي الحلّي (٥٤٣ - ٥٩٨). إعداد ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ٣ مجلّدات، قم، ١٤١٠ - ١٤١١.
١٠٣. سفينة البحار (سفينة بحار الأنوار ومدينة الحكم والآثار). للشيخ عبّاس بن محمّد رضا القميّ (١٢٩٤ - ١٣٥٩). مجلّدان، طهران، مكتبة سنائي.
١٠٤. السلوك لمعرفة دول الملوك. لتقي الدين أحمد بن عليّ المقرئزي (٨٤٥ م) إعداد السيد عبدالفتاح عاشور، الطبعة الأولى، ٨ مجلّدات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨/١٩٩٧ م.

«ش»

١٠٥. شذرات الدّهب في أخبار من ذهب. لأبي الفلاح عبدالحقّ بن أحمد بن العماد الحنبلي (١٠٣٢ - ١٠٨٩). ٨ أجزاء في ٤ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩/١٩٨٨ م.
١٠٦. شرائع الإسلام في معرفة الحلال والحرام. للمحقّق الحلّي نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الهذلي (٦٠٢ - ٦٧٦). ٤ مجلّدات، بيروت، ١٤٠٩/١٩٨٨ م.

□ شرح الألفية ← رسائل المحقّق الكركي

١٠٧. شرح البداية في علم الدراية. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ - ٩٦٥).

- تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية. الطبعة الأولى، قم، مكتبة إعلام الإسلامي، ١٤٢٣/١٣٨١ ش.
- ١٠٨ . الشريعة إلى استدرارك الذريعة. للسيد محمد الطباطبائي البهبهاني. الطبعة الأولى، مجلدان، طهران، مكتبة ومتحف ومركز وناثق مجلس الشورى الإسلامي، ١٣٨٣ - ١٣٨٥ ش.
- ١٠٩ . شعراء الحلة (البابليات). لعلي الخاقاني (م ١٣٩٩). [الطبعة الأولى]، ٥ أجزاء في ٣ مجلدات، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠ - ١٣٧٢/١٣٧٢ - ١٩٥٢ م.
- ١١٠ . شعراء الغري أو النجفيات. لعلي الخاقاني (م ١٣٩٩) الطبعة الثانية، ١٢ مجلداً، قم، مكتبة آية الله المرعشي ١٤٠٨.
- ١١١ . الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية. لطاشكُزري زاده أبي الخير أحمد بن مصطفى ابن خليل (٩٠١ - ٩٦٨). بيروت، دارالكتاب العربي، ١٣٩٥/١٩٧٥ م.
- ١١٢ . شهداء الفضيلة. للعلامة الشيخ عبدالحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ - ١٣٩٠). قم، دار الشهاب [بالأوفست عن طبعته السابقة].
- ١١٣ . الشهيد الأول: محمد بن مكي. للسيد حسن ابن السيد محسن الأمين العاملي (م ١٤٢٣). الطبعة الأولى، بيروت، الغدير، ١٤١٨/١٩٩٨ م.
- ١١٤ . الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي في المصادر العربية. (م ٧٨٦)، إعداد مؤسسة تراث الشيعة، الطبعة الأولى، قم، مركز العلوم الثقافة الإسلامية، ١٤٣٠ / ١٣٨٨ ش.

«ص»

- ١١٥ . صبح الأعشى في صناعة الإنشا. لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (٧٥٧ - ٨٢١). إعداد محمد حسين شمس الدين. الطبعة الأولى، ١٤ مجلداً + الفهرس، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٧ - ١٤٠٩/١٩٨٧ - ١٩٨٩ م.
- ١١٦ . الصلة بين التصوف والتشيع. للدكتور كامل مصطفى الشيبلي. الطبعة الثالثة، مجلدان، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٢ م.

«ض»

- ١١٧ . الضياء اللامع في القرن التاسع (من طبقات أعلام الشيعة). للشيخ محمد محسن آقا بزرگ

الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩). تحقيق عليّ تقي المنزوي. [الطبعة الأولى]، طهران، جامعة طهران، ١٣٦٢ هـ.ش.

«ط»

١١٨ . طبقات الزيدية الكبرى (= بلوغ المراد إلى معرفة الأسناد). للسيد إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله (م ١١٥٢). تحقيق عبدالسلام بن عباس الوجيه. الطبعة الأولى. ٣ مجلدات. المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، مؤسسة الإمام زيد بن عليّ الثقافية، ١٤٢١ / ٢٠٠١ م.

١١٩ . طبقات الشافعية. لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الدمشقي المعروف بابن قاضي شهبة (٧٧٩ - ٨٥١). تحقيق الدكتور الحافظ عبدالعليم خان. الطبعة الأولى، ٤ أجزاء في مجلدين، حيدرآباد الدكن، ١٣٩٨ - ١٤٠٠ / ١٩٧٨ - ١٩٨٠ م.

١٢٠ . طبقات الفقهاء. تحت إشراف آية الله الشيخ جعفر سبحاني. ١٥ مجلداً + مجلّدان، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤١٨ - ١٤٢٤.

□ طبقات القراء ← غاية النهاية في طبقات القراء

١٢١ . طبقات المفسرين. للحافظ شمس الدين محمد بن عليّ بن أحمد الداودي (م ٩٤٥). تحقيق عليّ محمد عمر. الطبعة الأولى، مجلّدان، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٢ / ١٩٧٢ م.

١٢٢ . طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال. للسيد عليّ أصغر ابن السيد محمد شفيح الجابلق البروجردي (م ١٣١٣). إعداد السيد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى، مجلّدان، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤١٠.

١٢٣ . الطليعة. للشيخ محمد السماوي (١٢٩٢ - ١٣٧٠)، مجلّدان، الطبعة الأولى، بيروت، دار المؤرّخ العربي، ١٤٢٢ / ٢٠٠١.

«ع»

١٢٤ . عجائب المقدور في أخبار التيمور. لأحمد بن محمد ابن عربشاه الدمشقي، مصر، ١٣٠٥ / ١٩٨١ م.

١٢٥ . مجلة العرفان. مجلة شهرية تصدر في لبنان، تأسست سنة ١٣٢٧ / ١٩٠٩ م. صدر منها أكثر من ثمانين مجلداً.

- ١٢٦ . العقود الدرّية من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية . لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي (م ٧٤٤). القاهرة، مطبعة حجازي، ١٣٥٦/١٩٣٨ م.
- ١٢٧ . علوم الحديث . لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشّهْرزوري المعروف بابن الصلاح (٥٧٧ - ٦٤٣). تحقيق نور الدين عتير. الطبعة الثالثة، دمشق، دارالفكر، ١٤٠٦/١٩٨٦ م.

«غ»

- ١٢٨ . غاية المراد في شرح نكت الإرشاد. للشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (٧٨٦). تحقيق رضا المختاري وآخرين في مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية. الطبعة الأولى، ٤ مجلدات قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤ - ١٤٢١.
- ١٢٩ . غاية النهاية في طبقات القراء. لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد المعروف بابن الجزري (٧٥١ - ٨٣٣). إعداد ج. برجستراسر. الطبعة الأولى، مجلدان، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٣٢/١٣٥١ - ١٩٣٣/١٣٥٢ م.
- ١٣٠ . الغدير في الكتاب والسنة والأدب. للعلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ - ١٣٩٠). الطبعة الثالثة، ١١ مجلداً، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧/١٣٨٧ م.

«ف»

- ١٣١ . الفكر الشيعي والنزعات الصوفيّة حتّى مطلع القرن الثاني عشر الهجري. لكامل مصطفى الشبيبي، بغداد، ١٣٨٦/١٩٦٦ م.
- ١٣٢ . الفوائد الرجالية. للعلامة السيّد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي (١١٥٥ - ١٢١٢). تحقيق محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم. ٤ مجلدات، طهران، مكتبة الصادق، ١٣٦٣ هـ [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].
- ١٣٣ . الفوائد المليّة لشرح الرسالة النفلية. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ - ٩٦٥). باهتمام الشيخ أحمد الشيرازي. [طهران]، ١٣١٤.
- الفوائد المليّة لشرح الرسالة النفلية. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ - ٩٦٥). تحقيق محمد حسين المولوي في مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية.

- الطبعة الأولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٧٨/١٤٢٠ ش^١.
١٣٤. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: الفقه واصوله. لمؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، ١٢ مجلداً، عمان، المؤسسة، ١٤٢٠-١٤٢٥ / ١٩٩٩-٢٠٠٤.
١٣٥. فهرست مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم العامة. لمحمد مهدي نجف. الطبعة الأولى، النجف الأشرف، مكتبة الإمام الحكيم العامة، ١٣٨٩/١٩٦٩م.

«ق»

- قاطعة اللجاج في تحقيق حلّ الخراج ← رسائل المحقق الكركي
١٣٦. قري ومُدن لبنان. (ضمن الموسوعة اللبنانية). لطنوني مفرج، نوبليس للنشر، ٢٠٠٨.
١٣٧. قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام. للعلامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨-٧٢٦). جزءان في مجلد واحد، قم، الرضي، ١٤٠٤ [بالأوفست عن طبعته الحجرية].
١٣٨. القواعد والفوائد. للشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). تحقيق عبدالهادي الحكيم. الطبعة الثانية، مجلّدان، قم، مكتبة المفيد [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٩٨٠م].
١٣٩. قيمة الزمن عند العلماء. لعبد الفتاح أبوغُدة (١٣٣٦-١٤١٧)، الطبعة العاشرة، بيروت، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٢٢ / ٢٠٠٢ م.

«ك»

١٤٠. الكافي. لأبي جعفر ثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق عليّ أكبر الغفاري. الطبعة الرابعة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار صعب ودار التعارف، ١٤٠١ [بالأوفست عن طبعة دار الكتب الإسلامية بطهران].
- الكافي. لأبي جعفر ثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق قسم إحياء التراث في مركز بحوث دار الحديث. الطبعة الأولى، ١٥ مجلداً، قم، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٣٠^٢.

١. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة ذكرنا بعده: «ط. الجديدة».

٢. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة ذكرنا بعده: «ط. الجديدة».

١٤١. الكافي في الفقه^١. لأبي الصلاح الحلبي تقي الدين بن نجم (٣٧٤-٤٤٧هـ). تحقيق رضا الأستاذي. [الطبعة الأولى]. إصفهان، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. ١٤٠٣.
١٤٢. كشف الأستار عن وجه الكتب والأسفار. للسيد أحمد بن محمد رضا الحسيني الخوانساري الصفائي (١٢٩١-١٣٥٩). إعداد ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى، صدر منه حتى الآن ٦ مجلدات، قم، ١٤٠٩-١٤١٩.
١٤٣. كشف الحجب والأستار عن أحوال الكتب والأسفار. للسيد إعجاز حسين ابن السيد محمد قلي النيسابوري الكنتوري (١٢٤٠-١٢٨٦). إعداد محمد هدايت حسين. الطبعة الثانية، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٩ [بالأوفست عن طبعة كلكته، ١٣٣٠].
١٤٤. كشف الرموز. لزين الدين أبي علي الحسن بن أبي طالب بن أبي المجد اليوسفي المعروف بالفاضل الآبي (م بعد ٦٧٢). إعداد الشيخ علي بنه الإشتهاودي وآقا حسين اليزدي. الطبعة الأولى، مجلدان، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٨-١٤١٠.
١٤٥. كشف القناع عن وجوه حجية الإجماع. للشيخ أسد الله بن إسماعيل التستري الكاظمي (م ١٢٣٧). قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر [بالأوفست عن طبعته الحجرية، ١٣١٧].
١٤٦. كشكول البحراني. للشيخ يوسف بن أحمد البحراني (١١٠٧-١١٨٦). الطبعة الثانية، ٣ مجلدات، [قم]، مؤسسة الوفاء ودار النعمان، ١٩٨٥/١٤٠٦ م [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ١٣٨١].
١٤٧. الكنى والألقاب. للشيخ عباس بن محمد رضا القمي (١٢٩٤-١٣٥٩). ٣ مجلدات، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٦/١٩٥٦ م.

«ل»

١٤٨. ألقاب الألقاب في ألقاب الأقطاب^٢. للمولى حبيب الله الشريف الكاشاني (م ١٣٤٠). الطبعة الأولى، طهران، مكتبة بوذر جمهرى (المصطفوي)، ١٣٧٨.

١. طبع بهذا الاسم، والاسم الصحيح له هو الكافي في التكليف كما سماه المؤلف نفسه في رسالته المطبوعة ضمن أعلام الدين للدليمي، ص ٤٥.

٢. طبع الكتاب بهذا العنوان وورد اسمه هكذا في مقدمته وخاتمته؛ ولكن الشيخ آقا بزرگ الطهراني ذكره في الذريعة، ج ١٨، ص ٢٧٧ بعنوان ألقاب الألقاب في ألقاب الأقطاب، ولعله أولى.

١٤٩. لسان الميزان. لأحمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢). إعداد محمد عبدالرحمن المرعشي الطبعة الأولى، ٩ مجلدات + المقدمة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٥-١٤١٦.
١٥٠. لحظ الألاحظ بذييل طبقات الحفاظ. للحافظ تقي الدين محمد بن محمد بن فهد المكي (٧٨٧-٨٧١). بيروت، دار إحياء التراث العربي.
١٥١. لبنان في عهد الأمير فخرالدين. لخليل بن أيبك الصفدي (م ٧٦٤). تحقيق أسد رستم وفؤاد البستاني منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٦٩ م.
١٥٢. اللمعة الدمشقية في فقه الإمامية. للشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكي العاملي (م ٧٨٦). تحقيق مؤسسة فقه الشيعة. الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١٠/١٩٩٠ م.
١٥٣. لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين. للشيخ يوسف بن أحمد البحراني (١١٠٧-١١٨٦). تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم. الطبعة الثانية، قم، مؤسسة آل البيت للإسلام للدراسة والنشر [بالأوفست عن طبعته السابقة].

«م»

١٥٤. ماضي النجف وحاضرها. للشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة (حوالي ١٣١٤-١٣٧٧). الطبعة الثانية، ٣ مجلدات، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦/١٩٨٦ م.
١٥٥. مجموع الغرائب وموضوع الغرائب. للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن العاملي الكفعمي (٨٤٠-٩٠٥). إعداد السيد مهدي الرجائي. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة أنصار الحسين للإسلام والثقافية، ١٣٧١ ش / ١٤١٢.
١٥٦. مختصر تاريخ الشيعة. لأحمد عارف الزين (م ١٣٨٠). صيدا، مكتبة العرفان، ١٣٣٢.
١٥٧. المختصر النافع^١. للمحقق الحلبي نجم الدين جعفر بن حسن يحيى بن سعيد الهذلي (٦٠٢-٦٧٦). إعداد عدّة من العلماء. الطبعة الثالثة، طهران، مؤسسة البعثة، ١٤٠٢ [بالأوفست عن طبعة مصر، حوالي ١٣٧٦].

١. هكذا سماه المؤلف في المعبر، ج ١، ص ١٩ - ٢٠، حيث قال: «... حتى أتفق لنا اختصار كتاب الشرائع بـ«المختصر النافع»؛ وذكره فخر المحققين في إجازته لبعض العلماء بعنوان النافع في مختصر الشرائع (بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٢)، وكذلك الفاضل المقداد عبّر عنه في التنقيح الرائع، ج ١، ص ٣ بـ«النافع مختصر الشرائع». وقال ابن فهد الحلبي في المهذب البار، ج ١، ص ٦٣: «وكان من أفصح مختصراته وأنقى مصنّفاته كتاب النافع أعني مختصر الشرائع».

- ١٥٨ . مختلف الشيعة في أحكام الشريعة. للعلامة الحلبي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨-٧٢٦). طهران، مكتبة نينوى الحديثة [بالأوفست عن طبعته الحجرية، ١٣٢٤].
- ١٥٩ . مخطوطات مكتبة آية الله السيد محمد البغدادي الحسيني في النجف الأشرف. لمحمد هادي الأميني. الطبعة الأولى، النجف الأشرف، مطبعة القضاء، ١٣٨٣/١٩٦٤م.
- ١٦٠ . مخطوطات مكتبة المتحف العراقي (الجزء الثاني، المخطوطات الفقهية، القسم الأول). لأسامة ناصر النقشبندي وعامر أحمد القشطيني. بغداد، وزارة الإعلام، ١٣٩٦/١٩٧٦م.
- ١٦١ . مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام. للسيد محمد بن علي الموسوي العاملي (٩٥٦هـ - ١٠٠٩). تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى، ٨ مجلدات، قم، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٤١٠.
- ١٦٢ . مرآة الزمان في تاريخ الأعيان. ليوسف بن قزأوغلي سبط ابن الجوزي. (م ٦٥٤) بتحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٥ / ١٩٨٥م.
- ١٦٣ . مرآة الشرق. لمحمد أمين الإمامي الخوئي (١٣٠٣-١٣٦٧). تحقيق علي الصدرائي الخوئي. الطبعة الأولى، مجلدان، قم، مكتبة آية الله المرعشي عليه السلام، ١٤٢٧ / ٢٠٠٦م.
- ١٦٤ . مرآة الكتب. للشهيد ثقة الإسلام التبريزي الميرزا علي بن موسى (١٢٧٧-١٣٣٠). [الطبعة الأولى]، ٤ مجلدات، [قم]، ١٣٦٣-١٣٦٩ هـ.ش.
- ١٦٥ . المزار (منتخب الزيارات). للشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام. الطبعة الأولى، قم، ١٤١٠.
- ١٦٦ . مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام. للشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي (٩١١-٩٦٥). مجلدان، قم، دارالهدى [بالأوفست عن طبعته الحجرية].
- المسائل المقدادية ← أجوبة مسائل الفاضل المقداد
- ١٦٧ . مستدركات أعيان الشيعة. للسيد حسن ابن السيد محسن الأمين العاملي (م ١٤٢٣). الطبعة الأولى، ١٠ مجلدات، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٨-١٩٨٧/١٤٢٣-٢٠٠٢م.
- ١٦٨ . مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل. للحاج الميرزا حسين المحدث النوري (١٢٥٤- ١٣٢٠). ٣ مجلدات، قم، إسماعيليان، ١٣٦٣ هـش [بالأوفست عن طبعته الحجرية الأولى].

- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل. للحاج الميرزا حسين المحدث النوري (١٢٥٤ - ١٣٢٠). إعداد ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى، ٢٧ مجلداً، قم، ١٤٠٧ - ١٤٢٠.
- ١٦٩. المصباح (جنت الأمان الواقية وجنت الإيمان الباقية). للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن العاملی الكفعمي (٨٤٠ - ٩٠٥). قم، الرضي والزاهدي، ١٤٠٥ [بالأوفست عن طبعته الحجرية، ١٣٢١].
- ١٧٠. مصفى المقال في مصنفی علم الرجال. للشيخ محمد محسن آقا بزرك الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩). إعداد أحمد المنزوي. الطبعة الأولى، [طهران]، ١٣٧٨.
- ١٧١. معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر. للسيد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي الشقراي (١٢٨٤ - ١٣٧١). ٤ مجلدات، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١/١٩٨١ م.
- ١٧٢. المعترف في شرح المختصر. للمحقق الحلبي نجم الدين جعفر بن حسن يحيى بن سعيد الهذلي (٦٠٢ - ٦٧٦). إعداد عدة من الطلاب. الطبعة الأولى، مجلدان، قم، مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام، ١٣٦٤ ش.
- ١٧٣. معجم أسماء المدن والقرى اللبناية. لأنيس فريحة بيروت، ١٩٩٢ م.
- ١٧٤. معجم أعلام جبل عامل. لعلي داود جابر. الطبعة الأولى، ٣ مجلدات، بيروت، دار المؤرخ العربي، ١٤٣٠ / ٢٠٠٩ م.
- ١٧٥. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة. للسيد أبي القاسم ابن السيد علي أكبر الموسوي الخوئي (١٣١٧ - ١٤١٣) وعدة من الفضلاء. الطبعة الثالثة، ٢٣ مجلداً + الفهرس، بيروت، ١٩٨٣/١٤٠٣ م.
- ١٧٦. معجم قرى جبل عامل. للشيخ سليمان ظاهر (١٢٩٠ - ١٣٨٠). مجلدان، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٢٧ / ٢٠٠٦ م.
- ١٧٧. معجم المؤلفين. لعمر رضا كحالة (م ١٤٠٨). ١٥ جزءاً في ٨ مجلدات + المستدرک علی معجم المؤلفين في مجلد، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- ١٧٨ . المعجم الوسيط. لعدة من الأدباء من أعضاء مجمع اللغة العربية في مصر. مجلدان. طهران. ناصر خسرو [بالأوفست عن طبعة مصر].
- ١٧٩ . مع موسوعات رجال الشيعة. للسيد عبدالله بن عبدالحسين شرف الدين. الطبعة الأولى. ٣ مجلدات، بيروت ولندن، الإرشاد للطباعة والنشر، ١٤١١/١٩٩١م.
- ١٨٠ . المغرب في ترتيب المغرب. لأبي الفتح ناصر بن عبدالسيد بن علي المطرزي (٥٣٨ - ٦١٠)، تحقيق محمود فاخوري وعبدالحميد مختار. الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٩م.
- ١٨١ . مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة. للسيد محمد جواد الحسيني العاملي (م حوالي ١٢٢٨). [الطبعة الثانية]. ١٠ مجلدات، قم، مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر [بالأوفست عن طبعته السابقة].
- ١٨٢ . مقابس الأنوار ونفائس الأسرار في أحكام النبي المختار وعترته الأطهار عليهم السلام. للشيخ أسدالله بن إسماعيل التستري الكاظمي (م ١٢٣٧). قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر [بالأوفست عن طبعته الحجرية، ١٣٢٢].
- ١٨٣ . المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية. للشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي (٩١١ - ٩٦٥). باهتمام الشيخ أحمد الشيرازي. [طهران، ١٣١٤].
- المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية. للشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي (٩١١ - ٩٦٥). تحقيق محمد حسن وآخرون في مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية. الطبعة الأولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٠ / ١٣٧٨ ش^١.
- المقاديات ← أجوبة مسائل الفاضل المقداد
- مقدمة ابن الصلاح ← علوم الحديث
- ١٨٤ . المكاسب. للشيخ مرتضى بن محمد أمين الأنصاري الدزفولي (١٢١٤ - ١٢٨١). تبريز، ١٣٧٥.
- ١٨٥ . مكتبة العلامة الحلي. للمرحوم السيد عبدالعزيز الطباطبائي (١٣٤٨ - ١٤١٦) الطبعة الأولى، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٦.
- ١٨٦ . مناهج تحقيق التراث بين القدمى والمُحدثين. لرمضان عبدالتواب. الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٦ / ١٩٨٦م.

١. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة ذكرنا بعده: «ط. الجديدة».

□ منتخب الزيارات ← المزار

١٨٧ . منتهى المطلب في تحقيق المذهب . للعلامة الحلبي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨ - ٧٢٦). الطبعة الحجرية، مجلّدان، إيران، ١٣٣٣.

١٨٨ . من نوادر مخطوطات مكتبة آية الله الحكيم العامة . إدارة المكتبة، الطبعة الأولى، النجف الأشرف، ١٣٨٢/١٩٦٢ م.

١٨٩ . منية المرید في أدب المفید والمستفيد . للشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي (٩١١ - ٩٦٥). تحقيق رضا المختاري . الطبعة الأولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩/١٣٦٨ ش.

١٩٠ . موسوعة مؤلفي الإمامية . لمجمع الفكر الإسلامي . الطبعة الأولى، ٧ مجلّدات إلى الآن، قم، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤٢٠ - ١٤٢٥.

١٩١ . موسوعة ابن إدريس الحلبي . لمحمد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي الحلبي (م ٥٩٨). تحقيق السيّد محمّد مهدي السيّد حسن الموسوي الخراسان، الطبعة الأولى، ١٤ مجلّدًا، قم، دليل ما، ١٤٢٩.

١٩٢ . موسوعة الشهيد الأول . تحقيق عدّة من الفضلاء . الطبعة الأولى، ١٩ مجلّدًا + المدخل والفهارس . قم، مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة، ١٤٣٠ / ١٣٨٨ ش.

١٩٣ . المهذب البارع في شرح المختصر النافع . لأبي العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلبي الأسدي (٧٥٧ - ٨٤١). تحقيق مجتبي العراقي . الطبعة الأولى، ٥ مجلّدات، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧ - ١٤١٣.

١٩٤ . مجلّة ميقات الحجّ . مجلّة نصف سنوية، يصدرها مركز تحقيقات الحجّ في قم المقدّسة، صدر منها حتّى الآن ١٨ عددًا.

«ن»

١٩٥ . النابس في القرن الخامس (من طبقات أعلام الشيعة). للشيخ محمّد محسن آقا بزرك الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩). تحقيق عليّ نقي المنزوي . الطبعة الأولى، بيروت، دارالكتاب العربي، ١٣٩١/١٩٧١ م.

□ النافع مختصر الشرائع ← المختصر النافع

١٩٦. النحو الوافي. لعبّاس حسن. ٤ مجلّدات، طهران، ناصر خسرو، ١٤٠٩. [بالأوفست عن طبعة القاهرة، دارالمعارف بمصر].

١٩٧. نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر. لمحمّد بن أبي طالب الأنصاري (م ٧٢٧) بيروت، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م.

١٩٨. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. للشريف الإدريسي (م ٥٦٠) بيروت، عالم الكتب.

١٩٩. ضد القواعد الفقهية على مذهب الإمامية. لجمال الدين المقداد بن عبدالله السيوري الحلبي المعروف بالفاضل المقداد (م ٨٢٦). إعداد السيّد عبداللطيف الكوهكمرى. [الطبعة الأولى]. قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٣.

٢٠٠. النلفية (الرسالة النلفية). للشهيد الأوّل شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد عليّ الفاضل القائني النجفي - المطبوع مع الألفية - الطبعة الأولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٨.

٢٠١. نقد الرجال. للسيّد مصطفى بن حسين الحسيني التفرشي (كان حيّاً في ١٠٤٤). الطبعة الحجرية، ١٣١٨.

٢٠٢. النهاية. لأبي جعفر شيخ الطائفة محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠). قم، قدس [بالأوفست عن طبعة بيروت].

٢٠٣. نهاية الأحكام في معرفة الأحكام. للعلامة الحلبي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨-٧٢٦). إعداد السيّد مهدي الرجائي. الطبعة الأولى، مجلّدان، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٦/١٤٠٦ م.

٢٠٤. النهاية في غريب الحديث والأثر. لأبي السعادت مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري (٥٤٤-٦٠٦). تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. الطبعة الرابعة، ٥ مجلّدات، قم، إسماعيليان، ١٣٦٣ ش [بالأوفست عن طبعة بيروت].

٢٠٥. نيل الأمل في ذيل الدول. لزين الدين عبدالباسط الظاهري الحنفي (٨٤٤-٩٢٠)، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الأولى، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٢ / ٢٠٠٢ م.

«هـ»

- ٢٠٦ . الهجرة العاملة إلى إيران في العصر الصفوي. للشيخ جعفر المهاجر. الطبعة الأولى، بيروت، دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠/١٩٨٩م.
- ٢٠٧ . هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. لإسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني البغدادي (م ١٣٣٩). مجلدان، بيروت، دارالفكر، ١٤١٠/١٩٩٠م.

«و»

- ٢٠٨ . الوفيات، لتقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع السلمي (٧٠٤ - ٧٧٤). تحقيق صالح مهدي عباس، إشراف ومراجعة بشّار عوّاد معروف. الطبعة الأولى. مجلدان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢/١٩٨٢م.
- ٢٠٩ . وقف السلطان الناصر حسن بن قلاوون على مدرسته بالرميلة. لهويدا الحارثي، بيروت، ٢٠٠١م.

(ب) المصادر المخطوطة*

«ت»

٢١٠. تكملة درة الأسلاك. لظاهر بن حسن المعروف بابن حبيب (م ٨٠٨). مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٦٢٨٠/٢.

«ح»

٢١١. الحاشية النجارية^١. المنسوبة إلى الشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكي العاملي (م ٧٨٦). مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ٢)، المرقمة ٧٨٠/١.

٢١٢. حدائق المقرئين. للمير محمد صالح الحسيني الخاتون الآبادي (١٠٥٨-١١٢٦). مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٧١٩٢.

«د»

٢١٣. درة الأسلاك في دولة الأتراك. لبدر الدين حسن بن عمر الحلبي (٧١٠-٧٧٩). مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ٦٢٨٠/١.

«ذ»

٢١٤. ذيل مرآة الزمان. لموسى بن محمد اليونيني. مخطوطة «سوهاج» المحفوظة «معهد المخطوطات» التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة.

«س»

٢١٥. سفينة شرف الدين محمد مكي. هو حفيد الشهيد الأول (كان حياً ١١٨٦). مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمته الله، المرقمة ١٢٣٨٦.

* هذه المصادر كلها باللغة العربية سوى حدائق المقرئين؛ فإنها فارسية.

١. تقدّم الكلام حولها مفصلاً في الفصل الأول من الباب الثاني في البحث عن مؤلفات الشهيد وأثاره العلمية.

«ف»

- ٢١٦ . فوائد القواعد . للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ - ٩٦٥) . مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١) ، المرقّمة ١٣٠٧ .
- ٢١٧ . الفوائد الملتية . للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ - ٩٦٥) . مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١) ، المرقّمة ٨١٧٢ .

«ل»

- ٢١٨ . مجموعة اللاهجاني . للشيخ محمود اللاهجاني ، تلميذ الشهيد الثاني (كان حياً سنة ٩٨٦) . مخطوطة مركز احياء الميراث الإسلامي ، المرقّمة ١١٧٥ .

«م»

- ٢١٩ . مجموعة الجباعي . لشمس الدين محمّد بن عليّ بن حسن الجباعي (٨٢٢ - ٨٨٦) . مخطوطة مكتبة ملك الوطنية بطهران ، المرقّمة ٦٠٤ .
- ٢٢٠ . مجموعة الجباعي . ج ٢ ، لشمس الدين محمّد بن عليّ بن حسن الجباعي (٨٢٢ - ٨٨٦) . مخطوطة مكتبة الشورى الإسلامي (رقم ١) ، المرقّمة ٨٩٣٢ .
- ٢٢١ . مختصر نسيم السحر . لشرف الدين محمّد مكّي حفيد الشهيد الأوّل (كان حياً ١١٨٦) . مخطوطة مؤسسة آية الله البروجردي رحمته الله ، المرقّمة ٣٩٩/٨ .

ج) المصادر الفارسية

«آ»

٢٢٢. آشنایی با چند نسخه خطی (التعريف على عدة مخطوطات). للشيخ رضا الأستاذي والسيد حسين المدرسي الطباطبائي. [الطبعة الأولى]، صدر منه مجلد، قم، ١٣٩٦.
٢٢٣. اطلس شيعه. للشيخ رسول جعفریان. الطبعة الأولى، طهران، المنظمة الجغرافية للقوة المسلحة، ١٣٨٧.

«ب»

٢٢٤. پیامبران و خمسه طيبه. لفخر الدين النصيري الأميني (م ١٣٧٩ ش) [الطبعة الأولى]، مجلدان، طهران، ١٣٦٩/١٤١١ ش.
٢٢٥. مجلة پیام حوزه، مجلة فصلية تصدرها اللجنة العليا المشرفة على الحوزة العلمية بقم المقدسة، صدر منها حتى الآن ٤٢ عدداً.
٢٢٦. پژوهشی درباره حدیث و فقه. للمرحوم الشيخ كاظم مدير شانہ چی (م ١٤٢٣). الطبعة الأولى، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٨٠ ش.

«ت»

٢٢٧. تاريخ جنبش سرداران و ديگر جنبشهای ایرانیان در قرن هشتم هجری. لعبد الرفيع حقيقت. الطبعة الأولى، طهران، انتشارات آزاد اندیشان، ١٣٦٠ ش.
٢٢٨. تحفة الأحباب في نوادر آثار الأصحاب. للشيخ عباس بن محمد رضا القمي (١٢٩٤-١٣٥٩). إعداد عليّ محدث زاده والسيد جعفر الحسيني. الطبعة الأولى، طهران، دارالكتب الإسلامية، ١٣٧٠ ش.
٢٢٩. مجلة تحقيقات إسلامی. مجلة نصف سنوية كانت تصدرها مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية في طهران، صدر منها ٣٦ عدداً.

«ح»

٢٣٠. حبيب السّير في أخبار أفراد بشر. لخواند مير غياث الدين بن همام الدين الحسيني (م ٩٤١ / ٩٤٢). طهران، ١٣٣٣ ش.

«ر»

٢٣١. ربحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب. للميرزا محمد عليّ المدرّس التبريزي (١٢٩٦ - ١٣٧٣). الطبعة الثالثة، ٨ مجلّدات، تبريز، مكتبة خيّام.

«س»

٢٣٢. السيوف البارقة على هام المتصوفين المارقة أو لتنبية اصحاب الخرقه وتراجمهم. للشّيخ ذبيح الله المحلاتي (١٣١٠ - ١٤٠٦). طهران، ١٣٨٥ ق.

«ش»

٢٣٣. شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور. للميرزا أبي الفضل بن أبي القاسم الكلاتري النوري الطهراني (م ١٣١٦). الطبعة الأولى، بمبئي، باهتمام الشيخ عليّ المحلاتي الحائري، ١٣١٠.
٢٣٤. شناختنامه شهيدين. إعداد مؤسّسة تراث الشيعة، الطبعة الأولى، قم، مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة، ١٤٣٠ / ١٣٨٨ ش.

«ص»

٢٣٥. الصدف المشحون بأنواع العلوم والفنون. للدّاح المولى محمد الشريف ابن الرضا الشيرازي (كان حيّاً سنة ١٢٥٨). مجلّدان، ١٣١٤.

«ع»

٢٣٦. علماء معاصرين. لملاّ علي واعظ الخياباني. طهران، المطبعة الإسلاميّة، ١٣٦٦.

«ف»

٢٣٧. فرهنگنامه‌ی رجال علمی و مشاهیر فرهنگ‌ی کرمان؛ از آغاز اسلام تا پایان عصر قاجار. رضا کردی، الطبعة الأولى، کرمان، مرکز کرمان‌شناسی، ١٣٨٨ ش.
٢٣٨. الفوائد الرضویة فی أحوال علماء المذهب الجعفریة. للشیخ عبّاس بن محمّد رضا القسّی (١٢٩٤-١٣٥٩). طهران، کتابفروشی مرکزی، ١٣٢٧ ش.
٢٣٩. فهرست آثار خطی شیخ مفید در کتابخانه آیه الله العظمی مرعشی نجفی (فهرس آثار الشیخ المفید المخطوطة فی مكتبة آية الله العظمی المرعشی النجفی). لرضا المختاری وحسین الشفیعی. الطبعة الأولى، قم، مكتبة آية الله المرعشی، ١٤١٣.
٢٤٠. فهرست ألفبائی كتب خطی کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی (الفهرس الألفبائی لمخطوطات مكتبة الروضة الرضویة المقدّسة). لمحمّد آصف فکرت ومحمّد وفادار مرادی. الطبعة الأولى، مشهد، مكتبة الروضة الرضویة المقدّسة، ١٣٦٩ ش.
٢٤١. فهرست قرآنهاى خطی کتابخانه سلطنتی (فهرس مصاحف المخطوطة المحفوظة فی مكتبة السلطنة)، لبدري آتابای، طهران، مكتبة السلطنة، ١٣٥١.
٢٤٢. فهرست کتابخانه دولتی تربیت تبریز (فهرس مكتبة التربية فی تبریز التابعة للدولة). لمحمّد نخجوانی، [الطبعة الأولى] تبریز، ١٣٢٩ ش.
٢٤٣. فهرست کتابخانه مدرسه عالی سپهسالار (فهرس مكتبة مدرسة سپهسالار العالیة سابقاً، مدرسة الشهيد مطهری العالیة حالياً). لعدّة من الفضلاء. [الطبعة الأولى]، ٥ مجلّدات، طهران، ١٣١٣-١٣٥٦ ش.
٢٤٤. فهرست کتابهای چاپی عربی (فهرس كتب العربیة المطبوعة). لیخان بابا مُشار (م ١٤٠٢) الطبعة الأولى، طهران، أنجمن کتاب، ١٣٤٤ ش.
٢٤٥. فهرست کتابهای خطی کتابخانه ملّی ملک (فهرس مخطوطات مكتبة ملك الوطنیة). لعدّة من الفضلاء. [الطبعة الأولى]، ١٠ مجلّدات، طهران، ١٣٥٢-١٣٧٢ ش.
٢٤٦. فهرست كتب خطی کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی (فهرس مخطوطات مكتبة الروضة الرضویة المقدّسة). لعدّة من العلماء. [الطبعة الأولى]، صدر منه ٢١ مجلّدات حتّى الآن،

- مشهد، مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، ١٣٤٥ - ١٤٢٣/١٣٠٥ - ١٣٨١ ش.
- فهرست كتب خطي كتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی (فهرس مخطوطات مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة). لعدّة من العلماء. الطبعة الثانية، المجلّد الأول: تحقيق السيّد عليّ أردلان جوان. مشهد، مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، ١٣٦٥ ش.
 - ٢٤٧. فهرست كتب خطي كتابخانه های اصفهان (فهرس مخطوطات مكنتبات اصفهان). للسيّد محمّد عليّ الروضاتي. [الطبعة الأولى]، صدر منه مجلّد، اصفهان، ١٣٨٢/١٣٤١ ش.
 - ٢٤٨. فهرست نسخه های خطي كتابخانه مدرسه آية الله العظمى بروجردی (فهرست مخطوطات مكتبة آية الله العظمى بروجردی في النجف الأشرف). للسيّد جعفر الحسيني الإشكوري. الطبعة الأولى، قم، مجمع الذخائر الإسلامية، ١٤٣٠.
 - ٢٤٩. فهرست نسخ خطي كتابخانه ملى ايران (فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية في إيران). للسيّد عبدالله أنوار. ١٠ مجلّدات، طهران، المكتبة الوطنية، ١٣٤٥ - ١٣٥٨ ش.
 - ٢٥٠. فهرست نسخه های خطي كتابخانه ارگانی بهبهانی (فهرست مخطوطات مكتبة الأركانى البهبهاني). للشیخ محمود الأركانى البهبهاني الحائري، الطبعة الأولى، قم، دار المودة ومجمع الذخائر الإسلامية، ١٤٢٩ / ٢٠٠٨.
 - ٢٥١. فهرست نسخه های خطي دو كتابخانه مشهد (فهرس مخطوطات مكنتبتين في مشهد). لعدّة من العلماء. [الطبعة الأولى]، طهران، انتشارات فرهنگ ایران زمین، ١٣٥١ ش.
 - ٢٥٢. فهرست نسخه های خطي كتابخانه آية الله العظمى گلپایگانی (فهرس مخطوطات مكتبة آية الله العظمى گلپایگانی). للشیخ رضا الأستاذي والسيّد أحمد الحسيني. [الطبعة الأولى]، صدر منه ٣ مجلّدات، قم، ١٣٥٧ ش.
 - ٢٥٣. فهرست نسخه های خطي كتابخانه دانشكده أدبيات دانشگاه طهران (فهرس مخطوطات كلیة الآداب لجامعة طهران). لمحمّد تقی دانش بزوّه (م ١٤١٧) [الطبعة الأولى]، ٣ مجلّدات، طهران، جامعة طهران، ١٣٣٩ - ١٣٤٤ ش.
 - ٢٥٤. فهرست نسخه های خطي كتابخانه دانشكده إلهیات و معارف إسلامی دانشگاه تهران (فهرس مخطوطات مكتبة كلیة الإلهیات و المعارف الإسلامية لجامعة طهران) للسيّد محمّد باقر الحجتی. [الطبعة الأولى]، مجلّدان، طهران، جامعة طهران، ١٣٤٥ - ١٣٤٨ ش.

- ۲۵۵ . فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه شاهچراغ شیراز (فهرس مخطوطات مكتبة شاهچراغ بشيراز). عليّ نقي بهروزي. [الطبعة الأولى]. مجلدان، شیراز، ۱۴۰۲/۱۳۶۰ ش.
- ۲۵۶ . فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه عمومی آية الله العظمی مرعشی نجفی (فهرس مخطوطات مكتبة آية الله العظمی المرعشي النجفي العامة). للسید أحمد الحسيني وآخرين. الطبعة الأولى، صدر منه ۳۰ مجلداً حتى الآن، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ۱۳۹۵ - ۱۴۲۲ / ۱۳۵۴ - ۱۳۸۰ ش.
- ۲۵۷ . فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مجلس شورای ملی (سابق = شورای اسلامی شماره ۱) (فهرس مخطوطات مكتبة مجلس النواب الوطني)، (سابقاً = مكتبة مجلس الشورى الإسلامي رقم ۱ حالياً). لعدّة من الفضلاء. [الطبعة الأولى]، صدر منه ۳۸ مجلداً حتى الآن، طهران، مكتبة المجلس، و قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ۱۳۰۵ - ۱۳۷۷ ش.
- ۲۵۸ . فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مرکزی و مرکز اسناد دانشگاه تهران (فهرس مخطوطات المكتبة المركزية و مرکز الأسناد لجامعة طهران). لمحمّد تقی دانش پژوه (م ۱۴۱۷) و عليّ نقي المنزوي. [الطبعة الأولى]، ۱۸ مجلداً، طهران، جامعة طهران، ۱۳۳۰ - ۱۳۶۴ ش.
- ۲۵۹ . فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مسجد اعظم قم (فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأعظم بقم). للشیخ رضا الاستادي. الطبعة الأولى، قم، ۱۳۶۵ ش.
- ۲۶۰ . فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مدرسه فیضیه قم (فهرس مخطوطات مكتبة المدرسة الفيضية بقم). للشیخ رضا الأستاذي. [الطبعة الأولى]، قم، ۱۳۶۵ ش.
- ۲۶۱ . فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مدرسه مروی تهران (فهرس مخطوطات مكتبة مدرسة مروی بطهران). للشیخ رضا الأستاذي. الطبعة الأولى، طهران، مكتبة مدرسة مروی، ۱۳۷۱ ش.
- ۲۶۲ . فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه نوربخش خانقاه نعمت اللهی (فهرس مخطوطات مكتبة نوربخش بخانقاه نعمة اللهی). للسید إبراهيم الديباجي. [الطبعة الأولى]، مجلدان، طهران، خانقاه نعمة اللهی، ۱۳۵۰ - ۱۳۵۲ ش.
- ۲۶۳ . فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه وزیر یزد (فهرس مخطوطات مكتبة الوزيري ييزد). لمحمّد الشيرواني. [الطبعة الأولى]، ۵ مجلّات، طهران، ۱۳۵۰ - ۱۳۵۸ ش.
- ۲۶۴ . فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه‌های رشت و همدان (فهرس المخطوطات الموجودة في

- مكتبات مدينتي رشت وهمدان). لعدّة من الفضلاء. [الطبعة الأولى]، طهران، انتشارات فرهنگ ایران زمین، ١٣٥٣ ش.
٢٦٥. فهرست نسخه‌های عکسی کتابخانه عمومی آية الله العظمى مرعشى نجفى (فهرس النسخ المصوّرة بمكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفي العامة). للشيخ محمّد عليّ الحائري (م ١٤٢٣). الطبعة الأولى، صدر منه مجلّدان حتّى الآن، قم، مكتبة آية الله المرعشى، ١٤١١-١٤١٢/١٣٦٩-١٣٧٠ ش.
٢٦٦. فهرست نسخه‌های عکسی مرکز إحياء ميراث اسلامى (فهرس النسخ المصوّرة بمركز إحياء الميراث الإسلامى). للسيد جعفر الحسينى الإشكورى. الطبعة الأولى، قم، مركز إحياء الميراث الإسلامى، ١٤٢٩.
٢٦٧. فهرست نسخه‌های خطى مركز إحياء ميراث اسلامى (فهرست المخطوطات بمركز إحياء الميراث الإسلامى). للسيد أحمد الحسينى. الطبعة الأولى، ٨ مجلّدات، قم، مركز إحياء الميراث الإسلامى، ١٤١٩-١٤٢٦.

«ق»

٢٦٨. قصص العلماء^١. للميرزا محمّد بن سليمان التنكابنى (م ١٣٠٢). طهران، المكتبة العلمية الإسلاميّة.

«م»

٢٦٩. مجالس المؤمنين. للشهيد القاضى السيد نورالله بن شريف الدين المرعشى التستري (٩٥٦-١٠١٩). [الطبعة الأولى]، مجلّدان، طهران، المكتبة الإسلاميّة، ١٣٧٥-١٣٧٦.
٢٧٠. مفاخر اسلام. للشيخ عليّ الدوانى. الطبعة الأولى، ١٠ مجلّدات، طهران، أمير كبير، مركز أسناد انقلاب إسلامى ونشر قبله، ١٣٦١-١٣٧٩ ش.
٢٧١. مقدّمه‌های بر فقه شيعه. للسيد حسين المدرّسى الطباطبائى. ترجمة محمّد آصف فكرت. الطبعة الأولى. مشهد، مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٣٦٨ ش.

- ٢٧٢ . مكارم الآثار در احوال رجال دوره قاجار . للميرزا محمد علي (معلم الحبيب آبادي).
 (١٣٠٨ - ١٣٩٦). تحقيق السيد محمد علي الروضاتي، ٨ مجلدات إلى الآن، الطبعة الأولى،
 اصفهان، ١٣٧٧ - ١٤٢٣.
- ٢٧٣ . مهاجرت علمای شیعه از جبل عامل به ایران. لمهدي فراهاني منفرد. الطبعة الأولى، طهران.
 أمير كبير، ١٣٧٧ ش.
- ٢٧٤ . ميراث اسلامي ایران. لعدة من العلماء، إعداد رسول جعفریان، الطبعة الأولى، ١٠ مجلدات، قم،
 مكتبة آية الله المرعشي، ١٣٧٣ - ١٣٧٨ ش.
- ٢٧٥ . مجلّة ميراث شهاب. نشرة مكتبة آية الله المرعشي، صدر حتى منه الآن ٥٤ عدداً.

«ن»

- ٢٧٦ . نسخه پژوهی (دراسة المخطوطات). لأبو الفضل حافظيان بابلي، ٣ أعداد إلى الآن، الطبعة
 الأولى، قم و طهران، مؤسسة المرجع ومكتبة مجلس الشورى الإسلامي، ١٣٨٣ - ١٣٨٥.
- ٢٧٧ . نشریه نسخه های خطی (نشرية النسخ الخطية). نشرة كانت تصدرها المكتبة المركزية لجامعة
 طهران، تحت إشراف محمد تقي دانش پژوه (م ١٤١٧) وإيرج أفشار وإسماعيل الحاكمي.
 صدر منه ١٢ عدداً، طهران، جامعة طهران، ١٣٤٠ - ١٣٦٢ ش.
- ٢٧٨ . مجلّة نور علم. مجلّة تصدرها جماعة المدرّسين للحوزة العلمية بقم. صدر منها ٥٤ عدداً تمّ
 توقّف نشرها في سنة ١٣٧٣ ش.

«ه»

- ٢٧٩ . هدیه الاحباب في ذكر المعروفين بالكنى والألقاب والأنساب. للشيخ عباس بن محمد رضا
 القمي (١٢٩٤ - ١٣٥٩). الطبعة الثانية، طهران، أمير كبير، ١٣٦٣ ش.

«ي»

- ٢٨٠ . يكصد وشصت نسخه از يك كتابخانه شخصی (مائة وستون مخطوطة لمكتبة خاصة). للشيخ
 رضا الأستادي. [الطبعة الأولى]، قم، ١٣٥٤ ش.